

الحيوات
في تفسير
القرآن الكريم

١٨-١٧

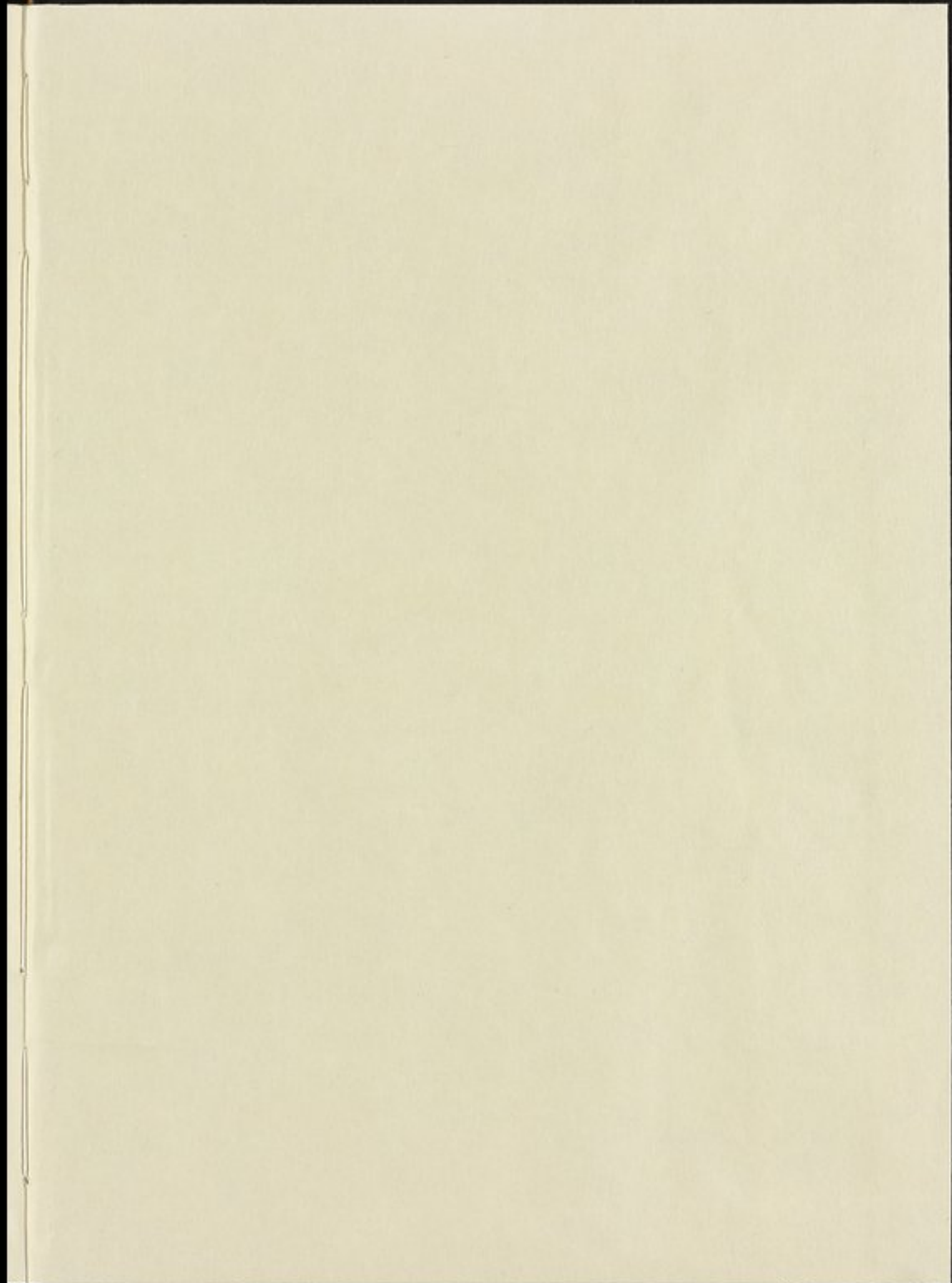
دار مكتبة ومطبعة
الشيخ محمد صالح المنجد
بمكة المكرمة - الرياض

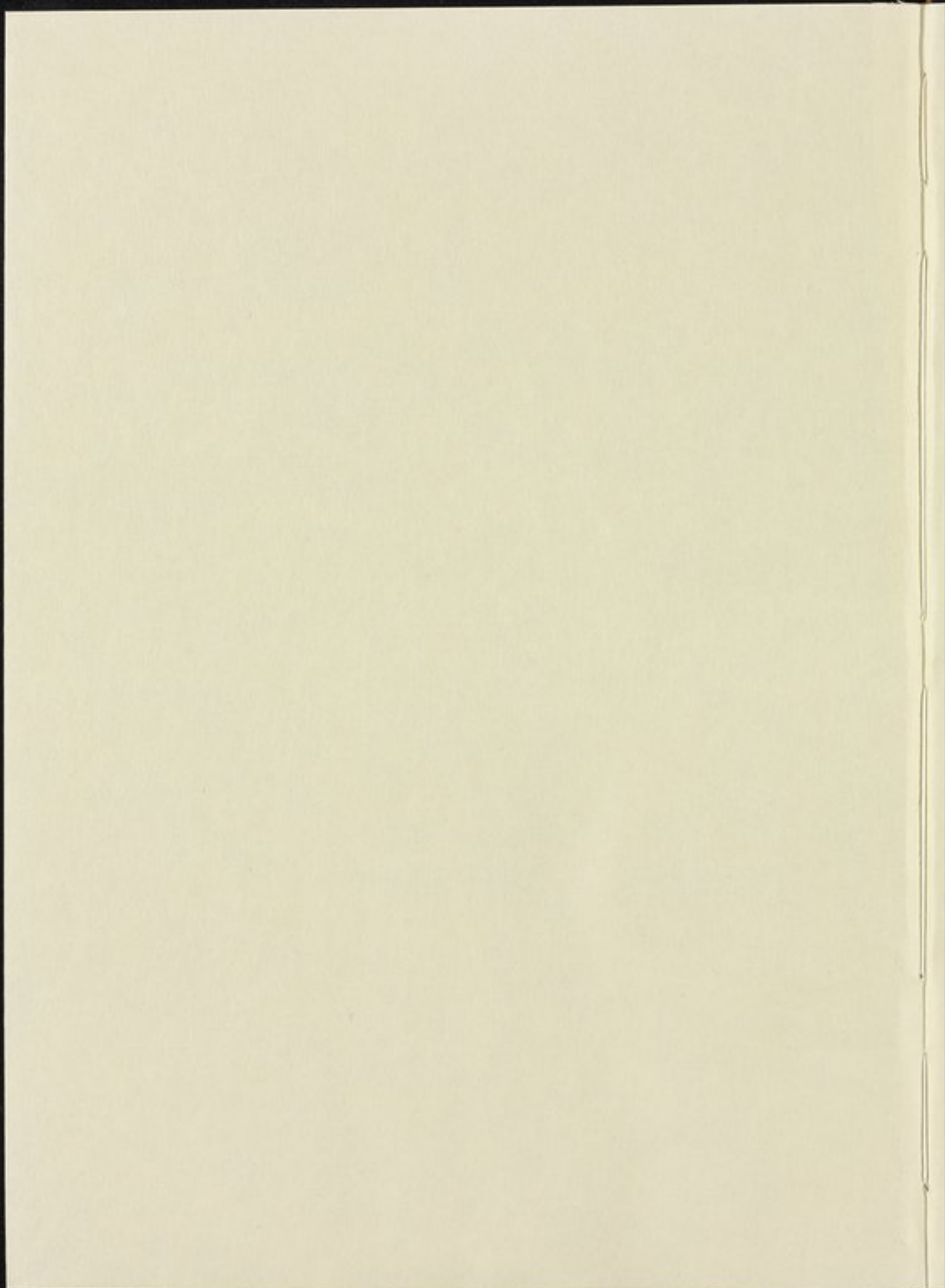
Princeton University Library

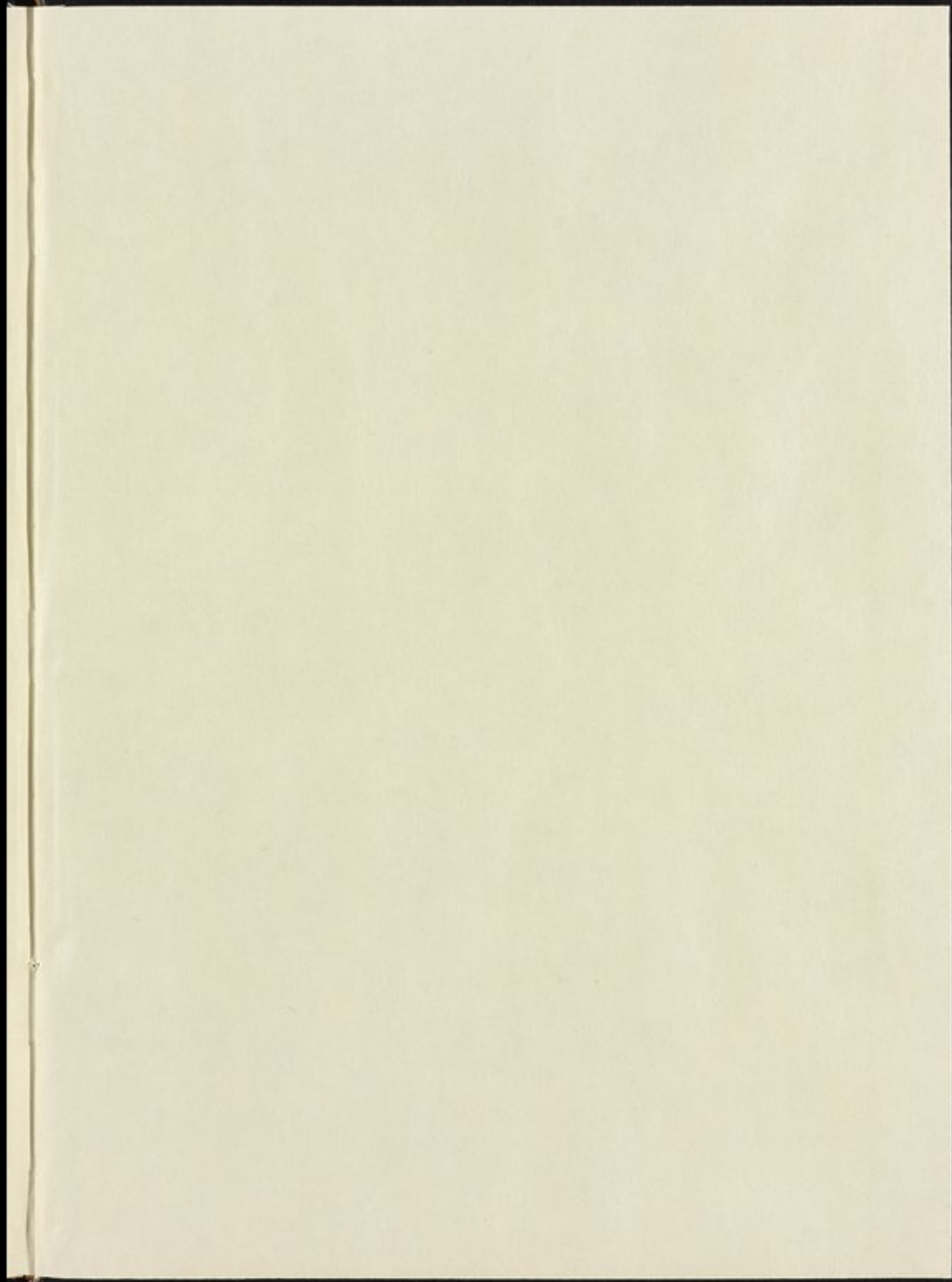


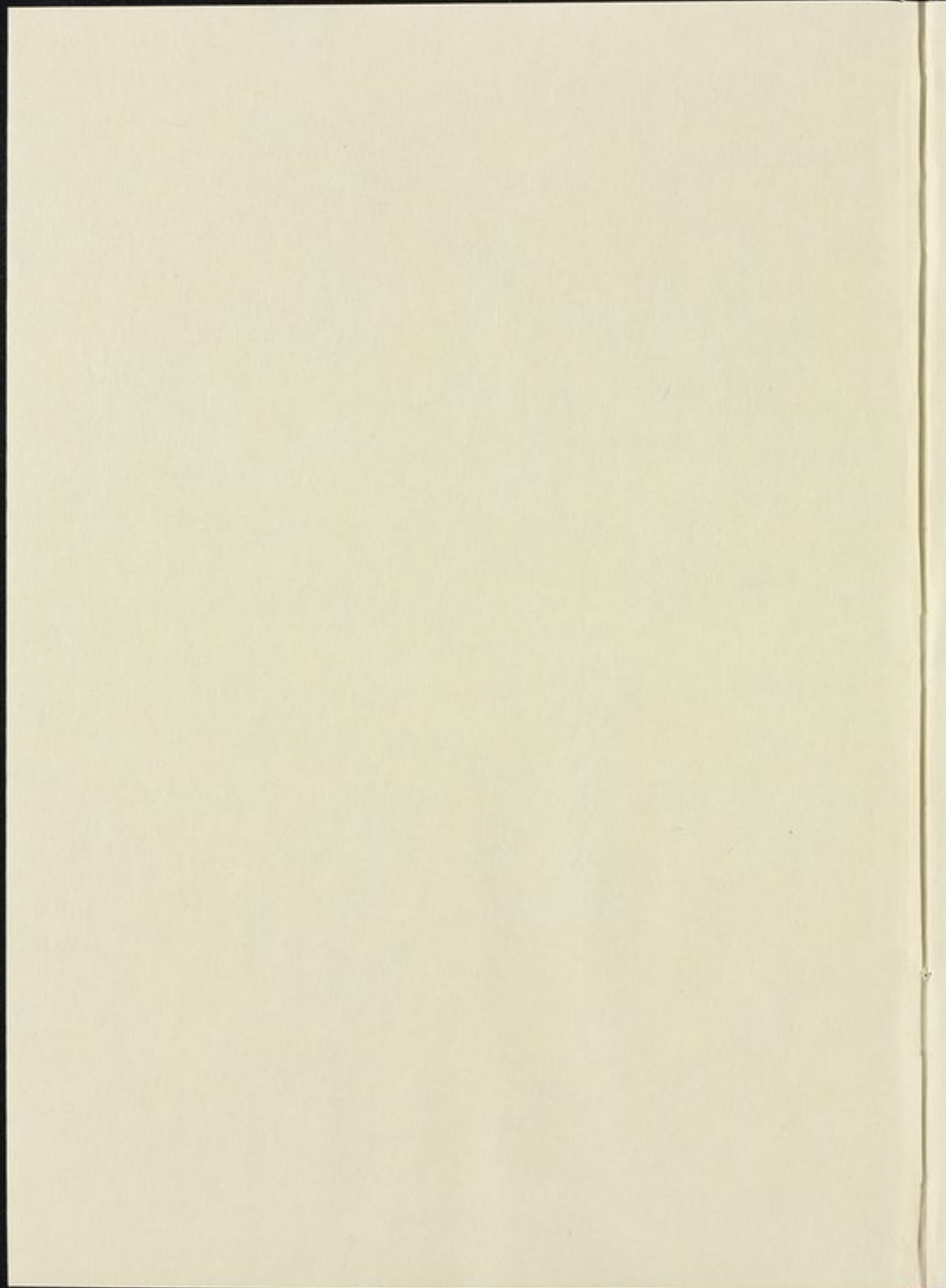
32101 079196265

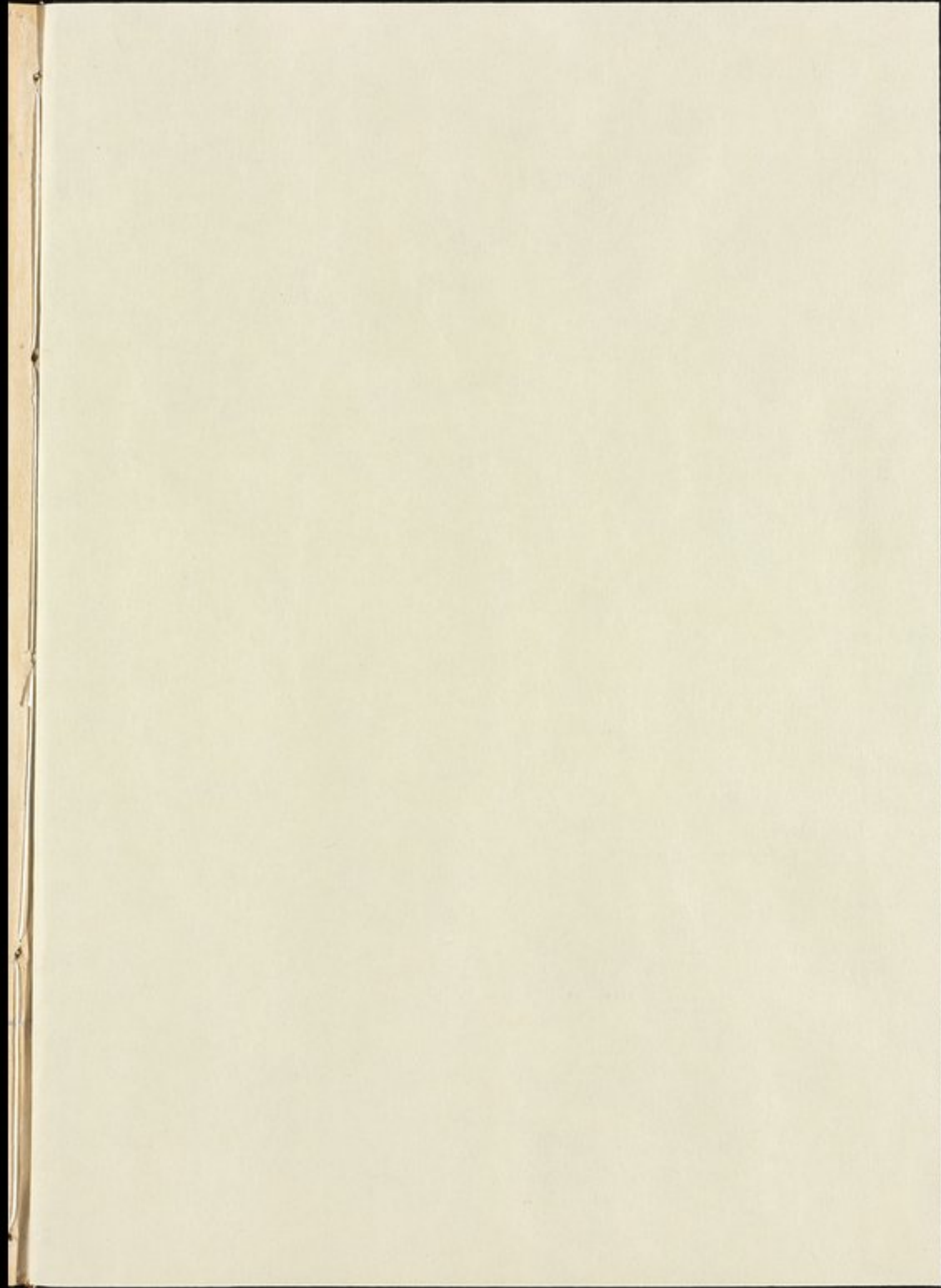
mf 10-10











الجواهر

في تفسير القرآن الكريم

الشمس على عجائب بيوع المكنون وغرائب الآيات

تأليف

الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهرى

للمدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا

مع الله المنعم بحياة آمين

الجزء السابع عشر

الطبعة الثانية

١٣٥٠ هـ - رقم ١٧١

حقوق الطبع محفوظة

طبع بطبعة

مصطفى الباني الحلبي وأولاده بمصر

باشرة محمد أمير عمران

(ARAB)

BP130

١٤١

١٣٨١

١٣٨١-١٣٨٢

« وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ »
قرآن كريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة فاطر

(هي مكية)

(آياتها ٤٥ - نزلت بعد الفرقان)

مقدمة في مبادئ السور

لقد اتصلت هذه السورة بالسورة التي قبلها فإنه جاء في آخرها « وجعل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياهم من قبل إهم كانوا في شك مرعب » فهؤلاء شاكون في أمر البعث وقلوبهم محجوبة ونفوسهم محسوسة ، وذلك لأن النفوس الضعيفة التي تنزل إلى هذا العالم ولم تستعد جد إلى فهم العالم اللطيف والملائكة والأرواح والبعث والحشر ، تكون كل آسها موجهة إلى عالم المادة فلا تنبى به بديلا .
جاء ابتداء هذه السورة مبشرا للطيبين بالملائكة الذين هم يبشرونهم عند اللوت ويوم القيامة ويعجبونهم ويلمحوونهم مدة الحياة بالخيرات لأجل استعدادهم .

ابتداء الله سورة العائفة بأن الحمد لله لتربيته لجميع الموالم وفي الأنعام بتفصيل العالم المادى الى ظلام وضياء ولطيف وكثيف وفي الكهف بالتصرف في العالم العقلى بالديانات وإنزال القرآن لتجعل للقلوب وجهة شريفة كما ازدانت المادة بالأنوار في سورة الأنعام وفي سورة سبأ بأن العالم المادى يتصرف فيه من حيث النتائج الحاصلة فيه إدخالا وإخراجا في الأرض وتبيننا للتنوع والتفنن في المادة بالأنعام والأزهار والنعم التي لانهاية لها ولا حد لأنصاها وتسخير الأولين لرفع الآخرين كزنا في الأرض ودفنا في الترى وبنينا في العصور القديمة ثم ظهورا في الأجيال المتأخرة . وهكذا عالم السماء فيه التصرف المناسب له . ثم أبانه أيمما تبيان في هذه السورة . فكذا كان الإدخال في الأرض والإخراج منها بعضه من فعل الإنسان الأول للإنسان الآخر في سبأ هكذا في سورة فاطر يكون صعود الملائكة إلى عالم السماء ونزولهم إلى عالم الأرض نفعا للعباد وتسخييرا لمنفعهم بالتدبير في النظام وتبليغ الوحي والإلهام . وكما يختلف الكائنون من نوع الإنسان والمؤلفون والمعلمون الأول في آرائهم وعقولهم وآثارهم يختلف الملائكة في درجاتهم ومقدار قوائهم ولا يعرف الناس ذلك إلا بمقياس وهو الطائر ذو الجناحين وذو الأربعة . فوق ذلك .

فتبين من ذلك أن الحمد في الفاعلة على مجمل وفي الأنعام لعصيب السكتيف واللطيف وفي الكهف لترتين
المعقول بالعلوم كما زينت المادة بالمجائب البهجة وفي سبأ بأبواب الجمال الأرض من نبات ونمر وبما خزن
الأولون للآخرين من مال وكال ، وفي سورة اللائكة بنهاية الهيات ، وزينة الأرض والسماوات وهو عالم
للائكة التي إليه تنبج الأنظار بل هو مرمى أهل الجنة ليتخلصوا من اللادة ويصلوا إلى مقام السكال فكان
العالم المجمل في الفاعلة فصل بعدها في الأمور اللادية وفي العقلة . وانتهى بأرقى العقلاء وهم اللائكة وليس بعد
ذلك من نهاية بلوغ الإنسان . ولذلك يقول تعالى في سورة ساء وله الحمد في الآخرة ، ومعلوم أن الحمد لا يكون
إلا على العم ولا تعرف التعم إلا بالعلم وقد ذكر العالم المادي والعنوي في الهامد المختلفة كأن الإنسان لا يصل إلى
العالم الأعلى عند سدرة المنتهى ويشاهد عالم اللائكة إلا بعد المرور على درجات هذه العوالم دراسة وتفكيراً
ثم ينتهي إلى عالم الجمال . انظر هذا الترتيب . انظر كيف أخر هذا المعنى إلى سورة اللائكة . انظر كيف
لم يذكره في سورة الفاعلة ولا في سورة الأنعام ولا في الكهف ولا في سبأ بل ألمع في سبأ إلى أن الحمد لله في الآخرة
وحده وأظهر للقعود في سورة فاطر ، وإذا شئت منبها آخر في هذا أخصر أقول لك : الحمد في فواتح السور
جاء لمقدمتين وخاتمة المقدمة الأولى : حمد على نعم ظاهرية في العالم للشاهد في الفاعلة والأنعام . المقدمة
الثانية حمد على نعمة العلم والحكمة في الكهف وعلى حسن الترتيب في انتقاله من الأولين إلى الآخرين ومن
العلماء للجهلاء فإن بعض ما يبلغ في هذه الأرض الإلهامات للعقلاء والوحي للأنبياء بهما يخرج أنواع الأعمال
الصالحات والنافع العامة التي بها زينة الدنيا فأما النتيجة فهي العوالم للفظوورون على الحكمة والعلم إذ هم
الدين بهم ينزل العلم والوحي في الأرض ويخرج للفوائد العامة وهم ينزلون من السماء بالعلوم نيلهمونها للناس
ويخرجون بأعمال الناس فالولوج في الأرض والخروج منها نتائج النزول من السماء والصعود فيها من حيث
التأثير ومقدمات من حيث المدرس والتفكير . فالعوالم السفلية تتبج العوالم العلوية من حيث النظام ولسكنها
لا يتوصل إليها إلا بعد المرور على العوالم السفلية طبقة فندرس العالم للشاهد كما في الفاعلة والأنعام ثم العالم
المعقول بالتفكير وترك آثارنا لمن بعدنا وحينئذ نستحق الرقي إلى عالم السماوات مع اللائكة .

هذا ما حضر لي في نظام هذه الآيات بالنسبة لما قبلها من الهامد في أوائل السور . فانظر مناسبتها لما
بعدها في هذه السورة . فانظر كيف يقول سبحانه «إليه يصد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» ثم انظر
كيف خص خشية الله بالعلماء الناظرين في السماوات والأرض والألوان والجيال ثم أوضح درجات العالمين ، فمنهم
للتوسط والسابق . ولا ريب أن السابقين هم القربون في جنات النعيم والقرب إنما يكون بالعلم والعمل
جعل الله الدين ورتوا الكتاب (ثلاثة أقسام) وجعل اللائكة ذى أجنحة مثنى وثلاث ورباع . فذكر
ثلاث درجات أيضاً وأعقب ذلك بأنه يزيد في الخلق ما يشاء وأنه إذا فتح للناس رحمة فليس بمسكها أحد
فلا لائكة درجات وللذين ورتوا الكتاب درجات والدرجات ليست واقفة عند حد فإن باب الزيادة مفتوح
لمن هو أهل من نوع الإنسان : إن ذكر اللائكة في أول السورة مقدمة لصعود الكلم الطيب ورفع العمل
وارتقاء درجات المؤمنين كما تابعت درجات اللائكة . إن علمنا الذي نعيش فيه عالم دراسة فليدرس الناس
في الدنيا وعلى قدر دراستهم يكون مقامهم بعد الموت ، أفلم ينظر الناس كيف كانت الأمم تعلم التلاميذ في المدارس
وإذا أتموا دروسهم وضعوهم في أعمال تناسب ما كانوا يدرسونه ؟ وما مثل الناظرين في العوالم اللادية والعنوية
للكورة في أوائل السور للبدوة بالحمد وفي الآيات الآتية في هذه السورة الهيبية للنظر في اختلاف الألوان
في الجبال والحيوان والإنسان إلا كمثل التلاميذ الذين يدرسون في المدارس السياسة ليعرفوا نظام الممالك
وسبلتها ثم يكونون من رجال السياسة ، هكذا هؤلاء الحكماء ، والفكررون إذا ماتوا كانت نفوسهم عاكمة على

ذلك الجمال وعجائب العالم كأنهم ملحقون بالملائكة ينظرون في التدبير العام الإلهي مفكرين في فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا الخ . انتهت المقدمة .

(تقسيم السورة)

فلأجعل الكلام على هذه السورة في (ثلاث مقامات : المقام الأول) في تفسير البسملة (المقام الثاني) في تفسير الألفاظ (المقام الثالث) في تفسير السورة مراعى فيه تقسيمها .

المقام الأول

(في تفسير البسملة وقوله تعالى « إن ربنا لغفور شكور » وقوله « والذى أوحينا إليك

من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه إن الله بعباده خير بصير »)

لقد يبدو للناظر أول وهلة أن هنا تباعدا فباين هذه الثلاثة ، وهي البسملة والآيتان بعدها وأنها ليست في مقام واحد وأنا أشرح المقام شرحا تاما فأبين أولا كيف يكون الله رحما وغفورا وشكورا وخيرا وبصيرا مع أن البعد يكون كذلك فهو رحيم رحمن ، وخير وبصير ، وغفور وشكور ، ثم كيف كان اشتراك الخالق والخلق في الاسم اشتراكا لفظيا اشتبه على الجهال من البتدعة في الأمم الإسلامية ، فضلوا باعتقادهم الألوهية في بعض أناس من الأئمة كما تقدم في هذا التفسير ، ثم كيف كان الإسلام هو المحصن للحقيقة وحده ومظهرها وحدانية الإله موافقا في ذلك حقائق الديانات القديمة مخالفا لظواهرها ، وكيف كان هذا الموضوع مما يجب إيضاحه لأنه ألبس على كثير من جهلاء السليين وبعض خاصهم .

لقد تقدم في أوائل سورة الروم ولقمان والسجدة عند تفسير البسملة تفسير موجز لبعض أسماء الله الحسنى وأن اشتراك الأسماء بين الخالق والخلق لم يكن إلا بالاسم . فإن صفات العبد لامناسبة بينها وبين صفات الله والأسماء دلالات على صفات فلا اشتراك لفظي لا غير وهذا واضح هناك وضوحا تاما ، ولكني أريد أن أبين هنا أمرا لا مناص لي من تبيانه لأن الأمم الإسلامية اليوم يتناقل فيها الناس أقاويل عن الصوفية ملتبسات مهوشات على العقول مثيرات للشكوك وكثير من الصالحين الجهلاء بوجهون وجوههم تلقاء أناس مشهورين فيمتد فيهم كأنهم غياث لهم وملجأ وكان الربوبية حلت فيهم وانتهت إليهم كما هو مشهور ومذكور فأقول : روى في الآثار المنقولة « تخلقوا بأخلاق الله . إن لله كذا وكذا خلقا من تخلق بواحد منها دخل الجنة » ويقول الشيخ أبو علي النارمدي إن شيخة أبا القاسم الكركاني قال : إن الأسماء التسعة والتسعين اسما تصير أوصافا للعبد وهو بعد في السلوك غير واصل . وقال بعضهم : أنا الحق . وقال أبو يزيد البسطامي إن صح ماروى عنه : سبحانى ما أعظم شأنى . ويشاع على السنة الناس أن الأستاذ الأكبر (محي الدين) يقول :
الرب عبد والعبد رب فليت شعري من اللعذب

وأمثال هذا كثير ينقل عنه . ولقد اعتقد كثير من الفرق الإسلامية في بعض الأئمة من آل البيت الألوهية وتقدم في هذا التفسير أن الصوفية : في آخر أمرهم مالوا إلى التشيع وتدخلوا مع الإمامية وهناك اعتقدوا اعتقادهم كما قدمته في هذا التفسير . فهذه مجامع اللصائب التي حلت بهذه الأمم الإسلامية وهي التي أضاعت العقائد وأوجبت التفريق . فأنا الآن أبين الحقائق تبيانا واضحا وأشرحها شرحا وافيا بمعونة الله عز وجل فهو الذى وقضى وهو الذى شرح صدرى وهو الذى هدانى لهذا وما كنت لأهتدى لولا أن هدانى الله فأقول : إن كل علم لا يبحث عن تاريخه فهو قليل الفائدة يحفظه الناس ولا يدركون سره ولا يسبرون غوره ، ومسألة الله وخلقته والرب والبعد قديمة العهد منذ الخليفة . فهل لك أيها الذكي أن أحدثك عنها حديثا جميلا يشرح صدرك لتعلم أن ما دخل على عقول السليين حديثا لم يكن رمية من غير رام ، بل إن السليين لما خالطوا

الأمم قرموا علومهم فنقلوا فلسفتهم وعقائدهم وهناك تدخلت بينهم وهم لا يشعرون . ألم أقدم لك في علمنا التفسير أن علوم الصابئين دخلت في أمم الإسلام حتى إن اليوناني أدخل دعوات الكواكب النسبة في دين الإسلام ووزع آيات القرآن على تلك الكواكب ، ألم أبين لك سابقاً أن بعض فرق الشيعة مثل ابن الصباح القائم في أواخر القرن الخامس عكفوا على حساب الجمل وحسبوا آيات القرآن به وأدخلوا حساب الأسماء في التعاليم والدعوات ولكن ابن الصباح أخذ له سيلاً آخر تصدق بإضاحه ومنع الناس من قراءة العلوم وشوقهم إلى الأخذ عن الإمام من آل البيت إلى آخر ما تقدم ، ألم أذكر لك أن الأوقات من مثلث ومربع وخمس إلى التسع كانت تكتب عند قدماء المصريين وبقية الصابئين للتقرب بها للكواكب فنقلها للسلون إلى دين الإسلام وطبقوها على الآيات ، وهامى ذه السكب تباع وتقرأ في أقطار الإسلام وثلاثة أرباع للتولين في ديار الإسلام ما كفون عليها مغرورون بها وهم لا يعلمون أن هذه أديان منسوخة جاهلة ودين الإسلام هو الذي نزل لإبطالها .

إذا عرفت هذا سهل عليك أن تفهم ما سأورده لك من علوم قديمة تناقلتها الأمم جيلاً بعد جيل وقرنا بعد قرن ، والأمم الإسلامية أدخلتها في الدين وأكثر الناس لا يعلمون ، فهذا كان هو السبب في الانتكاس على الرأس وسقوط كثير من الأمم الإسلامية في هذه الجهالة العمياء ، ومتى عرفت الحقائق في أمثال هذا التفسير فهناك يكون الارتقاء والسعادة العظمى لأمم الإسلام .

اعلم أنه لم يبق مجال للريب أن لكل دين قديم (وجهين : أحدهما) سرى والآخر ظاهري كدين البرهمية في الهند والهرمسية في مصر والوثنية في اليونان ، فظواهر كل هذه الديانات إشراك وتثليث وطقوس ورموز صعبة الحل وأصنام وهياكل فهذه الظواهر كلها قد جعلوها للعامة معتقدين أنهم لن يفصلوا إلا المحسوسات فأما الرؤساء فإنهم جميعاً كما دل عليه الكشف الحديث الذي كشفه علماء القرنيس والانكليز مجمعون في جميع هذه الديانات على أن الله واحد سرمدى ، يقول (مانو) الفيلسوف الهندي : (الله هو الكائن بنفسه الذي لا يمكن أن تصفيه الحواس المادية بل الروح فقط ، وهو النزه عن أجزاء منظورة أولى سرمدى روح الكائنات الذي لا يمكن العقل أن يدركه على ما هو عليه) .

وقال (كولوكا) الهندي وهو من أشهر مفسرى أسفار (الفيدا) والأكثر اعتباراً عند الشعب الهندي « إن الأقدمين مع تأليههم لقوى الطبيعة المتعددة لم يكونوا يعتقدون إلا إلهاً واحداً فقط هو مبدع وعلو الكائنات وهو أزلى غير هيولى حاضر في كل مكان سعيد (هذه الكلمة لانجوز في ديننا) مزه عن كل كدر وم وهو الحق بالذات وينبع كل عدل وحكمة المدبر الككل وللرتب نظام العالم . لا شكل له ولا صورة ولا حد ولا نسبة » .

وكان من عادة (البراهمانا) عند قبولة التليذ في الدرجة الثانية أن يقول له هكذا « تذكر يا بني أنه لا يوجد إلا إله واحد فقط رب الكون وعلو الكائنات والواجب على كل برهمي أن يجده في الباطن . واعلم أن هذا السر يجب كتمه عن العامة والجهلاء وإن كاشفت به أحداً يحل بك البلاء » .

ويقولون « إن الله وحده هو الموجود الحقيقي الثابت الحياة وهو الذي خلق اللادة وبث فيها الحياة » . ويسمون هذه الثلاثة الجوهر (الله) واللادة والحياة ومن هذا نشأ التثليث . فليس التثليث عند تلك الأمم أن الله ثلاثة بل معناه أن الموجودات كلها ثلاثة ، واحد هو الله واثنتان هما اللادة وحياتها ، فاللادة ظاهرة وحياتها لا تكون إلا بنفوس وعقول وهي التي تمبر عنها الشرائع باللائكة .

هذه هي علوم الأمم السابقة ، فجهالم كانوا يعتقدون التثليث وقد جاء علم الأرواح الحديث الذي استلثت

به أوروبا فأعاد أن توهم الجهلاء التثليث هو رأى مادي بشرى لا إلهي ، فالعلوم الروحانية اليوم منطبقة على
التعاليم السرية عند الأمم القديمة ومنطبقة تمام الانطباق على دين الإسلام .

وبالجملة فالأمم الهندية والأمم المصرية كان جهالهم يكتبون بقشور الألقاظ والأصنام والمياكل وحكازم
يمتقدون أن الله واحد وبحبونه حيا جما ويبحثون في أسرار الطبيعة ونظامها العجيب غراما برهم الواحد
الأحد ومنفعة لمبادءه باستخراج كنوز الطبيعة التي يعرف بعضها اليوم نساك الهند في الغابات .

هذا ملخص ما عرف في الكشف عن هاتين الأمتين ، فإذا سمعت أن الديانة البرهمية عندهم مؤسسة
على التثليث وأن (برهم) عندهم هو الأزلي الواحد الأحد للنزه عن المادة وأن (براهما) و (فيشنو) و (سيفا)
صفاته فهو الخالق الحافظ لخلق القلب لهم من حال إلى حال وأن هذه الثلاثة إله واحد ، فاعلم أن الكشف
الحديث أظهر أن هذا التثليث وإن رجع إلى الصفات فليس له وجود البتة في (سفر الرغيفيد) القديم ،
فهو اختراع اخترعه البراهمة ثم جعلوا لكل واحد من هؤلاء الثلاثة هيكلًا خاصًا وعبدوها ثم أكثروا
من الأصنام في بلاد الهند وما جاورها من الصين واليابان لأن عقول الناس إذا أدركت الحقائق لا تنقاد إلى
الرؤساء كما أن البهيسة إن لم تضع القطاء على عينها لا تنتفع بها في إدارة الطاحون ولا الساقية .

وإذا سمعت في كلام طيباوس الحكيم اليوناني كما تقدم في (سورة الشعراء) تحت عنوان (بهجة العلم
والطب) إنه يقول مانصه (إن هذا العالم هو إله محسوس على مثال الإله للعقول) وقد قلنا هناك إن هذه العبارة
في ديننا كفر وهو قصد بها أن العالم آثاره وهو يدل على حكمته وقدرته . انتهى بالمعنى .

فاعلم أن ذلك القول يقرب من أقوال البراهمة ، وقد قلت لك هنا إن الأمم الإسلامية سرت لهم ظواهر
العلوم والاعتقادات فطقوا بها تارة واعتقدوا الجهلاء تارة أخرى . فمن قال منهم (أنا الحق) ومن قال
(سبحاني الخ) فليس معناه أن الله هو نفسه عين عبده فإن هذه غير معقولة وليس عند أولياء المسلمين من
الأسرار ما ينافي العقل فليس من أسرار الولاية أن يقال باجتماع البقيضين ولا بالمحالات العقلية ، فهل يقول
الولي إن النبي والانبيا يجتمعان . أو يقول العدم والوجود يكونان معا . كلا . ثم كلا وإذا قال أبو يزيد
البسطامي : انسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها فنظرت فإذا أنا هو . فليس معناه أنه هو نفس
الله بل معناه أنه انسلخ من شهوات نفسه وهوها وهما فلم يبق فيه متسع لغير الله ولم يكن له سوى معرفة
الله تعالى . قال : فإذا لم يحل في القلب إلا جلال الله وجماله حتى صار مستغرقًا به يصير كأنه هو لا أنه هو
تحقيقًا . قال الامام الغزالي في كتاب (القصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى) مانصه :

و فرق بين قولنا كأنه هو وبين قولنا هو هو . لكن قد يمر بقولنا هو هو عن قولنا كأنه هو كما أن
الشاعر تارة يقول كأنى من أهوى وتارة يقول أنا من أهوى وهذه مزلة قدم فإن من ليس له قدم راسخة
في العقول ربما لم يميز أحدهما عن الآخر فينظر إلى كمال ذاته وقد تزين بما تلاه في من جلية الحق فيظن
أنه هو فيقول أنا الحق وهو ظالم غلط النصراني حيث رأوا ذلك في ذات عيسى فقالوا هو الإله بل غلط من
ينظر إلى مرآة قد انطبع صورة ملونة فيها فيظن أن تلك الصورة هي صورة المرآة وأن ذلك اللون لون المرآة
وهيات بل للمرآة في نفسها لالون لها وشأنها يقول صور الألوان على وجه يتخيل إلى الناظرين إلى ظاهر
الأمر أن ذلك هي صورة المرآة حتى أن السبي إذا رأى إنسانا في المرآة ظن أن الإنسان في المرآة فكذلك
القلب خال عن الصور في نفسه وعن الهيئات وإنما هيته قبول مفاتي الهيئات والصور والحقائق فما يحل يكون
كالمتحده لا أنه متحد به تحقيقًا ، ومن لا يعرف الزجاج والجر إذا رأى زجاجه فيها حمر لم يدرك تباينهما فتارة
يقول لا حمر وتارة يقول لازجاجة كما عبر عنه الشاعر حيث قال :

رق الزجاج ورافت الحمر فنشأها فنشأ كل الأمر
فكأنما حمر ولا قدح وكأنما قدح ولا حمر

وقال ماملخصه في خاتمة ذلك الكتاب : (وتحقيق الأمر في قول القائل إن معاني أسماء الله تعالى صارت أوصافا للمخلوق لا يخلو من أحد أمرين إما أن تكون نفس أوصاف الله من العلم والقدرة والرحمة والشكر صارت أوصافا للعبد وإما أن تكون أمثالها هي التي صارت أوصافا للعبد لا أعينها ، فإذا قلنا بالأول أي أن صفات الله نفسها صارت للعبد ، فهذا لا يكون إلا بالانتقال أي انتقال نفس صفات الله من الله للعبد فيتكون هذا العبد خالقا للسموات والأرضين وهو أزلي أبدي عليم بكل شيء مرسل الأنبياء النج وإما أن يكون بغير الانتقال وهذا يكون بأحد أمرين إما بالاتحاد أي اتحاد ذات الله للعبد حتى يكون هو هو فنسكون صفاته صفاته وإما بطريق الحلول . فهذه الأقسام الثلاثة تفصيل للقسم الأول وهو أن تكون نفس أوصاف الله هي نفس أوصاف العبد . فأما القسم الثاني وهي أن تكون أوصاف العبد مماثلة لأوصاف الرب ، فذلك للمثالة إما مماثلة مطلقة من كل وجه بحيث يكون هذا العبد قادرا على كل شيء مثل الله تعالى ، وإما أن تكون للمثالة عبارة عن الاشتراك من حيث الاسم في عموم الصفات دون خواص المعاني ، فهذان قسبان آخران فنكون الوجوه خمسة والصحيح منها واحد فقط والباقية باطلة وهو أن يثبت للعبد من هذه الصفات أمور تناسبها على الجملة وتشاركها في الاسم ولكن لا تماثلها مماثلة تامة فيقبت الأربعة الباطلة .

(١) فإذا قلنا إن صفة العبد تماثل صفة الرب مماثلة تامة بأن يكون محيطا بجميع المعلومات خالقا لجميع المخلوقات لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم كما أن الله عزير حكيم فإذا كان يكون العبد خالق نفسه لأنه من جملة ما في السموات والأرض ، ثم إذا ثبتت هذه الصفات لعبدتين فإن كلا منهما يكون قد خالق صاحبه فكل منهما خالق من خلقه وكل ذلك خرافات وجهالات وزهات .

(٢) وإذا قلنا إن الصفات العالية انتقلت من الله للعبد فذلك محال عقلا لأن انتقال الصفات على وجه العموم مستحيل وهل تفارق الصفة موصوفها كأن ينتقل بياض زيد إلى عمرو وعلم خالد إلى إبراهيم ؟ وهل تقوم الصفة إلا بموصوفها ولو أن صفات الربوية انتقلت من الرب إلى العبد لصار الرب إذذاك ليس ربا لأن صفات الربوية قد فارقت ، فإذا هورب وليس رب في آن واحد وهو محال .

(٣) وإذا قلنا إن العبد اتحد مع الرب فمعناه أن العبد هو نفس الرب بل إن قولك إن زيدا صار هو نفس عمرو محال واتحاد شيء بشيء محال لأنهما إما موجودان أو معدومان أو أحدهما موجود والآخر معدوم أو بالعكس ولا خامس لهذه الأقسام فإذا كانا موجودين فمستحيل أن يكون أحدهما عين الآخر بل كل منهما منهما موجود وقد يتحد مكان الوجودين وهل اتحاد مكان إثنين يوجب اتحاد القاتنين . كلا . بل كل منهما موجود فإن العلم والإرادة والقدرة قد تجتمع في ذات واحدة ولا يتباين محالها ولا تكون القدرة هي العلم ولا الإرادة ولا يكون قد اتحد أحدهما بالآخر وتكون التفاحة ناعمة ذات رائحة جميلة وهي حمراء .

فهنها صفات ثلاث اختلفت وإن اتحد محالها ، فاتحاد المحل لا يوجب اتحاد ما يحل فيه فإذا كان الأمور للوجوده يستحيل أن يكون أحد هو عين الآخر وإن كان أحدهما موجودا والآخر معدوما فلا اتحاد لموجود بمعدوم والاتحاد بين شيئين مطلقا محال فهل يصير هذا البياض أو السواد ذلك البياض أو السواد مثلا كما يستحيل أن يقال ذلك السواد هو ذلك البياض فالشيئان من نوع واحد لا يتحدان كما لا يتحد الشيئان من نوعين مختلفين (٤) وأما الحلول وهو الرابع من الأقسام الأربعة الباطلة فهو أن يقال الرب حل في العبد أو العبد حل في الرب تعالى الله عما يقول الجاهلون علوا كبيرا ، ولوصح هذا لم يوجب الاتحاد ولا أن يتصف العبد بصفات

الرب فإن صفات الحال لا تصير صفات المثل بل تبقى صفة الحال كما كان .

واعلم أنه لا معنى للحلول إلا بأحد أمرين : إما النسبة بين الأجسام وأمكنتها كالنسبة بين زيد ومكانه الجالس هو فيه وذلك لا يكون إلا بين جسمين ومن لا جسم له لا يكون له حلول بهذا المعنى ، وأما بالنسبة بين المرض والجوهر فالعرض لا قوام له إلا بالجوهر كالبياض والسواد بالنسبة للموصوف فيعبر عنه بأنه حال فيه ولا جرم أن الله لا قوام له إلا بنفسه ، ولا جرم أن كل ما قوامه بنفسه لا يمكن أن يحل فيما قوامه بنفسه حلول المرض في الجوهر ، فإذا كانت العبدان لا يحل أحدهما في الآخر فكيف يعقل الحلول بين العبد والرب تعالى ، إذن بطل الحلول . وانتقال الصفات والاتحاد والاتصاف بأمثال صفات الله على التحقيق ولم يبق إلا المشاركة في الاسم فقط فأنه رحيم وشكور الخ على الحقيقة والعبد كذلك ولكن على معنى الاشتراك في الاسم ثم إن معنى قولهم (إن العبد مع الإتيان بجميع ذلك سالك لا واصل) فيبانه أن السلوك تهذيب الأخلاق والأعمال والمعارف والوصول هو أن ينكشف له جلية الحق ويكون مستغرقا به وينسلخ من نفسه بالكلية ويتجرد له فيكون كأنه هو ، والولاية يستحيل أن تخالف طور العقل . وإذا كوشف الولي بأن فلانا يموت غدا فهذا من الممكنات . ولكن إذا كوشف بأن الله يخلق المستحيل فذلك غير ممكن . ومن المستحيل أن أن يكشف بأنه هو صار نفس الله وصفاته كصفاته من كل وجه انتهى ما أردته من الكتاب المذكور للإمام الغزالي رحمه الله تعالى مع حذف وإيضاح تارة واختصار أخرى .

واعلم أيديك الله أي أطلت الكلام في هذا المقام لأنني أعلم أن الأمة الإسلامية قد دخلت فيها آراء غريبة فلكم سمعت من أناس يقولون إن شيوخنا هم نفس الإله واذكر منهم رجلا كان معي ببلدة الجيزة يسمى عبد الشافي وله أستاذ كان موظفا بمحافظه مصر . فهذا كان يقول إن الله هو نفس أستاذي فأما نفس الله فلا يعقل أن يكون موجودا إلا على هذه الشريطة . وهكذا نسمع من وقت لآخر أن صوفيا يقول : (إن شيخى يتصرف في أحوال الناس بل هو الله) ونسمع أمم النصراني يقولون : (إن عيسى هو الله أو ابن الله والأمم المصريون والبوذيون الذين ذكرتهم آنفا كانوا هم أول ناشرين لهذه الآراء عند عامتهم وهي مضطربة فأنحطت مداركهم ثم تحولت محورة إلى بلاد الإسلام فاستبدل الجهال من المسلمين جهلاء الشيوخ بالأصنام واستنوا بالصالحين من بني آدم عن الكواكب وأصنامها وعن الملائكة وكل هذه لا تترع من الصدور إلا بالعلم والحكمة وأمثال ماسطرناه في هذا المقام .

هذا واعلم أيها القارئ أيديك الله أن الله عز وجل رتب العالم العقلي كما رتب العالم الحسي وجعل الحسي كأنه نموذج للعقلي (باسبجان الله وبإسعدانه . اللهم إني أحمدك على العلم وعلى الحكمة وعلى التوفيق وأعلن للعلم موقنا أن من اتجه إليك وهو محلمس فإنك تعلمه والعلم هو غاية السعادة في الدارين) هأنحن أولاء نرى الإنسان وأنواع الحيوان درجات بعضها فوق بعض أفليس الطير والدين يركبون الطيارات قد تمتعوا بالهواء الجميل عند طيرانهم ؟ أفليس في الأرض حشرات دنيئات لا تعيش إلا في التراب ؟ وهكذا أمثال الحيات والعقارب والفيران فهذه مسجونات حقيرات ولكنها من صنعك كل هؤلاء وهؤلاء يمدحهم الله بالعطاء والنعمة ولكن فرق ما بين درجة الإنسان والطير في الجو وبين درجة الفيران والضراصر في خفيات الأرض . هذا من جهة الأحوال الجسمية . أما من جهة الأحوال العقلية فإننا إذا وازنا بين الإنسان والبهائم نجد فرقا شاسعا فله عقل ولها شيء موه غريزة . فكما رأينا البون شاسعا بين مراتب الحيوان فهكذا كان البون شاسعا بين معتقدات طوائف الناس . فمنهم من يرى إلهه حجرا ومدرا ، ومنهم من يرتقى فيراه شمسا وكوكبا . ومنهم من يراه فوق المادة ومنهم من لا يرى لها وإنما يرى نفسه فقط وهو اللحد (والعباد بالله) فكما تبين الحيوان

في أحواله الجسمية والفكرية يختلف الإنسان وتبين في معتقداته واليون هناك كالليون هنا شاسع في الحالين .
نوع الله الحيوان ونوع العقائد وهكذا نراه نوع أنواع النبات ولكل فائدة كالدهان والنفثاء وكالفاكهة
وكالسم ، إن أرضنا والله معرض للصور أو هي صور متحركة (السينا توغرافيا) عالم يشرح صدر الحكيم إذ
براه أمامه صور متحركة والجاهل جامد القرعجة ، وبينما الحكيم الفكر يفرح بسعة الحكمة في نظام المادة
إذ يرى من جهة أخرى أنه عالم متأخر فكان أرضنا جعلت محل تربية لأرواح ضعيفة تباينت أقدارها الناقصة
وأحوالها الطبيعية واستعداداتها فخرت في هذه الأرض وريت على مقتضى درجاتها وتبعث على هذه
الدرجات وأمرهم والله عجب ، قوم زاعم يسجدون للصم فعقولهم لم تعرف صفات الله ولكنهم في الوقت
نفسه عرفوا نظام الدنيا وآخرون أتبع لهم تزييه الإله ولكنهم لا يزالون ضيعي الإدراك في صنعه وإبداعه
فهذه الأمم جماء أبناء التقاليد صرعى الأوهام والأوهام التي هي سبب ضعفهم قد جاء أوان لخدلتها بنشر
العلوم العقلية في الأمم كلها في العالم العقلي . فكما أتبع الأطباء في العالم كله اليوم أن يقتلوا المخلوقات الذرية
القائلات للإنسان والحيوان والأرض قد كثر فيها التطهير بالمواد تقتل الكروبات فعاث وتمتلك الحيوان
والإنسان فهكذا ترى الآراء العقلية تنشر والحرافات تضمحل بنسب مطردات في عوالمنا الأرضية . وكما أن
الحشرات واللكروبات لم يبدعها نوع الإنسان وإن سطا عليها بالمقابر وقللها هكذا أخاليل الإنسان وإن سطا
عليها العلم فقللها لا تزال باقية في الأرض ، فإذا رأينا بعض علماء الأمريكان والإنجليز وغيرهم يرون الإسلام
دينا صحيحا وأكثر المستشرقين كذلك ويدخلون فيه ويعلنون وينشرون مبادئهم وأكثر أبناء الإنجليز
يودون لو يسلمون ولكن يخافون من ذوبهم كما أخبرنا بذلك (اللورد هيدلي) فإن أكثر القوم غافلون
وهكذا إذا رأينا أمم الإسلام أولئك الذين صفت عقائدهم ونسوا الأصنام وللعبودات الباطلة فإنه لا يزال كثير
منهم لا يعلم أن النظر في مصنوعات الله من الفلك والطبيعة والحيوان والنبات مقربات لله موجبة لحبه والفرح
بعماله والهيام بلقائه وإن عرف كثير منهم ذلك . فهذا النوع الإنساني هذه شذنته ، ملكة التقليد ولكنه
كالدينا التي عاش فيها فهم كالثوب الخلق كطارق يوما فانحرق . حظ الحكيم من هذه المناظر أن يفرح بحمال
الحكمة ونظام الدنيا ويرى أن الله حكيم في صنعه إذ جمع في أرضنا بين أرقى عالم وهي النفوس الشرقات
الفرحات بنظام ربها للتعطشة للقائه الباحثات عن رحمته وبين النفوس النائمة اللاتي كأنها حجرية لاني
ما راذ بها ؛ فالحكيم في الأرض في جنة وهو الشاهد وأهل الأرض مشهودون وهو السعيد بما يشاهد وهو
من أصحاب الأعراف الذين يعرفون كلا بسامه فإذا رأى عقلا قاصرا ألحقه بحيوان دنيء . وإذا وجد عقلا
كبيرا ألحقه بالملك وهناك يدرك أن هذه الدنيا هي جنته وأنها ما هي إلا معرض ومجئلي أو سوق الصور العقلية
والجسمية يلبس كل مخلوق صورته التي عشقها أو هي معمل تصنع فيه أدوات مختلفات تقوم بالطرق نارة والصقل
أخرى وهذا رمز له سورة الضحى ، فالينم والضلال والفقر رمز للرزايا والنكبات في هذا العالم الأرضي
وهذه الرزايا جعلت مقومات لامعذبات لأن الرحيم الحكيم يضع الأمور مواضعها فيجعل المصائب مقومات
كما تقوم الآلات بطرقها فإذا قومت فقدحان صقلها وهذا هو الرموز له بالابواب والهداية والغنى وشرح الصدر
ووضع الوزر ورفع الذكر ، فالمصائب ثلاثة والنعم ضعفها وهذه النعم للإنسان العام مقابلات للصقل في الآلات .
إن الدنيا دار كبيرة فيها ولجة عظيمة قد أعدها ملك لرعيته ورتبهم درجات في إعداد الطعام ورتبهم
ونظمهم فهم يأكلون وكل بأصحابه مقرون و« كل حزب بما لديهم فرحون » وبعد انقضاء هذه الوجبة يرجع
كل منهم إلى داره التي خرج منها . وهذا هو تفسير « بسم الله الرحمن الرحيم » فرحمته شاملة تعطى كلا
ما يليق له . انتهى الكلام على (المقام الأول) في تفسير البسملة والحمد لله رب العالمين . كتب صباح يوم
الأحد (١٦) فبراير سنة ١٩٣٠ م .

المقام الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَتَنِي
 وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ
 مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
 وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ
 وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا
 يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ * إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ
 لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّمِيرِ * الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ * أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ لَمْ يَحْمِلْ
 مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ *
 وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ
 مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ * مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ
 الطَّيِّبُ وَالصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
 وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ
 أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ
 عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا
 عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَعَمْرَ طَرِيًّا
 وَاسْتَخْرَجُونَ حَبْلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاقِرَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ * يُوَجِّعُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوجِّعُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ
مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا
لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّتُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ
أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ *
وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ * وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِهَا لَا يَحْمِلُ
مِنْهُ شَيْئًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ *
وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ
إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ * إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ إِنَّا
أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا * وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ * وَإِنْ يَكْذِبُوكَ
فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ *
ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ
سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ
إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ * إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا
وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوفِيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ
شَكُورٌ * وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ
بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ * ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ
وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * جَنَّاتٌ عَدْنٍ
يَدْخُلُونَهَا يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَقَالُوا
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ

مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُتُوبٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ
 لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ * وَهُمْ
 يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ
 مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَجَاءَكُمْ التَّذْوِيرُ فذوقوا فما لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ * إِنَّ اللَّهَ
 عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلَائِفَ
 فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا
 وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا * قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ أُرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا
 فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَمِدُّ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا
 غَفُورًا * وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِهْدَىٰ
 الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السُّيِّئِ وَلَا
 يَحِيقُ الْمَكْرُ السُّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ، فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ
 تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ
 عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَجْزِيَءَ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ
 وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا * وَلَوْ يَؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ
 ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ
 بِعِبَادِهِ بَصِيرًا .

(التفسير اللفظي)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله فاطر السموات والأرض) خالقهما ومبتدعهما على غير مثال سبق (جاعل لللائكة رسلا)
 إلى الأنبياء (أولى أجنحة) ذوى أجنحة . وليس معنى الأجنحة في العالم المادى إلا ما يقدر به على الطيران .
 فأما في عالم الأرواح فهو ما عتاز به لللائكة من القوى والقدرة الروحانية التي لانسبة بينها وبين القوى المادية
 (متى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء) يزيد في خلق الأجنحة ما يشاء كما يزيد في أرجل الحيوان ما يشاء

حقى بثلث فوق العشرين . هكذا في عقول الآدميين ورفيقهم النفس . ويروي «أنه عليه الصلاة والسلام رأى
 جبريل في صورته له سمانته جناح» (إن الله على كل شيء قدير) فيزيد كل ما هو أهل للزيادة مادية أو معنوية
 كعقول الآدميين (ما ينفع الله للناس) ما يطلق لهم (من رحمة) مطر ورزق وعافية (فلا تمسك لها وما منعك)
 وما منع (فلا مرسل له من بعده) من بعد إمساكه (وهو العزيز الحكيم) فيما أرسل (يا أيها الناس اذكروا
 نعمة الله عليكم) احفظوها واعرفوا حقها (هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو
 فأتى تؤفكون) فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك ! (وإن يكذبوك) فتأس واصبر (فقد
 كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور) فيجازيك وإياهم (يا أيها الناس إن وعد الله) بالخير
 والجزاء (حق) لا خلف فيه (فلا تنرنكم الحياة الدنيا) فيذهلكم نعيمها (ولا يغرنكم بالله الغرور) الشيطان
 (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) في قائلكم وأفعالكم وقوله (أئمن زين له سوء عمله فرآه حسنا
 أي أئمن زين له سوء عمله بأن غاب هواه على عقله حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقا والقيبح حسنا)
 كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحقائق فاستحسنه واستقباحه على مقتضى الحق وذلك قدر مقدور (فإن
 الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) على مقتضى الاستعداد (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) أي فلا
 تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيرهم . وقوله (فتب سحابا) على حكاية استحضار تلك الصورة العجيبة
 الدالة على كمال الحكمة (فسقناه إلى بلد ميت) أي نسوقه (كذلك النشور) أي مثل إحياء الموات نشور
 الأموات (من كان يريد العزة فله العزة جميعا) أي من كان يريد العزة فليتعزز بطاعته بخلاف الكفار
 عباد الأصنام (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) أي أن الله يقبل الكلم الطيب وهو التوحيد
 والذكر والدعاء وقراءة القرآن . ومن الذكر « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » وكذلك
 يرفع الله العمل الصالح ، فإذا صعد الكلم الطيب بنفسه إلى الله فالعمل الصالح يرفعه الله والبراد بصلاحه الإخلاص
 فيه فما لا إخلاص فيه لا يقبل وذلك كأداء الفرائض . واعلم أن هذا المعنى به يعرف المسلمون أن العلوم
 والعارف والتحقق من نظام هذه العوالم لا يخرج عن كونها من الكلم الطيب . إن هذه المعارف من حيث
 نظمها وترقيتها للفكر الإنساني من جملة الكلم الطيب بل قولنا « لا إله إلا الله » وما عطف عليه لاسيلا إلى
 صعودها إلى الله إلا إذا صعدت النفس في المعارف . فالتسبيح والتحميد والتوحيد درجات للسالكين في العلم ،
 فالتسبيح درجة والتوحيد أعلى والتحميد أعلى وذلك العلو ليس يكون إلا بالعلوم . فإذا رأيت في بعض
 الأحاديث أن سبحان الله ثوابها عشر درجات ولا إله إلا الله عشرون درجة والحمد لله ثلاثون درجة فليس
 ذلك لمجرد نطق اللسان بل العلم والعرفة فإذا أيقن بذات مبرأة من المادة فهو أول الإيمان . ثم إذا عرف أن
 العالم كجسم واحد يديره مدير واحد كان ذلك أرقى . ثم إذا عرف أن جميع من في هذا الوجود منه وإليه
 وأصبح ذلك ملكة راسخة في النفس بتكرار البرهان والنظر . فهناك تكون الدنيا والآخرة عند الإنسان
 نظاما جميلا ويعرف مالا يعرفه كثير من العلماء والعامه وإذا ذلك يتمتع بالسعادة العلمية ، متى خلص من الدنيا
 كان ذلك أوفر سعادة له هذا هو المقصود من التسبيح والذكر . وهذا معنى صعود الكلم الطيب لله فالصعود
 هنا ان يكون إلا بصعود النفوس من الجهالة إلى العلم ومن العمى إلى الهدى .

بهذا فلنفهم كلام الله سبحانه وتعالى ، فأما الذكر المجرى من العلم فذلك درجة العباد والصالحين وهؤلاء
 أواخر المراتب في دين الإسلام . ألم تر إلى قوله تعالى « أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين
 والشهداء والصالحين » فهؤلاء الذين ذكرتهم لك الآن هم الصديقون ، فأما الصالحون فهؤلاء يسكون كل
 مقصودهم وهمهم العمل بهذا تفهم السر في قوله تعالى أن الكلم الطيب يصعد بنفسه والعمل يرفعه الله

إشارة إلى أن الكلام الطيب أفضل من العمل الصالح . وبعبارة أخرى العلم والحكمة أفضل من الأعمال والحمد لله على التوفيق .

ثم قال تعالى (والذين يمكرون السيئات) أي المكرات السيئات كقربش في دار الندوة إذ تشاوروا في أمر النبي صلى الله عليه وسلم من حيث الحبس والقتل والإجلاء (لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور) يفسد ولا ينفذ لأن الله مقدر الأمور والله سبحانه يحفظ المصلحين من الأنبياء وتابعيهم (والله خلقكم من تراب) إذ خلق آدم منه ، وأيضا الأغذية التي تتحول إلى الأجسام كلها من التراب والأغذية تصير دما ومن الدم النطفة ولذلك قال (ثم من نطفة) نطفة الآباء (ثم جعلكم أزواجا) ذكرانا وإناثا بقدر معلوم بحيث يكاد القريشان يستويان عددا فلو لم يكن كذلك لفتى نوع الإنسان وهكذا كل حيوان ، لحفظ النوع لا يتم إلا بتلك المساواة ولا تكون المساواة إلا بتدبير وعلم وهذا معنى قوله (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) أي إلا معلومة له ولولم يكن كذلك وكانت للصادقة العمياء هي القائمة في هذه العوالم لم يترتب العدد في الزوجين ولم يحفظ التوازن في الإنسان والحيوان وهؤلاء الذكور والإناث يعيشون على الأرض أياما محدودة ، ولو أن الأعمار طالت مئات السنين وتناست الدرية وكثرت لكان على القدم ألف قدم ولكانت الحياة الدنيا نارا وجحها إذ يكثر الناس وتقل الحيرات فلذلك تفاوتت الأعمال في جميع الأعصار وكانت بمقدار بحيث لا تطول فوق ما تقتضيه الحكمة فاعتدل النظام بالمرض والموت والوباء والحرب . هذا هو نظام الأرض العجيب وهو قوله تعالى (وما يعمر من معمر) أي ولا يمد في عمر من مصيره إلى الكبر (ولا ينقص من عمره) من عمر العمر أي لا يجعل ناقصا (إلا في كتاب) وهو اللوح المحفوظ . ذلك لحفظ الموازين في الأرض حتى ينتظم العمران فلو لم يكن ذلك بمقادير لا تخلط الحابل بالنابل وساء مصير العمران إذ يكثر الناس وتزدحم الأرض ويشتد الكرب وليس ذلك عسيرا على الله (إن ذلك على الله يسير) هين بغير كتابة (وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج) الفرات الذي يكثر العطش والسائغ الذي يسهل انحدره والأجاج الذي يحرق بملوحته ، وفي قراءة « سيخ » بالتشديد والتخفيف ، ذلك ضرب مثل للمؤمن والكافر (ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها) هذا استطراد لصفة البحرين ، يقول الله تعالى هما وإن خرج من كل منهما السمك واستخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح فليسا متساويين فيما هو المقصود الأصلي فأحدهما قد دخل فيه ما أفسده وهو الملح فقبره عن المقصود منه وهو سقى الأنعام والنبات فإذا الكافر كاللحم والمؤمن كالعذب بل البحر الملح أفضل من الكافر إذ يستخرج منه الدر والمرجان والكافر لا فضل له . واعلم أن هذا القول منطبق على ما شاهد في الناس ، فهم شركاء في المعروف الظاهر ولكن العقول متفاوتة تفاوتا كثيرا حتى إن التليذين من مدرسة واحدة وأب وأم مختلفان أخلاقا اختلافا كثيرا وقد يكون أحدهما أغزر علما والآخر بليد الطبع وهذا مؤمن وهذا كافر (وترى الفلك فيه مواخر) أي تشق الماء بجرها لتبتغوا من فضله أي من فضل الله بالنقلة فيها والتجارة والمجورور متعلق بمواخر (ولعلكم تشكرون) الله على ما آتاكم من فضله . ولما كان بين الفلك في البحر والشمس والقمر في مدارها مناسبة باعتبار أن كلا منهما من جميع الكواكب ساجحات في تلك الدارات ، ساجحات في تلك العوالم الشاسعات ، أردفه بذكر الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر إذ قال (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) أي يدخل الليل في النهار فيكون النهار أطول من الليل ساعة فأكثر إلى عشر إلى غير ذلك ، ويدخل النهار في الليل فيكون الليل أطول من النهار كما تقدم انظر هنا في (سورة البقرة) وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى (لمنتهى دوره أو منتهاه أو يوم القيامة) ذلكم الله ربكم له الملك (أي القائل لذلك الله الخ) والذين

تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) وهي لعامة النواة وهي القشرة الرقيقة التي تكون على النواة (إن تدعوم) أي الأضنام (لا يسمعوا دعاءكم) لأنهم مجاد (ولو سمعوا) فرضا (ما استجابوا لكم) أي ما أجابوكم أو ما فعموكم (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) بإشراككم (ولا يذنبك مثل خبير) ولا يخبرك بالأمر مخبر مثل خبير به أخبرك وهو الله تعالى (بأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله) وإنما عبر بالفقراء لبيان كثرة حاجات الناس فإنه كلما كان المخلوق أعلى مرتبة وأدق تركيباً وأحسن صنعا كان أكثر حاجة فالحاجة على مقدار الرفعة في هذا العالم، ولذلك ترى الحيوان أقل حاجة من الإنسان والنبات أقل منهما فالفقر في الإنسان أبين لأن الإنسان مدنى بالطبع، وإذا كان الإنسان أكثر المخلوقات حاجة فهو في أشق حياة ويقابله الله عز وجل الذي هو التنى على الإطلاق (وهو التنى الحميد) فهو المستغنى على الإطلاق المنعم على سائر الموجودات فله عليهم استحقاق الحمد (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) يقوم آخرين أطوع منكم أو بعالم آخر غيره ما تعرفونه، ذلك أن الله حميد والحمد على النعم ولا معنى للحمد إلا على معرفتها وعلوها والأمر التي لا علم عندها لا تعرف نعم الله فلا حمد لها والناس خلقوا ليتلقوا النعمة من مبدعها فإذا جهلوا النعمة أذهبهم وأنى بخلق جديد. إما لاحتلال البلاد واستعمارها كما رآه في أمريكا وأستراليا إذا استؤصل السكان الذين هم أهل البلاد إلا قليلاً حتى إن رجال الحكومة الإنجليزية في الحرب العامة أرادوا أن يجندوا بمن بقي من أهل البلاد في أستراليا فقبل في مجلس الأعيان. كلا لا يجندوا منهم بل يجب أن يبقى هذا العنصر للأجيال المقبلة في التاريخ هكذا لما بطر المسلمون في القرن السادس وجهلوا نعم الله ولم يعطوا النعمة حقها أزال ملكهم وسلط عليهم النار والمغول فقتلهم وأزالوا ملكهم. اقرأه في (سورة الكهف) عند ذكر يأجوج ومأجوج وهكذا الدول قديماً وحديثاً وهكذا أرضنا هذه متى جاء أجلها مزقت كل ممزق وخلق غيرها في أجيال لا ندرها فأما سكانها فهم في جنة أو في نار (وما ذلك على الله بعزيز) بمنعذر أو متعسر (ولأنزر وازرة وزر أخرى) لا تحمل نفس آتمة إن نفس أخرى ما لم تكن أصلها فإنها تحمل وزرها ووزر من ضلوا بها ولكن هذا وزرها هي بالإضلال فأما وزر النفس الضالة فلا يحمل عنها (وإن تدع) نفس (مثقلة) أثقلها الأوزار نفساً أخرى (إلى حماتها) ثقلاً أي ذنوبها التي أثقلتها لتحمل عنها بعض ذلك كما قد يفعل في الدنيا (لا يحمل منه شيء) لأن نكلى امرئ مشغول بأمر نفسه (ولو كان) للدعو (ذا قرنى) ذا قرابة قريبة كآب أو ولد أو أخ (إنما تنذر) أي ينفع إنذارك يا محمد (الذين خشون ربهم بالغيب) أي حال كونهم غائبين عن عذابه أو عن الناس في خلواتهم (وأقاموا الصلاة) لأنهم هم المنتفعون بذلك الإنذار (ومن تركي) ومن تظهر من دنس المعاصي (فإنما يتركى لنفسه) إذ نفعه لها (وللى الله الصبر) فيجازهم (وما يستوى الأعمى والبصير. لا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات) أي وما يستوى الصنم والله ولا الباطل والحق ولا الثواب والعقاب ولا المؤمن والكافر أو العلماء والجهلاء وهو أعم. والحرور الحر وقد غلب على السعوم وزيادة لا في نفي الاستواء لمزيد التأكيد في المواضع الثلاثة (إن الله يسمع من يشاء) هدايته فيوقفه له هداية (وما أنت بمسمع من في القبور) ترشيحاً لتمثيل الصيرين على الكفر بالأموات (إن أنت إلا نذير) ثأ عليك إلا الإنذار، أما الإسماع بالهداية فلا حيلة لك فيه عند من طبع على قلوبهم (إنا أرسلناك بالحق) نبي إرسالاً مصحوباً بالحق (بشيراً) بالوعد بالحق (ونذيراً) بالوعيد بالحق (وإن من أمة) أهل عصر (إلا خلا فيها نذير) من نبي أو عالم ينذر عنه أي إلا خلا فيها نذير وبشير فلذلك جيل أناس يبشرون ويخوفون لتنظيم شئون الناس (وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم (وبآيات) أي الصحف كصحف إبراهيم عليه السلام (وبالكتاب النير) كالنوراة والإنجيل (ثم أخذت الذين كفروا

فكيف كان تكبير) أى إنكارى عليهم بالعقوبة أى انظر يا محمد كيف كان تمييزى عليهم بالعذاب حيث لم يؤمنوا (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) أى للطر (فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها) أجناسها من الرمان والتفاح وما أشبهها ، ومعلوم أن أصنافها كثيرة أو ألوانها كالحمرة والصفرة والحضرة الخ (ومن الجبال جدد بيض وحمر) أى طرق مختلفة اللون جمع جدة كمدة ومدد (مختلف ألوانها) بالشدة والضعف (وغرايب سود) أى شديد السواد كما يقال (أسود غريب) تشبها بلون الغراب وكأنه قيل : ومن الجبال ذو طرق مختلفة اللون ومنها غرايب متحدة اللون وغرايب تأكيد لسود ومن حقه أن يتبع المؤكد ولاسكن أضمر المؤكد بالفتح قبله والذى بعده تفسير للضمير كأنه قيل : وسود غرايب سود ، وذلك لزيادة التأكيد بالإظهار تارة والإظهار أخرى (ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك) كاختلاف الثمار والجبال ، يشير ذلك إلى دراسة الجبال والثمار والناس والدواب والأنعام من حيث ألوانها وهيئاتها وأشكالها واختلافها صفرا وكبرا وطعوما وروائح وخواص وتراكيب ونظما ومشكلا من مدور وأسطوانى وهرمى ومخروطى وطبا وغذاء ودواء وفاكهة حلوة وزيتية وعطرية ومرة ومائية وحمضية وغير ذلك مما قرأته في هذا التفسير وما لاحصر له في العلوم التى دونها الألوان والآخرون ، ولو أنك نظرت إلى لون واحد من الألوان كالحضرة وتصفت أنواع النبات نباتا نباتا لم تجد نباتين يتفان في لون الحضرة ، قف بالحقول وقش على ما فيها من زرع وشجر وزرع الإنسان أو أنبتة الله رغبنا منه وانظر هل تجد حضرة ماثلة لحضرة ؟ كلا . وإذا أحصى العلماء أنواع النبات نحو (٣٢٠) ألما فليست تجد اثنين انفقا حضرة وقس على ذلك الأشكال والروائح والطعوم ، قف بالحقول وافرا كتاب الله الذى سطره في أرضه ، هناك تقرأ آيات الثناء والحمد مجسمة ظاهرة لعينك وأنبك على ذلك يحضك القرآن ، انظر كيف يقول «ألم تر أن الله أنزل من السماء» كأنه يشكر علينا ألا نرى ذلك إن ذلك يفتح باب الفكر متى فتح هذا الباب دخلت منه العلوم فمن هذا الباب تكون العلوم ويتفرع فرعان : فرع لرق الأمم ، وفرع لرق العقول وهما متحاذيان ، فالعمارة يتسع نطاقها والأرواح تزيد أجنحتها إلى المقام الأعلى وتلتحق بعالم الملائكة ، وإلا فلماذا خلقنا الله في الأرض ، ولماذا نوع هذه الأنواع وشكل هذه الأشكال .

يا عجباً إنك يا الله خلقت النبات وأرحته من العناء وأزلت عليه الماء وفتحت له الأنابيب الشعرية يتمنع كما يشاء من خصب الأرض وعناصرها فيصطفى ما يشاء ويختار : وخلقت الحيوان وأغدقت عليه النعم وكسوته بالريش والجلد القليظ والوبر والشعر والصوف ومددت له مواثد الرزق وبسطت له بساط الأمن ورغد العيش وقيأته في ظلال أشجارك وأسكنته في كهوف جبالك وهيأت له في أشجارك مساكن وعلفته بلا معلمين وربيتة بلا مربين فلا يحتاج لى رسل له ولا مدارس تفتح إليه ولا كليات لتخرج المعلمين ولاوزارة لسير التعليم . فهو في رغد من العيش في جناتك الفسيحات في أرضك . هذا يا الله فعليك مع هذه المخلوقات . أما الإنسان فإنه حرم من تلك النعمة نعمة الاكتفاء بما نظمت من الطبيعة فأرسلت له المرسلين ، وكونت له المعلمين وخلقت له المدرسين وأزلت المرض والهجوم بساحاته وفتحت له باب البحث ليخرج من ظلماته ويستمد لسعادته ونوعت له الأنواع وحسنت له الأشكال ووازنت بين حاجته النفسية والمخلوقات الأرضية بحيث جعلت لكل داء دواء ، ولكل حاسة مطلوبها ، ولكل شهوة ما يناسبها وأنصبت له وأتمتته . هل كل هذا لموانه عليك ؟ كلا . ثم كلا إنك يا الله فعلت ذلك به لأنه أكرم عليك من أخويه الحيوان والنبات تريد أن يعرف نظمك الأرضية ليطير بأجنحة معارفها إلى ساحاتك العلوية ويقتنص من مخاين علومها وخزائنها حكمها وحواهر بحورها ما ينفعه في سفرته المترامية الأكتاف البعيدة المطاف .

لهذا وحده آزلت الهيات ؟ ولهذا وحده خلق الناس ، ولهذا وحده جاء القرآن ، ولهذا كانت فلسفة الأولين وحكمة الآخرين ولهذا سيعلو من بعدنا من المسلمين إذا قرءوا هذا وأمثاله من تصنيف علماء المسلمين ذلك هو باب المحبة والعشق إذ لا محبة إلا بعلم صفات المحبوب ، ولا علم عند الناس إلا ما وصل إليهم من مصنفاته البهية وحكمه العلية وبدائعه البهجة ، وكلما ازداد المرء نظرا زاد قلبه ولها وجبا والمحب يخشى المحبوب ويهابه ، والخشية على مقدار السكال ، فالحب والخشية متلازمان . وكيف يحب الإنسان ما هان في نظره وارتقاء المحبة يتبعها ارتقاء الخشية ألا ترى أنك كلما ازددت من علم عالم أحسست بروحانية تجذبك إليه وخشية تشاك منه وهذا قوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) ، قال علماؤنا رحمهم الله إن شرط الخشية معرفة الخشعي والعلم بصفاته وأفعاله ، فمن كان أعلم به كان أخشى منه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إني لأخشاكم الله وأتقاكم له » .

المسلمون بفقلتهم عن هذه العلوم أضعوا أعظم قسط من الدين ، ألم يسلب الله عنهم الملك ويعطيه لغيرهم ؟ ذلك لأنهم لم يدرسوا نظامه اللوجب للخشية كما يوجب الحب ، إن الآية دالة على أنه لا يخشى الله إلا العلماء فهم وحدهم المختصون بالخشية . فهل لك أيها الدكي القاريء لهذا التفسير أن تحت المسلمين وتحض الوحدين على التفكير والنظر . قل للعلماء اقرءوا سائر علوم الطبيعة والفلك . وقل للجهلاء فكروا في كل جبل وشجر وزرع ، وتأملوا واذكروا الله على مقدار طاعتكم ، وقل للعلماء الذين فليغرسوا في عقول التلاميذ في إبان صغرهم تلك المحاسن والبدائع وليبينوا لهم بعض العجائب الغريبة التي تحدث في نفوس الجبهة وصغار الطلبة تعجبا فإن ذلك يفتح لهم باب الفكر . إن ذلك هو علم التوحيد . إن ذلك هو علم الدين . إن ذلك هو حب الله . إن ذلك هو الموصل لله . إن ذلك هو اللرقى للأمم ، حب الله وخشيته وارتقاء الأمم في الدنيا وعلو درجاتهم في الجنة ووصولهم إلى رؤية الله تعالى وتمتعهم بالنظر لوجه الله الكريم ، كل ذلك بهذه العلوم فليقلب التعليم في الإسلام شرقا وغربا وليغير منهج الدراسة وليعلم المسلمون أنهم لا سعادة لهم في الدنيا ولا في الآخرة إلا بما ذكرناه فقد أنذرت وحذرت فليستمع الفكرون وليصيح الناصحون وحسبنا الله ونعم الوكيل . ولما كان في الناس من لا يابيه هذه العوالم ولا يفسر فيها فقلت خشيتة لله ودام على ذلك ومنهم من أناب ورجع ففكر بعد الغفلة أعقبه بقوله (إن الله عزيز) في ملكه وسلطانه يقهر من لا يخشى الله لغفلته عن صنعته (غفور) لمن تاب وخشى الله بعد الغفلة وذلك فتح لباب الرجاء ، فنحن معاشر المسلمين إذا كنا فرطنا في معرفة هذه العوالم فيما مضى فأنه وعدنا بالعقران وهو يقبل التائبين . ولما كان المقصود من نزول القرآن وإظهار هذه العجائب إنما هو الأمة الإسلامية أردفه سبحانه بالكلام على درجة العاملين فيها فقال (إن الذين يتلون كتاب الله) يداومون على قراءته مع التفكير للمقصود منه ويدرسون هذه العوالم المذكورة قبل هذه الآية دراسة تشمل العالم كله من سموات وأرضين وجبال وزروع (وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقهم سرا) في السنونة (وعلائية) في المفروضة (يرجون تجارة) رأس مالها وأثمانها النفوس والأموال فالنفوس للعلوم والتفكير والصلاة والأموال للاتفاق والتفنن للبيع هو الثواب والجنة والسفر بها إلى الله تعالى فهي تجارة (إن تبور) لن تكسد ولن تهلك بالحسران وهي تفنن وتروج عند الله (ليوفهم أجورهم) أي أجور أعمالهم (ويزيدهم من فضله) على ما يقابل أعمالهم (إنه غفور) لفرطتهم (شكور) لطاعتهم أي مجازهم عليها وللآية وجه آخر كما سيأتي وهو الأظهر . ذلك أن يكون التالون لكتاب الله المسلمون للفقون هم الصالحون ودرجتهم أقل من العلماء المذكورين قبلهم (والذي أوحينا إليك من الكتاب) أي القرآن (هو الحق مصدقا) حال مؤكدة (لما بين يديه) من الكتب السماوية (إن الله عباده لحبر حبر) عالم بالبوطن والظواهر

فلو كانت أحوالك الروحية يا محمد لا تتفق مع هذا الكتاب لم ينزل عليك (ثم أوردنا الكتاب) يقول الله أوحينا إليك القرآن ثم أوردناه أي حكمتنا بتورثه (الذين اصطفتنا من عبادنا) يعني علماء هذه الأمة من الصحابة ومن بعدهم أو الأمة بأسرها فهم خير الأمم (فهم ظالم لنفسه) بالتقصير في العمل به أو بالكفر ، أو من رجحت سيئاته على حسناته ، أو التالي للقرآن الذي لم يعمل به ، أو أصحاب الكبر أو الجهال (ومنهم مقتصد) يعمل في أغلب الأوقات أو يكون مرثيا بالعمل ، أو من استوت حسناته وسيئاته ، أو التالي للقرآن العالم به أو أصحاب الصغار (ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله) يضم التعليم والإرشاد إلى العمل ، أو المؤمن الخالص ، أو من رجحت حسناته على سيئاته ، أو من باطنه خير من ظاهره ، أو التالي للقرآن العالم به العامل بما فيه ، أو الذي لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة ، أو العالم . واعلم أن هذه العاني لا تتافى بينها ، فكل خصلة من الخصال فيها سابقون ومقتصدون ومقصرون . فالسابقون يدخلون الجنة بغير حساب والمقتصدون يحاسبون حسابا يسيرا . وأما الذين ظلموا فهم محبسون في المحشر ثم يرحمون . ثم أشار إلى إرثهم الكتاب واصطفاهم فقال (ذلك هو الفضل الكبير . جنات عدن) مبتدأ (يدخلونها) خبر والضمير للذين (يخلون فيها) خبر ثان (من أساور) جمع أسورة جمع أسوار أي بعض أساور مصنوعة (من ذهب) وقوله (ولؤلؤا) عطف على محل من أساور أي يخلون أساور ولؤلؤا (ولباسهم فيها حرير) وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) من خوف العاقبة ومن أجل المناهي والآفات والوساوس الشيطانية (إن ربنا لغفور) للذنبين (شكور) للطيبين (الذي أحلنا دار المقامة) دار الإقامة (من فضله) من إنعامه وتفضله (لا يمننا فيها نصيب ولا يمننا فيها انوب) كلال إذ لا تكليف فيها وقد نفي ما يتبع النسب من الكلال بعد نفيه للبالغة (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم) لا يعصم عليهم بموتهم (فيموتوا) فيستريحوا (ولا يحفف عنهم من عذابها) لأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها (كذلك) أي مثل ذلك الجزء (يجزى كل كفور) مبالغ في الكفر أو كفران النعم (وم بصطرخون فيها) يستغيثون قائلين (ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل) فهم مقصرون على ما أنشأوا أيام حياتهم فأجابهم الله قائلا (أو لم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكر) يريد أنهم الله سبحانه على أعمار تنقص بلا تفكير ولا اعتبار كأنه يقول : أمهلناكم ولم نعلمكم تكميلا يتذكر فيه من تذكر وهو يتناول كل عمر وإن قصر إلا أن التوسيع في الشظاويل أعظم . فإذا قيل هو ثمان عشرة سنة أو أربعون سنة أو ستون سنة فذلك ليس حصرا (وجاءكم البدير) الرسول عليه الصلاة والسلام أو الشيب ، يقول الله عمرناكم وجاءكم النذير (فذوقوا) العذاب (لما للظالمين من نصير) يدفع العذاب عنهم (إن الله علم غيب السموات والأرض) لا يخفى عليه حافية قبهما ، ثم عاله بقوله (إله عليهم بذات الصدور) وإذا علم دقائقها فله بغيرها أولى (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) يلقى إليكم مقاليد التصرف فيها (من كفر فعليه كفره) أي جزاء كفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقنا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا) ألفت أشد البغض والخسار يكون في الآخرة (قل أرأيتم شركاكم) أي ألفتكم التي أشركتموهم في العبادة (الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض) أي أخبروني عن هؤلاء الشركاء . ومما استحقوا به الشركة أروني أي جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقها (أم لهم شرك في السموات) أم لهم مع الله شركة في خلق السموات (أم آتيناكم كتابا فهم على بينة منه) أي أمعهم كتاب من عند الله يتفق بأنهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب . ولما نفي أنواع الحجج في ذلك أضرب عنه بذكر الأسباب الداعية إلى ذلك وهو تفرير الأسلاف والرؤساء للأخلاف والتابعين فقال (بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا) بأن يقولوا لهم إن هؤلاء شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب إليه (إن الله عسك

السماوات والأرض) كراهة (أن تزولا) لأن الإمساك منع لهما عن الزوال من الوجود ومن مداراتهما .
 لجميع العوالم من الأرض ومن الشمس والأقمار والسيارات تجرى في مدارات خاصة ولولا الليزان الذي
 وضعه الله في السماوات والأرض الذي يعبر عنه علماء العصر الحاضر بالجاذبية لاختل النظام ولتعطمت هذه
 الكرات المشاهدة وزالت نظمها وساءت حالها فبالميزان اتزنت وبالنظام ثبتت في أماكنها واستقرت في
 مداراتها (ولئن زالتا) على سبيل الفرض (إن أمسكها من أحد من بعده) أي ما أمسكها أحد من بعد
 الله أو من بعد الزوال (إنه كان حلما غفورا) لا يعجل بالعقوبة حيث أبقى من يستحقون العذاب إلى أجل
 مسمى ولم يهد الأرض والسماوات عليهم هذا . هذا ، ولقد كانت قريش قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم تقول :
 لمن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أي جاهدين في أيمانهم (لئن جاءهم
 نذير ل يكونن أهدى من إحدى الأمم) أي من واحدة من أمم اليهود والنصارى (فلما جاءهم نذير) وهو محمد
 صلى الله عليه وسلم (ما زادهم) التذير (إلا نفورا) تباعدا عن الحق ، وقوله (استكبارا في الأرض ومكر السيئ)
 مفعول لأجله (ولا يحق) ولا يحيط (الكر السيئ إلا بأهله) وهو الماكر كما حصل لقريش في التزوات (فهل
 ينظرون) ينتظرون (إلا سنة الأولين) سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد
 لسنة الله تحويلا) فلا تغير سنة الله في انتقامه من المكذبين فلا يجعل غير التعذيب بدله ولا يتفاهوا من المكذبين
 إلى غيرهم وهكذا سائر السنن (أولم يسروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) إستهبد
 عليهم بما كانوا يشهدونه في مسيرهم إلى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين (وكانوا أشد منهم قوة
 وما كان الله ليعجزه من شيء) أي ليسبقه ويفوته (في السماوات ولا في الأرض إنه كان علما) بكل شيء .
 (قديرا) على كل ممكن (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) من المعاصي (ماترك على ظهر الأرض
 من دابة) من نسيمة تدب عليها (ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) وهو يوم القيامة (فلذا جاء أجلهم فإن
 الله كان بعبادهم بصيرا) فيجازيهم على أعمالهم . انتهى التفسير اللفظي .

لطيفة في هذه الآية

يقول الله : لو أني أخذت الناس بظلمهم وكنت طالبا منهم ما فوق طاقتهم بحيث يكونون أبرارا فضلاء
 في جميع أعمالهم لم أخلق ما على الأرض من حيوان وبالنالي لم أخلق نباتا ولا معدنا لأن النبات مقدم على
 الحيوان والحيوان مقدم على الإنسان والفضود الأعظم هو الإنسان ولذلك كان عدده قليلا على سطح الأرض
 فهو كالسمع والبصر والحواس في جسم الإنسان ، فلو أني أؤاخذهم بظلمه لمعت وجود الدواب وساقدم عليها
 وهكذا الإنسان ، ولكن هذا الإنسان في عالم ليس مرتقيا كثيرا فكان أهله غير كاملين ، وبقى قلوبا من
 الأرض نظرت في أمرهم ووضعهم في أماكنهم المعينة لهم قبل صعودهم من الأرض وإذا كنتم أعددتهم
 للأجنة في الأرحام قوايل ومراضع وأعددت أنا لهم اللبن في الأمهات وحننت الأمهات عليهم فهكذا في العالم
 الذي سترحلون إليه جعلت الملائكة يستقبلون الراحلين من عالمكم ويعاملونهم معاملة الآباء للأبناء أو معاملة
 السجانين للمسجونين على حسب الراتب والدرجات، فهذا العالم ليس آخر مراتب الإنسانية بل هناك درجات
 ودرجات . فذلك تركنا على الأرض دوابها وإنسانها ونباتها ومعادنها لأنها مرحلة من مراحل الوجود فليس
 يطلب منها غاية السكال «إن الله كان بعباده بصيرا» انتهى القام الثاني .

المقام الثالث

(في تفسير السورة مراعى فيه تقسيمها)

أذكر في هذا المقام ما كنت كتبت منذ سنين في تفسيرها العام، إذ جعلت ملخص السورة مانثلاً أمام القطن
الطيب فأقول وبالله التوفيق :

- اعلم أن هذه السورة تشتمل على (سبع مقاصد) وفيما يلي بيانها :
- (١) وصف قدرة الله بإبداع العالم الحسى والعقلى ، وبأنه منعم متفضل ، وهو توطئة لما بعده .
 - (٢) تذكير الناس بالنعم كي يشكروها وإفهامهم لها عسى أن لا يكفروها .
 - (٣) تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم بقصص السكدين الأولين للبين والمرسلين .
 - (٤) نداء عام للناس أن يتخلوا عن الرذائل فلا يقربوها ويتحلوا بالفضائل فيلبسوها ، فلا يمتطون
غوارب الهواجس ، ولا يتبعون آثار الشياطين ، ولينظروا فيما أبدع الله من الآيات ، وما أحكم
في الأرض والسموات .
 - (٥) ضرب الأمثال لما سلف من القسامين وإيضاح الطغفيتين الكافرة والمؤمنة .
 - (٦) تقسيم المؤمنين من حيث النظر إلى (قسمين) علماء محققون ، وصالحون متقون . ثم تقسيمهم
من حيث العمل إلى ثلاثة أقسام .
 - (٧) وصف الكأس التي يتجرعها الكافرون والتي يشربها المؤمنون والثمرة التي جنبها من جنة
عالية أو نار حامية .

﴿ المقصد الأول ﴾

قال تعالى « الحمد لله فاطر السموات والأرض » إلى قوله « وهو العزيز الحكيم » . فطر الله السموات
والأرض وأبدعها بلا مثال احتذاءه ولا مرشد هداة ، وفصل العالم (نوعين) حسيا براه البصرون . وعقليا
لا يدركه إلا اللتبصرون من ملائكة ذوى أجنحة تقوياً على أن تصعد إلى العلا وتنزل إلى الترى لتنظيم
العوالم ووحى الأنبياء وإلهام العلماء وإنذار الألباء وتذكير الصلحاء وتبشير الأتقياء ، وكل له من نعمة يزيدها
ورحمة يرسلها حتى رأينا المحسوسات من اللاديات يمتاز بعضها بجمال وآخر بقوة وسلطان وآخر ببالة الجنان
كما ترى من الفرق بين الكوكب والدر والحصى والسخر والقيـل والدر والبر والبحر والنخلة والقطير
والثمرة والتير . ذلك لأنه يزيد في الخلق ما يشاء ، وإذا منع من لدنه رحمة جرت الى مداها وإن أمسك
فمن ذا ينالها أو يراها ؟

﴿ المقصد الثانى ﴾

قال تعالى « يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم » إلى قوله « فأنى تؤفكون » ما أظهر مراد هذه الآية
وما أسهل فهمها على البتدين ١ .

﴿ المقصد الثالث ﴾

قال تعالى « وإن يكذبوك » إلى قوله « وإلى الله ترجع الأمور » يقول لئن كذبتك الجاهلون فكف
من نبى كذب ورسول أودى فصر فرجع الأمر لله فكانت عاقبته النجاة وعاقبتهم الهلاك والعذاب .

﴿ المقصد الرابع ﴾

قال تعالى «بأيها الناس إن وعد الله حق» إلى قوله «إن ذلك على الله يسير» أبان في مبدأ القول نظام العالم إجمالا وأن منه محسوسا ومعقولا وغائبا ومشهودا . وطلب شكر النعمة والحمد لله على إفضاله وطيب قلب الداعي عن بصيرة ليشرح فؤاده وبوضوح مراده . أخذ يذكر الناس بآيات الأنفس والآفاق ويقول لا يفرنكم القرب العاجل . ولا يحجبكم بهرج زينة الحياة عما وعدناكم بعد للمات . وإياكم أن تفركم العاجلة فتدروا الآخرة . وإياكم أن تقربوا الشهوات لما أشد سعيها وما أكثر ضررها . وهل يستوى من استحسن قبس الذنوب ومن أدرك ما فيها من العيوب . كلا . ألا إن القدر عم كليهما والقضاء سجل كتابهما فلا تهلك نفسك من الحسرة ولا تسكن جزعا بالمره . فإذا خلصت السرائر وتزكت القلوب ونارت الصبائر فما أحرأها أن تنظر السحب وعجائبها وكيف تسيرها الرياح وتزجرها وتسبق الأرض فتنبت أشجارها وينمو زرعها . ذلك عجب نقش على طرسه ونطق لسان حاله بوصف الله بالحكمة البالغة والقدرة الشاملة وأن لا تعجزه الرمم البالية أن يردها حية صالحة وكيف لا يقدر على إحياء الأموات من أحيا الأرض الموات، إن في ذلك لآيات ، فمن اشرب إلى العز فكيف يطلبه من سواه . أورام الشرف لمن ذاب به إلا الله . وهل لغيره عزة فيعطها أو يملك من نفسه فيهب منها ويسديها ؟ فاطلب العزة بالمعوم وفهمها والأعمال وإتقانها ، والعلم بلا أعمال أشجار بلا أثمار . الإيمان صاعده والعمل الصالح يقوى دعائمه ويثبت فضائله إلا أن العمل الصالح يرفع الإيمان وبهما يسعد الإنسان . وإذا كان الطين والتراب ترقيا بالأسباب وصعدا بالاصطناع إلى أن صاروا ذكرانا وإناثا وبنين وبنات ونساء والذوات وعقولا فاضلات، فهكذا ترقى النفوس إلى الملك القدوس وتصدق الأرواح إلى معارج الفلاح .

﴿ المقصد الخامس ﴾

قال تعالى « وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون» إلى قوله « فكيف كان نكير» . لما أبان سبحانه المؤمن والكافر وحكم ييطان مكر أحدهما وفساده ورفع أعمال الأول ورشاده أتبعه بضرب الأمثال كما هي سنة القرآن فضرب المثل تابعا لبيان الحقيقة ولإنارة الحجة فشهدهما بالبحرين هذا عذب فرات يكسر العطش بعذوبته وهذا ملح أجاج يحرق بملاوحته ومن كليهما نصيد السمك وفيها تسير السفن وتغوص على الدر وهكذا . هما يشبهان في ذاتهما الأعمى في الضلالة عن طريق الرشاد والبصير في الهداية وصفاتهما أشبه شيء بالظلمات والنور ودارهما في اللآل كالظلل الظليل وحر السموم . ثم ارتقى إلى نهاية التمثيل وغاية التحقير والتبجيل فجاءها أحياء وأمواتا ورتب عليه أن قال « وما أنت بمسمع من في القبور» . ومن عجب أن يتخلل هذه الأمثال أمور ذات بال كالاستطراد بذكر الحلية ولبسها ولحوم السمك وأكلها وسير السفن وحملها والتجارة وعلمها وشكر الله على نيلها ثم الانتقال من السبب إلى السبب ومن السفلى للعلى ، فكيف للسفن اللواخر في البحار من ملاقاة بالكوكب السيار والفلك الدوار . وهل تهيب الرياح في البطاح إلا بارسال الحرارة الشمسية فتعدها وهي تسوق السفائن وقد انتفخت القلوع وجرى السفين في البحر للبحر أو التهر العذب وهما يجريان في مطارح شعاع الشمس والنجوم ولولا الحرارة لكان التهر ثلجيا والرياح راكداً والسفن راسيات غير مسافرات .

فذلك ذكرا لإبداع بإيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل باقتراب الشمس وابتعادها، فلقد يكون

النهار ستة أشهر والليل مثله ، وقد يتبادلان الزيادة والنقصان من ساعة إلى يوم إلى أيام إلى شهور . ومن عجب أن لا يزيد أحدهما إلا ناقص من الآخر ولا يتساويان إلا في يومى الاعتدال كما أنهما متساويان على مدى الزمان في خط الاستواء ، فالليل والنهار مستويان إذا حسبناهما على مدار السنة ومختلفان في فصول الصيف والشتاء والحريف والربيع ، وهل لأحد غير الله فيهما من قطمير ؟ ما أشد فقر الإنسان بل هو أفقر الحيوان وسائر المخلوقات .

إن الفقر للإنسان مقصور عليه ، فهذه البحار وحليتها والأنهار وممكها والصفن وحملها والرياح وقوتها والعواصف وثورتها والكواكب ودورتها والشمس وحرارتها . كل ذلك يحتاجه الإنسان وعلى المسلمين أن يملوا ويمسوا ما يصلحون به حياتهم ويجلبون قوتهم ويرضون رءوسهم بين العالمين ، وهل بعد قول الله تعالى « وتستخرجون حلية تلبسونها » بناء الخطاب بيان ؟ لقد جهل المسلمون في هذه الأيام معادن الشرف وأما كن الغنى والنعمة فناموا على وساد الراحة ولم يفكروا في للرجان النبات في قيعان البحار وغفلوا عن الدر المحزون في أسدافه . وقليل من المسلمين اليوم من استيقظ لهذه الأفعال . فهذه المعاني هي التي تخللت خمسة الأمثال للفريقين المؤمنين والكافرين وهذه من أعاجيب القرآن ومن هنا فلتفهموا عجائبه وتندركوا غرابه فلم يبق إلا تصوير حال المؤمنين لشدة العناية بهم .

﴿ المقصد السادس ﴾

قال تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها » إلى قوله « ذلك هو الفضل الكبير » . هنا قسم المؤمنين إلى طائفتين وأرجعهم إلى قسمين : فمنهم للفكرون والحسك . والمحققون الذين تغافلوا في هذه العوالم فرفوها وذاقوا لذة العلم واستحلوها وتبينوا اختلاف الأشكال والألوان ونفاوت الثمار ومخيط الصخور في الجبال وتباين أشكال الحيوان وعجائب النبات ودرسوا العلم وعقلوه فمرفوا الله ونصروه . فهل يخفى الله سوامم أو يعرف مقداره إلا هم ؟ ومنهم الذين تلوا الكتاب وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فأرثك هم الصالحون . والأولون هم العلماء الوارثون فأرثك أقرب إلى الله في عليين وهؤلاء في رياض الجنة فرحين . ثم إن المؤمنين أجمعين إما سابقون عالمون متمون مملون ، وإما مقتصدون عاملون في أكثر الأوقات . وإما ظالمون مقصرون في الأعمال . فهذا تمام الوصف الذى وصف به المؤمنون فلم يبق إلا ذكر الجزاء للفريقين من مؤمنين وكافرين وهو :

﴿ المقصد السابع ﴾

قال تعالى « جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير » إلى قوله « إنه عليهم بذات الصدور » . وصف الجنة وحليها من أساور من ذهب مرصعة باللؤلؤ وحلل الحرير وما يملنون من السرة ويظهرون من الفرح واللذة ووصف أهل النار بالاستغاثة والاصطراخ وتبئسهم من الرجوع للحياة الدنيا وتبكيهم بتقصيرهم أيام الإمكان . ثم ختم السورة بمجهرتين زهراوين وياقوتتين حمراوين من إتيان النظام واسطلاحه العام ومن تدمير الناس وإفسادهم في الأرض فهو مصلح وهم مفسدون . ولقد كانوا خلفاء في الأرض وما أجدرهم أن يتخلفوا بأخلاقه ويسيروا على الصراط المستقيم فانه عز وجل نظم جواهر النجوم الأزهار والكواكب السيارات وربطها بأسباب وأرسل لها من لدنه رحمة فأمسكها وعجة لحفظتها فدارت في مداراتها وجرت في أماكنها واجتذبتها جذبا لطيفا بمواسك من التعاشق سماه علماء المحسوسات [جاذبية] وتلك اللواسك تمسكها لتلا نزول عن مداراتها وتحتل في نظامها ولولا ذلك لفرقت أبدى سبا ، وطاحت شذر مذر ، فباد الرحود وهلك الموجود وذلك قوله تعالى « إن الله يمسك السموات »

لى قوله « حلينا غفورا » وإيضاح الجوهرة الثانية إن الناس أفسدوا وما أصاحوا وعجزوا أن يعقلوا عجائب النظام وبدائع الإتقان فاتخذوا لله أندادا وعبدوا أولئنا قبا، وبالغضب صاغرين ورجعوا بالقت محرومين وإذا عاهدوا عهدا نبذوه وإن حلفوا أن يتبعوا رسولا إن جاءهم لم يتبعوه وطباعهم الكبرياء وشأنهم الإباء، فهلا ساروا فى الأرض فدرسوا أحوال الأمم الظالمة والأجيال البائدة وهم كانوا أكثر منهم عددا وأعز منهم نفرا طحنهم الترى بكسلكه ومزقهم بطوله « فتلك بيوتهم خاوية » وجماعاتهم للأقدار جاثية، ألا إن عاقبة البنى لهم ودائرة السوء تدور عليهم ، ولولا رحمة الله الواسعة أحاطت بهم لأبدنا كل نسمة، ولكننا نؤخرهم إلى أجل معدود لأن رحمتنا أوسع وفضلنا أعم ، فليتمتعوا أياما فى ساحات رحمتنا ، ولنورد لهم موارد الهلاك بعدلنا جريا على ناموسنا العام وعدلا فى النظام وذلك قوله تعالى « وهو الذى جعلكم خلائف فى الأرض » إلى قوله « إلا غرورا » وقوله « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم » إلى آخر السورة .

(آيات العلوم أربع عشرة)

وهى قوله « الحمد لله فاطر السموات » إلى قوله « فأنى تؤفكون » وقوله « الله الذى أرسل الرياح » إلى قوله « من قطمير » وقوله « ألم تر أن الله أنزل من السماء » إلى قوله « إن الله عزيز غفور » وقوله « إن الله يسك السموات » إلى قوله « حلينا غفورا » وقوله « أو لم يسيرا فى الأرض » إلى قوله « فان الله كان بعباده بصيرا » .

(العلوم) - علم الحساب والجو والرياح والزراعة وعلم الحياة وعلوم البحار والسمن وهى لاتيسر إلا بعلم الملك والهيئة والتقويم والتلغراف البرى والبحرى والهوائى ومعرفة الجاذبية العامة وجغرافية البلاد وتاريخ الأمم للاعتبار . فهذه العلوم مما يجب وجوبا كعناياتها أشارت لها هذه السورة ، ولقد تركها المسلمون وقم غيرهم بها ، فالعذاب عليهم جميعا واقع فى الدنيا والآخرة ماله من دافع مالم يسمعوا قول الناصحين وكل مالم حق يتم النظام العام فى ديار الإسلام .

(آيات الأخلاق سبع)

وهى قوله « يا أيها الناس إن وعد الله حق » إلى قوله « أصحاب السعير » وقوله « يا أيها الناس أتمم الفقراء » إلى قوله « وإلى الله الصبر » وقوله « إن الذين يتلون كتاب الله » إلى قوله « غفور شكور » .
الأخلاق تزكية النفس من الرجز وتخليصها من الإثم واعتبار أن الحياة الدنيا طريق والآخرة مقروان على كل أمرى . إنعم ، وأن يقوى للره إرادته ولا يتكل على أحد إلا الله بالعمل الصالح ، فليذر للره الكسل وليدأب فى العمل وليخش الله وليقم الصلاة اه .

(مقال عام : فى قوله تعالى « ما يفتح الله للناس » الخ)

وفيه (مقامان : اللقام الأول) فيما يفتح الله به على الناس ، وهو إما فتوح باستخراج مافى العناصر الأرضية من منافع وعجائب ، وإما بكتشف خيرات كانت خافية على الناس فى الطبيعة فظهرت لهم . (اللقام الثانى) ما يفتح الله فلا يفتح للناس رحمة بهم وهو أعلم بما يفهمهم . فى اللقام الأول (فصلان : الفصل الأول) فيما فتح الله به على الناس باستخراج مافى العناصر الأرضية وذلك .

(جوهرة : فى قوله تعالى « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا يمك لها »)

(العناصر)

اللهم إنك أبدعت نفوسا من النور وكوتها من الجمل فأشرقت وابتهجت وبها أضاءت حواسنا واستنارت مهتنا وأشرقت الأرض بنور ربها كما أشرقت أرواحنا فلأرض مشرقة وأرواحنا مشرقة ولكن إشراق العوالم

التي تحيط بنا على (قسمين) : إشراق ظاهر تدركه الحواس وإشراق باطن لا تدركه إلا العقول ، فأما الإشراق الظاهر الذي تدركه الحواس فقد اشترك فيه الحيوان والإنسان . فأما الإشراق الباطن الذي اختص بالإنسان فهو ما خزنته في عناصر المادة من النور للتراكم للتلائيء للستور عن أعيننا المحبوء الذي منعه عن الإبصار ولم تعطه للناس إلا بعد طلبه والجهد في تحصيله وشوقت نفوسا ونفوسا إلى استخراجها والإستضاء به . ماذا تقول يا الله في عوالمك التي أحاطت بنا ، ماذا تقول في جمال رائع وحسن باهر ماذا تقول وقد أودعت في هذه الدنيا عجائب عجائب تحس بها حواسنا ولا نفقهها عقولنا إلا بعد النصب والتعب ونسمعك تقول « قل الحمد لله سيريك آياته تفرقونها » ونسمعك تقول أيضا « قل هل يستوى الذين لا يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب » .

أنت وعدتنا أن نعرف وقرنت الوعد بأن أمرتنا بالحمد والحمد يستوجب معرفة النعمة ومعرفة النعمة لانتم إلا بمعرفة سابقة ، فالمعرفة شرط للحمد فلا بد من المعرفة حتى يتم الحمد . نحن نحمد على ما نعرف وهذه المعرفة تستدعي معرفة أخرى وهذه الأخرى يتبعها الحمد وهكذا معرفة معها حمد يتبعها أخرى . إذن شرط المعرفة اللاحقة أن تتقدمها معرفة سابقة تحث عليها ، فإذا لم تكن معرفة سابقة عدمنا اللاحقة وهذه حال السليمان في القرون التأخرة ، نظروا الهواء والماء والملح فلم يظنوا فيها خيرا إلا ما تعرفه العامة ولم يبحثوا عن سر هذه الخلوقات مع أنك ذكرت في قصة سليمان المذكور في مقام آخر أنك سخرت له الريح . فالريح سخرت لسليمان ثم قلت « وإن له عندنا لزلني وحسن مأب » إذن الذي سخرت له الريح أعطاه الله زلني وأعطاه حسن مأب . فلنتظر في الهواء الذي به يكون الريح . نظرنا فوجدنا أن هذا الهواء مركب من نيتروجين وأوكسجين ومعهما بخار الماء وكربون (لحم) فلفظ نيتروجين كلمة إنجليزية يرادفها بالفرنسية آزوت فهذان العنصران منهما يتركب الهواء والنيتروجين نحو أربعة أخماس الهواء فكل أربعة أجزاء من النيتروجين معها جزء واحد من الأوكسجين . ومعلوم أن الأوكسجين أحد جزئي الماء أيضا .

هذا النيتروجين الذي هو أهم أجزاء الهواء . ذلك الهواء الذي يحمل السحاب وبه تسير السفن في البحار ويهب على بيوتنا فيطرد اللواد والحيوانات القذرية الضارة بنا وهكذا ينشر ضوء الشمس على الأرض ولولاه لكان ضوءها خاصا بما يحاذي قرص الشمس وبه يكون لون الجو أزرق فلولا لكان سوادا حالكا .

أقول : هذا النيتروجين الذي في هذا الهواء الذي هذه صفاته هو أهم جزء في حياة النبات وفي حياة الحيوان هو المكون لعضلات الحيوان ولأهم أجزاء النبات . فالهواء الذي أهمه هذا العنصر يحيط بالناس من يوم أن خلقوا على الأرض ولم نعرف عنه شيئا إلا ما ذكره الله في القرآن من أن الريح وهو الهواء المتحرك سخر لسليمان وقد مدحه الله ولم يذمه حتى إذا ارتقى الإنسان وكثر علمه وازدهرت الأرض رأينا السهام الذي به يسعد الزرع أهم أجزائه هذا النيتروجين . وقد وفق العلماء في الدنيا لقتل القذرات المهلكة للإنسان في الطاعون والأمراض والله رحيم فليس من المعقول أن يوفق الناس لتقليل الطاعون ثم هو لا يعطيهم غذاء . كلا . فإن هذه الأرض كلها مشرفة بنوره . فعقولنا من نوره والأرض مشرفة بنوره ، هنالك بحث العلماء في الدنيا عن الأسمدة غير المعروفة لها وهي فضلات الحيوان المشتتات على مقدار كبير من النيتروجين ، فإذا فعلوا؟ وجدوا مناجم في (جزيرة شيلي) وفيها مادة تسمى (ترات الصوديوم) فهي مركبة من النيتروجين والصوديوم وقد استخرجوا منها (٧٠) مليون طن ولكن علموا أن هذا المورد قليل لا بد من فتاته ، فمن أين يأتيون بالسهام الذي يكفي الأرض ؟ لأن نوع الإنسان كثير والدواب كانت فضلاتها تكفيه قدما أما الآن فلا .

فإذا نفذت مقادير النيتروجين المركب مع غيره من جزيرة شيلي هنالك يكون قحط عظيم في العالم لا يقبله للماء والمطر بل يقبله السماء . هنالك وفق الله عالما ألمانيا اسمه (فرترهابر) فقال في نفسه : [نحن نحتاج إلى النيتروجين ولولا هلك كثير من الناس في المستقبل فهل من طريق بها نثبت هذا العنصر ونستخرجه من الهواء حتى تنمى مزروعاتنا به] فكما ترى أن جزيرة شيلي فيها الترات أي مركبات النيتروجين ووزيل البقر مثلا فيه ذلك . هكذا نراه في نفس الهواء وهذا مخزن لا ينفد . هنالك رجع إلى الكهربياء وقال في نفسه : [لابد من استخدام الكهربياء] تلك الكهربياء التي لم تسكن إلى عهد قريب إلا مجرد لعبة وتسلية وهي التي لما خطب فيها (فاراداي) خطبة قالت له سيدة : هب أن أبحاثك هذه وتجاربك صحيحة كما تقول فما الفائدة الرجوة منها عملا ؟ فقال : إن قيمة هذه الاكتشافات هي كقيمة طفل ولد حديثا لا حول له ولا طول ولكنه سيصير يوما من الأيام رجلا ذا بأس شديد ، ولما زاره (غلادستون) الشهير ومعه كبار رجال الدولة واطلع على أبحاثه سأله : ما الفائدة العملية من هذه التجارب فأجاب قائلا : [لا يمضي زمن طويل حتى تجني منه الدولة التي ترأسونها اللباغ الكثيرة من الضرائب] ولقد تحقق قوله ، فمن استخدمها في ارتقاء الصناعة والزراعة (فرترهابر) الذي نحن بسدد السلام عليه بعد ذلك بنحو قرن وهو في زماننا حتى برزق فإذا فعل ؟ رجع إلى الكهربياء التي جعلوا لها فرنا اسمه (القرن الكهربيائي) وهذا القرن الكهربيائي آلة غريبة بديعة مدهشة كأنها السحر الحلال ، فهو مبرد ومسخن ، أما التبريد فإنه يبرد الغازات تبريدا يصير به تحت الصفر إلى درجة (٤٥٩) ومعنى التبريد إلى هذه الدرجة أن (فهرنهيت) الألماني لما وضع آلة مقياس الحرارة (الترمومتر) في مخلوط للملح والجليد ضبط زئبقه (٣٢) درجة عن درجة الجليد فتوهم أنه بلغ أدنى درجات الحرارة فدعا تلك الدرجة درجة الصفر . ولكنه بعد ذلك ثبت أن الصفر المطلق هو تحت صفر (فهرنهيت) بنحو (٤٥٩) درجة هذا معنى ما قلته لك إن القرن الكهربيائي يبرد إلى هذه الدرجة التي هي غاية البرودة وهذه الطريقة أمكن العلماء تحويل الغازات أجساما صلبة ، وفي أمريكا يردون الغازات التي تشبه الهواء فتجمد كما يجمد الماء بالتبريد ويبعونها بمصر مثلا .

هذا هو التبريد ، أما التسخين فإن الحرارة بلغت (١٤٠٠٠) فوق الصفر وهذه أعلى من حرارة الشمس (٣٠٠٠) درجة إذن الحرارة التي يتحكم فيها الصانع بالقرن الكهربيائي نحو (١٤٤٥٠) درجة . فهذه الدرجات يتحكم الصانع في الأجسام لأن الحرارة تمنع تماسك الأجسام وتباعد دقائقها فتتحول إلى بخار ثم ترجع الترات إلى عناصرها الأولية ثم تطير من تلك العناصر بعض كهارب لأن الأجسام كلها ترجع إلى الكهربياء والجزء من تلك الكهارب المهللة يعادل جزءا من (١٨٠٠) من ذرة الهيدروجين ، وهذه أصغر وحدة في هذه الدنيا ، فهذا القرن الذي هو أشبه بالسحر حولوا الكربون إلى اللاس وحولوا الفحم إلى الجرانيت المستعمل في أقلام الرصاص ، وهذا القرن نفسه هو الذي استعمله (فرترهابر) في استخراج النيتروجين من الهواء واستعماله بدل السماد الطبيعي من الدواب ومن جزيرة شيلي وبه أصبح العالم الإنساني الآن لا يخشى من نقاد السماد من الأرض .

ومن أعجب العجب أن ألمانيا في أيام الحرب انفصلت عن العالم فنع عنها (نترات شيلي) أي المركبات النيتروجية الآتية من شيلي التي كانت تعتمد عليها في تسميد أرضها ، فلولا استعانة هذا العالم بعلم الكيمياء بطريق القرن الكهربيائي وجعل هذا الغاز الهوائي جسما جامدا تسمد به الأرض ما بقيت ألمانيا تدافع عن نفسها خمس سنين وهذا النيتروجين المركب كما يتبع سمادا يتفع في مركبات الكيماوية كالنشادر ومادة تسمى (النتريك) وما اشتق منهما في صنع المفرعات في الحرب ، فهذا النيتروجين نفع ألمانيا زمن الحرب في تسميد زرعها وفي قتال عدوها . وهذا العالم أمكنها أن تعيش خمس سنين وحدها منعزلة كما تقدم هذا هو

الهواء وفوائده التي تنفع في غذائنا وفي قتال عدونا فالأمر يرجع إلى التبريد والتسخين ، فهذا غاز وبهذا القرن يرجع جامدا بعمليات لا يصح ذكرها لصعوبتها ومثلها سهل : إننا نرى البخار أخف من الماء نحو (١٧٢٨) مرة والهواء أخف من الماء (٨٠٠) مرة ومع ذلك نرى البخار صار ماء وللأمر صار ثلجا والثلج نخلطه بالملح فنزل درجته فيسكون أبرد، إذن البخار الذي هو أطف وأخف من الهواء صار صلبا هكذا هذا النيتروجين الذي هو جزء من الهواء الذي هو أغلظ وأنخن من البخار صار صلبا . فهذا أمر أمكن فهمه لنا في هذا التفسير بدون أن ننظر القرن الكهربائي . ومع صعوبته أذكر الطريقة إجماليا فوق ما ضربته من المثل ليقترب على الأذكيا . فيفرحون بنعمة العلم فأقول :

طريقة ذلك أنهم يطلقون الحرارة الكهربائية في مزيج الأكسجين والنيتروجين (وبعبارة أخرى) في نفس الهواء لأن الهواء أهم أجزائه هذان العنصران ، فهذه الحرارة يتحدان أي تكون بينهما ألفة تامة كاللفة بين الأكسجين والأودروجين إذ يتسكون منهما الماء ويقال لهذا للتحد هنا (فوق أكسيد النيتروجين) كما قيل فيما تركب من الأكسجين والأودروجين ماء فإذا عولج (فهو إكسيد النيتروجين) بالماء صار (حامض النيتريك) إذن النيتروجين عومل مرتين مرة مع الأكسجين ، ومرة مع الماء حتى صار حامض النيتريك . هنالك تستخدم الأفران الكهربائية وبمر في أنابيب يحيط بها الماء البارد ويعامل بالجير ويباع الناتج في الأسواق باسم (ملح النروج) أو ملح الهواء وباللسان الكيميائي (نترات الكلسيوم) وهذه الطريقة تستعمل في البلاد ذات المنايع الكهربائية الرخيصة كبلاد (روج) التي تكثر فيها مهابط الماء التي تستخدم في توليد الكهرباء من غير نفقات طائلة ، والشركات في بلاد روج تستخدم في توليد الكهرباء قوة نصف مليون حصان من القوة بالاستمرار في تثبيت (النيتروجين) الجوي وأن الحكومة المصرية الآن تدرس المشروع توليد الكهرباء من خزان أسوان فإذا نجحت أمكن تثبيت نيتروجين الهواء بهذه الطريقة وتوفير مبالغ طائلة تستخدم بها الأيدي العاطلة .

اللهم إنك أنت متقن الصنع مبدع ، أحسنت كل شيء من ذا كان يظن أن الهواء فيه أحمدة ومفرقات وآلات قاتلات ، من ذا الذي كان يظن أن القوة الكهربائية في السلك الكهربائي الذي يحدث في الناس رعدة قد كانت محبوبة في أكثر الخلقات وبإستخراجها أمكن تسخير الهواء لتسميد الأرض فيغذى بها الزرع كما تغذى دماءنا ؟ من ذا الذي كان يظن أن الماء النصب من أعلى كماء الجنادل والشلالات في أعلى النيل يؤثر في حياة الشعب فبرفعها ؟ من ذا الذي كان يتفطن إلى أن أجزاء الهواء يؤثر فيها الكهرباء فتتحد ويصاحبها الماء وجريها في الأنابيب ومعاملها أيضا بالجير تصبح ملحها يباع في الأسواق بسمونه (ملح الهواء) إذن في الهواء ملح ، الهواء الذي يضرب به المثل في أنه خال من كل شيء يستخرج الناس منه مادة يبيعونها جامدة نافعة . هذا هو الجمال الإلهي والحكمة العالية هـ .

هنالك لما اطلع صاحبي العالم الذي اعتاد أن يخاطبني في هذا التفسير قال : إن هذا الموضوع قد وضع وضوحا تاما وقد كنت أقرأ مثل هذا فلا أفهمه وكنت أسمع أن الألمانين عندهم سيج معامل في بلادهم بها حولوا النيتروجين إلى آلات مهلكات وأن تلك المعامل قد حولوها بعد الحرب إلى مصانع للحداد فكنت أعجب من هذا وأقول كيف يحول النيتروجين إلى آلات مهلكة وإلى سهاد تسمد به أرضنا حتى عرفت الآن فقه الحمد .

هذا ولكن الآن أريد مسألة أخرى ، أنت ذكرت الملح أيضا مع الهواء فأى شيء في الملح فوق ما قرأنا في هذا التفسير سابقا ؟ قلت له : فيه عجائب كثيرة بطريق الكهرباء ، فقال : وما هذه العجائب

فإنني والله لني شوق شديد لما تقول ؟ وإنما كان ذلك الشوق لأني أدهش إذ أرى الهواء الذي يملأ هذا للسكان يخاطبني الآن ويقول لي : أيها الإنسان . أنا كما أحمل لك الروائح الذكية لسرورك والخبيثة لتجترس منها ، وكما أحمل طلع الأزهار من ذكورها إلى إناثها ، وأحمل إليك كلام من يسلكك فتعقله وتضمه هكذا أنا أدخل جسمك وجسم الحيوان أغذيكم جميعا وأغذي نباتكم .

هذا هو الهواء يحدثني عن نفسه ويقول : أنا أحمل العلم في الكلمات الاتي هن حركات تسمونها أنتم أصواتا في . فهذه الكلمات أنا أحملها وأوصلها من العالم إلى للتعلم . فأنا نعمة من حيث لقاح الأشجار وجرى السحاب وسباع العلوم والأخبار . وفوق ذلك أنا أدخل في تركيب أجسام الأحياء فأكون لهم عضلات . قال صديقي : فلما سمعت هذا من الهواء زاد تعجبي ودهشي . فرجع الهواء يقول لي أيضا : فإذا لم تعقنوا هذه النعمة فوافق ليحولن الله النتروجين الذي في ويجعله آلات مهلكة لأجسادكم مخربة لمساكنكم كما خربت مساكن عاد وممود .

هذا خطاب الهواء لي الآن سمعته ، فهل تحدثني حديثا آخر عن الملح عسى أن أسمع عنه خيرا يسرنى فأسمع خطابه لأن لذة الحياة أن نسمع خطاب هذه المخلوقات حولنا ومن لم يسمع مات أصم جاهلا وأكثر الناس صم بكم فهم لا يفتقون . قلت .

﴿الملح وفوائده﴾

إن الملح تقدم عليه الكلام في آخر (سورة آل عمران) وإنه مركب من الكاور والصوديوم والكاور جسم رائحته منقطعة مميته مهلكة والصوديوم تقدم وصفه قريبا في هذه السورة وهو جسم يحترق متى لامس الهواء فيتركونه في الماء ومنها تكون هذا الملح ، فهذا الملح يسكن في ماء البحر وفي بعض طبقات الأرض ومتى مر الطيار الكهربي في محلوله المائي كما مر في النتروجين مع الأكسجين كما تقدم يخرج منه ثلاث مواد مهمة (أولا) الكاور (ثانيا) الهيدروجين (ثالثا) الصودا الكاوية .

فهذه المواد الثلاث يستخرج الناس منها اليوم قناطر مقلنة كلها من نفس ملح الطعام المحلول في الماء ويظهر ذلك عند شلالات (نياغرا) بأمریکا قتل كلمة كاور بكلمة غير معروفة عند قراء التفسير . قلت له : ولكن فوائدها عظيمة فنها :

- (١) إنها تضاف إلى ماء التربة فتظهره من الجراثيم القاتلة لاسما جراثيم الحمى التيفوذية ، فقد كان هو السبب في منع انتشار ذلك الداء الفتاك وقطرة منه واحدة تكفي لقتل الجراثيم في ثمانين لترا من الماء .
- (٢) ومنها أنه أي الكاور يضاف إلى الجير فيكون منه مادة تزيل مافي للادة التي يصنع منها الورق من الألوان فتفسخها ويسبر أبيض .
- (٣) ومنها أنه يضاف إلى مواد أخرى فينفع في الطب وهو (الكاور فورم) فيحدث التخدير ، فهو إذن قاتل الحشرات مبيض الورق مخدر الإنسان في حال الأعمال الجراحية .
- (٤) ومنها أنه هو نفسه غاز سام استعمال في الحرب .
- (٥) ومنها أنه يوضع مع مواد أخرى تكون منها غازات وأبخرة سامة .
- (٦) ومنها أنه يدخل في الفرقعات .
- (٧) ومنها أنه يدخل في تركيب المواد الهللكة للحشرات في فن الزراعة .

سبحانك اللهم . تباركت يا الله . ملح الطعام الذي أممانا نأكله ونراه كل يوم يصبح مطهرا لشربنا قتلا للحيوانات التي تقتل آلاف الآلاف منا ، للملح إذن قاتل للحيوانات القاتلات لما ، مبيض لورقا منظف

له مزيل الآلام عن جرحانا . مهلك للأعداء في الحرب ، إذ يكون غازا ساما أو بخارا متحدا مع مواد أخرى محرب للباني . فهو يقتل الأعداء من نوع الإنسان ومن الحيوان محافظة على سلامة الأبدان ، فقال صاحبي زدنا من هذا .

فيسعد حدثنا بأخبار من مضى فأنت خبير بالأحاديث يسعد
نحن عرفنا فوائد الكلور الذي هو أحد جزئى الملح . فمفوائد الهيدروجين . ومفوائد الصودا الكاوية
التي حللناها من الملح مع ماذاب فيه من الماء . فقلت :

(الهيدروجين)

أما الهيدروجين فإننا إذا أحرقناه في الهواء ، فإنه يتحد بالأكسوجين ويتكون منهما الماء ويبقى الأوزون
أى النيتروجين ويتحد هذا الغاز الأخير بالهيدروجين في أحوال خاصة فيتولد من اتحادهما غاز (النشادر)
الستعمل في صنع الجليد .

فلما سمع صاحبي ذلك قال : مامعنى هذا ؟ قلت معناه أننا لما أمررنا التيار الكهربائي بالملح المذاب في
الماء وانفصل الكلور والهيدروجين والصودا الكاوية أخذنا ندرس الكلور ففرغنا صفاته وفهمناها .
قال نعم قلت : فأما الأدروجين فهو أحد العنصرين اللذين يتكون منهما الماء فلما أحرقناه في الهواء والهواء
فيه الأكسوجين أيضا وجد في الهواء حبيبه . فقال مامعنى هذا ؟ قلت إنه وجد في الهواء حبيبه وهو أكسوجين
الهواء كما قال الشاعر :

جمع الهواء مع الهوى في مهجتي فتكاملت في أضلعي ناران
قفصرت بالمدود عن نيل التي ومددت بالمقصور في أكفاني

فقال مامعنى هذا ؟ قلت : سافر الشاعر إلى محبوبه في سفينة فقاومه الهواء الجوى ولم يسفغه مات بسبب
الهوى للمقصور بعد ماعاقه عن الوصول الهواء المدود لأنه لم يصل لمحبوبه . ثم قلت : فهكذا هنا الهيدروجين
قبل أن نحرقه في الهواء . نظر فوجد محبوبه الذي يتحد به عادة وهو الأكسوجين مقيدا في الهواء مع
النيتروجين فظن أنه سيعيش في حجرة ولوعة وقد عاقه الهواء عن حبيبه ، فلما أحرق في الهواء وجد الفرصة
سائحة فأتحد مع حبيبه وكونا الماء مرة أخرى . فالهيدروجين قبل الاتحاد أصبح كأنه مد بالسكن بسبب
الحب وأن غاية العاشق أن تتحد روحه بالمحبوب ، فأما الشاعر فإنه مات بسبب الفراق . فأتحد الروجين
مطلوب الحب كما قيل :

أعانقها والنفس بعد مشوقة إليها وهل بعد العناق تداني
وألم فهاهاكي نزول حرارتي فيزداد ما ألقى من الهيمان
كأن فؤادي ليس يشفى غليله سوى أن يرى الروحان يتحدان

فالهيدروجين هنا كان كأنه في كفن قبل الاتحاد الذي هو المطلوب للمحبة وهذا المعنى آخر ماقرره
العلامة التيرازي في الأسفار .

فقال هذه المعاني أدبية فلنرجع إلى ما نحن فيه . فقلت نعم : لما أتحد الهيدروجين بحبيبه وهو الأكسوجين
اعتزلهما المذول وهو النيتروجين . والنيتروجين نفسه يتحد بالهيدروجين بشروط خاصة فيكون منهما
النشادر المستعمل في صنع الجليد .

فقال صاحبي : الله أكبر . إذن الهيدروجين الذي هو أحد عنصرى الماء إن أتحد مع الأكسوجين صار

ماء وإن أخذ مع النيتروجين صار نشادرا . قلت له نعم . وأهم فوائد النشادر أن يستعمل في تحضير السجاد للزرع . فمن مركباته كبريتات النشادر ومنها فسفات النشادر . وهذه المركبات ترسل إلى البلاد الزراعية كعصر تغذى شجر القطن . قال : حسن إذن الملح الذي حللناه بالكهرباء . أفادنا السبع الفوائد للتقدمة ثم أفادنا النوشادر الذي فيه النيتروجين سمادا للزراعة وهذا ثامن الفوائد . وهالك تاسعها وهو :

إن القطن إذا أصيب بأمراض يظهر بمواد كيميائية مثل مادة زرينيخ مركب مع الكالسيوم وهذه للمادة لا تخضر إلا بواسطة الكلور المتقدم . وعاشرها أن القطن بعد غزله يحتاج إلى ما يقصره أي يبيضه . ولا سبيل لذلك إلا بغاز الكلور أو مسحوق آخر يدخله الكلور . وحادي عشرها أن الناس في حاجة إلى جعل خيوط القطن لامعة كالحرير . ولا سبيل إلى ذلك إلا أن تعالج بحلول الصودا وهو المادة الثالثة التي حصلنا عليها لما سلطنا الكهرباء على الملح كما تقدم فيصير القطن بهذه الطريقة أبيض ناصعا براقا . وثاني عشرها إذا أردنا صنع القطن بالسواد أو بغيره من الألوان استعملنا أصباغ القطران وهذه الأصباغ لا تخضر إلا إذا كان من عوامل ذلك العمل (غاز الكلور) . فهذه اثنتا عشرة فائدة انتفع بها الناس وكلها ناجمة من الملح وحده ، ذلك الملح الذي يأكله الناس وأكثرهم لا يعقلون إلا ما يحس به حاسة الذوق للطعام لا غير .

تباركت يا الله ، جمال بديع وحسن وبهجة في هذا الوجود ، ملح سبؤذ ، قليل القيمة ، كثير الوجود لا يابى له الناس نستخرج منه هذه الفوائد ، فهو يقتل الحيوانات الدرية القاتلة لنا ، ومنه غاز لإهلاك العدو ومفرقات ، وهو منظف مبيض للقطن الخ . وهكذا الصودا التي جعلت القطن أشبه بالحرير « تبارك الله أحسن الخالقين » .

قال صاحبي هذا جميل وجميل ، فهل من معدن آخر تصفه لنا ؟ قلت : لم يبق في ذا كرتي إلا .

(الألومنيوم)

هذا المعدن كان يستخرج قديما من (ركازة) بواسطة فحم كوك فسكان يصر تخليصه من مركباته فكان الرطل منه يباع بنحو (٢٨) جنيتها ولكنه لما ظهر شاب أمريكي فقير يسمى (هول) ولم يصل سنه إلى (٢٣) سنة من العمر حتى كشف طريقة لاستخلاصه من ركازة بأن سلط عليه التيار الكهربائي فانحلت الكتل إلى أكسوجين وألومنيوم كما ينحل الماء إلى أكسوجين وأدروجين . وهذا الشاب الفقير قبل كشف هذه الطريقة لما مات سنة ١٩٢٤ ترك ثروة تقدر بآلاف الآلاف من الجنيهات . وسبب ذلك أن الألومنيوم له هذه الصفات :

- (١) هو معدن متين .
- (٢) لذلك تصنع منه أواني الطبخ والمائدة .
- (٣) ويقوم مقام النحاس في أعمال الكهرباء .
- (٤) يعمل في الطائرات والسيارات .
- (٥) تجعل منه صفائح للتفويض لأنها تحفظ بريقها ولا تسود كما تسود الفضة في الهواء .
- (٦) مسحوقه يستعمل في بعض الزيوت كدهان للحديد لمنع صدئه .
- (٧) يركب مع النحاس فيكون معدنا ذهبيا إذ يكون سبيكة من النحاس والألومنيوم لها مظهر الذهب ولا تصدأ بالهواء .
- (٨) والألومنيوم إذا خلط مع القصدير يستعمل بدل النحاس وهو أفضل منه لأنه أخف وزنا وأقل تلفا

(٩) الألومنيوم يستعمل في لحم العادن ، وكان ثمن الرطل الواحد (٢٨) جنبها قبل الكشف التقدم كما قدمنا فأصبح اليوم (٥) قروش .

فلما سمع صاحبي ذلك قال هذا جميل ، إنه جميل جدا أن يصبح الهواء ويصبح الملح عجائب سحرية تدهش العقل وهكذا الألومنيوم ، فإذا تقول الآن في أمة الإسلام التي قلت فيها العلوم ؟ قلت أما أمة الإسلام التي قلت فيها هذه العلوم فإن أمرها لله والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، قال إذن أنت تريد أن تقول إن الأمة آتمة بترك هذه العلوم بعد ظهورها لهم . قلت أو تشك في ذلك ؟ أأنت تتذكر أن هذه فروض كفاية ، ولقد ذكرت في مواضع كثيرة من هذا الكتاب . ألم تقرأ ما نقلته عن [جمع الجوامع] وعن الإحياء للفزالي وهذا إجماع علماء الإسلام . فهذه علوم واجبة وتركها حرام يورث عذاب الخزي والذل في الحياة الدنيا «ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون» .

قال هذا أعرفه ، ولكن أريد ضرب مثل توضح به هذا التحريم ، قلت : ماذا تقول في عناية الله عز وجل بحياة الناس وأموالهم ؟ ألم يأمر بقتل القاتل ، وتغريب الزاني وجلده أو رجمه ، وقطع يد السارق أليس ذلك كله محافظة على الأنفس والنسل وللال ؟ قال بلى ، قلت : فإذا قطع اليد على ربيع دينار أليس هذا معناه أنه يريد المحافظة على أموالنا كما حافظ على أنسابنا ونفوسنا ؟ قال بلى ، قلت : فلو أن لك أبناء عدة وسلمت إليهم أرضك لزرعوها ، ثم قلت لهم من أخذ من أرض أخيه زرعاً يساوي (٢٥) قرشاً آذيته أذى كثيراً فحافظ أبناءك كلهم على ما أعطيتهم من الأرض وقرنوا فيها الحدائق والجنات والزرع ، وعلى لك ابن واحد فترك أرضه بلا زرع ولا عمل حتى صارت وحوشاً ياباً ، فإذا فعلت بانيك ؟ أأنت تسأل وتقول له لم أهملت أرضك ؟ أفلمست إذا قال لك يا أبت إنني امتثلت أمرك فلم أسرق زرع إخوتي فكيف غضب علي ؟ أأنت إذن تقول له : يا بني أنت ولد شؤم ، أنا قلت لكم فليعاقب من أخذ دريهمات من مال أخيه حرصاً على أموالكم جميعاً . فهم لما رأوني حريصاً على ثروتهم زادوها لأنهم علموا أني محب لثروتهم وغناهم (بسيين: السبب الأول) أني حرمت عليهم أن يأخذ أحدهم مال الآخر (السبب الثاني) أنهم رأوني سلمت لهم الأرض فتسليمي الأرض لهم معناه الرغبة والهمة لهم أن تنمو مزرعاتهم . فأما أنت يا بني فلم تقم واقصرت على عيب الأذى ولم تراع تعمق ولم تستثمر أموالك ومثلك جدير بالطرود والحرمان فلا تمرن إخوتك أن يملكوا أرضك ويستملوك فيها فتسكون عاملاً تأكل بقرق جبينك وهم للأرض مالكون .

أفلمت تفعل ذلك مع ابنك الذي ترك نصيبه من الأرض التي وهبها له فمطل الأرض وعطل مواهب جسمه . فلا هبتك من الأرض قام بحققها ولا ما وهبه الله من الحواس والأعضاء قام باستعمالها فهو مطرود مبعود منك ومن الله . أليس كذلك ؟ قال بلى ، قلت : فهذه حال بعض المسلمين اليوم مع الله . فأنه أعطاهم أرضه فتركوها وناموا فتركوا نعمها فلم يستعملوها فألمهم إنما أن يستخدموا في أرضهم التي ملكوها .

الحق والحق أقول: إن الأمم الإسلامية اليوم إن لم تقم بما قلته في هذا التفسير ليعودن هذا القرن آخر قرونهم ويهلكون ولا يترك الله أرضه في أيديهم بل يحرمهم من الهواء ومن الملح ومن الماء تلك التي استخرج الناس منها هذه العجائب التي يقول الله فيها «وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها» .

يا الله : إنا نحمدك . عرفنا نعمك وفهمنا قولك وشاهدنا صنعك وها أنا ذا يا الله أكتب هذا للمسلمين وها أنا ذا تارك الأرض وذاهب إليك .

فقال صاحبي أنت ذكرت مواهب الأرض . فما للهواء والماء والملح مثلاً كيف يحرمهم منها ؟ قلت : الأرض ضررتها مثلاً ولكن الهواء والملح والماء وأشغالها جهلها بعض المسلمين كما جهلوا نعم الأرض . فإذا كان الله أمر

أن من قتل يقتل . أفليس هذا محافظة على أرواحنا كما قدمت ؟ قال بلى . قلت : وأنت إذا رأيت ابنك جالسا وأمامه نار تحرق بيوت وقصور أبنائك ثم هو أمامه صبور يمكنه أن يفتحه وعنده مضخمة عظيمة وهي الآلة للاصة الكتابة التي يمكنه أن يطفى بها النار فلم يفعل ذلك حتى احترقت تلك القصور والدور فلم يفعل ابنك شيئا من ذلك أفلمت تسكره ؟ قال بلى ، قلت حسن . هكذا فعل الله مع المسلمين ، هذا الكلور وهو في ملح الطعام أشبه بالآلة التي تطفى النار فهو قاتل للمكروبات في حمى التيفوذ كما تقدم وللسلم قد سمع هذا أقربيه في هذا التفسير . أفليس إذا ترك هذه العلوم بغضب الله عليه بل الغضب هنا أشد لأن غضبك لأجل نفوس أبنائك وهم يعدون على الأصابع . أما هنا فهي لمنافع أمم وأمم جيلا بعد جيل وأنا موقن كل الإيقان أن هذا التفسير متى انتشر هو وأمثاله يهب للسكون مرة واحدة لحوز هذه العلوم ، وإذن تصبح الكرة الأرضية لها شأن غير شأها بالأمس ، فقال : وماذا يصنع للسكون اليوم وكثير منهم عندما محتلون لبلادهم ، قلت : إن أكثر بلاد الإسلام اليوم مستقلة اليمن والحجاز مع نجد وبلاد الفرس والأفغان وأمثالها فهؤلاء من قرأ من هذه الأمم هذا الكتاب وفهمه هو وأمثاله وجب عليه أن يعلن الفكرة في بلاده بأي وسيلة كانت بل يجعل حياته وقفا عليها ويحمل حكمته على الإسراع بإرسال تلاميذ جالا لدرس جميع العلوم كما فعلت اليابان ويرسلهم للأمم المختلفة لا لأمة واحدة . وهكذا يجب على الأغنياء أن يرسلوا أبناءهم على حسابهم ويدرسوا تلك العلوم ثم يفتحون المدارس في بلادهم كما فعلت اليابان كما قدمنا . فأما الأمم التي احتلتها الأجانب فإن كانوا مستعبدين جدا فكلما هذا لا يصل إليهم وإن وصل إليهم فهم لا وقت عندهم لفهمه ، فأما الأمم التي احتلتها الأجانب ولأبنائها ذكاه فليكونوا جمعيات وليرسلوا أبناءهم في بلاد مختلفة لتعلم العلوم واتق بهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

فلما سمع صاحبي ذلك عرفنا جمال العلم والحكمة الناتجين من الهواء ومن الملح إذا سلطنا الكهرباء عليها وعرّفنا المسلمين متى قرءوا هذا أسرعوا إليه وإن قصروا أذنبوا ، ولكن هذا اللقاه مقام غزير الفائدة جليل العائدة ، فهل لك أن تأتي لي بمثال غير ما تقدم لأنني أحس في نفسي بنور وإشراق وبهجة حين أسمع هذا القول منك وأنا موقن أن الناس إذا قرءوا هذا بهذا الأسلوب الذي يفهمونه زاد تعجبهم وفهمهم وارتقت بلادهم . قلت إن اللقاه قد طال . فقال كلا إن هذه الآية تجمع العلوم كلها فليس يدع أن تربنا منه زهرات ثم راعمتها ونبتج بمرآها وتنتشر بها صدورنا ، فإن العلم على هذا الأسلوب نعمة ورحمة وبشرى وإبهاج لنا وروح وربحان وجنة نعيم ، إنني أحس بنعيم في نفسي حين أسمع هذا التشرح والبيان نعم أنت لست من الأخصائين في هذه العلوم ولكن هذا التعبير أحس فيه بنور وانتشراح صدور فردنا منه زهرة أخرى واجن لنا من بساين العلم ثمرة أخرى لتكون لنا نورا وسرورا وبهجة وجمالا . قلت ألم تسمع بنبا أدهش العقول وهو :

زجاج بلاس

قال زجاج بلاس ؟ وما هو ذا زجاج بلاس ؟ قلت زجاج بلاس زجاج له صفات غريبة وسيبلا الأرض قريبا ، فقال صفه لي قلت :

(١) هو زجاج قريب في منظره من زجاجنا .

(٢) زجاجنا سريع العطب ، أما هذا الزجاج الحديث فانك إذا ألقيته على الأرض وأردت كسره فإنه

لا يكسر ، ولو أتيت بغأس أو قادوم ثم أخذت تضربه فإنه لا ينكسر مهما أوتيت من قوة .
وإنما يتشقق ويتحطم أما الكسر فلا ، فقال هذا عجب .

(٣) وهو تدخل منه الأشعة التي هي فوق البنفسجية من الشمس . ومعلوم أن تلك الأشعة لها مزية كبرى في الطب وزجاجنا العادي لا يسمح بدخولها ، ولقد علم الناس أن عند بعض الناس نوعا من الزجاج يدخل منه الأشعة فوق البنفسجية وهو غال جدا ، ومعلوم أن الزجاج المعتاد مصنوع من المواد الرملية مع نحو البوتاسا والرصاص ، فأما الزجاج (بلاس) الجديد فإنه من مواد أخرى ولكنها قليلة الثمن .

(٤) يصنع من هذا الزجاج ألواح على صورة قشر السلحفاة وعلى شكل الرخام . ويصنعون منه أقذاح الشاي وأقذاح الماء فلا تحطم ولا تنكسر ، وقد صنعوا منه (القلم الأمريكي) وجهاز اللاسلكي والاسطوانات ، ولا جرم أن القلم الواحد منها يكفي الإنسان طول حياته .

(٥) ويصنعون منه تطريزا للثياب فإن هذا الزجاج يسهل تلويثه ، فإذا غمست إبرة في هذا المهلول ونقشت بها الثياب صار لها منظر جميل بهيج بلا مشقة في العمل . وهناك شركات تقوم بتجارب في اللابس وتطريزها بهذه المادة الزجاجية الجديدة . وهنا شركة لها مصنع كبير في ضواحي مدينة (نوتنجهام) ولها مصنع آخر تام المعدات في (مدينة فينا) بالتمسا ، وهذا المصنع عجز عن الطلبات للخدمات له لأجل ألواح النوافذ نحوها والأدوات الداخلة في أعمال الكهرباء .

(٦) إن المخترع لهذا الزجاج (المستر بالي) أستاذ الكيمياء بجامعة ليفربول هو ونجله .

هذا هو الذي أردت أن أخاطبك فيه الآن ، أفلا ترى بعد هذا أن نوع الإنسان لا يزال طفلا ، فإذا كان هذا العالم وابنه سيقب عالم الصناعة بعمل جميل أجل من الزجاج الذي نعرفه أقليل معنى هذا أن هذه الإنسانية طفلة الآن وإن تكون كاملة إلا إذا استخرجت القوى من جميع العقول والقوى من جميع المواد حولنا أيها الناس : أنتم جميعا في حاجة إلى علماء يحولون عقولكم عما أنتم عليه من استعباد بعضكم بعضا إلى استخدام جميع العقول الأرضية في استخراج جميع المنافع المادية والعنوية .

هذه الأرض مملوءة بالجمال ولكن أهلها لا يزالون أطفالا فإذا داموا على قولهم شرقي وغربي وقوى وضعيف فهم جميعا على خطر يجب على جميع الناس في الشرق والغرب أن يتعاونوا على استخراج عقول كمقل (المستر بالي) ، وليس (المستر بالي) لانظير له بل في بلاد إفريقيا وآسيا وجميع الأمم عقول فيجب استخراجها لتستخرج ثمرات الأرض إن أهل الأرض جميعا مقصرون ولا سعادة لهم إلا إذا ارتقت جميع العقول والواهب فاستخرجت جميع المنافع في الأرض لأن ربنا واسع وعليم وخلق لنا عقولا وقال اعملوا « والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » .

مسامرة

ثم قلت هل لك أن أحدثك حديثا غراميا هو أليق بهذا التفسير ليكون ترويحاً للنفس وترويحاً للفكر وانتراحاً للصدر . فقال : إن ما تقدم لانتسام منه النفس إنه بهجة ونور وانتراح صدر لانتسام منه النفوس ولا تأنف من الإطالة فيه الطباع فقلت ولكن إذا تفننا في الحديث (والحديث شجون) كانت ذلك أعون على الدرس وأسرع للفهم وأصفي للذهن وأقرب لانتراح الصدر فقال : أحب ذلك قلت إن هذه المحادثات الصناعية العلمية التي ذكرتها بمناسبة قوله تعالى « ما ينفع الله للناس » النفع قد كنت أحدثك بها وأنا أشبه بأهل الحب الجسمي والفرام لأن الحب ينفع الجمال والجمال جسمي وروحي . فالجمال الجسمي في الأنف والقدم والحد والمعين وحسن اتساقها وحمل تركيبها . قلت وهذا الجمال

الإنسانى فى الوجه إذا ساعده حسن الصوت وجمال الرائحة ونور العلم وبهجة الجلال والإخلاص والذكاء والحلم كان هذا المحبوب ، لا يطاق فراقه . قال نعم . قلت : ومعلوم أن كل جميل فى الأرض لم ينل كل هذه الصفات والجمال الظاهر « كسراب بقية بحسبه الظمان ما ما حتى إذا جاءه لم يجد شيئا » قال نعم . قلت وذلك نجد الشاب بعد الوصال بزمن معلوم يرى أن بهجة الجمال تغيرت وأخذت الزوجة ترضع ولدها وهو مجد فى طلب الرزق وينقلب الحب اللفظى الظاهرى إلى حب قلبى هو حب النعمة والآنحاد فى أمر الحياة . قال نعم قلت ومعلوم أن العالم محبوب ، والشجاع محبوب والمحسن محبوب وحب العلماء لا يزول لكن حب العشوق لظواهر الجمال يتغير سريعا على مقتضى تغير الجمال . قال نعم . قلت : إذن فى الأرض عقول تمسق العلم وتمسق العلماء ومنهم من يشقون خالق العلم والعلماء ، لأنهم إذا رأوا جمالا فى الوجه أوفى العقل أوفى الخلق . قالوا إن مبدع هذا الجمال أجمل من هذا جمالا لم نره .

فأليث وإن لم ألقه فقد تصورت خلقه والبحر وإن لم أره فقد سمعت خبره

• والأذن تمسق قبل العين أحيانا • قال نعم . قلت : بعد هذا أقص عليك قصصا جرى فى أيامنا وهو خبر (فون شونبرج) ومحبوبته (ستو ستود) . قال فما خبرها ؟ قلت عكسى فى أيامنا هذه أن (شونبرج) منذ ثلاث سنين من تأليف هذه المقالة أثناء طبع هذه السورة ذهب إلى (نيويورك) بالممالك المتحدة فبينما هو سائر فى المدينة إذ رأى صورة فنانة من الصور التى توضع على الحائط عادة فى جميع العالم . وكانت هذه الصورة فى معرض الصور ثما وقمت عينه على هذه الصورة اللينة حتى ذهل لمرآها وتعجب من جمالها ، وهو رجل عنده لقب (كونت) ومثل هذا لا نرى . يشغله عن المناظر لكثرة المال عنده ولم يجد دليلا يدل على اسمها ولا صنتها ولا أحوالها فأخذ يضرب فى الأرض شرقا وغربا وهذه الصورة لا تفارقه فى جميع أحواله ، وبينما هو مرة فى (برلين) بألمانيا إذ رأى نفس الصورة التى كان رآها فى (مدينة نيويورك) فالتهمت الهبة فى قلبه وزاد الغرام والهيام وأنشد قول ابن الفارض :

ما بين معترك الأحداق والمهج أنا القليل بيلا إثم ولا حرج
ودعت قبل الهوى روحى لما شهدت عيناى من حسن ذلك المظهر البهيج

وقد زاد به الغرام واشتد به الهيام حتى صار يفقد ويروح كل صباح على هذا المعرض بـيرلين ويقف أمام الصورة كالعابد أمام محرابه فيقف جامد الحركة لا يسمع له صوت ولا ينس يفت شفة مبهوتا مسحورا متغيرا اللون مشغول اللب ، مكوم الفؤاد . فبينما هو على تلك الحال إذ سمع رجلا يقول : « ما أشبه هذه الصورة بصاحبها » فتقدم إلى التكلم وسأله عن اسمها فقال اسمها (ستوستود) من مدينة نيويورك فأسرع إلى نيويورك وخطبها من أيها فردة أهلها بلطف ، أما هى فلما رأت إلحاحه رحلت من البلاد وفرت إلى أوروبا فسافر هو معها ولم يفارق كل قطار يستقل بها أو بلدة تدخلها أو فندق تأوى إليه أو سفينة تغلق بها وكانت بلادنا المصرية خاتمة اللطاف فقد جمعهما فى النيل زورق وهما قد ذهب معا من أسوان إلى الشلال ، فأما هى فهذا رأيها ، وأما هو فإتما هو تابع لها . هنالك أذن الله للعاشق أن ينال ما يطلب فاضفا معا على الزواج ونال العاشق مراده اه .

فقال : هذه نادرة عجيبة وماذا تريد من هذه القصة ؟ قلت . إن هذا منطبق على هذا النوع الإنسانى مع هذا العالم الجليل وصانعه الحكيم . إن الله فعل مع الناس ما فعله المصورون مع الناس . ألم تر أن الله قد ملأ أرضنا وسماواتنا بالصور الجليلات فى السموس والأقمار والكواكب وكل معدن ونبات وحيوان . ألم تكن الأرض أشبه بما ورد فى الآثار من أن هناك يوم القيامة سوقا تباع فيه الصور . قال نعم . قلت : فهامى ذه

أرضنا سوق تباع فيه الصور. ومن أراد صورة نالها. إن (فون شونبرج) لما رأى الصورة أغرم بها. لماذا؟ لأنها موافقة لمزاجه وقد رأى آلاف من الناس هذه الصورة كل يوم فلم يفرموا بها ولم يبحثوا عنها لأنها لاتناسبهم إذ ليس كل جميل يناسبني ولولا أن هذه الصورة جميلة لم تعلق في ذلك المكان إذن كل صورة هناك جميلة ولكن الطلب راجع إلى الذوق والمناسبة بين العاشق ومعشوقه. هكذا الله سبحانه أبرز صور هذه الدنيا الجميلة لجهنم من مشورة أماننا لمعجبيها ولم يمنعها رقال «هاؤم أقرءوا كتابيه» وانظروا فقرأنا. فكل من أدركت نفسه جمالا في عالم من عوالم المادة بحث فيها واستخرج للناس فوائدها فهذا العالم الذي صنع (زجاج بلاس) وهو الزجاج الحديث القوي للتين. رأى مواده وهو في مصنعه يخطر بباله أن يستخرجه. لأن هذا الجمال ملائم لعقله ولكن الصور الجميلة الإلهية متمعة أكثر من تمنع الفتاة الأمريكية فإذا رأينا هذه الفتاة الأمريكية فرت من وجه عاشرها شرقا وغربا لما أحس قلبها بأنه مخلس وبأن الخلس يستحق تسليم مطلوبه. هكذا الصور التي زوق الله بها المادة والصفات الجميلة المحبوبة فيها، التي تشبه صفات العلم والحلم والإحسان في النفوس الإنسانية فهذه الصور متى طلبها الإنسان يجد وشوق وإخلاص فإن صاحب للعرض وهو الله يعطى هذا الطلب العاشق مطلوبه كما فعلت الفتاة الأمريكية إذ سلمت نفسها لمن أخلص في حبها لأن هذه الفتاة من صنع الله والله هو الذي وهبها الجمال ثم علمها مقابلة الحب بمثله. هكذا أقول وأنا واثق بما أقول. إن هؤلاء العلماء الذين نبغوا في الأرض وأحدثوا فيها انقلابا عظيما كانوا في طلبهم أشبه بهذا الكونت وفعل الله معهم ما فعلته الفتاة الأمريكية مع الكونت العاشق لها « والله للثل الأعلى » « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » وعليه أقول إن أحبابي قراء هذا التفسير ستحدث لكثير منهم شجون وشجون وسيصبح كثير منهم مغرمين عاشقين لهذا الوجود ولهدى العلوم ولرب العلوم وسيعاملهم الله هذه المعاملة عينها وهو لا يعطى إلا العاشق أما المتكلف الذي لم يتغلب تكلفه عشقا فهو من الصالحين لامن الحكام المحققين. وأقول أيضا: وإذا كانت الفتاة الأمريكية وإذا كانت العلوم والمعارف المحبوبة في هذا العالم يحجبها الله عن الناس ولا يعطى بها إلا العاشقون لها الباذلون فيها. هههم المرحون بها المولون. فما بالك بمنزل العلوم وخالق الصور الجميلة. فهو الكبير المتعال، وإذا كان مخلوق الكبير المتعال هذا شأنه فما بالك به. وهو الذي إليه يرجع جميع العالمين.

الاتحاد المادى والمعنوى

(وهذا الأخير قسمان. صناعى وطبيعى. ومعنى السلام على الصالحين في الصلاة)

فلما سمع صاحبي ذلك قال: أود أن تزيدنى في معانى الحب لأن الحب حياة العلوم وكلما زدنا به علما زدنا سعادة فقلت: إن علوم الكيمياء اليوم قد أوضحت أبواب الحب وشرحته وفسرت لنا معنى قول المصلى «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته»، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين». فقال وأنى مناسبة بين الصلاة وبين علم الكيمياء فقلت: رءك الله، ألم تسمع كلام الهيدروجين المتقدم ذكره وإلام يشير؟ ألم تسمعه وهو يتحد تارة بالأوكسجين الذى فى الهواء وتارة بالبيروجين الذى منه؟ فى الأول كان منهما الماء وفى الثانى كان منهما النشادر، وبالماء حياة كل حى، وبالنشادر مع مواد أخرى سعاد مزارعنا. فقال ما سمعت من الهيدروجين شيئا. فقلت: إن الأدرجين لما أحرق فى الهواء ورأى حبيبه وهو الأوكسجين انطلق إليه حالا وعانقه وقال:

قل فؤادك ما استطعت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

وقال: أما من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتنا أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

فهو عاشق للاكسجين وليس عاشقا تمام العشق للنتروجين فاحتاج في الاتحاد مع الثاني إلى أحوال خاصة
أما مع الأول فكان مسرعا إليه . ثم إنى فهمت من هذا الاتحاد وأمثاله أن الاتحاد على (ضريين) اتحاد
جسمي واتحاد روحي . والاتحاد الروحي أو العنوي على ضريين أيضا : اتحاد طبيعي واتحاد صناعي . أما
الاتحاد الجسمي فهو ما نراه في المادة من اتحاد الهيدروجين والأكسجين ثم اتحادهما بالنتروجين أي الأروت
وكانت ذرات الغذاء والماء الداخلات في أجسام النبات والحيوان إليها بالاتحاد كان منها هذه العوامل كلها .

ومن عجب أن يكون هذا العالم يسعى لهذا الاتحاد . أما الاتحاد العنوي أو الروحي الطبيعي فهو اتحاد الصور
العلمية بالأنفس الإنسانية فإن هذه النفوس لما نزلت إلى الأرض لم يكن عندها علم ولا حكمة بل كانت غفلا
ساذجة فأنى إليها العلم من الحواس ومن العقل ، وما العلم إلا صور معنوية . فهذه الصور أتحدت بهذه النفس
كما اتحاد الأكسجين بالهيدروجين فتكون الماء . هكذا هذه الصور المرئية والشموعة والشمومة والدوقة
كلها قد أتحدت بهذه الأرواح ففعلت بها ما فعلته الأغذية بالأجسام العضوية ، فالجسم لم يكن حسا إلا باتحاد
العناصر الداخلة فيها اتحاد الأكسجين مع النتروجين . هكذا الروح لم تتم ولم تكتمل إلا باتحادها مع الصور
التي وردت لها من الحواس فيها تمت وبها عقلت . فكما رأينا أن الطفل في أول أمره وهو جنين في رحم
(انظره في سورة طه عند قوله تعالى « قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » لم يكن إلا بيضة
لأراها العين في الرحم ثم تغذى بماء الحيض وأخذ ينمو شيئا فشيئا ومر على أدوار مختلفة ، هكذا كان إدراكه
أشبه بهذه البيضة الصغيرة ثم أخذ ينمو بما برد إليه من الصور الواردة من الحواس فإذا كنا نرى أن البيضة
الأولى في الرحم أصبحت لا تنفصل عن المواد التي وردت لها وأتحدت بها هكذا هذه الروح الإنسانية أصبحت
لا تنفصل عن معارفها . فقال لى هذا القول لادليل عليه فإننا نسمى ما عرفنا وإذا كبرنا أصبحنا نعرف بما
لانعرف . فقلت له : الاتحاد باقى كما هو فى حال النسيان وفى حال الهرم ، وغاية الأمر إنه أصبح مريضا
فى عقله كما أنه مريض فى جسمه فإذا كان اتحاد الجسم لم يبطل بمرضه هكذا اتحاد النفس بالصور لم يبطل
بمرضها ، وأيضاً : يقال إن كل ما عرفناه مخزون فى نفوسنا مهما طال عليه الأمد فهو أثبت من الأحوال
للادية ألا ترى أننا إذا رأينا ذاتا جميلة ثم مرت عليها سنون فمرضت أو ماتت فإنها فى عقولنا محفوظة لم
تتغير فالعلافة استدلووا بهذا على أن نفوسنا أصون للصور وأوعى لها من المادة وأحفظ لبقائها ونعموم أن الناس
فى أحوال المرض يتذكرون أمورا قد نسوها فى حال الصحة فهذا دليل على أن النسيان ليس معناه أن
الصورة قد زالت . كلا . بل معناه أنها مغطاة عن الذاكرة لمرض عرض لها ، إذن عندنا اتحاد جسمي
مادى وهو للشاهد واتحاد روحي أو معنوي وهو ما نحس به فى نفوسنا وهذا هو الاتحاد الطبيعي .

أما الاتحاد الروحي أو العنوي الصناعى فهو اتحاد رجال الحكومات والشركات ووضع النظم فى الأرض
واتحاد الجمهوريات والمجالس النيابية ، فهذه كلها اتحاد صناعي ، فهم يعملون للدولة وللحكومة ولكن
الشهوات غالبية على كل واحد منهم فليس اتحادهم كاتحاد الأكسجين بالهيدروجين ولا كاتحاد الصور بالأنفس
الإنسانية .

والعالم الذى نحن فيه لاتنال فيه نعمة إلا بالاتحاد؛ فلولا اتحاد عناصر أجسامنا بعضها ولولا اتحاد
الصور بأرواحنا ما كانت أجسام ولا كانت مدنية وحياة، إذن الاتحاد بجميع أنواعه هو الذى عليه نظام هذا
الوجود ، والذى عرفنا قيمته جهرة هو علم الكيمياء وهو العلم الشريف البهيج الجميل .

قال صاحب هذا موضوع يرجع إلى الفلسفة والحقائق وما نتيجته عملاً ؟ قلت الآن وصلنا إلى ما قصد
إن نتيجة هذا الموضوع أن هذه العقول الإنسانية إلى الآن لم تتعد اتحاداً طبيعياً ولا صناعياً فهم أشبه
بمناصر متفرقة قليلة الفائدة والمائدة إن أهل الأرض اليوم لا يزالون في حال الطفولة والمرهقة ولم يزالوا
في مبدأ أمر الحياة . إن الله حكيم على هذا النوع الإنساني أن لا يرتقي مرتبة إلا إذا ارتقى إليها بنفسه ولم يأت
لهم أن يخرجوا من جهنم إلا بأعمالهم الخاصة . والدليل على ذلك أن أهل الأرض لم يطلوا الكهرباء إلا
بعد ما جدوا لها ، ولا أعطوا الحديد ولا النحاس إلا بعد ما بحثوا عنها . ألم تر إلى قوله تعالى « وأن ليس
للإنسان إلا مسمى ؛ وأن سعيه سوف يرى » فمن ظن أن سعى الإنسان خاص بالأعمال الصالحة الفردية
قد ضل وغوى .

أيها الحكيم . إن كتابي هذا ليس خاصاً بالمسلمين . إن كتاب الله عز وجل لم ينزل للمسلمين وحدهم .
إن كتاب الله للعالم قاطبة لأن قوله عام لم يختص بأمة دون أمة . فالمفسر يجب عليه أن يوجه اهتمامه
للعالم كله وهما أنا إذا أجدني مسوقاً لهذا المعنى . أجد قلمي ولساني وقلبي يتساقطون إلى فهم النظام العام ومخاطبة
الأمم كلها . إن كتاب الله لسائر الأمم فلا يجعل كلامي للمصالح العامة الإنسانية . وإذا كنت منذ (١٨) سنة
ألفت كتاب [ابن الإنسان] ومخاطبت الأمم كلها وأنا عبد من عباد الله فما بالك بما أكتبه في تفسير كلام الله ،
ففي هذا التفسير أخاطب الأمم كلها من باب أولى والله هو الملهم والله هو اللتولى أمور الناس عامة وخاصة وهو
الذي يعلم نتيجة هذا وليس على إلا أن أسطر ما امتلأت به نفسي وبرز على قلمي وعلى لساني فذلك أخاطب الأمم
الإنسانية في هذا التفسير فأقول :

أيها الأمم الإنسانية : أنتم قد دخلت من قبلكم أمم فسرت في الأرض فنظرت كيف كان عاقبتهم : كان
الأولون من نوع الإنسان لا يعرفون من العلم إلا أن يستعملوا الحجارة في أدواتهم ، فأنهم لم يكلفهم بأكثر من
هذا ثم جاء العصر البرنزي والحديدي ثم البخاري والكهرباء ولم يرد أن يعطيهم شيئاً من ذلك إلا بمجهد
واجتهادهم ، إذن ثبت بالفعل هنا (أمران : الأول) أن الحضارة مقلدة أمام الإنسان (الثاني) إن هذه
الحضارة لا تفتح إلا بمجهدنا . ثم يظهر لي أن للأرض مستقبلاً يكون الناس فيه سعداء . ذلك هو اليوم الذي ورد
في القرآن « حتى تضع الحرب أوزارها » فهناك يوم يسبح الناس فيه إخواناً في الحياة متحدتين اتحاداً
كاتحاد الأوكسجين والادروجين وكاتحاد الصور للمتزجة بأرواحنا ذلك يوم تكون فيه الإنسانية في الدنيا
كأنها في جنة ، فالجنة للصالحين جد للوث ويوم القيامة لا متزاج أرواحهم واتحادهم في أخلاق وعادات .
والأرض تكون فيها سعادة نسية لأهل الأرض .

أيها الأمم : إن هذه الأرض لم تحظ قبل اليوم بانكشاف الحقائق وإطلاع العربي على ما عند الشرق
وبالعكس حاصل ولم تكن هناك مواصلات ولا معاديات على بعد مثل ما هو اليوم .

أيها الأمم إن النبي صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء وهو نبي جبهة بالسلام العام . نعم هو استعمل الحرب
مؤقتاً في الزمان الذي كان الإنسان مضطراً إليها فيه . ولكن الإسلام يسمى من جهة أخرى إلى السلام العام
ويود الإسلام أن الأمم كلها تكون على وتيرة واحدة في الارتقاء والأعمال العامة كما قال علماؤنا (لا يبقى
في الأرض إلا مسلم أو مسلمة) .

إن أهل هذه الأرض قد آن لهم أن يعملوا بما كتبت في كتابي [ابن الإنسان] بحيث يتم كل امرئ
ما قدر عليه ولا تندرون فرداً ولا أمة بلا تعليم ولا تندرون أرضاً ولا هواء ولا ماء ولا ضوء بلا بحث لاستخراج منافعه
ولن تتألموا هذه النعم إلا بتعليم جميع الأمم وجميع الأفراد تعليماً على مقدار الاستعداد . إن الاستعداد في الأرض
موضوع فيها بقدر وعلى مقتضى سعادة أهلها فلنقص عنه نقص في السعادة .

أيها الأمم إنكم كنتم أضلكم ورجستم وارتبتم وغرتمكم الأمان . أنتم أممكم العلم والعمل وأمامكم أرض الله الواسعة . لتنظر في الإنسانية اخاضرة . إن الأمم القديمة لم يفتح لها ما فتح لنا . إن العلوم قد فتحت أبوابها وللاذات أخذت تتاديبكم أن هلموا إلى والسعادة أصبحت على الأبواب ، تقولون نحن كشفنا . نعم كشفتم ولكن كشفتم جزءا من آلاف الآلاف . إنكم اتبعت خطوات الحيوان في كشفكم كما تقدم (في سورة طه عند قوله تعالى « قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ») ولكن لم تلاحظوا شأوه .

ألم تدرسوا المرجان وجزائره ألم تنظروا بأعينكم (انظرها مصورة في سورة الفرقان عند آية « وهو الذي مرج البحرين ») هل أتخدمكم كما أتخدم المرجان . لا . لا أنتم قلتمتم الخلل في خزبه والنعكبات في صيده والفاؤرة في جبال الأنهار للنازل ولم تتجاوزوا أعمال الخلل في استخدام الأسرى وفانكم حيوان المرجان . ذلكم الحيوان الذي أخذ للادة السكسية التي في ماء البحار وحوولها إلى هيئة أشجار ثم هيئة جزائر وتلك الجزائر تعد بالآلاف تنبت فيها النباتات وتعيش فيها الحيوانات آمنة مطمئنة فلما لكم عن عمله مقصرين تصمد الأمة منكم إلى أمة أخرى فهجم عليها فتأكل خيراتها وقد علمكم التاريخ أن من انكسر على غيره في إصلاح نفسه أو جلب طعامه كان ذلك سببا في ضعف نفسه جسما وعقلا ثم يكون الانقراض .

أتخدم حيوان المرجان ففتن في صنعه حتى كون جزائر وتلك الجزائر كانت سببا في الحياة للأمم وأمم من الحيوان تعيش في أمن وسلام .

أنالست أقول إن هذه الأجيال تستطيع ذلك . إن علومها ومعارفها وقلة عددها لن تسمح لها بإحداث قارات جديدة في البحر . ولكن لتنظر أمة الأرض الآن في الأرض التي نسكنها الآن . اللهم إني أقول ما أهتمنيه وأنت شهيد وأنت المهيم على الأمم وعلى الأفراد .

إني أضرب لكم مثلا بما في هذه الأرض . إن مساحة الجزائر الهندية الشرقية التي تحكمها (هولانده) وحدها بقطع النظر عن الباقي مليون وتسعمائة ألف كيلو متر مربع أو (٧٣٣) ألف ميل مربع وهو يعادل مساحة بريطانيا العظمى وفرنسا وألمانيا وبلجيكا وهولندا وسويسرى والنرويج والسويد . وبعبارة أخرى : يساوي نصف مساحة أوروبا تقريبا من غير روسيا .

فلتنظر إلى السكان فإننا نجد جزيرة جاوة وجزيرة مدورا وهما من تلك الجزائر نحو (٣٦) مليون نفس و ٤٠٠ ألف نفس تقريبا ومساحتهما معا نحو (١٣١) ألف كيلو مترا أي (٥٠) ألف ميل تقريبا ، وتعاادل مساحة انكترا بدون اسكتلندا وويلز وارلندا . وسكان سومطرة (٦) مليون وربع مليون تقريبا مع أن مساحتها (٤٢٠) ألف كيلو مترا أي (١٦٣) ألف ميل مربع فهي أكبر من مساحة بريطانيا العظمى .

فأنا لأطيل في سرد الأمثلة ، فإذا كانت (سومطرة) بمقدار جاوة في المساحة نحو ثلاث مرات ولكن سكانها أقل منها ست مرات فعناه أنها تسع نحو مائة مليون نفس . وإذا كانت جزائر الهند الشرقية التابعة لهولندا وحدها مساحتها بمقدار مساحة نصف أوروبا تقريبا وسكانها مائة (٥١) مليوناً من النفوس والأرض خصبة والمناخ أرقى من مناخ أوروبا لأنه عند خط الاستواء ، وخط الاستواء مهد الجنس البشرى كما قيل (وهو مهبط البركات ومعدن النعم الإلهية التي يلقيها الله بأشعة شمسه على الأرض) فهذا معناه أن هذا النوع الإنساني الآن لم يزل طفلا قد عطل أرضه وتقاتل في أرض ضيقة متبعا خطوات الجهالة كما قال تعالى « قتل الإنسان ما أكرهه - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا » فالإنسان لم يؤمن على الأمانة التي سلمت له وهي هذه النعم . إن جزائر الهند الشرقية التي أعدها مثلا تمتد من آسيا إلى استراليا بين درجة (٩٥) ودرجة (١٤١)

نظام أرضكم هذه والاتحاد في تعبيرها ، فإذا ظهر فيكم هؤلاء الرجال عرقت جميعا أن الإنسان محتاج إلى الإنسان وأنهم جميعا يكونون أشبه بأعضاء جسم واحد فيما تقدم أو بصور عملية في نفس واحدة .

فإذا قال المسلم « اهدنا الصراط للسقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم » فليعلم المسلم وغير المسلم أن من كانوا متعاونين مخلصين من أهل الأرض وهم خلاصتها فإن هؤلاء يكونون في العالم الأخرى أو في عالم الأرواح أشبه بنفس واحدة ففكر الواحد ففكر الجميع ولهم هناك نتائج لانعاشها وهكذا أهل هذه الدنيا في مستقبل الزمان حين يسكنون وتممر أرضهم ويكونون كأنهم رجل واحد أو نفس واحدة ، فهؤلاء حتما منعم عليهم كأهل الآخرة الصالحين ولذلك يقول الله في أهل الجنة « ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين » .

فالأرواح العالية آراؤها كلها رأى واحد فإبراه أحدها يراه الآخر فإذا ارتقى أهل الأرض وكانوا هكذا فيها بعد أجيال وأجيال ، فهم أيضا غير مغضوب عليهم لأن هذا مطلوب الإسلام لأنهم على صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض .

ألا هل أذكرك بحياة الخلية الواحدة في العالم الحي فقال : ما معنى هذا . فقلت : قد كشف للناس بسبب اختراع للنظار للكبر أن أنسجة الجسم مركبة من خلايا . قال نعم هذا معروف . قلت . وكاشف هذا أمثال (شون) و (شليدن) و (فيرشو) وذلك أن كل حي يبدأ حياته بهيئة خلية وهذه الخلية تنقسم ويستمر الانقسام وهذه الخلايا تنقسم أنفسها أفساما كبيرة وتجعل لكل قسم عمله الخاص به فمن هنا كانت الأعضاء والأجهزة المختلفة فانتظم المجموع مع أن لكل خلية حياتها المستقلة وهذا هو تفسير نظرية الحب . فكل من الحبيبين يود الاتحاد بالأخر ليحس بالسعادة بذلك الاتصال . فهاها ظهر الأمر . كل خلية في كبد أو أمعاء أو معدة مستقلة في حياتها منضمة إلى غيرها فرحة بذلك وكل عضو كالسكبد والقلب عنده هذا البدأ مستقل في عمله فرح بالاشتراك مع غيره لتكتمل حياة المجموع ، وهذا بينه هو سياسة الأمم في المستقبل ، يسعد كل فرد باستقلاله وحياته وهو فرح باندماجه في جماعة والجماعة فرحة لانضمامها للأمم الأخرى . هذه هي الإنسانية المستقبلية أما الإنسان الحالي فهو طفل لم يعرف شيئا من ذلك وسيصل لهذه الرتبة في مستقبل الزمان والأرواح التي تخرج من الدنيا الآن وهي غير مستعدة لهذا الاتحاد مع غيرها تسكون أقرب إلى جهنم والعكس بالعكس .

فذا سمع صاحبي ذلك قال : وهل قول المسلم « صراط الذين أنعمت عليهم » معناه ذلك ؟ قلت . أليس تعلم أن النعم عليهم هم الصديقون والشهداء والصالحون الخ ؟ قال بلى . قلت : أليس هؤلاء يسعون لسعادة الأمم ؟ قال بلى . قلت : أليس العالم أو الملك تسكون منزلته على مقدار ما أسدى من العروف للإنسانية ؟ قال للمسلمين قلت . كلا . إن الأمم الإسلامية واجب عليها أن تحافظ على من تحمك من الأمم وعلى من تسلم أو تعاهد وهكذا . إذن نحن جئنا لمنفعة الإنسانية كلها . قال نعم . قلت ثم الإنسانية كلما كانت أكثر تضامنا كان أفرادها أوفر سعادة فإذا سلطنا فرضا أن منفعة السلم والصالح إنما تسكون للمسلم أولم يدخل في سلطانه فإن هؤلاء تسكون سعادتهم أوفر إذا اتحد نوع الإنسان كله ، وعليه يكون قول المسلم « صراط الذين أنعمت عليهم » له حال أرقى أحواله وهو وفرة المنافع بكثرة العقول المتحددة لتتفع العام وذلك بأهل هذه الكرة ، كيف لا وقد رأينا أن مخترعي الآلات البخارية بجميع أنواعها والكهربائية وصانع الآلة الحاكية (المنوغراف) والتلفراف الذي له سلك والذي لا سلك له والطائرات والبالونات لم يقتصر نعمتهم على أهمهم بل عموا بنفعهم الأمم كلها ونحن منهم . فإذا كان العمل من قوم لم يقولوا « الحمد لله رب العالمين » ولم يقولوا :

«اهدنا الصراط المستقيم الخ» أى إنهم لم يوجهوا وجوههم قبل العالم كله فى دينهم وقد نعمونا ونحن نقول : إن الله محمود لأنه يرزى العالمين لالسليين وحدهم ونطلب من الله أن يهدينا صراطه المستقيم الذى به نظم السموات والأرض المبر عنه بالعالمين ، فلا معنى لهديتنا لذلك إلا بأن توجه قلوبنا للنفائع العامة لأن هذه صفته هو الذى حمده عليها والى طلبنا الوصول إليها . وكلما كان النفع للناس فى الدنيا أشمل كان الارتقاء فى الآخرة أكثر فإذا طلبنا فى صلاتنا أن نكون مثل الأنبياء والصالحين فى عمل الخير لئلا نلقى به فى الآخرة فسكنا له أن يعم نعمنا الأمم كلها ، وإذا مررنا بجميع الناس على فعل الخير فى الدنيا كان هذا اللسان عدة لهم يوم الدين . إذن أفضل أحوال المسلم أن يكون فى الأرض مع إنسانية سعيدة فى الأرض كلها حتى يكون ذلك أسعد له فى الآخرة وهذا أفضل من السعادة الفاصرة على أمة أو على أمة . فلا كمال فى الآخرة إلا بعد الكمال فى الدنيا ولا نجمة هناك إلا بما غرس هنا « والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » .

فيا أيها المسلمون : إذا نحن طلبنا من الأمم كلها أن يتحدوا للنفائع العامة وأتم «خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» فقولوا وخبروني أيها المسلمون هذه أمم الأرض الآن لأنهم بالمعروف ولا تنهى عن المنكر وأضرب لكم مثلا :

هذه الأيام أيام انقلاب وقد كانت أمم الشرق كلها غافلة نائمة وكان للفرنجة سفراء فى بلاد الإسلام وهؤلاء السفراء كانوا يتبارون فى التقرب من ملوك الشرق ومعهم نساؤهم وملوك الشرق يكرمون الضيوف فأعطوهم امتيازاً فى بلادهم كما هو شأنهم فى إكرام الضيوف . فماذا جرى ؟ أخذ الشرق يضعف وأخذ الغرب يقوى . أصبح الامتياز مهلكة للبلاد وإذلالاً لهم . فمض الشرق اليوم نهضة الآساد ومنعوانك الامتيازات كأهل إيران والترك والصين واليابان . إنما الأمر المحزن اللؤلؤم أن هذه الأمم لم تتنازل عن الامتيازات إلا بعد السيف وليس هناك للإنسانية نصيب وقد بقيت مصر وفيها امتيازات للأجانب وقد كانت تابعة لدولة الترك ولكن الترك منعوا ذلك الامتياز ولم يبق بلدها امتياز مثل مصر ، ومصر جيشها ضعيف لأن الإنجليز منعوا أن تنظم جيشها ، فبقيت الامتيازات ظلما فى البلاد فلم نجد هذه الدول نهى بعضها بعضا عن هذا الظلم . إذن المدينة الحاضرة داخلة فى قوله تعالى « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » .

ولقد جاء فى كلام (اللورد أوبرى) الإنجليزى نقلا عن عالم يابانى ما ملخصه : « إن أوروبا لما كنا نابغين فى العلوم صمونا نصف متمدنين ، ولكن لما قتلنا منهم مئات الألوف وأرسلناهم إلى عالم الآخرة اعتبرونا متمدنين » إذن المدينة الحاضرة ناقصة وأهلها ليسوا شهداء على الناس . إن الأمم للمستعمرة جميعها قد حتمت أن تنشر الجهل بين من يحكمهم من المسلمين ، فالجهل هو الذى أهلك المسلمين وأذلهم . إن هذه الأمم وهم بهذه الحال لا يصلحون لإسعاد أهل الأرض ، وكيف يصلحون لذلك وهم لا يعرفون للصحة العامة ولن يصلح هذا النوع الإنسانى مطلقا لرقى النوع الإنسانى إلا إذا كانوا جميعا مثل الشهم للنصف الإنجليزى وهو (الستر بلانت) فإنه ألقى خطابا فى بلاده نهى فيه قومه عن احتلال بلادنا المصرية واعتبر هذا عسفا وظلما ، وخاطب رئيس الحزب الوطنى المصرى بما معناه :

إنكم يا أهل مصر تريدون أن نعطيكم استقلالاً ، فاعلموا أن الأمم الأوروبية لا تعطى إلا مكرهة ، ولا يمنحها عن ظلم الأمم إلا السلاح ، أما إعطاء الاستقلال بلا سلاح فهذا مستحيل ، إن من يفرمكم بأنكم ستأولون استقلالاً بغير هذه الطريقة فلا تصدقوه .

هذا غوى خطابه والسيو (بلانت) هذا رجل حر مخلص للإنسانية وهذه شجاعته منه ونزعة شريفة ولعمري لن يكون نوع الإنسان سعيدا إلا إذا كان كله على أخلاق كاخلاق هذا الإنجليزى .

فعلى المسلمين أن يتعلموا علوم الأمم كلها وأن يساووهم ثم ليكونوا عوناً للأمم الأرض كلها . إنهم وسط بين الأمم وهم كالمخ في الطعام ، فليمنعوا الأقوياء عن الضعفاء ، هالك فقط يكونون خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وبهذا يسعد نوع الإنسان .

أيتها الأمم الإسلامية وغير الإسلامية . أتسبقكم (الأرض) التي شرحتها في سورة النمل وسورة سبأ ، تلك الممالك العظيمة من هذه الحشرة العمياء التي تبنى مدناً عظيمة تمتد أميالاً وأميالاً وترتفع (٨) أمتار فوق الأرض وهذه الحشرة العمياء تقوم بنظام عملها بخاية الدقة والأوامر مطاعة من ملكتها ، لو عدت هذه الحشرات في المملكة الواحدة منها لزادت عن نوع الإنسان ، فهل يحجم نوع الإنسان عن تكوين مملكة كملكها ؟ وهذا حيوان المرجان الذي قدمت ذكره هنا وقلت إنه أوجد في البحر جزائر ، فهل عجز الناس أن يتحدوا ويأتوا بالمعجائب . وكيف يتحد المرجان في البحر والأرض في البر مع أن عدد الإنسان على الأرض ضئيل بالنسبة لعدد الحشرات في هذه الممالك .

إن الإنسان في المستقبل سيصل لغاية مجهاها الإنسان الحاضر . إن الشمس لا تهدأ في جريها وكذلك القمر والنجوم نشاط مستمر والبحر لا يهدأ ولا يسكن وفي الطبيعة نشاط مستمر عجيب . فسبحانك اللهم تراك حولت الماء في القطبين أرضاً واسعة ثلجية وخلقت من الماء جبالاً ثلجية عظيمة تعوم على وجه البحر وعلت الناس طريقة بها حولوا البيروجين الذي هو أحد عنصرى الهواء . فحولوه مع الأدرجين إلى النشادر وهو قد دخل في سماد الأرض وفي الفرقعات فتارة يكون مهلكاً الأرض وتارة يكون منبياً للزراع في أنحاء الكرة الأرضية .

الهواء صار أجساماً جامدة والماء حوله المرجان أى حول مافيه من اللواد إلى آلاف من الجزائر العامرة فهل عجز الانسان عن الأمرين ؟ : الاتحاد العام كاتحاد المرجان والأرض وإيجاد جزائر في البحر عند الاضطراب نعم الانسان اليوم طفل والطفل انما يفرح بالفرقعات فهم قد ألهموا اليوم صنع الفرقعات لأهم أطفال . فأما غدا فيسكثر نوع الانسان ويكونون أعلم من هذه الأجيال وحينئذ يفهمون روح هذا الوجود ويعقلون قيمة الشمس والقمر والسكواكب وكيف ركبت فيهم عقول قادرة على الإبداع وإسعاد أهل الأرض « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » ومق جاء ذلك اليوم أى يوم الاتحاد العام يظهر معنى حديث البخارى الذى يفيدنا أن الرجل يأخذ الصدقة فلا يجد من يأخذها . إذن ذلك يوم يستخرج فيه من الأرض منافعها ومن العقول مواهبها . ذلك هو اليوم الذى يكون للسلمون فيه شهداء على الناس لأن أهل الأرض اليوم عن هذه الرتبة قاصرون . انتهى ليلة الأحد بعد نصف الليل في ١٣ يناير سنة ١٩٢٩ م .

ضوء الجوهرة

وعدنا الله أن يرينا الآيات « ولن يخلف الله وعده - إن الله لا يخلف اليعاد » . أنت وعدتنا يا الله أن ترينا آياتك ، وآياتك هي التي ذكرتها فقلت : « سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » وقلت « ولقد أريناهم آياتنا كلها فكذب وأبى » وقلت « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون » وأنت ترينا الآيات في خلقك من شمس وقمر وكوكب وأرض وما عليها من نبات وحيوان ومعادن ، أنت ترينا والأنبياء برونا « فأراه الآية الكبرى » والطيور ترينا فقد جاء في التراب « ليريه كيف يوارى سواة أخيه » .

اللهم إن كل شيء في مخلوقاتك يرينا ، هدا وبيننا أنا أكتب هدا ؟ إذ حضر صديق العالم وقال : ماذا تريد أن تكتب بعد ما جاء في هذا التفسير من هذه الله أني ؟ إن هذا المعنى قد تكرر في كل مناسبة فقلت لا مكرر في هذا . ألا ترى رعاك الله أن هذه ألوان الكلام وفنون العلم وأصناف المعرفة ، ومن عادة النفس أن تحب التنفن في الأساليب كما تحب شهوة الطعام الذمى في المآكل وتحب الدين أفانين الصور والأذن أنواع السمات . إن النفس أشوق إلى هذه الأفانين ولكل وقت فن وفيض خاص وإبداع ومناسبة . فقال فماذا الآن ؟ قلت : إن الله يقول « -يرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ويقول أيضا « وقل الحمد لله سيريك آياته فتعرفونها » .

اعلم أيها الذكي أن أصل كل تلك المعارف إنما يقصد بها نفوسنا ، فلنبحث في أمر هذه النفوس وقواها فهي عندي أصل الحكمة ، وأصل العسمة ، وأصل الإبداع في الدنيا : انظر قواها . إن لها أفانين من المراتز وأنواعا من المواطف . وعادة الناس أن يعجبوا من الطير ومن الأنعام ومن السكواكب . أما أنا في هذه الساعة فسكأتني منصرف عن نفسي وكأني أمي أشرحها شرحا جميلا . أرى نفسي يجوزها الطعام والشراب والكساء والزوج والعلم . لم هذا ؟ إنما حدث هذا لأن الله يرينا أنه لا معنى لشهوة الطعام والشراب ولا شهوة النساء ولا لمداومة المدو إلا للعلم . فكل ما في وجودنا لا يراد منه إلا العلم حتى العبادة هي ممران النفس لتستقر على حال وتحصل لها ملكة ثبت عليها من الأخلاق أو العلم . قال أوضح هذا المقام إذا شئت فقلت : إن الله أحوجنا للطعام والشراب ودفع نفوسنا إلى طلبهما وركب فينا شهوة لتقبل الطعام وهذا مبدأ أول من مبادئ العلم لأن الحواس أخذت تهم وعجز الحلو من الملح والحامض . فهذه مبادئ العلم وهكذا يمتز الماء المذب من الملح . كل ذلك مبادئ العلم فان إحساس الحواس مبدأ العلوم . فقال لاشك في ذلك فقلت وقد علمت فيما تقدم في هذا التفسير كيف كانت جميع ما كنا وما كل حيواننا عبارة عن مواد محرقة فانظر لطعام حي . به لغدائنا لنبقى كيف آل الأمر فيه إلى أن تنهت فينا قوة العقل فأصبحت - بعد أن كانت خامدة - نارا متأججة تنقب وتبحث .

سبحانك اللهم أنك كون شهوة الطعام والشراب ولذة الوقوع وحب الانتقام من الأعداء هذه كلها للعلم في الحقيقة . أليس من العجيب أن دراسة طعامنا تنتهي بأن نرى - كما تقدم - أن للملح ما هو إلا الصوديوم والكلور وكلاهما مادة مهلكة . فالصوديوم يخرق إذا تعرض للهواء والكلور يدخل في الغازات الحافقة والمواد المهلكة كما أنه قاتل للحيوانات الدرية المهلكة لسوء الإنسان .

هذا الملح وحده مثال من بقية الأغذية في أنه أرى العقول الإنسانية أنه من مواد مهلكة تزجي سحبابا من النار على الجيوش فتهلكهم . إن النفس الإنسانية تدهش وتعجب من هذه العجائب في نفوسنا إذ ذلك ترى عظمة لاحد لها وتمشق الحكمة والعلم ويحول عنها الجول ، فتكون دراسة هذه العجائب موقظت للنفوس وكأن هذه الدراسة تيار كهربائي سلط على النفس فيز قواها ، كما أن (الكهرباء) تحلل بطريق خاص ؛ العناصر : وكما أن للملح بافصال كل من الكلور والصوديوم وحده تظهر قواها وعند الاجتماع تكون لهم قوة غير قوتها الأصلية هكذا هذا الإنسان مادام لم يعرف العلم تبقى نفسه جامدة ملة لا اشتراكها مع القوة النفسية والقوة الشهوية فإذا اطلعت على العجائب أخذت تتعالى وترفع عن القوتين الآخرين وتتمسح بأنفها وترتقي وترجع إلى عالمها العالي وهو عالم الفكر كما يرجع الصوديوم إلى حاله النارية إذا وضع في الهواء فان الصوديوم كانت محبوبة في الملح فأنارها انفصل الصوديوم من الكلور . هكذا غريزة حب الاستطلاع وتأجج نيران النفس تظهر أم ظهور متى اغترفت النفس من ينابيع الحكمة لأنها ذات ومن

ذاق عرف، وقبل أن تذوق كانت خامدة لجميع النامة من سائر الأمم بأكون الملح وأمثاله ولا يحترق أحد منهم بحكته وعلمه. فاما الذين أدركوا نظام الملح وأمثاله فأولئك تتأجج في قلوبهم نار القرام بالحكمة والعلم ويقولون إذن: نحن نأكل نارا منطفئة. فالقمح والشعير والذرة وأمثالها فيها (الجير والفضياء وحمض الكبريتيك وحمض الفوسفور والكلور والصوديوم والبوتاسا). وهذه كلها مواد نارية. إذن الجبار القهار قهر هذه العناصر وأخذ ناراها حتى خضعت لنا وأطاعت وأنت صاغرة. هنالك يفهم معنى اسم الله القهار الجبار والتسكير والقابض والذلل والحكم والعدل واللطيف والقيت والواسع والحكيم والقوى اللتين والقاهر القتدر والقسط والشار والنافع، هنالك يفهمون معنى هذه الأسماء، فهو جبار على الكبريت والصوديوم والبوتاسيوم وقوى عليها ومقتدر ومذل فأذلها وأضعفها وأزلها من حرارتها وجعلها منقادة حتى أكلها الإنسان وجعل النار بالإحراق كالصوديوم نافعا في الأغذية بحسن اللطيف في منعه وهو مقسط عدل يجمع العنصرين بأوزان لا تقص فيها ولا زيادة، ولولا ذلك لم تألف وهذه ظاهرة في علم الكيمياء آتم ظهور في جميع مركباتها.

كل هذه المعاني محبوبة في أغذيتنا فهذه الأغذية ظاهرة لإقامة حياتنا مع أن الحياة كان يمكنها أن تقوم بغير هذه المواد ولكنها توقفت عليها لندرسها فلما درسناها أيقظت قوانا العاقلة، وهكذا كل مانعس به من ذل أو عز أو قوة. كل ذلك يستدعي عملا في مادة والعمل فيها يستدعي دراستها ودراستها تفتح للعقل باب النبوغ والحكمة. وهاك أيضا لبعض أسماء الله الحسنى في عناصر الطبيعة أوسع مما تقدم.

قد تقدم في سورة البقرة وغيرها أن النبات مركب من العناصر وما يقرب منها. انظر إلى العناصر الداخلة في القمح وفي القطن وفي البرسيم مما شرحناه في سورة البقرة وفي غيرها فإنك تجد مقادير محدودة لا تزيد شرحها وهذه المقادير قد حُكمت عليها أن لا تزيد ولا تنقص. فهنا يلبس المسلم القطن ويأكل القمح وهو لا يعلم أن الذي ازدرده من الطعام إنما هي كلمات الله بحسمة أو معاني الأسماء مشاهدة. وأنا أقول هذا الآن حقا لا بما يفلة لمخاطب القطن؟ خلق من مواد منها الصوديوم والبوتاسيوم والجير والفضياء الخ.

يلبس الرجل القطن وهو يحول ما يلبس إنه يلبس مواد محرقة ولكن عناية الله قد حلت بهذه المواد فأخذت فصارت ملبسا. الصوديوم محرق وكذلك البوتاسا والجير فتجلى عليها اسم (١) السلام (٢) واللؤلؤن (٣) والجبار (٤) والتسكير. فسلم الرء من نارها. فأمن من عودها فغضت القوة المحرقة. ولا يبرز هذه المعاني لمن ليس أهلا لها (٥) الخالق لأنه قدرها (٦) الباري. لأنه أوجدها (٧) للصور لأنه سور ما خلقه (٨) القهار لأنه ستر هذه العجائب عن الناس وغفر لهم جهلهم كما غفر نحن للأطفال (٩) القهار قهر حمض الكبريتيك وحمض الفوسفوريك فانطعمت الحرارة وتكاملت القوى (١٠) الوهاب: لأنه لما أخضع هذه المواد واكتملت وهبنا لنا (١١) الرزاق فانغمنا بها (١٢) الفتاح: يفتح أبواب العلم فعرفها وأبواب الرزق، لنبيش به (١٣) القابض: قبض نارها فلم يسلفها (١٤) الباسط: بسط لنا الرزق بهذا التدبير (١٥) الجامع: لهذه العناصر بهيئة نظامية بعدل، لأنه (١٦) القسط و (١٧) العدل. وبهذه الخلوقات تكثر خزائمه الناجمة من قدرته، فهو (١٨) غنى و (١٩) معنى لنا بها، وهو (٢٠) مانع ضررها، و (٢١) شار، و (٢٢) نافع. فالضرر بوضعها في غير موضعها كتحلج الطعام إذا كثرت والنفع إذا اعتدل للتعاطي لها (٢٣) الهادي هدى الناس لملها واستعمالها (٢٤) النور: وهذا الاسم هو سر هذه الدنيا لأن القوم علموا أن لكل عنصر من العناصر التي تبلغ نحو (٩٠) نورا خاصا عند احتراقه وقد قابلوا أضواءها كضوء الحديد والحاس والذهب والفضة والصوديوم والبوتاسيوم فوجدوها تختلف اختلافا بينا في أضوائها ثم نظروا في أضواء الكواكب وعشوا فيها فوجدوا مشابهة بين الأنوار الواصلة من السماء وبين الأضواء الناجمة من هذه العناصر كضوء

الحديد والنحاس الخ لاسيما الخطوط المظلمة التي تتخلل تلك الأضواء . فهذه الأحوال تختلف في العناصر عندنا وتختلف في أضواء الكواكب الواصلة إلينا وقد وجدوا أن الأنوار السكوكية تحتوى على أنواع من الأضواء مشابهات لأضواء العناصر عندنا فحسبوا بتركيب تلك الكواكب من عناصر مثل عناصر أرضنا وعليه يكون اسم الله تعالى (النور) هو سر الكون ولذلك سميت سورة باسم النور وقال الله سبحانه « الله نور السموات والأرض » بل ثبت فيما تقدم في تفسير الآية أن أصل العالم نور إذن اسم الله النور هو سر هذه الدنيا لأن عالمنا نفسه نور وثوب القطن الذى كلامنا فيه نور محمد تجلى عليه الله بأسماء أخرى آتية من صفاته فتراكم النور فلبسناه . فالثوب القشيب والثوب الخلق سيان في آسمانور عند العالم ولكن الجاهل لا يرى إلا الظواهر فقد تجلى عليه باسمه (المبت) وعلى العالم باسمه (الهى) وهو قادر ومقتدر بما صنع في الثوب من صناعات مختلفة إذ خلق نساجا وخياطا وهكذا وعلمهم صنائع حتى لبسنا ثوب القطن وهو وال بل أمر الملك ومنه هذا الثوب فقد تولاه بهذه الأعمال مع أنه متعال فليست ولايته بالمشابكة بل هو متعال . هذا وبقية الأسماء ظاهرة منطبقه على هذه الدنيا بأسرها فلا شجر ولا حجر ولا جبل ولا طير إلا وقد دخلتها صناعات وأعاجيب حولها من حال إلى حال وقد تجلى الله عليها بتجليات ظهرت لنا من مبدئها إلى منتهاها . فلابس الثوب وآكل الخبز قد اشتمل عملهما على آثار أسماء الله الحسنى التي دخلت في معاني صفاته . إذن صفات الله تعالى كأن لها أمثلة محسوسة بالبر . فهذه أمثال مضرورية للناس فحتى أشرفت القلوب تجلت لها الأسماء فيما تشاهده في أنفسها وفي الآفاق . وخير معوان لها العلوم الحديثة لاسيما الكيمياء وإلا فما هذا الجمال وما هذا الإبداع . كيف يكون النور هو مبدأ كل شيء ؟ كيف يكون ثوبى وخبرى نورا أو نارا قد حمدا وخمدا . كيف يأكل الناس في الدنيا نارا قد أخذت .

يمثل هذا يفهم الناس قوله تعالى « وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها » وقوله تعالى هنا « ما يفتح الله للناس من رحمة » النع وبهذا يقرب لنا فهم قوله تعالى « هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » .

اختلاف نتائج الطعام في أحوال الناس

أثبت الأستاذ (مكام) بتجاربه على الفيران التي ظهر للعلماء أنها تأكل اللحم والخضر كالإنسان فلها شبه به من حيث التغذية فجعلها العلماء محل تجارب الطعام . فهذا الأستاذ وهو مدرس لعلم الصحة بجامعة (جونز هبكر) قد جعل أربع فيران في ناحية وأربعة في ناحية أخرى فعذى الفريق الأول بالماء والحنطة وغذى الفريق الثانى بنفس الطعام مضافا إليه أوراق لفت أو بنجر فكبر الفريقان وزادت أفراد الفريق الثانى في أحجامها ضعف أقسام الفريق الأول ولم يحصل بينهما فرق إلا في ذلك وهكذا صنع علماء اليابان فقد أخذوا يخذون فريقا من التلاميذ بغذاء أهل اليابان وفريقا آخر بغذاء الأمم البيضاء فزاد الفريق الثانى في الطول صنع بوصات وهكذا في الوزن وهكذا علماء أمريكا جربوا هذه التجارب في التلاميذ بمدينة (بلطيمور) الأمريكية فوصلوا إلى ما وصل إليه علماء اليابان من النتائج : فكانت النتيجة أن الصينيين واليابانيين والكوريين وأهل جاوه وغيرهم من الشعوب إنما قصرت قاماتهم للأغذية التي يتعاطونها بخلاف الشعوب الطويلة القامة فان الأغذية أثرت في أجسامها فطالت وضخمت .

وفضلت هذه التجارب نفسها بواسطة (الكولونيل ماكربسن) من أطباء مصلحة الصحة الهندية إذ

وجد (قبائل السنخ) و (البانان) أكبر من (قبائل المراسي) ونحوهم من الهند ، فوجد الأولين يتناولون الألبان والحضر ونحوهما واللحم ، والآخرون ليسوا كذلك ، فحرب هذه الحال في الفيران كالأستاذ (مكلم) فكانت النتيجة كما تقدم تماما . وهكذا فعل هذا القمل في الجرذان فأطعم طائفة منها طعام فقراء العمال الانكليز وطائفة أخرى طعام اليابانيين . فكانت الفيران التي تناولت طعام الانكليز الفقراء خشنة الجلد مبالغة إلى النزاع والحرب ، والفيران التي تناولت طعام اليابانيين وسكان فيلبين وجاوة صغيرة الأحجام والقامات وظهرت فيها بعض صفات هذه الشعوب .

هكذا رأى العلماء أن مرض (البري بري) يصيب ملايين من سكان الهند والشرق الأقصى على الأخص فبعت منهم نحو مائة ألف كل سنة ، وذلك بسبب أكل الأرز الأبيض للقشور لأن مادة اليتامين لا تكون إلا في الأرز الأسمر ، فالمادة الغذائية إنما تكون في قشرة الأرز ومرض (البلاغرا) يصيب سكان الولايات الجنوبية بالولايات المتحدة الأمريكية وهو يفشو بين القبائل التي يقل الغذاء فيها ، وغالب طعامهم القدره وهي لا تعطى جميع المواد الغذائية فهي قاصرة ، والعين قد تصاب بفشاوة بسبب فقد اليتامين من الطعام وهكذا يحدث مرض الجلد بسبب حذف بعض عناصر الغذاء من الطعام ، وبعض أطباء اليابانيين أحدث قرحا في المعدة على هذه الطريقة ثم شفاها ، ومرض الكساح سببه قلة التغذية وبشفه تناول زيت كبد الحوت وهو المعروف بزيت السمك . انتهى ملخصا من المختطف .

كل هذه العلوم عرفها الإنسان بسبب أن شهوة الطعام أوجبت على الإنسان تعاطي الغذاء وتعاطي الغذاء دعاه للبحث ولما بحث وجد أن اختلاف الغذاء يوجب اختلاف القامة والحلق وهكذا . إذن هذه الأغذية من أعظم المؤثرات في هذا الإنسان .

الثواب والعقاب

إذن ثواب الناس وعقابهم سيكون كنتائج الأغذية فكما أن العقول البشرية لا تتعرض على قصر قامة الياباني لاقتصاره على طعام الأرز ونحوه ولا ترى أن هنالك ظلما في تصور قامة الياباني عن نظيره من أهل الشرق الأدنى والأوروبيين طوال القامات . فالنتائج لها مقدمات ولا غبار على تلك النتائج بعد المقدمات . إذن شهوة الطعام وغيره إنما خلقت في الإنسان لتفتح عين بصيرته . فالجاهل يرى في الطعام لذة في حاسة الذوق ولكن العالم يرتقي للذة العقل فيقول للجهال أنتم تأكلون كما تأكل الأنام لا تعلمون إلا ما نحس به حواسكم . أما أنا فإن عقلي يستلذ بإدراك المعاني المحبوبة في الأغذية والفواكه وينسى الشهوة الصغرى التي اشترك فيها الحيوان والإنسان .

هنالك فتحت للإنسان بصيرته فإذا فعل ؟ عمادى في الكشف والعلم حفر الأرض واستخرج كنوزا وسافر في البر والبحر وفي الطيارات وبحث عن العوالم المخلوقة في القطبين . فقال صاحبي : هذه شهوة البطن لاغير . فتعنت كلا . هي شهوة علمية ، والدليل على ذلك أن الذين توجهوا للقطبين مات كثير منهم ، فهذه شهوة معرفة الحقائق أو الذكر والصيت ونحوها .

نشط الإنسان في زماننا هذا نشاطا لم يعهده ، واختلط الغرب بالشرق وظهرت السكك الحديدية والعلوم المدفونة فالنفود والحلي والحزائن الذهبية والجواهر المحزونة ظهرت في أقطار كثيرة وابدع الناس وانتشروا في الأرض وطاروا في الأقطار بطاراتهم شرقا وغربا وحنوبا وشمالا وسار الإنسان سيرا حثيثا سريعا لاسيما لما ارتقى

الطيران فامتطى الانسان غارب الهواء بالطيارات والبالونات كما امتطى غارب الماء بالمراكب وامتطى صهوات الجياد في القلوات فسافر الناس إلى القطبين في هذه الأيام . كل ذلك سر « ما يفتح الله للناس » الخ .

﴿ وصف مناطق القطبين من حيث علم الفلك ﴾

تلك البلاد التي جعلها الله من أعجب العالم ، سنتها يوم واحد ، فالقطب الشمالي يبتدىء يومه من أول فصل الربيع وينتهي بأخر فصل الصيف وهناك يبتدىء ليله وهكذا القطب الجنوبي يبتدىء يومه في أول فصل الخريف وينتهي في آخر فصل الشتاء ثم يبتدىء نهاره وهكذا . وصفة الشمس هناك أنها تجري جريا رحويا أي كما تدور الرجا فهي تدور حول سكان تلك الأقطار مدة سنة الأشهر كما يدور الثور في الساقية والبقرة في الطاحون ولكنها في أثناء الدوران ترتفع شيئا فشيئا إلى نحو (٢٣) درجة من السماء ثم تهبط راجعة ثم تنيب .

سمى الناس في أيامنا لكشف تلك الأقطار كأنهم قرءوا هذه الآية « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم » وكانهم قرءوا قوله تعالى « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا » فقوله جميعا يراد به أن لا نذر شيئا إلا بعشاء وعرفناه ، فإذا عرف الناس هناك ؟ عرفوا البترول والفحم والحديد والنحاس وغيرها .

إن احتياج الناس للطعام وما يمين عليه أدام إلى كشف الأقطار البعيدة بشغف علمي وقد فهموا من صنع ربهم أنه خلقهم للعلم والعمل وقال لهم ما قاله طارق بن زياد : (العدو من ورائكم والبحر أمامكم) قالها للجيش الإسلامي وهو يخزو بلاد الأندلس ، هكذا الله يقول للناس : ذل الحياة من ورائكم واللوت أمامكم فلا بد من العمل ، فشمروا عن ساعد الجد وكشفوا القطب وكثرت الطيارات وارتقى نوع الانسان ارتقاء نسيبا لكنهم إلى الآن لم يصلوا إلى عشر معشار ما يقدرون عليه لأن أكثر الانسان معطل في هذه الأرض أكثر الناس معطلون ، فكيف من عقول ضاعت لعدم استعمالها فيما خلقت له وهذه الأرض قد مالت خيرات وأهلها لا يزالون أطفالا ، فهذا غزال (الرنة) التي رأيت رسم صورتها في (سورة النور) مع غيرها يعيش في القطب البارد ، وهكذا تلك النباتات التي تعد بالآلاف قد حرم من الانتفاع بها الإنسان وكذا الحديد والنحاس وغيرها هناك ولم يعرفها الناس إلا في زماننا . إذن ابتداء الانسان الآن يتعلم .

هذه بعض الآيات التي أراها الله للناس في هذا الزمان وهي الآيات التي عرفها الناس بسبب احتياجهم للغذاء ونحوه وهي مما فتح الله للناس من الرحمات .

﴿ الآيات التي عرفها الناس في زماننا بسبب قوتهم الغضبية ﴾

اعلم أن الانسان كما عرف عجائب النبات وتركيبه وخواصه ومهلكاته وامتلاء الأقطار النائية به كالقطبين هكذا تراءى عرف بسبب قوته الغضبية علوما أخرى عظيمة . ذلك أنك قرأت فيما تقدم تاريخ المسلمين بالأندلس وبالشرق ، وهكذا تقدم أيضا تاريخ قدماء المصريين فكانت النتيجة أن الترف والعميم هلك الأمم ومعنى هذا أن دولة العباسيين سقطت وذهبت ربحها ومزقت كل ممزق بسبب نظامهم السياسي الذي على أن الملوك هم للتصرفون فاتبعوا الشهوات وأضفوا الأمم الإسلامية وهكذا تبعهم في ذلك سكان الأندلس إذ تفرقوا عشرين دولة وهم بين فسكى الأسد في أوروبا قضموم قضا والنهموم التهاما وأكلوم أكلا . ولقد تقدم واضحا وعرفنا سر تشتت الأمم العربية شرقا وغربا ورجع الأمر إلى التشر والجهل والترف والبطر واتخاذ النساء من أمم أخرى حتى فسدت الدولة وساء للصبر .

نعم نحن رأينا هذا وعرفناه ، إذن فلننب من هذا ولنستغفر الله ولنسر بسيرة غير سيرة آتائنا الأولين قد أيضا الآن (أمرين : الأمر الأول) أن نتائج الأغذية لا تمنح قوة وطولا وضعفا وقصرا هكذا نتائج

الإسراء المستعبدة الناجمة لأهواء الأمراء فإنها مضمحلة ذاهبة إذن قد صدق الله وعده فإنه نظم التاريخ
وخلق المؤرخين فألقوا العلم إلينا وأصبح العلم أماننا والتاريخ محدثنا حديثنا صحيحا عن آباءنا أنهم وضعوا فيها
أخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال في الحديث الصحيح « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم
من زهرة الدنيا الخ » فهذا الحديث قد تم وظهر أن النبوة قد أخبرت بالمستقبل وأخبر صلى الله عليه وسلم بما
وقنا فيه الآن من القلة بسبب فتوح البلدان لآبائنا فاتسكوا على ما بأيديهم ولم يتعلم الشعب كيف تستفيد
الأمم من أرضها وأعمالها وذلك بعض القرون الأولى وهذا قوله تعالى « وسلكتم في مساكن الذين ظلموا
أنفسهم وتبين لكم كيف فعلناهم وضربنا لكم الأمثال ، وقد مكروا مكروهم وعند الله مكروهم وإن كان مكروهم
لنزول منه الجبل . »

إن هذا القول منطبق علينا الآن وإن هذا التفسير قد جمع زبدة هذه للباحث وسيكون والحمد لله لها
آثار قريبة المال هو وأمثاله إن شاء الله تعالى .

فنحن معانسر المسلمين جميعا سكما في مساكن أمم خلت وأكثرها ظلمت أنفسها وعرفنا بالتاريخ (كالتدري
فرأته فيما تقدم عن ابن خلدون وغيره) إنهم كانوا مترفين ظالمين كالعلة وبعضهم من آباءنا العرب
إذن هذا قول الله تعالى « وقل الحمد لله سببكم آياته فتعرفونها » فالآيات قسما : آيات في الأسم
ومنها تاريخ العرب الإسلاميين ومنها عاشوا معهم من المسلمين ، وآيات في الآفاق وهي التي عرفناها في تحميل
الغذاء إلى عناصره وفي عجائب القطبين ونحوهما وفهمنا فهما لاشك فيه أنه لافرق بين كون طعام أهل
اليابان يوجب القصر وغيره يوجب الطول ، وبين كون الترف والتنعم في الأمم يورث زوالها والفضائل
والعدل فيها يورث بقاءها ، إذن العلوم والتاريخ الآن مضبوطات ونتائجها لاشك فيها ، إذن الله أرانا فضلا
آياته فعرفناها وأن حياة الأفراد بالأغذية نتائج تابعة لها كما أن حياة الأمم تبع لأخلاقها الفاضلة وموتها تبع
لحسبها وترفها والله حكيم عليم . لقد علمت يا أمة أمم ممن حولنا تاريخ الأمم فعملت به فاحترست فطالت أيامها
أكثر من طول أيام دول أخرى قديمة . وهذه للباحث بما فتح الله للناس من الرحمات تفسيرا للآية .

(نتائج تعليم الله لنوع الإنسان في هذا الزمان)

اعلم أن نتائج التعليم في العصر الحاضر أن النوع الإنساني قد اعترته حال جديدة زحزحته عن أكثر ماله
من أحوال التعليم ، ثارت ثائرة هذا الإنسان أخذ يسير في الأرض وقد زلزلت زلازلهما وأخرجت أفعالها ففتحت
خزائنها وظهرت كوزها وأخرجت موتها من القبور بأجسامها لا بأرواحها وعرفوا للعادن وأنواع السوائل
المتزوجة في الأرض فاستخرجوها وسارعوها إلى القطبين فرأوا ما لم يره السابقون وأخذوا يستنطقون الأحجار
فنطقت وأخبرتهم بما حل بالفرون السابقة والأمم الخالية وأخذ الناس يسأل بعضهم بعضا ماذا يعمل بآلنا بعد
الآن وأخذوا الناس يركبون الطائرات ، ولا يعضى إلا زمن قليل حتى يركب الناس الطائرات ويكونون في غدوم
ورواحهم كالطيور الصافات . هنالك فقط ينتفعون بنعم هذه الأرض كما انتفعت الطيور برحلة الشتاء والصيف
للكورة في (سورة النور) عند قوله تعالى « والطيور صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه » .

ستكثر الطائرات وتستعمل للأفراد ويشارك الناس الطير في جو السماء فيصير هذا الجسم الثقيل الإنساني
كالطيور ويعجب الأقطار ويقتمح الأسفار وهنالك تحصل لاس حال جديدة إذ تصير جميع الناس في عمل
ويقل السكسل والجهل ويم التعليم . ولا يمشى في هذه المدينة للقبلة إلا للتعلمون تعليما حقيقيا . ولا يكون في
الناس من يكون عالة على غيره إلا الرضى والأطفال . والتعليم يكون عاما بواسطة نفس الأمة . هنالك ترقى
الإنسانية ويكون ذلك حالا نسما التوكل لأن التوكل حق التوكل هو أن يعمل الإنسان كل ما في طاقته

ويترك الامر في نتيجة عمله فله عز وجل . هناك يظهر لنا (معجزتان : الأولى) الحديث الوارد في المسحاح أن الرجل يأتي بصدقة فلا يجد من يأخذها ، وقد ذكر في هذا التفسير سابقا (الثانية) هو قوله صلى الله عليه وسلم «لوتوكلتم على الله حتى توكله لرزقكم كما يرزق الطير تعدو خاصا وروح بطان» فهذا تلويح إلى زماننا هذا إذ يطير الناس كأنطير الطيور في الجو ويجوبون الأقطار . فلا يحضرون في الأمصار كالطيور ، والطيور تجوب وتقطع مهامه لا يعرفها الإنسان ، أذكر كما تقدم في هذا التفسير من أن القوم يبحثون بالطائرات عن قارة مجهولة جهة الأقطار الكهالية لأهم رأوا الطيور ترحل إليها ، فتوكل الطيور هو أجل توكل لأن الطير لا يتشكل بمضه على بعض ، ولكن هذا الإنسان لنفس نظامه تستبد طائفة منه بالثروة وترك الباقين فيقل العلم والصناعة فلذلك ترى هذا الإنسان ناقصا قاصدا فاحشا محزنا مؤلما . فاجتهاد جميع الأفراد كاجتهاد الطيور يرفع الإنسانية رفعة لاحد لها هناك نزول الزكاه كما ورد في الحديث إذ لا يحتاج فإن الرزق موجود في كل مكان بل ربما كانت هناك منابع للرزق غير ما نعرفه فحقق معنى الحديث . إن هذا الزمان زمان انتقال وهو بعض ما يفتح الله للناس من رحمانه .

(١) لقد زاد الطيران بسرعة فصار (٣٠٠) ميل في الساعة للطيارة في الجو .

(٢) وهذا سيجعل القفر عامرا فكان استراليا اتقلوا فجأة بالطيارة من أوائل القرن التاسع عشر إلى العشرين أى من السير على المركبات والجياد إلى ركوب الطائرات إذ تمكنوا بالطائرات من قطع مسافة (٥٠٠) ميل فوق القارات التي بين مدينتي برن ودربي في استراليا و ٤٨٠ ميلا من اديليد إلى ملبورن و ٥٠٠ ميل من ملبورن إلى سدني و ٥٠٠ ميل من سدني إلى بريسين .

(٣) بعض المستأجرين الأراضي هناك وهو شيخ باع السبعين قطع مسافة (١٢٠٠) ميل في يوم واحد وكان يقطعها قبلا في سنة أسابيع على جواده .

﴿ مصادر القوة ﴾

يقول الأستاذ (صدي) البعثة في أشعة (الراديو) وغيره من مصادر القوة والضوء : إن مصادر القوة التي يعتمد عليها أبناء هذا العصر قريبة ازوال .

(١) لقد استخدم أهل (البروج) الضباب الصناعي لوقاية الحاصلات من الصقيع . وذلك بتغطيتها بالبخار الساخن .

(٢) الأستاذ (لوسيان دانيال) ولد نباتا ينتج طعامه فوق سطح الأرض وبطاطس تحت سطحها في (مدينة رين) بفرنسا .

وقد تنبأ بعض علماء الفسيولوجيا والكيمياء بأنه يأتي يوم يتخذ الإنسان غذاءه من نفس القوة الحيوية المحبوسة في الجواهر الفردة لأن قوته مستمدة من قوة الشمس وذلك بأن يوصل بدنه بآلة كهربائية خاصة تتصل بتلك الجواهر الفردة بحال خاصة فيمتلئ جسمه بما يحويه وينبئه وهذا رأى (الستر ولز) والعلماء اليوم كلهم يقولون : (إن كل قوة في الأرض إنما هي من الشمس) فكل القوى في أرضنا مستمدة منها لذلك يحولون وجوههم ومهمم نحوها .

هذه أماني العلماء في المستقبل وهذه منتهى أبحاثهم . كل ذلك تفسير للحديث : « ترزقون كما يرزق الطير الخ » وحديث الصدقات إذ لا نجد من يأخذها . وهذا يدل على أن أرضنا ستكون فيها أيام سعادة لأجيال قادمة . هذا هو القصد من أنه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وأنه آخر الأنبياء والمرسلين . وإياك أن يصدك عن هذا أن السلمين جهال . فهؤلاء الجهال سيثبون وثبة واحدة تهتز لها الأرض

وهذه الوثبة ليست للحرب وإنما هي للحكمة والعلم وسيعرفون آراء الأمم ويقروون لأن هذا مما فتح الله من الرحمات .

(١) - (رأى للسيو البرت أودن في كتابه أصل الرجال العظام)

إذ ذكر الذين اشتهروا بالأدب الفرنسى شعرا ونثرا في خمسة القرون الماضية فأثبت أن تسعة أدياء من كل مائة أديب اشتهروا من أولئك الفقراء ، والفقراء في فرنسا (٩٧) في المائة ، فالطبقة الغنية القليلة هي التي أنجبت النابغين فيها في خمسة القرون الماضية ، وطبقة الأشراف في فرنسا وهي جزء من مائة منها أنجبت (٢٥) في المائة من النابغين في الأدب الفرنسى في القرون الخمسة المذكورة ، والوضعية لم تنجب سوى (٣) في المائة ، وروايات الأشراف هي التي أحدثت الانقلاب في فرنسا .

(٢) ويعرف للسلون رأى (السرفرنس غلثن) العالم الانجليزى الذى بحث في مدة (٢٥) سنة فوجد في كل (٤٠٠٠) شخص من العامة ينبغ واحد في القضاء ، أما القضاة الذين هم أبناء قضاة فيكون واحد من ثمانية يشهر الشهرة عنها .

(٣) ويعرفون أيضا رأى الأستاذ (أميرنوسافوتى) الذى بحث في تلاميذه بميلان فرنهم هكذا :

٥١٩	(١) أبناء أصحاب المهن الحرة
٥٠٨	(٢) أبناء الطبقة التجارية العليا
٤٧٢	(٣) الطبقة التجارية العادية
٤٤٤	(٤) الخدم
٤١٧	(٥) الصناع

فقد امتحن قوة ذكائهم فوجد هذه النتيجة .

(٤) ويعرفون رأى عالمين من علماء السيكولوجيا في تلاميذ مدرسة في بروكسل ببلاد البلجيك ولا يؤمها إلا أبناء الأغنياء فوجدا ذكاءهم يفوق المتوسط لمن في سنهم ، وقد ظهر لهما في امتحان أولاد الأغنياء الذين لا يزيد سنهم على (٩) سنوات في إحدى المدارس فوجدا أنهم مثل أولاد الفقراء في العاشرة ذكاء .

(٥) ويعرفون رأى (العالم السيكولوجى سيريل) إذ وضع أسئلة فوجد الأولاد الذين يعيشون في أزقة (لفر بول) القدرة يستغرقون (١٢٣) ثانية في الاجابة وأبناء التجار يستغرقون (٩١) ثانية وأبناء الأساتذة والطارنة (٧٤) ثانية .

(٦) ويعرفون رأى الأستاذ (لوس ترمن) الأمريكى ، إذ يقول : (إن التفوق في الذكاء يزيد (٥) أضعاف في أبناء الطبقة العالية والاجتماعية عن أبناء الطبقة الواطئة) .

(٧) ويعرفون رأى الدكتور هفلك ألس الفيلسوف الانكليزى إذ بحث (١٠٣٠) نابغة من الانجليز رجالا ونساء سنة ١٩٠٤ فكانوا على هذه الصفة :

٦١	الجيش والأسطول	١٨٥	الطبقة العالية
٣٢	صغار الموظفين	١٦٧	رجال الكنيسة
١٨٨	التجار	٧١	رجال القانون
٩٢	الصناع	٣٦	رجال الطب
٠٦	الفلاحون	٧٦	المهن المختلفة

(٨) ويعرفون رأى الدكتور (كانل) رئيس (مجمع تقدم العلوم الأمريكى) إذ جمع سير (٩٥٠٠)

رجل من رجال أمريكا للتفوقين في العلم فوجد أن أصحاب المهن يبلغون (٣٨) في المائة من المجموع وقد أنجبوا (٤٣١) في المائة من النابغين و (٤١١) في المائة من المجموع يشتغلون بالزراعة أنجبوا (٢١٣) من النابغين و (٣٤١) من المائة من المجموع هم أهل الصناعة والتجارة أنجبوا (٣٥٧) في المائة من النابغين إذن ثلاثة في المائة من سكان أمريكا وهم أصحاب المهن الحرة أنجبوا نصف علمها .

(٩) وسيرفون رأى الدكتور (أدون لفت كلارك) إذ بحث في أصل ٦٦٦ رجلا من رجال الكتابة والتأليف فوجد أن أصحاب المهن الحرة أنجبوا (٤٩٢) في المائة من الرجال الذين تناولهم البحث والمشتغلون بالتجارة أنجبوا ٢٢٧ والمشتغلون بالزراعة أنجبوا ٢٠٩ وغيرهم ٨٢ .

(١٠) وسيرفون رأى الدكتور (كلارك) إذ يقول : (الفقر لا يخلق النبوغ ولا الفنى ولكن الفنى يساعد وهو أكبر معاون على إظهاره) والمستقبل يقول : (إن النبوغ لا يكون لغير التعلم) وانه أعلم . هذه آراء عشرة من رجال العلم في الأمم المختلفة المحيطة بنا ، أثبتوا أن القضية المشهورة عندنا معاشر المسلمين أن الفقر يدفع إلى النبوغ قضية خاطئة ، نعم إن ذلك دافع للعمل ولكن يحتاج لمساعدة المال . وبعد هذا سيعلم المسلمون علما ليس بالظن أن مالم عليه من سوء الحال ناجم من جهلهم بنظام ربهم إذ حرم على هذا الإنسان أن يرقى إلا متحدا ، والمسلمون منع عنهم الرقى أن كل امرئ منهم لا يريد إلا نفسه أو أقاربه وهذا جهل محض ، فانه يقول «اهدنا الصراط» ويقول «إياك نعبد وإياك نستعين» فليست أستعين بانه وحدي ولا أعبد وحدي ، والمسلم يقول في الصلاة أيضا «السلام عليك أيها النبي . السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» فهو يسل على الأمة مرتين في ضمن الصلاة على نبينا صلى الله عليه وسلم لأنه رمز لها كلها ، فالمسلم عليه مسلم على الأمة ضمنا لاتحاده معها ، والصلى عليه مصل عليها معه ، فهو يطلب من الله رحمة وهي ظل له فكأنه طلب لها الرحمة معه . إذن الصلاة في معناها رمز للوحدة العامة الإسلامية . فعلى قادة الأمم الإسلامية أن يجعلوا التعليم عاما ، وأن يبدلوا للعيان كل ما يحتاجون إليه بحيث يكون أبناء الفقراء في ذلك كأبناء الأغنياء تقريبا وهناك يظهر النبوغ وترتق بلاد الاسلام :

فلما سمع صاحبي ذلك قال : إن هذا الموضوع جميل ولكن أراك أدخلت معنى قوله تعالى « إذا زلزلت الأرض زلزالها » في ضمن هذا المقال ، هل تريد بهذا القول أن قوله تعالى « إذا زلزلت الأرض زلزالها » يرجع إلى هذه الحركة العامة ، هل هذه زلزلة ؟ وهل إخراج الأرض أنفالتها هو ما تراه من علوم الآثار الخ وهل قراءة أخبار الأمم على أحجارها مثلا مثل القوائين التي كتبها حمورابي .

كل ذلك تفسير للآية ، وهل أعمال الناس في الكشف الحديث والجهد في العمل يرجع لقوله «أشئنا» وهل قوله « ليروا أعمالهم » معناه أن كل امرئ يعمل ويعطى الرزق غالبا من عمله ولا يتكلم إلا على ربه وأن عمله له سواء أكان قليلا أو كثيرا . قلت : هل أخذت هذا من كلامي ؟ قال نعم . قلت : اعلم أن السورة واردة في القيامة ولكنها منطبقة انطباقا تاما على أحوال عصرنا فلنا أن نقول هذا كناية ؟ ولا جرم أن الكناية تشمل للمعنيين معا : للمعنى الأخرى ، والمعنى الديني ، وما الآخرة إلا صدى الدنيا والأمر سهل في هذا . وإذا كان العذاب في الآخرة فهو في الدنيا ، وقد قررنا هذا في مواضع كثيرة من هذا التفسير .

يقول الله في أول (سورة فاطر) « يعلم ما بلج في الأرض وما يخرج منها » ثم ظهر أن هذا العصر هو عصر الخروج . فاستبان للناس أن الفرنجة قد استخرجوا من بلاد اليمن أخبارا كثيرة من أحجارها التي رسموها وهكذا أتى بنفس هذه الجملة في أول (سورة الحديد) للإشارة إلى أن معدن الحديد مما يخرج من الأرض . فاذا قال إن الأرض زلزلت وكان المعنى أن ذلك يوم القيامة فليس هناك مانع أن يكون رمزا لحال

العالم الآن من الحركة العلمية والحربية التي زلزلت لها الأرض زلزلة بالحرب والأعمال العظيمة . وها هي ذه الكنوز العلمية والعملية قد أخرجت . وهام أولاء الناس شرقا وغربا يتساءلون قائلين : إلى أين نحن سارون ولا مجيب ؟ ولكن الجواب ظاهر في الآية . ذلك أن كل امرئ سيقوم بعمله الخاص ويكون الناس كالطير تندو خماسا وتروح بطانا . فهامى ذه الطيارات أخذت ترتقي ، وفي هذا اليوم وهو ٢٤ يناير سنة ١٩٢٩م بقيت الطيارات الأمريكية ستة أيام في الجو ولم تنزل من خلالها على الأرض ؛ ومعنى هذا أن الطيران سيرتقي ويعم قريبا ويكون للناس شأن آخر فتعمر الأرض التي لازرع فيها تقوم حكومات توزع الأرض التي لا مالك لها على العاطلين من الأمم ، وهناك يتكلم الناس على رهبهم فلا تحارب بينهم ، وأيضا لا يأكل القوي مال الضعيف ولا يدخر الناس مالا بل تسكون الأرض كلها أشبه بدار واحدة لأسرة واحدة . وهذه الطيارات مقدمة لذلك العمل وبها يصبح الناس كالطير وذلك من عجائب النبوة ومدعشاتها . وهذا اللقاع واضح في كتابي [أين الانسان] والمحدث رب العالمين . انتهى ليلة ٢٣ يناير سنة ١٩٢٩ .

آيتان في الكشف الحديث

(الآية الأولى : كشف الحيوانات الدرية)

من آيات الله التي ظهرت بعد ذلك كشف الحيوانات الدرية (المكروبات) . وقد تقدم في سورة إبراهيم ذكر كشف علوم كثيرة في تفسير قوله تعالى « وذكرهم بأيام الله » ذكرتها في بيان تذكيري للمسلمين بأيام الله .

أنا كتب هذا اليوم أعني يوم ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٢٨ فأقول : (إن الناس قبل ٢٥٠ سنة لم يكونوا يلمون شيئا عن الحيوان فانفق أن رجلا اسمه (ليونهولك) من دلفت هولنדה لا يعرف علما من العلوم ولا لغة من اللغات الأجنبية ، قد جعل أوقات فراغه في صنع العدسات إذ سمع أن الإنسان إذا صنع عدسة كبيرة من الزجاج يقدر أن يرى بها الأشياء . فأخذ يطحن الزجاج ويصبه ليخرج العدسة للطلوبه ويقف في هذه العملية عشرين سنة فصنع مئات ومئات منها لتحسينها حتى استطاع أن يصنع عدسة تقي مضبوطة ولكنها لمقتها أمكنه أن يرى منها الأشياء الصغيرة في أحجام كبيرة على غاية الوضوح فأخذ ينظر كل شيء بها مثل الشعر والنسيج وقطع من الجلد وزبان النحل وروس الدباب ، فكان ذلك تضكها له وسرورا لما في ذلك من الفرابة والسرور والبهجة . واستمر يفعل ذلك إلى أن انفق له ذات يوم أن يكون أول كاشف لأعجب وأعظم العلوم الطبيعية وهو ذلك العالم الكبير الذي لا يحصى عدده ولا يعرف أمده .

(الآية الثانية)

حيوانات شتى في الماء الصافي

ذلك أنه وضع قطعة من الماء النقي تحت العدسة ، فلما نظرها أخذته الدهشة فسحبه فسمته اجته وهو يتادها (تعالى أسرعى ، تعالى انظرى الحيوانات الصغيرة في الماء الذي كثر به ، إنها صوم ، هاهى ذه تجرى وتلب ويجرى بعضها وراء بعض ، ما أعجبا . إنها أصغر بالآلاف للرات من أي حيوان نراه بالعين المجردة انظرى انظرى هذه الحيوانات التي أكتشفها) .

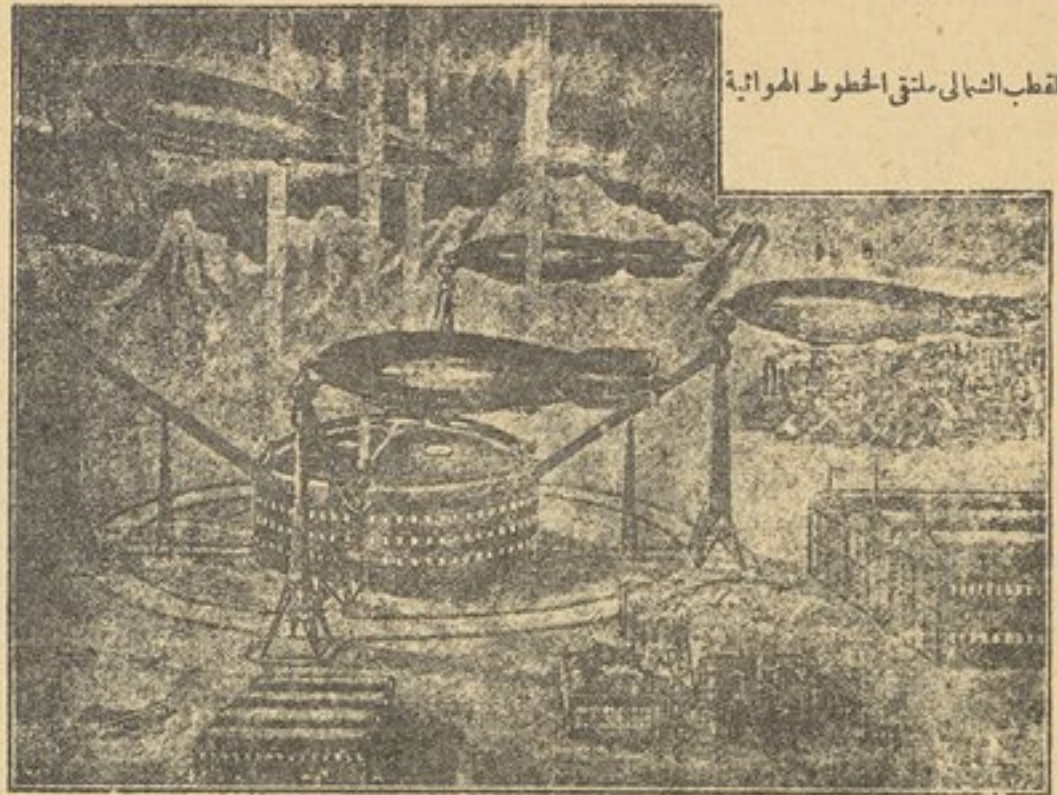
فهذا الكشف انتقل من حال إلى حال وعرفه الناس وعظم قدره وظل يجاهد طول حياته . وأحدث بهذه المعلومات ضجة كبيرة ، ولقد قيص الله بعد وفاته لهذا العلم قسيما إيطاليا اسمه (سبالانزاني) فزاد هذا العلم درجته وتقدم به خطوة ، إذ برهن أن هذه المخلوقات ليست توجد هكذا بقنة بل هي تتناسل كما يتناسل الحيوان المعروف . انتهى الكلام على الفصل الأول فيما فتح الله به على الناس باستخراج مافي العناصر الأرضية والمجد لله رب العالمين .

الفصل الثاني

- (فيما فتح الله به على الناس بكشف خيرات كانت خافية عليهم فظهرت لهم)
 نذكر في هذا الفصل أحد عشر موضوعا وفيما يلي ياتها :
- (أولا) ثروة القطب الشمالي .
 - (ثانيا) أرض كشفت في دائرة القطب الجنوبي .
 - (ثالثا) مانا كله من نور الشمس وتتداوى به ؟ والكلام على المنسوجات الكيميائية .
 - (رابعا) أمجوبة مدهشة في البناء .
 - (خامسا) مانستخرجه من الألماس .
 - (سادسا) من أحدث الاختراعات وعجائب العلم الجليد السخن وصنع الورق من حطب البفرة .
 - (سابعا) الغاز الطبيعي .
 - (ثامنا) ساعة تبين الزمن وأوضاع القمر والشمس . وساعة تشتغل بنفسها أمدا طويلا .
 - (تاسعا) عجائب العلم الحديث التسع .
 - (عاشرا) أغرب غرائب أمريكا .
 - (حادي عشر) الأطفال ذوو العقول الجيابة .

أولا : (ثروة القطب الشمالي)

جاء في جريدة كوكب الشرق بتاريخ ١٤ يناير سنة ١٩٢٩ م مانعه :
 يقول للكشف ستفانسون (إن في القطب الشمالي مناجم من الفحم والبتروال والحديد والنحاس ، وإذا كانت هذه الناجم لم تكتشف وتستغل للآن فان علاماتها كلها واضحة ، أما النباتات فكثيرة وخصوصا تلك الطيات للؤلؤة من الأشجار المحروطة . وفي القطب الشمالي من النباتات الزهرة ٧٦٢ نباتا وأقدر أنواع الحيوان التي تستطيع للبيشة في برودة القطب هو الرنة الغزال المعروف ، وتقدر مصلحة الزراعة في الولايات المتحدة أن في الاسكا وحدها من الأعشاب ما يكفي أربعة ملايين رنة . ويميش في القطب غزال السك ويمكن تدجينه بسهولة ، وستجعل الطيارات للقطب الشمالي مركزا عظيما تحط فيه وتقلع منه في أسفارها بين أوروبا وأمريكا وآسيا) انتهى . وسترى في الرسم التالي ما يحقق ذلك (انظر شكل ١) في الصفحة التالية .



(شكل ١ - رسم محطة الطيارات والبلونات في القطب الشمالي كما تخيلها أحد المهندسين)

ثانيا : (الأرض في دائرة القطب الجنوبي)

جاء في جريدة اللعظم بتاريخ ٢٤ فبراير سنة ١٩٢٩ م .
 مات أشهر رواد القطب الجنوبي قضى أمد من الروجى وسكوت الإنجليزى وغيرها من أولئك الأبطال
 الذين ازدروا المخاطر وتحمسوا أعظم للشاق الحجاب الذى كان يحجب دائرة القطب الجنوبي عن عيون
 البشر فكان لهم ما أرادوا . ولو عاشوا إلى اليوم لأبصروا دول العالم تتسابق لامتلاك تلك القارة التى كانوا
 يعتقدون بوجودها ولو أنها لم تكن الفرض الأكبر والأول من رحلاتهم فقد وصفت التفرقات الحسوية
 والتفرقات العمومية أس ما هو واقع من المنافسة بين الأمريكين والبريطانيين والستراليين على رفع الرايات
 على بلدان هذه القارة القطبية التى تقول بثمة يرد الأمريكية إنها اكتشفت منها بالطيارات ماساحتها أرجون
 ألف ميل مربع وقد سبق أن عينت حكومة استراليا بثبات براسة للستر موسون . هذا الذى ورد ذكره
 فى التفرقات أس للايخال فى دائرة القطب الجنوبي ودرس طبيعة أرضها ومغارها وجوها لما لذلك كله من
 العلاقة الجوية بالبلدان التى تتلوها شمالا ولما يرجى أن ينجح منها من القوائد للادية كصيد الحيتان واستخراج
 بعض اللواد . فهل تصير تلك الجهات مسكنا للبشر متى غشت الأرض بسكانها ولم يعد فى القرآت المجهرة مجال
 لخلق جديد . هذا ما يحتمل أن يكون إلا إذا مكن العلم البشر قبل ذلك من التماس مقام لهم فى العوالم
 الأخرى المجاورة لمامهم كالريخ من السيارات اه .

ثالثا : كيف نأكل نور الشمس وتداوى به ؟

والكلام على المنسوجات الكيميائية

ظهر في حوانيت البدالين الأمريكيين منذ بضعة أسابيع غذاء جديد لفظور من القطاني (١) (مشبع بضوء الشمس الصناعي الذي ينبعث من مصابيح كهربائية قوية) فكان هذا الغذاء أول مادة صحية مشمسة تسمى صناعيا عرضت في الأسواق . وسوف تعقبها أنواع شتى على بحر الزمن . ويعتبر الغذاء المتقدم ذكره با كورة ثمار الاستنباط العلمي الذي استنبطه الأستاذ هارى ستينبوك من أساتذة مدرسة ويسكونزين الجامعة بأمريكا (متوخيا به وقاية الإنسان من تلك الأمراض . وقد كان في وسع المخترع استنثاره بطريقته العلمية هذه فتدر عليه اللابيين من الجنهات بيد أنه امتصوب ألا يرضن بها على الخلق ، فزل عنها مدفوعا بعوامل الشفقة على الإنسانية المذبذبة بالأوصاب . وما عم ذلك العالم أن أماط اللثام عن استنباطه هذا اللدهش . وخطوا أن الغذاء للشبع بضياء الشمس خير واق من الكساح «داء العظام الرهيب» وإنه يرجو نجهه أيضا في منع «التدرن وقعر الدم» حتى حتى عاقبة وقوف التجار ولاسيما من لاخلاق لهم على كنهه اختراعه فيتخذونه ذريعة لا يبراز للال من خلق الله) فهرع إلى معمله الخاص بالتحليل الكيماوى فخطم ما كان يحويه من المصابيح الشمسية القوية وأعاد القتران البيضاء التي أتاحت له اختراعه الجليل إلى ألقاصها . ثم عمد إلى ديوان تسجيل المخترعات طالبا إعطائه رخصة باختراعه ليحتكره . ولما أن ظهر بأربه ذلك ، نزل عن اختراعه العظيم للشار إليه ورخصته أيضا وكل ما يتعلق به للجامعة ويسكونزين . وعلم كبار صناع الأغذية بالاختراع المتقدم ذكره فقصصوا إلى العلامة ستينبوك مستوضحين . فلم يسه الإيجاز إليهم بالتوجه إلى أمناء الجامعة السابقة الذكر ليطلبوا منهم الإجابة عما يبغون . وهناك علم وقد التجار بأنه لا يحظر عليهم الانتفاع باختراع التشميس الصناعي السالف الذكر . بشرط ألا يزيدوا أثمان للأكولات عما هي عليه من أجله (قبلت هذه الشروط طائفة من الشركات المشهورة ومنها شركة كبيرة تدفع الآن سنويا عشرة آلاف جنيه لأمين صندوق الجامعة في مقابلة الإباحة لها بالتجارة بالمواد الخلفية للشمسة بالطرق الصناعية . وكل ما استغلته الجامعة حتى الآن من الإختراع الذي نحن بصدده هي «القطاني للشمسة» التي يرضنها التجار للشار إليهم للبيع وسيقبها بالي الفلات في القريب العاجل . هذا ، ولا بد من إدراك العلماء ذات يوم كنهه تأثير ضياء الشمس ولاسيما الأشعة التي فوق البنفسجى التي يولدها الدكتور ستينبوك وغيره من العلماء بالطرق الصناعية أى بالمصابيح الشمسية ، في حياة الجنس البشرى .

وكان أهالى بلاد يرو القدماء وطوائف الزورواسترن القديمة وخلفاؤهم عبدة النار في الهند وغيرها من القبائل القديمة والشيع الدينية تعتقد اعتقادا راسخا (بأن الشمس مصدر الحياة) فأيدت للباحث الحديثة تلك الاعتقادات الدينية الشيقة . وطالما أطلقنا اسم (الفصح الصحى) على تلويح البشرة من الترض للشمس وماحلنا إلا من عهد حديث أن ذلك نتيجة تأثير الأشعة الخلفية التي فوق البنفسجى . في الجلد ثم تحققتنا

(١) القطاني (بفتح القاف وتشديد الباء) الحبوب التي تطبخ ، وذلك مثل العدس والقول واللوبيا والحصى والأرز والسقم .

كون هذه الأشعة تعد الجسم بخاصيات منعشة) أطلق عليها إسم (فيتامين) وإنا إذا لم ندخل هذا الفيتامين في أجسامنا مع طعامنا ونحصل عليه في أبداننا من طريق الجلد ما استطعنا التمتع بسلامة الصحة ولاهناة للمعيشة زمنا طويلا . والنساء أسبق من الرجال إلى تطبيق هذا الرأى الملى على حياتهن (كما أثبت ذلك الدكتور (افرايم ملفورد) رئيس الجامعة الطبية في نيوجرسى أمام مجمع الأطباء من عهد حديث . ولا يخفى أنهم أطول أعمارا من الرجال وأشد مقاومة للأمراض وألين عطفة تجاه الاجتهاد . وجزو الدكتور ملفورد السبب إلى الأزياء الحديثة (اللودة) التى تحم على النساء لبس ملابس أقصر من اللازم وأقل من الواجب (وهن بذلك يعرضن أنفسهن للأشعة التى فوق البنفسجى بينما الرجال مازالوا مصرين على تغطية أبدانهم من لفة الرأس إلى أخمس القدم بالتياب الصفيقة القائمة (يقول المؤلف هذا رأى ولدين موقف آخر)

إذن نخلص مما تقدم (أنه كلما اشتد بياض اللباس وتضاعفت مسام نسيجه ، سهل اختراق الأشعة التى فوق البنفسجى إياه كما أثبتت ذلك مباحث مصلحة المقياس فى الولايات المتحدة بأمريكا . أما للنسوجات المصبوغة والتى اصفرلونها قليلا لقدمها فإنها تكاد تمنع اختراق الأشعة للجلد منعا باتا . ومما جاء فى هذا الموضوع فى تقرير قدمه الدكتور (سيل هاريس) من أطباء مدينة برمنجهام فى ولاية مدينة ألاباما بأمريكا إلى المجمع الطبى الأمريكى قوله : إنا نحفر قبورنا بأسناننا ببذنا الأطعمة المحتوية على الفيتامين ، ويقابلنا على الأغذية المكونة من السكر والنشاء . إذ كل ما يعترى الإنسان من ضعف مقاومة الأمراض المعدية التى تصيب الأنف والزور والعدة والأمعاء إنما ينجم عن التغذى بنجيز مصنوع من الدقيق الناصع البياض ، والبطاطس البياض والأرز اللببض واللحوم المهزيلة والقهوة للشعبة بالسكر والنقل المهلى بالسكر ، والشروبات الحلوة ، والزيات ونحوها . وقد عزا زيادة أمراض المعدة إلى كثرة استهلاك السكر والأطعمة الحلوة فقال : كان الفرد فى الولايات المتحدة مثلا منذ خمسين سنة يستهلك فى السنة ٣٦ رطلا من السكر فأصبح معدل مقطوعته الآن مائة رطل وستة أرطال فى السنة . وما الإصابة بالنوازل والتهاب الرئة والتدرن والتهاب الزائدة الدودية وفرح اللعدة وداء الصفراء إلا نتيجة انعدام الفيتامين فى غذاء الأشخاص لللازمين للحياة الجلوسية فى أمريكا وغيرها ، فلذا استطاع المرء أكل طعامه نيثا هان عليه الحصول على ما يوزنه من الفيتامين (لأن الآلة البشرية يتسنى لها أداء وظائفها على خير مايرام إذا اقتصر الشخص على أكل ما يصيده أو يحصل عليه بمرق الجبين) لأن ذلك يقتضى إجهاد العضلات وتعرضها لضياء الشمس كى تحصل على الغذاء للشعب بالفيتامين لتعرضه هو أيضا لضوء الشمس . وإذا كان أسلوب الحياة هذا لا يتفق ومدنيتنا الصناعية الحاضرة ، لجدير بنا الإكثار من أكل اللواد الدهنية والجوز والأثمار والحضراوات ولبس أخف مانطيقه من التياب والنثى فى ضياء الشمس بقدر ما تسمح به حالتنا ثم الوثوق بحسن التصير .

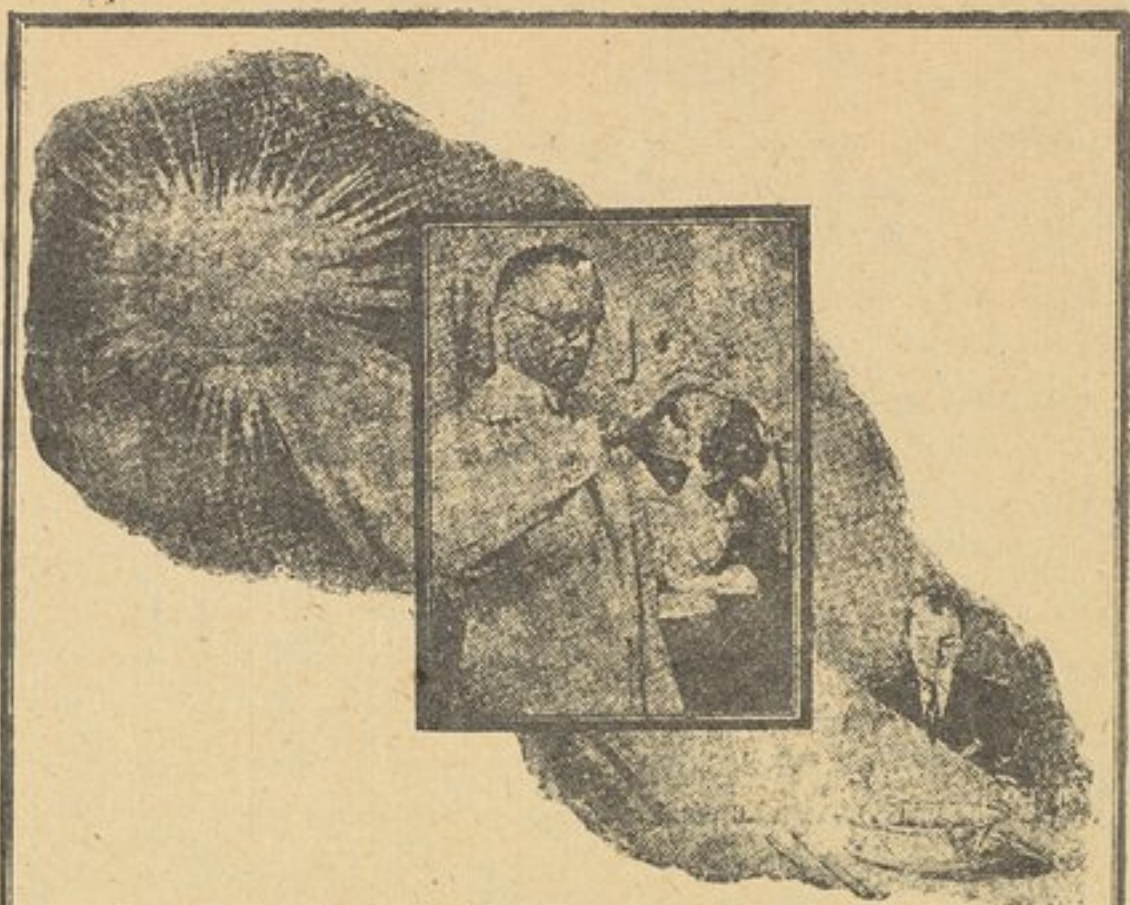
وبينا كان الأستاذ « ستينبوك » يغذى القران البياض بالحبوب فى معمله الكيماوى للظلم كان زملاؤه من العلماء فى أمريكا وأوروبا يجربون حصر ضوء الشمس فى قناتى لا تتفاح للآ به ، فقد جاءت الأنباء من معامل التحليل الكيماوى فى إنجلترا وألمانيا بأنه قد استقطبت مادة إذا عرضت لضوء الشمس أو لضوء الذى فوق البنفسجى أصبحت دواء ناجعا يفوق زيت كبد الحوت « البيا كلاه » المعروف باسم زيت السمك (ألوف من المرات) ويقال إن كل ست أواق منها تعادل طنا من زيت السمك من جهة الفائدة العلاجية . وقد سهاها العلماء « أرجوستيرول » وهى تركب من الخيرة وتشبع بضوء الشمس . وتوجد منها مقادير ضئيلة فى بدن كل جسم صحيح . فإذا انعدمت من أى جسم أمكن تجديدها بمقنة دقيقة من الأرجوستيرول لا يمكن قياسها لصغرها . وبلغ من شدة مفعول هاتيك المادة أن المقنة الواحدة منها إذا زادت على للتوسط بضع

جبات أعقبت للوت الزؤام أشد من الزرنبيخ . أما طريقة الاهتداء إلى المادة السحرية للتقدم وصفها ، فأمر طريف بدأ بتجارب باشرها العلماء قصد تحسين طعم زيت السمك لكيلا يعيقه (١) من يوصف له ليستطب به . وقد أسفرت التجارب الأولى التي تجرى بها العلماء تحسين طعم ذلك الزيت بتنقيته مما يشوبه من الشوائب من ضياع فائدته الطبية . فكانت هذه النتيجة أول دليل على أن رواسب زيت السمك هي العنصر الشافي الفعال فيه . وقد واصل الأستاذ « جورج بارجر » للدرس بجامعة (إدنبره) البحث في هذا الموضوع فاستدل على أن الفائدة الطبية الزيت السمك كلها محصورة في مادة الأرجوستيرول . وهذه توجد كتفل في اللواد الدهنية .

ثم حذا حذوه الدكتور « أدولف وندوس » الحبير الألماني بجامعة جوتينجن فأثبت أنه بتعريض مادة الأرجوستيرول لضياء الشمس أو للنور الذي ينبعث من مصابيح الأشعة الخفية فوق البنفسجية ، يمكن استغلال مادة ذات قوة شافية مثل قوة زيت كبد السمك (القود) سهلة الهضم جدا حتى على أضعف معدة . وقد نال الدكتور أدولف من أجل هذا الاستنباط جائزة نوبل في الكيمياء لسنة ١٩٢٨ وقيمتها أكثر من ٨٠٠٠ جنيه .

ويستفاد مما تقدم أن فائدة زيت السمك في العلاج متوقعة على رواسبه المشار إليها ومصدر قوتها (الرواسب) ضوء الشمس الذي يرشح من الماء إلى السمك العائم في البحار ، فإذا ماس ضوء الشمس مادة الأرجوستيرول حولها إلى فيتامين من الطبقة الرابعة وهو الفيتامين الدالي (نسبة إلى حرف الدال في الأبجدية) ونشأ بها عنصرا من العناصر الخفية الضرورية في الغذاء التي يعتقد العلماء الآن أن فوائد الصحة إنما هي امتصاصها ضوء الشمس وادخارها إياه ، والفيتامين الدالي هذا هو النوع الشافي للكساح ويتولد الجسم البشري بطريقة عجيبة لم يوفق العلماء للوقوف على حقيقتها إلا من زمن قريب . وتبين ذلك : أن مادة الأرجوستيرول للدخرة في الجسم البشري تنطرق منه إلى البشرة حيث تنشمس بضوء الشمس ويمتصها الجسم ثانية مشفوعة بالفيتامين النعش . وبما أنها تساعد في هذه العملية . يشير الأطباء بالاحتراس عند الشمس بضوء الشمس الصناعي للتولد من الصايح . هذا ماجاء في مجلة مصر الحديثة والله أعلم . (انظر شكل ٢) و (شكل ٣) في الصحيفة النالية .

(١) عني الأمر : كرهه .



(شكل ٢ الأستاذ هارى ستينوك من أساتذة جامعة ويسكونزين الذى كشف حقيقة كون الغذاء
للشمس بضياء الشمس يساعد على منع الأذواء ، والذى أسدى إلى الجنس البشرى حبوا غذائيه صحيحة)



(شكل ٣ - صبي
كسبح فى حمام الشمس
بمستشفى من مستشفيات
مدينة شيكاغو بالولايات
للتنحده بأمرىكا حيث
يعالج من داء تدرن
المظام بنور صناعى
كضوء الشمس ينبعث
من مصابيح الأشعة
التي فوق البنفسجى)

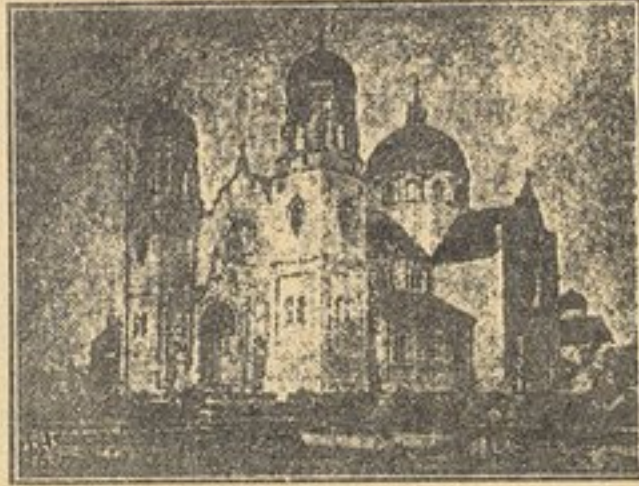
(الكلام على المنسوجات الكيماوية)

من الغايات التي يسعى إليها العلم اليوم أن يستعاض عن اللزروعات بالمواد الكيماوية : والمعلماء يجدون في استنباط وسيلة يغذى بها الجسم دون أن يحتاج إلى الطعام كما نعرفه اليوم إذ يريدون أن يحققوا المرء إذا جاع يحقن تحتوى على خلاصة تغني عن الأكل ، ولحم من ذلك (غرضان : أما الأول) فأن يواجهوا بالعلم زيادة السكان للطردة مع عدم كفاية الأراضي للزراعة ، وأما الثاني فالسعى إلى زيادة التوفيق من الأمراض وجعل البيئة الاجتماعية صحيحة الجسم لأن الحقن الغذائية الكيماوية تكون معقمة خالية من الجراثيم على حين أن الطعام الذي يقدم لنا اليوم مجرد عن هذه الحيلة الصحية ، والآن وقد حل عام جديد يمكن أن نتنبأ ونحن على ثقة من تحقيق هذه النبوءة أن هذا العام لا ينصرم إلا وقد توصل الكيماوي إلى عرض الثياب على اختلاف أنواعها مصنوعة من مواد كيماوية فلا يعود تغشى الموت بين دود القز أو إصابة نبات القطن بالآفات سببا يدعو إلى ارتفاع أثمان الثياب . فإذا كانت هذه الآفات اليوم تروعنا وتشير محافونا فإن هذا لن يدوم طويلا وسوف لا تعود هذه الأنباء تلقى منا أي اهتمام ، مات دود القز ، فليكن ، مات نبات القطن فليكن ولكن الكيماوي مازال على قيد الحياة أيها السادة ، فهو يستطيع أن يخرج لنا منسوجات خير من نسيج القطن أو الحرير ، ومثل هذه الثياب الكيماوية تكون أفضل من الثياب الطبيعية لأنها أرخص ثمنا إذ لا تتأثر للمواد الكيماوية بالآفات أو الكوارث كما هو شأن اللزروعات . كذلك يصبح من السهل صبغها بأي لون مطلوب بحيث يلائم بشرة لابس الثوب . ومعنى ذلك أن إنفاق النساء سوف تزداد إلى درجة مدووسة .

رابعا : (أعجوبة مدهشة في فن البناء)

(كنيسة تنقل بذاتها من مكان إلى آخر)

جاء في (مجلة الجديد) مانصه : (كثيرا ما يقال إن أمريكا بلاد العجائب وأنها في هذه الحادثة بالذات تعمل أعجب ما عرفناه عنها ، فقد نقلت الأخبار الأخيرة أن بعض كبار المهندسين في الولايات المتحدة نجحوا نجاحا مدهشا في نقل كنيسة السيدة العذراء بشيكاغو من مكانها إلى مكان آخر وهي التي ترى في هذه الصورة (شكل ٤) في الصحيفة التالية فقد نقلت بذاتها من أحد جانبي الطريق إلى الجانب الآخر ، وهذه هي أول مرة يستطيع الأمريكيان فيها أن ينقلوا بناء كبيرا بهذه الضخامة لأن ما حصل قبل ذلك لم يكن إلا في أبنية صغيرة ، وقد استخدم في نقلها أربع ونشات كبيرة ومائتا رجل وخمسمائة ألف قدم من أسلاك الصلب السميكة وثلاثة آلاف عجلة وأربعة آلاف آلة رافعة وخمسمائة ألف قدم من الخشب ، وبديهي أن هذه الأعجوبة الهندسية العظيمة قوبلت بمزيد الدهش في جميع أنحاء العالم) انظر صورتها شكل (٤).



(شكل ٤ - رسم كريمة تنقل بذاتها من مكانها إلى مكان آخر)

خامسا : (الكلام على استخراج الألماس)

جاء في مجلة (الطائف المصورة) ما نصه :

اشتهرت مدينة (امستردام) في هولندا بتخصص أهلها في فن تنظيف الألماس وتنقيته فان معظم ما يستخرج من هذا المدن الثمين في ولايات أفريقيا الجنوبية يرسل بالحالة التي استخرج فيها إلى مدينة امستردام هذه حيث يقوم الإخصائيون هناك بعملية تنظيفه وتنقيته واختيار الصالح منه ووزنه ثم يعيدونه إلى أصحابه نظيفا تليا ، وفي امستردام معامل عديدة يشتغل فيها ألوف من الكياويين والصياغ وتمتد منبع ثروة البلاد . والألماس عند وصوله إلى العامل ينظف من التراب والمعادن الأخرى التي تكون قد لصقت به وذلك بواسطة آلات أعدت لهذا الغرض . ثم يشتغل أناس من الإخصائيين بفرز ما تنظفه الآلات فتوضع القطع النقية إلى جهة والتي فيها عطب أو تشوب تقاوتها شائبة إلى جهة أخرى وبعد ذلك يعمد فوج آخر من الإخصائيين إلى وزن هذه القطع جميعها بدقة فائقة نظرا إلى قيمة الألماس وعلو ثمنه . والأشكال الثلاثة الآتية (شكل ٥) و (شكل ٦) و (شكل ٧) تمثل الأدوار الثلاثة المهمة التي يمر بها الألماس قبل وصوله إلى التجار والمشتريين وهذه صورتهن في الصفحات التالية :



تنظيف الألماس

(شكل ٥ - منظر عام للآلات التي يجلس إليها العمال للنوط بهم تنظيف الألماس من الأتربة والمعادن الغريبة . والآلات لاتقوم بالعمل كله بل إن العامل يستعمل يديه وحدة نظره . ويرى في الصورة أحد المفتشين الذين يسهرون على العمل وراقبون العمال)



(شكل ٦ - عملية قطع الألماس واختيار الصالح منها من الطلح . ويقوم بهذه العملية رجل لا يستخدم الإيديه وملقطا صغيرا يتناول به القطع الواحدة بعد الأخرى)
(فرز الألماس)



(شكل ٧ - منظر الاختصاصي الذي عهد إليه بوزن قطع الألماس بعد تنظيفها وفرزها . وعمله هذا أدق من الأعمال الأخرى إذ على نتيجته يتوقف تحديد ثمن الألماس وعرضه للبيع)

سادساً : (من أحدث الاختراعات والفوائد العلمية)

(وعجائب العلم : الجليد السخن وصنع الورق من ورق الدرة)

استنبط الأستاذ (برسي) و (بردجمان) أحد معلمي مدرسة هارفرد الجامعة بأمريكا جهازا يستطيع به إحداث ضغط صناعي يقدر بـ ٦٠٠٠٠٠ رطل على ما مساحته بوصة مربعة واحدة ، وتسهلا لإدراك كنه هذا الضغط الذي يعتبر أشد ضغط أدركه المخترعون حتى الآن نقول إنه يعادل في الوقت نفسه ضغط الماء في قعر المحيط على عمق ٢٥٠ ميلا ، ثم إن ضغط صرح من الصروح الفولاذية في (نيويورك) التي أطلق عليها اسم (ناطحات السحاب) لعظم ارتفاعها وثقلها لا يعادل بعض ثقل الضغط الذي يتولد من الجهاز للشار إليه وبه يتحول الفولاذ إلى مادة لينة يمكن تعديدها ويتحول شمع البرافين إلى مادة أصلب من فولاذ الآلات ويصبح الصمغ للرن قاسيا جدا بحيث تصنع منه مقاطع للفولاذ ، وبهذا الجهاز يجمد الزيت تحت ضغط مقداره ٢٠٠٠٠٠ رطل مع أنه يتجمد عادة عند درجة ٤٠ تحت الصفر أو أسفل منها ومع كل هذا يقول المارغون إن الجهاز في حد ذاته غير معقد التركيب إذا قيس بغيره من الأجهزة العلمية فهو بمثابة طلبة هواة عادية تولد الضغط للطوب . ولذلك يؤدي بالمواد المراد ضغطها وتوضع في تجويف صغير محفور في قطعة صلبة من الفولاذ تحتمل خمس بوصات ثم يغطى التجويف بسداد صغير من الفولاذ أيضا يمتد بتأثير الضغط فيقوى محتويات التجويف والهواء من الإفلات . وقد حدث في أثناء التجربة أن انفجر التجويف فانفجرت شظاياها في لوح خشب صنوبري صلب عمق ست بوصات في ظهر الجهاز وفي تجربة أخرى استخرج البيض من ماء جليد سخن بشرائه لضغط مائة ألف رطل فظهر أنه مسلوقي سلقا جامدا .

(حطب الدرة وصنع ورق الصحف)

من أحدث الوسائل التي استنبطها العلماء للارتفاع بالمواد الزراعية للهملة والفضلات الحقلية العاطلة تحويل حطب الدرة بالطرق الكيماوية إلى عجينة لصنع الورق اللازم لطبع الكتب والمجلات والجرائد . وقد جرب ذلك أول مرة رؤساء تحرير الصحف في مدينة دنفيل بولاية إيلينو إحدى الولايات للتحدة بأمريكا كي يستوفوا من صلاحيته للطباعة . فاستبانوا أن هذا الورق سيفاخر الأصناف التي تصنع من عجينة الخشب ، ويمارس الباحثون الآن تجارب أخرى يخون بها الوقوف على مبلغ ما تتكلفه عمليات إنتاج للقادير الكبيرة منه وهل ستفضى إلى قصد بعض ثقافات الطبع أولا .

هذا ، وقد اتضح أن ورق الطباعة الصنوع من عجينة حطب الدرة أشبه بورق عجينة الخشب بل إن ذلك أمثل قواما من هذا وأنسج لونا وأسهل تشريا للمداد . وكان أول كتاب تم طبعه من هذا النوع الجديد مؤلفا موضوعه مطابق للبحث نفسه وهو المجلد الأول في النافع الصناعية للحاصلات الزراعية للهملة لمؤلفه الأستاذ (جورج م . روقيل) الذي انتدبه حديثا وزارة الزراعة في الولايات للتحدة لبحث مسألة الأتفاع بالمواد الزراعية التي لا يجأ بها الزراع أولا يجنون منها أربابا تذكر اه .

سابعاً : (الغاز الطبيعي)

الفحم الذي نشعله في بيوتنا ونطبخ عليه طعامنا يصنع الإنسان بحرق الأخشاب مطمورة بالتراب فتحترق احتراقاً بطيئاً يزيد منها الأبخرة والغازات ويبقى فيها المادة الخشبية على ما هو معمود ولكن الفحم الحجري الذي نوقده في العامل والبواخر منعته الطبيعة في العصور الجيولوجية وخزنته في جوف الأرض فوجدناه غنيمة باردة وكان يمكن أن يكون من المنافع العمومية التي لا تمن لها كالهواء ونور الشمس لولا ما ينفق على استخراجها ونقله من مكان إلى آخر .

والغاز الذي تنار به هذه المدينة (مصر) وغيرها من المدن الكبيرة يستخرج من الفحم الحجري باستقطاره منه استقطاراً . ثم ينقى مما يخالطه من الشوائب ويوزع على الشوارع والبيوت بالأنايب المعدنية كما توزع المياه ، واستقطاره وتنقيته وتوزيعه يقتضى نفقة كبيرة فنضاف إلى ثمن الفحم الحجري وربما رأس المال وتفرض على المستبجعين به ؛ ولكن الفحم الذي يستقطر الغاز منه لا يضيع سدى بل يبقى نافعاً للوقود وهو المعروف بالكوك . والشوائب التي تستخرج عند تنقية الغاز يستخرج منها أكثر أنواع الصباغ المعروفة الآن من ذلك ثلاثون لوناً من الألوان الحمراء وستة عشر من الألوان الزرقاء وستة عشر من الصفراء واثنا عشر من البرتقالية وتسعة من البنفسجية وسبعة من الخضراء عدا ألواناً أخرى من السمرات والسوداء . وقد يزيد ثمن الشوائب على نفقات استخراج الغاز وتنقيته فيستخرج لأجل استخراجها منه فقط ولو لم ينفق به للإنارة . وفي جوف الأرض غاز طبيعي كما فيها لحم طبيعي ، وهذا الغاز الطبيعي كان معروفاً في بلاد الصين منذ سنين كثيرة . وكان الصينيون يتقنون الأرض تقبوا صنيقة ويستخرجون الغاز منها ويوقدونه لتبخير المياه للملحة واستخراج الملح منها . وعندما آبار له عمقها ألف متر . وقد عرف في أمريكا منذ أكثر من مئة عام ولكن لم يسع أهلها في استخراجها واستخدامها للوقود والاستصباح إلا منذ خمسين سنة في أواخر القرن الماضي في ربيع سنة ١٨٨٤ ألف بعضهم شركة تجارية في مدينة فندي بولاية أوهايو من ولايات أمريكا لتتقب الأرض وتستخرج الغاز الطبيعي منها وكان عدد أهالي تلك المدينة حينئذ (٤٥٠٠) نفس ، ولم تشرع الشركة في عملها حتى شهر أكتوبر من تلك السنة فتقبّت بئراً عمقها (١٠٩٣) قدماً ووضعت فيها أنبوباً وأشعلت الغاز للنبعث من الأنبوب فامتد لهبه في الهواء ثلاثين قدماً ، وكان هذا اللهب يرى على مسافة ثلاثين ميلاً من كل ناحية ، وقدروا الغاز للنبعث من هذه البئر يومياً بمائتين وخمسين ألف قدم مكعبة فتقاطر الناس لرؤيتها من كل فج . سنة ١٨٨٥ تقبّت بئراً عمقها ١١٤٤ قدماً فانبعث الغاز منها انبعاثاً لم يعهد له مثيل فيسمع صوت خروجه منها على ثلاثة أميال ويرى لهبه على مسافة أربعين ميلاً من كل ناحية ، ويقدرون مقدار الغاز للنبعث يومياً من هذه البئر باني عشر مليوناً من الأقدام المكعبة . ومن ثم أخذ سكان المدينة يزدادون بكثرة النازحين إليها فبلغوا ستة آلاف نفس في غرة سنة ١٨٨٦ وعشرة آلاف نفس في ربيع سنة ١٨٨٧ ونحو ١٨ ألف في أواخر تلك السنة واتسعت مساحة المدينة وغلائن أراضيها وأنشئت فيها معامل للزجاج والحديد والآجر والسكاس ونحو ذلك مما يقتضى وقوداً كثيراً لأن أصحاب الغاز الطبيعي أجروه في أنابيب إلى العامل وأوقدوه فيها بدل الفحم وأجروه أيضاً إلى بيوت السكان فاستعملوه للطبخ والاستدفاء واتخذت مدن كثيرة بمدينة فندي في كل ولاية أوهايو وانديانا ويقدرون الآن أنه ينبعث من مدينة فندي كل يوم ستون مليوناً من الأقدام المكعبة من الغاز ومن غيرها من المدن المجاورة أربعون مليوناً . وأكثر

هذا الغاز يستخدم في الأعمال النافعة بدل الوقود على ما تقدم . وكانوا في أول الأمر يحرقونه عند أفواه الآبار فيذهب ضياعا . أما الآن فقد اقتصدوا فيه مخافة أن ينفد . وحالما شاع أمر الغاز الطبيعي أخذ الناس يتفلسفون في أصله وما يشول إليه استخراج من الأرض فقال بعضهم : (إن الأرض مجوفة وجوفها مملوء بهذا الغاز وهو علة تعلقها في الجو ، فاستخراجه منها شديد الخطر لأنها إذا فرغت منه تصدعت وتحطمت ووقعت من مكانها في السماء) . وهو من أسخف الأقوال التي طرقت للسامع وقال غيره : (إن الغاز ليس مائلا جوف الأرض كلها بل بعض الأجزاء وإنه يخشى أن تمتد النار الخارجية إلى مصدره الذي تحت ولاية أوهايو وانداهانا فيشتعل دفعة واحدة وينسف الأرض نسفا فتصير كل تلك البلاد واديا عميقا فتجرى إليه مياه [بحيرة اري] فيصير بحيرة كبيرة . وطلب من الحكومة الأمريكية أن تنظر في هذا الأمر وتنع استخراج الغاز من الأرض) وهو أيضا من سخافة بمكان .

وقال آخر : إنه تفحص أحوال الغاز الطبيعي بالتليفون والترمومتر فوجد أن درجة حرارة الأرض ٣٥٠٠ على عمق ميل تحت مدينة فندي وأن تحت المدينة مباشرة تجويها كبيرا مملوءا بالغاز الطبيعي وتحت الغاز طبقة من الصخور يمكنها نحو ميل وتحت هذه نار متقدة تذيب الصخور بشدة حرارتها ولا بد من أن تذوب تلك الطبقة الصخرية فتصل النار إلى الغاز فيلتهب دفعة واحدة فينسف الأرض التي فوقه بما عليها . وكل هذه الآراء من الحرافات التي لا يؤيدها العلم لأن الغاز لا يشتعل ما لم يجد جانب منه بجانب من أكسوجين الهواء فان لم يمتزج بالهواء فلا خوف من اشتعاله .

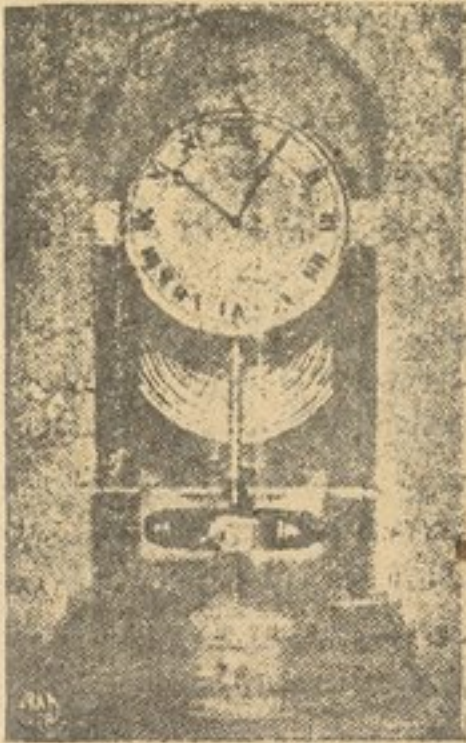
ثامنا : (ساعة تبيين الزمن وأوضاع القمر والشمس)

وساعة تشتغل من نفسها أمدا طويلا

جاء في إحدى المجلات العلمية مانعه :

اخترع (المستر جورج فوتشر) من (لوس انجليس) بالولايات المتحدة ساعة تبيين الزمن وأوضاع القمر والشمس والأرض في أي وقت في مدة ست سنوات ، وهي تسير حسب النتيجة العبرية القديمة أي باعتبار السنة القمرية وإضافة ما تنقصه عن السنة الشمسية وهو سبعة أيام وكسر في نهاية كل أربع سنوات لتكوين سنة كبيسة ذات ثلاثة عشر شهرا .

« واخترع أحد المهندسين في (بيرن) بسويسرا ساعة عجيبة تشتغل بنفسها أي بدون أن يعمل زبرقتها كالساعات العادية وتمكث كذلك ١٠٠٠٠ سنة وهي مبنية على استنثار تغيرات درجة الحرارة والضغط الجوي» (انظر شكل ٨) .



(شكل ٨ - رسم ساعة تشتغل من نفسها ١٠٠٠٠ سنة)

ويلحق بهذا عجيتان : العجيبة الأولى ، (اكتشاف الطائرات في الجو)

يمكن للستر (يرد) للشتل في أبحاث الرؤية من بعد من إيجاد أشعة يمكنها أن تعين مكان أى طائرة على أية مسافة ، وسيعرض هذا الاختراع قريبا فيحضر جهازه ويضعه فوق عمارة ويرسل منه أشعة مرئية ويصوبها نحو الطائرات المحلقة فوقه فإنها مهما بعدت فالأشعة تكون متصلة بها ولو لم تكن مرئية للناس وتصورها على الشريط مع بيان مقدار بعدها . ثم بعد ذلك يخرج من نفس الجهاز أشعة غير مرئية ويقوم بما فعله في الأول فتنتطبع على الشريط صور مماثلة للأولى بالضبط وعلى ذلك يمكن الجزم بأنه أصبح في الإمكان اكتشاف الطائرات مهما اختلفت وبعدت في الجو فلا يمكن استخدامها على غرة في غارة حربية كما كانت تفعل الطائرات الألمانية في الحرب الكبرى .

(العجيبة الثانية)

قد اخترعت فوتوغرافات لتعليم اللغات بالألفاظ والصور فليس على من يريد تعلم أى لغة إلا شراء أحد هذه الفوتوغرافات والأسطوانات الخاصة بهذه اللغة ، فإذا دارت الأسطوانة دار معها أيضا شريط مصور فكل كلمة تنطق بها الأسطوانة بينها الدليل على الشريط ، وبذلك يستطيع أن يتعلم أى لغة بدون حاجة إلى مدرس ويمكنه أن يبعد الأسطوانة كما يشاء حسب استعداده . وهذه ميزة لا يمكن أن توجد في تدريس الأسانذة اه .

(تاسعا - عجائب العالم الحديث)

أول ما يلفت النظر في عجائب العالم الحديث أنها من نوع آخر يختلف كل الاختلاف عن العجائب القديمة وإن تكن أعلى منها قدرا وأعظم نعمها لجميع الجنس البشرى فهي انتصارات للعلوم لم توجد بالرق والاستعباد وسلت الإنسان زمام القوى الطبيعية يسخرها لنفعه كيفما أراد . وقد يكون ذبوعها وانتشارها في جميع الأنحاء العملية في أصقاع الأرض وجعلها طوع كل يد مما سبب عدم حدوث الروعة والدهشة من أجلها في النفوس ولكن لا ريب في أنها غيرت حياة الإنسان على هذا الكوكب في وقتنا الحاضر تغيرا كليا لم تشهد الأمة الماضية حتى عهد قريب . وقد استشارت مجلة العلوم الأمريكية أكبر العلماء عن آرائهم في أعظم عجائب العالم الحديث وقد وصلت عدة مئات من الرسائل من مشاهير العلماء في كل أمة . فأسفر تلخيصها وحصر ما فيها عن نحو خمسين عجيبة تعد من أقصر انتصارات العلوم في جميع مناحى الحياة العملية والهئية الاجتماعية . وقد استوجب هذا أن يستشير رئيس تحرير مجلة العلوم الأمريكية الدكتور « ستراتون » رئيس معهد الفنون في « ماساشوسيت » بالولايات المتحدة كي يختار له من بينها سبع عجائب فقط بحجارة للصيغة اللفظية التي يعبر بها عن عجائب العالم القديم . فلما قابلته في مكتبه حيث يشرف على مئات من الشبان العاكفين على الأبحاث والتجارب العملية كي ينقلوا إلى يد الإنسان مدهشات القوى الطبيعية أحاطه بمحنته فلم يك من الدكتور « ستراتون » إلا أن قابله بالدهشة وأجابه متعجبا « سبع لا غير » كيف يكون ذلك ؟ أيخيل إليك أنه يمكن أن نجعل عجائب الوقت الحاضر سبعا فقط هذا مستحيل بل المعقول أن تقول إنه يوجد في الوقت الحاضر ٧٧٧ عجيبة . وأخذ يسرد له قوائم مطولة على ترتيب حروف الأبجدية عن عجائب هذا العصر فذكر الآلات الزراعية والطائرات والسيارات والكبارى . الخ . ولما كانت أعمال الدكتور (ستراتون) لاتسمح له إلا بالقليل من الوقت . أسهله رئيس التحرير حتى يفكر في خلوته في انتقاء أعجب العجائب . وقضارى القول أنه عاد إليه في الموعد المحدد فوجد الإجابة مطبوعة بالآلة الكاتبة على قرطاس من الورق كما يلي :

(١) استكشاف البكتريا واستنساخها فيما ينفع الناس .

- (٢) تقدم العلوم في معرفة تركيب المادة ومعرفة التشمع .
- (٣) تقدم علم الكهرباء واستثماره القوة الكهربائية في إيجاد الضوء والحركة .
- (٤) الاحتراق الداخلي في الآلات .
- (٥) طريقة البناء الحديث للعروف بالأسمت للسلح .
- (٦) التعدين الحديث .
- (٧) طرق حفظ اللواد الغذائية بدون تعفن أو فساد .
- (٨) الطيارات والرحلات الجوية .
- (٩) تقدم صناعة الآلات الميكانيكية

وإنه من اللفيد أن نبين بكل إيجاز ما أجمله في هذه الفقرات التسع فإن الأعجوبة الأولى وهي استكشاف البكتريا لا ريب في أنها من أكبر انتصارات علم الكيمياء في العصر الحاضر فقد لبث الناس طوال الأجيال الحالية . لا يدركون شيئا عن فعل الكائنات الدرية التي منها ما يقدم للانسان أكبر الخدمات ومنها ما يلحق به أشد الأمراض ويهدد حياته بالأخطار المريعة كما كان يحصل في الطواعين وغيرها من الأمراض الويلة الفاتكة . حتى إذا جاء العالم العظيم « باستير » باستكشافه في هذه العوالم الدرية التي لا تحصى والتي بالرغم من تدخلها كل التدخل في حياتنا فتراها العين المجردة ولكنها الآن أصبحت معروفة في كل مكان . فالمعروف من أنواع « البكتريا » للفيدي يزيد على ٢٠٠٠ نوع وتوجد في العالم مئات من المعامل الكبيرة لدراسة حياتها وميزاتها وقد درست كذلك أنواع كثيرة من المكروبات أو الجراثيم التي تسبب الأمراض وعرفت طرق مقاومتها والقضاء عليها . ولذلك لم تصبح إنسانية كما كانت في القرن السابق عرضة لأن تحصد أبناءها الأويثة والطواعين بل صار لكل مرض ينشأ عن هذه الجراثيم الدواء الفعال الذي يقفه عند حد إن لم يستأصله بالكلية ، ونشأ من ذلك استعمال المطهرات في كل شيء وطل الأخص المياه في المدن للزحمة بالسكان ولذلك يلاحظ ازدياد السكان في كل الأقطار الآخذة بأصول الحضارة .

وقد ذكر الدكتور ستراتون في الأعجوبة الثانية : تقدم العلوم في معرفة تركيب المادة ومعرفة التشمع فإن دراسة التركيب الذري للعادة قد أدى إلى انتصارات كباوية وطبيعية ترتكز عليها كل الأعمال الصناعية وغيرها في الوقت الحاضر . وإن أكبر هذه الانتصارات من غير شك هو اكتشاف الراديوم في سنة ١٨٩٨ بواسطة الطبيب الفرنسي (بيرو كوري) و(مدام كوري) زوجته ، وليس من أحد يجمل ما يقوم به الراديوم الآن من المعجزات التي لم يكن يتصور العقل حدوثها . على أن الراديوم لم يزل حديث العهد وبنظر له من الانتصارات العظيمة في المستقبل ما لا يمكن أن يذكر في جانبها ما عرف الآن من مزاياه ومبلغ قوته .

وأما الأعجوبة الثالثة وهي تقدم علوم الكهرباء بحيث أصبحت من القوى النافعة الآن في المصانع والدور والبيئات الاجتماعية فظاهرة لكل ذي عينين . فإنه يرى الكهرباء في الطرقات في شكل أضواء زاهية لامعة حسبما يراه من القوة ، ويراها في المصانع قوة محركة لتقوم بما لا يمكن أن يقوم به الآلاف من الناس ، ويراها كذلك مستخدمة في وسائل المواصلات والنقل مثل التلفون والتليفون والسلك الحديدية والتلفون اللاسلكي والتليفون اللاسلكي والرؤية من بعد الخ . وأن كل واحد من هذه الاختراعات العظيمة يعد أعجوبة لا تقدر ، ولا ريب أن اختراع طريقة الاحتراق الداخلي في الآلات أحدث فوق أديم الأرض كثيرا من التغيير في أحوال المجتمع الإنساني حيث سهلت المواصلات بعد أن كانت في العصور الماضية عقدة العقد . فهذه هي السيارات وإن تسكن حديثة العهد ولكنها أصبحت الآن في كل مكان ، ويعرف كل إنسان ما تقوم

من الخدمات النافعة، ويوجد منها في الولايات المتحدة وحدها ٣٣٠٠٠٠٠ سيارة أى بنسبة سيارة واحدة لكل ستة أشخاص، ويمكن أيضا تقدير ما يستفيد منه الإنسان في هذه الأعجوبة إذا فكر في الآلات المختلفة التي تسير بالاحتراق الداخلي لرى الأراضى أو الإضاءة أو لإدارة المصانع المختلفة فهذا مشاهد في كل مكان .
وأما الأعجوبة الخامسة فهي : الطرق الحديثة في البناء المعروفة بالأسمنت المسلح حيث يستخدم فيها المعدن والأسفلت في وقت واحد . وقد لا يعد البعض (الأسمنت المسلح) بين العجائب ولكنه إذا رأى كيف تبنى ناطحات السحاب في أمريكا وغيرها من البلاد لا يسمعه إلا أن يقر بفضل هذه الأعجوبة التي يمكن أن يتم بواسطتها من البناء في بضعة أشهر ما كان يستغرق فيه بناء الأهرام عدة سنوات وأن حدائق بابل المعلقة التي لا ترتفع أكثر من ٤٠٠ قدم لا يمكن أن تعد أعجوبة إذا قورنت بأى برج من الأبراج الحديثة المبنية بالأسمنت والحديد ولا سيما إذا عرفنا أن القدماء كانوا يبنون بالطين وأكثر ما استعمله قدماء المصريين الجبس، والرومان للواد البركانية مع الجير . وكان اختراع الأسمنت في سنة ١٨٢٥ ومن ذلك العهد تطور فن البناء وظهرت العمائر الضخمة ذات الدورات من الطبقات (٦) وقد كانت انتصارات التعدين من أول الأمور المحققة لكثير من مناحي التقدم العمراني والصناعي حيث يجد كل صاحب صنعة أو عمل نوع المعدن الأكمل الذي يمكن أن يكون أعظم من سواه في العمل الذي يتعمده . أو الآلة التي يصنعها (٧) وأن طرق حفظ الأغذية من التلوث والفساد لها قيمتها الكبرى لأن الأغذية من أول العوامل الحيوية اللازمة لوجود الإنسان . وقد كانت تحصل المجاعات في الأزمنة القديمة وبهلك بسببها ما لا يحصى من الأمم . بينما توجد بلاد تزيد حاصلاتها على ما تستهلكه فتطرح للتعفن والفساد بدون أن تستثمر في إقناذ المهالكين في المجاعات . وصارت الحركة التجارية الآن في جميع أنحاء العالم تستثمر كل حاصلات كل قطر من الأقطار ولولا طرق حفظ الأغذية لما أمكن أن يتم ذلك (٨) وبديهي أن من يعد عجائب العالم لا بد أن يذكر الطائرات وتقدمها العظيم كما هو مشاهد للعيان ، فقد أصبحت تتم بها الرحلات بين جميع أقطار الكرة الأرضية وهي تستخدم الآن في نقل البريد والمسافرين ، ولها في إبان الحرب أروع الأعمال التي تسكب الجيوش الفوز والنصر . وذلك لأنها أول طرق المواصلات المبررة من القيود المكانية فهي تسبح في الهواء أين تشاء (وأما الأعجوبة التاسعة) وهي تقدم الآلات فانه يدخل تحتها ما لا يعد من الآلات التي تقوم بأعظم الخدمات للمجتمع الإنساني في أقل مدة من الزمن مع أنها كانت تتم في العهود الماضية بمواصلات الجهود الشاقة في مثات الأمثال لهذه اللدة، ومنها الآلات الزراعية المستخدمة في الحرث والحصاد ودرس القمح، ومنها آلات الحياطة والكتابة والحساب والطباعة . ويكاد لا يقوم الإنسان الآن بأى عمل من الأعمال بدون أن يستثمر فيه الآلات، وقد تكون قوته باستخدام آلة واحدة تعادل قوة عشرات اللئات من أمثاله ، فهل يعد كل ما استعرضناه من الدهشات يمكن أن يقال إن عجائب العالم الحديث لها عدد أو نهاية . انتهى .

أليس هذا وغيره سرا من أسرار الفتح الرباني الذي فتحه الله للناس من رحمته وكلا فتح فتحا جديدا للإنسانية على يد كاشف كشفه قامت في وجهه العقبات من حسد الحاسدين ومكر الساكرين . ولكن الله يقول : كلا . لا تمسك لرحمتي . فليكشف المسلم غوامض مخلوقاتي وإذا قام في وجهه الحاسدون فليعلم أنه لا تمسك لرحمتي التي أظهرها لعبادي على يد واحد منهم ، فأنا أنصر كل مجد لنفع الناس طرأ ، فليعلم شبان المسلمين قراء هذا التفسير وليشعروا عن ساعد الجسد وليدلوا دلوم في الدلاء مع العاملين لنفع الإنسانية كلها وأنا أساعده وأنجحه . فإذا سبقت كلتنا لعبادنا المرسلين فهذه كلتنا لعبادنا الذين ألهمتهم أن يكشفوا عن عظام رحمتي في العناصر والمادة .

ولا ريب أن من مقدمات النهضة الإسلامية في الأرض هذا التفسير والله هو الذي فتح هذه الرحمة للمسلمين فلا تمسك لها . ويلحق بهذا أربع فوائد :

أولها : (قياس سرعة البرق الصاعق)

توصل العلم إلى قياس سرعة البرق بعد جهاد كثير من العلماء ولاسيما الأستاذ (بوز) الطبيب الإنكليزي الشهر الذي مكث ستا وعشرين سنة يقوم بتجارب واختبارات عديدة في هذا الشأن حتى توصل إلى اختراع جهاز دقيق يحقق هذه الغاية بكل سهولة . وهذا الجهاز عبارة عن آلة فوتوغرافية شديدة التأثر ذات عدستين تتحركان بسرعة كبيرة . وقد وجد أن البرق الصاعق يتم تكويته في ٠.٠٠٧ من الثانية وأن أي جزء منه لا يمكث أكثر من جزء من (٣٥٠٠) جزء من الثانية .

ثانها : (يحصل البرق الصاعق من الأرض أم من السماء ؟)

كان العلماء يذهبون إلى رأيين متناقضين في ذلك ، فمنهم من يقول بأن البرق الصاعق يسقط من السرب إلى الأرض ، ومنهم من يقول بتوحيه من الأرض . وقد أثبت الأستاذ (بوز) أن البرق الصاعق ينشأ من الطرفين أي من الأرض والسحاب في وقت واحد تقريبا ، ويتم ما بين طرفيه في الجو في نحو جزء من (٧٠٠٠) جزء من الثانية . وذلك لأن الفوتوغرافية التي صنعها كانت ترسم بمدستها طرفي هذا البرق في صورتين ، بقياس الوقت اللازم لرسمها بواسطة أجهزة دقيقة تمكن من أن يعرف الوقت اللازم لتكوين البرق الصاعق وسرعته .

ثالثها : (من أين تأتي القوة ؟)

تأتي كل القوة التي في العالم إلا جزء قليل منها من الشمس فان الرياح والأمواج والشلالات والأنهار ، والزيت والبتروال والفحم توجد فيها قوة الشمس أو هي قائمة عليها ، وأن قوة الجزر واللد التي تنسب للقمر هي في الحقيقة مستمدة بواسطته من الشمس .

رابعها : (مصدر قوة الإنسان)

ويستمد قلب الإنسان وأعضاؤه وعضلاته القوة من الشمس في الحقيقة لأنها ليست ناشئة إلا من هضم السكر والنشا وهما مستخرجان من النباتات ، ومن الثابت أن النباتات لا تنبت إلا بتأثير أشعة الشمس . انتهى ما أردته من المجلة المذكورة ، والله أعلم .

خامسها : (أغرب غرائب أمريكا)

جاء في مجلة كل شيء مانعه :

الستر ولجسون رجل أمريكي يعيش ينقل الصور للوننة للأسمالك وسائر أنواع الحيوان ، وكان أبوه قبطانا قد اخترع زورقا يخوض تحت الماء وله أنبوبة تصل إلى أعلى لتجديد الهواء ، وكان غرضه من هذا الزورق استنقاذ السفن الراسية . ولهذا الزورق عين كبيرة من البلور الصافي يبلغ قطرها ثلاثة أقدام فيمكن الإنسان أن يرى الأحياء والحيوان تحت الماء بها . وقد مات القبطان ولم يستعمل الزورق للفرض الذي بنى من أجله وإنما استعمله ابنه للستر ولجسون في تصوير الحيوان ، وقد مضى عليه (١٦) سنة وهو في هذا العمل . ولما تزوج أخذ زوجته إلى الزورق وقضى معها شهر العسل عند جزر باهاما حيث اشتغل بنقل الصور وباهاما من جزر الهند الغربية ، ولما عند عمق (٢٥) قدما يشبه النهار عندما تغم السماء ، ولكن لبين

الزورق مسايح كهربائية تشع ضوءا باهرا في الماء فيمكن نقل الصور كما تنقل على سطح اليابسة في النور العادي وهذا إذا كان الماء هادئا ، أما إذا حدثت زوجة وهاجت الأمواج بلغ الهياج قعر البحر فبذلك يرفع الطين الراسب ويكدر صفاء الماء كما يرفع الضباب عندما تهيج الريح على اليابسة .

ويعيش الآن السمك ولجسون مع زوجته في هذا الزورق فيضوان به في النهار ويصعدان إلى السطح في المساء ، وقد يظن القارىء أن هذه للبيئة تسم الإنسان وخصوصا الزوجة ولكن للزوجة ولجسون تصف هذه للبيئة بأنها ليست خالية من اللامحى بل تقول إنها أحيانا كثيرة تجذبها للناظر فتجذب سلمات لاندرى بانتقاء الوقت لقرط ماترى من غرائب الطبيعة وجمالها تحت الماء . أما هذه للناظر فهي أعشاب البحر المختلفة التي تشبه للزوج والراعى وهي في الواقع كذلك ، فإن السمك وسائر الحيوان يسير بينها ويتخللها بأكل منها أو يختفي في ثايبها كما يفعل الحيوان فوق اليابسة . ومن الناظر الجلية حقول للرجان بألوانها الزاهية المختلفة ، وفي ملاحظة حركات الأسماك وأخلاقها ما يجعل الإنسان يقضى الساعات وهو لا يسأم . والأسماك تختلف في الزواج والقوة والأخلاق . فقد ترى السمكة الصغيرة الخفيفة تمتد إلى سمكة كبيرة فتهاجمها وتضربها ثم تفر منها . وأحيانا تأتي سمكة قمرى عين الزورق البلورية فتأخذ في التحكك بها ومسحها بأطراف ثنها . وأحيانا تجرح البلور فيحتاج للستر ولجسون إلى صفة يضع ساعات لكي جيد إليه صفاه . ويقول الستر ولجسون إن اختبارات تدل على سوء الظن بالقرش خير من حسن الظن به فهذه السمكة شريرة وقد رأى قروشا تتشاجر فيمزق أحدها الآخر تمزقا مروعا . والقرش في البحر كالنمر على اليابسة يجب الاقتراس والقنل ولا ينفك عن ذلك وهو يأكل الرمة ولكنه يجب الأحياء من الناس ويأكلهم والستر ولجسون يزود السيناتوغراف بأفلام عن الحياة تحت البحر كما يزود للدارس وللناحف بصور فريدة للتاريخ الطبيعي اه .

حادى عشر : (الكلام على عالم الطفولة)

(مدحشات عالم الطفولة)

أولا : الأطفال ذوو العقول الجيارة

يوجد الآن في (سلوفاكيا) طفل في الخامسة من عمره غير العقول في مقدرته في الحساب حيث يجب على العمليات التي تستوجب من الحساب أن يجرها بالقلم على القرطاس في بعض ثوان . ولقد أحضر في عقل كبير وسأله الأطباء لخص قوام الدهشة . كم يوما مضى من ميلاد للشيخ ؟ فأجاب هذا الطفل الجواب الصحيح بغير توقف . وما كان يحطى تاريخ ميلاد أى شخص من الحاضرين حتى يجيب بدون تردد عن مقدار مامر عليه من الأيام والدة ثقي منذ ولادته غير ناس لحساب السنوات الكبيسة التي تتخلل عمره ورأس هذا الطفل كبيرة للغاية حتى أنه لا يمكنه أن يلبس أكبر قبعة عادية . وظهرت أخيرا في الولايات المتحدة طفلة في الثامنة من عمرها تجيد التكلم بنائى لغات وألفت ثلاثة كتب وعدة مقالات وقصائد ، ولما كان بينها ثلاث سنوات كانت تكتب على الآلة الكاتبة وتتكلم بالاسبرانتو والفرنسية وإن تكلمت اللغة الإنجليزية لغتها الأصلية . ولما بلغت الخامسة من عمرها أخذت تقول الشعر .

(الأعجوبة الحققة)

ظهر في صحيفة من صحف لندن منذ قرن من الزمان ما يأتى :

جوتجن في ٣٠ مايو : انتظم في سلك الدراسة في جامعتنا منذ ثمانية شهور طالب في منتصف السنة العاشرة وهو من عجائب المخلوقات ، واسم هذا العالم الصغير (شارلس ويت) ويعرف عنه أنه لما بلغ الثامنة

من عمره كان يجيد إلى جانب لغته الأصلية وهي الألمانية اللغات الآتية: اليونانية القديمة واللاتينية والفرنسية والانكليزية والإيطالية، وهو قوى فيها إلى درجة السكالك كتابة وحديثا، ويستطيع أن يترجم بكل سهولة من (فيرجيل) و (هومر).

(طفل دائرة معارف)

وأغرب من هذا الغلام طفل اسمه (هنرى كرستيان هينكن لوبك) فإنه لما بلغ الشهر العاشر من عمره كان يستطيع أن ينطق كل كلمة في قاموس اللغة الألمانية مع ما هو معروف عن صعوبتها في النطق عن أية لغة من اللغات الحية ، وما أم سنة حتى كان لما بأشهر الحوادث في تاريخ العالم . ولما بلغ من العمر سنتين كان على علم تام بكل تواريخ التوراة وقصصها وأنبياؤها ورجالها . ولما كان في الثالثة كان يجيب بمنتهى الدقة على كل سؤال في جغرافية الكرة الأرضية جميعها وتاريخ العالم القديم ، وعند ما بلغ الرابعة كان يشترك في مجادلات حادة مع شيوخ الأساتذة في أربع لغات ولكن العمر لم يممه حتى يتم السادسة .

ثانيا : (أغرب طفل في العالم)

وهو الطفل البلجيكي النابغة الذي تتحدث عنه الصحف الأوروبية والأمريكية وتمده أعظم أعجوبة في عالم الطفولة ، فهو لم يتجاوز السنة الثانية من عمره ولكنه على الرغم من ذلك يعد من أكبر الرياضيين وأصحاب المواهب الحارقة للعادة في علم الحساب، وهو يستطيع أن يضرب عددا مكونا من خمسة أرقام في ٥ د آخر من خمسة أرقام في ذهنه أى بدون كتابة وينطق بحاصل الضرب بسرعة وبدون تردد ولم يحصل أنه أخطأ في ذلك مرة اه .

ثالثا : (صبي في الثانية عشرة ينال بطولة مصارعة الثيران)

لك أن تسميه شجاعا أو أن تصفه بما شئت غير ذلك من صفات البطولة، وإنما اللهم هو أن في جمهورية (يرو) ميلا لا يتجاوز عمره الثانية عشر قد اشتهر على الرغم من محول جسمه بمصارعة الثيران والتغلب عليها وكان الكثيرون يظنون في هذه الشهرة شيئا من اللبالة ولكن حفلة كبرى لمصارعة الثيران أقيمت في (ليما يرو) وحضرها ألوف من الجماهير وكثير من مندوبي الصحف فبرهنت على أن شجاعة المصارع الصبي واسمه (رافاليتو ميجاس) ليست كاذبة ولا مبالاة فيها فإن هذا البطل الصغير لم يصارع ثورا واحدا بل صارع ثورين فنجما من ضرباتهما وكان له عليهما الفوز والغلبة .

رابعا : وهو ماجاء في جريدة الأهرام في يوم ٢١ نوفمبر سنة ١٩٢٩ م وهذا نصه :

(عبقرية الأُمى الفقى «ترك»)

أشرنا منذ أسابيع في الأهرام إلى عبقرية الفقى الأُمى السُمى (ترك) وإلى مقدرته الحسابية ومواهبه الحارقة للعادة . وعلى أثر صدق هذه السمعة استدعاه حضرة صاحب العزة مدير مصلحة المساحة وامتنحن مقدرته وكتب إلى وزارة المالية يطلب إليها تعليم الفقى (ترك) على حساب خزينة الدولة حتى إذا آتم الدراسة عمل في خدمة الحكومة على مقتضى ما توهمه إليه كفايته وظروفه إذ ذاك . وقد وافقت وزارة المالية على هذا الطلب طبقا لما أشرنا إليه من قبل .

ومما هو جدير بالذكر أن نشير إلى بعض أسائل التي امتحن فيها الفقى المذكور ، فقد طلب إليه أن يذكر حاصل الضرب بين الرقمين ٦٤٥٣٢١٥٤ و ٣٤٧٨ فأجاب الإجابة الصحيحة بعد أربع دقائق . وطلب إليه معرفة خارج القسمة للمدين ٥١٦١٧٦ ر ٢٨٨٦٣ على ٥٨٦٤ فأجاب إجابة صحيحة بعد عشر دقائق . وذكر لهذا الفقى أيضا أن الملكة المصرية تشتمل على ٩٩٦٣٢٧ كيلو مترا وأن الكيلومتر

ثانيا : ماجاء بتاريخ ٢٢ فبراير سنة ١٩٢٩ بعنوان المتقدم

أثينا في ٢٢ فبراير - لا تزال رداة الجبو الشديدة مستمرة وقد اكتسحت عاصفة ثلج إقليم أثينا. هافاس لندن في ٢٢ فبراير - بينا الثلج ينوب في بريطانيا العظمى يشتد البرد في غيرها من البلدان الأوروبية قد جاء في برقية من أثينا أن عاصفة ثلج شديدة اكتسحت بلاد اليونان وأن أنحاء كثيرة في الأرياف تهددها المجاعة من جراء انقطاع التوصلات وقد اكتتب حتى الآن بمبلغ ٣٥٠٠٠٠٠٠ دراهمة إعانة لمنكوبى الفيضان في جنوب بلاد اليونان ومن جعلها مليون من بنك اليونان الوطنى ونصف مليون من السيوفز بيلوس. ويؤخذ من برقيات صوفيا أن البرد عاد وأن حرارة الجو هبطت إلى ٢٥ درجة تحت الصفر في بعض الأماكن وسقط ثلج أسود في روستجق ويظن أنه ممزوج بخبار البراكين .

رومية في ٢٢ فبراير - يعوق البرد الشدد في إيطاليا حركة سكك الحديد، فقد وصل اكسبرس الشرق إلى ميلانو متأخرا ٤١ ساعة من ميعاده - هافاس .

بودابست في ٢٢ فبراير - عاد البرد القارس بشدة عظيمة وبلغ الدرجة الحامسة والأربعين تحت الصفر هنا اليوم والجد سميك جدا في نهر الدانوب بحيث تمر فرقة مركبات يجرها الثيران . وقد تلف القسم الأكبر من أزهار الخمار وخمسون في المئة من قفران النحل - روتر .

ثالثا : ثورة الطبيعة بسوريا ولبنان

من عادة سكان الجبال العالية في لبنان أن يدخروا لأيام الشتاء للأكل ولللبس حتى يستنوا عن المدن والسواحل مدة شهرين على الأكثر ولكن الطرقات تظل مفتوحة ويظل الأهالي قادرين على الهوى إلى الساحل وشراء حاجاتهم على أنه حدث في هذه الأيام أن الثلوج تراكت حتى قطعت الطرق وعزلت كثيرا من القرى في أعالي الجبال فنفدت حاجات السكان وعز خروجهم من قرام وصعب الوصول فأخذ الكثيرون من سكان السواحل يستمرخون الحكومة لتمديد المساعدة إلى القرى للعزولة وتوصل إليها حاجاتها من المأكول والغذاء إلى أن يمن الله بالفرج وتذوب الثلوج وتفتح الطرق .

قالت البلاغ البيروتية :

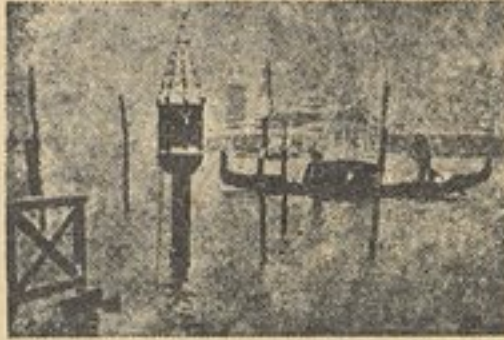
طمرها الثلج ولم يبق من بناياتها شيء ظاهر ويرجحون أن منازلها سقطت على ساكنها إذ قيل إن ارتفاع الثلج فوقها بلغ ٢٥ ذراعا ويقول الشيوخ إنه لم يسبق لذلك مثل منذ نصف قرن . قال : وقد أصيبت قرية بان أيضا بأضرار جسيمة سنوafكم بتفصيلها وتفصيل غيرها من النوايب الجوية في صرود البترون وبلاد جبيل ؟

وسقطت صاعقة في البترون قطعت أسلاك التلغراف ولم يسب أحد بأذى والحمد لله .

رابعا : ٢٠٠.٠٠٠.٠٠٠ دولار خسائر الجليد في العالم في كل شتاء

هذا هو اللبغ الذى يذهب سدى من جراء سقوط الجليد . وهو كما يرى في الصورة قطع من الثلج متفاوتة الحجم فمنها ما هو كالحصاة ومنها ما هو في حجم البيضة . وترسله السماء بأهمار شديد بين زئير الصواعق والرعد وقد كان شتاء هذا العام شديد البرد لكثرة ما نزل من الجليد في بعض الأقطار، فقد كان ملاحظا في الأستانة كما هو في جنوب أفريقيا، وجنوب أوروبا وبعض أقطار أمريكا وكانت تفتى طبقات منه أبنية وشوارع الريفيرا ومونت كارلو وغيرها من البلاد، وكان البرد على أشده عدة أيام جنوب إيطاليا فكانت درجات الحرارة ١١ درجة تحت الصفر في البندقية وسينا و١٣ في يروجيا و٢٠ في أودين وبالرمو ولكن أروع حالة كانت

في القسططينية في أوائل فبراير الحالي وكانت الرياح الشمالية تسير بسرعة ٦٠ ميلا في الساعة وكانت تسكتسح الجليد أمامها فكان من الصعب أن يرى الإنسان مأماما في شوارع الأستانة وقد وصل جملك الجليد في بعض النقط ١٥ قدما وتمذر مرور السفن في البسفور لما كان فوق سطح الماء من طبقات الجليد (انظر شكل ٩) انتهى للقال العام في آية «ما يفتح الله للناس» الخ



(شكل ٩ - إحدى كنائس مدينة البندقية في إيطاليا تحت الجليد)

اللهم إنا نحمدك على نعمة العلم وبهجة الحكمة والهداية لفهم والإنعام ، اللهم إن أعظم نعمك علينا هو العلم ، العالم الذي نعيش فيه مادة والمادة لا تثبات لها بل هي شبكة نسجتنا لنا يد الحواس الخمس لتصيد بها جواهر العلوم في ظلمات بحر الحياة اللحي ، فويل ثم ويل لمن مرت عليه السنون تتلوها السنون وهو في غفلة وهو من المعرضين ، لو لم يكن هذا العالم في غاية الإبداع والجمال لكانت هموم هذه الحياة وأسقامها عبثا .

إذا لم تسكن الآلام والأسقام موقظات للعقلاء أن يفكروا فيها خلقوا فيه من الجمال اطل جميع الخلق محجوبين مبعدين عن بهجة ذلك الجمال البارع والحسن والنور والعرفان .
أكتب هذا الآن وبين يدي كتاب (الطبيعة وعجائبها البديعة) فما هو ذا الجهاز الهضمي (شكل ١٠) في الصفحة التالية .



(شكل ١٠ - الجهاز الهضمي)

انظر إليه وفكر فيه . أليس هذا هو الخلق من النطفة المخلوقة من تراب ، هاهو ذا التراب فانظر كيف خلق منه نبات وحيوان فإنسان فأكل هذا نباتا وحيوانا فاجتمعت العناصر فكان منها أمثال هذه القناة الهضمية .

هذه براها العالم والجاهل فتظهر تارة بهيئة حقيرة لقذارتها أو هيئة مشتهة إذا طبخت وكان الناظر جائعا وهي في نظر الجزار سلعة تنقص لثمتها ، أما الحكيم للفكر فإنها في نظره لوح يقرؤه وكتاب يفهمه وتبصرة وذكرى ، فأول ما يصادفه بعد الفم وما فيه من الاثنتين والثلاثين سنا (الغدد اللعابية) فينظر فيرى هناك ثلاثة أزواج من الغدد كلها تفرز اللعاب الجاري في قنوات ، وذلك اللعاب سائل شفاف غير حمض

بواسطة خيبر اسمها (للنفخين) ولا جرم أن وسط للعدة حمضى بخلاف وسط الفم فهو قلوبى ولكل منهما خائر تناسبه ولا عمل لخيبر إلا فى مكانها الخاص .

ثم إنه لا بد فى فهم حقائق بقية هذا الموضوع من معرفة ما هى الأغذية اللازمة للإنسان إنها :

- (١) مواد عضوية غير آزوتية أى ليس فيها عنصر الآزوت الذى هو جزء من الهواء الجوى وهذه إما مواد كربوايدراتية مثل النشا والسكر . وإما مواد دهنية كأنواع الزيت والسمن والشحم .
- (٢) ومواد عضوية آزوتية وهذه تسهل فى أنسجة الجسم . وهذه مثل (البروتين) كزلال البيض والجلاتين المستخرج من العظام للثلية واللادة الجينية فى اللبن ومادة (اليوسين) التى فى اللحم وهكذا يكون (البروتين) فى اللواد النباتية لاسيا فى بذور البقول مثل القول والبسلة والعدس . وفى الحبوب كالتقمح والقررة .
- (٣) ومواد غير عضوية وهى الماء واللوات المعدنية والماء ثلثا الجسم واللوات المعدنية منها :
- (أ) كربونات الجير وهى فى العظام والأسنان .
- (ب) وفوسفات الجير وهى فى العظام أيضا وتكون نصف وزنها تقريبا وإن فوسفات الجير وكربوناته داخلات بمقادير كافية فى الأغذية النباتية والحيوانية .
- (ج) وملح الطعام .

(د) وأملاح أخرى بمقادير قليلة تدخل فى الجسم من الغذاء . إذا عرفت هذا فإن الحكيم للفكر الذى تكلمنا عنه ينظر فى سير الطعام أثناء سيره (انظر شكل ١٢) .



- (١) المعدة (٢) البواب
(٣) الاثنا عشرى .
(٤) السطح السفلى للكبد
(٥) الحوصلة الصفراوية
(٦) غدة البنكرياس
(٧) القناة الصفراوية
(٨) القناة البنكرياسية
(٩) الطحال (١٠) الأورطة
(١١) الوريد البابى
(١٢) الشريان الطحالى
(١٣) الوريد الطحالى

(شكل ١٢ - المعدة والاثنا عشرى والكبد والطحال والبنكرياس)

فيرى أن هناك القناة الصفراوية (عمره ٧) فى هذا الشكل توصل الصفراء للطبوخة فى الكبد إلى الاثنا عشرى، ومثلها القناة البنكرياسية الآتية من البنكرياس (عمره ٨) فى الشكل ، فإذا رأى هاتين الصارتين تصبان فى مكان واحد وتمزجان بمادة الكيموس الآتى من المعدة ذى القوام الفليظ . وهذا الكيموس يمر بالأمعاء فتقبله عصارة أخرى تفرزها الأمعاء نفسها . فهذه الصارات الثلاث تذيب من اللواد ما لم يذب من قبل وينقلب بسببها الكيموس إلى كيلوس ذى قوام سائل لبنى، وهنا استمد الطعام لأن يرتقى درجة أخرى فتنتصه الحلات التى فى الأمعاء الدقيقة ويمر الباقى إلى الأمعاء الفليظة ولا يزال الامتصاص مستمرا هناك أيضا وما فضل مما لم يتمس أو لم يصلح للامتصاص يخرج بالتبرز . وهنا يرى هذا الحكيم أن القناة الهضمية فيها

مصانع لتجهيز أنواع المواضع . فأما في القم فالعاب وفيه خمائر تذيب للواد النشوية كالسكر والنشاء وما يقى
نقى للعدة وفي الأمعاء بالمسارة البنكرياسية والمووية والصفراوية .



(شكل ١٣ - الوريد البابي والفروع الرئيسية التي يتكون منها)

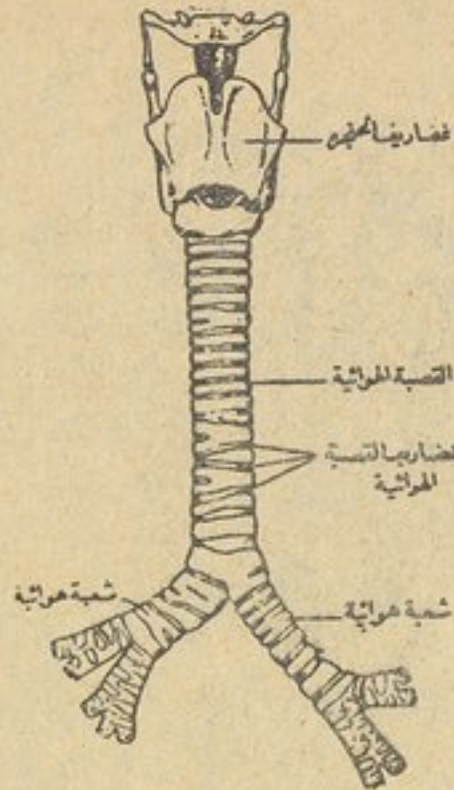
هناك يرى ذلك الحكيم درجة جديدة للطعام ، فانه أولا كان نباتا وحيوانا وماء ومعادن ، ثم أصبح في القم هذا النباتا العبابا أو كيموسا في المعدة بأنواع من المواضع ثم انتقل إلى الأمعاء فسلطت عليه المسارات الثلاث التقدمة من البنكرياس والصفراء والأمعاء فصار كيموسا ثم ارتقى فضبلته شبكة دقيقة من الأوعية الدموية تحت النشاء الخاطى بعد أن يمر بذلك النشاء للبطن للأمعاء . وهذه الشبكة تسلمها إلى الدورة الدموية والدورة التنفسية ،

ها هنا ينظر في الدورة الدموية لماذا يرى؟ يرى هذا الرسم (انظر شكل ١٣) وهذه الدورة تقدم شرحها مرارا وتكرارا في هذا التفسير ولكن هذه الصورة البديعة لم يتقدم لها نظير من حيث وضوحها (شكل ١٣) .

وهناك يرى الدم الشرياني في يسار الصورة والوريدي في يمينها والأول يتدفق في الأورطى الخارج من البطن الأيسر وقد تفرع إلى فرعين : أعلى وأسفل لتغذية الجسم كله أعلاه وأسفله فهو أشبه بنوع الانسان حينما يكون جاهلا . فإذا تعلم صار كالمواد المهضومة ثم يرقى فيصير نائما لمجموع الأمة كما صار الدم غذاء للجسم . فأما بقية اللواد التي لم تهضم أو هضمت ولم تمتص فقد خرجت بالبرزخ فهي أشبه بأولئك الذين رسبوا في المدارس لأنهم لم يجيئوا في الامتحان أو كأهل النار الذين لم يصلحوا السكنى الجنة لأنهم في الدنيا لم تتوافر فيهم صفات السكالك حتى يصلحوا معاشره أهل الجنة الذين هم علماء وحكماء . ويرى الدورة اللغواوية العليا والسفلى . والوريد البابي . والوريد الكبدى الأعلى للتصلين بالكبد ، وهما يملوآن بالدم الوريدي ثم يبحث فيرى الدم الشرياني متى اتصل بأجزاء الجسم تحول إلى دم وريدي ، فيعرف أنه قد اسود بسبب اللواد الضحية التي خالطته بسبب التفاعل الكيماوى ، ثم يرى ذلك الدم الوريدي أخذ يرجع ثانيا فأخذ يعصب في الأذن الأيمن ثم ينزل منه إلى البطن الأيمن ومن البطن الأيمن يخرج هذا الدم في طريقه جاريا في فروع الشريان الرئوى متصلا بفروع الشعب الهوائية . وهناك يبحث عن هذه العجائب كيف تكونت فيرى القصبة الهوائية (انظر شكل ١٤) .



(شكل ١٥ - الحويصلات الهوائية)



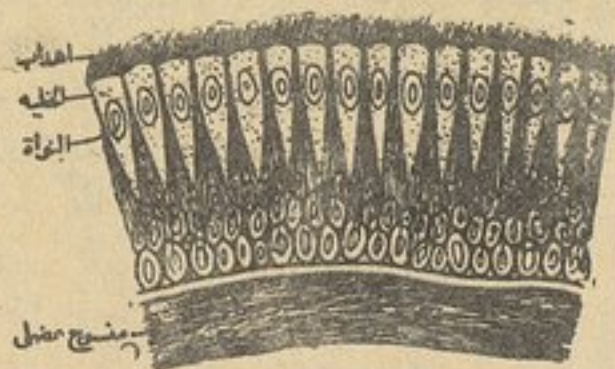
(شكل ١٤ - القصبه الهوائية وفروعها)

وهذه القصبه الهوائية تتكون منها شعبتان هوائيتان وهاتان الشعبتان يخرج منهما ما يشابه الأشجار ويسمونه بالحويصلات الهوائية (انظر شكل ١٥).

وعند تأمله في القصبه الهوائية يجد فيها عجيا ا يرى نسيجا هديا مبطنا للقصبه (انظر شكل ١٦).



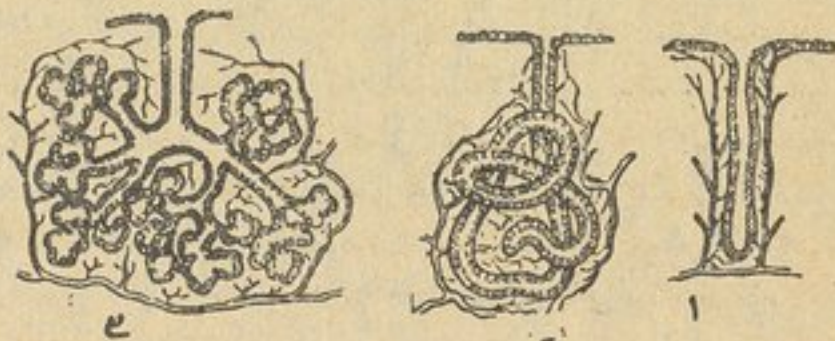
(شكل ١٧ الرئتان وتفرع القصبه الهوائية فيهما)



(شكل ١٦ - النسيج الهدبي للبطن للقصبه الهوائية)

فيقول : « ما عمل هذا النسيج ؟ إن فيه لأهدابا وخلايا ومنسوجا عضليا » ثم يهتدي أخيرا إلى أن هذه الأهداب أشبه بالكناسين والزبالين لأنها دائما ليلا ونهارا تتحرك من الداخل إلى الخارج ، لماذا هذا ؟ لتطرد القبار الداخل مع النفس في القصبة الوائية ، فهذه الأهداب حوافظ وخضراء تطرد الأجانب لتلا تفسد للملكة الرئوية الخادمة للملكة الدموية ، فالقلب يرسل جنوده الدموية الشبكية القوية للتعبئة فتأتي إلى الرئة فيقابلها الخدام والحفظة فينظفونهم ويحملون ما خالطهم من الأردنان ويرمون به في الخارج فضلا عن إمداد هؤلاء الجنود بالغذاء وهناك يسافرون إلى الجسم كرة أخرى ويفعلون ما فعلوه سابقا وفي أثناء سيرهم يتقابلون مع جنود أخرى يأتون إليهم من الغذاء للهضم النقي الذي تمتصه الشبكة الدموية في الأمعاء ليكون عوضا عن الدم الذي تمثل بالجسم فيقول ذلك الحكيم إذ ذاك كيف يفهم المسلمون آية « وكل شيء فصلناه تفصيلا » لإبهذا وأمثاله ، أو آية « وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم » أو آية « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا » الع (أنظر شكل ١٧) .

ثم يقول : (هاتان شعبتان هوائيتان قد تشعبتا في الرئة وهناك قبلا الأوردة والشرايين) هناك يهوله الأمر ويزيد عجبه ، إذ يرى ما يشبه الأشجار التي في الحدائق قد نبئت من القصبة الهوائية وأخرى امتدت من القلب وتقابل الأعلى والأدنى من فروع وفريعات يماثل أذناها أعلاها حتى يمكن الاقتباس والالتئاس والأعمال الكيماوية ، وهناك ينظر ذلك الحكيم نظرة أهي فيقول : (ماهذه الغدد التي أراها على أنواع مختلفة فمنها البسيطة والأنبوية والمعقودية) (شكل ١٨) .



(شكل ١٨ - رسم يمانى للغدد)

(١) غدة بسيطة . (٢) غدة أنبوية . (٣) غدة معقودية .

فماذا يرى بعد البحث ؟ يرى أن هذا الدم الذي لم ينكه الجسم إلا بعد مشاق ومشاق وتعب ونصب ومصانع تحضر مواد في الفم وفي المعدة والأمعاء والكبد والبنكرياس لا يزال هو بحاجة إلى إصلاح . إن هذا الدم عيب له ولا قدرة على إصلاح هذا الجسم بمفرده ، وكان أن الأغذية لم تصر دما إلا بعد مواد صنعت في مصانع خاصة ، هكذا هذا الدم لا يصلح لعمارة هذا الجسم إلا بعد أن يقوى ويؤيد بمواد نافعة تؤهله لهذه الأعمال العظيمة وإيجاد هذا الخلق الجديد . إن الدم منه تصنع جميع العظام والأعضاء والحواس (١) فيرى أولا أن أعضاء التناسل ونمو الشعر والعظام لا بد لها كلها من عمل آخر حتى يتم لأن الدم بمفرده لا يصنع ذلك . هناك يجد أولا الغدد الصنوبرية وهي قدر حجم الحمصة موضوعة بين المخيخ والنصفين

السكريتين للمخ وهذه الغدة إذا صارت ضخمة فإن الإنسان يبلغ السن المعتادة وينمو شعره قبل أوانه وعظامه الطويلة تنمو بطريقة غير منظمة، إذن هذه الغدة أشبه بالمهندسين من نوع الإنسان أو الصناع للمهنيين فإذا اختلفت صارت أشبه بالصانع الجاهل الذي يعمل بلا نظام .

(٢) ويرى ثانيا الغدة النخامية وهي جسم بمقدار حجم الترمسة وهو متصل بأسفل المخ وله فسان أمامي كبير وخلقى صغير في تجويف بالقص الأمامي . فالقص الأمامي الكبير من الغدة النخامية يفرز مادة نافذة في تكوين العظام كالغدد السابقة ، فإذا زاد نشاط هذا القص زمن الشباب فإن الجسم يزيد طوله طولاً فاحشاً حتى يصل بصاحبه إلى طول العمالقة ، إذن هذا أيضاً مهندس آخر كالسابق أو صانع ماهر ، فإذا أسرع في عمله قبل أوانه فهو صانع غير ماهر وتعليمه قليل ، فأما إذا زاد نشاط هذه الغدة بعد تقدم السن فإنه ينشأ مرض يسمى (أكروميغال) وهو كبر الأطراف إذ تصير بعض عظام الجسم أكثر ضخامة لاسباب الفك السفلى والأيدي والأقدام .

هذه أعمال القص الأمامي : أما القص الخلفي فإن له تأثيراً على أعضاء التناسل وله صلة بضغط الدم ودقات القلب وبعض العضلات التي ليست إرادية وبافراز اللبن ، إذن الغدة الترمسية والغدة النخامية بغصبا أعمالهما يتم بعضها بعضاً تقريبا .

(٣) ثم يجد الحكيم ثالثاً أن في العين مادة ملحية سائلة فيجب ويقول . « من أين أتى هذا الماء وملحه ؟ » فيبحث فيرى هناك غدة في حجم اللوزة موضوعة في جهة العين الخارجة فهي تفرز سائلاً ملحياً يحفظ سطح العين نظيفاً ، ثم يقول : إن هذا عجب ، ها أنا ذا اطلعت في سورة الفرقان عند آية « وخلق كل شيء قديره تقديراً » وفي سورة العنكبوت على سورة الجهاز الذي فيه السم الذي تنقذه النحلة والعنكبوت على ماشيات والجهاز الذي فيه غزل العنكبوت ، فهذان الجهازان جلا من سبين للحاجة فأحدهما فيه السم للدفاع والثاني فيه الغزل للاقتناس وغيره ، وهاتاهذه الغدة قد جعلت لمصلحة العين لجعل فيها سائل ملحي (٤) ثم ينظر أيضاً فيرى الغدة الدرقية (شكل ١٠) في الشكل التقدم وهذه الغدة واضحة في الرسم أملمك وهي جسم لين في الجهة الأمامية من الضيق تحت الحنجرة فائدها تكوين العظام وعمل الاحتراق في الجسم ولها علاقة بالغدد التناسلية ، وإذا زاد إفرازها جف الجلد ونخل الجسم ويطؤ الكلام وضاق النفس واضطربت التغذية ، وإذا انعدمت الغدة في سن الطفولة ظهر نقص عظيم في النمو في الجسم والعقل أو وقوف تلم لها .

(٥) ثم ينظر خامساً فيرى غدة مجاورة لهذه تسمى (الغدة جارة الدرقية) وهذه إذا عطلت حصل التشنج عند الأطفال والشلل مع الرعشة وأن تصير العظام هشّة سهلة الكسر ، وإذا أزيلت هذه الغدة كثرت في الجسم التشنجات العضلية وقتت تغذية الشعور والأظافر وقد يسير في العين ماء أزرق .

(٦) ثم ينظر سادساً فيرى غدة التيموس الموضحة فيما تقدم في (شكل ١٠) بعد الغدة الدرقية فيقول : فيألت شعري ما عمل هذه أيضاً ، هاهي ذه واضحة بأعلى المنطقة الصدرية تحت القص وبعد البحث يراها لا تبلغ أشدها إلا في السنة الثانية من عمر الطفل وبيئته خمودها واضمحلالها عقب سن البلوغ ثم تختفي تقريباً ، فهذه تؤثر في نمو الأطفال وتكوين أعضائهم التناسلية ، وإذا اختفت قبل أوان اختفائها يحصل اضطراب في الجسم لاسباب في تكوين الأعضاء التناسلية .

(٧) ثم ينظر سابغاً فيرى غدة البنكرياس المرسومة في (شكل ١٠) أيضاً القابلة للكبد فإذا يرى ؟ يرى أن فيها غداً أخرى غير الغدد للتقدم ذكرها لأنها فيما مضى أفرزت مادة ذهبت إلى الأمعاء ولكن الغدد

الأخرى هنا في البنكرياس تذهب إلى الدم مباشرة فإذا تصنع ياترى أنها تعرف بالأنسولين . إن (الأنسولين) يساعد الكبد في تحويل المادة السامة (جلوكوز) إلى مادة ألطف يسمونها (جليكوجين) فالمادة الأولى سكر ، وهذا السكر لا تقدر خلايا الجسم على احتاله وإدخاله في تكوينها ، فإذا لم يساعد الأنسولين الكبد على ذلك التحويل بقيت تلك المادة السكرية عالية على الجسم فلا يحبس للجسم من التخلص منها بواسطة الكليتين في البول بدون أن ينفع الجسم بها فيحصل ضعف تدريجي وأعراض أخرى ، وهذا هو مرض البول السكري . إذن هذه الغدة جعلت في الجسم لمنع البول السكري للمرروف والكبد هو مقابل للبنكرياس في الجسم أكبر غدة فيه هو في أعلى الفراغ البطني وهو إلى الجهة اليمنى أقرب وهو نحو ثلاث أرتال وربع في الإنسان البالغ تقريبا وسطحه العلوى محدب والسفلى مقعر وهو يفرز الصفراء للتقدم ذكرها وتخزن في الحوصلة الصفراوية وهذه الصفراء :

(أ) تساعد عصارة البنكرياس في تجزئة السكريات الدهنية ويكون هناك مستحلب .

(ب) وتلين الأمعاء فتساعد على الحركة الدورية في القولون والمستقيم وتمنع التعفن في الأغذية التي تزيد في الأمعاء .



(شكل ١٩ الغدتان فوق الكليية)

(٨) ثم ينظر ثامنا فيرى غدتين فوق الكلييتين (شكل ١٩) وهاتان الغدتان إذا اعتدلتا في إفرازهما اعتدل النشاط الطبيعي في الشرايين والعضلات الإرادية وغير الإرادية وإذا قل نشاطهما حصل مرض في الجسم يسمى مرض (أديسون) ذلك أن الجلديلون بلون آخر هو اللون (البرزى) ويكون هناك ضعف وقىء وإسهال عصبى ينتهي هذا كله بالموت ، وإذا زعت هاتان الغدتان يحدث الموت في مدة قصيرة وهذه صورتها .

(٩) ثم ينظر تاسعا فيرى الغدد التناسلية وهما الخصيتان في الذكر والبيضان في الأنثى ، فالحيوانات للنوبة تنحى في الخصيتين والبويضات في البيضين وهذا ما هو إلا إفراز كالإفراز الخارجى في الغدد الأخرى ولهذا الغدد إفرازات أخرى بها يمتاز الذكر من الأنثى في مظهرهما ، فإذا رأينا شعر الشارب واللحية والشعر المنتشر على الجسم وخشونة الصوت وظهور بروزات عظام الجسم واضحة في الرجل ورأينا ذلك كله في الأنثى على خلاف ذلك . وهي تزيد بنمو الغدتين الثدييتين واستطالة شعر الرأس وازدياد المواد الدهنية للدخرة تحت الجلد فتحقن زوايا العظام البارزة أقول إذا رأينا ذلك كله عرفنا أنه وجد بسبب ما تفرزه الخصيتان والبيضان من اللده لتكوين ذلك كله فضلا عن تكوين الحيوانات للنوية والبويضات لظهور النسل وللخصيتين والبيضين آثار فوق ما تقدم إذ هما بما يفرز منهما يوظفان الوظائف الحيوية في الجسم لاسيما ما كان له علاقة بالتناسل .

(١٠) ثم ينظر فيرى في الجلد غددا عرقية منتشرة تحت الطبقة الجلدية وهي أنابيب طويلة تفرز السائل العرقى .

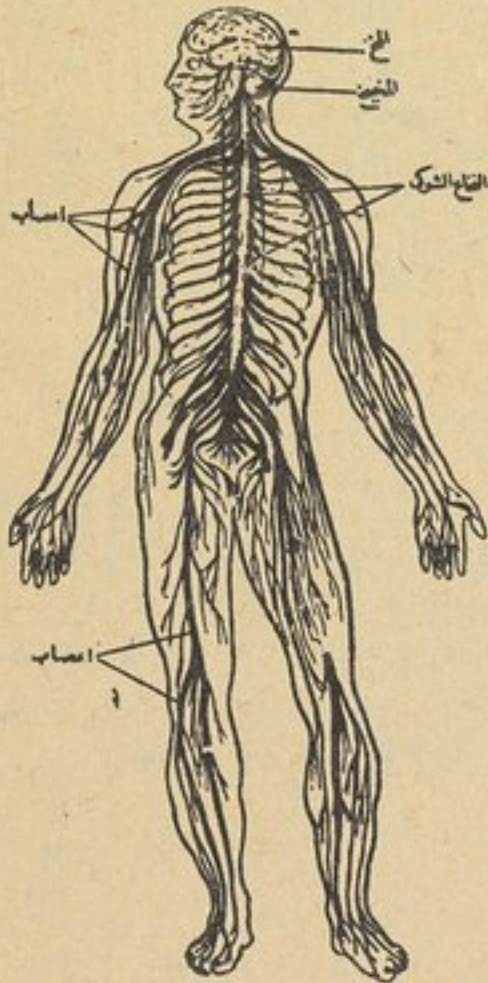
(١١) ثم ينظر فيرى غددا دهنية وهي في العادة بجانب الشعر وهي تفرز مواد دهنية لمئات وظائف حفظ الشعر لنا وتغطية الجلد بطبقة دهنية تحميه من الأثرات الخارجية وتمنع تشعع الحرارة من الجلد بكثرة

(١٢) ثم يرى غديتين في الإنسان بأعلى الجزء الأمامي من الصدر وظيفتهما في الرأفة إفراز اللبن لإرضاع الأطفال اهـ.
إن الحكيم حينما يطلع على هذا يقول هذا من العجب ، غذاء مختلف الأشكال حل في الأجسام هضمه
الحيوان وصبت عليه مواد مختلفات في الفم والعدة والأمعاء وخف ولطف وارتقى فصار دما فدار الدم في الجسم
وأخذت تهبه عصارات وعصارات وتقابله في سيره ، وهناك مصانع تصنع فيها تلك العصارات . فبها ما يمنع
التشنج ، ومنها ما يحفظ اللون للعتاد ومنها ما يحفظ أعضاء النسل ، ومنها ما يحفظ الهيكل العظمي منظما جميلا
معتدلا وهكذا وأخيرا منها ما فعل لمنفعة الجيل للجيل . إذن الحيوان والإنسان مخلوقان عجيبان دراستهما عند
الحكيم روح وريحان ، وهما عند الجاهل مخلوقان للعذاب « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا »
« وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا عيبين » .

فهذا الحكيم حين يرى هذه العجائب يشفق لسانها ويحن إلى لقاءه وتكاد روحه تفارق جسمه من
شدة الولوج بذلك الصانع لولا لطفه به إذ يلتقي عليه الغفلة والشهوات فتلهيه عن هذا الجمال فيعيش محبوسا
في هذا الهيكل إلى أن يرجع إلى موجد هذا النظام البديع .

(نظرة عامة : في أعصاب الحس وأعصاب الحركة لذلك الحكيم)

ثم ينظر ذلك الحكيم نظرة أخرى ويتتبع سير الدم فيقول إن الدم الآن قد تحول إلى هذه العظام وهذه
المضلات وهذه العروق وهذه الأعصاب وهذا الشعر فلا ينظر .



إن الناس يشفقون إلى صعود الجو بالطيارات
وإلى قراءة علم الشمس والأقمار بل يودون الصعود
إلى تلك العوالم ، ولكن لماذا حبسني الله الذي
وضعتني في هذا الجسم وألقاني فيه إلى أمد معلوم ؟
فيظهر لي أني حبست فيه لأدرسه ، وإذا عجزت
عن دراسة جسمي فأنا عن دراسة العوالم العلوية
التي أشتاق إليها أعجز وعن فهم ما فوق ذلك أشد
عجزا ، إذن انظر في هذا الهيكل الذي كان أصله هذا
الدم الذي كان غذاء والغذاء كان نباتا وحيوانا
ومعادن . ولقد درست هذه العوالم من قبل لأنها
مقدمت لحياتي فلم يبق إلا أن أدرس نفس جسمي
لأنه نتيجة ذلك كله ، ولقد وجدت الأمم تبدأ بمحاولتها
أولا ثم تنظر في أجسامها ثانيا لأن ما حولنا أسهل
فهما من أجسامنا فضلا عن أنه مقدمة لها والله
يقول « وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم
أفلا تبصرون » فقدم ما في الأرض لأنه أسهل وأيضا
أنا محتاج إليه في حياتي وحياتي أمي ، إذن ينظر
فيري عوالم أخرى وهي عوالم الحس والحركة
(انظر شكل ٢٠) .

(شكل ٢٠ الهيكل العظمي للإنسان مصفرا اثنتي عشرة مرة)

وهذه الصورة لا تكرر فيها مع صور الإنسان المتقدمة في (سورة المؤمنون) وغيرها لأن هذه للأعصاب وتلك للأعضاء والعضلات ونحوها ، وههنا ينظر الحكميم فيعجب من عالم جديد ، ماهو هذا العالم ؟ هو عالم لاهو نبات ولاحيوان ولا معدن ولا هو كيموس أو كيلوس ذوقوام لبني ولا هو دم ولا هو لحم وعظم بل هو عالم يقرب من العالم الروحي وعالم الأثير وعالم الملائكة لأن هذه الأعصاب خارجات من النخ والنخاع الشوكي أما اللخ فقيه أولا نصفان كرويان أكبرهما تسعة أعشاره تقريبا وهما قيمان : أيمن وأيسر . وهذان النصفان هما مركز الحس والشعور والذكاء والفكر والذاكرة والإرادة . ثانيا فيه المنخ وهو الجزء الصغير اللحم الظاهر في الرسم وهو منظم للحركات العضلية وربطها وحفظ توازن الجسم لأنه متى اختل هو اختل نظام توازن حركات الجسم فليس له إلا التنظيم . ولكن مصدر الحركات هما النصفان المتقدمان . وثالثا النخاع المستطيل وهو ٢ سنتيمترا ونصف ويوصل قنطرة فارول بالجلب الشوكي . وهذا النخاع المستطيل يحكم وينظم حركات



(شكل ٢١ - اللخ)

التنفس والقلب والبلع وينظم إفراز العرق وحجم الأوعية الدموية وهكذا وفيه تمر جميع التيارات العصبية السادرة من اللخ إلى الجلب الشوكي الآتي ذكره والتيارات الواردة من الجلب الشوكي إلى اللخ . وإذا أصيب النخاع المستطيل بضرر ما ظهرت أعراض خطيرة وراجعا (قنطرة فارول) التي هي ألياف متصلة من أعلى باللخ والمنخ ومن أسفل بالنخاع المستطيل وهي موصلة التيارات العصبية للتبادلة بين الجلب الشوكي واللخ والمنخ هذه الأربعة هي اللخ (انظر شكل ٢١) .

أما الجلب الشوكي فهو يمتد من النخاع المستطيل إلى أسفل . يمتد داخل القناة الشوكية في العمود الفقري ويبلغ طوله (٤٥) سنتيمترا تقريبا وقطره ثمانية مليمترات . وهو ينقل الإشارات بين اللخ وأجزاء الجسم وبالعكس وهو مركز منظم للحركات القلبية الآتية .

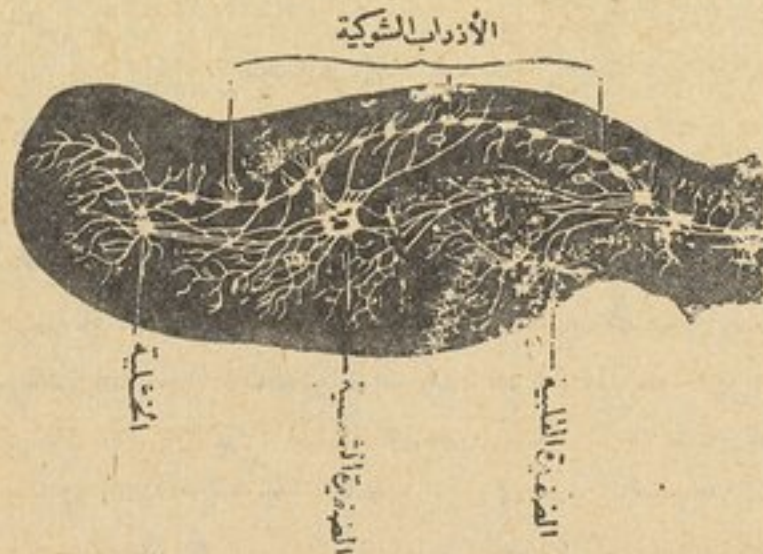
هاهنا يعرف ذلك الحكميم أن اللخ والنخاع الشوكي هما الجهاز العصبي المركزي . ثم ينظر في اللخ نظرة أخرى لماذا يرى ؟ يرى هناك اثني عشر زوجا من الأعصاب تخرج منه موزعات في المنطقة الراسية وما حولها ، لأن اللخ أشبه بقصر الملك والملك معه الآلة التليفونية والتلغرافية فيصدر أوامره بتلك الأزواج العصبية إلى أعضاء الحس كالمعين والأذن والتم واللسان . فيقول للمعين باعين أبصرى وللوصل عصبها وللأذن اسمي وللوصل عصبها وعنده هو جهاز الآلة التليفونية أو التلغرافية (البرقية) وبعض الأعصاب أيضا محرك فهو يأمر العين مثلا بالنظر فتجبره فيصدر أمرا أسرع من البرق إلى أعضاء الحركة بواسطة أعصاب الحركة وهكذا .

ثم بعد ذلك ينظر نظرة أخرى في الحبل الشوكي فيجد أمرا عجيبا مدهشا . يجد هناك ثقبوا موضوعة بين الفقرات يمر بها أعصاب متعاقبة من الجانب الأيمن والأيسر وتمر من تلك الثقبوا ، وعدد تلك الأعصاب ٣١ زوجا موزعات في جانبي الجسم بالتساوي وكل عصب من تلك الأعصاب الشوكية عند خروجه من الحبل الشوكي له (جنران : أحدها) أمامي مركب من ألياف محركة والآخر خالي مركب من ألياف حساسة وبه اتضاح صغير هو عقدة عصبية وتبعد الجذران - مسافة قليلة ويكونان عسبا واحدا يتفرغ إلى فروع منتشرة في الجلد والعضلات الإرادية .

ثم ينظر ذلك الحكيم فيرى أن الاثنى عشر زوجا الخارجة من اللخ والإحدى والثلاثين زوجا الخارجة من الحبل الشوكي لاسلطان لها إلا على الأعضاء الإرادية كاليدن والرجلين .

أما العدد الاعاىة مثلا في الفم وهكنا القلب والأوعية الدموية وأجزاء القناة الهضمية للشروحة سابقا ولثانة وأعضاء التناسل والعدد العرقية وهكنا ، فهذه كلها لاسلطان للجهاز العصبي المركزي عليها الذي يتفرع منه الأعصاب المتقدمة البالغة (٤٣) زوجا يسمونها الجهاز العصبي الطرفي ، فما الذي يؤثر إذن في الأعضاء التي ليست تحت إرادتنا ، وبعد البحث يجد هناك جهازا آخر غير الجهاز العصبي المركزي وما هو ذا ؟ هو عقد على جانبي السلسلة الفقرية ممتدة من أول العنق إلى الحوض يسمونها الأذراب ، ومن هذه العقد تخرج أعصاب تتوزع في العدد الاعاىة والرتين وهكنا إلى آخر ماتقوم أى في الأعضاء التي لاسلطان لنا عليها . وهنا يدعش الحكيم ويقول : « ياسبحان الله . نظام محكم وآداب حجة . إن الذي لنا سلطان عليه كانت له عناية خاصة فكان نفس اللخ ونفس الحبل الشوكي قائمين بتدييره وتدير الحبل الشوكي متجه إلى الأطراف وتدير اللخ متجه إلى الحواس التي بالقرب منه . فالأعلى يدبر الأعلى والأسفل يدبر الأسفل .

أما هذه العقد الشوكية فلها تدير منزلى وتسمى هذه العقد وماتفرع منها (بالجهاز العصبي الاشتراكي السمباتوى وهذه صورته (انظر شكل ٢٢) .



(شكل ٢٢ - الجهاز العصبي الاشتراكي)

فها هنا يقول ذلك الحكيم : ماهذه العجائب ؟ جهاز للحس بالأمور التي تحت إرادتنا وجهاز للحس بالأمور التي ليست تحت إرادتنا . ثم إن الزوج الواحد من الثلاثة والأربعين زوجا عصيبا الخارجات من اللغ والحبل الشوكي فيه عصب للحس وعصب للحركة ، فحق أحس الإنسان بشيء من الخارج مثلا انتقل الخبر حالا في عصب الحس فوصل الخبر إما إلى المخ إن كان من أعصاب اللغ أو إلى الحبل الشوكي إن كان من أعصاب الحبل الشوكي ومنه ينتقل إلى اللغ ، وهناك يأمر اللغ حالا عصب الحركة فيوصلها حالا إلى ظاهر الجسم فيعد العضو عن الخطر أسرع من البرق .

ثم يقول حينئذ ذلك الحكيم : إن الجهاز العصبي عبارة عن عالم مباشر لعوالم حية . فهذا العالم أرقى من عالم الغذاء ومن عالم التنفس ، هو عالم يشبه عالم الملائكة . فنقول إذا : هذا هو درس الوجود بأكمله لأن هذا الجسم هو الوحي الذي أقرؤه ولقد قرأته في هذا التفسير بصور مختلفة وكلها أمور عظيمة مدهشة .

ثم يقول : بهذا عرفت « من عرف نفسه عرف ربه » . هنا ينظر نظرة أخرى فيقول إن الإنسان قد يكون نائما فيؤذبه برغوث فلا يحس به ولكن العضو نفسه يتحرك لما الذي حركة ؟ القوة الحاكمة في الدماغ نائمة وبعد البحث والدرس الطويل يفهم أن هناك حركة تسمى الحركة العكسية إذ يجب أن النخاع الشوكي إذا قطع من موضع معين فإن جميع الحركات الإرادية والحسية في الأعضاء التي تنفرح فيها الأعصاب الخارجة من النخاع الشوكي أسفل هذا تقف : أي أنه يحصل هناك تخدير وشلل . إذن النخاع الشوكي هو الواسطة في نقل التيارات العصبية الحركية والحسية كما تقدم . ولكن إذا قرصنا هذا العضو الفائق الإحساس أو المشاغل الذي لاصلة بينه وبين اللغ وأهيجناه فإننا نجد عضلاته تنقبض فجأة وليس للإرادة عليه أدنى تأثير فهذه هي السبابة بالحركة للعكسية ، فالتيار الإحساسى ينقلب في النخاع الشوكي إلى تيار حركي يرجع في بعض الأعصاب المحركة وهي تنبه العضلات للفرعة فتدعوها إلى الانقباض .

وإذن ينظر ذلك الحكيم نظرة أخرى فيقول : (هنا أدب جم في دراسة هذا الجسم ، فها هنا ملك سكن في قصره وهو اللغ فدبر أشرف مانيه وهي الحواس ، كالسمع والبصر باثني عشر زوجا وأرسل من قبله حكما آخرين قد ظهروا في الحبل الشوكي ، وهؤلاء الحكام نواب عنه يتلقون الأخبار بواسطة الأحد والثلاثين زوجا من الأعصاب ويوصلونها إلى اللغ ، وهو الأمر الناهي ومن دون ذلك طائفة لها نظام آخر وهي طائفة الجهاز (السمبائوى) وهي العقد العصبية الصفوفة على جانبي العمود الفقري كما تقدم فهذه أشبه بمسال الزراعة والتجارة والصناعة أى أعمال الدولة الداخلة ، فأما الملك وأعوانه فلهم نظام أعلى وأعمال أهم وأعظم . ثم يقول الحكيم : إن هذا الملك الذي استوى على عرشه له أعوان ثلاثة هي :

(١) الحس المشترك الذي يجمع كل ما أدركته الحواس ومعه القوة الخيالية التي تحال وتركب وتصور صوراً لانهاية لها مما اقتبسته من الحواس .

(٢) القوة للفكرة التي لها السلطان على المعاني المعقولة والأفكار السامية والقضايا المنطقية ومعرفة الأسرار

(٣) والقوة الذاكرة التي تتذكر ما عرفناه عندنا من الصور والقضايا العقلية .

فالخيالية بها جميع العلوم الخيالية من الرسم والتصوير والشعر اللغ وللفكرة تعرف نظام الطبيعة ونظام الجسم وتبحث عن وجود الله والعوالم العلوية ؛ والذاكرة بها علوم اللوالب الثلاثة والفلك والرياضيات وتاريخ الناس فهذه كلها تحضرها الذاكرة إذ تتذكر ماضى بحسب درجاته .

فهؤلاء الثلاثة أعوان للنفس . ولها أيضا ترجمان يترجم جميع ما ذكر وهو اللسان . ولها وزير هي اليد فهي تفعل كل ما تطلبه النفس وتبرزه للخارج كما أبرزه اللسان بصورة كلمات وهي صور في الهواء يسمها السامعون فيفهمون .

ثم ينظر ذلك الحكيم نظرة أخرى فيقول : (إن الحركة العكسية التي لاتصل إلى المبح أشبه بتدبير الشخص قصة في عالم الإنسان . فكما أن العضو المشلول أو العضو السليم في حال نومنا يفعل أفعالا عكسية لا علاقة لها بالمخ هكذا الفرد في الأمة مسئول عن تدبير نفسه هو وهذا هو علم تهذيب النفس الذي ألف له ابن مسكويه كتابه . ويرى أن الجهاز السمبائوي الذي يحكم في الأعضاء التي ليست تحت إرادتنا أشبه بنظام سياسة الزل والجهاز المركزي وفرعه أشبه بنظام المدينة . انتهى والحمد لله رب العالمين .

هذا هو ماتنح الله به في تفسير قوله تعالى « والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بطنه » ولولا علمه ما نظمت هذه الأعضاء ولا الأعصاب ولا المخ ولا العقل ولا العلوم ولا نظامها « وأن إلى ربك المنتهى » كتب بعد ظهر يوم الاثنين اليوم الثاني من شهر شوال سنة ١٣٤٨ هـ

تذييل للمقام المتقدم

بعد ما كتبت ماتقدم تحت الصلاة ثم لرياضة فخطر لي ما يأتي :

ذلك أن الحكيم الذي يتفكر في هذا الموضوع ويرى هذه المناظر والمعاني يتعجب فوق ماتقدم ويقول :
يا سبحان الله ، علم التشريح الآن وعلوم المواليد الثلاثة اليوم أصبحت بسبب التصوير الشمسي واضحة ظاهرة ، فمن الآن في هذا التفسير لم نحتاج إلى إنسان لشرحه ولا حيوان بل كفاانا أن ننظر الصور .
فيا سبحان الله ، إن الله ذم أقواما فقال « ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم » وأزيم الناس الحجة عليهم ومقدم وعالمهم فقال « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا » فهؤلاء الشهداء ليسوا سواسية ، فمنهم من شهد بالحق وهو الذي قيل فيه « إلا من شهد بالحق وهم يعلمون » ومنهم من شهد وهو غافل لأنه غير مستعد وإن كان أعلم الناس بعلم التشريح فهذا يكون علم التشريح عنده أشبه بمزرعة الزارع بحال لتنظيف الأرض من الحشائش ويسقى الزرع ولكنه لا يبرى من أسرار النبات شيئا ، كذلك هذا بحال في حفظ الأعضاء ومداواتها وتغذيتها ولكنه غافل عن أسرارها وعجائبها التي يعرفها الأذكيا من قراء هذا التفسير وإن كانوا هم أقل منه علما بالتشريح كما يعرف عالم النبات تركيبه وعجائبه وإن كان لا يعرف طرق الري ولأحوال الزراعة ، ومنهم من هو مستعد لفهم ولكنه مقلد ، وإلى هاتين الطائفتين قال تعالى بعد ماتقدم « أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين » وهذا لمن في استمدادهم نفس « أوتقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم » وهؤلاء المقلدون . والفريق الأول هم الذين شهدوا بالحق إذ أشهدهم الله ، فهؤلاء قالوا بلى وهم يشاهدون نظام أنفسهم والآخرين لا يشهدون بالحق لأنهم مقلدون أو غافلون ، والفريق الأول هو المذكور في قوله تعالى « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط » فأنه يشهد أنه منفرد بالألوهية قائم بالنظام والعدل والملائكة استمدوا الشهادة منه وعلما الأرض استمدوا من الملائكة فهم يشهدون بالحق ، ومن الشهداء بالحق قراء هذا التفسير بشرط أن يكونوا أذكيا فهؤلاء هم اللووتون بما شهدوا لأنهم يشاهدون عجائب المروقات بأنفسهم ويفهمونها ، وهذه الطائفة الشاهدة هي المقصودة من هذه الدنيا ، فهم بمشاهدة هذه العجائب يرشحون إلى الدخول في عوالم اللطف ويكونون « عند ملك مقتدر » لأنهم أولا في هذه الدنيا يؤدون الخدمة الواجبة لهذا النوع الإنسان وهم في نفوسهم قد درسوا عجائبها فكملت لهم القوتان الصلبة والعملية ، وما الحياة إلا علم وعمل كما أن الأعصاب للحس وتحركة فالجس راجع للعلم . والحركة راجعة للعمل ، فزوج العصب الواحد نظامه كنظام الوجود كله .

ثم ينظر هذا الحكيم نظراً أخرى فيقول يا عجباً؛ إننا نقرأ النحو والصرف والبلاغة ونلاحظها في الإنشاء فإذا أخذنا نكتب اللغات ونؤلف الكتب نجد أننا غير مفكرين في تلك العلوم الفظية الثلاثة بل هي أصبحت عندنا غريزة وهذه الغريزة جعلناها شبكة نصطاد بها معاني أخرى هكذا نرى هذا الجسم الإنساني قد اشتمل على الدائرة الغذائية والدائرة التنفسية والدورة الدموية، وهذه الدوائر الثلاث عندنا أصبحت كدوائر النحو والصرف وعلوم البلاغة نستعملها ولا نفكر فيها ونطلب بها غيرها، فهذه الدوائر في أجسامنا تحت إشراف أرواحنا وفي إدارتها ولكننا غير مفكرين فيها ولذلك رأينا لها نظاماً خاصاً وهو النظام (السمبائوي) وهذه طلبنا بها غيرها وهي للمعاني العقلية التي تقتنصها بالحواس المستعملة للأعصاب التي تقدم شرحها.

ثم ينظر ذلك الحكيم فيقول: إن قوله تعالى « وانه خلقكم من تراب » يتضمن العناصر والعناصر تبلغ فوق الثمانين وهي مادة راجمة في جوهرها إلى الحركات والأضواء للتقدم شرحها في (سورة النور) عند آية « الله نور السموات والأرض » في بحث قطرة الماء هناك، فإن للواد ترجع كلها إلى أضواء والأضواء متحركات فترسم دوائر وهمية والدوائر الوهمية باختلاف وتنوع حركاتها تظهر أنها مواد فيكون الحيوان والنبات وهكذا لما وصلت هذه الواد إلى جسم الحيوان أخذت ترتقي مرة ثانية من غذاء إلى دم إلى حركة وحس في الأعصاب والنخ والعقل، فأولها حركة مع إحساس بعقل عام منظم لها في الكون وانتهت هنا إلى حركات وعقل خاص في جسم الإنسان الواحد، وهذا أشبه بمثال صغير لآية « كما بدأنا أول خلق نبيه » وقوله تعالى « يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يرجع إليه ».

فها هي ذه المادة أصلها الحركات والأنوار فرجعت في النهاية إلى الحس والحركة في النخ والجبل الشوكي والعقل والقوى في الدماغ « وأن إلى ربك المنتهى ».

ثم ينظر ذلك الحكيم أيضاً فيقول: نظام هذا الجسم بديع كإبداع السموات فإننا نجد وضع كل عضو في موضعه، وهذه طبقات الجسم منظمات أعلاها النخ تحكم فيه القوة العاقلة والقلب في الصدر والمعدة والأمعاء أسفل من الجميع فهذه مراتب متقنة، وهكذا نرى نظام الشمس مع سياراتها وأقمارها كل منها في مركزه الخاص، وهكذا حركاتها السنوية والشهرية والحسوف والكسوف لها أوقات محددة، كل هذا تقدم في هذا التفسير.

ثم ينظر ذلك الحكيم فيقول « يا عجباً. مالي أرى هذا الإنسان جاهلاً. ضيف يفقل عن نظام جسمه؟ هذا الجسم متقن لم يترك فيه غدة إلا لها عمل. فهذه الغدة الدهنية والغدة العرقية والغدة الليمفاوية والدرقية والتموسية والنخامية والبنكرياسية والكبد والصفراء وأمثالها والأشيان للرجل وللبيض للمرأة فهذه كلها لها أعمال فلما عطل في الجسم. أما هذا الإنسان الجهول فإنه متى أعطى ملكاً مالاً إلى الراحة وأكل أموال الناس بالباطل فيحصل البطر والبطالة فيموت الشعب. وهذا هو الذي حصل في دولة الرومان ودولة العرب ودولة الترك وأخيراً دولة إنجلترا. هذه الدولة التي عاشت بفضل مستعمراتها في الهند وإستراليا وكندا وإرلندا وغيرها فألف الشعب الانتكالي على الأمم وكثر الماطلون وعددهم في هذا الشهر وهو فبراير سنة ١٩٣٠ فوق ألف ألف وخمسمائة ألف إنسان. فهذه ليست نظام طبيعة الجسم لأن طبيعته أن لا يترك عضواً بلا عمل والله يقول « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا عيين ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون » ويقول « وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو » إذن الناس ماداموا مخالقين لسنة الله فإنهم معذبون هولاء يلعب ولا يخلق شيئاً باطلاً وهم يلعبون بتعطيل القوى والنافع. والدولة الأوروبية اليوم تعطيل قوى الأمم التي تحل بلادها فيقتنص منها الله بحول الخلل في نظامها وكثرة الثورات وظهور الاشتراكيين والقوميين وليس من اللعب والله الأعمال الرياضية بل هي لتقوية الجسم. إذن هي من أعمال الجبد فليست باطلة إنما الباطل

هو تضييع النعمة من قوى الأمم الغالبة بالانكسار على أعمال الأمم المفلوبة وتعطيل قوى هؤلاء الغلوبين التي بها يرتقون عن طبقة المال ولهذا قال تعالى « ولكن أكثرهم لا يعلمون » فعدم علم الناس وجههم غشى على عقولهم فلم يفهموا هذا الوجود فظنوا أن الراحة هي نهاية السعادة فغاب فأنهم وصل معهم في الحياة الدنيا وجهلوا بنظام النحل وأنه يقتل الذكور إذا حملت للسلطة من ذكور أخرى من خلية غيرها فإن لاداعي لبقاء هؤلاء الذكور في الخلية بلا عمل فيقتل النحل هؤلاء الذكور . وهذه هي سنة هذا الكون إذن لا يسمد الناس فوق هذه الأرض إلا إذا اختص كل امرئ وكل جماعة وكل دولة بعام أهل له كأعضاء الجسم وأعصابه وعضلاته وحواسه . هذا ماخطر لي بعد الرياضة البدنية وكتب ليلة الثلاثاء الثالث من شهر شوال سنة ١٣٤٨ هـ والحمد لله رب العالمين .

مسامرة في نظام الإنسان وجماله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله « أما بعد » فإني أكتب هذا قبيل الفجر يوم الأربعاء (٩) إبريل سنة ١٩٣٠ وهي مسامرة بيني وبين بعض العلماء ذلك أن بعضهم لما اطلع على هذه الصور الجميلة التي أودعها الله في الإنسان . قال : هذا نظام حسن بديع ولكن حدثني رعاك الله كيف أكثرت من ذكر هذه المسائل . وكيف لمجت في أكثر كتبك بأن هذا هو الجمال وأنه يثير في القلوب نائرة الحب والعشق للبدع . فلقد تكرر هذا في هذا التفسير . نحن لا نريد أن نكون مقهدين في أمثال هذا بل نود أن يكون القول مطابقا لما في النفوس فإن أكثر الصوفية وبعض العلماء نسبهم يذكرون هذا وهي شفتنة أعرفها من أخزم . وهذا ضرب مثل معناه أن هذه عادة هؤلاء . فقلت : أنا لم أكتب من هذه المجائب اعتباطا بل أنا أكتبها وأعلم أن تكرارها وترادفها يحدث في بلاد الإسلام ارتقاء وإسعادا للروح وللجسم معا بإشراق القلوب بالحكمة وبالإسراع في ارتقاء هذه الأمم الإنسانية لاسيما الإسلامية فأما إنه باعث على العشق والحب فأنا أريد الآن فأقول :

إن الله خلق في عالمنا صوراً جميلة وجعل نظام هذا الإنسان وقبلة الحيوان على الزوجين الذكر والأنثى وأبدع في خلقهما ما يشاء أن يبدع ، فتح باب النقش والتصوير والإبداع في الوجوه البهجة وجعل الأعلى منها قليلا أي جعل اجمال الأكل في وجوه الناس قليلا ليكون قبله الأنظار ويرتسم في القلوب لأن القليل يحفظ والكثير لا يوجب انجاء النظر ويصبح معنادا عند الناس فلا يهيج لهم بالآ ، فهذه الوجوه الجميلة الممتازة نموذج لأعلى الجمال الإنساني وهذا يدعو العاقل للتفكير في هذا الأسلوب فيقول : لم خلق التناسب والجمال ، وهذا السؤال جوابه ظاهر وهو التواد والتحاب والالتناس لاسيما بين الذكور والإناث ، ثم ينظر فيرى أن هذا الجمال بعد قليل ينسى ويحل محله جمال النفوس بالترية ، المحافظة على الأطفال في النازل ، ويرى هذا الجمال يأخذ في الضعف . والرحمة والرأفة بالأطفال يأخذان في الزيادة ، فترى وجهي الأبوين يأخذان في التشوه والتجديد والتقطيب ويرحل ذلك الجمال الظاهر ويحل محله الجمال الباطن فترى أن هذين الهرمين أخذتا ياتقان أبناءهما وبناتهما بدل معانقة أحدهما الآخر ، وترى هذه الدربة تهوى إلى هذين الشيخين جبا في عظمهما لا غرام بمجالهما الظاهري . هنالك نعرف أن هنا جمالا محبوبا في هذه الدنيا فلنبحث فيه عسى أن ندركه فإذا ترى ؟ ترى مدارس وعلماء وحكماء ، وكلما كان الحكيم أغزر علما كانت القلوب إليه أميل ولجبه

أسرع ، فبعد أن كان الصبي مغرماً بهذين الهرمين في صباه نجد ضرامه تحول إلى الأستاذين والمعلمين لأنه رأى كالا وجمالا أرقى ونفوساً أسعد وأشرف ، فرحمة هذين الهرمين تعطيه الططم والتراب والكساء لجسمه ولكن روحه بفطرتها تعلم أن مغذيات الروح أشرف من مغذيات الأجسام ، فهو يسمع من أفواه المعلمين ما يسمع روحه وقد تعلم من الأبوين دروس الحب لهما ووازنت نفسه بين الهرسين ، فهنا أخذ يسمع العلوم اللسانية والطبيعية والرياضية فكما كان يحب أمه لتغذية جسمه هكذا أخذ يحب معلمه لتغذية روحه وبعد أن كان يلهج بذكر الأم والأب أخذ يلهج بذكر العلم وأخذ الحب يرتقى قليلاً قليلاً . ويكون الحب للعلم على مقدار ماتعلم منه فإن رآه في النحو عالماً أحبه بمقدار ذلك العلم وإن رآه في علم الفلك بارعاً ازداد حبه له وهكذا كلما شارك أستاذه في علم ازدادت نفسه حبا لأستاذه وهناك يرتقى في المعرفة ويتبعها الارتقاء في الحب والحب هو السعادة في هذا العالم ولا يزال يرتقى حتى يشكر في عالم هو معلم العلماء وهو الله تعالى قال : فاضرب لي مثلاً لهذا الحب على شريطة أن يكون ذلك في موضوعنا . فقلت نعم . تصور أنا ساجداً وأخذوا يتحدثون في الألفاظ والمحاكاة فقال قائل منهم : أنا أطلب معرفة رقيقين عديدين إذا ضا إلى عدد آخر مركب من هذين الرقيقين أنفسهما معكوساً ترتيبهما يكون مجموع العددين للذكورين (٥٥) وإذا طرح أحد الرقيقين من الآخر كان الفرق بينهما (٣) فما هما العددان ؟ فها هنا شغل أفهام السامعين في هذا اللغز إذ هم يظنون أن يكون العددان مجموعهما (٥٥) مع أنه يشترط شرطان : أن يعكس ترتيب وضعهما . وأن يكون فرق ما بينهما عدد (٣) ولا جرم أن هذا يدعو الجالسين أن يجربوا عدة مرات وهيئات أن يتم لهم ذلك بالحدس والتخمين فحق جاء رجل وكان يحسن علم الجبر فإنه يفعل هكذا في حال ما إذا كان العددان (١١٠) والفرق بينهما (٦)

س زائد ١٠ من زائد ١٠ س - ١١٠

أو س زائد ١٠

س - ١٠

٦ - س

١٦ - س

٨ - س

٢ - إذن س

فيكون أحد الرقيقين ٨ والآخر ٢ أي ٢٨ و ٨٢ ومجموعهما ١١٠ والفرق بين الرقيقين ٦ وإذا

جعل مجموع العددين (٥٥) والفرق بين الرقيقين (٣) مثلاً كما تقدم حدث عندنا ٢ س - ٥٥ زائد ٣ = ٨

أوس - ٤ إذن س - ١ فيكون العددان ١٤ و ٤١ والفرق بين الرقيقين ٣ ومجموعهما ٥٥

فحق قال هذه ذلك العالم للمتأملين وحل هذه للسألة فرح به الجالسون وأحلوه المهل اللائق به وأحبوه

وأقبلوا عليه فإذا سمعوا منه حل للسائل في الهندسة والقفه والنحو والصرف والبلاغة والسياسة أخذ

بجماع قلوبهم على مقدار علمه وهذا يندى للتسامرين حب سواء وإذا سأل سائل فقال : رجل له فرس

حضره ثلاثة أشخاص لشراؤها منه فسألوه عن ثمنها فذكره لهم فقال أكبرهم لأوسطهم : إن أعطيتني ثلاثة أخماس

مامعك من الدنانير صار معي ثمن الفرس وقال الأوسط للأصغر : إن أعطيتني أربعة أسباع مامعك من

الدنانير صار معي ثمن الفرس وقال الأصغر للأكبر : إن أعطيتني خمسة أثمان مامعك من الدنانير صار معي

ثمن الفرس فكيف كان ثمن الفرس دينارا ، وكل كان مع كل واحد من الثلاثة من الدنانير .

فكيف يكون سرورك حينما تحل للسألة حلا عجيباً فتقول (س) رمز للأكبر و (س) رمز للأوسط

و (ع) رمز للأصغر . ثم تقول س يساوي س زائد ٢ س وص يساوي ٤ ع زائد ع وص يساوي

٥ من زائد س والنمن كله يساوى ٣ فى ٤ فى ٥ زائد ٥ فى ٧ فى ٨ يساوى ٣٤٠ .

وس يساوى (٢ فى ٧) زائد (٣ فى ٤) وكلاهما يساوى ٢٦ و ٢٦ فى ٨ يساوى (٢٠٨) هو مامع الأكبر فلنطرح ٢٠٨ من ٣٤٠ يصير $\frac{132}{8}$ مامع الأوسط وهو ١٣٢ و ١٣٢ زائد $\frac{132}{8}$ فى ١٣٢ يساوى ٨٨ و ٨٨ زائد ١٣٢ يساوى ٢٢٠ وهو مامع الأوسط وذلك أن ٨٨ هى خمسان أضفناهما إلى ١٣٢ وهى ثلاثة أخماس أما مامع الأصغر فإننا نعرفه بطرح ٢٢٠ من ٣٤٠ فيكون الباقي ١٢٠ وهذا هو $\frac{1}{4}$ مامع الأصغر فإذا زدنا عليه $\frac{2}{4}$ منه يكون هو ما معه $\frac{2}{4}$ فى ١٢٠ يساوى ٩٠ و ٩٠ زائد ١٢٠ يساوى ٢١٠ فالذى مع الأصغر ٢١٠ إذن الذى مع الأكبر ٢٠٨ ومع الأوسط ٢٢٠ ومع الأصغر ٢١٠ .

أقول : إنك إذا أجبت السائل بهذا الجواب بعد هذا الجهد فى هذه المسألة الجبرية فانك تجد فى نفسك سرورا وبهجة وهى مسألة مادية جزئية فمن فرس لما بالك إذا رأيت نفسك قد أشرفت على هذه العوالم كلها وأخذت تحمل مشكلاتها وتعرف محباتها . إنك إذن تكون أوفر سعادة وأكثر لذة .

وهالك حديثى مع المرحوم الشيخ محمد عسكر وهو كان مدرسا بالحدوية قبل ولادنى ثم اجتمعت به وهو هرم ولم أره من قبل جلست معه يومين بليالهما وولاه شبان ذوى جمال وثروة وعلم . قلت له . أيها الأستاذ لماذا أرى قلبى يميل لك مع أن حولنا الجمال البديع . فقال : لأنك لا ترى الجمال الحقيقى إلا فى أنا . وهذا الجواب حقيقى منطبق على كل عالم أخذ الناس عنه علوما . إذن فلنرجع إلى إبداع أجسامنا ولننظر هذا الجسم الإنسانى ولنقصر الكلام عليه .

فقال صاحبي : ولكنك مثلت بمثال من علم الجبر . وهل كل قراء التفسير يعرفون الجبر ؟ كلا . قلت هذه الحروف والإشارات الجبرية لا بد منها لحل المسألة ووضعها لا يضر . ذلك لتحدث عند من لم يقرأ هذا العلم شوقا إليه وهو قد عرف النتيجة . وإذا أدرك أن هذه المسألة تشرح صدر للتسامرين وتجعل فى قلوبهم حبا لمن حلها واعظاما فهناك يقيس النظام العام على النظام الخاص ، فقال : وكيف ذلك ؟ قلت : العقلاء يدركون الفرح والحب والإعظام لمن حل هذه المسألة . فقال : حقا ذلك : قلت ، فإذا عرفوا أن أجسامنا وتفتيتها ما هى إلا لئلا نحتاج إلى أضغاف أضغاف هذا الحل ثم أدركوا حل لغزهم دهشوا وأغرّموا بمن حل ذلك اللغز . إن هذا النوع الإنسانى أمره عجب هو نفسه لغز ولا يدرك ذلك . ومتى درس علوما كثيرة رجع فوجد نفس هذا الجسم كله علونا فيقرؤه فيحسب من ملاءم بالعلم للرموز فيه . ألم تر أن الإنسان يدهش إذا قرأ فى (سورة يونس) نظام الهرم بمصر وأن أبعاده ومقاييسه لها نسبة إلى مدار الأرض حول الشمس من حيث مقياس أربع جهاته ونسبة أخرى من حيث ارتفاعه إلى جد الشمس عن الأرض ونسب أخرى كثيرة إلى مكاييل المصريين وموازنهم .

إن قلب الإنسان يدهش ويحس بإعظام لذلك الحكيم المصرى الذى فكر فى أن يجعل نسباً بين مقياس الهرم وبين السكيلة والإردب والرطل والدرهم والأوقية والفدان والقيراط والسهم والذراع البلدى والممايرى وهكذا مدار الشمس وبعدها عن الأرض ، فهو إذن يكون أكثر دهشا إذا عرف نسبة هذا الجسم الإنسانى إلى المخلوقات حوله ، ولكن لغز الإنسان فى كل يوم يحتاج إلى حل جديد لأن حله إلى الآن لم يتم . قال أوضح ما تقول . قلت أذكر لك بعض أمثلة يقولها العلماء فى الطب حديثا : (إن أكل الهندباء (اسمها فى مصر جعضيض) وأكل البصل ينفع الكبد . وأكل البقدونس وكشك اللاز والفجل ينفع لمرض الكلا ولمرض يسمى (الزجريج) ينفع الطماطم والليمون . وللجلد الجزر وللشجاعة البرتقال والليمون) وهكذا بحث العلماء فى الأغذية وقالوا إنها إذا نظمت لاحتياج الإنسان إلى دواء . وقد وجدوا الجسم يحتاج إلى اللواد الزلالية كاللحم والبيض وإلى اللواد الدهنية والشحمية وللواد النشوية وهكذا الماء والملح .

فانظر إلى مواد حيوانية وأخرى نباتية وأخرى معدنية لا بد منها في نظام أجسامنا الإنسانية كأجسام الحيوان وإذا نقص منها واحد حصل لنا مرض بقدره كما يضعف النبات نقص عنصر من مغذياته . ولكن هذه المواد من اللوايد الثلاثة ومن الماء أكثرها غليظ . فكيف السبيل إلى انتظام هذه الأجزاء وتصويرها عينا ورجلا ويديا وأذنا فلنحل هذه المسألة . هنالك قال الله لنا : أنا أحق سنا للقطع وانا لتمزيق وضرسا للطحن ومجموعها (٣٢) سنا مقسمة على تلك المواد . وبعد ذلك يحتاج الطعام إلى الإذابة فكيف السبيل لذلك ؟ قترى ثلاثة أزواج أنهر في القم : تحت الحدين وتحت اللسان وتحت الشفة السفلى .

وهذه الأنهر الست يختص عملها بالمواد النشوية وما بقي منها يحوله عصير آخر في الأمعاء إلى مادة سكرية والمواد الشحمية تحولها الصفراء والبنكرياس في القناة الهضمية إلى مادة كالصابون لمسك امتصاصها والمواد الزلالية تحول في المعدة بعصيرها . أما الماء والملح فلا يتحولان إلى شيء فهنا (٣٢) و (٦) منابع في القم والصفراء والبنكرياس والعصارات للمعدة والمعوية وهكذا فهي تبلغ نحو (٤٣) كل هؤلاء صناع يصنعون في الطعام داخل أجسامنا ليتبأ للامتصاص ودخول الدم . وهذا كله يضاف إليه فعل نفس المعدة اقتباضا وانبساطا . فهناك يتحول الطعام إلى سائل سنجابي اللون يقبل الامتصاص ، ألا يجب الناس أن يكون القم للنشوي والمعدة للزلالي كالبيض واللحم بعد البنكرياس والأمعاء لما بقي من المادة النشوية المهضومة في القم ولإنعام تحويل المواد الدسمة بعد البنكرياس والصفراء .

ولو أننا تركنا أكل المواد الزيتية ونحوها لاعترانا مرض كما اتفق لي مرارا . فإني منذ عشرين اقترعت على الحضر وظننت أن ذلك كاف ونسيت الدهن فأصبح الدم كثير الماء لأنه فقد المادة الدهنوية التي يحدتها الدهن فابتليت بالرعاف . ولكن الأطباء ليس لهم عمل إلا للدواة . وقابلني طبيب حاذق وقد نظرت في جسمي من الداخل فوجد بقعا ملونة ، فقال لا تخف هذا مرض لا يمدى ولكنه بدل على نقص في التغذية . إذن نقص التغذية بالمواد الدهنية التي لم أحفل بها (لأنى قرأت في السكتب أن الاكفء بالحضر نافع) كان سببا لمرضين خروج الدم من الأنف بكثرة وتلوين الجلد يقع غير حسنة . ونبت كذلك لا علم لي بهذا النظام حتى قرأت حديثا كتبنا في التغذية فصرت أكل الزيت والفاكهة والحبز مع السن والردة فزال المرض إذ زالت البقع من جلدي ولم يرجع إلى الرعاف مرة أخرى منذ أكثر من سنتين بل أنا لم أتعاط دواء بعد ذلك .

الله أكبر . إذن أنت يا الله جعلت أجسامنا لغزا وأمرتنا بحله وقلت لنا : (باعدى اسمعوا . أتم تحلون مسائل الجبر والحساب والفلك . ولكن أجسامكم نظامها معقد وإذا أخطأتم في حل مشكلاتها كان الهلاك كما يحصل الخطأ في حل المسائل الحسابية إذا حصل خطأ في الحساب .

انظروا إلى ما حولكم ، إن جسمكم مشتق منه ، فهو من الماء ومن الملح ومن النبات ومن الحيوان ومن الهواء ولا مرض يحل بكم إلا بسبب نقص أو جهل في مقادير الطعام أو الشراب . هنالك يجد الحكماء في نفوسهم سرورا لاحد له وجبا عظيما للبدع الذي خلق للرض فينا ليحدث عندنا فكرة في نظام طعامنا ويفتح باب العلم ، فهنا يكون (أمران) صحة أجسامنا بنظام الطعام وأهم منه إسعاد النفس بإدراك ذلك الحكيم الذي أتقن ذلك النظام .

إن قراء هذا التفسير للمركبين للمعجائب المذكورة فيه يرون في نفوسهم جبا وعشقا مفرطين لصانع العالم وهنالك تكون سعادة تزداد بازدياد العلم . وهذه مبدأ سعادات أخرى في هذه الدنيا تم في الآخرة وتكون هناك أشرف من سعادة الجنة الحسية بما لاحد له .

إن قراء هذا التفسير يكون الأذكاء منهم سعداء في الدنيا وفي الآخرة ، اللهم إنك بما صنعت في

أجسامنا من الإحكام والإبداع وتقسيم المصانع التي أبدعتها في القناة الهضمية على الطعام الذي وزعته على مناطق الأرض تدهشنا . لماذا تدهشنا ؟ تدهشنا لأننا نرى أرزا ودقيقا ناعما مثلا يتجاوزهما لعاب المعدة والأمعاء ونرى زيتا وشحما وهكذا خوارج من النبات والحيوان قد تجاذبها الأمعاء والصفراء والبنكرياس ونرى أيضا ولحما وأمثاله يتجاوزها البنكرياس والمعدة . ههنا مناطق أرضية ربيت فيها النبات والحيوان ومناطق في القناة الهضمية وزعت عليها ماريته في تلك المناطق الأرضية . فإعبيبا مناطق في أجسامنا مقسمات على نواحي المناطق الأرضية كما قسمت المناطق الهوائية والأرضية على مناطق الخ . فللحساب مناطق في الدماغ وبقية العلوم الرياضية والطبيعية . وهكذا فمعارف العوالم كلها موزعات على مناطق الدماغ للقسمة تقريبا منتظما على مقتضى العلوم . فيار باه قسمت قناة الهضم وقسمت الدماغ وأعدتهما لاقتسام مناطق الخلوقات صورا ذهنية وصورا جسمية وقلت « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » .

فياويل من مات وهو جاهل بهذا النظام عاجز عن إدراك هذا الجمال . جوع نحس به يدعونا إلى تعاطي الطعام فزرع ونحصد ونضطاد ونأكل فتلتقاء مناطق الهضم بآلاته ومناطق العقل بتصوراته . حسم أبدعت وآيات نظمت . إذن نحن خلقنا العلم وإلا لما هذا الأحكام والجمال ، جسم صغير ثمانية أشبار بشري يمثل ماحولنا (تمثيلين) تمثيلا جسميا ، وتمثيلا عقليا . ثم تمثيلا متوسطا بواسطة اللسان إذ هو معبر عن كل ما تقدم فههنا عقل وههنا جسم وههنا لسان كل منها يمثل العالم بالتمثيل الجسمي والصور الهوائية بالحروف والصور الذهنية المعقولة والعالم كله متصل بهذا الجسم وشثونه .

(مشاهدات لطيفة في بلدة المرج)

قد قلت سابقا في هذا التفسير إنى أقوم كثيرا إلى جهة المرج لملاحظة أرض هناك زراعية ففي يوم الأربعاء (٩) إبريل سنة ١٩٣٠ قبيل طبع هذه السورة توجهت إليها فرأيت جنديا راكبا جوادا يقود فلاحا ويرمح بحصانه فيسده إلى جندي آخر وهكذا رجلا وراء رجل والناس يهربون من الجندي . وهذا منظر غريب يقل نظيره فسألت قبيل إنهم يجمعونهم لمطاردة الجراد لأنه الآن في الجبل الأصفر وهو قريب من قرية المرج وقد قرأت في هذه الأيام في الجرائد في نفس الشهر أن الجراد هجم على مصر من الشرق والجنوب وأنه خطر فامم وأنهم جمعوا من مركز بليس (٦٠) زكية من الجراد وهم يستعملون اللواد للثبية في إبادته وجمعوا الجندي والفلاحين للتعاون على ذلك وأهل فلسطين قد طاردوه قبل أهل مصر . وهكذا تقول جريدة الأهرام يوم الخميس ١٠ إبريل سنة ١٩٣٠ مانصه : (من الطرق للنبذة في بلاد الجزائر لمقاتلة الجراد أن تلقح جرادة أو جنس جرادات بمكروب (كلورا الجراد) وتطلق مع الأسراب فتلقحها بهذا المكروب الذي ينتشر في الحد انتشارا سريعا ويقضى عليه ، وقد أتبنا أن الجراد في (سيناء) أصيب بهذا الداء) اه .

إذن الجراد له مرض قتال ووباء عام كوباء الإنسان العام . ومعنى هذا أننا نحن يجب علينا أن نتعلم نظام الجراد وحياة الجراد وقاتل الجراد حتى نخترس منه ، وعلينا أيضا أن نوحده صفوف للصربين لمحاربه و صفوف الأمم التي حولنا لمحاربه ، أى على الأمم كلها أن تتحد في درء خطر الجراد (وبصارة أخرى) أن هذا الإنسان لا كمال له إلا بانحد جميع الأمم المعروفة على درء الفاسد ، إذن الإنسان اليوم ناقص تقصافا حشا لأن أهل السياسة وعظماء الأمم لا يزالون أطفالا ، أو كالأطفال لأن مصر لو كانت في حرب مع فلسطين لا تكل الجراد قوت البلدين ، فههنا (أمران) اتحاد الأمم للأعمال العظيمة ، ودراسة كل حشرة وكل نبات وكل حيوان .

أما بعد فهذا كله تفسير للآية التي نحن بسردها ، فهذا كله راجع لما نحن فيه من خلق الإنسان من
 نطفة ، وهذه النطفة أمشاج وأنه ابتلى وجعل سمياً وجسراً (وبشارة أخرى) إن الجوع مبدأ لهذا كله ،
 الجوع طلب الطعام ، والطعام موزع على سطح الأرض ، وفي الأرض آفات الجراد . ولا يتم طعامنا إلا
 بإزالة الهالكات لزرعنا . إذن نحن لم نخرج عن موضوع الآية وكأن هذه الدنيا كلها تطبيق على دروس جسمنا
 كما أن آيات القرآن حقا وصدقا تستتبع جميع العلوم فكأن أجسامنا علم الفلسفة الذي يجمع العلوم أو
 كالقرآن الذي يأمر بها ونحوها بحض جملة كآية « قل انظروا ماذا في السموات والأرض » وأي علم يخرج
 عنهما . وقبل أن أختتم هذه اللطيفة لا يحسن لي من الإعجاب بخالق الجراد وخلق آفته . إن الذي خلقنا
 وخلق الجراد وخلق الشمس قال : لا بد للجراد من آفة تناسبه وهي حيوانات ذرية تهلكه وعلى الإنسان
 أن يدرس الصغار والكبار من هذه الدنيا ويتعد على النافع وتكون النتيجة السعادة العلية في الدنيا ،
 وما هذه العوالم كلها إلا كدار الصور للتحركة (السينا) وهي التي حدثت في زماننا إذ يرسمون الصور على الشريط
 بالتعاقب صورة وراء صورة ثم يحفظونه وبعد ذلك يضعونه في مكان مظلم ويضيئون الأنوار الكهربية
 فتلقى على ذلك الشريط أشعتها تبرز الصور على ما أمامها واضحة جلية كأنها أجسام حقيقية بحر وبر وسماء وأرض
 وسفن وحرب وضرب وسرقة وإهلاك وتدمير وإصلاح ، فهذا يفرح الناس بما هو خير وما هو شر لأنها
 كلها ترجع إلى الخلق والمهارة والدقة والإبداع . وكل ذلك بحجة النفوس ، فأنا لما كنت في الرج وشاهدت
 الجندي يقود الفلاح وسمعت بمطاردة الجراد لم أر هذا في نظري إلا أنه تمثيل لرواية وتشخيص لحكمة عالية
 نزلت لنا بهذه الصور ولكن هذه الناظر أحكم وأبدع ولن يعقل أنها كذلك إلا قليل فأما الكثير فأنهم
 لا يفرحون إلا بالصور المنقولة عن هذه الصور الحقيقية أو متركب منها ، فدور الصور ظل لهذه للظاهر
 الحقيقية والحقيقة أوضح من ظلها .

فيأتيها السلمون : هل يسبحكم هكذا أن تعيشوا عالة على الأمم وأتم خير أمة أخرجت للناس ، أضعيرون
 قواكم العقلية بالسكل وتدرون منافع أرضكم بالجهل . لا ، لا أيها السلمون ، أنا ناصح لكم أمين فلا تاتموا
 بعد الآن . ثمروا وجدوا وافروا كل علم ، فوائده لا سعادة في الدنيا إلا بما ذكرته لكم ولا سعادة في الآخرة
 إلا به . ومن ادعى من صفار العلماء أو صفار العقول أن ديننا لا يطلب هذا كله وأن الجراد ووباء الجراد
 والنمل ودراسة كل شيء لا موجب له وأن الإنسان تكفيه ظواهر العبادة قفولوا له : اسمع ما قاله الغزالي
 في الإحياء بالحرف الواحد تحت عنوان : (بيان السبب في زيادة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا)
 وهذا نصه :

وكأنك ترى في الدنيا من يؤثر لذة الراسة على الطعوم والنكوح وترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف
 مشكلات ملكوت السموات والأرض وسائر الأمور الإلهية على الراسة وعلى النكوح والطعوم والشروب
 جميعا . فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر إلى وجه الله تعالى على نعيم الجنة إذ يرجع نعيمها
 إلى الطعوم والنكوح وهؤلاء بينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفنا من إثار لذة العلم والمعرفة والاطلاع
 على أسرار الربوبية على لذة للنكوح والطعوم والشروب وسائر الخلق مشغولون به إلى آخره .

وقد هلت هذه البشارة بنامها في أول (سورة البقرة) عند ذكر الجنة وخلص ما بقى منها أن الناس
 يموتون على ما عاشوا عليه وعلمهم يصحبهم وينقل إلى مشاهدة ونيهم الجنة على قدر الحب في الدنيا والحب
 بقدر المعرفة والمعرفة هي أصل السعادات كلها . ولا جرم أن ما ذكرناه من الجراد ووباء الجراد والقناة المضمية
 وتوزيع الطعام عليها كلها موجبات للحب ولسعادة الدنيا معا . فقراء هذا التفسير أي أذكيائهم يمطون

(جتين) جنة في الدنيا يحب المسلم والبحث ويترتب عليه إسعاد الأمم . وجنة في الآخرة بسعادة مشاهدة ذلك الحكيم الذي أربع هذه النفوس وصورها . وإياك أن تظن أن بعض ما ذكرت في هذا اللقاه يخرج عن معنى آيتنا التي نحن بصدد تفسيرها « والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه » فهو بعلمه دبر الجوع ليحملنا على طلب العلم وزرع ونأكل وندرس الدنيا كلها ومنها الجراد مثلا ونخرج من الدنيا وقد شهدنا مناظر جميلة تعجبنا في لقائه . إذن أنت أيها الذي من الآن سعيد في الدنيا سعيد في الآخرة . انتهى صباح يوم الجمعة ١١ ابريل سنة ١٩٣٠ .

(لطيفة في قوله تعالى « وما يستوى البحران » إلى قوله « لعلكم تشكرون »)

(وفيها فصلان)

(الفصل الأول) في بعض عجائب البحر .

(الفصل الثاني) في القلك المواخر في البحر .

(الفصل الأول في بعض عجائب البحر)

إن هذا اللقاه تقدم منه كثير في أجزاء هذا التفسير . ولكن لا أخلى هذا اللقاه من شذرات تسر القارئ وتشرح صدور للفكرين ، تباركت يا الله في جمال أعمالك وبديع إفتانك وإظهارك لنا من الحسن والبديع ما يأخذ باللباب ويهيء عقولنا للارتقاء الى عوالم أعلى وأعلى .

ما أبهر بحارك ، وما أعجبتنا ، تحار عقولنا في جمالها وعظمتها ولا نتقف في تلك الحيرة عند حد .

(١) أتقف عند دوامها واتساعها وأمواجها وبطئها وعظمتها للذكرة بعظمة مبدعها ، أم تتقف عند ما ترى من حياة تتخلل سائر تلك الطبقات تحت الامواج كأنها جملة طلائع تستعصى علينا دراستها ما لم نجد في تحصيلها ؟ لندرك سرها فنعرف أن من الحيتان أنواعا مثلا مثل (الكشالوت) ذلك الذي يطوف في البحار طولاً وعرضاً وهو يجول كما تجول الأساد في البر وله أنياب معددات يسطوبها على ضعاف الحيوانات البحرية وإذا أصيب بأى جرح من الإنسان في السفينة لما أشد أندفاعه ومناصرة عشيرته له واجتماعهم على تلك السفينة فلا تزال تلك الجموع تحيط بها وتصارعها حتى تصرعها انتقاماً لما أصيب به أحدها من جراح بل إن حوتاً منها واحداً هاجم مركباً أمريكياً ولم يزل يهجم عليها حتى حطمتها وأزالتها في درجات المياه وبش القرار (٢) إن عقولنا لا نتقف عند هذا الحد فإن (الروكان) أقوى منه وأضخم ، ليس طوله يبلغ ١٢٠ قدماً على ما قيل وإن كان فيه مبالغة .

(٣) وإذا أردنا التفسر في أعماق المحيط ألقينا السمك في عمق (٢٧٥٠) قامة في تلك الأماكن التي لا نور فيها ، وكيف يصل لها النور وهل لنور الشمس سريان أبعد من ٢٠٠ قامة ؟ مثلاً قامة فقط وبعدها ظلام حالك ، ففي تلك الأرجاء السحيق البالغة ٢٥٥٠ قامة بعد انتهاء نور الشمس تعيش أحياء بغير ضوء شمس . وكيف تعيش بلا شمس ؟ أتكون حياة بلا شمس ؟ هذا عجب . ولكننا إذا فكرنا في أمرها بعد ما كشف منها رأينا ما هو أروع وأعجب ، رأينا أن النور والظلمة خاضعتان لأمر السمكة فلها عضو يشع منه النور متى أرادت . فان احتاجت إلى فريسة أو قوت أضاعت للسكان بشمسها الصغيرة ، وإذا أحست بمخاض لها من أعينها أطفأت شمسها وغابت في ليج البحر . وقد يجعل ذلك النور إرهاباً للمدو وإضعافاً لبصره فيكون سلاحاً ضوئياً يهزم به العدو الذي يفتنى بصره . وبعض تلك الأسماك في قاع البحر الماع براق (فسفوري) وبعضها فضي اللون ، وهناك لطافة وجمال وحسن وبهاء ، وأعمق البحار كأعلى الجبال انخفاضاً وارتفاعاً

(٤) وهناك الجزائر الرجائية ومنها جزيرة سيلان بالقرب من الهند والجزر البركانية والجزر المرجانية وقد شرحنا كثيرا منها فيما مضى في هذا التفسير. انما الأمر العجب هنا أن تقول: أليس من العجب أن نجد (الأرض) المذكورة في (سورة سبأ) وتقدم شرح أعمالها وأنها وهي عمياء قد بنت في الأراضي القفراء مدنا أهلة بسكان منها لاحصر لعددتها، تديرها ملكة عظيمة القدر حجمها بمقدار راحة اليد ومعها زوجها للرسوم معها في (سورة سبأ) فهذه الحيوانات الضئيلة قد رفعت بنيانها في اليابسة فبلغ في العلو (٦) أمثال ثمانية واتسعت مدنها فكانت أميالا واعتاصت في هدمها على الانسان فلم يهدمها الا بالديناميت فهككنا هنا نجد جزائر في البحر وما بناها الا هذه الخلقوات الضعيفة للسميات بالمرجان تباركت يا الله جزائر في البحر عليمة في المحيط الهندي والمحيط الهادي (الباسفيكي) بينها حيوان صغير وتكون فيها بعد مزارع ومروجا واسعات تكسوها أشجار (الشوكلاته) للرسومه فيما تقدم في هذا التفسير، أليس من العجب أن تكون بعض الحشرات البرية وبعض الحيوانات البحرية قد أتخذت على إحداث ما يجز عن فطه الناس في الأرض؟ وهل للناس من قدرة على أن يحدثوا في البحار جزائر؟ كلا. إنهم لو قدروا على ذلك ما حارب بعضهم بعضا على أرض من اليابسة، فلو أنهم قدروا على ذلك لصرقوا تلك القوى التي أضعوها في إعداد آلات الحرب الجوية على إيجاد جزائر كجزائر المرجان للعرفه بما يسمونه (بلكايف وملاديف) أي بحيرة الجزائر أي (١٠٠٠٠٠) جزيرة و (١٠٠٠) جزيرة فلو قدر الإنسان على الجزائر كما يحدثه المرجان لقل أكثر منه ولأحدث أراضي في المحيط وقارات فسمدوأسمد ولكنه جهول يظن عقله آخر ما وصل إليه الإبداع ولم يفطن إلى أن هذه الفريزة للرجانية والفريزة التي في الحشرة الأرضية الشروحة في (سورة سبأ) كما قدمنا قد أبدعت إبداعا لم يصل له هذا الإنسان للسكين الذي يفرح بما عنده من العلم وهو لا يزال في أول حروف هجائية « إن الإنسان لظلوم كفار » إنه كان ظلوما جهولا .

أما ظلمه فإنه إلى الآن لا يزال يفخر بأنه يعيش على نهب المال من أخيه الإنسان، وأما جهله فيها هوذا ظاهر في أنه لم يصل إلى علم حشرة أرضية في نظام المدن والبنية ولا إلى علم حيوان المرجان الباني في المحيط جزائر وجزائر، أليس هذا هو الإبداع والالتقان والجمال (أنظر سورة المرجان في أول سورة النحل في المجلد الثامن وفي آخر سورة الفرقان في المجلد الثاني عشر) انتهى الفصل الأول .

الفصل الثاني في الفلك المواخر في البحر

يقول الله « وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولمعتم تشكرون » فأولا ترى الفلك مواخرا وثانيا تبتغى من فضل الله . وثالثا تشكر الله على ذلك الفضل . فهاهنا ثلاث جواهر .
(الجوهرة الأولى فيما تراه من الفلك المواخر في البحر)

أما الجاهل فلا يدرك من هذا القول في القرآن إلا لفظه وإعراجه وصرفه وبلاغته، فهذا حد الجاهل وكثير من العلماء للتأخرين في الأمم الإسلامية، أما الحكيم الفسك فإنه ينظر بعقل أحكم ونظر آتم فيقول: « نحن رأينا الفلك في البحر مواخر فأى فرق بينها وبين سير الإنسان في الأرض وركوب الدواب وركوب القطارات الحديدية، نسمع الله يقول لنا بعد ذلك « لتبتغوا من فضله » لم آتى بهذه الجملة بعد رؤيتنا الفلك مواخر مع أنه يقول: « والحيل والبخال والحير تركبوه وزيته » ولم يقل « لتبتغوا من فضله » وإن كان الجميع من نعم الله وتسهيل أمور الحياة علينا. هاهنا يرجع الحكيم إلى العلوم التي أبرزها الله في الأرض لنا فإى يرى؟ يرى أن قوة الحصان الواحد تجرى على الطريق العادي نحو (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف رطل بسرعة

ثلاثة أقدام في الثانية وتجر على شريط السكة الحديدية نحو (٣٠٠٠ ر.) ألف رطل للسافة نفسها والوقت نفسه ، أي إن شريط السكة الحديدية يكسبنا في النقل عشرة أمثال ما تكسبه من السير في الأرض المتادة فإذا جعلت نفس هذه القوة فوق سطح الماء فإنها تبحر في الزمن نفسه والسافة عنها (٢٠٠٠ ر.) رطل إذن الماء أكسبنا تسهلاً فوق سهولة السكة الحديدية نحو (٧) مرات تقريباً وفوق ما ناله في سيرنا للمتاد على اليابسة نحو (٧٠) مرة ، عجب : إن الماء يسهل لنا النقل بنسبة عظيمة جداً لم تسهل اليها دوابنا ولا طرقتنا الحديدية. إذن البحر نعمة في النقل تملو على نعمة الطرقات في السكة الحديدية وعلى الطرق للعبدة (بتشديد الباء) في الأرض . هذا معنى قوله « ترى القلک مواخر فيه » .

فأما العامة وصغار العلماء فلا يرون بأبصارهم من السفن إلا كما يسمعون بأذانهم من القرآن مناظر سطحية وألفاظ مقروءة . فالعريقان في ذلك أشبه بمن يرى أمواج البحر ويظن أن البحر ماء خامل لا حياة فيه بل الحياة الدنيا كلها عند أكثر هذا الإنسان حياة كالأمواج لا جمال فيها ولا بهاء . فلا جمال في الحياة الدنيا إلا بدراستها ولا بهجة في ماء البحر إلا بتعلم علومه التي عرفها الناس . ولا فائدة يعقلها الإنسان من منظر السفن الماخرات في البحر إلا بدراسة القوى وموازينها كالذي ذكرناه هنا وهناك فقط يفهم لم ذكر الله « لتبتغوا من فضله » بعد ذكر السفن للماخرات في البحر .

إن للماء قوة تدفع الأجسام العائمة عليها إلى أعلى فيخف ثقلها ويحس الإنسان بذلك وهو في البحر فإنك إذا استخدمت في البحر كشواطئ الاسكندرية وهناك زجاج مكسور تحت الماء وأنواع من الأدوات الحادة فإنك لا تألم بما يصيبك من هذه الأدوات الحادة لأن الماء سيرفك رفقاً يحفظك من الضغط على أمثال الزجاج فلا يصيبك الجراح . ذلك سر رفع الماء لأجسامنا تخفف وهذه النظرية معروفة في جميع الدوائر العلمية ولها تدابير لا محل لذكرها وهي المعروفة بنظرية (ارشيديس) فهذه النظرية سر من أسرار الله الذي وضعها في الماء وبه جرت سفننا فكانت أسرع فنعما من دوابنا ومن قطراتنا لذلك عبقه بقوله .

(الجوهرة الثانية « لتبتغوا من فضله »)

هنا نبني من فضل الله لأننا وجدنا طرقاً سهلة معبدات عبدها (بتشديد الباء) الله لا قبل أن يخلق أبانا آدم . لذلك نبني من فضله . والمسلمون هم المخاطبون بالقرآن أكثر من غيرهم . فيارب هل الابتغاء من فضلك بالسفن للماخرات قاصر أكثر على غير المسلمين أم المسلمون من عبادك وهم أيضاً يبتغون من فضلك بالطرق البحرية للذلات ولا يقتصرون على الطرق الأرضية التي تقل عن البحار (٧٠) مرة من سهولة النقل. أيها المسلمون: البحار بحار ربكم ، وهو الذي سهلها لكم ولغيركم . لم لا تبتغون من فضل ربكم في بحاره ؟ ولو أنكم جاريتهم الأمم في السير في البحر لتشرتم فضائل الدين في الأمم بالعلم والافعال ، فترك الناس أصنامهم وأوثانهم ولحفنتم عن الإنسانية جهاتها المتراكمة وإياكم أن تظنوا أن سير السفن في البحر أمر سهل أو أن الابتغاء من فضل الله بالتجارة بمعاونة السفن أمر يسير . إن هنا عالماً آخر وهو عالم الأثير . ذلك العالم البديع الذي هو اللطف من الهواء . عالم يتدخل في الماء وفي الهواء وفي الأرض وفي الأجسام الحيوانية وفي السماء وفي السكواكب وفي الأرض هو عالم لطيف يتفدى كل شيء . هذا العالم أيضاً يسعد الإنسان بإسراع للواصلات فيه يكون البريد البرقي (التلغراف) بقسمه أي الذي له سلك والذي لا سلك له ، وهذا لا بد منه لسير السفن في البحار الله أكبر أصبح الإنسان بهذا وبذلك كله كأنه جسم واحد اللهم إنك أنت جمعت العوالم كلها كأنها جسم واحد فأرسلت مع شمك وقرك وسياراتك ومجراتك كلها كأنها جسم واحد هكذا هذا الإنسان الجهول « سكين يظهر لنا أنك تكاد تجعله جسماً واحداً فهل يتحنى للمسلمون عن هذه اللوحة بالجهالة . هل يتحنى

للسون عن استخدام القوة الكهربائية التي يبعثها الناس في الفضاء فتتلفها السفن في عرض البحار فتنجو من المخاطر وذلك بنعمة الأثير التي جعلها الله محيطه بنا . فهي أعم وأرق من الماء والهواء . وإذا شئت شرحا لهذا الموضوع فاقرا ما نقلته من كتاب الجغرافيا التجارية الاقتصادية والجغرافيا البشرية تأليف (محمد بك حمدي) ناظر مدرسة المحاسبة والتجارة وهذا نصه .

البرق السلكى البرى والبحرى والبرق غير السلكى

انتشرت الأسلاك البرية في الفضاء ومدت البحرية في مياه البحار والمحيطات فانصلت أطراف المعمورة برا وبحرا وأصبح العالم كله وكأنه قطر واحد فهانت المناجاة في قبال من السويحات وانتظمت عقود التجارة الدولية وشاعت أخبارها في الآفاق بالسرعة بسبب سهولة إنجاز البيع والشراء والأخذ والعطاء فيما ينفع الناس واشتبكت المصالح الدولية بشباك أوتادها في كل المدن العظمى وفي اللوانى الكبرى وفي جميع جزر البحار الحسنة للوقع الجغرافي مما يسهل على الطالب تعيينه من الخريطة .

(البرق غير السلكى)

نظيل الكلام في هذا وحده لأن له الآن السكان الأول في جميع أرجاء العالم الراقى في قضاء الشؤون التجارية وفضله على البرق السلكى بريا كان أو بحريا واضح جلى لأن الثانى معدود الخطوط محدود الجهات بواسطة الأسلاك . أما الأول فتم بإشارته الأرض فاصبها ودانها على حسب قوة الدفعة الكهربائية التي تبعث بها من أعلى الفضاء هذا فضلا عن إغاثة السفن في عرض البحار إذا ما حلت بها الأخطار فتتدازكها السفن الأخرى المجاورة لها وتتشلها - من ورطتها وفي ذلك من تأمين الأُنس والتجارة ما يرجع بالفائدة العظمى إلى هذا النوع من البرق ولهذا نراه قد شاع ذكره واستعماله حتى لم تخل منه طريق تجارية ولا بلد رئيسية ولا السفن البخارية وبعض الشراعية فقد أصبح لها أمانا وعدة من أزم العدد وإذ قد عم استعماله الآفاق رأينا عدم الحاجة إلى سرد أشهر الموانى والمدن التي تستخدمه فقد لا يغلو منه الآن موقع ذو شأن في التجارة الدولية والسياسة الخارجية وإذا كان ينقص جهة فهي عاملة حتما على إنشائه فيها في القريب العاجل .

ومعصر عدد البروق غير السلكية أشهرها في الاسكندرية وأبي زعبل وهي قرية من أعمال القليوبية وأنشأت وزارة المواصلات حديثا محط « البرق غير السلكى في الاسكندرية » تسهيلا للمخازرات التجارية بين هذا البلد والخارج لا سيما بين السفن السافرة في البحر والثغر الاسكندري فأقامت ساريق البرق المذكور على شاطئ البحر في رأس التين وجعلت ارتفاع السارية ١٣٠ قدما فأصبح للمحط من القوة الأثيرية ما يعمل الأنباء منه وإليه مسافة ستائة ميل بحيث يستطيع أن يلتقط الأنباء من البواخر السابحة في البحر الأبيض المتوسط كله ومن تغور هذا البحر وما حوالها من الأماكن ولا شك في أن الدوائر التجارية في الاسكندرية وفيه مدن القطر الكبرى لتعقبط بهذا العمل النافع .

وجهاز « البرق في أبي زعبل » تابع للحكومة الإنجليزية رأسا وهو من أكبر عدد العالم التي من نوعه وهو عبارة عن : (١) آلة ميكانيكية ضخمة تولد الكهرباء تسمى المولد « الدينامو » تتولد فيها الحرارة الشديدة بواسطة (٢) آلة بخارية في بناء آخر كبير مجاور للأول وعلى مسافة بعيدة منهما (٣) أعمدة عدة يبلغ عددها نحو خمسين عامودا مقامة على أرض مرتفعة جدا وقد يبلغ طول الواحد منها نحو عشرين ومائة متر ويربط في أعلى كل عامود بطريقة فنية أسلاك تمد على جوانبه حتى تصل إلى نهايته ثم تسير تحت الأرض حتى تصل بالمولد وهناك حجرة للمبرق المنطوط به العمل ولديه آلة ذات مفتاح متصل بالمولد فإذا ضرب على

المتناح انفتح فم المولد وقذف موجة كهربائية ذات صوت شديد قاصف فتسيل هذه وما يتلوها من الموجات الأخرى مارة بالأسلاك القائمة على الأعمدة قاصدة أعاليها حتى تخرج من أطرافها إلى الفضاء الواسع فتنتشر في جو السماء بسرعة عظيمة تحاكي البرق الطبيعي وأمثال هذه الأسلاك موضوعة في فرنسا على برج إيفل وفي البواخر على رءوس السوارى . والموجات الكهربائية التي يقذفها المولد من شاهق تنتشر في الجو كما سبق وصفه وتدور حول الأرض مارة فوق الجبال والبحار من غير أن يعرضها شيء وقد يبلغ ما تقطعه للموجة الواحدة في الجو ثلثمائة ألف كيلو متر في الثانية أو أكثر من ذلك .

والمصطلح عليه في إشارات البرق أن حرف الألف مثلا يساوي نقطة وشرطة والباء شرطة وثلاث نقط والياء شرطة واحدة وهكذا . والفرق بين الشرطة والنقطة أن الأولى يرسلها المبرق على المفتاح بقوة تساوي ضعف القوة التي يرسلها الثانية وعلى هذا القياس يرسل موجاته متتابعة في الجو فتقبلها كافة الأسلاك المهيأة على للارتفاعات الشاهقة في الممالك الأخرى سواء في ذلك البر والبحر ثم يتلقاها المبرقون بواسطة «سماعة» أشبه شيء بسماعة السرة «التليفون» فيدونون الكلام بواسطة سماعتهم للموجات تطن طويلا أو قصيرا (شرطة أو نقطة) كما هو مألوف في البرق العادي .

والموجات الكهربائية تشبه في انتشارها للموجات الصوتية فعلى قدر قوة البعث تكون قوة الموجة وترددها في الهواء وإذن تختلف قوى البرق غير السلكي باختلاف حجم المولد وعدد الأعمدة فعدة الإسكندرية مثلا لها مولد أصغر من مولد أبي زعبل وليس بها إلا عمودان اثنان على حين إن للأخرى خمسين عمودا ومن ذلك يكون نطاق الرسائل بواسطة الأول ضيقا بينما يتراسل الثاني مع جميع أطراف الأرض وتتكلف الأعمدة نفقات عظيمة فقد بلغ ما أنفق على الواحد منها مليون جنيه .

ويستطيع البرق عند وضع السماعة على أذنه أن يأخذ أى الاشارات التي تقابلها للمالك الأخرى بعضها مع بعض ولديه طريقة فنية لتمييز الموجات ومعرفة ما يخصه منها وما لا يخصه فالبرق غير السلكي والحالة هذه لا يؤمن على سر إلا ما كان مرسلًا بالأرقام السرية .

ولقد تصل أحيانا مع الموجات الكهربائية أصوات الزوابع والرياح من كندا أو روسيا أو جبال فرنسا أو أى جهة كانت فيشعر بها المبرق ويسمعها كما هي وقد تضعف هذه الرياح أصوات الموجات على أن اختلاطها بها لا يمنع فهم إشارتها على الإطلاق ولشكل محطة برقية علامة خاصة لمناداتها بها فعند ما اتصل للموجات الكهربائية بين بلدين يمكن للبرقين مبادلة الكلام بواسطة تلك العلامات .

وفي ساعات معينة من الليل يستعد عمال جميع البروق غير السلكية لتلقى إشارات « روتر وهافس » دون الاشارات الأخرى ولا يستطيع العامل بأبى زعبل مثلا أن يراجع لندن في كلمة فاتته ولهذا السبب يوجد دائما في مثل هذه الأحوال عاملان لتلقى الاشارة الواحدة حتى إذا ترك أحدهما كلمة تداركها الثاني .

هذا ولا يزال البرق غير السلكي آخذًا في التقدم من الدقة والإنقان بما سيضاعف نفعه وفوائده انتهى ما أردت من كتاب الجغرافية التجارية الاقتصادية .

أيها المسلمون : ها نحن أولاء خلقنا في الأرض يحيط بنا الهواء فاستعملناه في الحروف الهجائية وذلك بالقطرة ولكن العلم الآن أرانا الأثير فاستعملناه بحروف واصطلاحات وكلام الشرقى الغربى وأصبح الصينى يكلم المصرى والألماني به . أليس بهذا وأمثاله نبتنى من فضل الله وهذا هو سر التعبير بالفضل في هذا اللقائم ولا كانت هذه النعم قبولها واستعمالها شكر وتركها كفر بالنعمة أعقبه بذكر .

(الجوهرة الثالثة)

وهي - لعلكم تشكرون - فياليت شعري كيف يكون شكر هذه النعم ، نعم للماء السهل للنقل ونعم الهواء السهل للسفن ، ونعم البخار كذلك ونعم الكهرباء ونعم الأثير الذي يربط الناس بعضهم ببعض ويكون التواصل والتخاطب ، لا شكر لهذه النعم إلا بتعلمها أو لا ثم العمل بها ثانياً .

فلا شكر للنعمة إلا بعد العلم بها ومن علم عمل وهناك يحس في نفسه بحب وكرام يجده تلك النعم فيفرح بها وينطلق اللسان بالحمد والأركان للعمل فينتفع السلم الناس كما يفرح بنعم ربه ، فهناك (نتيجتان اثنتان) حب الله بفهم هذه النعم وتقم عبادته باظهارها . وهل الشكر غير هذا ؟ إن قراء هذا التفسير هم الشاكرون والحمد لله رب العالمين . كتب صباح يوم الخميس أول مايو سنة ١٩٣٠ .

تذكرة من عجائب البحر

إن من أجمل ما سطرته الدهور . وأبدع ما أظهرته العلوم . مسألة الحياة في أعماق البحار التي ذكرناها هنا .

لقد كان العلماء في النصف الأول من القرن التاسع عشر يحسبون حكماً لا ريب فيه ولا جدال . أنه لا أثر للأحياء تحت عمق أربع مائة متر في البحار للوحة مستديلين بأن الضوء لا يصل إلى هذا العمق . وإلى أن الضغط على أجسام الخواصات هناك يكون عشرات أضعاف الضغط الجوي . وأن الحياة هناك مستحيلة قطعاً تحت ذلك الضغط . فصار من البديهي ألا وجود لأحياء في ذلك العمق . وهذا البرهان ظاهر واضح حق من كل الوجوه . ولكن ظهر خطأ هذا البرهان لما ظهرت الأبحاث البحرية بعد ذلك وتكاثرت وصادوا حيوانات على أعماق مختلفات بألات صيد خاصة تدل على العمق الذي أخذ منه ذلك الصيد من سمك وقشريات ونجميات فمن عمق سبعة آلاف متر أو أكثر كما تقدم هنا : ووجد العلماء الضغط الواقع على أجسام تلك الحيوانات (٧٠٠) سبعمائة ضغط جوى . لأن ذلك الضغط يساوى نحو عشرة أمتار من الماء فوق الأرض كما هو معروف في العلوم الطبيعية . وفوق ذلك وجدوا هذه الحيوانات محمية بدرع صلبة تجعل أعضائها الداخلية في مأمن من العطب : بل إن أغلب هذه الحيوانات طرية اللس . شأنها شأن نظائرها في المياه السطحية . وعقول العلماء حائرة أمام هذه الحقائق الظاهرة . وما هذا الذي احتفى في هذه الحيوانات حتى تحملت ذلك الضغط العظيم .

هذا ، وإذا حولنا النظر عن الحيوان في البحث إلى نفس الماء هو مسكن الحيوان رأينا أمراً عجيباً . رأينا في السنتيمتر المكعب من الماء محتوى على (٣٠) ألف مليون مليون جزء وأن متوسط سرعة الجزء الواحد نحو ٣٠ كيلو متراً في الدقيقة الواحدة أو نصف كيلو متر في الثانية الواحدة . وأن وزن ذلك الجزيء لا يتعدى ثلاثة أجزاء من مائة ألف مليون مليون مليون جزء من الجرام ولكن هذا الجزيء الواحد مركب من ذرتين من ذرات الأندروجين وذرة من ذرات الأكسجين والحركة المستمرة للشار إليها اللازمة للذرات هنا أشبه بمركات جماعات النحل تصطدم الواحدة بالأخرى اصطداماً دائماً : وعلى مقدار ذلك الاضطراب تكون درجة الحرارة زيادة ونقصاً وبسبب هذه الحركات المستمرة والاصطدام يكون الضغط من الماء على الإناء الذي هو فيه أو المسكان من البحر الذي هو فيه . والفضل في معرفة ذلك يرجع إلى (كلارك مكسول) العالم الإسكتلندي من علماء القرن الماضي . ولكن كيف تركيب الأكسجين للذكور

مع الأودرجين مثلا في الماء وكيف تكونت العناصر الأخرى مع بعضها في جزئيات الأجسام الأخرى . هذا أمر عجز عنه العلماء في كل عصر من العصور .

ثم إن هذه الجزئيات المائية أي التي يتركب منها الماء ونظائرها مما يتركب منه كل موجود في العالم المادى ليست هي أصغر ما عرفه الناس اليوم بل كل جزيء منها مركب من شيء أصغر منه جدا بمقدار (١٨٥٠) مرة وهذا الشيء يسمونه (ألكترونا) وما هذا الألكترون الإشعاع الضوئى وهذا الشعاع الضوئى الدقيق يتركب منه كل ذرة والذرات يتركب منها الخلققات .

إذن ماء البحر وحيوانه وكل مادة تراها مركبات كلها من مواد نورية . اختلفت مظاهرها باختلاف حركاتها وهل هذا إلا قوله تعالى « الله نور السموات والأرض » أي منورها . إذن لا ظلم فالعالم كله نور ماء البحر نور . الأرض نور . الجبال نور . ولكن اختلفت المظاهر باختلاف الحركات وتوسعها وإن شئت المزيد . فارجع إلى آية « الله نور السموات والأرض » وادرس قطرة الماء هناك وانرجع بنعمة العلم لتعلم أن العالم كله نور لا غير ولكن خفي علينا أمره في هذه الحياة لتعلم ولا سبيل لتعليمنا بشيء ذلك . ونحن لم قدم صدق في هذا الموضوع (مدام كورى) وزوجها (اللسيوكورى) للكشف عن عنصر الراديو الذى هو أنشط العناصر كلها شعاعا وقد وجد له ثلاثة أنواع من الشعاع . فمنها أشعة إيجابية ومنها أشعة سلبية . ومنها أشعة قصيرات اللوجات جدا والأشعة السلبية هي التي قدر وزنها بما تقدم وهي داخلية في تركيب جميع الذرات الله أكبر عجبنا أصبحنا نعجب من حيوان تحت ضغط ماء يفوق سبعمائة ضعف الهواء الجو الضاغط علينا ونعجب أكثر وأكثر من ضوء صغير جدا دقيق يتركب منه ذرات وبأخفاه نكسكون هذه المواد . إن حياتنا عبارة عن مرشح نشاهد فيها الأعاجيب فمن ضوء يتنوع حوتا وذئبا وحجرا وشجرا وماء ومن حيوان صغير طرى اللحم يتحمل ضغطا قويا لا تقدر نحن على تحمله ولا القليل ولا الجمل تبارك الله رب العالمين . هذه بعض عجائب البحار وربك يخلق ما يشاء ويختار . فهل يعجبكم هذا أيها المسلمون أن تناموا وتقوم امرأة وزوجها (كالمدام كورى والسيوكورى) فيبحثان عن الأشعة وعن الذرات وعن الأنواء ونحن وأبنائنا ونساؤنا عائلة عليهم اللهم ربنا إنك أنت ربنا وربهم فأنعم علينا بنور العلم واشرح صدورنا وألهم الأمم الإسلامية عشق العلم إنك أنت السميع العليم ١١ صباح يوم الخميس ٨ مايو سنة ١٩٣٠ .

وإذا فرغنا من الكلام على آية « وما يستوى البحرين » الخ فلنفض القول في آية « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء » الخ فنقول :

(لطيفة : في قوله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء » الخ)

لقد جاء في (سورة الكهف) عند قوله تعالى « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا » الخ ما جاء في كتاب علوم للجميع باللغة الإنجليزية مترجما أن هناك علما حديثا يسمى (علم الألوان) وهذا العلم يقول المؤلف إن علماء أهل الأرض الآن أطفال فيه ولكن الذى عرفوه منه فضلا يستبين منه للناس أن الألوان موضوعة في هذه الأرض لمقاصد صادقة وليس اتفاقا ولا مصادفة وذكرت لك هناك ما أوردوه في هذا اللقاع من الألوان المختلفة البديعة مرسومة مشروحة مبينة أسبابها وأن ضوء الشمس هو الذى يرسمها ويخططها وكلما كان الحيوان أكثر تعرضا للشمس كان أقرب إلى السواد وكلما ابتعدت أجزاءه عن ضوءها واختبأت كانت ملونة بلون من الألوان الأخرى كالحمرة والصفرة . وترى هناك أيضا أن هذه الأحوال العارضة التي ظهرت في أمثال (أبى ذئب الطاوسى) وفي (حمار الحبشة) الرسميين هناك قد حيرت العلماء إذا وجدوا أن البياض في ظهر حمار الحبشة للصاب للسواد في ظهره وفي جوانبه يحتاج إلى علة غير علة إلحاح الشمس على ظهر الحمار لأنها توجب السواد التام ، أما البياض فهو أمر آخر لا يتفق مع إلحاح

الشمس عليه وهكذا تلك الألوان البهجة الزاهية في أبي دقيق الطاووسى للزينة أزانانا تماما ، الهندسية الشكل البديعة النظام فإنها جاءت بسبب مواد ألصقت بأجنحة تلك الحشرة ووضعت بنظام مدهش وهذه على (قسمين) قسم جاء اللون فيه حادثا من انجذاب الهواء في أوعية خاصة منتظمة فمكس ضوء الشمس عن ذلك الهواء للنجس وقسم آخر جاء اللون فيه عن انعكاس الأشعة الضوئية عن ذرات منتظمة رتبت ووضعت في صفوف منتظمة فظهر بها اللون بهجا جميلا . انظره هناك .

ثم ارجع معي هنا وقل معي : سبحانك اللهم وبحمدك . أربقتنا الخجل ذلك لأنك جميل . وضعت لنا قاعدة ياربنا وقلت لنا فيها كلما كانت الشمس أكثر إلحاحا على الجسم كان أقرب إلى السواد وكلما كانت أقل إلحاحا عليه كان أبعد عن السواد وتعالى بلون من الألوان السبعة ثم اتنا رأيناك لونت الثلج بالبياض لبرودته ولونت عروق الشجر الضاربة في الأرض بلون البياض : لماذا ، لأنها لم تلاق حرارة الشمس ولم تر الألوان إلا فيما برز للشمس من أجزاء النبات . فها نحن أولاء رأيناك بأفقه أخذت تتفنن وتبدع الإبداع كله وتضع ذات على أجنحة الحشرات وتلصقها وتهندسها وتظهرها للشمس فيبهرننا لونها ونجد أفانين وأفانين من الجمال . ولو أنك أبيت حال هذه الحشرة مثلا بلا ابتداء مثل هذا لم تر هذه الأفانين والصور الجميلة . والحق يقال ان العالم الذي خلقنا فيه كله جمال ، ورأيناك لم تقتصر على ذرات تلصقها بالأجنحة بل أبدعت في الأجنحة إبداعا آخر وحبست الهواء فيها وعرضتها للشمس فأخذت أمواج الهواء تلتقي أشعتها على أعيننا داخلية في قرنتها متخللة بلورتها (بتشديد اللام) أى عدستها مرسومة على شبكيتها جارية في أعصابنا إلى مخنا . فهناك يظهر لنا الجمال والسكال والبهاء .

سبحانك اللهم : أبدعت ورقشت وزينت ، ولما كان إبداعك في الصور واتقانك لهندستها براها الجاهل فلا يابه لهما (وذلك لأن الإنسان لا يابه ولا يهنم ولا يعجب ولا يطرب ولا يفرح لما ألقه وعرفه من إبان صفوه وميمان شبابه إذ يطلع على هذه الأشياء وهو طفل ثم يشيب ويكون فقير وكهلا فشيخا فهرما وهو في ذلك كله لا يرى في هذا الجمال إلا أنه أمر عادي لا يستحق التفكير) .

أهملت طوائف من كل أمة من الأمم قديما وحديثا أن يصغوا وزينوا وينقشوا ويأتوا بأفانين الصور وأحاسن الأشكال وبدائع الجمال وروائع الزينة ومباهج الأصباغ . وأقدم هذه الطوائف التي عثرنا عليها قدماء المصريين الذين زينوا مبانيهم بنقوش غريبة وصور بديسة حار فيها الناظرون وتغير في أمرها النقاشون والهندسون ، وإنما أهملت الأولين والآخرين ذلك لتفتح العقول لهذا الجمال والابداع الذي نسوه بيلافهم وجهلوه بتكرار مشاهدته وسقوط اعتباره من القلوب ، فهناك هنالك الحكمة . استبان للناس الجمال والبهاء والحكمة . والحكمة لا تعطى إلا للمفكرين . والمفكرون لا يعرفون الجمال والحكمة إلا بالتحليل ومعرفة للقادير والأجزاء الداخلة في تركيب الأجسام والأصباغ .

مالت الناس سوى قوم عرفوا وسوام همج المصج

فلا بين الآن لأذكيا الأمم كيف كانت الأصباغ عند قدماء المصريين فأقول :

أصباغ تتوش المصرية

قال الشاعر المصري شوقي بك :

غاب من حولها الزمان وشابت وشباب القنون مازال غضا

رب نقش كأنما نقض الصا نع منه اليدن بالأمس نقضا

ودهان كلا مع الزيت مرت أعصر بالسراج والزيت وضا

يقول علماء عصرنا ان قدماء المصريين تفننوا تفننا أدهشهم ، فها هي ذه هياكلهم العجيبة ومبانيهم الفاخرة وأصباغهم التي حمرت عليها الصور والدهور وهي كما نقض الصانع عندها يده الآن . فلننظر نظرة فيما كشفه القوم الآن لما حللوا تلك الأصباغ ومتى عرفنا بعض ذلك معرفة تامة رجعا إلى صنع الله تعالى فعرفنا تلك العظيمة وسعدنا بالجمال الذي ندرکه وتفرح به في هذا الوجود ، هنالك يشوقنا جمال هذا العالم ونحس بالمسرة والبهاء .

لقد كان قدماء المصريين يمزجون الصبغ الأحمر بالأصفر فيكون منهما صبغ يرتقال اللون وهذا اللون عثروا عليه في مدفن (نمرت) الذي كان من رجال بلاط الملك (سنفرو) أحد ملوك الدولة الراجعة التي كانت تحكم مصر منذ ستة آلاف سنة وذلك قبل (خوفو) الذي بنى الهرم الأكبر من أهرام الجيزة . وهذه النقوش عميقة على هذا القبر وقد ملئت بهذا الطلاء ، وكان عندهم طلاء آخر أشد صفرة وأبهى وأجمل لونا ، وطلاء آخر أخضر خضرة طبيعية وهو من الحجر المسكى الأخضر ، وطلاء أزرق من الحجر المسكى الأزرق وكلاهما من مركبات النحاس ، وههنا أن أن أذكر لك طلاءم الأزرق الذي كان كثير الشبوع عندهم فهو كان صناعيا لا طبيعيا ، وكانوا يصنعونه قبل المسيح بالفين وخمسةائة سنة ، وما هو ذا ؟ هو نوع من الزجاج . وكيف صنعوه من الرمل والجير والسكس والقلبي ومعدن النحاس . حرقت هذه معا فكان منها زجاج أزرق . وقد حللوا قطعة منها تحليلا كيمائيا فوجد فيها جزآن في المائة من (أكسيد النحاس) وثمانية وثمانون جزءا من السليكا وجزء من الصودا وثمانية أجزاء من الجير وقليل من أكسيد الحديد ، وإذا كان حجر النحاس من جزئين إلى خمسة في المائة كان الطلاء أزرق صافيا ، وإذا كان حجر النحاس من (٢٥) جزءا إلى (٣٠) كان لون الطلاء أزرق قانما أو بنفسجيا ، وإذا كان أكثر صار لونه أسود وإذا قل القلي كثيرا فالحاصل مادة رمليه لاقوام لها ، وإذا أكثر كثيرا فالحاصل جسم صلب لا يحك منه الطلاء للطلوب .

ولقد جاء في (الكتطف) في بولية سنة ١٩٢١ م مانسه : « ولقد كان عليهم أن يزنوا العناصر كلها ويطلقوا مقاديرها تماما ومن ثم استحصل لليزان في الأعمال الكيمائية » وأنا الآن أكتفي بهذا المثال فإن للدار على فهم ما نسكتب لاعلى كثره المعلومات .

ها هم أولاء قدماء المصريين منذ خمسة آلاف سنة نظروا في الأحجار فاستعملوها ولونوا بها مصنوعاتهم ثم إنهم المهموا أن يقلدوا ما وجدوه في الطبيعة وهذا التقليد لا يكون سهلا بل مرت عليهم قرون ودهور وهم يجربون فاهتدوا إلى البرتقال بمزج الأحمر بالأصفر ووزنوا النحاس والسلكا وهو الرمل والصودا والجير وأكسيد الحديد فكان منها زجاج أزرق ، فباعجبا بالله نحاس وحديد ورمل وجير وصودا بامتزاجها يكون اللون الأزرق ولكن بمقادير محددة ولكن النحاس هو للقياس فإن قل كانت الزرقة وإن كثر كانت البنفسجية أشد منها ثم يصير أسود .

هذا المثال يرينا (أمريين ، الأول) إن هذه الأصباغ التي تراها في النبات والحياوان مخلوقة في الطبيعة أمامنا مرجسها مزيج موزون بموازين لو اختلفت لاختلت الألوان ولذهب الجمال « والسما رفها ووضع لليزان » باعجبا هذا هو لليزان . هذا هو ميزان علماء الكيمياء الذي وزنوا به الحديد والنحاس والرمل والجير والصودا الخ حتى حصلوا على زجاج أزرق . يا سبحان الله . إذن الله وزن هذه المواد وأمثالها حتى أبدع لنا أزهار الورد والقطن وأزهار أشجار الفواكه والرياحين ، حينئذ هذه البساتين والرياض الناضرات التي تراها ذات بهجة تسر الناظرين قد وزنت المقادير الداخلة في تركيب هياها حتى ازينت للناظرين . إذن الزينة

بالوزن ، إذن الله وضع الميزان في كل مكان ، وضعه في كل شجر وحجر وجبل ، وفي كل شمس وقمر ، إذن ميزان الله يعلو السموات والأرض . إذن فهمنا قوله تعالى « شهد الله أنه لا إله إلا هو ولللائكة وأولو العلم قائما بالقسط » وقوله « قائما بالقسط » حال من الله فهو واحد قائم بالعدل . فهذا هو العدل وهو الوزن الحق والوزن الحق هو الذي به ظهرت هذه الألوان وبهرت وسرت الناظرين : لو أن اللون البنفسجي في البنفسج الطبيعي زادت مادته النحاسية عن (٣٠) في المائة لم يكن بنفسجيا بل كان أسود ولو كان أقل كثيرا لكان أرزق صافيا .

هذا هو الوزن في عمل الله ولم نعرف جماله إلا بدراسة الألوان . فبالدرس أدركنا معنى « ووضع الميزان » ومعنى القياس بالقسط ومعنى القول المشهور « أسست السموات والأرض على العدل » ولو اختلفت الأوزان في عناصر هذه المواد لم تكن تلك الألوان واختلف النظام وذهب الجمال الذي أبدع الله عيوننا لترسمه على شبكتها وتوصله إلى عقولنا لتنتظر إلى ذلك الجليل الذي زين الأرض والسماء للناظرين وقال « إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها » ثم هو أهم عباده أن يقلدوه وهام أولاء قدماء المصريين قلدوه في الصنعة وقلدوه جميع أهل الأرض في زماننا ماعدا أكثر المسلمين ولما قلدوه وزنوا وزنه فهو قد وزن في مصنوعاته وهم وزنوا في مصنوعاتهم تبياننا لقوله تعالى « ووضع الميزان » ألا تظفوا في الميزان ، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » . يقول تعالى : وضعت للميزان ووزنت كل ماون وكل مكون وكل متحرك وكل ساكن لأجل أن لا تزيدوا في ميزانكم ولا تنقصوا بل تعدلون وترزنون بالقسط في مصنوعاتكم لئلا تختل وتقيموا العدل في أعمالكم بميزان ثلاثي تختل نظام مدينتكم فالعدل في وزن المصنوعات يجعلها جميلة والعدل في القضايا ووزنها بالقسط وزنا عليها قانونيا يحفظ دولكم ومدنكم ويجعلكم في الأرض سعداء ، ولا جرم أن الصناعات واجبة وجوبا كفاثيا كما قدمناه في أكثر مواضع هذا التفسير وأن التفسير فيها يورث القلة في الدنيا والعذاب في الآخرة فياحسرتنا على أم الإسلام . تلك الأمم التي أورثها الله أرض الأمم البائدة وقد دفن تحت أرجلهم صناعات قدماء المصريين والآشوريين والبابليين وأمم خلت من قبلهم فلما زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وظهرت كنوزها وتحديث الأحجار دهش نوع الإنسان وقال . ماذا في الأرض ؟ ولقد صدر الناس أشتانا كل يسمى لعمل يجد فيه ، وقد جنت كل أمة وكل فرد عمرا ما عملوا في هذه الحياة الدنيا والآخرة على مقتضى الأعمال في الحياة من خير ومن شر .

كل هذا وللسلمون لم يحركوا ساكنا وأكثروا ناعمون وعلماء أصول الفقه ينادونهم أن شكر للنعم واجب ولا حمد إلا بعد معرفة النعمة ونعم الله ملأت السهل والوعر فما لكم تجهلونها ولا تعرفونها ، وتكفرونها ولا تشكرونها ولا شكر ولا حمد إلا بمزاولة النعم وتقبلها وفهمها فان نظرتكم فوقكم رأيتم الطيارات مخلقات من فوق رؤسكم وإن نظرتكم تحتكم ألقىتم صناعات الأمم الذين من قبلكم ولم تبلغوا معشار عزمهم وإن نظرتكم في الأمم التي معكم في أرضكم هذه ألقىتموهم سبقوكم في الصناعات أجيالا وأجيالا .

أما أن المسلمين أن يعملوا صناعات الأمم ويدرسوها «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله وللؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبشكم بما كنتم تعملون » انتهى صباح يوم الأحد ٢٠ يناير سنة ١٩٢٩

(جوهرتان : في آية « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء » الخ)

(الجوهرة الأولى) في صور الأصباغ والزينة والجمال في المصنوعات الإلهية تفسير للآية .

(الجوهرة الثانية) فيها جاء في علم الألوان حديثنا ونحوه .

﴿ الجوهرة الأولى: في صور الأصباغ والزينة والجمال في المنوعات ﴾

وذلك إما في النبات . وإما في الحيوان . أما الذي في النبات فاقراء في سور كثيرة أقربها ماجاء في سورة السجدة من صور النباتات العجيبة: وأزيد الآن ماجاء في المجلات المشهورة (كالصور) و (الجديد) و (كل شيء) وهكذا وهناك نص ماجاء فيها :

أشجار غريبة

يرى القارىء في الأشكال الاربعة الآتية (شكل ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦) مجموعة من الصور عن أشجار العجيبة وهي وإن كانت أقل بكثير مما تصوره رواة القصص الخيالية فهي على كل حال غير مألوفا لدى القارىء للتواضع الذي لا يجمع به الخيال إلى مثل ذلك (انظر شكل ٢٣) .



(شكل ٢٤ - شجرة عجيبة في حديقة سونوما) بشمال كاليفورنيا وهي من أضخم الأشجار في العالم وأكبرها حجما . يبلغ طولها عشرين مترا ، وقد أحيطت بسياج عتشد خلفه السائحون لمشاهدة هذه الشجرة الهائلة)



(شكل ٢٣ - رسم شجرة ذات جدائل) شجرة جديدة من نوع (بوشوا) الياباني في جنوب كاليفورنيا فروعها عديدة ملتفة كأنها الجداول المضمرة) .



(شكل ٢٦ - شجرة الفيل)

(رسم شجرة عجيبة في المدينة الوطنية في دنفر بالولايات المتحدة وكأنها رأس فيل رفع خرطومها)



(شكل ٢٥ - ناطحة السحاب رسم شجرة)

هائلة من ناطحات السحاب (إذا جاز لنا أن نستعير هذا الوصف للأشجار) في برمن بألمانيا ويزيد ارتفاعها عن ٢٥ مترًا وعمرها تسعون سنة)

الجوهرة الثانية فيما جاء في علم الحيوان حديثا

وأما الذي في علم الحيوان فقد ملئ به هذا التفسير ، وأزيد الآن عليه (أولا) صوراً بهجة في حيوانات تطير من ذوات الأربع . وثانياً صوراً لأنواع ريش الطيور غريبة بديعة . وثالثاً صوراً لأنواع عجيبة من حيوان البحار . ورابعاً عجائب العلاقة الزوجية بين الطيور .

أولاً : (الحيوانات التي تطير من ذوات الأربع)

يوجد الآن في الكرة الأرضية أكثر من نصف مليون نوع من الحيوانات المختلفة ولكل حيوان منها طريقته الخاصة في إيجاد ما يأكله والفرار من عدوه حتى لا يفترسه ويوجد مصدر للغذاء في العالم لم تطرفه الحيوانات . ولا وسيلة للحصول عليه لم تجربها . وكذلك لم تدع الحيوانات أية طريقة من طرق الخداع للاقتراس أو النجاة بالحياة وكلها في نضال مستمر وعداء لانهاية له . يأكل كبيرها الصغير وقويها الضعيف ومخاطها الساذج . فهي من أجل القوت في حرب عوان وخذع دائمة . فالحيوان الواحد في وقت واحد طالب ومطلوب . فاذا كان يجيد الهجوم على فريسته فلا بد له من أن يجيد طرق الفرار من أعدائه الكثيرة .

ومن وسائل النجاة التي منحها الله لبعض أنواع الحيوان الطيران في الهواء فيستطيع الحيوان الذي يطير أن يتخلص من عدوه الذي لا يستطيع الطيران . وتنقسم الحيوانات التي تطير على وجه العموم إلى (قسمين : أولهما) الحيوانات التي تطير بمخفقان الأجنحة إلى أعلى وأسفل بقوة عضلية ميكانيكية مثل الحشرات والطيور والوطايط (وثانيهما) الحيوانات التي يكون طيرانها مثل قفزات كبيرة تخفاف في الطول حسب القوة الدافعة وحسب حجم أجنحتها العشائية أو الجلدية مثل أنواع السمك الطيار والسحالي الطائرة والسحاب الطائر .

يريد علماء التاريخ الطبيعي إذا قالوا الحيوانات الفقرية ذوات الأربع الحيوانات التي لها سلسلة فقرية سوى الأسماك وتسير على أربعة أعضاء بمثابة اليدين والرجلين في الإنسان ويكون كل اثنين منها متشابهين تماما في التركيب والشكل . وتعرف هذه الحيوانات بأنها أرضية أي إنها تنتقل على وجه الأرض بتحرك هذه الأعضاء الأربعة وقد صار بعض هذه الحيوانات بحريا مثل الحيوانات البحرية الزاحفة والحيتان وانقرضت أعضاؤها وصارت زعانف طويلة تستعمل للتجديف في الماء . واستطاع جانب من الحيوانات ذوات الأربع أن ينال قوة الطيران في الهواء مثل الطيور والوطاويط فتغيرت فيها الأعضاء الأمامية وصارت أجنحة تخفق بها في الهواء . وانه لمن اللغيد أن تقارن بين عظام جناح الطائر وجناح الوطاويط وزعنفة الحوت وذراع الإنسان ل ترى تقارب الشبه في تركيبها وكيف تحولت عن أشكالها الأصلية لتقوم بالوظائف التي تؤديها في الحياة حسب عاداتها المختلفة . ففي المنطقة الحارة في آسيا نحو عشرين نوعا من السحالي الطائرة . ويرى في السحلية منها على جانبي الجسم غشاء رقيق يتصل بالأضلاع بطوى ويفتح مثل الشمسية . وإن من يتأمل حياة هذه السحالي يجد أن هذا التركيب الغريب نشأ عندها من النظام المعتاد في حياتها . فإن هذه الحيوانات تعيش في الأشجار وتسير بكل سرعة فوق الفروع باحثا عما تقتات به من الحشرات وتكون لأجنحتها في أثناء ذلك مطوية . فإذا أرادت السحلية الانتقال من فرع إلى فرع أو من شجرة إلى شجرة نشرت جناحها للطويين ووثبت في الهواء دون أن تخشى السقوط . وأما الحيوانات الثديية التي تطير أو تقفز في الهواء فللواحد منها قطنتان كبيرتان من الجلد على جانبي الجسم تعرفان بالجناحين القشائين أو بأسفل الصدر كما في بعض أنواع الفالنجير وهو حيوان من نوع (الكابجوارو) وأصغر نوع منه القار . ويمكن الفالنجير أن يعيش على الدوام فوق الأشجار بدون أن يضطر إلى النزول إلى الأرض فيثبت في الهواء ناشرا غشائه لينتقل من غصن إلى غصن ومن شجرة إلى أخرى، وهناك أنواع كبيرة من الفالنجير تشبه السنجاب ويستطيع الواحد منها أن يمرق بغشائه في الهواء مجتازا فوق نهر عرضه ٤٠ ياردة .

وأما السنجاب الطائر فليس من أنواع الفالنجير ولكنه من فصيلة الحيوانات القارضة وهو يعيش كذلك فوق الأشجار ويمرقت في الهواء بغشائه الجلدي نحو خمسين ياردة ، وفي الهند نوع من السنجاب الطائر يمرقت في الهواء ثمانين ياردة . وفي بلاد اللابو حيوان اسمه (الكوبجو) وهو لا يتصل بأي نوع من أنواع الحيوانات : ويرى بعض العلماء أنه يقرب من فصيلة الوطاويط ، ويقرب حجمه من حجم القط ولكن أرجله صغيرة دقيقة وينتهي بمخالب معقوفة ، وغشاؤه الجلدي يمرقت به في الهواء يغطي جميع جسمه ويتدلى من جميع نواحيه وهو يعيش كالأنواع السابقة في الأشجار ويمكنه أن يمرقت في الهواء مسافة قدرها سبعون ياردة ، وفي جزائر الفيليبين نوع صغير من هذا الحيوان ويعرف القراء كيف تطير الوطاويط بأجنحتها الجلدية الخالية من الريش، وإن من يتأمل جناح الوطاويط يجد مكوونا من غشاء رقيق يتصل بالساق وتخلله عظام هي أصابع العضو الأمامي . ويوجد أنواع كبيرة من الوطاويط تعرف بوطاويط الفواكه . وبلغ طول أجنحة بعضها خمسة أقدام وتسمى وطاويط الفواكه في الهند واللابو واسترالياا بالتعاليب الطائرة لأن لها آذانا صغيرة ووجوها كوجوه التعاليب . وهي تمام انتهى (انظر شكل ٢٧ ر ٢٨ ر ٢٩) . في الصحيفة التالية



(شكل ٢٨ - الوطاويط أثناء نومها
وهي تحمل صغارها)



(شكل ٢٩ - وطواط طول جناحيه خمسة أقدام
ويسمى بالعلب الطائر)



(شكل ٢٧)

ثانيا : (ريش الطيور البديع)

جاء في مجلة كل شيء مانصه :

بعض الطيور زاهي اللون متناسق
الريش تتأوج الالوان وتترقرق الأصابع
المختلفة عليه حتى لقد فنن الانسان بجمالها
وصار يصيد الطير لكي يحصل على ريشه

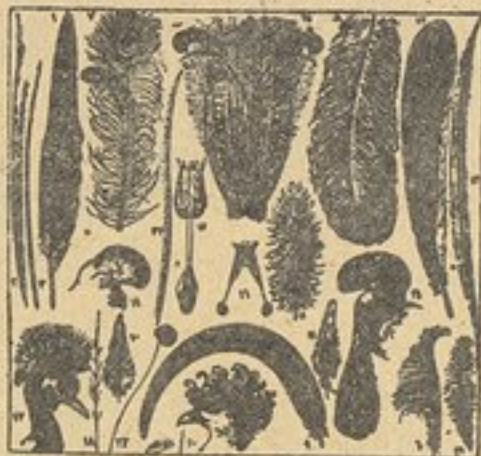
ويتزين به . والأوروبيات مولعات بريش الطيور يضعنه في قبعاتهن حتى صار جلب الريش تجارة
واسعة النطاق يشغل فيها الصيادون من مختلف البلدان ، وكان أكبر ضحايا هذا الصيد أنواع
(أبي قردان) المختلفة فقد كاد الصيادون لإلحاقهم على صيدها يبيدونها لولا أن تدخلت الحكومات ووضعت
الشرع المختلفة لحمايتها بعض الشيء .

وذكور الطير هي التي تزين بالريش الباهر الزاهي ، أما الإناث فتبقى عادة في سذاجتها وهذا ظاهر في الدجاج
فإن الديك يتزين ذون الأنثى وهو وقت مغازلة الأنثى يزيغ ويتطوس كأنه يشعر بجمال ريشه أو كأنه يدرك
أو يتوهم أن الأنثى تعجب به وهذا هو الشأن في معظم الطيور وخاصة تلك التي تفتت بالأثمار . أما جوارح
الطير كالمقاب والصقر فلا يزهو لونها لأن زهوتها تم عليها فتدل فريستها فتحذرهما . وقل مثل ذلك في أنثى
الطيور جميعها فإنها ساذجة لازينة لها . لأنها لاحتياجها إلى الحضانة تختص أن ترى وهي تحضن بيضها فيهم

عليها خصمها ويقاتلها أو يأكل بعضها فمن مصلحتها ودواعي بقائها أن تختبئ، لا أن تظهر. ولكن الذكر ليس في حاجة إلى ذلك (انظر شكل ٣٠) .



(شكل ٣١)



(شكل ٣٠ - رسم ريش الطيور البديع)

ففي (١) قنديل يشبه المظلة ، وفي
 (٢) سمكة تسمى البالون لأنها وقت
 الغضب تنفخ نفسها فيكبر حجمها وفي
 (٣) سمكة تغد من أشرس الأسماك
 وأقدرها على القتال ، وفي (٤) و (٦)
 سمكتان تعيشان في أعماق مكان في البحر وفي
 كل منهما أعضاء منيرة . وفي (٥) سمكة
 تسمى الحروف ، وفي (٧) سمكة القنفذ وفي
 (٨) و (٩) و (١٠) نباتات بحرية ، وفي
 (١٢) بيض سمكة تدعى اللولبية .
 وفي (١١) حيوان من الشائكة . وفي
 (١٣) سرطان . وفي (١٤) مرجان .
 وفي (١٥) نجمة البحر . وفي (١٦) و (١٧)
 و (١٨) حيوانات أخرى من الأنواع الدنيا .

الريش عند مختلف الطيور :
 (١) العقاب (٢) الكاسوار
 (٣) نوع آخر من الكاسوار
 (٤) النعامة (٥) اللقلق الهندي
 (٦) أبو قردان (٧) الطاووس
 (٨) الطاووس أيضا (٩) و (١٠) و (١١)
 من ريش البديعة (١٢) الارغوس
 (١٣) عصفور الجنة (١٤) طائر القيشارة
 (١٥) اللوموت (١٦) العصفور الطنان
 (١٧) نوع من أبي قردان
 (١٨) و (١٩) و (٢٠) و (٢١) ريش آخر
 من أبي قردان أيضا في بلدان مختلفة
 (٢٢) الاثريدفور (٢٣) اللانوكود
 (٢٤) الكيفالوبتير .

ثالثا : (حيوانات قاع البحار)

في قعر البحر أو المحيط حيث يبلغ ارتفاع الماء الذي فوقه نحو ميل أو أكثر تعيش أنواع من الحيوان عجيبة فان أجسامها مؤلفة بحيث تتحمل ضغط الماء الشديد لأنها تعيش وكأنها تحمل مدى حياتها عمودا من الماء ارتفاعه ميل : ولحمها لذلك لا نستطيع أكله لأنه جاس لا يمضغ ، ثم هي لأنها تعيش في ظلام دامس كثيرا ما تستغنى عن عيونها ولها بدلا منها حساسات تشبه حساسات القبط تلمس بها الأشياء فتعرف القريسة وتميز العدو ، وأحيانا يكون لها ضوء يشع ، فإذا كان لها عيان رأتها واهتدت به ، ويرى القارىء في شكل ٣١ طائفة من هذه الحيوانات (انظر شكل ٣١) .

رابعا : (العلاقة الزوجية بين الطيور)

جاء في مجلة مصر الحديثة ما يأتي :

ذكر الدكتور (ولفردود-سجود) ناظر علم أنواع الحيوان (زولوحي) أن الطائر الكبير الجميل المعروف باسم (النساف أبي القرن) يحفظ العلاقة الزوجية حفظا يمتاز به على أمثاله من الأطيوار . وهذه العادة الجميلة معروضة للفرجة في متحف التاريخ الطبيعي بواسطة الأوكار التي يعبأ هذا الطير بينها ، يعيش هذا الطائر في (جزر سومطره) و (بورنيو) وفي شبه جزيرة ملقا في المحيط الهندي : ومثى اختار أتاه ذهب بها إلى شجرة مجوفة واتخذها مقرا لأتاه حيث تبيض وتنقف فراخها وتربها هناك وللحال تسرع الأنثى في بناء جدران للدخل في جوف الشجرة بالطين وبمواد أخرى . يساعدها الذكر في ذلك وهو يظل خارجا ويتردد إلى أتاه من وقت إلى آخر . يحمل إليها ما تحتاج اليه من الغذاء . فتظل الأنثى سجيبة الشجرة مدة البيض والحضانة وتربية الفراخ إلى أن تطير ولكن الذكر يحفظ عهد الأمانة لها فلا يتركها ولا يهملها بل يحمم حاجاتها . وهذه العادة الراسخة التي يتصف بها النساف تؤدي إلى سلامة الفراخ ووقايتها من السنجاب الذي هو أعظم خطر يهددها ، ومن القروود التي تكثر في غابات المناطق الحارة . وهكذا ترى في الحيوان من الوفاء والحرص على ذويه مالا نراه في كثير من بني الانسان (انظر شكل ٣٢)



(شكل ٣٢ - ذكر النساف خارج باب العش ومنقار أتاه محتمد من الداخل يتناول منه الطعام)

جمال العلم وبهجة الحكمة

رب إن الهدى هداك وآياتك نور تهدي بها من تشاء . ها هي ذه الآيات اللاتي أوجبت النظر في الأبيض والأحمر والأسود واختلاف الأوصاف والأحوال . ولما اطلع على هذا ذلك العالم الذي اعتاد أن يناقش في هذا التفسير قال : هنا أمران جديران بالذكر . أمر نباتي وأمر حيواني . أما الأمر النباتي فهو الدرة التي أسكن أن يستخرج القوم من عيدانه وورقه ورقا للكتابة . وأما الأمر الثاني فهو الجراد الذي غم البلاد المصرية في هذه الأيام والسورية والحجازية والنجدية والسودانية وكلاهما داخل في الآية لأن الآية تشمل الحيوان والنبات . فقلت له أما كون ورق الكتابة يستخرج من حطب الدرة فقد تقدم في هذه السورة في قوله تعالى « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها » فهذا من الرحات التي أطلقها الله للناس فلم يمكها أحد . فماذا تريد بعد ذلك ؟ قال : أنا أريد أن تميظ اللثام عن ثمرات هذا الخير للأمم الإسلامية بأن تجعله موضوعا اقتصاديا كما هو شأنك في هذا التفسير إذ تراك تنهز القرص في صغيرات الأوراق وكبيراتها فتتخذ منها سلاحا لقتل الجهل وإحياء العلم . ولحككتك لما كتبتها فيما تقدم رأيتك لم تعاق عليها شيئا ولم تحث للسلمين على اقتفاء آثار الغاملين النافعين لأنهم . فقلت لقد أضرت في قلبي بهذا السؤال نار الحسرة وأثرت في نفسي نائلة الحزن والأسى على أمم مزقت كل ممزق كانت سراجا للعالم مضيا وشمسا مشرقة فأقبل ليلها وأدبر نهارها وأصبحت في حلك الظلام . ذكرته بماقاله العلامة (سديو) المؤرخ الفرنسي في (صحيفة ٢٦٨) في النسخة المترجمة وهذا نصه (وقد استعمل العرب بيت الإبرة من ابتداء القرن الحادي عشر في سفر البحر والبر ومحارِب الصلاة وصنع الورق من الحرير سنة ٦٥٠ ميلادية في ممرقند وبخارى ثم استبدل يوسف بن عمرو سنة ٧٠٦ ميلادية القطن بالحرير فصار القطن يستخرج منه الورق للسمى (الورق الدمشقي) الذي ذكره المؤرخون ، وأنتهى في أسبانيا معامل من الأقمشة البالية وسابق أهل ولطبية وقسطالونية في هذه الصناعة أهل كز طيوه واستعمل ورق العرب في القرن الثالث عشر بقسطالونية التي شاع منها استعماله في فرنسا وإيطاليا وانكلترا وألمانيا ، ولكن ورق الكتب العربية للكتابة بخط اليد يفوق ورق الفرنج لطافة ولعانا كما فاقه بما كان العرب تختاره من تزويقها بألوان والأحبار والأزهار . وما أسلفناه هو كيفية ظهور تحمك العرب في جميع فروع تمدن أوروبا الحديث ومنه يعلم أنه من القرن التاسع إلى القرن الخامس عشر كان عند العرب أوسع ماصح به الدهر من الأدبيات وأن نتائج أفكارهم الغزيرة واخترانهم النفسية تشهد أنهم أساتنة أهل أوروبا في جميع الأشياء كالمواد المختصة بتاريخ القرون للتوسطة وأخبار السياحات والأسفار وقواميس سير الرجال المشهورين والصناعات العديدة المثال والأبنية الدالة على عظمة أفكارهم واستكشافاتهم للهمة ولهذا كله وجب الاعتراف برفعة شأن هذه الأمة المحمدية « الخ :

وقد قال قبل ذلك بأسطر : [إن اختراع العرب الورق وبيت الإبرة وبارود المدافع قد غير الحالة الأدبية والسياسية والعسكرية في جميع الدنيا] وقال : [ولا عبرة بما زعمه بعض الفرنج من أنه سلب من العرب شرف ذلك الاختراع ونسبه للصين مدعى أنهم عرفوا ذلك منذ زمان قديم وأبطل ذلك بأن الطباعة لو كانت معروفة عند أهل الصين لنقلها عنهم العرب فأما بيت الإبرة فليس من المقول أنهم عرفوه وهم لم يزالوا إلى سنة ١٨٥٠ ميلادية يعتقدون أن القطب الجنوبي من الكرة الأرضية سمير تلتظي [ومعلوم أن

الإبرة تتجه للقطين [وهل عرفوا استعمال البارود استعمالا مختلف الأفانين الذي بقي أثره عند العرب للشهود لهم باستعماله أصنافا من القتل في حصارهم مكثسة ٦٩٠ ميلادية وباستعمالهم في مصر في القرن الثالث عشر البارود للتخذ من ملح السبخات ليرمي به نحو قتل ذات صوت كالرعد ، وذكر استعماله أيضا في معرض وصف البحرية التي عقدها ملك تونس مع أمير أشبيلية في القرن الحادى عشر كما استعمل في حصار جبل طارق سنة ١٣٠٨ ميلادية وحصار إسماعيل ملك غرناطة لمدينة (بائظة) سنة ١٣٢٤ وحصار طرغمة (سنة ١٣٤٠) وحصار مدينة الجزيرة سنة ١٣٤٢ وحكى المؤرخ (فراراس) أن الرصاص رمى بالبارود في تلك الحصارات فابتدأ نصارى أسبانيا من ذلك الوقت باستعماله [٥١ .

هذه بعض ذكريات للماضى أيها اللدكي التي أثرت أنت ثأرتها في قلبي . ماذا أقول وقد عم الجهل وطم ولم يستيقظ كثير من المسلمين للجهالة الفاشية ولم تطلع الأجيال المتأخرة على أمثال هذه الأقوال التي يذكرها الفرنجة ، نعم قد حكم الترك أبناء العرب وتسمى ملوكهم بأسماء خلفاء الإسلام فتمنوا العلم منعا باننا فأظلم ليل المسلمين لاسيا العرب قرونا وهذا زمان العز والعلم .

ها أنا ذا ذكرت لك الورق وأنهم أخذوه عن الصين ولم يكن له أصل إلا الحرير فاخترع للمسلمون في زمن الصحابة والتابعين أى في العصر الأول أن يكون من القطن وارتقت الصناعة حتى صار من الحرق البالية في أسبانيا ، ثم صارت أوروبا كلها تعلم منهم ولم يصلوا بشهادة المؤرخ الفرنسى لحسن الورق العربى الجميل وها هوذا يقول : [إن أوروبا عالة على الأمم الإسلامية العربية في صنع البارود وبيت الإبرة والورق وبهذه الصناعات قلبت سياسة الأمم وأدائها وعسكرتها] .

إن الذى أذل الأمم الإسلامية عموما والعربية خصوصا أمران أولهما سبب لثانتهما : (الأمر الأول) الجهل (الثانى) التفرق : جهلاء متفرقون ، جمعهم الدين والعلم وقد نسوها فنسيهم الله فنفروا ولكن الله عز وجل يريد اليوم جمعهم بعد التفرق وهذا التفسير من مقدمات النهضة الإسلامية ومتى وصل علم هذا الكتاب وما فيه إلى آذان أمراء العرب وملوكهم وبقية أمراء الإسلام وملوكهم دهشوا ويقولون في أنفسهم لم يكن ليخطر ببال علماء الدين أن القرن الأول النبوى يحتوى على عجائب مثل اختراع صنع الورق من القطن بدل الحرير . أكثر المسلمين يظنون أن العصور الثلاثة الأولى ليس فيها إلا الحديث والفقه وقد ظهر كذب هذا الرأى وأن الورق والبارود قد استعمالا في أوائل تلك القرون الثلاثة وهذا مع بيت الإبرة سبب للترقى الحاضر في فروع الحياة ، ويقول ساسة المسلمين حين يقفون على هذا [إذن نحن لسنا على نهج الصحابة رضوان الله عليهم لأننا حصرنا عقولنا في صغائر الأمور ونسينا ما تمكنه عقولنا من الآراء السديدة والحزم الشديد والحكمة والاختراع] فلماذا لانفكر فيما لدينا من الزرع والشجر وكيف يكون القوم قد اتخذوا من حطب الذرة ورقا أواه لقد فعلوا ما فعل أجدادنا أيام النبوة . أجدادنا استغنوا عن الحرير الذى عرفوا من الصين أنه منه يصنع الورق بالقطن . وهؤلاء الفرنجة قالوا بل نحن نستخرج الورق من الحشب بدل القطن الذى عرفناه من المسلمين بل نستخرجه أيضا من حطب الذرة . حطب الذرة الذى لا قيمة له أصبحت له قيمة شريفة إذا صار ورقا . إذن في حقولنا من الثروة مالا حصر له . حطب متروك منبوذ جعل ورقا وعيدان مبتذلة صارت ورقا . وكم في الأرض وكم في الزرع من منافع جهلناها فلنقدم على العلم ثم العمل ولنفكر هذه هي التي يقولها أشرف المسلمين حين يقرءون هذا القول ويقولون أنهم مقصرون وأن تقصير أنهم إنما جاءهم من الجهل والجهل هو آفة الإنسانية الآن . انتهى الكلام على الأمر الأول .

(الأمر الثاني وهو الجراد)

قال صاحبى فأفض القول فى الأمر الثانى وهو الجراد فقلت له : أما الجراد فإنى لم أطلع على أحواله كما اطلمت على الكلام فى حطب القدرة . فإذا سمعت منك فيه قولاً أمكننى إذن أن أوجه الخطاب لأمم الإسلام ذاكراً مايناسب المقام . فقال :

(غارة الجراد الكبرى على مصر فى شهر إبريل سنة ١٩٣٠)

جاء فى مجلة « الدنيا للصورة » فى ١٣ إبريل سنة ١٩٣٠ مايتأتى :

(غزوات الجراد فى مراكش . انظر شكل ٣٣)

انقضت جيوش الجراد فدمت المزروعات والحقول فى ممالك حمة . فهى فى مصر والأفغان وبلوختان والعراق وسورية والحجاز واليمن والسودان والحبش وإثمال إفريقيا . وقد خرج الفلاحون من مراكش يلتقطون الجراد ويجمعونه فى أكياس . وقد خرجوا أيضاً مرة أخرى فى وقت الفجر تحت إرشاد شيوخ القرية لمسكافة الجراد . ثم جاء ماملخصه أن الجراد أنواع ونوع منه يسمى الجراد الراحل هو الذى يهجم على مصر وهو يؤكل فى الهند مقولوا بالزيت وبأكله العرب فى بلادهم وفى السودان يحفظونه ويحمصونه ويحفظونه فىكون طعاما ويستفدون أنه يشفى بعض الأمراض . ويقال إنه ينشأ فى السودان والحبشة وبلاد العرب ونجد فيتناسل ويفقس ثم يرحل وفى رحلته يسير (٦٠) كيلو متراً فى الساعة وله مواعيد محددة . فجراد السودان الذى يهجم على مصر يأتى لها فى مارس ويرحل بعد أن يكون طاف ببلاد العرب وله بين كل عشر سنوات وخمس عشرة سنة غارة كبيرة رهيبه وآخروغاراته سنة ١٨٩٠ سنة ١٩٠٥ سنة ١٩١٥ ثم هذه السنة ١٩٣٠ م وقد جمع أهل مصر سنة ١٩١٥ م نحو (١٣) مليوناً كيلو جراماً من الجراد ونصف مليون ومن بيضه (٤٢٤) كيلو جراماً من البيض وهو ٢٧ ألف مليون بيضة ونصف مليون والأنثى تضع بيضها بأن تمدد بطنها وتحنى طرفه كأنها زاوية قائمة مع الأجنحة وتحف حفرة تفرز فيها بطنها (انظر شكل ٣٤) وتضع البيض كتلاكل كتلة أشبه بحنقود كل حنقود يسكون ما بين (٨٠) و (١٢٠) بيضة . وقد تسكون كتلتها (٥) أو (٦) ثم تسد الحفرة وتفرز عليها مادة بيضاء كرزال البيض فتتجمد وتسد الثقب وذلك تحفظ الفقس من الحشرات وغيرها وطول البيضة (٨ ر ٨) مليمترًا وعرضها (٨ ر ٨) مليمترًا وطول الكتلة (٤) سنتيمترًا . والدكر ينهش الأنثى بهم وضعها فيكسر رأسها فيعض عليها . وبعد مدة من (٣) إلى (٦) أسابيع يفقس ويخرج الجراد الصغير المائل للخضرة ثم يسود بعد ساعات قليلة ويغير جلده خمس مرات كالأفاعى وفى كل مرة تخرج بحجم أكبر ثم تظهر الأجنحة وتكمل فى مدة بين (٤٠) و (١٠٠) يوم فيكون أحمر اللون شديد الخطر ومتى بلغ قل خطره ويهتم إذن بالتناسل . فخطره وهو أحمر اللون شديد فاذا كبر كان خطره فى النسل . وقد هجم الجراد على مصر هذه السنة (١٩٣٠ م) من جهة السودان أولاً ثم من جهة (طورسينا) ثانياً . وقد أرسلت بلادنا المصرية بعثة لتعرف مصدر الجراد فرأت تلك البعثة أنه ينشأ فى جبل مليه (بتشديد الياء) وفى وديانه فى السودان . وقد عرفت أن هذا الجبل ووديانه هى أمتع حصون الجراد وهو أعظم منطقة للجراد وتناسله (شكل ٣٣) و (شكل ٣٤ فى الصحيفة التالية) .



(شكل ٣٤ - الجرادة تضع البيض)



(شكل ٣٣ - الجرادة)

فلما فرغ من كلامه قلت له : فماذا أقول لك ؟ إن هذه بما احتوته هذه الآية فان فيها الأحمر والأخضر والأصفر . فقال أريد أوضح من ذلك . قلت هي تدخل في قوله تعالى «ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألوانكم وألوانكم» فقال : العموم هنا لا يكفي . قلت : أليست من آيات الله تعالى فقال : أنا أريد ماهو أوضح . قلت : هي آيات مفصلات . فقال : مفصلات ! الآيات المفصلات هي آيات القرآن قلت وآيات الأكوان . ألم يقل الله تعالى «وكل شيء فصلناه تفصيلا» . فقال ولكن جعلك الجرادة وحده آية مفصلة يعوزه دليل خاص . فأولا اذكر الدليل الخاص على أنه آية مفصلة . وثانيا كيف كان آية مفصلة وما برهانه وما نتائجها التي ستظهر في بلاد الاسلام بسبب هذا التفسير . قلت : أما كون الجرادة آية مفصلة فهو ما قاله الله تعالى «فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات» فالجهال يسمعون هذه الآيات وتمر عليهم وهم لا يعقلون . وأما حكماء هذه الأمة الذين سيأتون بعدنا فانهم يعلمون أن التفصيل سيظهره العلم الذي يلهمه الله لقلوب واعية إسلامية في مستقبل الزمان . فان حكماء هذه الأمة إذا تدبروا أحوال الجرادة الذي يصيب البلاد العربية خصوصا والإسلامية عموما يفهمون أن هذه آيات العلوم .

(١) أولا للأحوال الاقتصادية .

(٢) وثانيا للأحوال السياسية .

(٣) وثالثا للإصلاحات الدينية .

(٤) ورابعا لمروج النفوس الإنسانية إلى عالم القدس والجمال والفرح بالحكمة والبهاء والصفاء .

فقال لقد شرحت صدرى بهذا التفسير قبل أن تفصل تلك الآيات فان هذه العنوانات العظيمة لتدلى على علم وحكمة تؤخذ من هجوم الجرادة على مصر في الأزمان القديمة والحديثة ، فاشرح لي الأمر الأول وهو الأحوال الاقتصادية . قلت لقد خلق الله هذا الإنسان في الأرض ورباه وعلمه السياسة والاقتصاد ولكنه إلى الآن لازال طفلا صغيرا وهذا الطفل تصيبه الكوارث والنوازل والمواقظ فهو يرتقي قليلا قليلا ولكنه بطيء النمو ، هذا الجرادة أرسله الله على أهل مصر بلادي في قصة موسى وفرعون ليكون زجرا لفرعون إذ أذاق بني إسرائيل عذاب الهون ، ولكن ليس القرآن لأجل بني إسرائيل وحدهم ولا لموسى وإنما هو لنا فإله يقول لنا : [هذا الجرادة أرسلته عقابا للناس على سوء فعلهم] فلنبحث عن سوء أفعالنا فإننا نجد في أمر واحد وهو الجهل ، وعلينا نحن المسلمين اليوم أن نستيقظ ونفهم أن الله عز وجل هو الذي خلق الثبات

وحلق الحيوان . ومن الحيوان الجراد ، وأعظم حصن للجراد جبل علي (بتشديد الباء) في السودان والوديان التي بجانبه . ففي هذا الجبل خلق الله الجراد ومنه يصدر إلى البلاد الاسلامية كما تقدم . فليبحث إذن في هذه . أهي نعمة أم نعمة ؟ إن الله يقول : « فأرسلنا عليهم الطوفان » فهو بدأ بالطوفان ونى بالجراد فأى طوفان في مصر ؟ هو طوفان النيل . فكلما طفى النيل على مزارعنا في مصر أخذنا له جسورا وقناطر لحفظناه فانتفعنا به . إذن الطوفان الذي هو آية مفصلة أرسلها الله على أهل مصر قد عرفنا حقيقة أمره والانتفاع به فأصبحت بلادنا اليوم عامرة يسكنها (١٤) مليونا بعد أن كانت نحو مليونين منذ قرن . ذلك بأننا فهمنا هذه الآية وهي طوفان النيل لحفظناه وانتفعنا بمائه فصار نعمة بعد أن كان نعمة . هذا هو تفصيل آية الطوفان فليتبسح الكلام على الطوفان بالكلام على الجراد وهو الآية الثانية المفصلة فنقول :

كما أن النيل يهلك الحرث والنسل إذا ترك وشأنه وينفع الناس إذا حوفظ عليه . هكذا يكون أمر الجراد . الجراد أهمه يخرج من (جبال علي) في السودان كما يخرج النيل . والنيل قد انتفعنا به . أفلا نفعل هكذا في الجراد ، إن الله يقول هو آية مفصلة ، أما تفصيلها لقرعون وآله فأمره ظاهر . وأما تفصيله لنا فإنه يحتاج إلى حكمة وعلم فأقول :

كما أن الماء يحفظه يخرج الزرع ويدبر الضرع هكذا الجراد فيه منافع عظيمة إذا عرفنا قيمته فما هو ذا إحصاءه سنة ١٩١٥ ميلادية ببلاد مصر . فهو كان نحو (١٣) مليونا كيلوجراما من نفس الجراد و (٤٢٤) كيلوجراما من البيض . ولما شاع أمر الجراد في مصر سنة ١٩٣٠ في أثناء طبع هذا التفسير كتبت للحكومة المصرية في جريدة الأهرام قائلا : أيتها الحكومة ، لقد قرأت قريبا أن الجراد في بعض الممالك قد أخذته شركة أوروبية وعصرته واتخذت منه زيتا وهذا الزيت كان خيرا من كل زيت في الطيارات أقول وكان الله عز وجل لم يطلع من قبلنا على ذلك الزيت لأنهم لم يستأهلوا لتلك النعمة ، أما نحن اليوم فأهل لها ثم قلت وما بقي من جسم الجراد بعد العصر جعلوه علفا للبهائم .

هذا ما كتبت للحكومة المصرية . ثم لم تمض أيام على هذه الكتابة حتى جاء من بلاد البلجيك نبأ رسمي في خطاب للحكومة المصرية يقال فيه (إلى أين تصدري الجراد ، وإلى أين تصدري بيض الجراد ؟) وهذا الخطاب يراد منه أن تلك الشركة تريد أن تقوم بشراء ذلك الجراد وذلك البيض لتصنع ما صنع بالجراد الذي قرأت عنه في بلاد جنوب أفريقيا . وقد أدرجته في هذا التفسير سابقا وكتبت به الحكومة المصرية كألقت آثما كل هذا حصل في هذه الأيام وحكومتنا المصرية لم تحرك ساكنا . والسبب في ذلك سئس البرلمان والحكومة مشغولان بماهدة الإنجليز وبالاستقلال والأمور السياسية ، ولو أنهم كانوا في حال أحسن من هذه لقال قائلم إن أجسام الجراد البالغة (١٣) مليونا من الكيلوجرامات لو أننا عصرناها زيتا للطيارات واستخرجنا منها (٦) مليونات من الكيلوجرامات زيتا ، فماذا يكون نحن ذلك كله ؟ فلو أن الكيلو الواحد بقرش واحد لكان عندنا (٦) ملايين قرش وهي (٦٠٠.٠٠٠) جنيه ، وليس من المقبول أن يكون هذا الثمن حقيقيا بدل الصاريف بل يكون أضعافا مضاعفة . فإذا أضفنا إليه ما بقي من جثث الجراد وهو (٧) ملايين فإنه لا ينقص عن نصف قيمة الزيت المذكور لأنه يكون علفا للبهائم يعني عن الفول والبرسيم بل هو أجل وأحسن . إذن الجراد في ظاهره نعمة وفي حقيقته نعمة . فالحكومة المصرية التي صرفت مائة ألف جنيه لإحراق الجراد ومطاردته وإتلافه لو أنها عصرته زيتا وجعلت جثثه علفا لأخذت من ذلك أضعاف ما صرفته .

فأنا أذكر هذا إيقاظا للسليين بدنا أن يفكروا في هذا ويبحثوا حقيقة ما قرأت أنا في الجرائد ، هل عصره زيت للطيارات وهو خير لها من كل زيت ، وهل الجثث الباقي بعد العصر خير علف للبهائم ، فليبحثوا

وليفسكروا ولجملوا هذا في مثل مصر من كل أمة لم تتعدأ كل الجراد ، أما الأمم التي تأكله كبلاد العرب فالأمر فيه ظاهر ، هو نعمة حقا وصدقا ، نعمة ساقها الله لهم وهي ظاهرة واضحة ، فالتاس يدفهم حب حفظ الحياة إلى الأمان على المقاومة كما يتحدون على حفظ جسور النيل ، وهذا الأمان يقوى عاطفة الموادة بين الناس ويلهب الشعور العام بين الناس في الوطن الواحد وفي الأوطان للتجاورات . هذه هي الآية الأولى من آياته للفصلات وهي الاقتصادية .

(الآية الثانية من آيات الجراد، وهي آية الأحوال السياسية)

اعلم أن أبناء العرب في مراکش والجزائر وتونس وطرابلس ومصر والشام والعراق وللوصل وهكذا في الصحراء الكبرى والسودان . كل هؤلاء يملفون عشرات الملايين . فهذه أمة واحدة أصبحت أما متفرقة لاراعى لها ولا أمير يجمعها ولا عالم يوقظها بل هم قوم مختلفون وطوائف متشاكسون ، فأنا إلى الله أشكو وإليه أضرع أن يهدى هذه الأمم إلى حال سعادتها ويهديها إلى رشدها . هذه الأمم هي أنفسها التي انتشرت في مبدأ الإسلام من أرض الحجاز ونجد واليمن ، فكانت في العراق شرقا وللوصل وامتدت إلى تخوم الصين والهند وأيضا بلاد الفرس وسمرقند وبخارى .

هذا من جهة ومن جهة أخرى توغلت في السودان وفي جنوب أوروبا فتوطنت في الأندلس ثم ذهبت إلى جنوب فرنسا في وقت ما كانت حكومتها واحدة ثم أخذت تتمزق رويدا رويدا حتى انحلت عصبيتها وتفرقت وجهتها وذلت أعقابها لأنهم جماعات جماعات لا جماعة واحدة وأمة واحدة . علم الله ذلك قبل أن يخلق السموات والأرض وأن هذه الأمة بما فيها من الفضائل النفسية والنخوة العربية والقوة الأدبية وإنكار الذات والحرص على الكرامة والشرف وحسن الذكر والإباء والشعم والكرم وما أشبه ذلك ستنتشر في الأرض الدين ، وبها تموج الأمم ويحصل لعملها آثار تظهر في جميع العالم قديمه وحديثه ، وأن الأمم ستنتج للتعليم العام في الصين واليابان وأمريكا وأستراليا . كل ذلك بما أحدثت هذه الأمة من الفتوحات في أول نهضتها وما انتشرت من صناعة الورق وبيت الإبرة والبارود كما تقدم قريبا في كلام الأستاذ (سديو الفرنسي) فأحدثت في الأرض نهجا جديدا في العسكرية والآداب والنظم .

أقول : علم الله ذلك كله فأزل في القرآن (الم) في أول سورة آل عمران تذكرة بآية « ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب » الخ التي ترجع إلى أن اليهود أيام النبوة قوم انسلخوا على مجد آبائهم وشفاعات آبائهم وناموا إذ ظلمهم الله وجعل ملكهم للعرب كما تقدم وانشأها هناك ؛ وأن (الم) للذكرة في أول السورة تشير إلى (الم) للذكرة في أول هذه القصة التي بها يتذكر أبناء العرب خصوصا وللسلمون عموما أن الاتكال على مجد الآباء وشفاعتهم بلا عمل بلاهة وجهالة ، وهذه الجهالة كما أنها انتزعت ملك اليهود منهم هكذا انتزعت ملك العرب منهم ففترقوا ، ومتى قرءوا علوم الأمم المحيطة بهم وعرفوا بالتاريخ أنهم أمة واحدة بل أهمهم من خير أمة أخرجت للناس وأنهم لا يلبق بكرامتهم ولا بشرف أصلهم ولا بحقائق دينهم ولا بفضائل الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكونوا أجهل الأمم بمنازين بالفرق والانحلال فلم يساوا أمة ما من أمم الأرض ، فالصين ذات لغة واحدة لها حكومة واحدة ، وهكذا اليابان أحدثت لغة واحدة فانتزعت سياسة ، ومثلها الانجليز والألمان والفرنسيون والإيطاليون ، فكل هؤلاء لهم لغة واحدة فكانوا أمة واحدة في السياسة . فالعجب كل العجب أن يكون أبناء العرب مثلا من أقصى السودان إلى بلاد اللوصل ومن جبل طارق إلى حضرموت والمراق لا تكون لهم حكومة واحدة مع اتحادهم دينيا ونسبا ولغة واتصالهم في البلاد . كل هذا تقدم مفصلا في سورة آل عمران .

أقول : إذا عرفوا ذلك وأدركوه في الكتب المنتشرة اليوم وفي هذا التفسير فإنهم لاجرم يسعون للاتصال فيكونون أمة واحدة كما فعلت الممالك المتحدة لكل جماعة منهم رئيسهم الذي رضوه إما من سلافة استتب ملكها عندهم وهم بها راضون ، وإما بطريق الانتخاب بهيئة رئيس منتخب وهؤلاء الرؤساء ينتخبون من بينهم رئيسا كما فعلت الممالك المتحدة تماما .

هذا هو الذي تدعو إليه آية (الم) في أول (سورة آل عمران) خزنها الله في القرآن لتظهر آثارها في زماننا عند الحاجة إليها كما خزن الفحم الحجري في الأرض وأبرزه الآن لنتفح به . هذا ولم يقتصر وعظمه الأمم على الآيات المسموعة القرآنية بل أنزل لهم آيات نظروها بحيونهم وهي آيات هذا الجراد للفصلات ، إن الجراد كما تقدم من الآيات الفصلات ، فهو آية مفصلة في الاقتصاد كما تقدم وهو آيات مفصلات في السياسة أرسله الله على هذه الأمم وهو يهاجم مثلا مصر تارة من بلاد السودان وتارة من طريق طور سيناء ، ويهاجم العراق والشام وهكذا . فهذه الآية واضحة ظاهرة مقبولة ، فإن الجراد يهجم على بلاد العرب من مراكش إلى العراق والموصل يذكر أبناء العرب مثلا ويقول لهم : (أنا الجراد . أمق أمة واحدة ، فإذا هاجمت بلادكم المرة بعد المرة والكرة بعد الكرة وأنتم تقتلونني وتخربونني وتطاردونني وتحرقون وتهلكون مئات الملايين وملايين الملايين من جنودى فهل تفرقنا شيئا ؟ وهل اختلت صفوفنا ؟ أفليست الجحافل الجراد التي هجمت على دياركم سنة ١٩١٥ هي مثل الجحافل والجيوش الجراد التي هجمت على بلادكم في سنة ١٩٣٠ وهكذا سأرجع لكم الكرة بعد الكرة تذكرة لكم بالانحد واستخجلون إذا قرأتم العلوم وتورتم إذ تقولون يا ويلتنا أعجزنا أن نكون مثل هذا الجراد فتتحد مع إخواننا ونكون مملكة واحدة كما اتحدت أمة الجراد كما قال أحد ابني آدم « يا ويلتنا أعجزت أن أكون مثل هذا القراب فأواري سواة أخى » بل إن سواة التفرق والتخاذل في البلاد العربية الإسلامية أعرق في القضيحة وأظهر في الحزى من جسم غراب وقع فوق الأرض فهذه أمم وأمم ربما تبلغ ثمانين مليوناً تفرقت شذر مذر ولم تعقل ما عقله الجراد بفرزته إذ اجتمع وكون مملكة واحدة وقد جعله الله آية يقرؤها السالمون في أمثال هذا التفسير فيرجعون مجددم ويكونون مملكة واحدة . وهذا آت بعد نشر العلوم في هذه الأقطار .

(تذكرة)

آيات الله على (قسمين) آيات مسموعة ، وآيات منظورة ، والآيات المسموعة هي الكتب السماوية . والآيات المنظورة هي هذه العوالم للشاهدة ، وللأول الإشارة بقوله تعالى « إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون » ولثاني الإشارة بقوله تعالى « ويريك آياته » فأى آيات الله تنكرون » وقوله « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء » الخ وهي الآية التي نحن بصدد الكلام عليها ؟ وقوله « ولقد أرينا آياتنا كلها فكذب وأبى » وقوله « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر » وقوله « ألم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز » الخ فهذه كلها آيات مشاهدة والآيات للشاهدة يحاسب عليها الناس إذا قصروا فيها لأنها في الحقيقة للفاقد الحقيقية للآيات المسموعة . ألم تر أن الله بث غرابا يبحث في الأرض ليرى ابن آدم كيف يوارى سواة أخيه ، فالغراب إذن مبعوث لنا ليرينا ، والجراد مبعوث لنا ليرينا ، وكل هذه آيات مفصلات لنا . إن جميع الأمم في الأرض وجميع أنواع الحشرات والطيور والكواكب مبعوثات لنا مسخرات لتكون باعثة لنا على الفكر والبحث والنظر فننتفع بها في الحياة ونذكر به المقول . وإذا كان الغراب علمنا صناعة دفن أمواتنا أفليس هذا معناه أن كل ما حولنا يعطينا دروسا من دروس الحياة . وهل أنزلها الله في القرآن

لمجرد التلاوة؟ كلا، ثم كلا. بل إن القرآن كتاب أنزله الله للناس مبارك ليديروا آياته وليذكر أولو الألباب، إذن هذا القرآن نزل لفتح أبواب العلم على مصراعيه لأولى الألباب. فإذا وجدنا فروض الكفايات قد وجبت بمقتضى آية التوبة «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة» الخ فليزدنا تأكيذا ذلك الوجوب بما نشاهد من آيات الحشرات والحيوانات للنظرة اللآتي تعطينا دروسا ودروسا «والله هو الولي الحميد» وبهذا تم الكلام على الأمر الثاني من آيات الجراد والفصلات وهي الأحوال السياسية.

﴿ الأمر الثالث وهو الكلام على الإصلاحات الدينية ﴾

إن أهل هذه الأرض قد أنزل الله لهم ديانات في أوقات مختلفات : وهذه الديانات متى نزلت عليهم تحول في آخر أمرها إلى أحوال تلك الأمم وأخلاقهم وعوائدهم وهذبن البوذية والبراهمة . هذا الدين حرم أكل الحيوان شفقة ورحمة : وذلك نظر جزئي سطحي، إن أكل الحيوان هو عين الرحمة، إن من قرأ ما تقدم في سورة (سبأ) من أن الأرض (تلك الحشرة التي تبنى لها مدنا فوق الأرض وترفضها (٦) أمطار فأكثر وتوسع إلى مدى أميال . وهذه للذين لا يقدر على هدمها الإنسان إلا بالدينغيت كما يفعل في الجبال إذا أراد أن يقطعها بالطرق الحديدية) .

أقول إن هذا الأرض لها في كل سنة وقت معلوم تصدر فيه من ذريتها ذات الجناح آلاف للآلاف تخرج كلها في ساعة معينة وتطير في الجو طلبا للتناسل ورغبة ضوء الشمس وتضميم الهواء بعد الجبس في تلك المدن الظلمة مع آبائها وأمهاتها العمياء التي تدير مملكة شاسعة لها منافذ، ومنافذ عليها حراس أشداء أقوياء من تلك الجنود العمى ذوات الأسحة الفتاكة التي لا تدرك إلا بالمناظير المعظمة . وهذه القدرة ذوات الأجنحة المذكورة الطائرات في الجو الفرحات بأبها ستتمع بالتناسل والزواج وعليها حليتها من الأجنحة البهجة الجميلة الحريرية لتأكل في الهواء إلا زمنا قليلا ثم تقع على الأرض، وهناك تلتفحها الأفاعى والسكلاب والحرور وأنواع أخرى من الحيوان حتى الإنسان فنسطاد وتؤكل ويحمصها الإنسان ويجمعها مع السكر ويأكلها.

فهذه مخلوقات نظمت بحكمة وصدرت في زمن معلوم لحيوانات تأكلها، وهكذا ترى الأسود والفمور وسائر السباع ذوات الأنياب المحددة والجوارح في السماء ذوات للتقير للتوبة المحدودة . كل هؤلاء وهؤلاء قد منعت من أكل النبات وأيسح لها أكل الحيوان. وهذه المصافير تأكل الدود وهي مأكولة لغيرها . وهكذا الحيات والعقارب تأكل الحشرات . وكذلك سمك البحر يعضه آكل وعضه ما كول . بل الإنسان والحيوان إذا هلكن خلفت أمم الدود في أجسامها دلالة على أنه لا معطل في هذا الوجود، هكذا الجراد هنا يخرج من مواطنه في (جبل عالية) ووديانه ومن غيره ويغزو الأمم ككرة بعد ككرة فيكون غذاء لها ومتاعا إلى حين فتله كذلك حشرات الأرض اللآتي تخرج كل سنة في وقت معين والحيوانات تنتظرها طعاما شهيا فهكذا هذا الجراد يخرج في سنين معلومة كما تقدم وآكلوه، ينتظروه فلا معطل في الوجود . إذن أهل الديانات إذا لم يظنوا العلوم هذه الكائنات فإنهم يعيشون جاهلين وبموتون غافلين . فليس نظام هذه الدنيا مبنيا على مجرد الحواس بل هو يجري بقواعد صادقة ثابتة مبنية على العدل والحساب «لا تبدل لكلمات الله» والحمد لله رب العالمين . وبهذا تم الكلام على الحال الآتية وهي إصلاح الديانات .

﴿ الحال الرابعة: عروج النفس الإنسانية إلى عالم الجمال ﴾

وهذه تنتهي مآرق إلى النفوس وتخرج إلى الأرواح. فإن نفوسنا إذا فكرت في أمر الإنسان والحيوان اعترها الشك والوسواس وقالت [هذه الدنيا بأسرها دار وبال وخسران] فأهل الديانات في شقاق والأمم في ضلال والحيوان آكل ومأكول وهذا الجراد يغزونا ونغزوه وما هذه الدنيا إلا الوبال والحبال

هذه آراء جميع العقلاء في هذا العالم الإنساني إلا قليلا منهم وهم المفكرون . أما العامة فهم لا حساب لهم لأنهم آمنوا بظواهر الديانات وهؤلاء في طبقة خاصة يدخلون الجنة . فأما المفكرون فأكثرهم يتخبطون في دياجي الظلمات شاكون منهجرون وليس يرق منهم إلا أفراد قلائل . فهؤلاء يدرسون العلوم الرياضية والطبيعية ولهم عقول مفكرة وآراء محمودة وتكون آراؤهم متوجهة إلى الكليات لا إلى الجزئيات . فمثل أمثال هذا اللقار تكون عقولهم في جحافل الجراد المنتشرة، الطاغية على بلاد مصر والشام غير مقصورة على الآم الناس من الجراد وعلى أكل الناس له بل يكون النظر متجها إلى القاعدة العامة وهي أن هذه الأرض أشبه بشجرة والحيوانات والنباتات من فوقها أشبه بأوراق على أغصانها ، وتلك الأوراق تذبل وتحل محلهم أوراق أخرى والعصن باق إلى أمد معلوم . فهذه هي حال الأرض وأحوال هذا العالم، مادة شكلت بأشكال مختلفة بنظام جميل مدهش؛ فالمادة كالشجرة والأشكال كالأوراق ووراءها قوة مدبرة منظمة حاسبة لكل مخلوق حسابته ونظامه . فهي تزوجه وترقشه وتسوقه إلى حكمة من الحكم الكونية البديعة النظام وهذه الطائفة التي لا أشك أن منها قراء هذا التفسير هي التي ترى ربها وتفوز فوزا عظيما بعد الموت وتكون في أعلى عليين وتفوق العبادة (بتشديد الباء) الذين جعلوا جميع حياتهم فيها وهم خلوا من هذه العلوم الجلية ، فالعباد السالكون ولهم عند الله أجر عظيم . أما المفكرون بهذا المعنى فهم الصديقون وهؤلاء مقامهم بعد الأنبياء وهم في الدنيا هداة لأهل الأرض وفي الآخرة يرون ربهم ويفرحون به وهم مستبشرون . كتب يوم الأحد ١ يونيو سنة ١٩٣٠ .

بهجة هذه الآيات

من قوله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها » إلى قوله تعالى « كذلك إنما يغشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور »

كيف يغشى الله من عباده العلماء ؟

اللهم إنا خلقنا في هذه الأرض ولم ندر من أين أقبلنا ، ولا نعرف متى نموت وإذا متنا لاندرى إلى أين نقتل ومع من نعيش ؟ وعلنا في هذه الحياة علم ضئيل مع أن الحياة بحر لجي واسع الأكناف عظيم عميق فلا ندرى أوله ولا نعرف آخره . وغاية الأمر أننا نسمع في كتابك الكريم تقول لنا « محبهم ومحبيهم » وتقول « وهو النور الودود » وتقول « إن ربكم لودود رحيم » .

فأنت تحب وترحم وتغفر وتود . ها نحن أولاء نظرننا في هذه العوالم المحيطة بنا فألفيناها بحسب إحسانها جوامد وسوائل وغازا كالخجارة واللآء والهواء ، ومن هذه تشكلت عوالم وعوالم اتفنا بها ، ولكننا إذا أفقنا أعيننا وفكرنا ونحن في حال الصفاء فإننا نحس أن هذه العوالم كأنها نور في خيالنا ونحس بأن وراءها قوة عالية تحمل هذه الأنوار للتلاثة التي تنخلها أمانات توصلها إلينا وهي الأرزاق والمواطف والعقول ، فأما الأرزاق فما هي إلا نتائج لأحوال خاصة لتلك الأنوار التنخيلية في عقولنا، وما هي إلا العناصر التي أظهر العلم أنها جميعها أنوار متراكمة متحركة أبدا ، فإذا تخيلنا العناصر اللادية نورا في أنفسنا فهي في حقاقتها نور حقا وإن كان نورا متلبدا حتى أصبح مظلمة وهذه الأنوار الحاملات لأمانات الأرزاق الواصلة إلينا هي أيضا حاملات لمواطف وأخلاق تؤثر في حياتنا كلها وهذه المواطف تراها واضحة ظاهرة مجسمة في رحمة الأم وفي عشق النبي والفتاة رحمة الأم والعشق والحب الشهوانيين في الشبان ها أشبه بأنوار البترول الذي

لمصلحة سببا في إضاءة منازلنا وأشبه بالشمع الذي نوقده فيها أيضا . فإذا كان الشمع للتخذ من أفراس عسل النحل والبتول المستخرج من الأرض قد أضاء لنا منازلنا بعد غروب الشمس فهكذا ترى الرحمة والحنان والمطفئ ثم الحب للتريلات من العالم القدسي الساري في الأنوار التي عبرنا عنها بالمادة . قد ظهرت في الأم بهيئة رحمة وفي الكور والإناث من الإنسان وغير الإنسان بهيئة عشق ، البتول في الأرض وشمع الصل أضاء لنا في منازلنا والشمس أضاءت العوالم كلها . ما أشبه ضوء الشمع ونور البتول ورحمة الأم وتحاب الزوجين والكور والأنثى . وقد جعلت لنا ضوء الشمس العام وانتشاره كضرب مثل لموم رحمتك وحبك وودك . إن البتول والشمع من اللواد الأرضية والأرض من الشمس . ورحمة الأم وحب الكور للإناث في كل حيوان أتر من آثار الرحمة العامة التي وضعا الله في الأرض نبراسا وهدى لنا بها نهتدى إلى فهم رحمتك وحبك وودك حتى إذا درسنا ذلك عشنا سعادة سعادة لاحد لها وأمننا أننا لاخوف بعده .

فهاك أيها الذي شذرة من شذرات رحمته تعالى العامة وموازينها برحمة الأم ووده وجهه بمودات الناس وحبهم فنقول : أولا ليس الحب من الله والود والرحمة كما ترى في جننا نحن ورحمتنا . إن جننا ورحمتنا حيوانيان وجهه ورحمته هو قدسيان والله مقدس عن المادة . جننا ورحمتنا اتصال في أنفسنا وجهه ورحمته قدسيان لانرفهما إلا بآثارهما في الآفاق وفي أنفسنا . ومن آثارها حنو الأم وحب الكور للإناث وغرامهم بهم وبالعكس . ولا ريب أن نتائج رحمة الأم بولدها مواصلة الجسد والتشهير والسهر على راحة الدرية وجعل جسمها وآرائها ومالها وقفا على تلك الدرية من الشفقة والحنان كما يفعل ذلك نفسه العاشق ولكن على طريق التولوع بالوصال .

ومن عجب أن نتائج رحمة الأمهات وعشق الفتيان للفتيات إن هي إلا حفظ بقاء النوع الإنساني مثلا . فتنتج رحمة الأم الحرص على بقاء ولدها . ونتائج العشق والغرام من أحد الصنفين للآخر إنما هو إيجاد ذكور وإناث يخلفان هذين للعاشقين .

الله أكبر : أصبحت نتائج الرحمت ونتائج أنواع النمرام منسبة على بقاء الأشخاص وبقاء الأنواع . فانظر نظرة واعجب من علوم الأشعار التي أذاعها العشاق وأنواع الرائي التي يرى بها الناس موتاهم وأحزان الأمهات والآباء على أبنائهم فكلها موجّهات إلى تمحي بقاء هذا النوع الإنساني . لماذا يريد العاشق ؟ يريد الوصال . وما نتائج الوصال إلا حصول ذرية ، وعلام تسهر للراة إذا مرض ولدها ؟ تسهر على صحتها مؤمنة أن يعيش . إذن الحب والرحمة منصبان وموجهان معا لغاية واحدة هي غاية حياة الأشخاص وحياة الأنواع ، فإذا سمعت جميلا يشبب في بيئته ويقول :

وأول ما قاد اللودة بيننا بوادي بيض يا بشين سباب
وقلت لها قولا وقالت بعثله لسكل كلام يا بشين جواب

وسمعه يقول :

وإني لأرضى من بيئته بالذي لو أبصره الواشي لقرت بلايله
بلا وبألا أستطيع وبالمنى وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة المجلى وبالحوال يتفضى أو آخره لا نلتقى وأوائله *

ثم علمت بعد ذلك أنه كلما كان الحب شريفا طاهرا كان أبث على الأعمال الشريفة ورفعة الشأن وكبر النفس وارتقاها مرافق عالية في مدارج الرقي في الحياة، وبكس ذلك إذا تنزل للشهوات الحيوانية فإنه ينطفيء ولا يؤدي مقصوده . وبالجملة حب الذكر والأنثى إنما ينتج الدرية وهناك يتقلب رحمة للدرية، فإن

انتهى بالشهوة نفسها وبمجرد التمتع فإنه يكون حقيرا إذ به تسفل النفس وتذل وعاقبته وخيمة . فأما إذا كان العفاف والشرف فنتائج تحصل في نفس العاشق فإن همته تملو ، فنتائج الفرام إما علو في نفس العاشق إذا كان عفيفا ، وإما ذرية ينقلب الفرام الذي كان أولا رحمة بها ، وإما سقوط مروءة مع الدناءة والحسة إذا انتهى بالشهوة البهيمية وحدها فان الدم والعار في الدنيا يقترنان بالفاسقين .

أقول : إذا سمعت ذلك فاعلم أن الحب على ثلاثة أقسام : حب أدنى . وحب أوسط . وحب أعلى . وقد علمت مراتب الحب الأدنى وهو الحيوان فان نتائجه الصحيحة اثنتان لاغير ، نتيجة ترفع نفس العاشق إلى العلاء . ونتيجة توجه لإحداث الترية . فأما الحب الأوسط فانه أعلى من الحب الأول وهو حب العلوم . وحب العلوم إما أن يكون موجها للعمل بحيث تكون مباحث العلوم لها نتائج راجعة للمجموع الإنساني كالعلوم الرياضية والطبيعية وعلوم الصناعات . فهذا كالعشق المؤدى إلى إيجاد الترية . وإما أن يكون موجها إلى المباحث العامة كالتي في هذا التفسير بحيث تكون العلوم كلها موجهاة لرفعة نفس النوع الإنساني من حيث بحث المهتم وارتقاء المزائم وإحداث اليقين في النفوس وتوجيهها إلى المحبة العامة والأخوة والترغيب في حوز العالی . فهذا أشبه بالعشق مع العفة التي أورث في النفس انبعاثا إلى العالی ولكن الفرق بينهما أن ذلك انبعاث شخصي وهذا انبعاث عام لأنك علمت أن حب المذكور للأناث حب أدنى ، وغاية الأمر أن النفس الانسانية بما لها من السلطان والقوة حولته إلى منفعة لها فاحدث لها مهمة وعلو نفس . أما حب العلوم فهو أوسط . فإذا جعل الإنسان حب العلوم وسيلة لجمع المال له خاصة كان حبه أسفل طبقات الحب وكان ذلك أشبه بمن أحب ولا عفة عنده وانتهى حبه بالشهوة البهيمية كما انتهى حب صاحب العلم بالشهوة للمالية .

(مثال حب العلم الذي أثبتنا أنه أعلى من سابقه)

ما جاء في إحدى المجلات المصرية في شهر مايو سنة ١٩٣٠ من نبأ بعثة علمية دولية تتسلك الجبال من كبار العلماء برآسة الأستاذ (ديرنفورث) إذ أخذت هذه البعثة تتسلك جبال همالايا للسماة (كانش جونجا) وهي الثانية في الارتفاع بعد (ايفرست) وأهوال هؤلاء للتسلقين أعالي الجبال أشد من أهوال رواد القطب الجنوبي والشمالي لأن الجليد يغطي قمم الجبال بسماك (٨٠٠) قدم . وهؤلاء المرتادون يعيشون فوق الجليد والرياح العابثة تعصف بهم . وسلسلة جبال همالايا ارتفاعها ٢٠٠٠ ألفا ميل ، ومن قممها ما يرتفع ٢٤٠٠٠ قدم وتزيد ، وعدد القمم للذكورة (٧٥) قمة ، ولقد حاول العلماء الوصول إلى أعالي تلك القمم فجزوا ، وقد ذهب العالم (دوجلاس فرشيلد) سنة ١٨٩٩ وقضى سبعة أسابيع في دورته حوله ووصف للناسظر التي رآها فقال إنه لم ير في حياته ما هو أجمل ولا أبهى من مناظر ذلك الجبل الذي تكسوه قلفسوة من الجليد الأبيض الناصع الذي يشبه القطن النقي المنفوش ، ولقد ورد موارد الهلاك أثناء ذلك التسلق مرات كثيرة . ولقد حاولت ثلاث بعثات الوصول إلى تلك القمم فلم تحصل ومات أكثرهم بالرياح العاصفة وبالثلوج التي تنقض عليهم قهلكهم . أما البعثة الراجة فهي في طريقها عند كتابة هذه الأسطر في هذا التفسير في شهر مايو سنة ١٩٣٠ .

هذه هي الطبقة الوسطى في الحب وهو حب العلوم . ياسبحان الله نسمع مجنون ليلى يقول :

وإني إذا ماجئت ليلى أزورها أرى الأرض تطوى لي ويدنوبعدها

من الحفريات البيض ود جلسها إذا ما انقضت أحداثه لو تعيدها

ونرى العاشقين في الدرجة الدنيا يقدمون أنفسهم للهلاك ويقدمون على الموت باطمئنان وراحة بال إذا حرموا من الخطوة المحبوب . وفي الدرجة الوسطى وهي درجة العلماء تراهم يقدمون أنفسهم للموت سراعا

من أجل قمة جبل أو مناظر قطب . ولكن لما كان حب العلم أسمى كان عاما في الشيوخ والشبان . وأما ما قبله فهو خاص بالشباب أيام حرارة الشهوة فإذا كبر قال :

قضيت سنون بالوصال وبالمنا فقأتها من قصرها أيام
ثم بانقضت أيام هجر بعدها فقأتها من طولها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها فقأتها وكانهم أحلام

هذا كلام الإنسان إذا كبرت سنه وتذكر أيام شبابه ، أما حب العلم فهو لا يختص بسن معينة بل يزيد
يكبر السن ، أما الدرجة الثالثة فهي العليا وهذه خاصة بطبقة تمتاز عن سابقتها . فانظر لأهل الدرجة الدنيا
في العشق فإنك ترى عشقها محصورا في محاسن إنسان خاض وهذه لم تجمل إلا توطئة للدرجة الوسطى والوسطى
مقدمة للدرجة العليا وهي درجة العلماء الذين يغشون الله ، فإذا خشي العاشق في أدنى الدرجات هجر تلك
الفتاة التي افتتن بجمالها ، وإذا خشي علماء البعثة العلمية فتك الثاج بهم في (جبال همالايا) وهم يحبون أن
يتساقطوا . فالعلماء المفكرون الدارسون لمثل هذا الكتاب الناظرون لهذا العالم أشد في خشية من خشية
عاشق امرأة أن تهجره ومن خشية متعلق جبل أن يهلكه . إن خشية العاشق مقدرة بمقدار جمال العشوق
وعلو قدره والناظرون للجبال والشجر والدواب والماء والزرع والثمار وما أشبه ذلك . المفكرون في عجائب
هذه الدنيا عشقهم وغرامهم لاحد له وخشيتهم لبدع هذا الوجود لاحد لها . فهؤلاء ينظرون فيقولون :
[إن هذا الجسم الإنساني قد أخذ من الأرض والماء وغذاه وشرابه : ومن الهواء إصلاح نفسه وحروف كلامه
ووصول الروائح له ، ومن ضوء الشمس هدايته للسبل وتدفئة جسمه وإصلاح أحواله . ومن مناظر السماء
ودوران الأفلاك عدد أيامه وشهوره وحساب سنه : وقد وزعت حواسه على هذه العوالم . فلهذا والشراب
حاسة الدوق . وللحواد كلها من حيث الحرارة والبرودة والثقل والخفة وهكذا حاسة اللمس وللروائح حاسة
الشم وللأضواء حاسة البصر وللحواء حاسة السمع ، إذن هو لم يذر مخلوقا حوله إلا وجد في نفسه استعدادا
لتناوله تناولا ماديا أو تناولا معنويا .

يقول الحكيم في نوع الإنسان العوالم كلها متصلات بي فلا كواكب ولا سحب ولا هواء ولا ريباح
ولا شجر ولا حجر ولا نبات ولا حيوان إلا لها اتصال بي . وذلك طبعاً يدعو إلى التفكير فيها ، وهناك يبحث
في الجمال الذي نقش فيها كما نظر جميل جمال بيئته وتوبة جمال ليلي وكثير جمال عزة فهماموا في ذلك الجمال
الجزئي من العالم للادي وكما هام العالم (ماري) والعالم (سومرفيل) والعالم (نورتن) بحب استطلاع جبال همالايا
وظلموا إليها سنة ١٤٢٤ م لما نصبوا خيامهم ومكثوا أسبوعين على جبل جليدي هناك حتى هبت زوينة
اكتسختهم واكتسخت خيامهم ، ولكن حب الاستطلاع غلب عليهم فقد رجعوا كرة أخرى وصمروا على
أن يصلوا إلى مقصودهم أو يموتوا فرجعوا في ٢٠ مايو من تلك السنة وانضم إليهم غيرهم ، ولكن البرد
أهلك أربعة منهم فرجع الباقون كرة أخرى وطلع فوق القمة رجلان منهم فالتهمتهما سحابة قضت على
حياتهما ، كل ذلك نتائج حب العلم ، وحب العلم ضحاياها أكثر عددا من ضحاياها الكور للآفات . إن حب
الشرف والمجد وهو الحب الأوسط لانعد ضحايا الترام المعروف بالنسبة لفرائسه شيئا مذكورا ، وأرق منه
وأشرف وأعلى منزلة حب الجمال العام في هذه الدنيا . ولهذا الحب طائفة أرقى وأعلى من الطائفتين السابقتين
ولقدتها وسرورها أعلى من سرور الطائفتين قبلهما بما لاحد له ، فلئن أغرم (الدوق ابروزي) عم ملك إيطاليا
العاصر لنا إلى ارتفاع جبال همالايا ، وكذلك العلامة (دوجلاس فرشفيلد) و (الدكتور بوير) وغيرهما وقالوا
جميعا «إما هلكا وإما ملكا» وكذلك غرام كثير بعزة وتوبة بلبي ليكون غرام هذه الطائفة غير محصور

في مناظر الثلج في أعلى جبال همالايا ، ولاجمال امرأة خاصة ، بل غرامها بالنجوم والجمال والشجر والدواب والبحار والأنهار . فهم يمدون الجمال في تركيب أجسامهم وتركيب القدرات وخطرات الرياح وهبوب النسيم وتمايل الأشجار وتعمات الحشرات وأصوات الطيور وضوء البرق ومهجة السحاب ورؤية الضباب وسير العلماء وفهم ذرات الكيمياء ونظام الحركات السكونية . فالأشجار والأحجار والأنوار والظلمات والنجوم والعلوم وكل دقيق وجليل من هذا الوجود أنواع من الجمال يذكر بمحبوب غائب لم تره عيونهم ولكن أدركته قلوبهم . فهو لاء إذا سمعوا بالهوى العنزي في الأمة العربية الذي ينتهي بموت العاشقين هناك قديما أو الهوى الياباني الذي بلغنا خبره حديثا . وإن كثيرا من الشبان يرمون أنفسهم من أعلى حرمانهم من الاتصال بمعشوقاتهم . وإذا سمعوا أيضا أن عشاق العلوم والكشف القطب الشمالي أو الجنوبي قد رضوا بالموت طوعا لما شفقت قلوبهم من القرام الأوسط وهو القرام بالاطلاع . فهو لاء إذن يرون أنفسهم في ساحة من القرام لاحد لها لما يرون من جمال لانهاية له ، وإذن يهون عليهم الموت في سبيل جهم لذات لم ترها عيونهم هي مصدر جمال عزة وبثينة وليلى وجمال الثلج في قمم جبال همالايا الذي افتتن العلماء به فهاموا وهلكوا وهم يكشفون عن ذلك المحبوب .

إن هذه الطائفة ترجع كرة أخرى فتتظر في أمر رحمة الأم وحب الشبان فتري نتائجها بذل كل ما تملك الأم وما يملك العاشق ، ولكن الذي صنع العالم بذل مالا حد له ، فأين المناسبة بين ثياب وطعام وشراب لطفل من أمه وبين هذه العوالم كلها اللبدولات للإنسان ، وإذا كان ذلك لا يعرفه إلا العلماء ولا يعقله إلا هم فان خشية الله عندهم أعلى من خشية العاشق لمعشوقه .

وقصارى القول وحماده أن في الحيوان لاسيا نوع الإنسان مبدأ ونهاية . أما للبدا فهو العشق والحب وبهذا تكون الذرية . وأما النهاية فهو أن ينقلب الحب إلى رحمة تلك الذرية وإلى الحب النافع الدائم بينهما إن غرام الذكور بالإناث وحب الإناث للذكور لم يكن إلا لحكمة وهي حصول الولد . وهناك ينقلب غرام كل منهما بالآخر شيئا فشيئا إلى حب ورحمة . أما الحب فإن كلا منهما يحب الآخر لتعاون على أمر الحياة وهو أشرف من الحب الأول وهناك يبدل الجمال إذ لا منزل له فهو كرهات الرياض يبدل إذا ظهرت الثمرات ، وأما الرحمة فهي أن كلا منهما يعطف على ولده عطفًا كليًا ويبدل نفسه وماله في إرضائه وهو فرح به فرر العين وهانان الماطفتان ترتقيان عند الحكماء ، فالعشق والحب الحيوانى ينقلب عند الحكيم إلى عشق العوالم كلها من حيث إدراك حقائقها . فكما نسمع جميل بن معمر يقول :

وما زلت يا بنى حتى لو اننى من الشوق أستبكي الحمام بكى ليا

ونسلم عمر بن أبي ربيعة للتوفى سنة ٩٣ يقول في الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث وكان قد تزوجها رجل اسمه سهيل :

أيها للنسكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل بماني

ونسلم الخزومي يقول في عائشة بنت طلحة لما تزوجها مصعب بن الزبير :

ظنن الأمير بأحسن الخلق وغدا طلك مطلع الشرق

ونسلم مجنون ليلى كما يقال وينسب إليه يقول :

وأخرج من بين البيوت نعلنى أحدث عنك النفس بالليل خاليا

أقول : كما نسمع هؤلاء يقولون ذلك وأمثالهم كثير نسمع عددا أكثر منهم من الحكماء ، يؤلفون الكتب

ويولسون بالبحث في العوالم ويشفقون العلم عشقا مفرطا وكثير منهم مات وهو دائب في بحثه ، ومنهم من يجد لذة في مبحثه فيزيد فرحه فيموت من شدة الفرح ، وأكثركاشفين للباحث العلمية لم يكن ذلك الكشف إلا عن غرام وحب كما انفق لكاشف أمريكا (كرنستوف كلومب) فقد خاطر بنفسه وبرجاله وحاولوا أن يقذفوه في البحر ولكن القدر نجاه بظهور أمارات تدل على المعرمان ، إذن عشق العلم عند الحكماء لم يخرج عن كونه عشق الجمال ، لجمال وجه ليلي وبشينة ولبق عرفه الشاب بنظرات العين وجمال العوالم المحيطة بنا يعرف بالعين وبالعقل وبالسمع ، وهناك يزداد العشق والغرام بازدياد المعرفة ، إذ لا غرام إلا بمعرفة . فهذا هو اللبأ عند الحكماء للقابل للبدأ عند الشبان كما قدمنا ، أما النهاية فهي (أمران) حب الله تعالى ورحمة المخلوقات . فكما نرى الزوجين انقلب غرامهما إلى حب أحدهما للآخر ورحمة للولد هكذا هنا ينتج حب العلم (أمرين) حب الله تعالى حب يليق بجماله ، ورحمة النوع الإنساني إذن قراءة أمثال هذا التفسير تنتج حب العلوم وحب العلوم ينتج (أمرين) حب الله تعالى على مقدار العلم بمصنوعاته ورحمة النوع الإنساني إذن كلما أكثر علم العالم بالمعاني في هذه العوالم ازداد حبا في ربه ورحمة لعباده وسعد سعادة لآحد لها لأنه قد وصل إلى اليقين . وهذا كله نتائج هذه الآية « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر » إلى قوله « إنا نحن الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور » . إذا عدت ذلك وفهمته حق معرفته فهمت ما يقوله الإمام الغزالي في الجزء الرابع من كتابه المسمى [إحياء علوم الدين] تحت العنوان الآتي وهذا نصه :

بيان أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم

(وأنه لا يتصور أن يؤثر عليها لذة أخرى إلا من حرم هذه اللذة)

اعلم أن اللذات تابعة للادراكات والإنسان جامع لجملة من القوى والفرائز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها لمقتضى طبيعتها الذي خلقته له فإن هذه الفرائز ما ركبت في الإنسان عشائر ركبت كل قوة وغريزة لأمر الأمور هو مقتضاها بالطبع فغريزة الغضب للنشفي والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبيعتها وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذي به تقوم فلا جرم في نيل هذا الغذاء الذي هو مقتضى طبيعتها وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الإحساس والاستماع والشم فلا تهاو غريزة من هذه الفرائز عن ألم ولذة بالإضافة إلى مدركاتها فكذلك في القلب غريزة تسمى التور الإلهي بقوله تعالى « ألمن شرح صدره للإسلام فهو على نور من ربه » وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الإيمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالأساسي فإن الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن أن الاختلاف واقع في المعاني لأن الضعيف يطلب المعاني من الألقاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق لسائر أجزاء البدن بصفة بها يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كإدراكه خلق العالم أو افتقاره إلى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات إلهية ، ولتسم تلك الغريزة عقلا بشرط أن لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذمه بعض الصوفية وإلا فالصفة التي فارق الإنسان بها البهائم وبها يدرك معرفة الله تعالى أعز الصفات فلا ينبغي أن تنم وهذه الغريزة خلقت ليحلم بها حقائق الأمور كلها لمقتضى طبيعتها المعرفة والعلم وهي لذتها كما أن مقتضى سائر الفرائز هو لذتها وليس ينبغي أن في العلم والمعرفة لذة حتى إن الذي ينسب إلى العلم والمعرفة ولو في شيء خسيس يفرح به والذي ينسب إلى الجهل ولو في شيء خبير يفتن به ، وحتى إن

الإنسان لا يكاد يصبر عن التحدي بالعلم والتمردح به في الأشياء الحقيمة، فالعلم باللعب بالشرطيح على خسته لا يطبق
 السكوت فيه عن التعليم وينطاق لسانه بذكر ما يعلمه وكل ذلك لقرط لذة العلم وما يستشعره من كمال ذاته به
 فإن العلم من أخص صفات الربوبية وهي منتهى السكالك ولذلك يرتاح الطبع إذا أتمى عليه بالذكاء وغزارة العلم
 لأنه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وكمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذبه ثم ليست لذة العلم بالحراثة والحياطة كلذة
 العلم وسياسة الملك وتديير أمر الخلق ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته
 وملكوت السموات والأرض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف العلوم حتى إن الذي
 يعلم بواطن أحوال الناس ويخبر بذلك يمد له لذة وإن جهله تقاضاه طبعه أن يفحص عنه فإن علم بواطن أحوال
 رئيس البلد وأسرار تدييره في رياسته كان ذلك ألد عنده وأطيب من علمه بباطن حال فلاح أو حائك فإن
 الرئيس أطلع على أسرار الوزير وتدييره وما هو عازم عليه في أمور الوزارة فهو أشهى عنده وألد من علمه بأسرار
 الرئيس فإن كان خبيراً بباطن أحوال الملك والسلطان الذي هو المسئول على الوزير كان ذلك أطيب عنده وألد
 من علمه بباطن أسرار الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه أشد وجهه له أكثر لأن لذته
 فيه أعظم، فهذا استبان أن ألد المعارف أشرفها وأشرفها بحسب شرف العلوم فإن كان في للعلوم ما هو
 الأجل والأكل والأشرف والأعظم فالعلم به ألد للعلوم لا محالة وأشرفها وأطيبها. وليت شعري هل في الوجود
 شيء أجد وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الأشياء كلها ومكملهم أو مزينها ومبدئها ومعيدها ومديرها ومرتبها.
 وهل يتصور أن يكون حضرة في الملك والسكالك والجمال والبهاء والجلال أعظم من الحضرة الربانية التي لا يحيط
 بمبادي جلالها وعجائب أحوالها وصف الواصفين، فإن كنت لا تشك في ذلك فلا ينبغي أن تشك في أن الاطلاع
 على أسرار الربوبية والعلم يترتب الأمور الإلهية المحيطة بكل الموجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات وألدها
 وأطيبها وأشهاها وأحرى ما تستشعر به النفوس عند الانصاف به كمالها وجمالها وأجدر ما يعظم به الفرح والارتياح
 والاستبشار، وبهذا تبين أن العلم لذيذ وأن ألد العلوم العلم بالله تعالى وصفاته وتدييره في ملكته من منتهى عرشه
 إلى تخوم الأرضين فينبغي أن يعلم أن لذة المعرفة أقوى من سائر اللذات أعنى لذة الشهوة والنضب ولذة
 سائر الحواس الخمس فإن اللذات مختلفة بالنوع أو لا كماخلة لذة الواقع لذة السماع ولذة المعرفة لذة الرياضة وهي
 مختلفة بالنضب والقوة كماخلة لذة الشبق للعلم من الجماع لذة الفائر الشهوة وكماخلة لذة النظر إلى الوجه
 الجميل الفائق الجمال لذة النظر إلى مادونه في الجمال وإنما تعرف أقوى اللذات بأن تكون مؤثرة على غيرها
 فإن الخبير بين النظر إلى صورة جميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة إذا اختار النظر إلى الصورة
 الجميلة علم أنها ألد عنده من الروائح الطيبة وكذلك إذا حضر الطعام وقت الأكل واستمر اللاعب بالشرطيح
 على اللعب وترك الأكل فيعلم به أن لذة العلبة في الشرطيح أقوى عنده من لذة الأكل فهذا معيار صادق في الكشف
 عن ترجيح اللذات، فنعود ونقول اللذات تنقسم إلى ظاهرة كلذة الحواس الخمس وإلى باطنة كلذة الرياضة
 والقلة والكرامة والعلم وغيرها إذ ليست هذه اللذة للعين وللأنف وللأذن ولللسان وللذوق. وللعماني
 الباطنة أغلب على ذوى السكالك من اللذات الظاهرة، فلو خير الرجل بين لذة الدجاج السمين واللوزينج وبين
 لذة الرياضة وقهر الأعداء ونيل درجة الاستيلاء فإن كان الخبير خسيس الهمة ميت القلب شديد النهمة اختار الأهم
 والحلاوة وإن كان على الهمة كامل العقل اختار الرياضة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت أياماً كثيرة
 فاخياره للرياضة يدل على أنها ألد عنده من اللطعومات الطيبة، نعم الناقص الذي لم تسكل معانيه الباطنة بعد
 كالصبي أو الكندي ماتت قواه الباطنة كالمعتوه لا يعد أن يؤثر لذة اللطعومات على لذة الرياضة وكما أن لذة الرياضة والكرامة
 أغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبا والتمتع. فلهذا معرفة الله تعالى ومطالمة جمال حضرة الربوبية والنظر إلى

أسرار الأمور الإلهية أقدم من الرياسة التي هي أعلى اللذات الغالبة على الخلق وغاية العبارة عنه أن يقال « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » وأنه أعد لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الآن لا يعرفه إلا من ذاق اللذتين جميعا فإنه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد والفكر والتذكر وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحق الحقائق التي يرأسهم له بفناء رياسته وفناء من عليه رياسته وكونه مشوبا بالسكدرات التي لا يتصور الخلو عنها وكونه مقطوعا بالموت الذي لا بد من إتيانه مهما أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها فيستعظم بالإضافة إليها لذة معرفة الله تعالى ومطالعة صفاته وأفعاله ونظام مملكته من أعلى عليين إلى أسفل السافلين فأنها خالية عن المزاحمات والسكدرات متسعة للواردين عليها لا تضيق عنهم بكبرها وإنما عرضها من حيث التقدير السموات والأرض وإذا خرج النظر عن القدرات فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف بمطالعته في جنة عرضها السموات والأرض يرتفع في روضها ويقطف من ثمارها ويكرع من حياضها وهو آمن من انقطاعها إذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ثم هي أبدية سرمدية لا يقطعها الموت إذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى ومحلها الروح الذي هو أمر رباني سماوي وإنما الموت يغير أحوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويغلبها عن جنسها فأما أن يعدمها فلا « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم » الآية ولا تظن أن هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فإن للعارف بكل نفس درجة ألف شهيد، وفي الخبر « إن الشهيد يمتحن في الآخرة إن يرد إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وإن الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء » فإذا جميع أقطار ملكوت السموات والأرض ميدان العارف يقبوا منه حيث يشاء من غير حاجة إلى أن يتحرك إليها بجسمه وشخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والأرض وكل عارف فله مثلها من غير أن يضيق بعضهم على بعض أصلا إلا أنهم يتفاوتون في سعة منزلاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظرم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم، فقد ظهر أن لذة الرياسة وهي باطنة أقوى في ذوى السكالات من لذات الحواس كلها وأن هذه اللذة لا تكون لهيئة ولا لصبى ولا لمعتوه وأن لذة المحسوسات والشهوات تكون لذوى السكالات مع لذة الرياسة ولكن يؤثرون الرياسة فأما معنى كون معرفة الله وصفاته وأفعاله وملكوت سمواته وأسرار ملكه أعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفة من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن إثبات ذلك عند من لا قلب له لأن القلب معدن هذه القوة كما أنه لا يمكن إثبات رجحان لذة الوقوع على لذة اللب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحان على لذة شم البنفسج عند العيين لأنه قد اختلفت التي بها تدرك هذه اللذة ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة شمه أدرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى إلا أن يقال من ذاق عرف . ولعمري طلاب العلوم وإن لم يشتغلوا بطلب معرفة الأمور الإلهية فقد استكشفوا راحة هذه اللذة عند انكشاف الشكليات وأعمال الشبهات التي قوى حرصهم على طلبها فإنها أيضا معارف وعلوم وإن كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الإلهية . فأما من طال فكره في معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من أسرار ملك الله ولو الشيء اليسير فإنه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فربه وسروره وهذا مما لا يدرك إلا بالدوق والحكاية فيه قليلة الجدوى فهذا القدر ينهك على أن معرفة الله سبحانه ألد الأشياء وأنه لا لذة فوقها، ولهذا قال أبو سليمان الداراني : إن لله عبادا ليس يشعلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله ولذلك قال بعض إخوان معروف الكرخي له أخبرني يا أبا محفوظ أي شيء هاجك إلى العبادة والانتفاع عن الخلق ؟ فسكت وقال ذكر الموت فقال وأي شيء الموت ؟ فقال ذكر القبر والبرزخ فقال وأي شيء القبر فقال خوف النار ورجاء

الجنة فقال وأي شيء هذا إن ملكا هذا كله بيده إن أحبته أنساك جميع ذلك وإن كانت بينك وبينه معرفة
كفالك جميع هذا . وفي أخبار عيسى عليه السلام إذا رأيت الفسق مشغولا بطلب الرب تعالى قد ألهام ذلك عما سواه
ورأى بعض الشيوخ بشر بن الحارث في النوم فقال ما فعل أبو نصر النخعي وعبد الوهاب الوراق؟ فقال تركتهما
الساعة بين يدي الله تعالى يأكلان ويشربان. قلت فأنت قال علم الله قلة رغبتي في الأكل والشرب فأعطاني النظر
إليه . وعن علي بن النوفلي قال رأيت في النوم كأنني أدخلت الجنة فرأيت رجلا قاعدا على مائدة وملك كان عن يمينه
وشماله يلقيانه من جميع الطيبات وهو يأكل ورأيت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه الناس فيدخل بعضها
ويرد بعضها قال ثم جاوزتهما إلى حظيرة القدس فرأيت في سرداق العرش رجلا قد شخص بصره ينظر إلى الله
تعالى لا يطرف فقلت لرضوان من هذا قال معروف السكرخي عبد الله لا خوفا من ناره ولا شوقا إلى جنته بل حبالة
فأباحت النظر إليه إلى القيامة وذكر أن الآخرين بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل ولذلك قال أبو سليمان من
كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه وقال
الثوري لراية ماحقبة إيمانك قالت ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته فأكون كأجير السوء بل عبدته
حباله وشوقا إليه وقالت في معنى المحبة نظما :

أحبك حين حب الهوى وحبا لأنك أهل لذا
فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عن سواكا
وأما الذي أنت أهل له فكشفك لي الحجب حتى أراكا
فلا الحمد ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ولعلها أرادت بحب الهوى حب الله لإحسانه إليها وإنعامه عليها بحفظ العاجلة ونجته لما هو أهل له الحب
لجنته وجلاله الذي انكشف لها وهو أعلى الحيين وأقوامها وقمة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبر عنها رسول
الله صلى الله عليه وسلم حيث قال حاكيا عن ربه تعالى « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر » . وقد جعل بعض هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه إلى الغاية ، ولذلك قال
بعضهم إنى أقول يا رب يا الله فأجد ذلك على قلبي أتقل من الجبال لأن النداء يكون من وراء حجاب وهل رأيت
جليسا ينادى جليسه؟ وقال إذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة أي يخرج كلامه عن حد
عقولهم فيرون ما يتكلم به جنونا أو كفرا فتصد المارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط ففي قرّة العين التي لا تنم نفس
ما أخفى لهم منها وإذا حصلت أعمقت المغموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بتعبيها فلو ألقى في النار
لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت إليه لسكّال نعيمه وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية ،
وليت شعري من لم يفهم إلا حب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر إلى وجه الله تعالى وماله صورة ولا شكل
وأى معنى لوعده الله تعالى به عباده وذكره أنه أعظم النعم بل من عرف الله عرف أن اللذات للفرقة بالشهوات
المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللذة كما قال بعضهم :

سكانت قلبي أهواء مفرقة فاستجمعت مذ رأيتك العين أهواي
فصار محسوس من كنت أحسده وصرت مولى الوري مذصرت مولاي
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك ياديني وديناي

ولذلك قال بعضهم :

وهجره أعظم من ناره ووصله أطيب من جنته

وما أرادوا بهذا إلا إشارفة القلب في معرفة الله تعالى على لغة الأكل والشرب والنكاح فان الجنة معدن

تمتع الحواس . فأما القلب فلذته في لقاء الله فقط ، ومثال أطوار الخلق في لذاتهم ما نذكره وهو أن الصبي في أول
 حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده ألد من سائر الأشياء ثم يظهر
 بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها لذة اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة
 النساء فيتركها جميع ما قبلها في الوصول إليها ، ثم تظهر لذة الرياسة والعلو والتكاثر وهي آخر لذات الدنيا
 وأعلاها وأقواها كما قال تعالى «اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر» الآية ثم
 بعد هذا تظهر غريزة أخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله فيستحقر معها جميع ما قبلها فكل
 متأخر فهو أقوى وهذا هو الأخير . إذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ
 وحب الرياسة بعد العشرين وحب العلوم بقرب الأربعين وهي الغاية العليا ، وكما أن الصبي يضحك على من يترك
 اللعب ويشتمل بملاعبة النساء وطلب الرياسة فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة ويشتمل
 بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون « إن تسخرو منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون » .
 هذا ما أردت نقله من كتاب الإحياء ، واعلم أيديك الله أن حب الله وحب العلوم المذكورين في كلام
 النزالي المذكور قد مهدت له الطرق في زماننا تمهيدا أتم من الأزمان السابقة فإن المسلمين في العصور للتأخرة
 كانت معارف جمال العالم محصورة عندهم في كتب قليلة غير موضحة ولا مفصلة وهي كتب التوحيد وكتب
 الفلسفة . أما في زماننا فإن الله عز وجل قد أوسع دائرة العارف وبنطها للناس قاطبة والمسلمون منهم فعلمهم
 اليوم أن يمتدوا منها ، ولقد أخذ المؤلفون في ديار الإسلام يتفتنون في فنون الحكمة ويعبدون طرقها ، وأحمد
 الله إذ جعل لمن يقرءون أسئلة هذا التفسير مراقي وسلام يرتفعون بها إلى الأعمال الشريفة في الدنيا وفي حب
 الله تعالى ، وفرق ما بين النابغين في أمم الإسلام قبل اليوم وبينهم بعد زماننا أن النابغين في الأمم الإسلامية
 للتأخرة أكثرهم كان يعمل همه الانقطاع عن الناس كما يفعل البراهمة في الهند ، أما النابغون بعد الآن
 القارئون لأمثال هذا التفسير ، فهؤلاء يمدون أن الله يوجب عليهم الجهد والتشهير في حوز العلم بجميع أنواعه
 وسيفتح قوم في السكيميا في معاملها ، وآخرون في رصد الكواكب وحسابها . وآخرون في النبات والحيوان
 والخسرات وهكذا ، وآخرون في علم طبقات الأرض وتكون العلوم كلها موجهة (لغرضين اثنين : الغرض
 الأول) خدمة المجموع بها كما نحنو الأم على ولدها بالعتف والشغف والسهر . (والغرض الثاني) ازدياد الغرام
 بالعلم ونظام العالم مع حب الله والغرام ببقائه ، ومن يهتس بره . والحمد لله رب العالمين . كتب ليلة الأحد
 (١١) مايو سنة ١٩٣٠ .

(بهجة عليية في الحب والغرام)

لظالما خطر لي في هذه الآونة من اللعاني الشائقة في الحب . أنني رأيت أن الأم المحبة لولدها والعالم المحب
 لأتمته والمحسن المحب لمن أحسن إليهم . كل هؤلاء أكثر جبالا للولد وللأمة وللمن أحسنوا إليهم من الآخرين
 إلى الأولين كما هو مبرهن عليه . فإذا رأينا الله عز وجل إحسانه ورأفته أهم وأعظم . أفلا يكون حبه لخلقاته
 أكل وأعظم من حبه لمن سبها أنه يقول «يعجبهم ويحبونه» مع ملاحظة الفرق بين الحبين ، إذ جينا له حب
 حادث ناقص وحب ممتزج مقدس له معان غير مانعها وعلى هذا يكون كل ألم وكل مرض وكل سوء وكل فقر
 لم توجه لنا إلا لاسعادنا وتكليفنا حتى نصلح للاقائه ونشاهد ذاته . وأيضا لم نجد أبيا ولا أما ولا ملكا ولا
 أميرا له إحسان يوازي إحسان الله لخلقاته . وإحسان الله للخلق لم يكن عن كراهة إذن هو عن ذلك الذي
 أسميناه حبا ممتزا عن صفة الحوادث .

أقول : فهذه اللعاني التي كانت تختلج في نفسي لم أجدها تعبيرا يليق بها ولا كسوة جميلة تلبسها حتى
 ظهرها في هذا التفسير . أفلا أحمد الله إذ رأيت نفسي هذه اللعاني بنصها وفضها ظهرت على ألسنة قوم قبلنا

فانظر واعجب أيها الدكي لما جاء في الاحياء في الحب وهذا نصه :

«أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : لو يعلم الدبرون عنى كيف انتظاري لهم ورفقى بهم وشوقى إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقا إلى وتقطعت أوصالهم من محبتي . يادادو هذه إرادتى في الدبرين عنى فكيف إرادتى في اللقبين على ؟ يادادو أحوج ما يكون العبد إلى إذا استغنى عنى ، وأرحم ما أكون ببدي إذا أدبر عنى ، وأجل ما يكون عندى إذا رجع إلى » .

وقال أبو خالد الصفار : (لقى نبي من الأنبياء عابدا فقال له : إنكم معاشر العباد تعملون على أمر لسنا معاشر الأنبياء نعمل عليه . أتمم تعملون على الجوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق)

وقال عبد الله بن محمد (سمعت امرأة من التبعديت تقول وهى باكية والدموع على خدها جارية والله لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت اللوت يباع لاشرتيه شوقا إلى الله تعالى وحبا لفقائه . قال فقلت لها أفمل ثقة أنت من عمحك ؟ قالت لا ولكن لمي إياه وحسن ظنى به . أفتراه يعذبني وأنا أحبه؟) .

ومن خطاب الله لداود عليه السلام : « ذكرى للذاكرين ، وجنى للطيبين ، وزيارنى للشقائقين ، وأنا خاصة للمحبين » .

ويقال : الشوق نار أشعلها الله في قلوب أوليائه حتى يحرق بها مافي قلوبهم من الخواطر والارادات والموارض والحاجات انتهى .

(بهجة الجمال في ليلة ١٤ من شهر ذى الحجة سنة ١٣٤٨ هجرية)

أكتب هذا صباح يوم الأربعاء من نفس هذا الشهر . هل لك أيها الدكي أن أحدثك عن الجمال والبهجة في المزارع الصرات والنخلات الباسقات في دجنات الظلمات . هل لك أن أريك كيف يكون العلم أثناء الرياضات وتشتق الحكمة من الحقول المعطرات والجمال من جوانب الطرقات .

ذلك أننى كنت يوم الاثنين للماضى وهو آخر أيام التشريق الثلاثة في مزرعتنا بقرب القاهرة وهى قرية من بلدة للرج أنظر في أمر الزرع والحصاد والحساب بينى وبين السأجرين للأرض ، وهكذا كانت هناك هجمات الجراد على البلاد قبالنى للوكلون بإدته وهم يجمعون الرجال والأطفال ليلسكوا ذلك الجراد من الأرض ويبيدوا صفاره اللأى خرجن من البيضات اللوائى دفنها الجراد فى الأرض وقضيت معهم زمنا طويلا حتى إذا أرخى الليل سدوله فقلت راجعا إلى بلدة المرج لأركب القطار وأتوجه للقاهرة ، فما كدت أقرب من بلدة للرج المذكورة حتى شاهدت منظرا بديعا جميلا لم أشعر بنظيره أمد الحياة . وما هو ذلك للنظر ؟ هو نفسه الذى أشاهده منذ عشرين سنة ، نعم هو نفسه ولكن هذا النظر فى هذه الليلة يمتاز بالظلام الساكن الهادى فوقت والنخيل حولى من الجهات الأربع فرفعت طرفى إلى السماء إذا أمانى (منظران مدهشان) منظر البدر شرقا ومنظر النجوم غربا . نظرت البدر بوجهه للشرق يطل من بين الجريد والحوص وعراجين النخلات وهو يفيض على الأرض أنهارا من الفضة الدائبة كأنه ملاءة تغطى جذوع النخل وعراجينه وتغشى وجه الحقول بالبهجة اللامعة والأنوار الساطعة والجمال الباهر . وهناك من جهة الغرب كأن الكواكب قطع من اللاس جميلات باهرات تنفذ أشعتها من خلال النخيل . فالبدر شرقا والنجوم غربا . ذهبن بلى من الجمال والوضرة والرباع عابثات بالفصون والجريد والجذوع والزررع والحشائش ذات القوير والترنح . وهناك سمعت غناء الحشرات فى تلك الأرجاء . فهى إذن حانة جمعت بين رقص الزروع والأشجار وغناء الحشرات وألحان أعواد النخيل وأوراق الزروع والأغصان . وهناك خيل إلى أن البدر (وقد علا فى الأفق فوق تلك النخلات الباسقات) يخاطبنى قائلا : (لقد أعجبتك أيها الجوهرى منظرنا الجميل وآنسك ماترى من نور باهر وجمال ساحر . لقد مر فى هذا المكان قبلك رجال ورجال فى قرون مضت وأمم خلت أيام الفراغنة القدماء ودولتى

اليونان والرومان والأمويين والعباسيين والاشيذيين والطلوليين وهكذا إلى أيامكم هذه وقليل منهم للفكرون
هأنت ذا اليوم حبست في الأمور الجزئية والأعمال الزراعية والأحوال الاقتصادية والحيرة في أمر الجراد .
فمنظرنا الذي تراه يشركم بالسعادة والبقاء . ألا ترى أن أعمالكم الجزئية المدنية من زراعة وتجارية وصناعية
ليس لها مستقر ولا بقاء وحياتكم ذاهبة وأعمالكم كلها ستصبح في خبر كان . فالجاهل لا يعقل ما فوق ذلك ،
أما الحكيم فإنه يتذكر بمنظر الكواكب في سمائكم أنكم مخلوقون للدوام كما دمت أنا ودامت النجوم
قرونا وقرونا فرآنا أجدادكم الأولون وهكذا أنتم لنا الأئمة تنظرون . وأما أنا أراها الجوهرى وما النجوم إلا
ضرب أمثال للدوام الروحى فأرواحكم دائمة كدامت أنوارى على توالى القرون والسنين وأشرقت في نفس هذه
البقعة ورآها من قبلكم وسيرها من بعدكم . نحن تذكر لكم بأمرين : جمال الله الدائم الباقي وإن اعترتكم
الحوادث المزعجات للهلكات . وبقاء أرواحكم على مدى الزمان .

إن هذه الخواطر كلها قد استغرقت عقلى وأثرت في نفسى وكأنى غير واع لما حولى . وكنت أخشى أن
يمر إنسان فيكون سلامه على قاطعا للفكر فكان ذلك وسلم رجل فرددت سلامه ولكن الفكر لم ينقطع
بل ازداد وضوحا وكأنى أقرأ في وجه البدر الذى فهمت من منظره هذه المعانى آيات أخرى . ذلك أن العباد
في الأمم الإسلامية أشبه بذلك النجم الذى ظهر من خلال الحلات غربا والعالم الحكيم الذى درس العلوم أشبه
بنفس هذا البدر والناس بينهما درجات .

يا عجبيا : إن ذوى العقول الكبيرة في الإسلام إذا قصرُوا أنفُسَهُمْ على علم الفقه أو العبادة كانوا أشبه بهذا
السكران يرى صغيرا جدا فإذا درس نظام هذا العالم كالبدر ، بلمح كحقيقة النجم لأنه كثيرا ما يكون أكبر
من الشمس .

إن المسلم إما قادر على العلم وإما قادر على منفعة الناس وإما عاجز . فالأول كالبدر إذا درس العلم والثانى
ينفعهم في دولهم وأمورهم العامة . والثالث لعجزه يقتصر على العبادة وحدها . ومن الجهل والبلادة أن تكون
العقول الكبيرة محصورة في العبادة اللفظية ، بل عليهم التوغل في العلوم ليكونوا بدور الأمم الإسلام وإلا
فليكونوا ناصيين بالأعمال . وإلا فليكونوا في المساجد وهذه آخر للنازل التي تشبه النجم وهو صغير في نظر
الإنسان . هذا آخر ما فهمته من مناظر البدر والنجوم والشجر والزرع والحمد لله رب العالمين .

جوهره في قوله تعالى « أولم نمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير »

(تذكرنى)

هأنا ذا أيها المسلمون قبل أن أفارق هذا العالم أكتب إليكم تذكرى ونذرى . أكثر هذا النوع الإنسانى
لا يعيش فوق الستين ، وقليل منهم من يعيش إلى السبعين ، والنادر من يجاوز ذلك إلى المائة . والشاذ
جدا يجاوزها .

نظرت في هذا العمر الإنسانى نظرة غير نظرة الأطباء . الأطباء في عصرنا يقولون : [إن الإنسان يستحق
أن يعيش (٢٠٠) سنة ولكنه بجهلة وشره وعدم انتظام شهوته قطع حياته فمات قبل ذلك] واستدلوا على
ذلك بسكان البادية الذين يعيشون إلى (١٥٠) وأكثر وأقل بلامرض ولا عطب وهم أقوياء الأبدان أهل

صحة وقوة وجمال . ويقولون : [إن الحيوان يعيش ثمانية أمثال مدة نموه والإنسان ينمو إلى (٢٥) سنة وهذا
بشرها في (٨) تساوي (٢٠٠) فاذا حافظ الإنسان على صحته واستغنى عن العقاقير الطبية واكتفى بالمأكل
البسيطة وتعرض للشمس وأكثر من الرياضات الجسمية وعاش عيشة خلوية فإنه يعيش إلى المائتين كما عاش
كل حيوان نصف مدة نموه ثمان مرات] .

هذا حكم الأطباء وقد ذكرته في ثنايا هذا التفسير ، وقد أجمعوا على أن ترك الشهوات والتعم والاكتفاء
بأبسط الأطعمة خير ما ينفع في ذلك ، ويستحسنون أكل الفواكه فإن أمكن. الافتصار عليها فيها وتمت وإلا
استعان الإنسان بالحبوب والحضر وامتنع عن أكل جميع التوابل ولا يشرب قهوة ولا خمر ولا شاهيا وهو
الشاي للسرف ولا يدخن التبغ . ويستحسنون أن يستغنى بالفواكه عن السكر ويقلل من الملح ويأكل
الحز بلا غل . اقرأ هذا في سورة الشعراء عند آية « وإذا مرضت فهو يشفين » وفي طه عند ذكر آدم
في آخر السورة وفي أول سورة الحجر عند قصة آدم وفي سورة الأعراف عند قوله تعالى « ولا تسرفوا »
وفي سورة البقرة عند آية « أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير » فتجد في بعضها ما قرره ابن خلدون
في مقدمته من أن الذين اقتصروا على طعام الدرة والزيت لم يقربهم الطاعون . أما الذين أكلوا أنواع اللحوم
والأدهان ونوعوا الألوان فإن الطاعون يبيدهم ويفنيهم لإقبيلا ، وقال إن الأولين يتصفون بالصحة والذكاء
والجمال والعلم والعبادة وحسن الخلق وشفاء العيش والشجاعة وأن الآخرين يتصفون بالمرض والبلادة وقبح
الصورة والجهل وترك العبادة وسوء الخلق وكدر العيش والجن .

هذا كلام الأطباء فارجع إليه . وإنما ذكرته هنا لأذكرك بعلم الطب وترجع فتدرس ذلك قياما بحق
جسمك ورقيا لأمتك وإسمادك في حياتك إذا كنت مستعدا لها ومع هذا كله لست الآن في مقام كلام
الأطباء ، بل أنا في مقام آخر وهو آتى أفسر آية « أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر » فأريد أن أبين لك
ما يحتاج قلبى في هذه الحياة وما أعرفه من نذرها تذكره لك وتنشيطا للمسلمين وذكرى لقوم يعلمون .

هذه هي تذكرنى في الحياة . لقد نظرت في حياة الناس على الأرض فوجدت أكثر الآجال مناسبة لهذا
العالم الأرضى . فليقل الأطباء ما شاءوا ، وليقولوا إن الناس قد أساءوا في صحتهم وأكثروا ألوان الطعام والشراب
والتفانى في اللهكات واللذات اللآئى بمنى لذة الحياة ويحطن الإنسان بالأسقام والملل وتغيب الحياة وقصر
العمر فليقولوا ذلك ، ولكن هذا الإنسان على ما به من عوج رأياه يعلم في الأمم الراقية وينتهى تعليمه
فيما بين العشرين والثلاثين غالبا فنجد حاز درجات التفوق في العلم والفنون وأخذ بعد ذلك بفيض من علمه
على أمته . وبعبارة أخرى رأينا مدة النمو التي ذكرها وهي (٢٥) سنة هي المدة التي ينمو فيها علمه فكأن
نمو الجسد ونمو العلم فرسا رهان معا يتبددان معا يتهيان غالبا ، ثم يعقب تلك المدة أننا نراه يأخذ
في الأعمال ويؤلف الكتب وينشر العلوم بين الناس وليس لنا في الحياة إلا علم أولا وعمل ثانيا ، فالعلم حصلناه
في سن النمو والعمل متصل به ، إذن هذا العمر مع قصره قد أدى الوظيفتين وظيفة العلم في سن النمو ووظيفة
العمل في السن التي بعدها ، أما قولهم إنه مستعد أن يعيش فوق ذلك فرجما يكون بعض مقلوه حينما يرتقى
الإنسان عن هذه الحال ويعرف حقا أن سعادة الحياة ليست باللذات الحسية ، بل بالصحة والعافية والعلم والحكمة
والمساعدة العامة ، تلك اللذات التي لا يعرفها إلا من نالها ، وهيات أن يقدر على وصفها لغيره من الناس
الذين لم ينالوها .

هذه تذكرنى في أمر الحياة إجمالا ، أما تذكرنى فيها أنذر به الإنسان في هذه الحياة فما أنا ذا أحدثك
عنه فإنه أم مما قبله فأقول :

إني وجدت هذه الحياة ترجع إلى (أربعة أشياء) (١) ألم (٢) وأمل (٣) وعمل (٤) وحب وغرام
فالثلاثة الأولى مقدمات والرابعة هي نتيجة الحياة .

﴿الألم﴾

أما الألم فهناك وصفه إجمالاً فقد ذكرته في غير ما موضع ولكن ألخصه لك تلخيصاً فأقول :
لا ألم في هذا الوجود إلا لإسعادنا ، الحياة كماء التهر ولا سيل لحفظ الماء إلا بالجسور هكذا هذه الحياة
لأنعام لها ولا بقاء إلا بالألام ، فألم الجوع به طلبنا الطعام فدامت الحياة ، ومثله ألم العطش فلنا الري ، وألم الشبق
فكانت الدرية وألم الفقر فلنا المال ، وألم التله فلنا العزة ، وألم الخمول فلنا الظهور والمجد ، وألم الدم بوصفنا
بالبخيل فأنصفنا بالكرم ، وألم الدم بالخوز والجبن فكسبنا الشجاعة وألم للرض فتداوينا فرجعت الصحة .
الأمنا كلها خلقت لإسعادنا ولا شقوة في هذا الوجود إلا لنتيجة نافعة . وإذا رضينا أن نقطع عضواً من
أعضائنا خيفة أن يصاب بقية الجسم بما أصابه واستعملنا الحمية في أمراضنا طلباً للصحة فإن النتيجة لذلك كله
متافئنا . فإذا كانت هذه أفعالنا مع قسور علمنا فهكذا نتذكر أن كوارث هذه الدنيا على هذا النمط من
فحط وزلازل وإهلاك بلاد وإغراق سفن . فهذه كلها أشبه بقطع سلعة من الجسم وإن كنا ندرك حكمة قطعها
من جسمنا ولكننا نعجز عن إدراك الحكمة في قطعها من الجسم العام كله ، بل علماء الاقتصاد أدركوا أن
الزلازل بها تظهر تربة جديدة فيها خصب لانظير له في التربة كما تقدم في أول (سورة سبأ) فقرأه هناك عند
آية «يعلم ما يلج في الأرض» الخ .

تنظر في أحوال هذه المخلوقات الحيوانية فتجد أربع لذات وأربعة آلام والآلام سابقات على اللذات :
(١) نرى لذة المآكل والشارب واللباس والسكن سبقتها آلام العرى أو توهمه وخوف البرد والحر
والضيعة بين الناس . فالآلام هذا النوع من موارد الحياة سبب لطلب الطعام والشراب واللباس والسكن ،
فهنا ألم تبعه أمل ثم يكون الجهد والتشهير في طلب هذه اللذات ثم تكون اللذة بها ، فهنا ألم تبعه أمل
أوجب العمل لحصول اللذات وقد لازمه الشوق والغرام للطلب .

(٢) ثم نرى الناس والحيوان جميعاً يسعون لاجتماع الذكر والأنثى ، فهناك ألم يتبعه أمل في الاجتماع
فيكون العمل لطلب الشريك من ذلك النوع من الإنسان أو غيره والحب هنا قوى متين والغرام لازم ،
فاجتماع الصنفين الذكر والأنثى يزول آلام الشبق ، وبظهور الجمال والواقفة والأنس تزداد اللذة كما تزداد
السعادة في أنواع الطعام والشراب بجمال المائدة وحسن الطهي وجمال الرواق ويتبع ذلك ما يرى في الزروع
والأشجار من الجمال والبهجة والحسن والإشراق . كل ذلك مرغوب في المحافظة على النبات ليتم نضجه فالجمال
صاحب للطعام في حقولها وفي إبان تماطيلها وهذا كله يزيد اللذة والانبساط والأنس .

(٣) ثم نرى هنا درجة ثالثة أعلى من السابقتين وهي أن الأبوين اللذين تماشقا لمنفعتهما الخاصة وفرحا
بالذات والجمال فزالت آلام الشبق وحصل على بهجة وأنس وموافقة لمتما الأعين بمحاسن الناظر والأسباع
بجذب الألفاظ وحاسة الدوق بما يناسبها ، كما تمتا الأعين بمناظر الزرع وبهجة الانتظام في مواعيدها وما كلفها
ومشاربها ، ومتما حاسة الدوق بألوان الطعام .

أقول : إن هذين الأبوين اللذين ظنا في أول الاقتران أنهما اقترنا لحصول لمتنهما الشهوية لا غير وأن
ما يتماطيلانه من الطعام والشراب واللباس لم يكن إلا لأجل بقائهما وحدهما ، تراهما بعد ذلك قد أخذنا
يزيان النبات والبنين وأن الجمال منهما قد ذهب وحل محله الضعف والتحول وأخذنا يضمحلان وابتغيات
التبيلات منهما إلى أبنائهما وبناتهما وبعد أن كانا يتهاديا أصبحا مما يقدمان أموالهما وما يملكان إلى الدرية

فيظهر للحكيم من هذا الكتاب للسطر أمام الناس يرونه بأعينهم ولا يفقهونه وهم مسوقون مساكين مسخرون أنه لا فرق بين أهل الشرق والغرب في ذلك التسخير ولا بين الإنسان والحيوان فكلامهم مسخرون ولا يدرون إلى أين يساقون ، يساقون في الحياة كما يساقون في الديانات ويساقون في الحكومات . فأهل هذه الأرض على وتيرة واحدة تقليد أعمى في الديانات وأحوال الحياة ولا حياة لأجسامهم إلا بسائق الأم وقائد اللذة للذوق وللمعين ولا بقاء لأنواعهم إلا بسائق الشبق وقائد اللذات . فالعين لها نظار المجال وشهوة الذوق لها لذة الوصال وإذا ولدوا الذرية ساقهم آلام الرحمة للسلطات على قلوبهم إلى الإرضاع والتربية وشاقهم صداقة الأبناء وظهورهم وقيامهم بأمرهم في الكبر وهنا ظهر عالم جديد عالم أرقى من سابقه . نرى الحيوان في الدرجة الوسطى يتنزل ويهوى الجمال ويموت غراما وينشد الأشعار وينصب أشراك الحب لصيد الم محبوب وهو في كل ذلك لا يدري أن هذا كله وسيلة لا غاية . وما الغاية إلا الدرجة الثالثة التي ظهر فيها رحمة الولد والمطف عليه فاما مقام آلام الشبق هناك فهذا سائق هنا كما ساق الشبق هناك ، وإن انتظر نبوغ الولد وأن يقوم مقام الأبوين بعد موتها يقوم مقام الجمال للطلوب والأنس للرغوب وهو شائق إذن الفرح بمنافع الولد هنا قائم مقام الجمال للطلوب هناك وكلامها شائق . وآلام القلب والمطف على الولد السائق هنا كالشبق السائق هناك . الله أكبر وصلنا إلى اللطوب في هذه الحياة وهو أن خلقنا يدل على أن سعادتنا العظمى لا تحصل إلا بتوجيه المهمة لإسعاد سوانا .

أنا أكتب هذا القول ولا حجة عندي فيه إلا الطبيعة الشاهدة فأنا أكتبها لأهل الشرق ولأهل الغرب فهذا علم قام بالحجة ولا مناقض له . فليقل أهل الشرق وليقل أهل الغرب ماشاءوا وليفسر الفلاسفة والحكماء في هذه الدرجات الثلاث . اليسوا يشاهدونها في نفوسهم ، ومن حق الحكماء بعد ذلك أن يسألوا أنفسهم لم هذه اللشاق كلها في الحياة ؟ ولم نجد النبات لا يتب في تحصيل قوته ولله أعمال كثيرة في التناسل ، فالزهرة تلتقع بواسطة الهواء أو اللحاء أو الحشرات وهن هادئات . وقوت النبات مما حوله ثم تنظر فتجد أدنى الحيوان لا يكون ذكرا وأنثى . كلا . فقد تقدم في (سورة مريم) الكلام على الحمار وأن المهارة تلد الألووف وهي تقوم مقام الذكر ومقام الأنثى فلا غرام ولا عشق ولا هجران ولا حرمان ، وهناك حيوانات دينيات متى كبرت تفجرت فتقطع الحيوان الواحد إلى قطع كل منها يصبح حيوانا آخر وهذه الحيوانات تملأ البر والبحر وقد تقدم أن من أدنى الحيوان ما يكون تاسله . بالا تقسام بحيث يكون (٢) و (٤) و (٨) وهكذا أي أن كل واحد ينقسم إلى اثنين وكل منهما ينقسم إلى اثنين وهكذا إلى ما لا نهاية له وحيوانات الحيوانات بالخلافة لأن الحيوان الأصلي موجود ، ولما انقسم اثنين وهذان انقسما قلنا إنه حيوان خالد فأين الموت الأهم إلا لنا أحرق أو منع عنه الماء ، كل هذا تقدم في هذا التفسير . فهنا نقول لم هذه اللشاق كلها في نوع الإنسان ؟ ولم أخرم كثير جزءة وجميل يبيئنة وتوبة بليلى ولم نسمع الهوى العذرى الذي يستولى على عقل الشباب فيموت في هوى من أحبا كما نسمع في هذه الأيام بما يحصل في اليابان من الهوى العذرى كما كان عند قبيلة بني عذرة .

الحكيم إذا سمع ذلك يقول : لا مفضل في الوجود ولا بد لهذا النصب من نتيجة في أخلاق الإنسان . وعسى أن تكون النتيجة في المرتبة الرابعة وهي مرتبة الحكماء . في هذه الأرض أناس عقولهم أرق ونفوسهم أسنى جاءوا إلى هذه الأرض وهم مفكرون فيها . فهؤلاء يقولون : [إن هذه الإنسانية آراؤها كلها محدودة والحيوان عندهم تقف أغراضها عند مقاصد جزئية ، وهم درجات بعضها فوق بعض يكتفي أحدهم بالمال والآخر بالنساء والثالث بالبنين والقناطير للقنطرة من الذهب والنفضة والحيل للسومة والأنعام والحرب . ويتعالى قوم

إلى أعلى من ذلك فيكونون محافظين على المجموع كالأمراء والحكام والملوك وهؤلاء يعطون إذا كانوا صادقين على المجموع عطف الأبوين على التربية ولهم لذات على مقدار ما يعملون أرقى من لذات الأبوين بالتربية لذات التماشقين بدليل أن أنجد القواد إبان الحرب لا توجه همهم إلا إلى غلبة العدو وأن الملك مقدم عند عقلائهم على معشوقه فإذا توقف حوز الملك على تركها تركها لأن لذة الملك أعلى لأنها عقلية ولذة الاقتران بالأشياء حسية واللذة العقلية أعلى من الحسية . ثم ينظر هؤلاء الحكماء نظرة عامة في حال الناس فيقولون :

(١) نحن عرفنا أن السوائق والقوائد في المراتب الثلاث للتقدمة لم زها إلا في الحيوانات العليا . أما الدنيئة فلا ، وكلما ارتقى الحيوان وجدنا فيه هذه الأحوال أشد وزى عطفه على الولد أكل فلنجعل هذه مقدمة بنى عليها نتأجنا في مستقبلنا مع الناس ، ولبينا وشربنا وذقنا الحلو والمر وعاشرنا الأزواج ويقولون أيضا نحن أكلنا وولدنا كما يلدون فوجدنا أن آخر المراتب تتأجج القدمات . وهناك أناس تولوا المحافظة على المجموع ولهم لذة على مقدار تلك المحافظة وهي أعلى كما تقدم .

(٢) فأين ميزتنا إذن إذا وقفنا عند هذا الحد . نحن نحب أن تتجاوز هذه المراتب الثلاث وملحقاتها فلا نكتفى بالتربية ولا بالملك لأن هذه كلها لذات محدودة مشوبة بالكدر والحزن والأسى في التربية والعزل وكيد الأعداء في الملك ولكل من الناس درجة يصل إليها ولا يتعداها . أما نحن فإننا لا نتف عند هذه الدرجات بل لننظر نظرة أعلى فنقول ؛

(٣) إذا ثبت أن هناك عشقا بين الذكر والأنثى وأن هذا العشق أشج التربية . فالدرجة الثانية أنتجت الدرجة الثالثة التي هي أعلى منها ، فنحن نشق عشقا أعلى وهي مباحث هذا الوجود كله فندرسه وننقله لأننا أهل له وهذا العشق لا تنص فيه ، وحكمة العشق الحيواني أنه مؤهل للعشق العلى وهذا العشق لا نهاية لمداه فهو نفسه لذة لا يشوبها كدر ولا يترتها قس . وإذا كان العشق الحيواني في الشباب فالعشق العلى يكون في الشباب وزيد في الشباب وهناك تضعف اللذة الحسية وتقوى اللذة العقلية . ثم يقولون إننا رأينا أن الدرجة الثالثة وهي النهاية للحيوان أنه يعطف على الولد ويفرح به . فعطفه عليه بسائق آلام الرأفة والرحمة وفرحه به بسائق اللذة بصحته وعلمه ومنافسه ، ويرمز لهذه الدرجات كلها «لتركبوها وزينة» فالركوب لدفع ألم اللشى والزينة بحصولها في الملك والتباهي بها فهاتان ساريتان في الدرجات كلها .

فما نحن أولاء نعطف على المجموع الإنساني كله ونجد في السعادة بما نملك من قدرة وما نستطيع من علم وما نقدر عليه من صناعة . إذن نحن آباء للناس والناس أبناؤنا . فنحن نعطي الوجود كله والعشق يدعو للوصال والوصال صور للوجودات في النفس ، فنتى أدركنا جمال المواقف الطيبة والسفلية بصورها الطيبة الجميلة فقد نلنا محبوبنا وحصلناه في نفوسنا وهذا هو الوصال الحقيقي لأن المهيمن لا يطلبان إلا اتحاد النفوس . أما الوصال للشهور الجسمي فهو وصال حسي يحبه فنور الحب نوما ما . أما تحصيل صور للوجودات من حيث حقائقها فذلك هو اللذة التي نحس بها والناس حولنا تأمرون جاهلون تأمرون لا يشعرون ما نحس به من الجمال ومستحيل أن يصل الإنسان لذلك إلا بدراسة مقدار كاف من العلوم الرياضية والطبيعية والحكمة .

فنحن بهذا نلنا أعلى اللذات في مقابلة أحسبها التي نلناها ونحن هاؤمون كبقية الشبان . وإذا رأينا أن نهاية هذا الإنسان إنما هي التربية والتربية ؛ فما نحن أولاء نسمى لتربية الجميع ، زبى للولك والسوقة ونعطف على الكبار والصغار والفقراء والأغنياء ونحس في ذلك بلذة تقطع دونها الأعناق .

ولنا في هذا الوجود نظرة عامة بعد ذلك فنقول : ها هنا إشراق للشمس وضوء للكواكب والقمير ، أرسلت هذه لنا من غير عمل منا ، وهذا الضوء لولا لم تسكن لنا حياة وقد أحسننا في أنفسنا بأعمالنا القليلة وإحساننا بسعادة على مقدار ما زاولنا من إسعاد أبناء نوعنا . ورأينا أن العلماء والحكماء يحبون عموم الناس نظرا لعموم نعمهم وأن الآباء يحبون الأبناء أكثر من حب الأبناء للآباء لأن الدائن يجب بقاء الدين والعالم يجب للتعلم ، والمحسن يجب من أحسن إليه أكثر من حب الآخرين للأولين . فهذه الأنوار للشرقة وأنواع السعادات في الأرض والهواء والماء والأرض والكواكب . كل هذه ليس لنا فيها عمل . ولقد وجدنا أنفسنا نعيش بينها وتلقى للنافع من ذات لا تراها . أفلا نقول على سبيل القياس التمثيلي وإن لم يكن يقينا إن هذا الإحسان لم يكن إلا بناء على حب وأن تلك الذات لما أحببت وجود المخلوقات نوعها ووضعت كلاً في مرتبته وهذه الذات هي التي جعلت بعض الناس فرحين بالبرك والمستنعمات وأفرحت القيران بالمراحض كما أفرحت النحل بالبساتين وأفرحت العلماء بإدراك ذلك كله وأن استمداد الحكماء أرقى من استمداد جميع المخلوقات في هذه الأرض بعد الأنبياء ، فلذلك كثر المهامم وتعليمهم وآثارهم وإرشادهم لأهل الأرض إخوانهم ، وإن أعظم الحب من تلك الذات قد اختص به أولئك الحكماء بعد الأنبياء بدليل أنهم أدركوا الجمال فملوا وألمهوا رحمة العباد فمطفوا عليهم ، فهم إذن صفوة الله في أرضه بعد الأنبياء بهذا البرهان ولذاتهم الحقيقية أعلى من لذات الناس بعد الأنبياء أيضا . ثم يقولون : وإذا كنا نعلم أن تلك الذات القدسة المحجوبة عنا نجبتنا حبا أكثر من جنتنا لها بدليل هذه النعم وأن المحسن أوفر حبا لمن أحسن إليهم منهم له وأن كل جمال وبهاء وحسن وإنعام فإنما هي مظاهر ذاته القدسة . أفلا يكون ذلك محفزنا إلى حبه والغرام به والشوق للاقائه ثم نجعل كل حياتنا وقفا على رضائه بإسعاد عباده وبقضاء آثاره فنفسكر في سعادة هذا الإنسان للسكين فنجد أنه لا يزال في الجاهالة مغمورا . ذلك أنه في الشرق والغرب عاش مقطوع الأوصال لا يربطه تربطه ولا جامعة تجمعهم إذ جعل اختلاف الأوطان والقبائل والممالك أسبابا للقتال ، كل ذلك منه جهل وغباء . ذلك أنه لم يدرس جسمه ولو درس جسمه لوجد أن جميع الجسم متصل بالأعصاب ومق اختل منها عضو أسرع الطبيب بإحضار الدواء وتتوارد الحيوانات التي في الدم من السكرات الحمراء والسكرات البيضاء فتجتمع على ذلك المرض ويساعدها الدواء من الخارج فيبرأ المريض . فهكذا فليكن هذا النوع الإنساني بعد ما اتصلت الأمم بالمواصلات في زماننا . فإذا حصل لإحداها شيق أو كرب فلتقم الأمم كلها لها بالمساعدة والاتصال اليوم سهل . فأما إذا كانت تلك الأمة لا تصلح للمساعدة وزاد توحشها ولم تنجع الوسائل في تعليمها وإسعادها فلتقطع من جسم الإنسانية العامة كما يقطع العضو المريض إذا لم يشف فيه الدواء .

هذه هي نهاية آراء الحكماء في مستقبل الزمان ، فهم سيقولون للأمم : لتسكن أيها الأمم مساعدات بسكنى بضا ، ومن لم يكن عندها استمداد لمساعدة المجموع وغلبت عليها عقائدها للورثة فلتحتل الأمم كلها في تعليمها . فإذا فشلت جميع الطرق فلتبذ تلك الأمة ولتتركها جميع الأمم مهمة . وآخر الطب السكي وهناك يسود السلام وتم سعادة الإنسان .

فهؤلاء الحكماء الذين هذه آراؤهم يفرحون من الآن بالسعادة . وهؤلاء هم الذين يفهمون آية وسلام قولنا من رب رحيم « لأن للرب الرحيم الذي عرفوه قد ألهمهم السلام من الآن . ذلك أنهم أيقنوا بأن الأمراض ما هي إلا منفردات تعود للإصلاح واللوت خلاص من أسر هذه الطبيعة ورجوع إلى السكال

المطلق وأى سلام بعد هذا . فهؤلاء . لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم
توعدون .

بل هذه البشارة عندهم ، وهم في هذه الحياة والملائكة المذكورون هم معهم الآن يلهمونهم العلوم والمعارف
لعلهم أنهم يشنونها لأنهم . فالملائكة يدخلون عليهم من كل باب يوم القيامة ويلهمونهم هذه العلوم الموجبات
للسلام والأمان فيلقون العلوم للناس وهم بها مطمئنون ولا يباليون بالأعداء ولا بالخصوم والحاسدين ، فهؤلاء
لا خوف عليهم في المستقبل ولا هم يحزنون على ماضي والملائكة تنزل عليهم وتلهمهم ذلك في الحياة وإن لم يروهم
وبعد الموت وهم إليهم ينظرون .

هذا ما تذكره عند تفسير هذه الآية وهي قوله تعالى «أو لم نمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير»
الله عمرق في الأرض سنين ، وسنين وهذه تذكرى لمن بعدى من المسلمين والناس أجمعين ، والحمد لله
رب العالمين .

انتهى تفسير (سورة فاطر) يوم الجمعة ٢٣ مايو سنة ١٩٣٠م و ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٤٨ هجرية .

تفسير سورة يس

هي مكية

(إلا قوله تعالى « وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين » فمدنية)
(آياتها ٨٣ « نزلت بعد الجن)

والكلام على هذه السورة في (أربع فصول : الفصل الأول) في تفسير البسملة (الفصل الثاني) في تفسير الألفاظ (الفصل الثالث) في ذكر ما كتبت فسرتها به منذ سنين لتكون مائة معانيها أمام القاري ملخصة مجتمعة (الفصل الرابع) في العجائب العلمية من سائر العلوم لاسيما علم الكيمياء وكيف كانت لفظة (يس) التي ابتدأت بها السورة تشير إلى التعليل وقد ظهر ذلك في قوله تعالى « الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا » مما يمت في الأئدة شوقا إلى الحكمة وميلا إلى التعلم وحبا في الاستطلاع العجائب والحكم الكونية وغرائب العلم .

الفصل الأول في تفسير البسملة

(مقدمة)

اعلم أن العوالم التي نعيش فيها تجري على وتيرة واحدة وأسلوب خاص لا يتغير ، وذلك أنك ترى اليوم يولد بتروق الشمس ، ويظهر ضحى ، ويشد وقت الزوال ، ويضعف وقت العصر ، وينتهي وقت الغروب هكذا السنة فلها ولادة إذا حل فصل الربيع ونزلت الشمس برج الحمل وأخذت الحياة تدب في الأرض وذاب الثلج ، ودبت الحشرات وانبتت من مراقدها . وقامت الزواحف من نومتها ، وسعت الحيات لحياتها ، وأورقت الأشجار وأزهرت الأغصان وأثمرت الحدائق وأخذت الأرض زخرفها وازينت . فإذا حلت الشمس برج السرطان هناك يأخذ النهار في القصر والليل في الطول وتنضج الثمار وتكون الدنيا أشبه بامرأة كاملة تكلا أبناءها وتحفظ صفارها وتعطف عليهم وهم مبهجون ، فإذا جاء فصل الحريف وحلت الشمس في برج الميزان فهناك يتدل الليل والنهار ثم يأخذ النهار في القصر والليل في الطول وتكون الدنيا أشبه بامرأة هرمة ولي شبابها وأدبرت أيامها وسامت حالها ، فإذا جاء فصل الشتاء وحلت الشمس برج الجدى هنالك تدخل الحيات في أوكارها وتتوارى الحشرات في بيوتهم وتقف الحركات ويخيم السكون على أرجائها وتكون الدنيا أشبه بعثة هامدة لا حراك لها وهكذا تبقى حتى إذا جاء فصل الربيع وحلت الشمس برج الحمل وهكذا دواليك كما قال تعالى « الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء » .

فهذا نفسه هو حكم الإنسان ، فهو في أول حياته كالיום إذا أشرقت الشمس ، وهو في شبابه كالشمس في ضحاها نهارا . وفي استوائه رجلا كاملا كالشمس إذا توسطت كبد السماء وكان الزوال ، فإذا ولت أيامه وأدبر شبابه وأقبل هرمه كان كالشمس إذا آذنت بالمنيب وفارقت أهل الأرض وهم لها وامقون ، وهكذا صباه أشبه بفصل الربيع وقتوته واستوائه رجلا أشبه بوقت الزوال ، فإذا ولي زمانه وشابت مفارقة وانحلت مفاصله

واصفر لونه كان أشبه بالسنة إذا حل فصل الحريف وأخذت تنحل عراها وتضعف قواها فإذا ما حل في الرمس وودعوه كالأمس كان كفصل الشتاء وهكذا دواليك . ومثل ذلك كله الأمم :

(١) فلها ولادة كولادة الإنسان تبعاً فيها بقراءة تواريخ الأمم ودراسة الآثار وتضرب الأمثال كالطفل إذا ابتداء يفتح عينيه فإنه إذ ذاك يأخذ يبحث فيما حوله ليتخذ مثالا يقتدى به ومنوالا ينسج عليه وسبيلا يهتجه ومهيماً معبداً (بتشديد الباء) يسلكه .

(٢) ولها أيام فتوة وقوة وعظمة إذا اشتد كاهلها وعظمت مسرتها وقويت شكيبتها كالإنسان أيام فتوته وتعام رجولته ، وكالسنة في فصل الصيف .

(٣) ولها أيام انحطاط وضعف كما تنحط الشمس ذاهبة إلى الغروب كل يوم وكالشمس تدخل في برج الميزان وبأخذ النهار في القصر والليل في الزيادة .

(٤) وأيام موت كوت الإنسان وإقبال الليل وحلول فصل الشتاء .

إذا عرفت هذا أيها الذكي فلتعلم أن الأمم الأرضية كانت أيام النبوة قد اعترها خمول وضعف كخمول السنين وموتها أيام الشتاء ، فلما أن ظهر الإسلام ثارت العرائم وانتشر العمران وهاجت الأرض وماجت وانبعثت للدينة فيها ككرة أخرى ، إذ تدهورت المدن القديمة في القرس والرومان وحلت محلها مدن حديثة وأخذ العرب الذين كانوا مبشرين في الصحراء لاجمعة لهم يستخرجون العلوم من مكائنها ويدرسون تواريخ أمم القرس والروم ويقرون علوم الأمم شأن الصبي أيام طفولته والحيوانات في فصل الربيع ، إذ تخرج من أوكارها وتقوم من أجحارها كأنها مبعوثة من أجدانها منتشرة في الأرض تسعى حثيثاً للحياة ، فلما أن استقر قرار الأمم الإسلامية في أواخر القرن الثاني وقد استتب لهم الملك وعظم شأنهم أخذوا يستثمرون مازرعوا ويحصدون ما أنبت لهم مدنيته أيام الدولة الأموية ، فوقفوا الفتوحات قرونا وقرونا حتى إذا كانت أيام الشيخوخة وأيام الضعف كالشمس وقت العصر والسنة في فصل الحريف أخذت أمم التتار تسكنح هذه الأمم فرجع المسلمون أشبه بفصل الشتاء في السنة وبالإنسان إذ مات وبالليل إذا أقبل .

وهاهي ذه الأمم الإسلامية اليوم قد أقبلت أيام شبابها وحلت شمسها في برج الحمل ، وهام أولاء يبحثون في كتب الأمم ويقرون تاريخها شأن الطفل أيام طفولته إذ يقلد ماحوله والحيوانات للنتشرات في فصل الربيع وشأن المسلمين في القرون الأولى أيام ظهور النبوة ، وهذا التفسير قد ظهر اليوم في إبان صبا الإسلام بعد نوم الأمم الإسلامية في شتاء دهرهم وخمولهم ونومهم العميق ، ويريد الله أن يوقظهم من كهفهم ويحيي مجددهم بعد موتهم . فماذا يفعلون ؟ يقرون أمثال هذه السورة (سورة يس) . فماذا يقابلهم في أولها ؟ فأول ما يسمعون منها قبلها بالقرآن على صحة الرسالة كالقسم بالنجم إذا هوى على أنه صلى الله عليه وسلم ماضل وماغوى فهذه تنزع أسماء المسلمين اليوم فيقول حكماؤهم : حقا إن النجم هو الذي يهدي الضالين السارين في ظلمات الليالي الحارئين في الصجاري والقمار لا يهتدون سبيلا ولا يجدون دليلا وهكذا سفن البحار تضل في أمواجها وتصطدم في شعابها فلا تجد لها واقيا يقمها ولا هاديا يهديها إلا بيت الإبرة (البوصلة البحرية) فهي التي تنير لهم السبل وتهديهم إلى سواء الصراط في لجاج البحار . فالنجم في الصحراء هداية لمسالك الجبال ، وهو في البحر هدى للريان . وقوام الهداية تلك البوصلة التي تتجه بالمغناطيسية شمالا وجنوبا منحرفة انحرافا قليلا بقوانين لها علوم خاصة تعرف الريان الشرق والغرب والشمال والجنوب . وهنالك يدرس النجوم وأما كتبها فهتدى بها في ظلمات البحر . فهذا هو النجم الذي أقسم الله به حين هوى على أن النبي صلى الله عليه وسلم ماضل وماغوى . ولا ريب أن النجم إذا كان في وسط السماء لا يهدي وإنما هدايته إذ هوى والقرآن الحكيم في (سورة يس) هنا يهدي كما يهدي النجم لذلك أقسم به على أنه من المرسلين على صراط مستقيم لأن هدايته كهداية النجم ، وكأن للنجم علوما تعرف أما كنهه في السماء وبوصلة تهبنا إلى طريقه هكذا هذا القرآن لانتم الهداية به إلا

بعلوم وعلوم . فهداية النجم نفتقر معها إلى علوم هكذا هداية القرآن لا بد معها من علوم والعلوم التي في هذه السورة وطرق الهداية فيها إلى الصراط المستقيم لا تعدو سنة مسير الشمس في اليوم وفي السنة ونظام الدول في أول ظهورها . ألا ترى رعاك الله أن السورة مبدوءة بضرب للثل بأصحاب القرية التي جاءها المرسلون وكان هؤلاء المرسلين أنصار وأعداء واتى أمرهم بأن غلب الحق الباطل ، فهذا سبيل الأمم في أول ظهورها تقرأ التاريخ وتعتبر به كالطفل يحب ويدرس ما حوله والحيوانات خارجات من مخابها منتشرات في فصل الربيع وكالأمم العربية إذ بزغت شمسها أيام النبوة . فهامى ذه أمم الاسلام تعيد سيرتها الأولى إذ أخذت تدرس تواريخ الأمم العربية السابقة أيام النبوة وقبل النبوة ، وتدرس تاريخ الأمم التي حدثت بعد ذلك جيلا جيلا وتستخرج خلاصتها وتقوم من نومتها وتستيقظ من رقدتها وتخرج من كهفها .

لم يقص الله علينا قصص أصحاب القرية لقتصر عليهم . كلا ، والله . ألم يقل « واضرب لهم مثلا » فهذا مجرد مثل والثل به تكون الذكري والذكرى تنفع للمؤمنين . لحياة الأمم شباب ثم قوة ونعم ثم انحطاط وضعف ، فهي في أيام الشباب تقرأ علوم لغاتها وتاريخ أجدادها وتدرس الأمم المحيطة بها فإذا أدركت ذلك كله عرفت أنه لا مناص لها من إدارة شئون هذه الأرض ، فهناك تفرس الأشجار وتحفر الأنهار وتقرأ العلوم وهذا هو قوله تعالى « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حيا » وهاتنا أخذ يذكر الجنات والزروع والتار والشمس والقمر والسنن ، فيها في هذه السورة (ثلاث درجات) :

(١) درجة الاستيقاظ لمراسة الآثار البائدة والأمم الحامدة ولأيام الحالية كالبحث عن آثارهم في أحجارهم وكنائسهم في قبورهم وأخبارهم في تواريخهم وهناك يسمعون « يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون » بعد ما سمعوا أن صيحة واحدة أخذتهم فاذا هم خامدون . غمود الأمم أعقبها الحسرة عليهم ، فتواريخ الأمم للاعتبار بحوادثها وللاعتناء بعلومها وهناك يقول الشاعر :

باتوا على قلل الأجيال تحرسهم	غلب الرجال فلم تفهم القلل
وأزولوا بعد عز من مراتبهم	وأودعوا حفرا يابئسما زلوا
أين الوجوه التي كانت منعمة	من دونها تضرب الأستار والكلل
أجاب سائلهم في القبر قائلهم	تلك الوجوه عليها اللود يقتل
فظالما أكلوا يوما وما شربوا	فأصبحوا بعد طول الأكل قدأكلوا

فهؤلاء أحق بالحسرة وبهم يكون الاعتبار ، فهم مضروبون لنا مثلا . فإذا سمعنا الله يضرب لنا مثلا بأصحاب القرية فلنقل نحن ما أكثر الأمثال الإسلامية التي خلفت تلك الأمم البائدة لما أعرضت وقمت مشمخرة وذهبت كأس الدابر . فهذه دولة العرب في الشرق ذهبت ريحها وخر عليها السقف من فوقها إذ أبادها التار وكذلك لما تخاذلوا في بلاد الأندلس سطت عليهم الجيوش الجرارة من أمم الفرنجة وهم غافلون فأخرجوهم من أوروبا وهؤلاء أبناؤهم مشتقون في طول الأرض وعرضها وسيجمع الله شملهم كما جمع شمل آبائهم بظهور الاسلام في توبه القشيب كرة أخرى .

تخاذل المسلمون في الأندلس وكانت لهم (٢٠) دولة وهم جاهلون بمن حولهم وقد اتعمسوا في النعم ، وذاقوا سوء التصير . وهاجمي ذه قارة استراليا دخلها الفاتحون فافترض النصر الأصلي في البلاد إلا قليلا وهكذا أهل أمريكا الأصليون وهم الجر للتوحشون . هاهم أولاء أخذوا ينقضون أمام المحتلين . هذه نبذة يسيرة ذكرتها هنا اقتداء بالكتاب العزيز إذ ضرب لنا مثلا فأتبعناه بأمثال تبيينا للقرآن وتذكيرا بالفرقان ، لأن الله يقول « لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » فبمثل هذا يكون التفكير ويمثل هذا يكون التبيان . فهذه هي الدرجة الأولى درجة الاستيقاظ .

(٢) أما الدرجة الثانية فانها آتية بعد عدة سنين في الأمم الاسلامية وقد ظهرت بوادرها وفيها يكون تمام أمرهم وإلها الاشارة بقوله « وآية لهم الأرض اليتة أحييناها » الخ . فهذه الدرجة أشبه بالتحلية بسد التحلية . فالأمة تتخلى أولا عن الجهالة وتنبذ الكسل وتعتبر بالأمم الحالية ويعقب هذا الدور دور العمل إذن الأمم الاسلامية اليوم أشبه بآبائنا أيام ظهور النبوة فتحن اليوم كأبائنا أيام الصحابة وأيام النبوة ابتدأنا حياة جديدة نزاها آخذة في النمو والاستيقاظ في مصر والشام والعراق والفرس والهند وبلاد جاوه والملايو ، وهذه كذلك تماما ، فهام أولاء أخذوا يقرءون تاريخ أسلافهم وتاريخ الأمم ولا يحصى لهم من تولى زعامة الأمم وقيادتها كما قادهآ آباؤهم وكانوا نبراسا للأمم كأيام الدولة العباسية .

(٣) أما الدرجة الثالثة فهي أيام الفناء والزوال وهي المذكورة في هذه السورة من الصحح في السور واتقسام الناس فريقين : فريق في الجنة وفريق في السعير .

ومن عجب أن الرحمة المذكورة في آية البسملة أحاطت بهذه الأقسام الثلاثة فيينا نجد الاعتبار بالأمم في أول السورة بقوله تعالى « تنزيل العزيز الرحيم » إذا أنت ترى دخول الجنة مشمولاً بها إذ يقال لهم « سلام قولا من رب رحيم » فالرحمة في الاعتبار بالأمم البائدة الضرورية لنا أمثالا كالرحمة في انتطاف نمرات الأعمال في الجنان وشرب الرحيق المحتوم ختامه مسك هناك ، فاذا قرأنا تاريخ البائدين فذلك من رحمة الرحمن الرحيم وهي الدرجة الأولى .

وإذا غرسنا الأشجار ونظمتنا الحقول وقطفنا الأزهار وجنينا الثمار فذلك من رحمته ، وإذا دخلنا الجناب وشربنا شراب الحب من كأس كان مزاجها زنجبيلا فذلك من الرحمت ، إذن الرحمة في الاعتبار بالأمم وفي السعادة في الحياة وفي سعادة الجنات واحدة ، لذلك ابتدأ السورة بقوله « بسم الله الرحمن الرحيم » وبهذا تم السكدم على الفصل الأول في تفسير البسملة .

الفصل الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ • وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ • إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ • عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ • تَنْزِيلَ
الْكَرِيمِ • لِنُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ • لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى
أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ • إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ أَغْلَالًا فَهُمْ إِلَى الْآذَانِ فَهُمْ مُسْمِعُونَ •
وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ • وَسَوَاءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ • إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ
بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ • إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ
وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ • وَاصْرَبْ لَهُمْ مَثَلًا لِأَصْحَابِ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ

إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِتَالُوتِ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ * قَالُوا
 مَا آتَيْنَاكُمْ إِلَّا بَشْرًا مِثْلْنَا وَمَا أَنْزَلْنَا الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا تُكْذِبُونَ * قَالُوا رَبُّنَا
 يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ
 تَكُنْهُنَّ لَأَرْنَأَنَّكُمْ وَيَمَسَّتْكُمْ مَنَا عَذَابُ أَلِيمٍ * قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَنْزَلَ
 ذِكْرًا * بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ * وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا
 الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ * وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي
 فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرَدَّنَ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي
 شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ * إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ *
 قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ *
 وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ * إِنْ كَانَتْ إِلَّا
 صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ * يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا
 بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * أَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ *
 وَإِنْ كُلُّ لُتَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ * وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا
 مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَحِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ
 الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ * سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ
 الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ * وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ
 مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ *
 وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ
 وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ * وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ *
 وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ * وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقِذُونَ * إِلَّا
 رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ * وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ *
 وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اقْفُوا

مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطِعِم مِّنْ لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ
 أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * مَا يَنْظُرُونَ
 إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ
 يَرْجِعُونَ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا
 مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ * إِنْ كَانَتْ إِلَّا
 صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ * فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا
 يُحْزَنُ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهِونَ * هُمْ
 وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ * لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ *
 سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ * وَامْتَاذُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي
 آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ
 مُسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ * هَذِهِ جَهَنَّمُ
 الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * أَصَلُّوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ
 وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ
 أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ * وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا
 اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ * وَمَنْ نَعْمَرَهُ نُنكَسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ * وَمَا
 عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ * لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا
 وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا
 مَالِكُونَ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ، وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ
 أَفَلَا يَشْكُرُونَ * وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ * لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ
 وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ * فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُبْسِرُونَ وَمَا يُمْلِنُونَ * أَوَلَمْ
 يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ
 خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ

بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا إِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ *
 أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ
 الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي فِي يَدَيْهِ
 مَلَكَوَاتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ *

التفسير اللفظي

بسم الله الرحمن الرحيم

(بسم) قد اطلعت على ما كتبت على الحروف التي في أوائل السور في أول (آل عمران) من عددها
 ومناسبتها للأوضاع الفلكية والفقرات التشريحية الإنسانية والمعجائب الطبيعية والاستدلال بها على بقاء اللغة
 العربية بعد فناء اللغات الأوروبية كما أوضحه علماء الألمان بالاستنتاج الموافق لرهن القرآن . ولعلك أيضا أت
 ماجاء في (سورة العنكبوت والروم) وما بعدها من إشارة الحروف في أوائلها وفوق ذلك إلى استكناه
 العلوم الحكيمة ونظام العناصر الأرضية وعجائبها الحكيمة والإبداع هناك إلى أن (الم) في أول سورة البقرة
 تزيد على ذلك بالإشارة إلى الاستفهام التقريرى في مسألة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت
 ومسألة إبراهيم والطير والمزير . فهناك قد جاء القول بالفظ (الم) في أوله . ولكن هذا المقام أبداع بيانا
 وأعجب نظاما وأعدل ميزانا وأحسن صنعا وأبداع وضعنا وذلك من ناحية الآراء الاستنتاجية التي فهمتها
 والعلوم الحكيمة التي منها عرفنا الامن حيث نفس الآيات القرآنية فإياها كلها منظمة موزونة هي آيات الكتاب
 وسترى إيضاح هذا للقام في الفصل الرابع إن شاء الله تعالى ويسرك منظره من جمال الصنع وبدائع الحكمة
 ونظام الجمال والجلال (والقرآن الحكيم) أى أقسم بالقرآن ذى الحكمة (إنك لمن المرسلين) الذين هم
 (على صراط مستقيم) أى على طريقة مستقيمة نزل القرآن (تنزيل العزيز) فى مسلكه (الرحيم) بخلفه .
 أرسلت (لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم) أى غير منذر آباؤهم قبلك (فهم غافلون) أى فبقوا غافلين (لتسحق
 القول) لقد وجب القول بالسخط والعذاب (على أكثرهم فهم لا يؤمنون) ذلك لأن الله جعل استعدادهم
 كذلك قلوبهم طبع عليها وهذا يفيد قوله (إننا جعلنا فى أعناقهم أغلالا) جمع غل (فهي) أى الأغلال واصلة
 (إلى الأذقان) مازوقة إليها (فهم مقمحون) مرفوعة رؤوسهم . ذلك لأن طوق الغل الذى فى عنق القمل
 يكون فى ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود خارجا من الحلقة إلى الذقن فلا يمكنه من أن
 يطأطأ رأسه فلا يزال مقمحا ، وهذا كله تمثيل أى متعالم بموانع عن الإيمان تشبه ما ذكر (وجعلنا من
 بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) شبههم بمن أحاط بهم سدان فقطيت أجسامهم
 بحيث لا يرون ما أمامهم وما خلفهم فهم محبوسون فى مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر فى الآيات وتكون
 نتيجة ذلك ما بعده وهو (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) لأن من يرد الله إضلاله لا ينفع تحويفه
 (إنما تنذر من اتبع الذكرك) أى لا ينفع إنذارك إلا من اتبع القرآن (وخشى الرحمن بالغيب) وهو لا يراه

(فبشره بمغفرة) لدنوبه (وأجر كريم . إنا نحن نعي للوفى) للبعث (ونكتب ما قدموا) من خير وشر (وآثارهم) أى ما سنوا من سنة حسنة أو سيئة (وهل شئ) من أعمالهم وغيرها (أحصيناه فى إمام مبین) كتبناه فى اللوح المحفوظ (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية) أى اجعل لهم صفة أصحاب القرية صفة . ثم أبدل من أصحاب القرية إذ من قوله (إذ جاءها المرسلون) وهم رسل عيسى عليه السلام إلى أهل القرية وهى انطاكية (إذ) بدل من إذ الأولى (أرسلنا إليهم اثنين) أى أرسل عيسى بأمرنا اثنين وهما [يوحنا] و [بولس] فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يعزى غنيمات له وهو حبيب التجار فسألها عن حالهما فقالا نحن رسولا عيسى ندعوك من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن وشقى ابنه المريض إذ مساه فأمن وفشا الخبر فى المدينة بأن الأبرص والأكمه يشفيان على أيديهما فشكاهما الناس إلى الملك فحبسهما ، ثم بعث عيسى عليه السلام ثعمون فدخل متتكرا وعاش مع حاشية الملك وصار من أصحابه واحتال فى ذكر قصة الرسولين أمام الملك وقال له اسمع ما يقولانه فدعاهما الملك فحضرا فسألها ثعمون فوصفا الله بالتوحيد والقدرة . ثم أتى بثلام مطموس العينين فدعوا الله له فشق له البصر . فأما الملك فاعترف بأن إلهه لا يسمع ولا يبصر وهكذا حتى مهت مضى له سبعة أيام بدعاهما فأمن قوم وكفر قوم وصاح جبريل بمن لم يؤمن فهل كوا وهذا قوله تعالى (فكذبوهما) أى يوحنا وبولس (فمزنا بثالث) فقوينابثالث وهو ثعمون (فقالوا إنا إليكم مرسلون ، قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا) أى لا مزية لكم علينا (وما أنزل الرحمن من شئ) وحى (إن أنتم إلا تكذبون) فى دعوى رسالته فاتقضت الحال زيادة التأكيد لزيادة الإنكار (قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) هذا استشهاد بعلم الله وهو يجرى مجرى القسم (وما علينا إلا البلاغ المبين) الظاهر البين بالآيات الشاهدة لصحته (قالوا إنا تطيرنا بكم) تشاءمنا بكم (لئن لم تنتهوا) عن مقاتلتكم (لنرجنكم ولنجنسكم منا عذاب أليم ، قالوا طاركم معكم) أى سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم وأعمالكم (أئن ذكرتم) أى أنشاءتم بأن ذكرناكم وخوفناكم بالله (بل أنتم قوم مسرفون) لئى فى ضلالكم وشرككم متادون فى غيكم (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) وهو حبيب التجار (قال يا قوم اتبعوا المرسلين ، اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون) فأنتم لا تخشون شيئا من دنياكم وترجعون صعبة دينكم فيحصل لكم خير الدنيا والآخرة فقالوا له أتبرأت من ديننا ودخلت فى دين عدونا فقال لهم (وما لى لأعبد الذى فطرنى) خلقنى (وإليه ترجعون) بعد اللوت (أأخذ) أعبد (من دونه) من دون الله بأمركم (آلهة) أصناما (إن يردن الرحمن بضر) إن يصبن الرحمن بشدة عذاب (لأنن عنى شفاعتهم شيئا) أى لا تدفع عنى (ولا يقدون) من المكروه (إنى إذا) إن عبدت من دون الله شيئا (لنى ضلال مبين) خطأ بين (إنى آمنت بربكم فاسمعون) أى فاشهدوا لى بذلك ، فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه . فلما لقي الله (قيل) له (ادخل الجنة) فلما دخلها ورأى نعيمها (قال ياليت قومى يعلمون . بما غفر لى ربى وجعلنى من السكرمين) نعى أن يعلم قومه أن الله غفر له وأكرمه . وقيل إنهم لما هموا بقتله رفعه الله إلى الجنة على ما قاله الحسن فقال ما تقدم (وما أنزلنا على قومه من بعده) من بعد إهلاكه أو رفعه (من جند من السماء) وهم لللائكة لإهلاكهم (وما كنا منزلين) وما كان يصح فى حكمتنا ، ذلك لأن إهلاكهم أيسر مما يظنون (إن كانت) العقوبة (الإسيحة واحدة) صاحبها جبريل (فاذا هم خامدون) ميتون كما تخمد النار (باحسرة على البلاد) أى تعالى باحسرة فهذه من أحوالك فحقتك أن تخضرى فيها وهى حال استهزأهم بالرسول (ما يأتينهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون . ألم يروا) ألم يعلموا وهو معلق عن اللغو لئى بكم فى قوله (كم أهلكنا قبلهم من القرون) وقوله (أنهم إليهم لا يرجعون) بدل من كم ، وللعنى ألم يروا كثرة إهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين إلينا (وإن كل لما جميع لدينا محضرون) أى وما كل إلا مجموعون محضرون

عندنا للحساب وعذا على قراءة « لما » بالتشديد . فأما الخففة فالمعنى أن كلهم محشورون مجموعون الخ
(وآية لهم الأرض اليتية) بالتنضيف والتشديد (أحيينها) بالمطر (وأخرجنا منها) من الأرض (حبا)
جنس الحب (فته) من الحب (يأكلون . وجعلنا فيها) في الأرض (جنات) بساتين (من نخيل وأعناب
وفجرنا فيها من العيون . لياكلوا من ثمره) أى ثمر ما ذكر وهو الجنات (وما عملته أيديهم) أى أن الثمر
بخلق الله لا بفعلهم (أفلا يشكرون) نعمة الله تعالى (سبحان الذى خلق الأزواج) الأصناف والأنواع (كلها
عما تنبت الأرض) من النبات والشجر (ومن أنفسهم) الذكر والأنثى (وما لا يعلمون) وأزواجاً بما لم يعلمهم الله
عليه ولم يجعل لهم طريقاً إلى معرفته (وآية لهم) تدلهم على قدرتنا (الليل نسلخ) نزع ونكشط
(منه النهار فإذا هم مظلمون) داخلون في الظلام (و آية لهم) الشمس تجرى مستقر لها (لحد لها مؤقت تنتهى
إليه من فلكها وهى نهاية العالم أو نهاية ارتفاعها في زمن الصيف ونهاية هبوطها في الشتاء . وهذا لا ينافي
قراءة ابن مسعود لاستقرارها أى لا قرار لها ولا وقوف فهى جارية أبداً الى يوم القيامة تنتهى كل يوم في مرأى
العيون إلى المغرب وتنتهى مدة السنة وتنتهى مدة ارتفاعها ومدة انحطاطها (ذلك) الجرى المنتظم العجيب (تقدير
العزیز العليم) الغالب المحيط علمه بكل معلوم (والقمر قدرناه) أى قدرنا سيره (منازل) أى جعلنا له منازل كما
جعلنا للشمس وهى ثمانية وعشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة في واحدة منها ثم يستمر ليلتين أو ليلة إذا نقص
الشهر . فإذا كان في آخر منزله رق وفتوس وهذا قوله تعالى (حتى عاد كالعرجون القديم) وهو العود الذى
عليه الثمار يخ إذا أتى عليه الحول فتقوس واصفر ودق . وهذه الصفات الثلاث تكون للقمر عند انتهاء المنازل
(لا الشمس ينبغي لها) أى لا يصح لها ولا يتسهل (أن تدرك القمر) في سرعة سيره ، أو لا يتسهل لها أن تجتمع
معه في وقت واحد وتداخله فتطمس نوره لأن لكل منهما سلطاناً في وقت خاص فسلطانها بالليل وسلطانها
بالنهار (ولا الليل سابق النهار) أى ولا يسبق الليل أى آيته وهو القمر آية النهار فيحل سلطانها محلها . كلا ،
لأنهما يجريان بحساب منظم (وكل) من الأرض والشمس والأقمار (في فلك يسبحون) كما يسبح السمك
في الماء . فالشمس في مدارها حول كوكب من كواكب الجانى على ركبته ولا يدري مدة دورتها والأرض
تجرى حول الشمس في سنة وحول نفسها في يوم وليلة والقمر يجرى حول الأرض كل شهر . ولما كانت مسألة
الأرض صعبة الفهم على النوع البشرى قدما قدمها في الذكر وفصل بينها وبين الشمس والقمر بحمل حتى لا يقال
إنها داخلية في السكاية فينافي ما عرفه الناس ، إذ ذاك وأنى بلفظ « كل » للدلالة على دخولها ليتفطن لها
الناس في هذه الأعمار وليعلموا أن الله خبأ لهم الحكمة في القرآن ليستخرجوها مطبقة على الكشف لكلا
تقف عقول المسلمين عن السير في العلوم خيفة أن تنافي كلام ربهم . وليعلم الذي أن هذه الرموز وضعت في القرآن
لنبشر بها المسلمين أن هذا زمان رقيهم وليسوا كالأمم المسيحية الذين ارتطموا أمداً طويلاً في الجهالة وهم
أذلاء جهلاء متوحشون فلم يخرجهم من وحشيتهم وجهالتهم إلا نهضة المسلمين وحرورهم للتوالية معهم في
الشرق بالحروب الصليبية وفي الغرب بالحروب الأندلسية والحروب في القسطنطينية ، إنه لم يخرجهم من
مآزقهم إلا احتكاكهم بأمم الإسلام لأن دينهم ليس فيه ما به يخرجون من الجهالة من الإشارات للعلوم .
أما المسلمون أيام تأليف هذا الكتاب فهم على بينة من ربهم فقد ظهر في هذا التفسير أن القرآن كتاب
حكمة وعلم تصرعها وتلويحاً ، وإذا جاءت شبهة في القرآن حلها حتى لا يقف المسلمون زمناً ما عن الرقى
مثل ما نحن بصدده ، وأقول : سيقراً هذا التفسير المسلمون يصعدون بمدنيتهم إلى العلا في أقرب زمن .
هكذا قضى الله وهكذا سيتم وهو الحكيم العليم . انظر كيف يقول « يسبحون » ومعلوم أن السبح
للسمك أليق مع أن الفلك القديم قد جعل الكواكب مركوزة في الفلك أو في تدوير الفلك على ما تراه

في اصطلاحات القدماء فليس للكواكب أن يسبح من تلقاء نفسه ، بل لابد له من حامل يحمله وذلك الحامل هو الذي يدور به ، فالكواكب مستحيل عليه السباحة ، وكيف يسبح مالا حربة له ولا قدرة له على الاستقلال في السير ، بل هو محمول هكذا كان في الفلك القديم ، ولست أطيل لك فيه لأنه معقد ولا يفيدك إنما الذي يهمنا أن جميع الكواكب تسير على الرأي الحديث في مدارات وتلك المدارات في عالم الأثير ، فهي إذن كأنها سمك في بحر .

هذه حقيقة مدارات الكواكب في العلم الحديث . وهذا هو الذي نطق به القرآن . انظر انظر إلى كلام المفسرين رحمهم الله كيف ترامم يقولون في « يسبحون » يسرون ، وذلك لأن الفلك القديم للشهور إذ ذاك لم يكن فيه للكواكب سباح ، فاعجب لقرآن كيف أتى بالكشف الذي يسميه الناس حديثا وقد شرحناه بعض الشرح في [سورة يونس] وهو مشروح ببسط في كتابي (جواهر العلوم) وانظر كيف أعقب ذلك بذكر السفن السابحة في البحار المناسبة بينهما وأن كلاله طرق لو تركها اختل في جريه وكل سابع في مداره ليؤكد للمسلمين بهذا التناسب أن الكشف الحديث يناسب القرآن أشد المناسبة ويشير لهم من طرف خفي أن يجدوا في العقولات والبحث ، فالقرآن أمامكم لا يتفر من العقولات ولا يأتي إلا من الحرافات والجهالات فقال (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) أولادهم الذين يعشونهم إلى تجاراتهم (في الفلك للشحون) أي الوقرة أو المهزة الملوحة التي فرغ من جهازها (وخلقناهم من مثله) من مثل الفلك (ما يركبون من الإبل فإنها سفائن البر ، وقد حمل بعضهم السفينة على سفينة نوح والتدريه على الآباء لأنها من الأضداد وما يركبون مثله هي السفن والزوارق . وربما كانت إشارة إلى الطيارات اليوم فهي في الهواء كالفلك البحر (وإن نشأ نغرقهم) في البحر (فلا صريخ لهم) فلا مغيث ، أو فلا إغاثة (ولا هم ينقذون) لا ينجون أي لا ينقذون إلا لرحمة منا ولتنتيع بالحياة إلى اقضاء الأجل ، فقوله (إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين) منصوبان على الفعل له (وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) أي ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر بما أنتم تعملون من بعد ، أو من مثل الوقائع التي ابتليت بها الأمم للكذبة بأنبيائها وما خلفكم من أمر الساعة (لعلمكم ترحمون) أي لتسكونوا على رجاء رحمة الله وجواب الشرط محذوف أي أعرضوا وإنما جاز حذفه لأن الجملة التي بعده تدل عليه وهي قوله (وما تأتيتهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين) معناه أن دأبهم الإعراض عن كل آية وموعظة ولا فرق عندهم في الإعراض بين العقائد وبين الأعمال ولذلك أتبعه بقوله (وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله) على الفقراء (قال الذين كرهوا) بالصانع وهم العطلون (للذين آمنوا) تسكنا بهم من إقرارهم وتعليقهم الأمور بمشيتته (أننطم من لو يشاء الله أطعمه) على زعمكم (إن أنتم إلا في ضلال مبين) في خطأ بين (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) يحنون وعد البعث (ما ينتظرون) ما ينتظرون (إلا صيحة واحدة تأخذهم) وهي النفخة الأولى (وهم يخضمون) يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يحطرون بياهم أمرها وأصلها يخضمون فسكنت التاء وأدغمت ثم كسرت الحاء (فلا يستطيعون توصية) في شيء من أمورهم (ولا إلى أهلهم يرجعون) فبروا حالهم ؛ بل يعوتون حيث تبعتم الصيحة (ونفخ في الصور) مرة ثانية (فإذا هم من الأجداث) من القبور جمع جدث (إلى ربهم ينسلون) يسرعون (قالوا يا بولنا من بعثنا من مرقدنا) أي من أنثرنا من ضجعنا ، وقوله (هذا) مبتدأ (ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) خبر أي تقول لللائكة أو بعضهم لبعض أو بعض المؤمنين لبعض هذا الذي وعده الرحمن والذي صدق فيه المرسلون (إن كانت) النفخة الأخيرة (إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون) للحساب ، ثم يقال لهم في ذلك اليوم (فالיום لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون . إن أصعب الجنة اليوم في شغل

كناية الله والظن إلى وجهه الكريم حتى ينسوا كل نعيم سواه ، وكرارة بعضهم بضا ، وسماع الأوتار وما أشبه ذلك ، وكل منهم يستلذ بما كان أهله في الدنيا رفة وضعة ، وقوله (فاكهون) أى متلذذون في النعمة من الفكاهة (م وأزراجهم في ظلال) جمع ظل كشماب أو ظلة كقناب (على الأرائك) على السرر للزينة (متسكنون . لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون) ما يدعون به لأنفسهم من الدعاء أو يتمنونه تقول ادع بعل ما شئت أى نعمة ولهم (سلام) بقوله الله (قولا من رب رحيم) أو يقال لهم قولا كائنا من جهته أى أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة تعظيما (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) أى وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم إلى الجنة ، ومن جملة ما يقال لهم تفرحوا (ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين) العهد الوصية إذ عهد الله إليهم بما ركز فيهم من أدلة العقل وأزل عليهم من دلائل السمع ألا يعبدوا الشيطان بالإصغاء إلى وسوسته وتزيينه كما جاء في الحديث في تفسير قوله تعالى « اتخذوا أجباهم ورهباهم أربابا من دون الله » إذ فسر ذلك بأنهم يشرعون لهم الشرائع ويسنون لهم السنن ، فهنا إصغاء للوسوسة وهناك اتباع للشرائع للزينة (وأن اعبدوني) عطف على « أن لا تعبدوا » (هذا) الذى عهد إليك (صراط مستقيم) بليغ في استقامته (ولقد أضل منكم جبلا) يضمين أو كسرتين واللام مشددة فهما أو كرسل أو قفل لغات ومعناه الخلق في الجميع (كثيرا أفلم تكونوا تعقلون . هذه جهنم التى كنتم توعدون) في الدنيا (اصلوها) ادخلوها (اليوم بما كنتم تكفرون) تجحدون بها وبالكتاب وبالرسل (اليوم نختم على أفواههم) نمنهم من الكلام (وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) . يروى أنهم يجحدون يوم القيامة ويخاصمون فتشهد عليهم جرائهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فيحشد نختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفي الحديث « يقول العبد يوم القيامة إنى لا أجيز على إلا شاهدا من نفسى فيختم على فيه ويقال لأركانها انطقى فتطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فضكن كنت أناضل » .

واعلم أن هذا القول هو الذى يطابق العقل وعلم الحقيقة على التحقيق ، ألا ترى رعاك الله أن الإنسان في الدنيا وهو في هذه الدار الملوثة أكاذيب وشرورا ونفاقا يخجل فتظهر في وجهه الحمرة ويوجل فيصفر ويتخذ القضاة من ذلك أدلة على إدانة للنهم ، وترى بعض الناس يقصون أثر الجناة ويتبعونهم في السهل والجبل حتى يصلوا إليهم فيقدمون للقضاء ، وهكذا أيدي المجرمين يختم بها على الورق فلا تشابه يد بيدا ، وإذا كان هذا في عالمنا الجسدى فما بالك بالنفوس التى هي من عالم الأرواح فإن لكل ذنب أو عمل حسن آثرا في النفوس بحيث يترى فيها الخير والشر ، فإذا انفصلت الأرواح من الأجساد ظهرت بهيئتها التى كانت عليها من شر وخير وهذا قوله تعالى « اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » فالنفس إذن هى الكتاب المكون الذى لا غش فيه ولا كذب ، فإذا صمت اللسان نطقت الجوارح كما نطقت في الآثار اليوم في الدنيا ولكن هناك نطقها أفصح وعملها أكمل وعلاماتها أتم . وفي حديث مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال : « هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة ؟ قالوا لا يا رسول الله . وهكذا قال وقالوا في القمر ليلة البدر ، قال فوالذى نفسى بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما » ثم سرح في الحديث لقاء العبد ربه إذ ذاك إذ يقول له : « ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل » فيقول العبد بلى ويقرب أنه ما كان يظن لقاء الله وهكذا الآخر . ثم يقول آخر : « يارب آمنت بكتابك الخ فيختم على فيه » إلى آخر ما تقدم . انتهى ملخصا .

ثم قال تعالى (ولونشاء لطمسنا على أعينهم) لمسخنا أعينهم حتى تصير ممسوخة (فاستبقوا الصراط) فاستبقوا إلى الطريق الذى اعتادوا سلوكه وهو منصوب بنزع الخافض (فأنى يبصرون) أى فكيف يبصرون حينئذ

وقد طمست أعينهم (ولو نشاء لمسخهم) فردة أو حازير (على مكاسم) أى فى مكاسم ، وقرى « مكاسمهم »
أى لمسخهم فى منارهم حيث يجترحون للآثم والكفر (فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) فلم يقدرُوا على
ذهاب ولا عجيء أو مضيا أمامهم ولا يرجعون خلفهم (ومن نمره) نطل عمره (ننكسه فى الخلق) تغلبه
فيه فلا يزال يتزايد ضعفه حتى نرده إلى أرذل العمر (أفلا يعقلون) أى من قدر على ذلك تدريجا قدر على
الطمس والمسخ فجأة (وما علمناه الشعر) رد لقولهم إن محمدا شاعر فلا لفظه موزون ومقفى كالشعر ولا معناه
كما يتخيله الشعراء كما تقدم بيانه فى سورة الفاتحة من اللوازنة بينه وبين القرآن (وما ينفعى له) وما يصح له
الشعر ولا يتأتى له إن أراد قرضه لأن الشعر سجية فى النفس وصب على الإنسان ما لم يوجد ، فليس كل الناس
شاعرا ولا كل من أراد الشعر يتيسر له ، كيف لا وما كان ينبغ من العرب فى كل قبيلة إلا شاعر أو شاعران
وتصح له الولاة متى ظهر ، فهو كالجمال لا يخلقه الإنسان فى نفسه فكيف يتأتى الحمد (إن هو إلا ذكر)
عظة وإرشاد (وقرآن مبين) كتاب سماوى ينلى فى العابد وظاهر أنه ليس من كلام البشر لما فيه من الإعجاز
(ليتذر) القرآن (من كان حيا) عاقلا فهما (ويحق القول) وتجب كلمة العذاب (على الكافرين) قابلهم بالأحياء
إعلانا بأن الجهل والكفر موت كما أن العقل والعلم حياة (أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا) مما نولينا
إحداثه وحدنا (أنعاما فهم لها مالكون) متملكون متمكنون من ضبطها (وذلكاها لهم) صيرناها منقادا لهم
(لهم ركوبهم) مركوبهم أو ركوبتهم فى قراءة أخرى وهى بنفسى للمنى كالحلوب والحلوبة (ومنها يأكلون)
أى ما يأكلون لحمه (ولهم فيها منافع) من الصوف والوبر والشعر والجلد (ومشارب) من اللبن جمع مشرب
يعنى المصدر (أفلا يشكرون) نعم الله فى ذلك . فلولا خلقه لها أولا وتذليله لها ثانيا ما أمكن تحصيل هذه
المنافع (واتخذوا من دون الله آلهة) أشركوها به فى العبادة بعد علمهم بتلك النعم الظاهرة (لهم ينصرون)
رجاء أن ينصروهم فيما نابهم من الأمور مع أن الأمر ليس كذلك لأنهم (لا يستطيعون نصرهم وهم لهم)
آلهتهم (جند محضرون) أى الكفار جند الأصنام ينصبون لها ويحضرونها فى الدنيا وهى لا تنصرهم وهم جندها
أيضا فى الآخرة ، إذ يؤتى بكل معبود من دون الله ومعهم أتباعه الذين عبدوه فى الدنيا كأنهم جند محضرون فى
النار . واعلم أن هذا هو مقتضى علم هذه الدنيا فانك ترى أن الهواء لا يكون موضع الماء والماء لا يكون موضع
الهواء والأرض لا تكون موضع واحد منهما وترى الغنية إذا وضعت قطعة منها فى الماء تنجذب ويحذب
الأكبر الأصغر أكثر مما يحذب الأصغر الأكبر هكذا القلوب تنجذب وتصير كل طائفة مع بعضها كما
ترى الطيور والوحوش فى الغلوات والحشرات فى الحقول والغابات ، وفى الحديث : «أنت مع من أحببت»
فالمالم كله سائر بالشق فى المادة وفى الروح والقلوب شواهد (فلا يحزنك قولهم) فى الله بالإلحاد والشرك
(إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون) فنجازهم عليه وكفى ذلك أن تتسلى به (أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من
نطفة فإذا هو خصيم مبين) أى جدل بالباطل بين الخصومة ، كأنه قيل : العجب من جهل الإنسان كيف
يخاصم ربه ولا يتفكر فى بدء خلقه ومهانة أصله وأنه من نطفة قدرة . نزلت فى أبى بن خلف خصم النبى
صلى الله عليه وسلم فى إنكار البعث وأناه بعظم قدره وبلى قفته يده وقال: أرى عجيء الله هذا بعد ما رمى فقال
صلى الله عليه وسلم نعم ويعتلك ويدخلك النار وهذا قوله تعالى (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه) بدء أمره (قال
من عجبى العظام وهى رميم) بالية أى وضرب لنا مثلا فى إنكار البعث بالعظم البالى حين قفته يده وتعجب من
يقول إن الله عجبى ونسى أول خلقه وأنه مخلوق من نطفة (قل عجبى الذى أنشأها أول مرة) أى ابتداء
خلقها (وهو بكل خلق عليم) يعلم تفاصيل المخلوقات وأجزاء الأشخاص للفتنة للتبدة أصولها وفصولها
ومواقفها وطريق تمييزها (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) كالمرخ والصارفين أراد النار قطع منها

غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق للريح على العفار فتخرج منها النار بإذن الله تعالى ، تقول العرب : في كل هجر نار واستمجد للريح والعفار أى استكثر منها وذلك أن هاتين الشجرتين من أكثر الشجر نارا (فاذا أتم منه توقدون) تقدحون فتوقدون النار من ذلك الشجر . ثم ذكر ماهو أعظم من خلق الإنسان فقال (أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) أى وهو القادر على ذلك (بلى وهو الخلاق) يخلق خلقا بعد خلق (العلم) بجميع ما خلق (إنما أمره) أى إنما شأنه (إذا أراد شيئا أن يقول له كن) أى تكون (فيكون) أى فهو يكون أى يحدث ، وهذا تمثيل لتأثير قدرته فى مراده بأمر للطاع للطيع فى حصول الأمور من غير امتناع وتوقف وانقار إلى مزاوله عمل واستعمال آلة (فسبحان) أى تنزيهه بما وصفه به للشركون وتجب من أن يقولوا فيه ما قالوا (الذى بيده ملكوت) ملك (كل شيء) وزيادة الواو والتاء للبالغة (وإليه ترجعون) تعادون بعد الموت . انتهى التفسير اللفظى وهو الفصل الثانى من السورة .

الفصل الثالث

(فى ذكر ما كنت فسرته به منذ سنين لتكون ماثلة معانيها أمام القارىء ملخصة مجمعة)

(مقاصد سورة يس)

- (١) ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم حق ما أرسل به وأنه نذير للأمين وغيرهم .
- (٢) بيان أن للنفرين صنغان : صنفاً يئس من صلاحه . وآخر سعى لفلاحه .
- (٣) تبيان أن أعمالهم نحصى عليهم ولهم فتكتب آثارهم وتحصى أخبارهم .
- (٤) إيضاح للقصدين السابقين بقصص حبيب التجار وقومه بأنطاكية إذ حكم عليهم بالكفر وله بالإيمان قتل فدخل الجنة بما قدم من الإيمان والإرشاد وهلك قومه .
- (٥) الدليل الطبيعى العقلى على البعث بعد التاريخ من العوالم السفلية وجناتها والعوالم العلوية وكواكبها وتبيان لقدرة الله ووحديته وعلمه ورحمته الشاملة .
- (٦) جزاء الفريقين فى الآخرة وهو [فصلان : الأول] بيان كفران الجاحدين هذه الأنتم وسرعة أخذهم أخذ عزيز مقتدر وندمهم عند معاناة العذاب . [الثانى] الجنة ونعيمها وما أعد للمؤمنين فيها
- (٧) توبيخ الكافرين على ما ارتطموا فيه من الجهل واتباعهم الشياطين .
- (٨) ثلاثة فصول لثلاثة أغراض سبق فى السورة شرحها بأسلوب آخر وذلك ليستدلوا بما يلطون من أنفسهم أعمالهم الخاصة بهم : [الفصل الأول] قدرته على مسخهم فى الدنيا وطمس أعينهم وأبرز ذلك دليلاً من الأنفس وهو تنكيس خلق للممر من الناس ، وهذه تقابل قصص حديث أهل انطاكية فذاك فى الآفاق وهذا فى النفس . [الفصل الثانى] الانتفاع بالأنعام من ما كل ومشرب وملبس . وهذه نعم راجعة لأنفسهم فى مقابلة ما أنعم من نعم عامة من الأرض وجناتها والشمس وأضوائها والكواكب ودورهاها والسفن وغيرها من نعم العامة فمن لم يشكر على نعم العامة لما باله لا يفضقه ما يزاوله منها بنفسه [الفصل الثالث] إثبات البعث بما يعانون لخاصة أنفسهم من الزناد إذ قدحونها فيستخرجون نارها . أفلا يستطيعون السبيل للهداية بما يزاولون لما يعود على أنفسهم بالمنافع إن جهلوا ما كان مشتركاً نعمة من الأرض والسموات .

وهنا هنا كما ختم السورة السابقة بمجهرتين زهراوين وياقوتتين حمراوين من إنقائه النظام وإصلاحه

العام ومن تدمير الناس وإفسادهم في الأرض ، فهو مصلح وهم مفسدون . ولقد كانوا خلفاءه في الأرض وما أجدرهم أن يتخلقوا بأخلاقه ويسيروا على الصراط المستقيم ، وإيضاح الأولى أنه عز وجل نظم جواهر النجوم للزهرات والكواكب السيارات وربطها بأسباب فدارت وأرسل لها من لئنه رحمة فأسكنها وعجبة حفظتها فدارت في مداراتها وجرت في أماكنها واجتذبتها جذبا لطيفا بمواسك من التماشق بسحبها [علماء المسوسات] جاذبية ، تسكهم للأنزول عن مداراتها وتختل في نظامها ، ولولا ذلك لفترقت أيدي سبأ ، وطاحت شذر مذر ، فباد الوجود وهلك للوجود ، وذلك قوله تعالى « إن الله يحسب السموات والأرض » إلى قوله « حليبا غفورا » .

وإيضاح الجوهرة الثانية أن الناس أفسدوا وما أصلحوا وعجزوا أن يعقلوا عجائب النظام وبدائع الإتيان فاتخذوا لله أندادا وعبدوا أوثانا فباءوا بالغضب صاغرين ورجعوا بالفت محرومين ، وإذا عاهدوا عهدا نبذوه وإن حلفوا أن يتبعوا رسولا إن جاءهم لم يتبعوه ، وطباعهم الكبرياء ، وشأنهم الإباء فهلا ساروا في الأرض فدرسوا أحوال الأمم الظالمة والأجيال البائدة ، ألا أن عاقبة البني لهم ودائرة السوء تدور عليهم ولولا رحمة واسعة أحاطت بهم لأبدنا كل نسمة ولكننا نؤخرهم إلى أجل معدود لأن رحمتنا أوسع وفضلنا أعم فليتمتعوا أياما في ساحات رحمتنا ولنوردكم موارد الهلاك بعدلنا جريا على ناموسنا العام وعدلا في النظام ، وذلك قوله تعالى في (سورة فاطر) « هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره » إلى قوله تعالى « لاغرورا » وقوله « وأقسموا بالله جهد أيمانهم » إلى آخر السورة وهم كانوا أكثر منهم عددا وأعز نفرا ، طعنهم الثرى بكلكله ومزقهم بطوله . فتلك بيوتهم خاوية وجماعاتهم فانية للأقدار جانية .

المقصد الأول

(يس ، والقرآن الحكيم ، إنك لمن المرسلين ، على صراط مستقيم ، تنزيل العزيز الرحيم)
ابتداء الله عز وجل السورة بآيات رسالته صلى الله عليه وسلم وتوثيق عرى نبوته وتأييد دعوته وتبيان أن القرآن أنزل عليه من ذي العزة والقهر والرحمة والفضل توطئة لما ستسمع من قصص الظالمين وتفصيل بدائع الحلقة الشاملة آثرها الفاضلة أنوارها .

المقصد الثاني

(« لتندر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون »)

لما أثبت الرسالة والمرسل به شرع يشرح حال المرسل إليهم من أهل الدعوة إذا هم فريقان . فأما أحدهما فأحاطت به خطيئته وأرهقته زلته وفقد إيمانه وأوتقه طغيانه فثله كمثل من ضم القل بيديه إلى ذقنه فلا يستطيع حراكا أو كمثل الذي سدت عليه السالك وأحاط به السدان من خلفه وأمامه ثم غشى على عينه فسدت عليه الطرق في نفسه بالمعنى وفي الآفاق بالبدن . ومن التعذيب تهذيب القديب . وأما الآخرون فهم الذين اتبعوا الذكر وخشوا الرحمن في خلواتهم فأولئك لهم البشارة والرزق الحسن . ولا جرم أن الفريقين يرتبان جزاء وفقا وذلك في المقصد الثالث .

المقصد الثالث

(«إننا نحن نجي للوفى ونكتب ما قدموا وآثارهم» إلى قوله «إمام مبین»)

ولا جرم أن المقدمات تتأخر . وللأسباب مسيبت . وللشجرات ثمرات . والمبادئ نهايات . والقسمان المذكوران تخصي أعمالهما وتسطر أحوالهما وبخيان بعد موتها وتعرض عليهما ماعملا من خير قدماه ومن شر جنياه . ولما أن سجل ما ذكر عليهم أخذ يشرح ذلك بالقصص وهو المقصد الرابع .

المقصد الرابع

(«واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون» إلى قوله «لم يروا كم أهلكتنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون . وإن كل لما جميع لدينا محضرون»)

لما تبين أن لكل حظا بما جناه ، وقسطا بما اقترفه ، من خير وشر ، وأن الكتاب أحصى أعمالهم وأظهر أخبارهم ، أخذت يوضح ذلك بالقصص . ويبينه بالتاريخ ، ويثبت بالشواهد ، كشفنا للقمام وتبيننا للبرهان فقصل خبر أصحاب السبع عليه السلام من الحواريين إذ جاء اثنين منهم إلى أهل انطاكية ودعوم للإيمان فجلدوها مائة جلدة وسجنوها بجاه الثالث [شمعون] واحتال على أرباب الدولة وعظماء الأمة ولللك للطاع وأرباب الضياع أن يستنطقوها ولا يؤذوها فأخرجوها منه وظهرت الحوارق على أيديهما من إحياء الميت وإبراء الأكه ثم نكسوا على رؤوسهم وآذوم بجاه حبيب النجار الذي كان أسلم من قبل لما شفى ابنه بدعائهما فقتلوهم أجمعين ورموهم في الرس ميتين . فمؤلاهم أصحاب الرس . فهلك حبيب النجار ودخل الجنة وهلك قومه وأدخلوا النار . فهذا القصص يدعو للاعتبار بالأمم البائدة والأجسام الهامدة ، إذ كفروا فبادوا وكتبت آثارهم ووعيت أحوالهم وحفظت في كتاب ليوم اللآب . فما أجدر العباد بالحسرة . جهلوا الرسل . ومصير الدول . إن كل إلا لدينا محضرون . ولئن لم يؤمنوا بما يسمعون . ولم يعقلوا ما يقرون . في الكتب السماوية . والأخبار للروية . والكلمات اللغزية . والجل الحكمة . فهلا درسوا الكلمات العالية والعلوم الشافية مما كتبه بأيدينا في طروس السموات وألواح الفلوات وفوق الجبال الراسيات وتحت البحار الجارية وهو المقصد الخامس ، وهو حكمة الحكماء ودرس الكبراء وأدب العلماء .

المقصد الخامس

(«وآية لهم الأرض الميتة أحييناها» إلى قوله «وكل في فلك يسبحون»)

لم تر إلى الأرض اليابسة أنزل الله عليها الماء فنبت زراعا وشجرا فكان الحب والتمر والجنات والأعقاب وجزرت الأرض عيوننا ، وفي الأرض أزواج النبات والحيوان والإنسان فيها الله كران والإناث وما من نبات إلا وفيه ذكر وأنثى كما يرى في الترة والقمح كما تقدم في القاعة . ومن عجب تفجير العيون من الجبال ، لم تر كيف برد الماء في الجبال فسار ثلجا فكبر حجما فضغط الحجارة فانجبر ماء . ذلك أن الجبال مخازن للماء والمين بزبازها وصبورها والوادي مجراها والأشجار والنبات منهاها . وانظر الشمس والقمر والليل والنهار

كيف نظم الليقات وحفظ الحساب . وإذا سلخنا النهار عن الليل بدا عاريا وظهر أسود قاعا . وترى الشمس جارية إلى مدارى السرطان والجدي وهما منتهاهما . والقمر يجرى في ثمان وعشرين منزلة لا يتقدم عن وقته ولا يتأخر عما رسم له ؛ فهو أبدا مسخر مطيع بجره السريع ، وكيف غفل الإنسان عن الحساب وسها عن درس الليقات .

حکم نسجت بيد حكمت ثم اتسجت بالمنسج

ما للناس يعيرون ولا ينظرون وإن نظروا لا يدكرون وإن اذكروا لا يدرسون وإن درسوا لا يحسبون وإن حسبوا لا يتفكرون في باحات العوالم العلوية والسفلية . الشمس طالمة غاربة . والقمر في ذهاب وإياب فهلا درسوا علم الفلك وفهموه واطلعوا في الأرصاد فكشفوه . إذن يملون أن الشمس لا تدرك القمر في دورانه ولا يسبق الليل أوانه . فالليل والنهار بحسبان . والشمس والقمر يسجدان . ألا ترى أن الشمس في جريها دائبة على قانون لا تتعداه . وسائرة على صراط لا تتخطاه .

انظر وفكر . أنت تعلم أن الفصول أربعة : الخريف والشتاء والربيع والصيف . وأول فصل الخريف في نصف شهر توت في برج اللبزان ، إذ يستوى الليل والنهار في المقدار وهناك يزيد الليل أبدا نصف درجة وهو دقيقتان حتى إذا حلت ركائنها بساحة العقرب وزفت بموكبها إلى باحات القوس والأول في نصف بابيه والثاني في نصف هاتور فهناك يزيد الليل كل يوم في الأول ثلث درجة وفي الثاني سدس درجة فتكون الزيادة إذ ذاك ثلاثين درجة وهي ساعتان : ساعة في اللبزان ، وساعة في العقرب والقوس وتنتهي الشمس إذ ذاك إلى أول فصل الشتاء زمن يكون فيه الليل أربع عشرة ساعة والنهار عشر ساعات . وهناك يبتدىء فصل الشتاء في منتصف كهك فيتدرج الليل في النقص والنهار في الزيادة ، فسدس درجة كل يوم إلى منتصف طوبه وثالث إلى منتصف أمشير ونصف إلى منتصف برمهاث وقد تنقلت في هذه الأبراج على التوالي وهي الجدي والبلو والحوت ، وهناك يتساوى الليل والنهار وتحل الشمس ساحة برج الحمل وهناك تسمى الشمس الكبيرة . وإذا نزلت البرج قبله وهو الحوت مموها الشمس الصغيرة ، إذ يكون الليل ثلاث عشرة ساعة ، وبحلول الشمس في الحمل يبتدىء فصل الربيع ويزيد النهار نصفان ثلثا فسدس درجة على التوالي في البروج الحمل والثور والجوزاء من نصف برمهاث إلى نصف برموده إلى نصف بشنس إلى نصف بؤونة ، وهناك تكون الشمس في مدار السرطان ويبتدىء فصل الصيف ويأخذ النهار في النقص والليل في الزيادة بسدس ثلث نصف درجة من نصف بؤونة إلى نصف أبيب إلى نصف مسرى إلى نصف توت في الأبراج الآتية وهي : السرطان والأسد والسفيلة «ذلك تقدير العزيز العليم» وهذا الحساب تقربي في القطر للمصرى .

فالشمس لا تفتأ تسير على هذا النمط لا تتعداه من يوم خلق الله السموات والأرض إلى الأبد وهذا معنى سجودها لله ، فالشمس والقمر بحسبان ، والنجم والشجر يسجدان ، ألا تعجب كيف سارت الشمس على هذا النظام فلا يتغير سيرها ولم تستأخر لحظة ولم تستقدم دقيقة بل جرت جريها المعروف أبدا وأمدا إلى يوم يعيشون أليس الذي حسب نظامها وقدر جريها محيط بأعمال العباد .

وذلك قوله تعالى هنا «وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك للشحون» إلى قوله «ومتاعا إلى حين» وإذا لم تقو بصائركم على الاعتبار بكواكب السماء وسياراتها وشموسها وأقمارها ، فهاكم دلائل مما تعملون لتكون أقرب لأفهامكم وأسرع لعقولكم ، فانظروا إلى السفن كيف أقدرناكم على صنعها ، وجرت كما يجرى السمك في البحر ، وعلمناكم كيف وزنتموها بالميزرانة (الدفعة) فقامت مقام ذيل السمكة حتى تسير بيننا وشمالا ، وكيف عرفتم قاعدة (أرشمس) التي بها يحملون السفينة مانتطق حتى لا يزيد جرمها وحملها عما أذاحت من الماء

في جريها ، ولولا ذلك لفرقم ولكننا نجيناكم في أسفاركم كما نجينا آباءكم الأولين من العرق مع الظالمين وهكذا فعلنا معكم في طيارتكم أفلا تعقلون ؟

المقصد السادس

(« وإذا قبل لهم انقوا ما بين أيديكم وما خلفكم » إلى قوله « ألم أعهد إليكم يا بني آدم »)

يقول بعد أن عدد النعم التي خلقها ، والحكم التي أودعها ، والمعائب التي أبدعها ، أنهم معرضون لايسمعون الناصحين ، ومهما رغبوا في الإنفاق على ذوى الإملاق احتجوا بالقضاء وقالوا أليس ربكم أقدر على الإطعام وأرحم بالأنام . وجهلوا أن الحياة اختبار والدنيا امتحان وابتلاء فسنحصرم للحساب وتأخذم بئنة وهم في شقاق وسباب متخاصمين فتأتيهم الساعة بئنة وتحل بهم الحسرة فلا يودعون حبيبا ولا يوصون بحال ولا يرجعون إلى أهلهم بحال ، ثم يقومون وهم من كل حدب ينسلون وآخرون في الجنة ناعمون فلمهم فيها ما يشتهون من الثمرات واللذات وما تسر به أفئدتهم من اللذائذ اللعنوية من سلامة وسلام ، وهنا أن توييخ الكافرين على التصير وهو :

المقصد السابع

إذ قال « وامتازوا اليوم أيها المجرمون ، ألم أعهد إليكم يا بني آدم » ، في هذا اللقمان امتياز للؤمنون من المجرمين وفرع سبحانه الكافر على أن نبذ اليهود وكيف أضل الشيطان جبلهم (بتشديد اللام) فهلا عقلوا إضلالة ، هذه جهنم التي أغريتم بتكذيبها ، فالיום صمت الناطق وهو اللسان ونطق الصامت وهي اليدان والرجلان ، ولما كانت عناية الله بالناس شاملة ، ولفظه بهم أعم ، أخذ يتلطف بهم في الإفهام ، ليدخل في قلوبهم الإيمان ، من طرق أقرب ، ومسالك أقصر ، مما يعملون ويشاهدون . فتعجب كيف قدم في أوائل السورة قصص أهل انطاكية إذ حاق بهم العذاب في الدنيا ، ثم أتبعه بتبيان مابين من نظرة في العوالم العلوية والسفلية ليعلم الإنسان بالعقل بعد ازدجاره وإزعاجه بالعذاب ، فهكنا هاهنا أخذ يعيد الكرة بمنهج أقرب ومعنى أدق . ذلك أنه قابل أول اللعين بأنه أفدر على طمس الأعين حق لا يصروا ومسح الصور فلا يعقلوا « ولو نشاء لطمسنا أعينهم » الخ .

يقول : ليس العذاب قاصرا على إهلاك الأمة وإبادة قبيلة . كلا ، بل يتناول تشويه الأعضاء وطمس العيون ومسح الصور ومحو العقول كما نرى في الأمم التي عم جهلها قتل خيرها وزاد شرها فإنهم ذوو صور مشوهة الباطن وإن كانت حسنة الظاهر . ولما كان تصور ذلك عمرا على العامة صعبا على الجهلة قربه بعد ذلك بما هو أوضح محبة وأبين حجة فقال « ومن نعمه نسكسه في الخلق أفلا يعقلون » إنا قادرون أن نمسح صورهم كما غيرنا صور للممرين ونسكس صور العقول فتذل الأمة وتميش في خزي فلا تموت في الدنيا ولا تحيا وهذا هلاك أدبي كالهلاك الأبدى الجسمي في أهل انطاكية ، ولا جرم أن في هذا القول تصويرا للعقول برصف المحسوس وإيضاحا وإرشادا فلذلك نفي أن يكون القول شعرا والتي صلى الله عليه وسلم شاعرا ، فالشعر في الأكثر لم يكن مثل هذه الأغراض التريفة « إن هو إلا ذكر وقرآن مبين » يفهمه العاقلون الأحياء ويجهله القائلون الأموات ، ثم قابل ثانيهما بذكر الأنعام وملسكها وصوفها ولبنها وركوبها وتذليلها ، فمن لم يعقل النظام المام من شمس وقمر وأرض ونهر مما لا يعقل نظامه العالى إلا الأذكاء . فلينظر فيما يزاوله من دابة

ركبها وبهيمة يحملها . أفليس ذلك يكفي دليلا على وحدانيته وبرهاننا على قدرته ، فأين الأصنام الميتة والأوثان الجامدة ؟ ناقة لا يستطيعون نصرم ولا يملكون نفهم .

ولم يبق إلا أدق الأدلة على اليبعاد ويوم الجزاء فضرِب له مثلين دقيقين مثلا من الأنفس الإنسانية: ومثلا من أعمالها اليومية . فالأول أن التراب صار رجلا والطين صور عقلا . أليس ذلك عجبا ؟ والثاني ترتب عليه فكان نتيجة ذلك أن الأجسام الإنسانية كالأشجار النباتية لها صور ظاهرة وأجزاء باطنة . ولكم قد حتم الزئدة والزئد من الأشجار لأسباب اللرخ والغفار ، فأدرتم غصنا من اللرخ في نقرة نقرتموها في غصن من الغفار حتى أحدثت الحركة حرارة فأنقذ شرارة فأتم منه توقدون . وهل يسر أن تصوروا أن في أبنيتكم الجنائية نفوسا نورية يكون لها شتون وأى شتون كما اتفقت النار من شرر الغفار ونفتت أنما وكانت متاعا للمسافرين ونضجا للمعجن ، واصطلاا للمشتين ، وتسخينا للماء ، وزجرا للقطار وللنفس في البحار ؟ وإذا كانت الأشجار كاللرخ والغفار والزئاد من الأحجار قد فعلت عظميا وبقيت أجسامها بعد ذلك كثيرا لما بالسك بالإنسان ؟ أفلا يرى أن له نفسا باقية وروحا خالدة ستلقى جزاءها . على أن الذي خلق الأرض والسموات قادر على أن يحيي الأموات فالسك لا يتفكرون ؟ إن كانت القدرة على الإحياء يعوزها كثرة الأعمال وضخامتها فهذه السموات والأرض ، أودقتها فهذه النار في الأشجار أو مزاولتها من قبل ، فهامى أجسامكم كانت مخلوقة من قبل وهو على إعادةها قادر فلم يبق إلا الإجلال والإعظام والاتصاف بالاعتراف (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون) (آيات العلوم في هذه السورة ٢٤ آية)

من قوله تعالى « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها » إلى قوله « ومتاعا إلى حين » وقوله « أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما » إلى قوله « وإليه ترجعون » آخر السورة .
هذه الآيات (٢٤) تشير إلى هذه العلوم ؛ (علم الزراعة . النبات . البساتين) وفي قوله « مما لا يعلمون » الحث على البحث في العالم عما لم يعلم من الحيوانات السكروية والنباتات الخفية ، وهكذا الكرات البيضاء والحجرا في دم الجسم وغير ذلك وعلم النفس وعلم التشريح « ومن أنفسهم » وعلم الهيئة وعلم التقويم وبناء السفن والخطوط البحرية ومعرفة الجهات لسير السفن والنجوم والتيارات البحرية وخطوط البخار وكل آلات السير من الآلات الجارية كالمقطرات الجارية بالبخار والكهرباء ، وذلك في قوله « من مثله ما يركبون » وعلم الأنعام وتربيتها .

(آيات الأخلاق)

ليس فيها آيات خاصة بالأخلاق إلا بطريق الإشارة والتنويح .

(آيات الأحكام)

من قوله تعالى « أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصم مبين » إلى قوله « وإليه ترجعون » هذه آيات احتج بها الله تعالى على منكري البعث فدحض دعواهم وأثبت أن من قدر على الابتداء فهو على الإعادة أقدر ، وهذا دليل على أن رد الشبهة مشروع فإن القرآن بالحجج كالبحر الزاخر لا يدر اعتراضا للمحد ولانكرانا لجاهل ، بل يصدح بالحجة ويدحض الباطل ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، فلا جرم أن حرب اللسان والقلم أقوى من وخز السنان ، وطعن الصارم ، وقتك المدفع ، وحصد الدينامييت يطبع بها العاصي ، ويدنو بها القاصي ، وتخبث لها القلوب . وتخضع لها النفوس .
فعلى قادة الأمة نشر الفضائل ودحض النقائص وإذاعة أخبار الخير والشرف عن هذه الأمة ودينها وإقامة

الحجج على فضلها ، فعلى كل امرئ أن لا يذر فرصة حتى يلهج بحماسة الدين ويذب عنه في شرق الكرة الأرضية وغربها ، وليعلم الصغار وهم في حداثة سنهم كي ينشروه وهم مستبشرون . انتهى الفصل الثالث .

الفصل الرابع

(في عجائب العلوم التي تشير لها هذه السورة)

مغنى (يس)

اعلم أن (يس) حرفان ذهب العلماء فيهما كل مذهب ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما : (معناه يا إلهان في لغة طي) ويقول غيره يا محمد ، وقد علمت في سورة آل عمران أن هذه الحروف جاءت في القرآن لتذهب العقول فيها كل مذهب لا تختص بطائفة دون طائفة ، ولقد ذكرت لك آنفاً أن هذه الحروف تحليل الكلمات ، وليس في العالم للشاهد إلا اثنان العناصر والحروف . فالعناصر منها تكون المركبات من حيوان ونبات وشمس وقمر والحروف منها تكون الكلمات والجل والحطب والنثر والنظم .

هذا ما يخص علوم الإنسان على هذه الأرض . فهذه الحروف المذكورة في أوائل السور تبلغ ١٤ حرفاً وهي نصف الحروف الثمانية والعشرين وقد تقدم هناك إيضاح حكمها ، والذي يهم في هذه السورة بيان أن ذلك إشارة إلى أن الحروف قد حلت إليها الكلمات كما تحلل المركبات إلى عناصر . وكأن الله يقول لنا تأملوا الجمل والآيات أليست من حروف ؟ وهل تعرف الجمل إلا بتحليلها إلى كلمات ؟ وهل تعرف الكلمات صرفاً واشتقاقاً وكتابة إلا بمعرفة حروفها ؟

هذا في علوم اللغات . أما في علوم الآفاق الشاهدة فكذلك إذ لا يعرف علم إلا بمعرفة حقائقه وإرجاع مركباته إلى أصولها كما ترى في هذه السورة فإن خروج النار من الشجر الأخضر يرجع إلى علم الكيمياء وهو من العلوم الطبيعية . وتقدير القمر منازل يرجع إلى علم الفلك وهو من العلوم الرياضية . يقول الله لنا لا علم للناس إلا إذا حطوا المركبات في كل شيء . فيحللون المسائل الحسابة والهندسية والفلكية وكذلك المركبات الطبيعية .

الكلام على قوله تعالى « الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً »

انظر في هذه الآية وتأمل كيف يقول الله للناس وهم لا يزالون في بداوتهم وأول تطورهم . انظروا واعرفوا ما تزاولونه من أعمالكم .

أيها الناس : تأملوا في العجائب البارزة أي التي سبقت في خواصها بحيث تلفت إليها الأنظار . انظروا شجر اللرخ والعفار كيف يكون الفصنان منهما بقطران ماء فإذا حك أحدهما في قفرة من الآخر اشتعل ناراً أليس هذا من العجب أن تروا النار واللاء معا ، وكيف يجتمع الضدان الماء والنار ، إن هذا الاجتماع يدعو إلى الفسك فإن التعجب أول العلم ومن تعجب من شيء فهو مشتاق إليه ومن اشتاق طلب ، ومن طلب نال ونظير هذا الأحجار فإذا حك حجر على آخر اقتدحت منهما نار وظهر شرر . أمر الله الناس بالنظر في هذا استدلالاً على سعة قدرته وحث الناس قبل ذلك على الاعتبار بما ينتفعون به من دواب للكروب وأخرى لمنافع ومشارب ، وأمر بالشكر عليها ووبخ من لم يشكر .

(البدو والحضارة)

كل ذلك والقرآن يقرأ في بادية العرب عند قوم أميين في حال البداوة . يأمرهم أن يستخرجوا البراهين من العجائب التي يرونها ويشكروا على كل ما انتفعوا به . هذا هو شأن القرآن . يخاطب الأميين . انظر ماذا حصل بعد ذلك ؟ تطورت الأمة العربية خصوصا والإسلامية عموما . فإذا جرى ؟ انتقلوا من البدو إلى الحضارة كان الإقناء أولا من صدور الرجال وفهم القرآن ، كثر الناس ، سكنوا للدين ، نظموا الممالك والبرد والقضاء فاضطروا إلى التأليف والتصنيف ودونوا الدواوين واختلفت طرق الاجتهاد فكانت مذاهب متشعبة كأغصان شجرة فيها الورق والزهر . ذلك كله في علم الفقه للستمد من آيات لا تزيد على مائة وخمسين آية فقد ألف فيه مؤلفات ملأت خزائن وخزائن في بغداد وقرطبة ومصر وحلب . لماذا ؟ لأن الفقه اضطر له الناس ليحفظ أحوالهم الاجتماعية . فهو في دين الإسلام كجسم ، والجسم مقدم النظر فيه على النظر في الروح . وروح الجسم ضعيف ضعيفة وأمة بلا قانون مشتتة . تعادى الناس في الفقه واختص بالبحث في العالم وعجائبه أناس ودونوا الكتب ولكنهم لم يكونوا في الكثرة ولا في نظر العامة كالفقهاء .

نبئت الأمة الإسلامية في الفقه تبعا لنمو الحضارة حتى أمكن أن يستتجوا من آية واحدة وهي قوله تعالى « فاعتبروا يا أولي الأبصار » ربع علم الفقه وهو القياس . جل الله وجل العلم هذا شأن آياتنا في علم الدين ، وبعبارة أخرى سياج علم الدين وجسمه .

أما روح الدين الإسلامي فهي الأخلاق والعلوم الكونية . والدليل على ذلك أن الأخلاق نحو (٧٥٠) آية وكذلك العلوم بل إن القسمين الأخيرين يشملان أكثر القرآن ، فالقصص كلها أخلاق من حيث نتائجها وعلوم . لم بحث أكثر العلماء في القرون الأخيرة على علوم الأخلاق ولا علوم الآفاق . عرف آباؤنا الصوف والشعر والوبر والزناد وكلهم الله فقال انظروا تحضر آباؤنا ، نظموا للدين ، فتحوا مصر والشام وشمال بلاد أفريقيا ، ولما فعلوا ذلك كله ملكوا الأندلس ، ملكوا الهند والفرس ، واتسع الفقه باتساع الملك فكان مقتضى القياس أن يتسع علم الكائنات وينتقل من لبن البقر وصوف الغنم ووبر الإبل وزناد الريح والغفار إلى جميع العلوم الكيماوية والطبيعية ، كما اتسع علم الفقه من القضايا الأولى للذكورة في القرآن كآية الوارث وآية الدين وآية الوضوء والصلاة والزكاة إلى كتب ضخمة هائلة وعلماء خصوا لذلك كان القياس أن يكون للعلوم الكونية من طبيعة وفلك ورياضة وسياسة رجال أكثر عددا من علماء الفقه ، ذلك لأن هذه العلوم بها يكون الغذاء والدواء والحياة ، فأما علم الفقه فهو ضابط لما هو موجود ، فعلم الفقه لحفظ ما عملك ولكن لا عملك شيئا إلا بهذه العلوم . ومماثل الأمة التي تدرس الفقه وتنسى العلوم الأخرى إلا كمثل من يتغذى بالدواء إن الدواء ليس غذاء . فذلك يعيش مريضا . لذلك ولغيره اضمحلت الممالك الإسلامية في أقطار الأرض . ولكن الله عز وجل لم يخلها من علماء قاموا بالأمر لاسبأ المسيحيين والقارسيين ، فقد نبغ كثير منهم في تلك العلوم ، ولما آذنت شمس المسلمين بالفرود انتقل علم آياتنا في ذلك إلى أوروبا والذي نقله هو الله . نقل البذرة فنمت هناك وأزهرت وأثمرت ، فصل الله ذلك لأنه هو للهمن على أهل الأرض وكلهم عباده وهو الذي يسلمهم ، فلما انحطت دولنا في الشرق نقل علمنا إلى الغرب ، فلما تم العلم هناك أخذ الغرب يطفى علينا وحرارنا بتمرات علوم آياتنا والله هو الذي سلطهم علينا رحمة منه بنا لأننا إن كنا أهلا للحياة اشتقتنا قمرنا فنبتنا وهو المقصود ، وإن كانت الأمة لم تستمد لذلك فإنها تهلك والعباد بالله تعالى ، لموت البليد راحة له ولأهل الأرض ، وحياتة الذي نفع له ولأهل الأرض ، فمن هذا ترى أن شكوى الشرق من الغرب خطأ لأن

الله هو الذي ساطهم ، وإنما سلطهم لرحمتنا إما بحياة علمية وإما بموت على شهادة ؛ فأما إذا كان غير ذلك فيكون الناس في الأرض أشبه بمن في جهنم لا يموت فيها ولا يحيا .

﴿ علوم الآفاق في مستقبل الزمان في بلاد الإسلام ﴾

علمت أن أهل البادية من آبائنا كقام نظرم العلمى فيما كان بأيديهم من منافع وآمنوا ووجدوا واجهوا وملكوا الأقطار . لماذا ؟ لأن الفطرة السليمة في البادية أقرب الى السكال لم تدرس تلك الفطر المدنية فلذلك قنعوا بما حولهم من علوم المادة فكان العلم بما حولهم كافيا لإيمانهم كما كانت حاجاتهم العيشية البسيطة كافية لأغذيتهم الجسمية ، ولا جرم أنه على مقدار انتشار المدينة واتساع المدن يحصل (أمران : الأول) كثرة الحاجات فتنشأ الصناعات الكثيرة والعلوم العظيمة (والثاني) أغشية العقول والشهوات والرذائل وأمراض الأخلاق التي تتكاثر بكثرة المدينة . فهذان أمران متباينان معا : أكثر الحاجات الجسمية في العيشة ، وتطلب العقول لحل المضلات وإزالة الشكوك التي يولدها الترف والتنعم وانتشار الآراء الضالة التي لا يعرفها أهل البدواة . وإذن ترى أهل المدن مضطربين للعلوم الآفاقية لترقية المدينة والحاجة لها ولتنمية العقول وارتقائها . ولما مال البزان في الأمم الإسلامية ولم تترن القوى العقلية والقوى الجسمية فيها انحطت كلها إلا قليلا . فترى المسلم أينما حلت في الشرق أو الغرب موصوفا بالنظافة لما اشتهر في علم الفقه من الوضوء والصلاة ولكنه مشتهر بأنه جاهل . ولذلك لما رحل العلم إلى أوروبا رجعت إلينا تعاقبتنا على جهلنا ، العقاب من الله . فأوروبا تمارينا وتحتل بلادنا لمنافعها وهي لا تعلم أن الله أرسلها رحمة منه لنا لنستيقظ لهذا الكتاب الذي تؤمن به ولندرسه حق دراسته . ومن دراسته دراسة هذه السورة وفيها أن النار تنقد من اللرخ والغفار ، ومن هذه مع حرفي الباء والسين وأمور أخرى سيرجع للإسلام كرة أخرى مجده وعلومه . وسيكون في هذه الأمة من يقرءون هذه العلوم على أنها دين بل هي روحه وهي أصل التوحيد .

﴿ محاورات بين المؤلف وبين أحد العلماء ﴾

حضر اليوم وأنا أكتب هذا صديق حميم من أهل العلم . فقال : لقد أطلت في مسألة الشجر واتقاده نارا وأدخلت كل شيء في شيء واحد وهذا بعيد للنال ليس مما يعتاد احتمال ولا يقبل أمثاله . قلت : إن اتقاد النار في الأشجار رطبة أو غير رطبة من الظواهر الكيماوية . فقال مامنى كيماوية ومامنى طبيعية ؟ قلت : إذا تنوعت صفات الأجسام بتأثير مؤثر كالحرارة والكهربائية أو بتأثير بعض الأجسام . فهذا النوع يسمونه (ظاهرة) فإن غير هذا النوع طبيعة الجسم وحوله من حال إلى حال سميت الظاهرة كيماوية . وإن لم يغير طبيعته سميت ظاهرة طبيعية .

فإذا أخذت قطعة من السكر ووضعها في الماء فانها تذوب فيه وتصبح سائلة بعد الصلابة . فاستحالة قطعة السكر من الصلابة إلى السيولة ظاهرة طبيعية لأن طبيعة السكر لم تتغير لأنك إذا وضعت الماء الذي ذابت فيه قطعة السكر على النار رأيت الماء يتصاعد ويبقى السكر كما كان قبل ذوبانه : وإذا وضع السكر على الجمر التقد مباشرة فإنه يحمر وتشم منه رائحة الخبز المحرق . فهذا النوع يسمى ظاهرة كيماوية لأنه غير طبيعة السكر ، وإذا حل السكر في الماء للضاف إليه عصير الليمون وسخن المهلول فانه يصير مادة طعمها حلو سكري تركيبها يخالف السكر المعتاد وهذه المادة تسمى (جليكوز) وهي تتكون في جميع الفمار السكرية الحمضية . فإذا ن استحالة السكر المعتاد إلى (جليكوز) بتأثير عصير الليمون يسمى أيضا ظاهرة كيماوية . فمعرفة الظواهر الطبيعية في علم الطبيعة ومعرفة الظواهر الكيماوية في علم الكيمياء .

فقال صديقي ، فمن أيهما مسألة النار في الشجر . قلت من الظواهر الكيماوية . قال : إذن زيد أن تستمر

في شرح الأمور الكيميائية . قلت نعم ما يناسب منها للقيام . قال : ولكن العلوم أن علم الكيمياء علم غير قديم وليس للطالب إلا أن يحفظه عن ظهر قلب ففادته غير موجودة ونحن الآن في تفسير القرآن . وإذا كانت المسائل الكيميائية تصعب على طلابها فما بالك بطلاب التفسير . فقلت : اعلم أيديك الله أن الكيمياء وغيرها إذا درست في التفسير فإنها لا تدرس إلا بطريق مشوق لجمالها محب للاطلاع عليها . ألا ترى إلى اللؤلؤ « ليست الناعمة كالسلكي » فذكر مسائل من هذا العلم هنا على سبيل عرض مناظر الجمال العلمي والنور الإلهي والحكمة العالية فما أشوق الطالب حين يطلع على ما سأورده الآن من جمال وبهاء ونور وعرفان .

﴿ نظرتي لهذا العالم وأنا طالب بالجامع الأزهر ﴾

إني أتذكر اليوم ما كان يجيش بخلدِي وبهجس في نفسي إذ كنت طالبا بالجامع الأزهر ، فلقد كنت أقف على شاطئ نهر يسمى (أبا الأخضر) بالشرقية قرب قريتنا وأتأمل الأوراق والنسبات تهب بهن مترنحات ذات العيين وذات الشمال .

والريح تعبث بالنصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

فلقد كان يجيل إلى أن في تلك الأوراق أسراراً ويجيل إلى أنها تكاد تتحلل أمامي وكأنها مملوءة حكمة محبوبة عني وكان قلبي يتقد نارا من الشوق إلى معرفة عجائبها وهو يحس كأنها تتوهج وتضيء وكأنها تتطرق بلسان الحال بأنها ذات أسرار لا يعرفها إلا العالمون ، كذلك كنت أنظر إلى النجم وأقول :
النجم أخبرنا بأن وراءه حكما يجمل عن العقول وتعظم

بعد ذلك دخلت مدرسة دار العلوم . فلما طلعت فيها على أنارة من هذا العلم انشرح صدري وكأنني أعطيت ملكا وكان ذلك أعظم بهجة لنفسي وسرورا وجورا .

﴿ إيضاح للقيام وتفصيله بالمثال ﴾

فهذه العلوم إن درست مجردة من الحكمة النظامية كانت صعبة المنال وإن درست على أنها جمال وحكمة وبهاء فإن العقل بألقها وبشقها وبراهها سمادته . فلا ذكر لك الآن من عجائب الكيمياء ما به تفر عينك ويشلج صدرك فأقول :

لقد قرأت في السورة أن الله يأمر بالنظر في الأنعام وأصوافها وأليانها وفي الأشجار ونارها (وعبارة أخرى) يقول انظروا في كل ما حولكم في السماء والأرض . فهل ذكر الله ذلك للاقتصار عليه ؟ كلا . ذكر ما هو موجود عندهم . فلننظر نحن إلى كل ما نعلم مما حولنا ، يذكر الله أن الشجر اتقد فصار نارا . وما هي النار ؟ إن هي إلا أعواد الخشب والقحم وغاز الاستنصباح والبتروك والزيوت وغيرها بالمادة التي في الهواء السامة (الأكسوجين) فهذا هو الاحتراق ، فإذا رأيت مصباحا متقدًا بالبتروك أو بالزيت أو رأيت نارًا متقدة في خشب أو قحم فمضى ذلك أن أكسوجين الهواء قد أعمد مع تلك المواد فحصل تفاعل وهذا التفاعل أنتج الحرارة والضوء ، فالتار إذن من التفاعل الكيميائي وهي ظاهرة كيميائية ، وما الأكسوجين ؟ إلا أكسوجين غاز عديم اللون والطعم والرائحة يسيل بضغطه ضغطا عظيما وتبريده تبريدا شديدا ، وهو أثقل من الهواء قليل اللبوان في الماء ، وإذا وضعت قطعة من الخشب متقدًا طرفها في غاز الأكسوجين النقي فانها تلتهب حالا وكذا القحم فإنه يحترق بلعان شديداً ويذول بسرعة ، فهذا الذي رأيت يسمى احتراقا حادا فما ذكره الله في الآية من الاحتراق الحاد .

﴿ الاحتراق البطيء ﴾

إذا وضعت الحديد في الهواء الرطب أعيد بالأكسوجين المذكور فاستحال شيئاً فشيئاً إلى صدأ: أى إلى مركب أكسوجين للحديد؛ فإذا الحديد الذى ركبته الصدأ مركب من حديد وأكسوجين ولم تظهر حرارة ولا ضوء لأن الحديد بطيء الاحتراق بخلاف الحشيب والقعم والزيت، فرجال الكيمياء يرون أن الحشيب للتهيب والحديد الذى ركبته الصدأ كلاهما في احتراق؛ أما الأول فهو حار. وأما الثانى فهو بطيء.

﴿ تنفس الحيوان من الاحتراق ﴾

لقد علمت أن الحديد الذى صدئ يحترق واحتراقه بطيء هكذا قل في نفس الحيوان، إن الحيوان يأخذ بالشهيق الهواء فيدخل في الرئتين ويترك هناك الأكسوجين وتأخذه الكرات الدموية وتنقله إلى الأوعية الشعرية، وهذا الأكسوجين يتحد بالكربون والأبديروجين اللذين في الأنسجة فيتكون من هذا الاحتراق جسمان لا يصلحان للبقاء في الجسم فينقلهما الدم الوريدي إلى الرئة ويخرجان منها بحركة الزفير فكأن جسم الإنسان أرض سقيت بماء النيل وما يبق من الماء الذى يضر الأرض يصفى من جهة أخرى وهذا هو الذى تم في الأكسوجين، يتحد بالمادة الكربونية وبالمادة الإيدروجينية فتكون الحرارة في الجسم مستديمة بهذا الاتحاد، وما نشأ من مادة فاسدة يكون أشبه بالقعم بعد احتراق الحشيب، فذلك يلفظه الجسم بواسطة الدم الوريدي ويخرج في النفس على هيئة مواد تقع على المرآة إذا تنفس فيها الإنسان فيغطيها بطبقة تحجب المناظر عن العيون، ذلك هو ما تخلف من الاحتراق من اللواد الكربونية مع غيرها كما نرى في أعمالنا اليومية.

فانظر أيها الذكي كيف كان الأكسوجين قوام الاحتراق في مسألة الشجر والنار. وكيف كان العلم لا يفرق بين الشجر التقدر نارا في الآبة والحديد الذى صدئ وجسم الإنسان والحيوان وهو دائماً يتنفس. فإذا كان الشجر يتقد نارا فالجسم الإنسانى اليوم يتقد نارا بطيئة والحديد الذى صدئ كذلك وهذا كله لم يعرف إلا بتحليل للادة إلى عناصرها وفهمها كما فهمنا اللغة بتحليلها إلى حروفها. كل هذا يؤخذ من هذين الحرفين (ياء وسين). فذكر هذين الحرفين في أول هذه السورة يتضمن هذه العلوم. يتضمن أن يدرس المسلمون الكيمياء وجميع العلوم. لا درس لعلم إلا بتحليله كاستراه. فانظر كيف ظهرت الخواص بالتحليل كما عرفت الكلمات بالتهجية.

فلما سمع صاحبي ذلك. قال: إن هذا العلم لذيذ وشهى وإنى سمعتك تقول الآن إنه كان يجبل لك أن أوراق الشجر كانت تكاد تهجات أمامك وكأن فيها أنواراً. فهل عرفت من هذا شيئاً؟ فإن كان كذلك فأرجو الإسهاب في هذا المقام. قلت: انظر شعر القطن وحب القمح وحب الشعير وحب الثرة وحب القبول والبطاطس والقصب والبرسيم والصابون اللين وملح البارود والنطرون والزجاج. انظر إلى هذه اللواد وهى ثلاثة عشر وتأمل في عجب من عجائبها. إن البوتاسا تدخل في القطن (٥٥) من المائة وفي حب القمح ٣١٥ وفي حب الشعير ٢١ وفي الثرة ٣٧ وفي القبول ٤٢ وفي البطاطس ٦١ وفي القصب ٢١ وفي البرسيم ٣٤ وترى السوداء تدخل فيها تقدم بنسب تختلف عن هذه، مثلاً تدخل في شعر القطن (٣٥) تقريباً وفي حب القمح (٢٢٦) في المائة وفي حب الثرة (٣) وفي حب القبول (٣٣) من المائة، فإذا كل هذه اللواد دخل فيها البوتاسا والسودا، ثم إن السوداء تستعمل في الصنائع لتحضير الزجاج والصابون وبها تبيض الأقمشة القطنية وتستعمل في النازل لتسل الأواني وتنظيفها.

فقال صاحبي: أنا لأدري ما هى السوداء، هذا كلام معصى علينا فكيف تقوله في تفسير القرآن والقرآن سهل ومثل هذا صعب لا يعرف إلا في الأجزخانات (الصيدليات). فقلت له: السوداء هى النطرون وهو يوجد

في بلاد المجر وفي القطر المصري . وترى في بلادنا المصرية بركا يتبلور فيها النطرون في الصيف . وقديما كان يستخرج من النباتات البحرية والآن يحضر من الملح المعتاد الذي يسمى كلورور الصوديوم والصودا المذكورة أو ملح الصودا الذي منه النطرون عبارة عن كربون وأكسوجين وصوديوم أعنى أنه من السادة الفحمية والصوديوم والأكسوجين المعروف أنحدت فكونت هذا الملح . قال : وما الصوديوم وما صفاته ؟ قلت الصوديوم فلز لين ذو لمعان فضي يصهر في الهواء من غير أن يلتهب . وإذا ألقى في الماء اصطهر وتحرك بعضه على بعض فوق سطح الماء وهذا التفاعل يحصل نظيره في البوتاسيوم كما سيأتي وهو يكون في الجيوب التي تأكلها المذكورة ودخل في القطن الذي نلبسه . كل ذلك فيه بوتاسيوم وفيه صوديوم . أما الصوديوم فهو من الأجزاء المركبة للصودا المذكورة . وأما البوتاسيوم فهو من الأجزاء التي تركبت منها البوتاسا المذكورة سابقا فإن البوتاسا المذكورة أي الداخلة في الحب والشعرو غيرها عبارة عن بوتاسيوم قد أخذ مع أكسوجين وأيدروجين وتسمى (البوتاسا السكاوية) والبوتاسا جسم كالوشديد إذا لامس الأنسجة أحدث فيها استرخاء وأتلفها . ومن مركبات البوتاسا ملح البارود . إنك مهما قلبت نظرك في المواضع الرطبة والحيطان الرطبة في أراضي القطر المصري والمهند والعجم واسبانيا فإنك تجد ملح البارود ظاهرا لاسيا في المحال الحربية فهذا الملح الذي في تلك الأماكن مركب من الأوزوت والأكسوجين والبوتاسيوم المذكور . فهو إذن من مركباته . فالبوتاسيوم إذن داخل في البارود وفي ملابسنا وفي مآكلنا ، وإذا أردت أن تعرف صفاته قلنا إنه جسم من الفلزات لونه أبيض فضي لماع لين كشمع العسل ويصهر على درجة (٦٣ر٥) ويتطاير على درجة دون الاحمرار ولون بخاره أخضر جميل وهو أخف من الماء ويتغير لونه بملاسة الهواء ويحلل الماء على الدرجة المعتادة فيحصل تفاعل بشدة ، فإذا ألقى قطعة من البوتاسيوم في الماء فإن كرات البوتاسيوم تحمر بسبب شدة ارتفاع الحرارة الناتجة عن التفاعل ويحصل التهاب . وترى بينك كرات من البوتاسيوم يدور بعضها على سطح سائجة جميعها على سطح الماء . وهذه العملية يحصل بها استحالة البوتاسيوم إلى بوتاسا وحينئذ ينقطع التصاعد فتسقط قطعة البوتاسا على الماء فيظهر بخار جفأ بسبب الحرارة وتحصل فرقة .

هذه ملخص أوصاف البوتاسيوم . انظر وتعجب ، لقد عرفت البوتاسيوم الذي هو من أجزاء البوتاسا تلك البوتاسا التي تدخل في تركيب الصابون ويدخل البوتاسيوم أيضا في ملح البارود الذي هو مركب من البوتاسيوم ومن الأكسوجين ومن الأوزوت .

انظر إلى الصابون الطري وإلى ملح البارود الذي تراه على الحيطان الرطبة والأماكن الحربية ، وانظر إلى ثوبك الذي تلبسه من القطن وإلى حب القمح وحب القول والشعير والبرسيم ، انظر هل يدور بخلك أنها قد دخل فيها عنصر لو وضعناه على الماء انقذ نارا ، هل كان يدور بخلك أحد أننا نلبس ثيابا محتوية على مادتين لو وضعنا على الماء انقذ نارا ؟ الله أكبر . جل العلم وجلت الحكمة . نسمع أن البارود يهلك البلاد والعباد والبارود مركب من ملح البارود الذي فيه البوتاسيوم ومن الكبريت والقمح ، البارود مركب من القمح الذي نوقده في بيوتنا ومن الكبريت ومن ملح البارود . وقد اختلفت الدول في التقادير كما تقدم ، ففرنسا تدخل من ملح البارود (٧٥) في المائة وألمانيا (٧٤) في المائة وأنجلترا (٧٦) في المائة في تركيب البارود . البارود الذي فازت به أوروبا علينا وأنت وحاربتنا به ودخل في تركيبه البوتاسيوم ، ذلك البوتاسيوم الذي إذا ألقى على الماء التهاب النساء ، ذلك البوتاسيوم الذي هو من جملة الأجزاء للسكونة لملابسنا القطنية والقمح والشعير والقول والبرسيم . جل الله ، ما أجمل العلم ! انظر إلى علم الكيمياء . لا لا . بل انظر إلى سورة يس كيف ظهر من سرها هذا الجمال وهو التحليل تحليل الحروف في أولها وتحليل الكيمياء في آخرها .

انظر كيف دخل البوتاسيوم ودخل الصوديوم هذان الجسامان اللذان يلتهبان في الماء ، يلتهبان أشد من التهاب
الشجر الأخضر ، أكثر من التهاب الخرخ إذا حك بالعفار ، جل الله وجل العلم . ما أبهج نور العلم وما أجمل
الحكمة ، إن العلم ملاً السهل والجبل وعرفه الغريون أما للمسلمون فهم نائمون .

أيها المسلمون : يقول الله سبحانه «الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون»
ولعلكم معتم أن الله خلق ملكا نصفه ثلج ونصفه نار ، فلا الثلج يطفى النار ولا النار تذيب الثلج ، ذلك
إشارة إلى آثار صنعة اللائكة بأمر الله ، ألم تروا كيف اجتمع في ملابسنا جسامان ناريان مصحوبان بالماء .

العجب في هذين الأمرين الأول أن البوتاسيوم والصوديوم يلتهبان في الماء على الدرجة المعتادة وهذا
عجب عجاب ، هذا أعجب من انقاد النار في شجر أخضر ، فهذا انقاد في ماء وانقاد الماء نار أغرب
فاذا ذكر الله سبحانه الشجر والنار المتقدة فيه فههنا انقاد في الماء وهو أبداع وأعجب في الحكمة الإلهية كما
قال «وخلق مالا تعلمون» وكما قال في هذه السورة «سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن
أنفسهم وما لا يعلمون» .

أما الأمر الثاني فهذان الجسامان المحرقان ، نحن الآن نلبسهما ونأكلهما لأهما دخلا في تركيب القطن
والحب ونحن نتسل ثيابنا بأحدهما لأن البوتاسيوم الذي هو من أجزاء اليوتاسا داخل في الصابون الذي
نتسل به أجسامنا وثيابنا وإنما أكلناهما ولبسناهما لأنهما دخلا بمقادير قليلة في الحب . القطن ، دخلا بحساب
بديع ونظام متقن في أرزاقنا ، أدخلهما الله بحسابه وترك لنا الحرية في إدخال البوتاسيوم والمركب منه وهو
ملح البارود فأدخلته الأمم مع الكبريت والفحم . ولكن إدخال الأمم له ليس كإدخال الله له في النبات .
إن الناس أدخلوه بكثرة بحيث صار ثلاثة أرباع البارود . أما الله فإنه أدخله بقله . فاذن البوتاسيوم حياة لنا
إذا قل وموت لنا إذا كثر والله جعله لنا حياة والناس تصرفوا فيه لجماعه آلة للموت . وهذا هو السر في هذه
السورة .

جعل الله الحروف مجزأة في أولها وفي أول غيرها من السور لتعليمنا علم التحليل ، فلم يبق للمسلمين
غدر بهذه البيان . استدلل الله بالنار في الشجر على بديع حكمته وإتقان صنعته مشيرا إلى التحليل الكيماوي
في العالم . ثم رأينا للواد المحرقة من البوتاسيوم ومن الصوديوم منتشرة في أكثر النبات ورأيناها مستعملة
عند الأمم في البارود . فهي مهلكة تارة ومحيية أخرى ووجدنا هذا كله لا يكون إلا بمعرفة العناصر الكيماوية
وسرها وهذا هو سر (سورة يس) وقد ورد «قلب القرآن يس» .

لقد ظهر أن فيها قلب العلوم وأسها وهو التحليل بالحروف في أولها وبالعلوم الطبيعية والرياضية في وسطها
وآخرها . وإياك أن تظن أنها قلب القرآن بسبب هذا وحده بل هذا من جملة علومها فثبت مما تقدم
ما يأتي :

- (١) الصوديوم والبوتاسيوم باتصالهما بالماء تنقد نار كما انقدت من احتكاك الخرخ مع العفار .
- (٢) هما عنصران داخلان في أغذيتنا وملابسنا بمقادير قليلة فكانت من أسباب حياتنا ومنفعتنا
- (٣) هما داخلان في البارود بمقادير كثيرة يستعملان لإزالة الحياة .
- (٤) سورة يس أشار الله فيها إلى ذلك التحليل بالحرفين المجانيين في أولها وبذكر انقاد النار في الخرخ
والعفار انقادا كيماويا في آخرها أي أن العلوم كلها ترجع إما إلى عناصر إن كانت طبيعية وإما إلى
حروف إن كانت لغوية وكلاهما لا يعرف إلا بالتحليل واللغة مقدمة وتليها العلوم .

(٥) إذا زادت الكلمة حرفاً أو نقصت حرفاً تغير المعنى وتغير الأثر في العقول ، هكذا إذا زاد المركب عنصراً أو ذرة من عنصر أو نقص عنصراً أو ذرة من عنصر تغيرت خواص المركبات ، وهذا مقصود لفظة (يس) .

(فائدة)

- (١) من مركبات البوتاسيوم السواربخ التي تظهر على هيئة مطر وتسمى سواربخ المطر فهي مكونة من البارود الناعم ومن الفحم الخفيف ومن عنصرين آخرين : وهما الحارصين والأنتيمون .
- (٢) ومن مركباته أيضاً النيران .
- (٣) والنيران الخضراء .
- (٤) والنيران البنفسجية .
- (٥) والنيران الحمراء .

ومن البوتاسيوم حياتنا بالأغذية . حفظ أجسامنا بالملايس ، وهلاك الأعداء بالمدافع والبارود وانسراح الصدور في المواسم والأعياد بالألوان المختلفة للأمة . جل الله الذي جعل ذلك كله في معنى لفظ يس . بهذا يعرف المسلمون بعض سر هذين الحرفين ياء وسين .

(فائدة ثانية : ملح الطعام)

الناس يأكلون ملح الطعام ويعيشون ويموتون وهم لا يعلمون من أي شيء ركب . يعيش الإنسان وهو يأكل للملح في طعامه ولا يدري أنه يأكل في الملح جسمين متحدين : أحدهما ناري إذا ألقى في الماء اسطهر وتحرك بعضه على بعض فوق سطح الماء كما يحصل في البوتاسيوم . وذلك الجسم هو الصوديوم . فالصوديوم يلتب في الماء وينتهي بفرقة .

هذا أحد الجسمين . أما الجسم الآخر فهو الكلور وهو غاز لونه الصفرة مخضر يؤثر بقوة في أعضاء التنفس فيحدث سعالاً وتهيجاً في الأغشية المخاطية ، وإذا استمر تأثيره أحدث ، الموت والكلوريزيل للواد اللوثة ويتلف الجراثيم المعدية والروائح العفنة التي تتكون في التخمر العفن ويستعمل في تبيض الأنسجة التي من القطن والكتان والتيل لإتلاف اللواد اللوثة ، ويستعمل في تبخير السجون والمستشفيات والمحال العفنة لإتلاف الجراثيم فيها والواد السببية للعفونة . ولا يستعمل الكلور لتبيض الصوف أو الحرير لأنه يتلفهما وهو يبيض عجينة الورق لأنه يزيل لون الحرق المستعملة في العجينة ؟ إن الذهب والبلايين لا تؤثر فيهما الحوامض ولكن يؤثر فيهما الكلور فيتحد معهما ويسميان كلورور الذهب وكلورور البلايين .

(الماء اللسكي)

الكلور يدخل في التركيب الذي يسمى الماء اللسكي ، وهو سائل أصفر يذيب اللاتين والذهب فيتكون كلورور البلايين وكلورور الذهب ، وإنما سمى ماء لسكي لأنه يذيب الذهب الذي هو ملك للمعادن ، جل الله وجلت الحكمة وجل العم : ملح نأكله في هذه الحياة ولا ندري أننا نأكل جسمين : أحدهما ناري يتقد ناراً مع الماء وهو الصوديوم ، وثانتهما جسم غازي مخضر اللون يحدث لسعال عمت عمت الإنسان إذا طال استعماله ويمت الجراثيم حلالاً ويؤثر في الذهب ملك للمعادن ويضر الصوف وينظف القطن . إن الملح نافع لنا والجسمان اللذان تركب منهما أحدهما مهلك تارة ونافع أخرى . كل ذلك لا يعرف إلا بصناعة التحليل في علم الكيمياء وذلك كله في معنى (يس) .

بأيت شمري هل يدري السلم وهوياً كل الملح أن هذا الملح سر (سورة يس) وعلومها محتوى على بسائط ضارة ونافعة وقاتلة . عرفت أوروبا ذلك . عرفت سر التحليل فعلتنا كيف نزيل العفونات ، وكيف تقتل الجراثيم ، ولم ندر نحن أن القرآن يطالبنا بذلك في لفظة يس . جاءت أوروبا بالعازات الحاققة والمهدنة للسعال ونحن نتعجب ونقول عجباً عجباً ! ما أعلمهم ونحن في الوقت نفسه نأكل للملح المحتوى على الكاور والكاور يحدث السعال ويحدث اللوث ، ونقرأ يس صباحاً ومساءً لقضاء الحاجات من رب الكائنات ولا نعلم أن في لفظة (يس) هذا السر للصون وهو سر التحليل وبه نعرف المواد الهللكة والمواد النافعة وبه نحارب من يحاربنا . لما جهلنا ذلك أرسل الله أوروبا بخاربتنا وغلبتنا فانتبهنا فذلك ظهر بعض سر (يس) في هذا التفسير . لولا فضل أوروبا علينا وحرماننا لم يظهر بعض سر (يس) الذى اطلمت عليه الآن .

نأكل الملح ولا ندري أن أحد جسميه وهو الكاور هو الذى ينظف الحرق المستعملة لعجينة الورق . أنا أكتب الآن على هذا الورق الذى لولا الكاور لم يكن ورقاً أى لولا أحد جسمى ملح الطعام لم يكن ورقاً . لم يكن ورقاً لإزالة الكاور الذى هو أصفر اللون مع اخضرار لألوان الحرق . لولا لم يكن الورق أبيض بل كان كثير الألوان فلا ينفع فيه كتابة . إن ملح الطعام منتشر في الدنيا فهو في الجبال وفي أعوار الأرض وفي مياه البحار بنسبة (٣١) جراماً في اللتر في المحيط الاطلسنطى والهادى الباسفيكى و١٨ جراماً في البحر الاسود وفي بحر الخزر (٦) جرامات في اللتر وفي البحر الأبيض (٣١) جراماً في اللتر ومحضرى ملاحات الاسكندرية ورشيد ودمياط ، وقد تقدم ذلك في هذا التفسير في آخر (آل عمران) .

هذا هو الملح الذى نأكله . هذا هو للملح الذى ملأ البحر وهو في الجبل حلل إلى جسمين نارى وقاتل أو ممرض ونافع . وسر (يس) لاستخراج منافعه . قالناس يقرءون (يس) ويتعاطون للملح وهم لا يعلمون ذلك من سر قوله تعالى « الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا » وأكثر الشجر فيه الصوديوم والبوتاسيوم والصوديوم في الملح . فهذا كله من سر سورة (يس) فلا كتف بهذا القدر « والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم » . انتهى الكلام على علم الكيمياء

﴿ الكلام على بعض العلوم ﴾

لقد علمت بعض ما ترمز إليه الحروف التى في أوائل السور ومنها سورة (يس) . ولعلك تقول: أتري أن ياء وسين تفيد هذه المعانى كلها ؟ أقول نعم إن الله لما أنزل القرآن أراد هذه المعانى التى كتبت بها التى سيقولها من بعدنا . فالمعقول الإنسانية اليوم وبعد اليوم مستمدة من الله وهى تفهم من الوحي فهما يؤدى الى الثمرات المطلوبة في زمانها ، لما كان حقاً بقى وما كان باطلاً اضمحل . وإذا كان القرآن نفسه محفوظاً بالنص فهكذا ما كان حقاً من تفسيره أو تأويله أو رمزه .

ولعلك تقول أوضح فأقول : إن الحروف التى في أوائل السور لم تعرفها العرب . لم تقرأ في العلفات التى هى أشرف ما قيل في زمن الجاهلية ولا في غير العلفات أن الشاعر قال طسّ ولاحمّ ولا المرّ ولا الرّ ولا المّ وإنا ما ينطق بقوله :
 قفانك من ذكرى حبيب ومنزل
 أو بقوله :
 ليسة أطلال بركة نهمد
 أو بقوله :
 آذنتنا بينها أسماء
 أو بقوله :
 ألا هى بصحنك فاصبحينا

ولم نسمع شاعراً يوماً ولا خطيباً يقول : ألم قفانك من ذكرى حبيب ومنزل الخ وإنا هذه الحروف اختص بها القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم قرأها ولم يفسرها ولو فسرها لوقت المعقول عند تفسيره . فمعنى هذا أنه تعالى يقول

لنا فسكروا في هذا . لم أنزل . ولم أختص القرآن به مع أن القرآن ليس مدرسة لتعليم الهجاء وإنما هو ذكر
وقرآن مبين فأين الذكر هنا ؟ ولقد فكر من قبلنا كل بحسب ما وصل إليه فهمه وقد تقدم في أوائل سورة
آل عمران . أما نحن فنقول إن هذه أشبه بمخزائن علم أقيمت لتدبر الناس فيها والحزائن لا تبرز إلا عند
الاحتضاء . ووجدنا المسلمين مقصرين في جميع العلوم التي فيها التحليل قلنا إذن الله يريد أن يذكرنا بما نسيناه
وهو إرجاع الأمور إلى أصولها ويقول لنا أمرا سهلا (الم . م . ي . س) وهكذا يقول ادرسوا أصول الأشياء
فلما سمعناه يقول ذلك فكرنا فوجدنا أن أوروبا نبقت في علم الكيمياء وغيرها وعرفت العناصر واستخدمتها
في الحرب والتجارة وجميع فروع الحياة قلنا: أيها المسلمون ادرسوا هذا العلم ، انظروا النبات وحلوله كما حل
الشجر واحترق نارا .

هذا ما قرأته أنت في القول السابق وتقول الآن إن ذلك سار في أكثر العلوم ، ألا ترى إلى علم الحساب
اليس هو راجعا إلى تحليل وتركيب . ليس الجمع والضرب رجعا إلى التركيب والطرح والقسمة رجعا إلى
التحليل ، كذلك الهندسة وفروعها ترجع جميع نظرياتها إلى الأصول التي قبلها وكل نظرية ترجع إلى ما قبلها
حتى تصل إلى الأوائل العقلية مثل الكل أعظم من الجزء والشيطان للساويان ثنى واحد متساويان ، كذلك
علم المنطق ، إن علم المنطق يرجع إلى أربعة أصول وهي التحليل والتقسيم والحد والبرهان ، وأنت ترى أن
المنطق اليوم في بلاد الإسلام قد خلا من التحليل فأصبح علما ناقصا لا ينفع ، وكيف ينفع الناس بعلم ينقصه
أهم أصوله ، فالتحليل للأشخاص كقولك هذا الإنسان وهذه الشجرة وهذا البناء وهذه المدينة وهذه الأمة .
فكل هذه من حيث إنها أشخاص لا تعرف إلا بالتحليل وعلم الكيمياء للتقدم كله تحليل . فكل مركب في
المنطق لا يعرف إلا بمعرفة أجزائه أعني تحليلها وهذا مفقود في المنطق اليوم وقد ذكرته في كتاب الفلسفة
الذي ألفته حديثا .

فأما التقسيم فيكون لمعرفة الكليات وتمييز بعضها من بعض . وأما الحدود فلأنواع وأما البراهين فإنها
تكون للأجناس . فإذا رأينا المسلمين على هذا النحو من النوم العميق . ورأينا هذه الحروف فإنا نقول إن
الله أراد إيقاظ الأمة لهذا النوع من العلوم ، وحقا هو أراد حين أنزله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأنا
أقول الآن أيها المسلمون جهلتم أهم ما في المنطق وجهلتم علم الكيمياء والله يناديكم أن هلموا وإلا فأنتم هالكون
(لطيفة)

حضر صديق العالم واطلع على ما تقدم فقال : إن هنا منك هجوم على القرآن ، كيف تدعى أن هذه المعاني
قصدها الله ، وهل أنت اطلمت على علم الله إن هذا غلو في الدين ؟ قلت : لقد جاء في سورة البقرة (الم)
للإشارة إلى قوله « ألم تر إلى الذين خرجوا من الجحوق في سورة البقرة (الم)
بل جاء بآء وسين المذكوران في أهم أدلة السورة من نار الشجر المشير للكيمياء ومن خلق ما هو أكبر من
الإنسان ومن خلق ما ابتدأه أولا . فقال : أين ذلك اقلت في قوله « ونسى » وفي قوله « أوليس » فتأمل
إن الله أراد حقا . ألم تر أن علم الكيمياء من الواجبات والقروض الكفائية . قال بلى . قلت : إذن هذا
محرم تركه هكذا التحليل في المنطق ، ليس جزءا من علم وهو فرض كفاية . قال بلى . قلت : إذن هو من الدين
ومحرم تركه . قال : ولكن كيف تقول أراد من هذه الحروف . قلت : إذا وجدنا أن هذه الحروف قد
انطبقت على ما نحن في حاجة إليه وفهمناها بطريق الرمز . وفوق ذلك جاءت بآء وسين فيما ذكرته لك فنقول
إن الله أراد هذا المعنى لأن الله لا يستحي من الحق وهذا حق . ولقد قال علماء التفسير إن المعاني الرمزية
للمقولة النافذة أرواها الله من القرآن مهما كثرت . إن القرآن أنزل لأجلنا . فإذا وقف قوم بسبب فهمهم
فيها أدى إلى الانحطاط فليكن اليوم هو الذي تقم فيه ما يؤدي إلى السداد والتجاح .

على أن لا أكتفك أيها الذكي الحديث أن وجداني على ذلك وأجده في النفس بدافع قوى شديد بحيث لا أقدر على مداخنته والله عليم بذات الصدور .

وقد قال علماؤنا رحمهم الله : [إن الحاطر إذا كان موافقا للشرع فهو إما من الله أو من الملك] وأقرب شاهد لذلك أن منذ ليتين حين ابتدأت في تفسير هذه السورة كنت أتناطى طعام السحور قمام في نفسي بدافع شديد قوى أن الدورة الغذائية في الأجسام الإنسانية تدخل في سر لفظ (يس) فأردت أن أدافع هذا الحاطر فلم أقو على دفعه .

﴿ الدورة الغذائية في الأجسام الإنسانية والحيوانية ﴾

لما خطر هذا الحاطر وجدت أمرا عجيبا ، وجدت أن الغذاء تقطعه القواطع وتمزقه الأنياب وتطحنه الأضراس . قلت : يا عجبا . هذا كالتحليل ، هذا خبز وخضر ولحم وفاكهة للإنسان وأب وورق ولحم وحب للحيوان تقطع وتمزق وتطحن . إن ذلك تحليل الجسم إلى دقائقه ، ثم ينبع (٦) أنهر من تحت اللسان لتعين الأكل على عجن القمة فيمكن بلعها وهذا الريق لتحويل ذلك الطعام حتى ينهضم ويقابله البنكرياس فيزيده هضبا ، كل ذلك تحويل للطعام ليصير كقوام اللبن وهو الكيموس ويدخل إلى الأمعاء فيصير كيلوسا ويتجه في الشرايين فتمتصه ثم يطبخ فيصير دما وهناك تفرز منه المواد اللطيفة فتذهب إلى الصفراء والمواد القليظة فتذهب إلى الطحال والمواد اللآلية فتذهب إلى الكليتين ، وتبقى للواد الدموية الخالصة فتذهب إلى الشرايين وهذه تمر على سائر الأعضاء البدنية ظاهرها وباطنها تعطى كلانها ما يناسبه ، والصفراء لانتهب سدى بل هي تنبه الشهوة من جهة ومن جهة أخرى تسهل أنزلاق الطعام في الأمعاء حتى يبرز إلى الخارج ، وأما الماء فإنه يذهب إلى الحاليين فالثلاثة فيكون البول ، وأما الفضلة القليظة فتذهب في السقيم ، وأما السوداء فاتها تساعد كما تساعد الصفراء في أعمال الغذاء ونظامه .

﴿ الدورة التنفسية ﴾

وهكذا الدورة التنفسية ، إن الهواء في دخوله إلى الرئتين يحلل فيكون الأكسوجين ذاهبا مع الدم إلى داخل الجسم ويرجع ما بقى من عناصره متحملا بالمادة الكربونية الراجعة مع الزفير إلى الهواء الجوي ، هكذا المادة العقلية قد قسمت أعمالها على الحواس الخمس الظاهرة فكل حاسة لها عمل لاتعمدها ، هكذا الحواس الخمس الباطنية مثل الحس المشترك والخيال والقوة للتفكير والحافظة والواهمة فكل واحدة منها لها عمل . إن الله عز وجل يوقف المسلمين إلى التحليل الذي أغفلوه وأظهروه الله في الحواس وفي أعمالهم المضم في حروف أوائل السور لاسيا (يس) وقوله تعالى « الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أتم منه توقدون » والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

لطائف هذه السورة

- (اللطيفة الأولى) في قوله تعالى « قال يا ليت قومي يعلمون » وفي قوله تعالى « يا حسرة على العباد »
- (اللطيفة الثانية) في قوله تعالى « وآية لهم الأرض اليتة أحييناهما » وذلك في (أمرين . الأول) كم عمر الأرض في رأي بعض العلماء (الثاني) في قصتها المستمر .
- (اللطيفة الثالثة) في قوله تعالى « والشمس تجري » الخ .
- (اللطيفة الرابعة) في ضوء الشمس وحرارتها .

- (اللطيفة الخامسة) في قوله تعالى « سبحان الذى خلق الأزواج كلها » الخ .
 (اللطيفة السادسة) في قوله تعالى « وتكلمنا أيديهم » .
 (اللطيفة السابعة) في قوله تعالى « الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا » .
 (اللطيفة الثامنة) في قوله تعالى « فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ » .

اللطيفة الأولى فيها فصلان

﴿ الفصل الأول في قوله تعالى « قال ياليت قومي يعلمون » ﴾

نذكر في هذا الفصل ما جاء في كتاب [إخوان الصفاء] تحت العنوان التالى وهذا نصه :
 (فصل ينبئ أن نبين كيف يكون تواصل إخوان الصفاء وكيف يكون معاونة بعضهم بعضا في طلب معيشة الدنيا وماذا كيف يكون حال من سبقته للنبية قبل صاحبه وكيف يكون عيش الباقى منهم بعد صاحبه ؟)

ذكر أن مدينة كانت على رأس جبل في جزيرة من جزائر البحر محبة كثيرة النعم رعية البال طيبة الهواء عذبة المياه حسنة التربة كثيرة الأشجار لذينة الثمار كثيرة أجناس الحيوانات على حسب ما تقتضيه تربة تلك الجزيرة وأهويتها ومياهاها، وكان أهلها إخوة وبنوعم بعضهم لبعض من نسل رجل واحد، وكان عيشتهم أهنى عيش يكون بتودد ما كان بينهم من المحبة والرحمة والشفقة والرفق بلاتغيب من الحسد والبغى والمداوة وأنواع الشر كما يكون بين أهل المدن الجائرة للضادة الطباع للتنافرة القوي للفتنة الآراء القبيحة الأفعال السيئة الأخلاق، ثم إن طائفة من أهل تلك المدينة الفاضلة ركبوا البحر فكسروا بهم للركب ورمى بهم الموج الى جزيرة أخرى فيها جبل وعرة، فيه أشجار عالية وعليها ثمار قدرة، فيها عيون غائرة ومياهاها كدرة وفيها مغارات مظلمة وفيها سباع ضارية وإذاعة أهل تلك الجزيرة قردة وكان في بعض جزائر البحر طير عظيم الخلق شديد القوة قد سلط عليها في كل يوم وليلة يكر عليهم ويختطف من تلك القردة عدة، ثم إن هؤلاء النفر الذين نجوا من الترق تفرقوا في الجزيرة وفي أودية ذلك الجبل يطلبون ما يتقوتون من ثمارها لما لحقهم من الجوع ويشربون من تلك العيون ويستترون بأوراق تلك الأشجار ويأوون بالليل إلى تلك المغارات ويستصمون بها من الحر والبرد فأنت بهم تلك القردة وأنسوا بها إذ كانت أقرب أجناس السباع شيئا لصورة الناس فولعت بهم أمات القردة وولع بها من كان به شبق خلقت منهم وتوالدت وتناسلوا وكثروا وتمادى بهم الزمان فاستوطنوا تلك الجزيرة واعتصموا بذلك الجبل وألقوا تلك الحال ونسوا بلدهم ونعيمهم وأهاليهم الذين كانوا معهم بديا ثم جعلوا يبنون من حجارة ذلك الجبل بيانا ويشغفون منها منازل وعمرسون في جمع تلك الثمار ويدخرونها من كان منهم شرها وساروا يتنافسون على إناث تلك القردة وينبطون من كان منهم أكثر حظا من تلك الحالات وتمنوا الخلود هناك وانتشبت بينهم العداوة والبغضاء وتوقدت نيران الحرب، ثم إن رجلا منهم رأى فيابرى النائم كأنه قد رجع إلى بلده الذى خرج منه وأن أهل تلك المدينة لما سمعوا بمجيئه استبشروا واستقبله خارج تلك المدينة أقرباؤه فأروه قد غيره السفر والغربة فسكرهوا أن يدخل المدينة على تلك الحال وكان على باب المدينة عين من الماء فسلوه وحلقوا شعره وقصوا أظفاره وألبسوه الجدد وبخروه وزينوه وحملوه على دابة وأدخلوه المدينة فلما رآه أهل تلك المدينة استبشروا به وجعلوا يسألونه عن أصحابه وسفرهم وما فعل الله بهم؟ وأجلسوه في صدر المجلس في المدينة واجتمعوا حوالبه يتعجبون منه ومن رجوعه بعد اليأس منه وهو فرحان بهم وبما نجاه الله عز وجل من تلك الغربة وذلك الترق ومن صحبت تلك القردة وتلك الميتة النكدية وهو يظن أن ذلك كله

براه في اليقظة فلما انتبه إذا هو في ذلك المكان بين أولئك القروء فأصبح حزينا منكسرا بال زاهدا في ذلك
 للمكان مغنا متفكرار اغبا في الرجوع إلى بلده قصص رؤياه على أخ له فتذكر ذلك الأخ ما أنساه الدهر من حال
 بلدهما وأقاربهما وأهاليهما والنعيم الذي كانوا فيه فتشاورا فيما بينهما وأجلا الرأي وقال كيف السبيل إلى
 الرجوع وكيف النجاة من هنا فوقع في فكرهما وجه الحيلة بأنهما يتعاونان ويجمعان من خشب تلك الجزيرة
 وبينان مركبا في البحر ويرجمان إلى بلدهما فتعاقدا على ذلك بينهما عهدا وميثاقا أن لا يتخاذلا ولا يتكاسلا
 بل يجتهدا اجتهدا رجل واحد فيما عزموا عليه ثم فكرا أنه لو كان رجل آخر معهما لكان أعون لهما على ذلك
 وكلازاد في عددهما يكون أبلغ في الوصول إلى مطلبهم ومقصدهم فعملوا يذكران إخوانهم أمر بلدهم ويرغبونهم
 في الرجوع ويهدونهم في السكون هناك حتى التأموا جماعة من أولئك القوم على أن بينوا سفينة ويركبوا فيها
 ويرجعوا إلى بلدهم فبينما في ذلك دائبون في قطع الأشجار ونشر الخشب لبناء تلك السفينة إذ جاء ذلك الطير
 الذي كان يختطف القروء فاخطف منهم رجلا وطار به في الهواء ليأكله فلما أمعن في طيرانه تأمله فإذا هو
 ليس من القروء التي اعتاد أكلها فخر به طار حتى مر به على رأس مدينته التي خرج منها فألقاه على سطح بيته
 وخلاه فلما تأمل ذلك الرجل إذا هو في بلده ومنزله وأهله وأقربائه فحمل يتمنى لو أن ذلك الطير يمر في كل يوم
 ويختطف منهم واحدا ويلقيه إلى بلده كأفضل به، وأما أولئك القوم بعد ما اختطفه الطير من بينهم فانهم جماعوا
 يكون عليه محزونين على فراقه لأنهم لا يدرون ما فعل به الطير ولو أنهم علموا بحاله وما صار إليه لتمنوا ما تمنى
 لهم أخوم فهكذا ينبغي أن يكون اعتقاد إخوان الصفاء فيمن قد سبقته للنية قبل صاحبه لأن الدنيا تشبه تلك
 الجزيرة وأهلها يشبهون تلك القردة ومثل الموت كمثل ذلك الطير ومثل أولياء الله كمثل القوم الذين كسروهم
 للركب ومثل دار الآخرة كمثل تلك المدينة التي خرجوا منها فهذا اعتقاد إخواننا الصغار في معاوتتهم في
 الدنيا وما يعتقدون فيمن سبقته للنية قبل إخوانه. فانتبه أيها الأخ من نوم الغفلة ورقدة الجهالة فإن الدنيا دار
 غرور ومحن لا يرغب الماقل الخلود في دار الحزن والبلاء، وفقك الله وإيانا وجميع إخواننا للهدى والهدى وإيانا
 وجميع إخواننا سبيل الرشاد. انتهى الفصل الأول.

﴿ الفصل الثاني من الطيفة الأولى: في قوله تعالى « يا حسرة على العباد » ﴾

اعلم أن هذه الجملة سجلت على النوع الإنساني التمتع في الجهالة ، وإذا أردت شرح هذا المقام فارجع
 إليه في (سورة التوبة) فانك تجد هناك حكيما كان تصير للسلمين اليوم في علومهم وأعمالهم منطبقا على
 الاستهزاء من حيث العمل لا الاعتقاد ، وستطلع هناك على عجائب العلم وأن السلمين قد أبرز الله لهم ولغيرهم
 الكواكب والجمال وغيرها فأعرضوا فأبرز لهم أمرا آخر وهي الطيارات القاذفات للهلكات كأنه يقول لهم :
 « أتم أعرضتم عن جمال العوالم . فما أناذا أرسل عليكم شواظا من نار حامية تقذف من للدافع والطيارات »
 وتجد للتوازن هناك بين استهزاء الأمم المحكومة بجنود الأمم الحاكمة ومقاطعة حكاهم أو الحصوص وبين آيات
 الله التي قصها للناس ، فلما أعرضوا ضل معهم ما تقطعه الأمم القوية مع الضعيفة « والله للتل الأعلى وهو العزيز
 الحكيم » . انتهى الفصل الثاني .

اللطيفة الثانية: في عمر الأرض ونقصها المستمر

(كم عمر الأرض؟)

بعد اكتشاف الراديوام أصبح تقدير علماء طبقات الأرض وهو مائتا مليون سنة أول تقدير حديث مع أنه كان يظن أنه مبالغ فيه ، والبحث الآن ليس في حسم النزاع بين علماء طبقات الأرض والفلك بل بين علماء طبقات الأرض وأنصار نظرية إشعاع الراديوام ، ثم لو حسم هذا النزاع الجديد وقر الرأي على عدد معين من ملايين السنين . فهل يعتبر هذا العدد مبدأ لحلق الأرض أو مبدأ الحياة فيها أي هل للأرض أول ولها آخر ؟

يقول اللورد كلفن : [لا يمكن غير ذلك أي لا بد أن يكون لأرضنا مبدأ وسوف تكون لها نهاية وأن هناك فكرة أو تدييرا يعمل في السكون وهو الخالق الأحد] هذا هو رأي اللورد الطبيعي وهو رأي يتفق وتعاليم الأديان ، وفي النهاية فإن أقل تقدير لعمر الأرض الآن هو مائتا مليون سنة ، وقد يظهر غدا أنه أكثر من ذلك بكثير ، إذ أن أدنجون يعطى حدا أقصى لعمر الأرض بعشرة آلاف مليون سنة . انتهى من مجلة [كل شيء]

واعلم أن مسألة [حزام الأرض] هي مقتضى قوله تعالى « نضعها من أطرافها » فقد جاء في بعض المجلات العلمية تحت العنوا ت التالي مانعه :

الأرض تشد حزامها

بقرر الدكتور (ميرمان الألماني) أن طول خط الاستواء قد نقص ميلا عن طوله منذ ١٠٠ سنة نظرا لانكماش الأرض ٥١ .

اللطيفة الثالثة: في قوله تعالى « والشمس تجري لمستقر لها » الخ

الله قدر سرعة الشمس وكل سرعة في العالم ، فهو عزيز أي غالب عليم بما يقدره . وهنا فتح لنا باب السرعة في العالم الذي نعيش فيه . إن أسرع حركة في عالمنا هذا سرعة الخاطر . إن خواطرننا تنتقل من الشرق إلى الغرب ، ومن الشمال إلى الجنوب . ومن العرش إلى القرش في جزء من آلاف من الثانية . إن الجاهل لا يعبأ بهذه السرعة ولا بهذا التقلب ويقول هذا وهم ونحن نقول : أليس هذا التقلب أمرا موجودا بدليل أن هذه الحركات في النفس لها آثار في شعورنا وكل ماله أثر فهو موجود . فهذه السرعة موجودة وهي أعجب ما في هذا الوجود ، وبلى هذه السرعة سرعة النور فانه في الثانية الواحدة يمكنه أن يجري حول الأرض فوق (٧) مرات ، ومعلوم أن محيط الأرض (٤٠) ألف كيلو والضوء يجري بسرعة (١٨٦٠٠٠) ميل في الثانية أو نحو (٣٠٠٠٠٠) ثلثمائة ألف كيلو . ثم سرعة القنبلة في الثانية (٢٠٠٠) ميل . وسرعة الأرض حول الشمس (٦٥٥٣٣) ميلا في الساعة . وسرعة الطائرة الفرنسية (٣٠٢٣) ميل في الساعة ثم الطائرة الأمريكية (٣٠٠) ميل في الساعة . ثم الطائرة للمائة (٢٤٥٧١) ، ثم الاتوموبيل (١٥٦) ميلا (انظر شكل ٣٥) و (شكل ٣٦) الآتيان قريبا .

وهكذا حتى تصل قوة الإسراع في الانحطاط إلى سرعة الرجل إذ يسير بسرعة (٩) أميال في الساعة ، ثم تهبط السرعة شيئا فشيئا حتى تصل إلى سرعة الخنازير إذ يجرى (١٥) من (١٠٠٠٠) من الياحدة في الثانية ثم تهبط إلى درجة نحو شجر الغاب إذ يصل إلى (٢٧) جزءا من عشرة آلاف مليون جزء من الياحدة في الثانية الواحدة . فيا سبحان الله . يقول الله « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » هذه الحركة الشمسية التي ذكرناها هنا هي الحركة الأرضية ولكنها منسوبة للشمس باعتبار ما ينظر للرأى وهناك حركة أخرى للشمس هي ومجموعتها حول كوكب آخر . فالشمس تجرى والأرض تجرى وجرى الأرض حول الشمس بحسب الظاهر لا يختلف عن جرى الأرض حول الشمس كما هو مبرهن عليه في ذكر الموازنة بين الحركات . الله تعالى قدر الحركات كلها ، فقد حركات الأشجار في نموها حتى بلغت جزءا ضئيلا جدا من الياحدة في الثانية ومعلوم أن الياحدة أقل من المتر قليلا كما قدر حركة النور الذي يجرى حول الأرض قريبا من ثمان مرات في الثانية وقدر ما بينهما من حركات الإنسان وسياراته وسيارات السموات . فالله قدر هذه الحركات وأعطى كل مخلوق ما يستحقه ، فلوأعطى الغاب في نمو حركات النور وأولو أعطى النور حركات الغاب في نمو أشجاره لاختل نظام العوالم ، فاذا جرى جريا ضعيفا كجرى العربات لم يعيش حيوان على الأرض ، ولو أسرع نمو الأشجار إسراع الأضواء في جرياتها لم ينتفع الناس بشئ في الأرض لأن سرعة النمو يتبعها سرعة التدهور فلا يكون هناك ثبات لشيء ولا بقاء ولا انتفاع . فهذا من معنى قوله « ذلك تقدير العزيز العليم » فهو قدر حركات الأجرام السماوية بمقادير تناسبها . ولم يسطر القطار على الأرض ولا الطيارات سرعة النور ولا الكواكب لأنها إذا أسرع هذا الإسراع أهلكت من عليها حالاً بسرعة حركتها . فمن تأمل هذا التقدير والإبداع أدركه حسن التقدير ونظم السير « إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم » .

ركوب الريح أو الطيران خمسة أميال في الدقيقة

جاء في مجلة [كل شيء] مانصه :

كان القدماء لا يعرفون مركوبا أسرع من الجواد والبخق (وهو الجمل ذو السنامين) وكانوا يقولون في وصف أحدهما إنه (ينهب الأرض نهبا) ولكننا نحتاج الآن إلى معايير أقوى من هذه الجملة لكي نصف طيران الطيارات التي تطوى بساط الريح وتشق الفضاء . ومن يقرن الطيارات إلى الخيول كمن يقرن المصباح الكهربائي الحديث إلى مصباح الزيت القديم الذي كان القدماء يضربون الثلج بحماله وصفاء زيت . وقد كان الناس قديما يعجبون لقطار الاكسبريس وسرعته التي تبلغ أحيانا ٦٠ ميلا في الساعة . وكان بعضهم من المتعاقبين يهزأ منه ويقول بضرر هذه السرعة العظيمة على الركاب . ولكن أسرع الاكسبريسات الآن سلحفاة إلى جانب الطيارات فقد ذكرت الصحف من مدة قريبة أن مهندسا فرنسيا استطاع أن يطير ٣٠٢٣ ميل في الساعة من الأميال في ساعة واحدة وهذا أبعد مدى بلقه طيار للآن ، ولكن الطيارين يؤمنون أن يطيروا قريبا نحو ٥٠٠ أو ٦٠٠ ميل في الساعة بحيث يستطيع الإنسان أن يتغدى في لندن أو باريس ويتشى في القاهرة . وقد كانت هذه الأقوال تعتبر قبل سنوات خيالا سخيفا لا يتحقق ولكنها الآن فقدت غرابتها وبانت المسألة محسوسة في تحسين حركات الطائرة من وجوه الإتقان ومثانة المواد . أما الاختراعات الجديدة فليس الطيارون في حاجة إليها . وأقرب سرعة بلقها طيار بعد هذا القرنى هي سرعة طيار أميركى في خدمة حكومة الولايات المتحدة . قطع ٣٠٠ ميل في الساعة ، تلى ذلك سرعة سابط أميركى بلغت ٢٤٨٧٦ في الساعة ثم سرعة طائرة بحرية بلغت ٢٤٥٧١ في الساعة ثم سرعة أتوموبيل بلغت ١٥٦ ميلا في الساعة ثم القطار الكهربائي وسرعته ١٣٠

١٣٠ ميلا في الساعة وأخيرا زورق يدفعه محرك سرعته ٨٠٠٠٥ ميلا في الساعة (انظر شكل ٣٥ وشكل ٣٦)



(زورق) (قطار كهربائي) (أتوموبيل) (طيارة مائية) (طيارة أميركية) (طيارة فرنسية)
 ٨٠٠٥ ميلا ١٣٠ ميلا ١٥٦ ميلا ٢٤٥٧١ ميلا ٣٠٠ ميل ٣٠٢٣ ميل في الساعة

(شكل ٣٥ أسرع العجلات في العالم)



(شكل ٣٦ - بيان تصويري لأسرع الأشياء في العالم وأبطئها)

هل بلغ الإنسان أقصى سرعته في البر والبحر والهواء

أسرع قطار في العالم يجري بسرعة نحو ٦٨ ميلا في الساعة . وفي السنة الماضية أجرى السابق جارود قاربه بسرعة ٩٣ ميلا وساق سيجرايف سيارته بسرعة نحو ٢٣٢ ميلا في الساعة . وطار أورليبار في الصيف للناصي بسرعة ٦٩٣ ميلا في الساعة ، وبلغ متوسط سرعته في سباق ٣ كيلو مترات ٣٥٨ ميلا . ولا يزال الإنسان يطلب المزيد ، والعلماء مختلفون فمنهم من يقول إن سرعة الإنسان قد تجاوز ٥٠٠ ميل إلى ألف

(٢٢ - حواهر - ساج عشر)

في الساعة ومنهم من ينكر ذلك ومسألة السير على مبدأ انبساط الأسمم النارية تجعل الحبيرين حائرين لا يدرون
 أن تبلغ هذه السرعة أم لا ؟ والسرعة عند الإنسان لا يريد بها مجرد التظاهر وإنما هي خلة كانت لأسلافه واليوم
 تظهر فيه على مبدأ الرجعية ، فعلى سرعة عدو الإنسان الأول توقف فراره من أعدائه ومطارديه ، ولم يكن
 على جانب عظيم من سعة الحيلة لينجو منها ، ولا يزال يعتمد إلى السرعة حتى الآن في بعض مواقفها إما دفاعاً
 عن نفسه وإما مماشاة لسائر الأشياء التي حوله ، وهو يعلم تجربته أن كثيراً من الوقت الثمين يقتصد بهذه السرعة
 ففي أميركا مثلاً اقتصد بالطيران ثلاثة أيام في قطع أميركا من الشرق إلى الغرب أو العكس ، اكتشف العلماء
 ذبابة اسمها ذبابة الغزال تطير في مسافات قصيرة بسرعة لا تصدق أي بسرعة ٨١٥ ميلاً في الساعة أو نحو ٣٦٠
 متراً في الثانية ، وسرعة مثل هذه مستحيلة على اليابسة وقد تكون ممكنة على الماء في طائرة تستخدم الهواء
 والماء معاً من نوع الهيدروبلان وليكنها ليست مرجحة ، والصعوبة العظمى في بلوغ هذه السرعة فيسيولوجية
 أكثر منها ميكانيكية ، وبعبارة أخرى إذا تمكن الإنسان من اختراع سيارة أو طائرة تحمل هذه السرعة
 فهل يحتملها هو ؟ والجواب لا ، ثم لا ، وإذا احتملها فالمرجح أنه لا يستطيع أن يدير مركبة تجرى بهذه
 السرعة من غير أن يلقى الخنق الأكيد . وإذا كانت السيارة تسير بسرعة ٢٣٠ ميلاً فقط لا ٨١٥ ولا ١٠٠٠
 فانها لا تستطيع أن تسير في خط دائري منحرف إلا وتعرض لآفات وصدمات هائلة ، بل يشك في هل
 يستطيع إنسان أن يقود سيارة تسير بسرعة ٣٠٠ ميل لأن أعصابه لا تحتمل هذه السرعة . فقد قاس همبولتز
 الألماني سرعة انتقال الانفعالات على أعصاب الجسم بين الدماغ والأطراف فوجد أنها ١٠٨ أقدام في الثانية
 وسيجراف سار في سيارته بسرعة ٢٣٢ ميلاً في الساعة أو ٣٣٩ قدماً في الثانية أي ثلاثة أضعاف سرعة أعصابه
 ومعنى هذا أن السيارة ليست في قيادته وأن أقل ميل أو تردد يجر أعظم الأخطار . وأن كل خطر يحسب
 حسابه يمر قبل ما يشعر السائق به فضلاً عن أن يحول دون وقوعه . وقد وجد للماجور سيجرايف أن مصاعب
 إدارة السيارة كانت عظيمة فلذلك استخدم في إدارتها وسائل مختلفة ، وقد سئل عن شعوره في أثناء مسيره
 هذا فقال : [لا أعلم وليس عندي أقل صورة في ذهني لأن كل شيء يتم بسرعة عظيمة لا مجال فيها للشعور
 ولا لتقديره وتسجيله] . ولما لم يرض سائلوه بهذا الجواب ألحوا عليه فقال : [إن كل شيء مضى بسرعة حتى
 إن شعوري إن كان جميلاً فقد كان قصيراً . فعلى جانب رأيت سداً أسود هائلاً من المشاهدين وعلى الآخر
 الأعلام المنصوبة للسباق متصلة كأنها خط مستقيم مرسوم على ورقة الآلة الكاتبة] . وفي وقت من الأوقات
 مرت السيارة فوق شبه قناة احتفرها اللد في الرمل فانكسر شيء فيها . ثم صدمت حفرة ماء كالبركة فظن
 أن الدوالب التي تدار به السيارة اقتلع من يديه . فاختباره يدلنا على أن سرعة السيارة لا يمكن أن تزيد
 على هذه السرعة وتكون سرعة نافعة يعمل بها . ومن رأى الحبيرين أن حد احتمال الإنسان هو ٤٠٠ ميل
 في الساعة لأنه إذا كانت السرعة ٥٠٠ ميل فما بعد تصبح قوة الدفع عن المركز عظيمة إلى حد أن دورة إلى
 هذه الجهة أو حركة إلى فوق أو إلى تحت تفرغ الدم من دماغ الراكب أو تدفنه بقوة إليه ، فإما أن يغمى
 عليه أو يقتل في مكانه ، ويقال إجمالاً عن سرعة الطيران إن الإنسان قد يبلغ على التدرج سرعة ألف ميل
 في الساعة فيدور حول الأرض فوق خط الاستواء في يوم كامل . ولما كانت هذه السرعة هي سرعة دوران
 الأرض على محورها فإذا خرج طيار بطيارته من القاهرة ظهر يوم ما على نية الدوران حول الأرض فإن
 الوقت يبقى عنده الظهر على الدوام حتى يعود إلى القاهرة بعد ٢٤ ساعة أي ظهر اليوم التالي فيها وتبقى
 الشمس فوق رأسه لا تشرق عليه ولا تغرب عنه . انتهى من مجلة [كل شيء] .

﴿ علم الفلك ودراسة الكواكب فيما وراء البحار ﴾

(مقدمة)

إن من يدرس هذه الدنيا قديمها وحديثها علوها وسفلها يدهشه نظام محكم وتشابهه مبين : نظر العلماء أيامنا هذه في أصل العالم فوجدوا عناصر الشمس وعناصر الأرض متحدات . فالشمس للشرقة الباهرة الجلية إذا أرسلت أشعتها فلم تسكن هذه الأنوار إلا فيضا من أنوار عناصرها اللوآئى تمت عناصر أرضنا إليها بنسب ويربطها بها سبب . فإذا كان عندنا الأكسوجين والأدروجين والنيروجين (وهو الآزوت) وهكذا غيرهن كالكربون والحديد والنحاس والذهب والرصاص وما أشبهها من العناصر التى تبلغ نحو الثمانين عدا .

أقول : إذا كان ذلك كله في أرضنا فانهم وجدوه في شمسنا ، وجدوه بمونة النور إذ حللوه فظهر لهم الاختلاف بعلامات واضحات في ثنايا الأشعة النورية وهى خطوط سود تتخلل سبعة الألوان وهذه الأشعة السود للتخللات تختلف أحوالها باختلاف العناصر . فالحديد والنحاس والأكسوجين والفسفور مثلا كلهن إذا ظهرت أنوارهن في حال خاصة تبينت تلك الخطوط السود في ثنايا سبعة الألوان بهيئات مختلفات كما اختلفت أجسام الناس لونا وشكلا وكبراً وصغراً . وكما اختلف النبات في تنوع لون خضرتيه وبهجة زهرته وورونق ورقه وبديع نمره كما يذكر في ثنايا هذا التفسير . وكما رأوا ذلك في الشمس رأوه في غيرها من الكواكب بواسطة النور . إذن الحال تجرى على نسق واحد لأن أصل العالم صادق البناء أساسه فهو الواحدة على طريقها يجرى اقرأ ماتقدم في (سورة السجدة) عند ذكر الإنسان في المجلد الخامس عشر . انظر فيه هناك وتأمل تجد نظام الإنسان يحاذى نظام العالم كله ، أظنك الآن تسمعنى قوله تعالى «ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور» ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير» .

إنك أيها الذكى بعد هذا البيان توافق على ماقلته لك وهو أن العالم متشابه النظام فترجع إلى (سورة البقرة) فتسمع فيها قوله تعالى «كلا رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها» فأقرأ لنا الموضوع هناك ثم ارجع هنا واسمع ماأقوله لك ، ألم تقرأ ماقلته عن أكبر العلماء هناك من أن الجنة الحسية لا تكفى الحكماء وإنما نعيمهم وسعادتهم في جنة المعارف والعلوم . فإذا تشابهت الثمرات للأكولة لأهل الجنة الحسية لما أقرب التشابه والشاكلة في الجنة العقلية وهى العلوم والمعارف . فترى دراسة الجسم الإنسانى تمتد بنسب إلى دراسة النظام الشمسى والكوكبى . وكلما درس الإنسان علما من العوالم ووجد التشابه واضحة رجع إلى أصلها ومبداها فوجده واحدا . إذن تشابه العوالم يرجع للفكر إلى منبعها وهو التوحيد . إن الوحدة ظاهرة في النظام .

إذا عرفت هذه المقدمة فهل لك أن أحدثك في علوم عوالمنا الأرضية . وهل كان يدور بخلدك قبل مااستسمعه أن علم الفلك أو حساب سير الشمس والقمر والكتابة بالقلم ونظام الأبنية له نظير في الأمم التى لاصلة بينها وبين أمتنا فى آسيا وأفريقيا وأوروبا (وبعبارة أخرى) هل كان يخطر لك أو تحدثك نفسك أن أهل أمريكا الأصليين الذين عرفهم الأسبان منذ (٤٠٠) سنة وكشف بلادم (كرستون كلومب) كان لهم علم فلك وحساب للسنين والأشهر مثل مااعتدنا الآن . أما أنا فأقول :

إن الاطلاع على ذلك والوقوف عليه ودراسته إذا كان له وجود يكون سارا لدينا وشارحا للصدر ومواقفا كل الواقعة لما ظهر من تناسب العناصر فى الأرض والشمس وأبعادها ذاتا وصفات وذلك يؤيد صدق قاعدة

هذا الوجود وهي للشابهة إذ متى أطلعتك على هذا الآن كما جاء في الكشف الحديث في هذه الأيام عند طبع هذه السورة فانك تقول بطريق القياس التمثيلي إن هذه الكواكب التي نراها مسكونة كما سكنت أرضنا ، نعم هذا ليس باليقين ولكن ذلك هو ماوصل لنا وعقولنا لاقدرة لها على أكثر من ذلك .

لقد تقدم رسم صورة للتقويم في المكسيك في آخر (سورة الفرقان) فاسمع إذن ماجاء في (عجلة المقتطف) في شهر ديسمبر سنة ١٩٢٩ تحت العنوان الآتي وهذا نصه :

الحضارة القديمة في العالم الجديد

(مصر) القارة الأميركية

كتابتها . علمها . مبانيها . نقوشها . تاريخها

لقد أطلق الكتاب على بلاد المايا في غواتيمالا بأمريكا الوسطى وما يجاورها من البلدان كيوكاتان وجنوب المكسيك وسلفادور وشمال هنداروس لقب (مصر) القارة الأميركية لما عثر عليه العلماء من وجوه الشبه بين عمارة المايا وكتابتهم وعمارة المصريين وكتابتهم . وازداد هذا اللقب تمكنا وتأييدا لما ثبت للباحثين أن حضارة المايا هي أقدم الحضارات الأميركية الراقية ومصدر الثقافة التي امتدت عناصرها إلى البلدان المجاورة ولأن أنصافها أعلام تقاس بها مراحل الحضارات الأميركية القديمة وتؤرخ كسلات المصريين القدماء ومداتهم .

وإذا نظرنا إلى الأحوال التي نشأت فيها أمة (المايا) وجدنا أن منشأتها العمرانية تضاهي أرقى المنشآت العمرانية في أرقى الأمم القديمة . فإقليم البلاد التي نشأت فيها حار بضعف القوى وبمحمد النشاط وهو في الوقت نفسه يؤتي الزرع مما جعل الزراعة هناك زعاعا دائما بين الانسان والطبيعة في غاباتها وحراجها الغضة التي كانت لحطب الأرض وجودة الإقليم تسطو على المناطق التي يزرعها الانسان وتسكسوها . ومع ذلك نشأ في تلك البلاد وفي ذلك الإقليم حضارة راقية من أرقى الحضارات القديمة مع أنها لم تتصل - على ما نعلم - بالعالم القديم .

وشعب المايا هو الشعب الوحيد الذي استنبط في أميركا طريقة للكتابة واستعملها في تدوين مدوناته وهذه الطريقة الكتابية الميروغليفية بحسب أعظم ما في أميركا العقلية في العصور الغابرة ، أما العلماء فلم يفرغوا حتى الآن محل كل هذه الرموز الميروغليفية ولكنهم عثروا فيما حلوه منها على أركان التاريخ (المايا) وأصول تقويمهم وعلومهم الفلكية والرياضية . وقد يكون الباقي منها منظوما على وصف الحوادث العظيمة التي حدثت لهم أما الرموز نفسها فرسوم للأشياء أو للأفكار فيها ظل من الأثر الصوتي ولكن ليس لها أبجدية .

أما تاريخ هذه الكتابة ومنشأها فتختلف في القدم تحيط به سحب الرية والحرافة . ولم يتر حتى الآن على أثر محتوي على اسم المستنبط أو تاريخ الاستنباط أو غير ذلك من دقائق الموضوع . ومع أن أقدم المدونات المؤرخة يرجع تاريخها إلى سنة ٩٦ قبل المسيح نجد في آثار الاتقان البادية في الاشارات الميروغليفية دليلا مقنا على أنها ليست بنت ساعتها وأن قرونا انقضت عليها قبل ما بلغت هذه الدرجة في الاتقان . وما في هذه الاشارات من الخطوط للحنية يدل على أنها كانت ترسم على سطح مستو أملس قبل استنباط فن النحت في الحجر الذي مكن أصحابها بعدئذ من نقشها في الحجر الصلب لحفظها مقاوية لأنياب الدهر ، وعلاوة على هذه الكتابات للنقوشة في الصخور كان لشعب (المايا) كتب مكتوبة بالطريقة الميروغليفية . وقد تلف منها معظم الكتب التي كانت تحتوي على كل علوم المايا وحكمتهم أنلفها الأسبان حين افتتحوا البلاد وحكموها . فقد

كتب مطران لندا يقول : ولقد جمعت أربعة آلاف من هذه الكتب والتصاوير الشريفة وحرقتها كلها في
البيدان العام ببلدة نيكال رغم حزن الوطنيين وبكائهم . على أن الوطنيين في حزنهم وبكائهم على فقد هذه
الكنوز العقلية الثمينة لا يبلغون شأو العلماء في هذا العصر الذي لا يرون بين أيديهم إلا ثلاثة من هذه الكتب
يحاولون أن يستخرجوا منها أصول حضارة ألمانيا ومآثرها والكتب الثلاثة التي لم تبث بها أيدي الأسبان
محفوطة الآن في خزائن أوروبا وهي في الغالب تدور على جداول فلكية ورياضية وبعض التهاويل البحرية ،
والظاهر أن انحصار هذه المعارف في طبقة كهنة (اللايا) كان الباعث على اتلاف الكتب التي دوت فيها لأن
الكهنة الأسبان كانوا ينظرون إلى كهنة اللايا نظراً إلى الشياطين فحملوا القواد على التفتك بهم وإتلاف
كتبهم (انظر شكل ٣٧) .



(شكل ٣٧ - خريطة البلاد التي نشأت فيها حضارة (اللايا) وازدهرت)
(معارفهم الفلكية والرياضية)

وقبل ما نلم بتاريخ (اللايا) لننظر نظرة عجيبة في معارفهم الفلكية والرياضية لأن الباحثين مجمعون على أن
عملهم في هذه الناحية من نواحي الثقافة لا يفوقه عمل أية أمة أخرى في إقليم كإقليمهم وبيئتهم كبيتهم . فهو
كاستنباطهم للكتابة الهيروغليفية أعظم الآتي العقلية في أميركا القديمة .

(التقويم)

كل تقويم يجب أن يبنى على قياس دقيق لطول السنة . وهذا القياس عمل صعب إن لم يكن متعذراً في
أمة لا تملك أدوات فلكية دقيقة . فالسنة على ما نعلم يتعذر تقسيمها إلى عدد كامل من الأيام والشهور لأنها
مؤلفة من ٣٦٥٫٢٤٢٢ يوماً أو ١٢ شهراً قمرياً و ٣٦٦ في المائة من الشهر كل منها مؤلف من ٢٩ يوماً
و ٥٣ في المائة من اليوم . وهذه الكسور في الأيام والشهور كانت ولانزال العقبة الكأداء في سبيل واضع
التقاويم على اختلافها . فالسنة حسب التقويم اليولياني الذي كان مستعملاً في جنوب أوروبا إلى سنة ١٥٣٢
وفي شمال أوروبا إلى سنة ١٧٠٠ وفي روسيا إلى جيد الحرب كانت أطول من السنة الحقيقية ١٢ دقيقة
فكانت النتيجة أنه لما عزم روسيا أن تجرى على التقويم الجريجوري كان الخطأ في اليولياني قد بلغ نحو

أسبوعين . على أن أمة (ألمانيا) تمكنت من غير أدوات الرصد أن تضع تقويما من نحو ألفي سنة لا يبلغ الخطأ فيه أكثر من يوم في ٢١٤٨ سنة . أما التقويم الذي تجرى عليه اليوم فلا يفوق تقويم ألمانيا كثيرا . فالخطأ فيه يبلغ يوما واحدا في ٣٣٢٣ سنة . كذلك تمكن علماء ألمانيا أن يضعوا تقويما قمريا لا يزيد فيه الخطأ عن يوم واحد في ٣٠٠ سنة .

(علم الهيئة)

وعلاوة على ذلك تمكن رصد (ألمانيا) من أن يعرفوا مدى دوران الزهرة والمرجح أنهم قرروا مدى دوران للربيع ، ويحتمل أنهم عرفوا مدى دورة للشمس و زحل وعطارد . وبنوا على دورة الزهرة تقويما كانوا يستعملونه في ضبط التقويم الشمسي والتقويم القمري . فقد كانوا يعرفون مثلا أن ثمانى سنوات شمسية تعادل تقريبا خمس سنوات من سنى الزهرة وأن ٦٥ سنة من سنى الزهرة تعادل مائة سنة وأربع سنوات من سنى الشمس . وكانوا يستعملون التقويم الثلاثة لتقدير أزمنة طويلة ، وقد وجد ما يدل على أنهم تنبأوا بحدوث حوادث فلكية تمتد إلى أكثر من ٣٤ ألف سنة . وكانوا يتنبأون بالكسوف .

(الصفر)

أما الجداول الرياضية التي وضعها فكان يلزم لها قبل وضعها استنباط فكرة (الصفر) وهذا الاستنباط من مفاخر حضارة (ألمانيا) . فالصفر أمر تعودناه في الجداول الحسائية الآن حتى أصبحنا نراه غير ذى خطر فنقول عنه إنه رمز للعدم . ولكن لولا هذا الرمز لتعذر القيام بالعمليات الحسائية قياما سريعا ولما تمهدت الطريقة للحساب العشري ولظلت العلوم الرياضية تجر ذبولها على الأرض . فالصفر هو الذى يمكننا من ترتيب الأرقام حتى يكون لكل رقم منها قيمة خاصة بحسب الرتبة التى يكون فيها . ومع ذلك لم يستنبط الصفر إلا في القرن السادس أو السابع بعد المسيح استنبطه الهنود ونقله العرب إلى أوروبا فانتشر في بلدانها . على أن أمة ألمانيا استنبطته على حدة قبل ما استنبط الهنود بألف سنة ٥٠٠ .

هذا ماجاء في (المتنطف) ولم أرد أن أذكر تاريخهم السياسى كما ذكر لأنه لا يجنبنا وإنما أقول لك إن هذه الأمم التى ارتقى علمها إلى هذه الدرجة قد أصابهم داء التخاذل وفتت الجماعة فيهم وجاء على أثر ذلك ضوح الأسباب . هانت ذأ أيها القدي رأيت الأمم الأمريكية القديمة وكيف استنبطوا حروفا كما استنبط أسلافنا ودرسوا الفلك كما درسوه وبنوا أبنية شامخة كما بنوا مع أنه لا صلة بينهم فاعجب لنظام واحد فى نصف الكرة الأرضية كنظام واحد فى الشمس وفى الأرض ونظام واحد فى المبررات .

إن هذه هى الموسيقى الجميلة . إن الموسيقى والنقش والتصوير وجميع العلوم الجميلة ترجع إلى التناسب ، فكما كثر التناسب تضاعف الجمال ولا نهاية للجمال وهذه العوامل كلما عثرنا على ازدياد تناسبها وارتباطها ازدادت بهجتنا وفرحنا وإذا رأيت هنا فى الأرض مشابهة الحساب السنوى والشمسى والقمرى فى نصف الكرة الأرضية فأبهجتنا الاتفاق والتناسب وتمجبتنا كيف انفتحت العقول المختلفة للتباعدة على وضع واحد ومهيح قليل الاختلاف فكيف يكون فرحنا حينما نخلع هذا الجسم ونسير فى المبررات والعوامل وتشابه مدنات ونظم تربو وتمظم على مدنات أهل الأرض ونظمها ، أليس ذلك يورثنا سعادة لانهاية لهاوغراما لاحد له لهجة الجمال والحسن والاشراق . انتهى صباح يوم الجمعة (٢٣) مايو سنة ١٩٣٠ .

﴿ تذكرة الأمم الإسلام ﴾

هذا هو الذي ظهر للناس اليوم من العلوم الفلكية في القارة الأمريكية ، تلك البلاد التي لم تكشف إلا منذ (٤٠٠) سنة كشفها (كرستون كلومب) بأمر الملك (فرديناند) وزوجته (إزابيلا) ذلك الذي أزال ملك الأمم العربية الإسلامية من بلاد الأندلس وشردهم شر مشرد . إذن ظهر بهذا أن الأمم كلها متحدات على النظر في هذه العوالم العلوية ، ولقد تقدم في (سورة يونس) نبذة من علم الفلك مصورة بالتصوير الشمسي بهجة للنظر عجيبة . وذلك في (موضوعين : الأول) عند آية « هو الذي جعل الشمس ضياء » (والثاني) عند آية « فاليوم ننجيك بيدنا » وقد ذكرت هناك أن بين اللقامين تناسباً عجيباً فإن المقام الأول فيه ذم الغفلة عن هذه الآيات وأن هذه الغفلة تورث نار جهنم ، والمقام الثاني فيه ذم الغفلة أيضاً عن آيات الله ، فترى الصور الفلكية العلمية واضحة في المقام الأول هناك بحيث نجد صور كثير من السدم وصوره المجرية وهكذا . وفي المقام الثاني نجد من أعجب ما أنتج العقل الإنساني بمصر من صور البروج الاثني عشر مرسومة بحسب ما تخيلته الأمم وبيت أسماؤها إلى الآن وهذا عجب . وهناك ترى عجائب الأهرام ونظام حسابها المبني على أساس الدائرة السنوية للأرض حول الشمس ، وارتفاعه نسبة إلى بعد الأرض عن الشمس ، وهذا الهرم هو أس القنطار والرطل والوقية وهكذا من الموازين ، وأس الفدات والقيراط والحبة والذائق والسهم والذراع البلدي والتبلي والمهاري والهنداسة في الساحات . وأيضاً هو أس الأردب والويبة والكيكة والربع واللوة والقدر ونصف القدر في الكيليات ، فكل هذه منسوبة للهرم المنسوب لنظام الفلك . كل ذلك تقدم هناك فارجع إليه إن شئت

وإن تعجب فعجب أن ترى صور البروج المرسومة هناك قد استخرجها القوم في زماننا من سناديق للوقى وصوروها بالتصوير الشمسي فتحن الصريين الآن تعجب أن ترى الأمم الذين كانوا قبل آلاف السنين في ديارنا يحظى موتاهم في قبورهم بعلم الفلك مرسوماً على السناديق التي تضم أجسامهم بعد موتهم ونحن الآن وأكثر المسلمين أجهل الأمم بعلم الفلك الذي أقسم الله ببعضه فقال « والشمس وضحاها . والقمر إذا تلاها . والنهار إذا جلاها . والليل إذا يشاها . والسماء وما بناها . والأرض وما طحاها » وقال « فلا أقسم بمواقع النجوم » وأعظم قدره فقال « وإنه لقس لو تعلمون عظيم » وأكثر من ذكر الشمس والقمر وأنها آيتان من آيات الله تعالى وهكذا هنا بذكر الأرض والشمس والقمر والليل والنهار ، إذن المسلمون أقل علماً من الأمم الحاضرة كلها ومن قدماء المصريين وقدماء أهل أمريكا الذين انقرضوا لإقليل ، فأين الأمم الإسلامية الحقيقية وإذا سمعنا الله يقول « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ثم نظرنا فوجدنا الأمم البائدة تعلم من جمال الله في كواكبها ما لا تعلم ووجدنا الأمم النصرانية كلها عالمة به ونحن عالة عليهم ، فأين نحن من هذه الخيرية التي لا توجه إلا إلى أم علمت وارتقت ورفقت أهل الأرض كما هم فعلاً لأسلافنا ، فهم حقا « خير أمة أخرجت للناس » ولا يلزم من أفضلية الأب ونفعه للناس أفضلية الابن ونفعه لهم ، فتأمل ما جاء في كتاب الأستاذ سديو الفرنسي في صحيفة (٢١٢) وما بعدها للطبوعة في الترجمة العربية إذ يقول ماملخصه : [إن نار الحرب المشتعلة في القرن الحادي عشر في الشرق بعد الميلاد] فكان فتح محمود الغزنوي وكانت غارة السلجوقيين وكانت حروب الصليبيين مع المسلمين وإعدام صلاح الدين الخلافة الفاطمية سنة ١١٧١ من مصر وإعدام هولاء الخلافة العباسية ببغداد سنة (١٢٥٨) قد غيرت معالم السياسة في آسيا ومع ذلك مازال تقدم العلم كما كان قبلاً وظهر هناك علماء مثل البيروني في الفلك إذ أحضره محمود الغزنوي سنة ٩٩٧ في ديوانه ، وأحضر هولاء كو خان الغولي إلى ديوانه بعد تغلبه على الملك سنة ١٢٥٩ نصير الدين الطوسي وهكذا نقل جمال الدين الفلكي مع الخان كوبلاي علوم العرب إلى مملكة الصين وهكذا الخ وقد ذكرت هذا مطولاً في مواضع أخرى

من هذا التفسير . إذن هؤلاء هم الذين كانوا « خير أمة أخرجت للناس » بنص الآية لأننا وجدنا الفرنجة شهدوا بأن علمهم في الفلك الذي نحن بصدد الكلام عليه قد امتد إلى الصين وبق بعد ذهاب دولهم ونفع الدول التي جاءت بعدهم في الشرق .

(١) ألم تر إلى ما يقوله العلامة الفرنسي للذكور من أن أبا ريحان محمد بن أحمد البيروني المتقدم ذكره الذي كسب علومه من المدرسة البغدادية حين أحضره الفرنزوي المتقدم ذكره إلى ديوانه (أخذ يستفيد العلوم الفلسفية من الروايات الهندية التي عندهم قديمة وحديثة ويغيدهم علوم قومه في الفلك أيضا ويثبثها لهم في كل جهة مر بها ، وألف ملخصات عربية وهندية ، وكان مشيرا وصديقا للفرنزوي فلذلك كورفي ديوانه ، وأصلح الغلطات الباقية في حساب الروم والسند وما وراء النهر ووضع قانونا جغرافيا كان أساسا لأكثر القسوموغرافيات للشرقية ونفذ كلامه في البلاد الشرقية واعتمد على كلامه سائر للشرقيين في الفلكيات . ومنه استمد أبو الفداء الجغرافي العروص والأطوال الأرضية وكذا أبو الحسن للراكني .

(٢) ويقول : « إن الهند لم يكن فيها قبل الاسكندر القدوني علم الفلك تماما بدليل أن أرسطاطا ليس أستاذه لم ينقله عنهم ليونانيين . ولذلك نجد (كتاب السند هند) للترجم في خلافة المنصور إلى العربية لم تكن فيه إلا مسائل ابتدائية في علم الفلك :

(٣) ويقول : « إن العرب أتوا في الفلك بالعجب العجيب وأتقنوا الهندسة والحساب والجبر وعلم الضوء والنظر والميكانيكا وطبقوا الجبر على الهندسة

(٤) ويقول : « ليس للعرب مجرد نقل كتب اليونان فقد اخترع (البثاني) استبدال أوتار الأقواس التي استعملها اليونان في حساب الثلث بأصناف الأوتار للأقواس للضاغفة وهي جيوب الأقواس للصورة . قالوا إن بطليموس لم يكن يستعمل الأوتار الكاملة إلا لتسهيل الإثباتات والتوضيحات وأما نحن فقد استصوبنا استعمال أصناف الأقواس للضاغفة وهكذا .

وقد أطال في ذلك ولا أريد أن أطيل فيه للإلا يكون للذلل ، وإنما أريد الآن إظهار الحقيقة واضحة وهي أننا نحن الآن في مصر والشام والعراق وبلاد الفرس وبلاد اللابو وبلاد شمال أفريقيا قوم جهلاء في علم الفلك الذي حض القرآن عليه ولم نساوئمة من الأمم . فلا نحن وصلنا لقيمة قدماء المصريين الذين صوروا هذا العلم على صناديق اللوني تبركا به . ولا لقيمة قدماء الأمريكيين قبل فتح بلادهم . ولا لقيمة الهند القديمة . ولا لقيمة آبائنا القدماء في الإسلام أيام سولتهم وبعدهم دولتهم . ولا لقيمة أم أوروبا واليابان والصين الآن فنحن اليوم بهذا البرهان أجهل الأمم بالعلوم الرياضية ومنها الفلك . والسبب في ذلك ما اتاب أمنا قديما من الاضطهاد والإذلال . فلقد كانت الأمم الإسلامية للتأخرة لا تريد إلا العلو كما فعل الترك إذ هم لما دخلوا مصر أزالوا منها الصناعات بمجرد دخولهم وأخذوا ميثاق وميثاق من رجال الصناعات فسافروا في البحر ثم أغرقوا ، فأما المدارس المنتشرة فانهم نقصوها تدريجا حتى خلت البلاد من رائحة العلم ولم يبق إلا قشور ضئيلة وإلا مشايخ التصوف الذين كان أكثرهم جهلاء . فلما أن جاءت أيام محمد علي باشا حوالي سنة ١٢٢٠ هجرية واستتب له الملك أدخل جميع العلوم في البلاد ومنها الفلك . ولما دخل الانجليز بلادنا في أوائل القرن الرابع عشر الهجري أخذوا يقللون العلوم تدريجا كما فعل الترك . ولما دخلنا نحن (دار العلوم) سنة ١٨٩٠ م أي في أوائل القرن الرابع عشر الهجري بعد الحرب العراقية بقليل قرأنا هذا العلم مع الرياضيات إذ كان ذلك بقايا علوم تلك الدولة المصرية التي أسسها المنصور له محمد علي باشا . وبعد ذلك بسنين معدودة وجدنا هذا العلم

قد نعى من البلاد ومحيت معه علوم المدن والنبات والحيوان والتشريح علما من الفاعين للبلاد بأن تلك العلوم مرقبات للأمم وهم لا يريدون ذلك . فلما أن أخذت بلادنا استقلالاً اسما سنة ١٩٢٢ ميلادية دخلت بعض تلك العلوم ، وهاهي ذه علوم التاريخ الطبيعي تدرس كالحیوان والنبات الخ ، ولكن إلى الآن لم يدخل علم الفلك مع توفر علم الرياضيات ، وذلك بعد أن أرسلت خطابا لمجلس النواب وللوزارة المصرية . نجده مكنوبا في هذا التفسير في (سورة يونس) تحت عنوان : [مذكرة لإصلاح التليم الثانوى بالمملكة المصرية] عند الكلام على آية « هو الذى جعل الشمس ضياء .

إن الأمم الإسلامية كما منيت بالملوك الظالمين الجاهلين من الأمم الإسلامية وغير الإسلامية فغيروا وجهتها منيت أيضا بكثير من رؤساء الدين الجهلاء الذين يفعلون معهم فعل الملوك الفاعين فيذمون لهم العلم ويرينون لهم الجهل ، ولقد تقدم هذا في غير ما موضع من هذا التفسير . ونجد بعضه في (سورة إبراهيم) في أواخرها وبعضه في (سورة الكهف) عند الكلام على آية « وما كنت متخذ الضلین عضدا » وبعضه في (سورة سبأ) ورائه إنه يؤلمنى أن يسود الجهل في بلاد الاسلام ، تلك الأمم التي كان أسلافها « خير أمة أخرجت للناس » فهم هم الذين بعلم الفلك والجغرافيا أيقظوا العمران ، وأناموا الجهل ، ونفعوا عباد الله . ألم تر إلى ما ذكره العالم المذكور الفرنسى في صحيفة (٢٢٧) وما بعدها أنهم أنشأوا أربع طرق عظيمة تجارية توصل من مدينى قانس وطنبجة إلى أقصى آسيا (إحداها) تخترق آسيا وأوروبا وبلاد سلاوونة إلى بحر جرجان ومدينة بلخ وبلاد تجرجز (والثانية) تخترق بلاد المغرب ووادى مصر ودمشق والسكوفة وبغداد وبصرة والأهواز وكرمان والسند هند (والثالثة والرابعة) تعبران البحر الأبيض للتوسط وتنبه إحداها من الشام والخليج الفارسى والأخرى من الاسكندرية والبحر الأحمر للتوصل إلى بحر الهند . فكثرت بهذه الطرق السياحات، ونقل السياحون إلى أقصى البلاد ما عند العرب من الأفكار والتقدم واستفاضت الأخبار الجليلية الخ .

هذا ما أردت ذكره الآن ولقد سبق بأوسع من هذا في غير هذا اللوضع ، فهو لاء هم أسلافنا في العلوم الفلكية والجغرافية ، فهم كانوا نورا أضاء بلاد الشرق والمغرب بشهادة الأورويين الذين نقلوا العلم عنهم كما رأيت . إذن الآيات المذكورات هنا في الشمس والقمر والأرض والليل والنهار لا يعمل بها المسلمون الآن لاهى ولا غيرها إلا قليلا منهم كأمة الترك الآن .

فاذا ثبت هذا فهل نحن « خير أمة أخرجت للناس » الآن . لا لا . نعم إن انتشار هذا التفسير وأمثاله سيحدث في أمم الاسلام انقلابا عظيما ، وسيكون وطيد البنيان ثابت الأركان لأن للدنية المستقبلية سببى على تجارب مما حل بآبائنا للتأخرين ودراسة تاريخهم يحمل آبنائنا يقظين ويكونون « خير أمة أخرجت للناس » لأنهم يرون الضعف الذى حل بآبائهم فيجدون ليقوا أنفسهم ويداوا هذا المرض الذى حل بهذه الأمة . إذن الأمم الإسلامية « خير أمة أخرجت للناس » ولكن أصابها الوهن والضعف وللرض غفيت خيراتها وبانت عورتها . ومق حصل التداوى بنشر أمثال هذا التفسير يضح جسم الأمة وترجع المجد القاهب والعز الزائل ، ويكون آبنائنا « خير أمة أخرجت للناس » عملا بالفعل لا بالقوة . ولن يكون ذلك إلا إذا قرءوا جميع علوم الأمم شرقا وغربا وفاقوم في ذلك وكانوا لهم نافعين كما كان آباؤهم الأولون، والحمد لله رب العالمين كتب يوم الاثنين (٢٦) مايو سنة ١٩٣٠ .

اللطيفة الرابعة

(عجائب السكواكب في الكشف الحديث وبدائع الحرارة والضوء في قوله تعالى
« وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون » إلى آخر الآيات)

الله يقول إنه سلخ النهار من الليل فأظلم الناس . إن هذا فتح باب للتجليل . فهاهنا ضوء وهاهنا ظلمة يقول الله إنه سلخ الأول من الثاني . أما الظلمة فهي عرض قائم بالأثير وكذلك النور الذي هو توجع وهذه الموجات التناجعات الواقعة في الأثير إذا كثرت بحيث يكون في الثانية الواحدة منها مئات آلاف الملايين فإياها تكون حينئذ ضوء أحمر وأصفر وبرتقاليا وبنفسجيا ، وقد تقدم ذكرها في غير هذا المكان أعني أن ضوء الشمس ركب من سبعة ألوان وهذه الألوان تختلف بحسب عدد الموجات في الثانية الواحدة أي نحو أربعمئة ألف ألف مليون إلى نحو (٧٠٠) ألف ألف مليون ، فهذه الأضواء للرسل من الشمس بأحاديها صار هذا اللون الذي نشاهده على الأرض . فهذا كله يسلمه الله فيبقى الجو مظلما . ولا جرم أن الظلمة عرض والعرض يقوم بجوهر ، إذن هناك جوهر مظلم ألبس نورا فلما خلطنا لباسه أظلم كأصله .

هذا هو الذي عرفه الناس في الأرض من حال هذه العوالم ظلما وإضاءة . وهذا السلخ له نظير تقدم في هذا التفسير في الهواء وفي الماء ، الماء يسلم أ كسوجينه من أودروجينه . وهذا يسمى في علم الكيمياء تحليلا فمق حللناه إليهما صارا جسمين غازيين أي كالهواء . ومعلوم أن الأكسوجين يفيدنا الحياة في تنفسنا وينقى دم كل حيوان وينفع كل نبات . أما الأودروجين فإتنا إذا أحرقناه في الجو كما تقدم في (سورة النمل) انحد حالا بالأ كسوجين الذي في الهواء لأن الهواء ركب منه ومن النيتروجين وحينئذ ينفرد النيتروجين المذكور أي الأوزون . وهذا الأوزون يدخل في النوشادر لأنه يمكن اتحاده بالأودروجين أيضا بعمل خاص وهذا النوشادر نافع في (أمربن) أمر السباد وأمر الآلات للهلكة في الحرب . إذن التحليل في الماء والتحليل في الهواء أعطيانا منافع جمّة وأربانا حكما تحيط بنا من كل جانب .

سلخت يا الله النهار من الليل فأظلمنا وأنت جعلت البخار الطائر في الجو ماء ، فنحن بالهائمك كشفنا جزءا من الهواء فجعلناه سمادا وآلات مهلكات إذ جعلناه كالتلج ، فأؤنا حللناه وهوؤنا حللناه وأنت سلخت ضياء من الظلام .

(فصل : في الحرارة والنور)

سبحانك اللهم : أنت أنعمت علينا بالعلم ، وكوتنا حللا من الحكمة ، وأربتنا الجمال والبهاء والحسن والنور والإشراق والبهجة .

سبحانك لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . إن ماظهر من جمالك قد استغرق أيماننا وملا قلبنا بهجة . فكيف بنا إذا اطلعنا على ما هنالك من جمال وبهاء وحسن وإشراق ، إن الإنسان إذا جلس في حجرته ونظر نور القنديل فيها وجده متحدا بالحرارة . فلا نور في أرضنا إلا وقد اتحد بالحرارة . نوقد النار في الفرن فنحس بالحرارة أولانم نرى النور آخرها .

إذ الحرارة مقدمة على النور وهما تبرزجان متحدان اتحاد القوة العنصرية في الانسان بالقوة العقابية . إن أهل الأرض خلقوا من نور ونار ، من حرارة وضوء ، من شر وخير . نور الشمس فيه الحرارة وفيه الضوء ، ولما كانت هي الأصل كانت جميع الأنوار منها على هذا النمط .

لما من نور إلا ومعه حرارة ولم نعرف قبل أيامنا هذه النور يفصل عن الحرارة . لانور بلا حرارة ولكن ظهر في النوع الانساني من الأذكاء من قالوا: (إن الحرارة يمكن فصلها عن النور) وهم الآن يجهدون ليجعلوا القوة التي صارت حرارة تنقلب إلى ضوء . فالشمعة التي أبرزت حرارة وضوءا بحسب المادة إذا حولت حرارتها إلى ضوء تضاعف الضوء البارد وزاد نفعه وقلت نفعاته .

هذه هي آراء الناس الآن وهم فيها مجدون . إذن الناس اليوم يريدون أن يصنعوا من الحرارة والضوء ما صنعوه مع أجزاء الهواء وأجزاء اللآء أي يخلطون الأعراض هنا كما يخلطون العناصر هناك . يشير لذلك كله «وآية لهم الليل نسلخ منه النهار» فذلك كله انسلخ .

(انسلخ الحرارة من الضوء كما انسلخ النهار من الليل)

وهل كان يدور بخلدنا (ونحن في هذه الأرض التي أخذت الحرارة عليها بالضوء وأخذ العلماء يفصلونها) أن الله في سمواته قد فصل الحرارة من الضوء فجعل شموسا مضيئة لاجل الحرارة فيها ، أو ليس هذا من الإبداع العجيب أن نجد في السموات تلك العجائب ، عجائب الشمس المضيئة التي لاجل الحرارة فيها .

اللهم إن فمك عجب . خلقت نفوسنا وجعلت عقولها مرتبطة بنضها أي أن أنوار العقول جعلتها في أنفسنا مصاحبة للقوة النضية . فلما كان ضوء الشمس مصحوبا بالحرارة كانت أنوار عقولنا مصحوبة بالقوة النضية التي هي في الحقيقة قسوة ذات حرارة . فقلنا قوة ملكية هي قوة العقل مصاحبة لقوة سببية هي قوة النضب .

فهل هذه الشمس التي رآها الناس اليوم مضيئة غير حارة قد خلقت يا الله فيها أناسا مثلنا فيهم عقل ولا غضب لهم . إذن أنت كما جعلت الكورة والأنونة ليستا شرطا في إيجاد المواليد كما تقدم في (سورة مريم) لأن بعض الحيوان لا يحتاج الأنثى منه إلى ذكر بل هي تلد ولا ملقح لها . هكذا خلقت شمسا فيها ضوء لاجل الحرارة لها . إذن أنت تخلق إنانا مثلنا ذوى أجسام كالحيوان ولكن لا غضب لهم ويكونون أرقى منا مع أنهم ليسوا ملائكة «إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم» .

الكشف الحديث في الحرارة والضوء

وعظمة الأجرام السماوية

جاء في بعض المجلات العلمية مانصه :

تيليسكوب جديد برينا ملايين من النجوم

كلما أعجبنا باختراع وحسبناه في منتهى درجات الكمال راح العلماء المفكرون والمخترعون المجددون يزيدون فيه ويحسنون وينقلون به من حسن إلى أحسن فلإن الاختراع الأول شيء بسيط لوقارناه بالثاني . حينما نصب التيليسكوب الذي قطر عدسته (١٠٠ إنش) على جبل ولسن بكاليفورنيا، قلنا إن العلم قد انتهى إلى كنه أسر الكواكب والنجوم وأن المرصد الفلكية وصلت إلى حد الكمال . وكان العلماء لم يكفهم الحقائق القريبة التي توصلوا إليها ولم يهدوا في تيليسكوب قطر عدسته (١٠٠ إنش) ما يظن شهوتهم للعلم والبحث فاستقر رأيهم على صنع تيليسكوب قطر عدسته (٢٠٠ إنش) . وإذا كانت الآلة الحالية التي في مرصد جبل ولسن قد أبرزت (١٥٠٠) مليون نجم فإن العدسة الجديدة التي سيتم صنعها بعد خمس سنوات ستكشف أمام الأنظار مئات الملايين من النجوم والسدم التي لم تر بعد . وستكون العدسة الجديدة

أقوى من الأولى بنحو عشر مرات . ومنذ بدأ مرصد جبل ولسن بمحوته بالتليسكوب البديع أضاف إلى معلوماتنا (على قصر عمره) أشياء كثيرة عن السماء ونجومها . ولقد ذكر الدكتور جيانس سكرتير الجمعية الفلكية للملكية وعضو مرصد (مونت ولسن) حقائق غريبة يقف العقل أمامها مذهوشا حائرا .

وقد جاء في كتيب أصله أخيرا : أن بعض النجوم بعيدة عنا جدا . ولو علمت أن ضوءها يصلنا بعد (١٤٠) مليون سنة وأن سرعة الضوء (١٨٦.٠٠٠) ميل في الثانية الواحدة لاستطعت أن تتصور مبلغ البعد الشاسع الذي بيننا وبينها . ويتكهن الدكتور أنه بمعونة عدسات قوية يستطيع رؤية أضواء غادرت كواكبها منذ (١.٠٠٠.٠٠٠) مليون سنة . إن شمسا أكبر من الأرض بمليون مرة وماهى إلا إحدى الشمس العديدة ذوات الأجرام التي هي أكبر من الشمس . وقد تبلغ تلك المجموعة الشمسية آلاف الملايين وهذه المجموعة بدورها إحدى المجاميع الهائلة التي يتكون منها ثموس وكواكب .

ويقول الدكتور جيانز : إن هناك شموسا باردة واننا لو اعتمدنا على أشعتها مثلا لجمدت بخارنا على الفور ولتحول جونا إلى هواء سائل ، وأن هناك شموسا يباع من شدة حرارتها أنها لو سلطت على الأرض لصيرتها بخارا ، ولو وضعت قطعة في حجم الحصة من تلك الشمس الشديدة الحرارة على بعد ألف ميل ووقف تحتها إنسان لشوته وكوته . وبعد فأى غرائب وعجائب سيطلعنا عليها تليسكوب (٢٠٠) إنش انتهى ما جاء في المجلة المذكورة .

هذا هو الكشف الذي عرفه الناس الآن . ثم ماهذه الشمس المحرقة التي تكون نصف الحصة منها تشوى الانسان وتكويه على بعد ألف ميل ، هل هذه دار من دور جهنم ؟ ومن ذا كان يظن أننا نعرف ونحن في هذه الأرض أن لله شمسا مضيئة باردة وأن له شمسا أخرى محرقة وصفها كوصف جهنم بل هذا وصف لم يكن ليخطر بالبال معرفته . إذن القرآن أتى لنا بشذرات من العلم وقال لنا « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » اللهم إنك أنعمت علينا بقراءة هذا التفسير بنعمة العلم وبنعمة الحكمة ، أريتنا العجب العجيب ، اللهم إنا إذا انطلقنا إلى ساحات الجمال وشاهدنا مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . هنالك نكون في جنة العرفان والعلم التي هي أقصى ما يشرب إليه المجدون وأعلى ما يعيه المحققون .

وهل من عجب بعد هذا كله إذا سمعنا الله تعالى يقول « وزعنا مافي صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين » . إن الناس في الأرض قد مزجت عقولهم بأهوائهم وشهواتهم . وهذا للزج والانحدار لايساعد على دخول الجنة لأنها للجمال المجرد لاحظ للشيطان الشهواني الغضبي فيها . فإذا رأينا الله قد سلخ الحرارة من الضوء في بعض الكواكب . ورأيناها علنا طرقا بها تباعد ما بين الكسوجين في الماء والادروجين وما بين الكسوجين والاوزوت في الهواء . ورأيناها هو سلخ النهار من الليل . فهل من عجب إذا زرع مافي الصدور من التل كما زرع مافي الضوء من حرارة ؟ « إن ذلك على الله يسير » .

ألا وإن هذه الأبعاد الكوكبية التي ذكرت هنا يقف العقل أمامها حائرا باهتا . فما هذا الكون الواسع ؟ ضوء الشمس يصل لنا في (٨) دقائق ١٨٨ ثانية مع أن المسافة بيننا وبينها يسير القطار العتاد نحو (٣٥٠) سنة ويسير قلة للدفع نحو (١٢) سنة . هذا الضوء الذي هذه صفته يسير (١٤٠) مليون سنة حتى يصل لنا من بعض الكواكب البعيدة عنا . ثم إن الدكتور (جيانس) المذكور يقول : (إن الناس سيشاهدون كواكب لا يصل ضوءها إلى الأرض في أقل من مائة ألف مليون سنة) هذه أحوال تدهش وعجائب بخار العقل فيها . إن هذا العالم عجب والمحمد لله رب العالمين .

﴿ بهجة العلم في البصريات والسموعات من حيث الفلك والموسيقى والشعر وغناء الأبطال

وسر قوله تعالى «والشمس تجري» إلى قوله «ذلك تقدير العزيز العليم» ﴿

(عمل في الحقل وعواطفى فيه)

في ليلة الثلاثاء (١٠) يونيو سنة ١٩٣٠ بينا أنا جالس بمنزلنا بالقاهرة وكان معى ذلك الصديق العالم ونحن نتجاذب أطراف الحديث من قديم وحديث إذ سمعت نغمة في الطريق وتوقعا صادقين من بعض اللارين في الشارع فكان لذلك وقع في نفسى فصمت قليلا فأدرك صديقى ما يخالج نفسى . فقال : إن للمواطن لآثارا وإن للآثار لنتائج . أنتمات العامة في الشارع تهيجك أم توقيع المارة يطربك . وعهدى بك لا تنو إلا إلى ما كان بالقواعد مرسوما على شرائط العلم موزونا . وهؤلاء لاهم بالموسيقى عارفون ولا بننون الأتمام عازفون .

على أنى أقول : ولعلك استرسلت مع عواطفك وسرت مع عادات سرأرك . وإذا كنت لسجع الطيور على النسون ولغور الأعشاب في الحقول تهتز طربا وتبتهج عجبيا فليس بدعا إذن طربك الساعة بتوقيع العامة في الطرقات ولا بغريب إصفاؤك لهم في حنادس الظلمات والنجوم مشرقات في هذه الدجئات . فهل لك أن تفيض القول في بعض آثار الأنفس الإنسانية وعجائبها الحسكية إذا أبصرت بهجة الجمال أو سمعت بديع النغمات . فقلت : لقد أثرت أيها الصديق في نفسى نائرة الذكري وهجت من فؤادى ما كمن أيام الشباب . فكلم كانت الذكري تعاودنى لأدنى سبب ولواعج الشوق تبعث في النفس بواعث الطرب . فقال : إن الحديث يحلو لاسيا في أوقات الخلوات وصفاء الأوقات وقد خشعت الأصوات وسكنت الحركات . فقلت : لأذكرك (حديثين : الأول) أنى كنت وأنا مجاور بالجامع الأزهر إذا حل فصل الصيف قفلنا راجعين إلى قرانافسكت أنا أزاول الأعمال الزراعية مع والدى بقريننا وكنت أحس بنشاط ومسرة لاحد لهما بعد تمام الأعمال في حقنا . وكان العمل فيه يكسبى سبع خصال :

- (١) استنشاق الهواء الطلق في الحقول .
- (٢) وملاحظة النبات وأوراقه وأزهاره .
- (٣) وقوة العضلات بالعمل .
- (٤) ويتبعه نشاط العقل للعلم .
- (٥) وتدريب النفس على ملاحظة دقائق الأمور إذ يصطفى الإنسان مازرع فيحفظه ويبيد الحشائش الضارة به .
- (٦) وتحسين الخلق لأنه يتبع صحة الجسم والعقل .
- (٧) وإننى تعاطيت أفضل أنواع الرياضة لأنه يلبها رياضة المشى وآخر الدرجات رياضة التمرينات العضلية في المدارس (جمناسك) .

فهذه هى القوائد الموائد على من يتعاطى الأعمال الزراعية من أهل العلم في هذه الكرة الأرضية وفوق ذلك يشارك أهل بلده فى عواطفهم فيكون ذلك أسمى للعلم بأحوالهم وذلك بوسع نطاق للمارف العامة للكتاب ، فأما من لم يعرف من العلم إلا ما سطره المؤلفون فذلك فى العلم غير مأمون .

﴿ للدرة فى السموات أعلى من مسرات الأرض ﴾

وبينا أنا فى الحقل أعمل مع والدى إذ أخذ يحذرنى عن أيام أسرتنا الأولى وما كان لهم من مجد باذخ وعز كامل وإنهم كانوا قد نصرنا على أعدائهم وإن جدى لأمى مع أسرتنا كلها كانوا يتهجون بالولائم العظيمة

التي كانوا يصنعونها فرحا بالنصر وابتهاجا بالثروة . وأخذ يصف الطبل وأنواع النغمات التي كانوا يمارسونها فاطربنى حديثه ولكنني أحسست في نفسي بدافع قوى ووجدان داخلي لم أقدر على مداومته فقلت ياوالدى هذه النغمات للطربيات والطبول وأنواع الآلات التي فرحتم بها أحسن في نفسي بأنها قطرة من بحر وقل من كل من طرب العوالم السماوية فوق السكواكب لأنني أحسن في نفسي بأن تلك العوالم أوفر طربا وأعظم بهجة من كل ما يعرفه الآدميون . فرأيت سر بهذا القول وظهر عليه هيئة التعجب من هذه المفاجأة التي لم تكن منتظرة . انتهى الحديث الأول .

﴿ الحديث الثاني ﴾

(غناء المغنيات الفرحات زاد في شوقا للعلم)

إني كنت يوما متوجها إلى الجامع الأزهر (وربما تقدمت الإشارة إلى هذا الحديث في هذا الكتاب) وبينما أنا سائر في الطريق للوادي إلى (بلدة بوردين) إذ رأيت ركبا سائرين فوق سكة الحديد . وهناك نسوة على الجمال يغنين طربيات وأمامهن شبان يسوقون ويقودون الجمال وهم جميعا فرحون وكان ذلك ضحى والجر جميل وهم سائرون إلى زيارة (الشيخ أبي مسلم) على عادة أهل بلادنا . هنالك خيل لي أن أشجار السنط التي كانت تحف بالجسر من الجانبين والحشائش النابتة حولها والنهر الجاري بجانبها وزرع الحقول حولها كأنهن جميعا رواقص مغنيات بهجات وخيلت لي هذه الدنيا كلها كأنها حفلة طرب وبهجة أنس ونسيت أن هؤلاء فرحون بزيارة شيخ الفريخ وأنهم لا يعلمون عنى شيئا وصرت أشعر أن هذه الحفلات وأنواع الطرب والسررات إنما تجلت لي أنا ، أنا ذاهب إلى المجد الباذخ والسعادة العظمى . فسمعتني دائما وسعادتهم مؤقتة ، ألا ترى أن عادتهم أنهم يرجعون من هذه الزيارة بعد ثلاثة أيام . فهذه حال نفسي في ذلك اليوم ، فانها حولت طرب النامة إلى طربها وأخذت تتجلبب جلايب الأنس والسعادة التي استلبتها مما يحيط بها وتجاهلت أنها لم تكن مرادة بهذه المناظر البهجات ولا النغمات المطربيات ولا المظاهر الفرحات كأنها كانت تحس إذ ذاك أن للعلم دولة سوف تنبؤا منها مكانا شريفا وأنها لا بد واصلة إلى ما أحبت من الحكمة والعرفان .

فهانان الحادثتان كانتا أيام الدراسة الأزهرية في أيام الشباب .

﴿ صدحت الموسيقى فكانت من أم للبشرات لي ﴾

وهناك حادثة ثالثة أيام أن شرعت في تدريس العلوم بالمدارس المصرية ، فبينما أنا ليلية جالس ببلدة الجيزة مع للدرسين في ليلة احتفال بزفاف عروس إذ فاجأتنا نغمات الموسيقى فما أن سمعتها حتى أعشى على وأنا أكرم حالي عن حولى ، ذلك أني كما تقدم في ثنايا هذا التفسير كنت عاهدت الله أني إذا عرفت أن هذا العالم منظم وأدركت حقائقه بقدر طاقتي البشرية فإني أولف كتبيا لمن بعدى من المسلمين حتى لايقعوا في حيرة كما وقعت ولا يشكوا في أمر هذا الوجود كما شككت وانفق أني كنت إذ ذاك في أوائل أيام عهدي بالقيام بمهنة التدريس ، وإني فكرت فيها عاهدت الله عليه لأنني إذ ذاك أخذت من العلوم بحظ يكفي أن أولف للمسلمين وإني لذلك أخذت أراجع الفلسفة القديمة كما أقرأ شذرات من الحديث مع ضيق الوقت وكثرة أعمال الدراسة فلما سمعت نغمات تلك الموسيقى وهي تصدح تنيل إلى أن هذا الطرب إنما هو نغم أمرى وأنى لا بد واصل إلى ما طلبت وأن آمالي صادقة وأعمالي تامة . فهذه الخواطر كلها هي التي فهمتها من تلك للموسيقى وإخواني حولي لا يشعرون بما يجول بخاطري وأنا أجنهد أن لا يبدو على وجهي علامات الآثار النفسية . ثم قلت : فهذه الوقائع الثلاث ضربتها أيها الأخ مثلا لما يتردد في نفسي من العواطف التي لا يدلى في تحصيلها ولا قوة لي على دفعها ، فقال صديقي : هل تدنى ما الذي أثارته في نفسك هذه النغمات التي سمعتها الليلة في الشارع ،

قلت أنا لا أكتفك الحديث ، يظهر لي أن هذه العوالم المحيطة بنا موقظت لنفوسنا مشجعات لها على أعمالها ، أتدري ما الذي خيل لي وأنا معك ؟ خيل لي أن هذه السموات كلها حفلات طرب وأن النجوم في آفاقها راقصات تجلبت بجلايب الجمال وتسربت بسرايل البهاء وأن شمات الأشجار والزرور والطيور وخرير اليباه في هذه الحفلة الرائعة بعض الموسيقى للصادحة في هذا العرس العظيم وكأن أسمعنا وأبصارنا هي للرادة من هذا الجمال . نعم نحن لنا حاسة اللمس وإن هي إلا منذرة لنا ومبشرة للاحتراس مما يؤلنا من نار محرقة مثلاً وللإقبال على ما يوافقنا من كل مالنا به انتفاع وسرور ، ولنا حاسة التذوق فيها نذر ما يضرنا ونسطنى ما يوافقنا من اللطوم والشروب . فهاتان الحاستان خاصتان يبقاه أجسامنا وإيجاد نسلنا بالتقاء الصنفين الذكر والأنثى . فأما حاستنا السمع والبصر فلهما شأن أعلى وإن شاركنا تينك الحاستين . ألم تر أن سماع الموسيقى ونظر الوجوه الجميلة يدعوان أكثر نوع الإنسان إلى مائدعو إليه تانك الحاستان فكأن السمع والبصر كما أنهما متممان لشهواتي البطن والفرج عند الحيوان هكذا هما كذلك عند أكثر نوع الإنسان . وهما وإن كان ذلك دأبهما عند العامة والجهال وبعض صفار العلماء لهما القدر العلى في استخراج طائفة من الجمهور الإنساني وفي بذور السعادة والبهجة العلية . ألم تر إلى ما تقدم عن طبياوس الحكيم الذي يقول في محاورته مع سقراط (إن الله خلق لنا البصر لتدرك به النجوم وندرسها ، ومن هذا الباب نلج باب الفلسفة) وهكذا تسمع الفلاسفة يقولون : (إن للموسيقى للسموعة باب من أبواب الموسيقى العقولة التي لا تعرف إلا بإدراك هذا النظام العام) ولا سبيل لتلك السماع العقلي إلا بدراسة سائر العلوم من الرياضيات والطبيعات وأساسها والنظام العام لهذه الكائنات . هنالك مؤازرة وأعماد في النتائج بين حاسق السمع والبصر . فالصور الجميلة تذكر بالنعيمات والأخيرة تذكر بالأولى . ومن عرف هذا أدرك معنى قوله تعالى في (سورة الملك) « قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون » وأدرك « وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء » الخ ؛ ومعنى قوله تعالى « إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج بنتليه فجعلناه سمياً بصيراً » إذن السمع والبصر هما البابان للفتوحان في الإنسان ليوصلنا للمعارف والمعجائب إلى الأفئدة المستيقظة كما أنهما يوصلان طرق استبقاء الشهوات الحيوانية للنفوس الضعيفة في هذه الحياة . فقال أريد إيضاحاً أتم للالتئام ما بين حاسق السمع والبصر يكون أكثر إيضاحاً وأتم شرحاً . فقلت :

﴿ حزن الباكيات على الميت حولته نفسى جعلته بكاء على جهلها بعلم النجوم ونظام العالم ﴾

أنا أذكر حادثة رابعة وقعت لي أيضاً أيام كنت مجاوراً بالجامع الأزهر وربما مر ذكرها في هذا التفسير ، ذلك أني توجهت إلى بلدنا بالشرقية وقد مات رأس أسرتنا وعظيمها ، وكانت عادات أهل البلاد أن يقيموا مأتم مثله (٤٠) يوماً فسكنت كل ليلة أنتبذ من القوم مكاناً قصياً وأجلس في ناحية وأنا ناظر إلى النجوم أستمع النغمات المهنات (اللاتي تتخلل أشجار النخيل المحيطة بالقرية في ظلمات الليالي الخالسات) من أفواه نساء القرية اللاتي يتدبن ذلك العظيم ويرتلن ذلك الندب بهيئة منتظمة موسيقية على مقدار ما تعلن من أسلافهن بالمحاكاة والممارسة والتدريب فكانت هذه الأصوات أعجيبها كأنها ترتفع في جو السماء من خلال الأشجار وتسارع إلى النجوم وكأنهن لا يتدبن عظيم أسرتنا الميت بل هن يتدبنني لأنني جاهل بهذه العلوم التي يسارع الصوت في الصعود إليهن من خلال النخيل ، فهذه كانت حالي في تلك الليالي ، أسمع غناء النادبات فتصل رنات الحزن إلى قلبي وهن يبكين على الجهلى بهذه العوالم .

هذه هي العواطف التي كانت تتسابق إلى قلبي إذ ذاك وهي من أعظم المشوقات إلى تلك العلوم التي لم يكن ليخطر لي أني أعرف بعد ذلك منها شيئاً اللهم إلا الأمانى والآمال والتلف عليها والحسرة والحزن على

موت النفس بالجهل العظيم ، فها هو ذا الصوت للسموع ذكرني بعلم النجوم وسيها أي أن للسموع ذكر بالمنظور . فقال : أريد أن تذكر لي بعض ماتخيله الآن في هذه السن لأوازن بالحق ما بين خيالك في الشباب وخيالك في الشيب . فقلت : لقد قدمت لك في (سورة فاطر) عند آية « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء » الخ ما يكفيك وأزيدك عليه الآن ماتخيلته من مخاطبة القمر للذكورة هناك .

بهجة البدر

(في للوقف التقدم ذكره في (سورة فاطر) عند آية « ألم تر أن الله أنزل » الخ)

كأنه أخذ يقول لي : سيفك موقفك هذا قوم من الأمم الاسلامية وغير الاسلامية ويفكرون في أنفسهم . وقد أحاطت بهم الأشجار والزرور ، هل يتجاذبون في خواطرهم الحديث معي ؟ وهل يخيل إليهم أنهم في بهجة وجمال وينظرون هل أحسوا في أنفسهم أن الأرض أشرفت بنور ربها وأن هذه الدنيا فيها مبادئ جناتهم ومسرات نعيمهم ، وسيذكر المصطفون منهم أن الأرض التي هم عليها في مثل هذا الموقف إن هي إلا ذرة من الوجود ، وما الشمس وتوابعها التي لا تزيد في المجموعات السكوكبية (المجرات والسدم) باللفات (٣٠) ألف مليون إلا كحبة رمل في فلاة واسعة . وإذا صغر العالم كله على هيئة خاصة بحيث تصبغ الأرض فيه جوهرًا فردًا فان جميع شمس ومجراته وسدمه تبلغ ألف مليون أرض ، وهناك تذهلهم عظمة الكون وتدهشهم كما أدهشتك ويرون كما ترى أنت الآن أن علومهم نسبتها إلى حقائق هذا الكون كنسبة ضالة أجسامهم وحقارة أرضهم إلى سمة هذه العوالم . وإذن يحقرون أكثر ما يسمعون من علوم أهل الأرض الجاهلين الذين ورثوا عن آباؤهم محازي من العلم وأضاليل من الجهل وهم يدرسونها ولا يفكرونها وكيف يكون لله ولد وهذا الولد لا يولد إلا في هذه الدرة النبوة من الوجود ؟ ومعلوم أن الشمس لا تزيد عن جزء من (٢٥) مليون جزء من كوكب الجوزاء ، وما الجوزاء إلا كوكب واحد من مئات الملايين من مجرة واحدة والمجرة معها مجرات وسدم لا تنقص عن ثلاثين ألف مليون مجرة وسديم وأن هذه العوالم كلها إذا جرى النور حولها لا يتم دورته في أقل من مائة ألف مليون سنة (كما تقدم في آخر سورة الكهف عند قوله تعالى « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي » الخ فراجع) هناك تبدل العقول غير العقول ويقولون إذا كانت الضوء يسير في الثانية الواحدة (١٨٦) ألف ميل أو ٣٠٠ ألف كيلو ، وبهذه النسبة يصل نور الشمس إلى الأرض في (٨) دقائق و (١٨) ثانية مع أن القطر لا يصل منها إلى الأرض فرصا إلا في (٣٥٠) سنة وقلة المدفع لا تصل في أقل من (١٢) سنة .

فاذا كانت هذه حال الكون فعلوم أهل الأرض أكثرها ضلال وجهالة . فكيف اختصت أرضنا بأن الله له ولد فيها وحدها بل كانت الأولى به نحو الجوزاء . وهذه ترهات سبيلها العلم من هذه الدنيا . وهؤلاء يرون أن أكثر ما عرفه الناس إنما هو حثالة العلم . وكما أن الدباب والحشرات تعيش على اللواد العفنة القذرة إذ لا معطل في الوجود . هكذا أهل الأرض اليوم تعيش بعض عقولهم على أقاصيص وأكاذيب وخرافات تعافها النفس ولكنها كافية لحياتهم كما تنكفي الرمم لأكل الدود والعفونات والرطوبات لحياة الدباب والناموس والله واسع الفضل على الفاضل والمفضل وعلى الناس والدباب يستخلص الأجيال للقبلة من كثير من الأضاليل والأكاذيب ويسعدون بالعلم سعادة لا يحس بها أهل الأرض الآن .

هذا ماجال بخاطري في ذلك للوقف ، ثم بعد ليال وقفت بعد ذلك للسكان قليلا بعد الغروب وقد فلتت راجعا من حقلنا كالمرّة الأولى . فهناك تجملت لي الدنيا بهيئة بهجة جميلة وكأنها ازينت لي وأخذت أشجار

النخيل تترع على نemat النسات وهن يلفن مئآت ومئآت مصطفات صفوفا متقاربات بحيث يتصافح الجريد ويلتم . هنالك وقت دقائق ودقائق والنخلات راقصات رقصا مفرحا وهن يدرن دورة تامة بسبب احتياج الريح وهبوب العواصف . فلورأيت ثم رأيت قصرا مقاما على أحمدة جميلة من جذوع النخل تعلوه قيب متسامقات خضر ناضرات من الجريد والحوص وسقفه وأعمدته تترع ذات اليمين وذات الشمال وهن شامحات الندى بهجات الناظر، وتسمع ما بين آن وآخر هبات النسات تجعل هذا القصر كله في هيئة راقصة على نعات تأخذ بالألباب ومناظر تزيد الإعجاب .

ولو رأيت أيها الذي مارأيت أنا من نجوم أخذت تهوى جهة الغرب وقد نظرن لي ولهذه الجوقات اللوسيقية وهن باسمات تشير بطرف ساحر خفي وتقول : هيا يا حكما الأرض . إياكم أن تشغلكم عوالم أرضكم عن جمال العوالم ، ما أشد فرح أحدكم إذا لمع ابتسامه من حبيب جميل أو أمير نبيل أو ملك جليل ، أفليس يطير بتلك الابتسامه فرحا ويهز لها طربا إذا كان العاشق يفرح لابتسامه المشوق والسوقة لابتسام اللوك فلنكم يطير الحكما فرحا ويهزون طربا في أرضكم إذا أدركوا أن عناية الحكمة العامة الإلهية اختصهم وحدهم في هذه الحياة بوجوه باسمات مشرقاة لاعدد لمن من كواكب السماء ، فابتسامه واحدة من جميل واحد أو ملك تنسى العاشق والصعلوك أشجانه وبيته على خلانه فكيف بألاف البسات المشرقاة كل ليلة من مئآت ألوف الملايين في السماء . إن نسبة سعادة النفوس الناقصة في أرضكم هذه إلى سعادة النفوس الكاملة كنسبة بهجة انبساط معشوق واحد لعاشقه إلى بهجة ابتسام النجوم السماوية إلى الحكما المفكرين . إن جمال هذه النجوم مغناطيس بها تجذب النفوس الصغيرة إلى مجارة العقول الكبيرة فيرتقون إلى أشرف الأعمال وأرفع العلوم ويستمدون لزيارة تلك العوالم « وأن إلى ربك المنتهى » .

ومما لحته في نظرات النجوم إذ ذاك خواطر أخرى وذكريات وكأني أحاطب بما في نفسي من تلك الذي كرى لهجة القام .

وذلك أنني بعد أن قطعت زمان الشباب وحل بساقي الشيب وأنا أزاول مهنة التعليم في المدارس وتأليف الكتب وجاوزت الستين رأيت شباب نفسي لطلب العلم وجه لا يزال غضاظري الإهاب قويا فأخذت أكتب هذا التفسير . فأكبت على العمل نحو سنتين كاملتين أو يزيد . وكنت أكتب في اليوم نحو ٤٠ أو ٥٠ صفحة ومتى كتبت العدد الذي أقرره في نفسي أقوم للرياضة في الحقول حول القاهرة وأمشي نحو (٦) كيلو مترات فلما أتممته أحسست في نفسي بضعف شديد وإنهاك في القوى وضعف في الأعصاب ولكن فرحت فرحا وسررت سرورا كثيرا لأنني اعتقدت أنني أكملت واجبا . والذي سقت الكلام لأجله أنني بعد تمام التفسير كما قدمت أخذت أروض نفسي خارج القاهرة فكنت في بعض الأوقات أجلس عند بلدة الريح وأجلس هناك في الهواء الطلق وأنا ضعيف فسمعت إذ ذاك الآلة الحاكية السماء (الفونوغراف) إذ يحكي بالصوت الجميل واللغة العامية مامعناه (يا بابا وأعمل له الواجب ، وأنا أمشي له وأتعجب ، وأغمز بالعين والحاجب) .

هذا ما كنت أميزه من أصوات الفونوغراف المذكور الذي يعبر عن شعور الفتاة البكر وقد حضر خطيبها وهي توصي أباه أن يكرم مثواه في الضيافة وهي تتولى إظهار المحاسن له وتكون معجبة بمجدها ، فأكرامه موزع بينها وبين أيها فعليه الإكرام اللالي كما يكرم أعز الضيوف وعليها هي إظهار المحاسن ليزيد غرامه بها فتزوجه . هذا ما خطر لي ولكن هذه النفس حولته إلى سعادتها هي كما حولت غناء النساء على الجمال إلى نفسها في جهة (بردين) بالشرقية وبيانه أنني لما سمعت ذلك الغناء أحسست كأن نفسي في عالم أجمل من هذا وكأني لست في هذه الدنيا ، وكأن هذه الفتاة هي الحكمة ، وكأن الذي تخاطبه هو الله عز وجل ، وكان

المخاطب لها أنا ، وكان الحكمة التي أعشقها وأنا أخطبها مخاطب الله عز وجل وتقول له : (يارب أنظر في أحواله المنزلية ، وأموره المعاشية ، حتى يتفرغ لي وأنا سأزير له وأظهر له محاسن فيعشقني ويحبني ويكتب ماينفع للناس) .

ولما رجعت إلى المنزل بالقاهرة بقي أثر تلك المعاني أياها وأياما ولكني كنت أقول : لقد أعمت التفسير فما هي الحكمة إذن التي سيظهر جمالها لي ؟ ولقد ظهر بعد ذلك ما لم أكن أحلم به فإن التفسير الذي كتبت لم يكن ليتجاوز نحو (١١) مجلدا فما كاد عمال المطبعة يشرعون في طبعه حتى بدرت لي بوادر وسنحت لي سوانح لم تكن لتخطر لي ومنها جميع المسائل العلمية التي ازدانت بالصور الشمسية فتضاعف الكتاب بما أضعه فيه من تلك العجائب الحكيمية التي ازدان بها فعرفت إذذاك معنى ما فهمت من صوت الفونوغراف وأن فهمي كان حقا وأن هذه تنبيهات وإشارات تقبسها النفس من الأحوال المحيطة بها ، إذن نفوسنا مستعدة أن تحول جميع ما حولها إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمفكرين . فإذا نظرت القمر هذه الليالي في هذا الشهر والنجوم والنخل والزرع وتصورت المعاني المتقدمة فذلك أن نفوسنا لها حال أخرى فوق هذه الحال وهي أن ترى العوالم كلها سعادة لها وجورا وجنات ونعيمات وتحظى بذلك في الحياة في سحبات وأوقات . فإذا خلعت هذا العالم لبست أثواب السعادة في عوالم أخرى . انتهى صباح يوم الاثنين (١٩) من شهر مايو سنة ١٩٣٠ م .

فلما أعمت ذلك . قال ، إن الذي قصصته على الآن إنما هو خيالك الخاص بك . وهل لهذا الخيال رابطة بالحقائق العلمية ؟ وهل المسموع والبصر من واد واحد في العلوم الحكيمية كما كان في خيالك الطاري لك في أوقات مختلفات . قلت : إن أمثال هذا المقام يعوزه شرح طويل ولكن لأختصره لك اختصارا فأقول :

(علاقة النظام السياسي بالنجوم والحساب والهندسة والتحرير العنفي والوسيطي)

هاهي ذه أمانى جمهورية أفلاطون التي ألقها لإحداث نظام سياسي ثابت . وقد تعرض فيها لكل فروع الحياة وشرحا شرحا وافيا . والجمهورية مقسمة إلى عشرة كتب والكتاب السابع هاهو ذا بين بندي وهو يبحث في الرجل الحكيم الذي يقود أمته إلى الصلاح والفلاح فوصفه بأنه هو الذي لا يقف عند الحواس بل يرتقى إلى ما هو اليقين وقال لا سبيل للوصول إلى اليقين إلا باجتذاب العقل من المحسوس إلى المعقول الثابت ومتى وصل العقل إلى اليقين وهو [صورة الخير الجوهرية] أيقن أنه سبب لكل ما هو جميل في المحسوسات كالأنوار ولكل ما هو باه وكامل في المعقولات وهو الحق والعقل . وكل من أراد أن يتصرف بحكمة يجب عليه أن يضع صورة الخير الجوهرية بين عينيه . أقول (وبعبارة أخرى) يجب أن يجعل الحكام والحكام صانع العالم دائما في قلوبهم .

(العقبتان في طريق الفيلسوف في حال تعلمه وفي حال قيامه بواجبه)

ثم أخذ يبين ما يعترى الفيلسوف من المشاق إبان تعلم الفلسفة . ثم ما يعتره من التعب والتعب بعد كمال نفسه إذ يرى عقده الذي وصل إلى درجة السكال ومعرفة الجمال ومبدأ النظام وهو الله تعالى قد رجع كرة أخرى يقاسي مشاق السياسة ونظام المدن فيكون إذن أشبه بمن مشى في النور طويلا ثم فاجأه الظلام ، ثم بعد الممارسة يكون أقوى وأكثر في نظام المدن من أولئك الجهلاء .

﴿ الرياضة البدنية والموسيقى ﴾

وهاهنا أخذ يبين الدروس التي يتعلمها أولئك الحكماء الفلاسفة وقدم لذلك مقدمة فقال : (يجب أن يحكم الدولة الأغنياء الحقيقيون ، أغنياء لا بالذهب ولا بالفضة بل بثروة الإنسان السعيد وهي حياة البر والحكمة فإذا تسلط الفقراء أي للتهاوتون على النافع المادية كانت المدينة في غابة الانعطاط) وهنا أخذ يبحث في العلوم التي تنقل الإنسان من الفاني إلى الباقي وتجعله مقبلا على الخير المحض وهو اقتصالي فقال : (هل تكفي الرياضة البدنية التي تقوى الأبدان وعلاقتها لا تكون إلا بالجسد الفاني . كلا . وهل الموسيقى التي لا عمل لها إلا أن تمرن النفس على نوع من الأوزان والاتساق كافية في ذلك ؟ كلا . فالجنا سنك لصحة الأبدان والموسيقى لها نوع من التهذيب في النفس بالاتساق) .

﴿ علم الحساب ﴾

وهنا أخذ يذكر علم الحساب فقال : « إنه هو العلم الذي منه تستمد كل الفنون والعلوم وجودها ، وهو أول ما يجب على المرء حوزة من العلوم ، ولا جرم أن فن الحرب أحدها وهو يكون نافعا للتاجر والضابط الجيش ولا فيلسوف ، وعلى الجملة أن التصيين على الحساب سريعو الخواطر أذكيا . إلا النادر منهم وهو دواء لبطى الفهم فوق منافعه الأخرى ، وأعظم فائدة لدرس الحساب أنه يقودنا إلى درس الوحدة والتفكير في الوجود الحقيقي ، إن الواحد في كل موجود له (صفتان) صفة الواحدة من جهة . وصفة الكثرة من جهة أخرى . أقول : أي كبدن الإنسان فهو واحد من وجه كثير من وجه آخر باعتبار أجزائه . وهكذا كل مدينة وقرية وكرة أرضية وأمة وهكذا .

يقول إن البحث في الوحدة يعرفنا الوجود الحقيقي الذي لا كثرة فيه بوجه من الوجوه بل هو واحد من كل وجه ، أما العوالم فوحدتها من جهة واحدة فقط بالملاحظة لا غير .

ولما أتم الكلام على الحساب أخذ يذكر الهندسة السطحية كالثلث والمربع وكثير الأضلاع وسطح الكرة وما أشبه ذلك . ثم علم الهندسة الفراغية كالكرة والمكعب ونحوها . ثم عطف على هذه الثلاثة علم الفلك وأبان أنه يحمل النفس على النظر إلى الأمور الثابتة وفضح علماء الفلك في زمانه قائلا : (إنهم يزاولونه فينزل بهم إلى أسفل سافلين ، إذ لا فرق بين من نظر إلى جلد منقط منقوش وبين من نظر إلى هذا السقف للرفوع اللزبن بالنجوم . وأي فرق بين منظر ذلك الجلد وهذا السقف من حيث شكاهما ، فكلاهما من المحسوسات والمحسوسات أحسن المخلوقات . إن التقف في علم الهندسة إذا رأى رسما عرف حالا إتقانه ودرجته في الجمال والسكال فلم يكن له ذلك غرضا مقصودا وإنما هو واسطة لما فيه من المعادلات والمضاعفات والنسب ، أما نفس الرسم فليس مقصودا من حيث ذاته بل الإبداع هو المقصود . هكذا علم الفلك فليكن مقصد الفلكي أن ينظر إلى حركات النجوم بهذا الاعتبار نفسه . إن الحركات تعطينا علمين علم تؤديه لنا العيون . وعلم تؤديه لنا الآذان . فالعلم الذي تؤديه لنا العيون هو علم الفلك . والعلم الذي تؤديه لنا الآذان هو علم الموسيقى فأذاتنا لضبط الحركات للتسعة بالموسيقى وعبوتنا خلقت لتناول حركات الأجرام الفلكية وهذان يؤلفان علمين شقيقين كما يقوله الفيثاغوريون . وههنا أخذ يشنع على طائفة من علماء الموسيقى وعلماء الفلك إذ يقصرون عنهم في الموسيقى على أن يتلقفوا الصوت ويتنصتوا ويبحثوا عن الفرق بين هذا الصوت وذاك وأن هذا أخفض وذاك أعلى ، إذن هم يخضون عقولهم للمحسوسات ، فهم لا يبرعون إلا في شد الأوتار ولقها على الأشظة فهم بذلك يحملون أنفسهم سخرية لغيرهم .

إن الإنسان لا يفك من أغلال هذه الطبيعة التي سخر لها إلا إذا بحث في نظام هذه الأنعام وحسابها ونسبها وأدرك بدائنها الوزونات وزنا حساسيا كما ينظر عجائب الحيوان والنبات وتشريح الإنسان ، ثم ينظر في الشمس والنجوم وهذه للباحث كلها عقلية لاحسية منطقية لالفظية . قال : ولا يكف حتى يدرك الحير والحقيقة ، فحينئذ يبلغ آخر مدى العالم العقلي ، فإذا وقف العقل على كنه هذه الحقائق العقلية وأشرف على معرفة الذات العلية تمتع بالسعادة الخاصة به كما تتمتع الأعضاء الأخرى بالسعادة بما يلائمها ، فهذا هو النشيد وهذه هي النعمات وما هي إلا نعمات عقلية دائمة في مقابلة النعمات الحسية الفانية .

فلما سمع صاحبي ذلك قال : يا سبحان الله ، أنا اطلمت على هذه القطعة من كتاب جمهورية أفلاطون وهو الكتاب السابع ولكن لم أفهم منها ما كتبت أنت الآن ، إن المحاورات هناك فيها صعبة بين سقراط وبين غلوكون ولكن يظهر لي أنك لخصت للعاني وأوضحتها بعبارتك أنت وأثبتت المفهوم مع اللطوق حتى أسمعها لي واضحة ظاهرة بيينة ، ويظهر لي أن صناعة التدريس في المدارس النظامية تجعل في نفس للدرس ملكة بها يوضح كل ما يكتبه ، ألا ترى أنك ذكرت الكرة والمكعبات وما أشبه ذلك وضررت الأمثال في الهندسة وسقراط لم يوضح ذلك . فقلت : إنني أراعي فيما أكتب أحوال أذكيا القراء في هذا التفسير ، ولا يتسنى فهم ما أكتبه إلا بهذه الطرق فالإيضاح واجب متى وجدنا إليه سبيلا . فقال : ولكن أريد أن أبحث معك في مسألة واحدة مما ذكرته . ذلك أنك قلت في تلخيص كلام سقراط (قولين متناقضين) فتارة نسمعه يقول إن علماء الموسيقى الخاضعين للأصوات الذين يوازنون ما بين النعمات وأن علماء الفلك الذين لا همة لهم إلا في صور النجوم والحساب من حيث تتأجج الأرضية ، فهؤلاء وهؤلاء لاحظ لهم من الكمال ، وتارة يقول إن الموسيقى ملطفة للأخلاق مهذبة منعمة وأن التمرين العضلي إذا قوى الأبدان فإن سماع الموسيقى بلطف الوجدان فكان القول فيه تناقض . فقلت : أنا الآن أبين لك حقيقة ما يقول بحسب ما يذهب إليه ثم آتى لك بما هو الحق في نفسه . إن هؤلاء القوم ينظرون إلى الفلك وإلى الموسيقى من وجهين مختلفين فالموسيقى تلطف الوجدان وتعمن الأخلاق لأن الاتزان والاتساق يعطيان النفس صفة تشابه ما جاورها فيكون صاحبها موزونا في معاملاته وهذه النعمات تطرد من نفسه تلك الحشونة التي أودعتها في النفس التمرينات العضلية وهذه هي الطريقة العملية . أما الطريقة العملية فهي أن يفكر في أصل وضع الأنعام ونظام حسابها ونسبها الهندسية ونظام سير النجوم والشمس والقمر ، فهناك يجد نباتا ونظاما كاملا ، ولا جرم أن نظام الحساب والهندسة ونباتها يعرف النفس أن هناك نباتا في هذا الوجود بخلاف نفس الكواكب ونفس النعمات فإنها فانيات متجددات ، أما حساب ذلك كله فهو ثابت ، فإذا رأته يذم الفلكي وعالم الموسيقى فذلك إذا اقتصر كل منهما على ظواهر الكواكب ونتائج حسابها من الشهور والسنين وهو لا يفكر في نبات القواعد الحسائية وعلى ظواهر النعمات والتلذذ بها ، إذن ظواهر النعمات إنما تكون منفعتها في تنظيم النفس لا غير ، فأما إذا عدل بها عن ذلك فإنها تصبح ضارة . ولا فرق عند هؤلاء بين الطعام والشراب وبين النعمات ، فكأن أن إكثار ألوان الطعام ضار بالآكلين هكذا التفتن في الموسيقى ضار بالسامعين لأن هذا التفتن يفتح أبواب الفجور فتحتمل الأمة إلى القضاة وأكثرهم كما يقول شهبانويون وكثرة المآكل في الأمة والتفتن فيها يدعو إلى كثرة الأمراض وهذه تدعو إلى الأطباء . وعار على رؤساء الجمهورية أن يدعوا رعاياهم بتفتنهم فيها يضرهم من السمومات والمأكولات فيحتاجون إلى القضاة وإلى الأطباء . فلنكن للموسيقى في حال خاصة ويجب أن تكون بسيطة غير موجهة لإثارة الشهوات بكثرة التفتن فيها ، فالسماع والطعام أخوان

والبسائط فيما أهدى سيلا وأقوم قبلا، وهو يقول فوق ذلك (إن الأطباء يختص عملهم بالأحوال الطرفة والأمور المارضة ، أما إعطاء العقاقير وطول التمريض فذلك . يوجب الشبه في للأكل وللشارب ومتى امتنع ذلك خلصت الجمهورية من الأمراض) .

قَالَ : وهل أنت ترى هذا كله ، قلت : إن بعض هذه الآراء قد عدل في وقتنا الحاضر ، إن التمارين العضلية والألعاب التي جعلها عمدة في صحة الأبدان قد أصبحت اليوم في الممرجة الثالثة ، ذلك أن أرقى الرياضات ما كان من إتمام البدن في أعمال الحقول والبساتين ويديه التي على القدم ، وآخر درجات التمرين الرياضي هو (الجناسك) أي التمرينات المعروفة ، وقد قال علماء أوروبا وأمريكا بالاختبار إن الذين يكثرون تلك التمرينات هم أقل الناس علما وأضعفهم تفكيراً وأظلمهم بصيرة ، ولست أقول إن التمرينات العسكرية داخلة في ذلك ، كلا ، بل هي صناعة من الصناعات لا بد من الحدق فيها وإتقانها ، وهذه التمرينات أم ركن فيها وأكثر كلام الجمهورية في العسكرية .

والخلاصة أن الإنسان لا يكون رجلا كاملا إلا إذا أحب الجمال وحب الجمال يشمل بهجة النجوم وللزراع النظرة وحسن نسق الثياب والنظافة وتنسيق المنازل . وبالجملة كل جمال في بر أو بحر . ومتى عشق الناس الجمال فتحت بصائرهم للحقائق وحسنت معاشرتهم والرياضة البدنية حافظة للصحة وهي مع حب الجمال صنوان لا يفترقان في سعادة الإنسان .

قَالَ صاحبي : هل هذا آخر رأي ؟ قلت . إن هذه عليها نظام المدارس والتعليم في العالم الإنساني اليوم ولكن جاء الإسلام فأحدث مدينة وجعل أركانها أركان الإسلام ومنها الصلاة . وهذه الصلاة بنظامها الجليل ونظامتها قد أبدعت أمة واسعة النطاق في الشرق والغرب ، ولما كسوا عنها تمزق فعملهم وصل سميم ومدنية الجمهورية وحدها لم تقم بها أمة من الأمم . أما المدينة التي قامت بإقامة الصلوات في خمسة أوقات التي هي نوع من النظام يهيج النفس إلى عالم قدسي فقد نجحت أمم وأمم بها . ولما تركها ملوك الإسلام وأمرأؤه ذهب ربحهم وصل سميم وتمسكوا بما لديهم من اللوسيقى وأكثروا منها فخرّبوا الحمر فكانوا من الخاسرين .

قَالَ صاحبي لقد أطلنا في هذا المقام وخرجنا عن اللطوب . قلت كلا . الآية فيها نظام الشمس والقمر وفيها « ذلك تقدير العزيز العليم » وتقدير العزيز العليم كما رأيناه في سير النجوم رأيناه أيضا في علم الألمان .

واتهى الأمر بنا إلى أن ما جمل من النظام محسن لأخلاقنا ومثبت من الحساب ونظام الهندسة يعطينا ثباتا في عقولنا ودلالة على مبدع للعالم ترجع النفس إليه (شكل ٣٨ الآتي في الصحيفة التالية) .



(شكل ٣٨ - شكل تستبين فيه الفصول الأربعة)

فقال أرجو الآن أن تشبع القول في نظام الحساب في الفلك والموسيقى وغناء الأطيوار كما وعدت وكيف كانت من (واد) واحد . قلت أولا انظر إلى الفصول الأربعة .

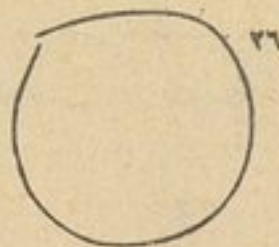
فهذه الدائرة للرسمه أمامك تحاكي الدائرة التي تقطعها الأرض في حركتها حول الشمس فهو نظام ثابت بحساب لا يتغيره ، وهاهنا يتجلى العقل الكمال الحقيقي وتتهيج نفسه بما وراه من منظم للكون حكيم (ثانيا) انظر إلى أشكال القمر الآتية قريبا وفيها وجوه القمر وصوره المختلفة فهذه الوجوه القمرية هي التي تظهر في القمر كل شهر ، فباتها الظاهري راجع لحساب كحساب سير الشمس في الصورة التي قبلها . (ثالثا) تفكير في جدول الحسوف والكسوف وهو أنه يكون (٧٠) خسوفا وكسوفا في مدة (١٨) سنة و (١١) يوما . منها (٢٩) خسوفا و (٤١) كسوفا والحسوف والكسوف في كل مدة في نفس المواعيد والساعات والدقائق في المدة التي قبلها .

(رابعا) الكلام على السنين البسيطة والكبيسة . إن الدورة السنوية القمرية (٢١٠) وهذه دورة كبيرة . والدورات الصغيرة (٧) كل دورة (٣٠) سنة . والسنة القمرية تكون ما بين (٣٥٤) يوما و (٣٥٥) يوما فالأولى بسيطة والثانية كبيسة ففي الثلاثين الأولى من (٢١٠) من الأعوام الهجرية تكون الكبيسة على حسب الحروف المعجمة في هذا البيت فالجيم للكبيسة والمهملة للبسيطة .

٢٩ ٢٦ ٢٤ ٢١ ١٨ ١٥ ١٣ ١٠ ٧ ٥ ٢
 إن رمت مجدا فلا ترقد دجا أبدا خوف القوات لما ترجو من الشرف
 انظر الدائرة الأولى

مبدأ السنين الكبيسة

٢٩



٢٤

(دائرة السنين الكبيسة)

فالكبيسة في كل سنة (١١) يوما والبسيطة (١٩) يوما (انظر الدائرة الثانية) .

(دائرة السنين البسيطة)



فهذه الدائرة تحتوي على (١٩) عددا لا يحصى للسنة من أن تجرى على مقتضاها . فالدور الأول من (٢١٠) من التاريخ الهجري هذا شأنه والدور الثاني على مقتضاه وهكذا تم (٧) أدوار وهنا ينتهي الدور الكبير الأول ، وينحو نحوه في ذلك كله الدور الثاني والثالث والرابع وهكذا بالغا ما يبلغ ونحن الآن في سنة ١٣٤٩ هـ . وقد مضى (٦) أدوار لها مدة (١٢٦٠) ومن هذا الدور السابع قدمضى (٨٩) سنة منها دوران صغيران هما (٦٠) ونحن في الدور الثالث . وهاتان الدائرتان قد تكررنا منذ الهجرة إلى الآن (٩٠) مرة .

أليست هاتان الدائرتان اللتان رأيتهما أمامك أشبه بدوائر اللوسيقى والشعر وغناء الطيور . إنها مثلها حدو القذة بالقذة ، فقال كيف يكون ذلك ؟ فقلت : اعلم أن اللوسيقى والشعر وغناء الطيور كلها من واد واحد فهي دوائر كدوائر علم الفلك . فقال أوضع فإن الأمر عجب ، فقلت : إن أصول الشعر ثلاثة وهي السبب والوند والفاصلة ، فالسبب مثل هل ومن وعن والوند مثل نعم وبلى ونحن وأنت ، والفاصلة فهمت وعلمت وغلبت ، وترجع هذه الثلاثة إلى حرف ساكن وحرف متحرك ، وهذه الأصول الثلاثة في الشعر هي أصول الغناء مثل (تن . تنين . تنين) فمن هذه الثلاثة تتركب جميع الألحان والنعومات كما أن اللاتي قبلها تتركب منها جميع أنواع الشعر عند العرب وغير العرب وأنواع الغناء عند العرب (ثمانية أنواع) وهي : التليل الأول وخفيفة . والثقل الثاني وخفيفه ، والرمل وخفيفه ، والمزج وخفيفه . وكلها مركبات من هذه الثلاثة كما تتركب أنواع النبات والحيوان من العناصر وكما تتركب أنواع الشعر العربي من الوند والسبب والفاصلة ، ومقاطع الشعر العربي ثمانية وهي فعولن مفاعيلن متفاعلن مستعملن فاعلن فاعلن مفعولات مفاعيلن . فهذه منها تتركب البحور العربية الشعرية ، ومن الثمانية قبلها تتركب سائر الألحان في اللوسيقى . فلما سمع ذلك قال : إننا الآن في تفسير آية الشمس والقمر وتقدير العزيز العليم ، ولا جرم أن هذا دعا إلى علم الفلك وعلم الشعر وعلم الألحان لأن ذلك كله تقدير العزيز العليم ، وسمعتنا الفلاسفة يقولون إنهم من واد واحد ، فأريد الآن الهجوم على نفس الموضوع خيفة أن يتشعب علينا بما نستوفيه من تلك العلوم فأرجو أن تأتي بمثال واحد به نعرف أن علم الشعر على مثال علم اللوسيقى وتمامات الطيور ، فإذا كنا رأينا للقمر والشمس والسنة الكبيسة والسنة البسيطة دوائر قرأناها فأريد الساعة أن أدرس دوائر تشبهها في الشعر واللوسيقى حتى تستبين الحقيقة . فقلت اعلم أن الخليل بن أحمد لما اطلع على أشعار العرب وجدها ترجع كلها إلى خمس دوائر وهذه الدائرة منها وهي التي تدل على بحر الطويل والمديد والبسيط وسماها المختلفة

(الدائرة الثالثة)

(الدائرة المختلفة)



فهذه الدائرة فيها سبعة حروف متحركات وخمسة حروف سواكن أي (١٢) حرفا سواكن ومتحركات أضنتنا في ثلاثة محور فما عليك إلا أن تكرر هذه الحروف أربع مرات فتبلغ (٤٨) حرفا ، فبحر الطويل إذا ابتداء من اللبداء الذي أمامك في الدائرة له يكون فعولن مفاعيلن (٤) مرات وفاعلاتن فاعلن أربع مرات في اللديد ومستعملن فاعلن (٤) مرات في البسيط .

فانظم أيها الذي من الأشعار ماشئت في الطويل واللديد والبسيط ولكنك لن تخرج عن هذه الأوزان للتقدمة في الدائرة ولا تخرج عن التحركات والسواكن بعينها إلا في أمور عارضة يسمونها الزخافات والعلل لاجل لذكراها لأنها تخرج بنا عن القصور كما هو رأيك ورأي أذكيا القراء في هذا التفسير .

واعلم أن هذه الأوزان هي الأصل ولكن الشعر علم له قواعد تقتضى معرفة علله وزخافاته وما الأيات إلا كحيوان يصح ويمرض ، فحذف حرف أو تسكينه يعتبر كأنه علة وأغلب الشعر لا يغلو من ذلك ، فإذا أتينا بشواهد على هذه البحور فإنها من هذا القبيل ، فإذا سمعت هذا البيت وهو الشاهد لبحر الطويل وهو :

ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب وبوطأ بمنم

فاعلم أن ما حذف منه تقتضيه الصناعة لأن آخر صدر البيت بوزن مفاعل وكذلك عجزه وهكذا قل فيها يأتي .

(شاهد اللديد)

يا لبكر اشروا لي كليا يا لبكر ابن ابن الفرار

(شاهد البسيط)

لولا للشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والإقدام قتال

وبهذا تم الكلام على الدائرة الأولى .

ومن عجب أن بحر الطويل الذي هو أحد البحور الثلاثة في الدائرة المختلفة للتقدمة له نظير في علم الموسيقى قال : وما هو ؟ قلت : أذكرك بما تقدم وهو أن ألحان الغناء العربية لها ثمانية قوانين فلترك الكلام على التثليل الأول والثقل الثاني ولنحصره في الكلام على خفيف التثليل الأول فنجده على هذا الوزن فعولن مفاعيلن (تنن تن ، تنن تن تن) ويسمون هذا (اللعن للاخوري) وهو بمائل صياح الفاحنة (ككوكو كوكوكوكو)

إذن عندنا هذا الوزن في الشعر وفي الموسيقى وعند الطير ، فلنرجع إلى الدائرة المختلفة للتقدمة فإذا نجد أن من ينظم بحر الطويل يتم البيت بالسير على هذه الدائرة أربع مرات فقولن مفاعيلن أي أنه يأتي بخمس سواكن وسبع متحركات ويعيدها أربع مرات ، ولا فرق في ذلك بين اللحن وبين من يقول :

أبا منذر فكانت غرورا صغيفي ولم أعظم بالطوع مالي ولا عرضي

باسبحان الله : إذن قول الفاختة ككوه كوه ألح يجرى على هذه الدائرة ، إذن اللحن والطير والشاعر كلها تجرى على هذه الدائرة في هذا القام ، وبأعجبا . أليس هذا بينه هو ما رأيناه الآن في سير الشمس والقمر ووجوهه والسنين الكبيسة والبسيطة ، أفليست الدوائر الصغرى التي تبلغ نحو (٩٠) دائرة من أيام الهجرة إلى الآن سارت كلها على نمط واحد ، فأى فرق لمعرك بين دائرة الحليل التي سهاها المختلفة وقد جاء فيها بحر الطويل المائل للماخوري في الشعر ولصباح الفاختة وبين دائرة السنين الكبيسة والبسيطة .

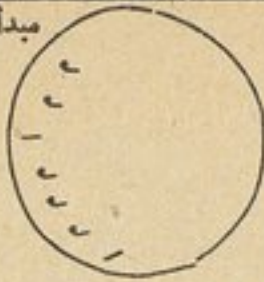
كل هذه أدوار منتظمة . أليس هذا هو الذي كنا نسمى لفهمه ونعرف ما يقوله أفلاطون أن علم الألمان هو من قبيل علم الفلك لافرق بينهما ، وإن الإنسان إذا أدرك عجائب الوحدة والحساب أغرم بمبدع الكون وأن أساعنا مخلوقة لمعرفة نظام النعمات كما أن أبصارنا مستعدة لمعرفة نظام الحركات وبهذا عرفنا أن النعمات وحركات الأفلاك كلها واحدة منظمة .

وبهذا عرفت أيها الذكي ما جال بخاطري وأنا شاب في الحكاية السابقة في أول هذا القام إذ ذكرني بحركات الأفلاك نعمات الناديات وفهمت نسي أن ذلك بكاه على موتها . ههنا القطرة من غير تطيم انتقلت من حركات النعمات إلى حركات الأفلاك . وهذا الذي حرك وجداني بطريق الوجدان والفرجة هو الذي أجده (سقراط) فيما تقدم وهو الذي فصلناه فيما قرأته الآن .

فلما سمع صاحبي ذلك قال : لقد شرحت صدري وشرحت الموضوع شرحا وافيا وعرفنا بهذا أن تدير العزيز العليم كاسرى في الأفلاك سرى في نعمات الطيور وأشعار العرب وألحان الغناء . ولكن هل القطرة السادقة خاصة بالعرب . قلت : كلا . اعلم أن الأمم كلها حكما حكم أمة العرب ، وإذا وجدنا الطيور لها موسيقى ونعمات هكذا نوع الإنسان كله له اصطلاحات وأوزان لا تخرج عن الأصول التي بينها ، وليست بحور الشعر التي عددها (١٦) في اللغة العربية بشرط في النظم بل القطرة الإنسانية فيها من الأوزان ما لا حصر له وهكذا للماني .

فقال ها أنا ذا عرفت الدائرة المختلفة في علم الشعر فأريد أن أعرف بقية الدوائر ، قلت له إن هذا يخرج بنا عن القام ، فقال ولكن أريد الإيجاز . قلت : الدائرة الثانية تسمى للثانفة وفيها الوافر والكامل والبيت يتم فيها بست مرات (انظر الدائرة الآتية) .

مبدأ الوافر



فالوافر مفاعلتين ست مرات والسكامل متفاعلتين ست مرات وهذا واضح .

﴿ شاهد الوافر ﴾

ونشرب إن وردنا الماء صفوا ويتررب غيرنا كدرا وطننا

﴿ شاهد السكامل ﴾

وإذا صحت فما أقصر عن ندا وكما علمت شمائل وتكرمي

وهذا تمت الدائرة الثانية وشواهدا

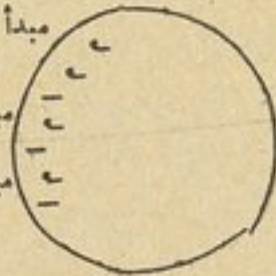
والدائرة الثالثة تسمى المجتلبة والبيت فيها يتم بست مرات وفيها الممزج والرجز والرمل (انظر

الدائرة الآتية) .

مبدأ الممزج

مبدأ الرجز

مبدأ الرمل



فهذه الأبحر الثلاثة من واد واحد كالوافر والسكامل في الدائرة الثانية ، فلا فرق بين مفاعلتين ست مرات في الممزج ولا مستفعلن ست مرات في الرجز كذلك ولا فاعلتين ست مرات في الرمل فكلها كأنها شيء واحد .

﴿ شاهد الممزج وهو مجزوء ﴾

وما ظهري لباعى الضيم بالظهر الدلول

مفاعلتين ثلاث مرات وبمدها فمولن .

﴿ شاهد الرجز ﴾

القلب منها مستريح سالم والقلب منى جاهد مجهود

فهذا صارت مستفعلن في آخره بوزن مفعول .

﴿ الرمل ﴾

قالت الخنساء لما جثها شاب بمدى رأس هذا واشتهب
هو فاعلان فاعلان فاعلان مرتين، وبهذا تم الكلام على الدائرة الثالثة وشواهدا
والدائرة الرابعة فيها السريع والنسرح والحفيف والمضارع والقنضب والمجث . والدائرة الخامسة فيها
التقارب ويتلو ذلك بحر الحجب الذي يشبه حجب الخيل (انظر الدائرة الآتية).

﴿ فائدة ﴾

(م) للحرف المتحرك و (ا)
للساكن في هذه الدوائر الخمس



إن السريع بحسب أصله مستعملان مستعملان مفعولات ، والنسرح مستعملان مفعولات مستعملان .
والخفيف فاعلان مستعملان فاعلان ، والمضارع مفاعيلان فاعلان مفاعيلان . والقنضب مفعولات مستعملان ،
والمجث مستعملان فاعلان فاعلان .

﴿ شاهد السريع ﴾

أزمان سلى لا يرى مثلها را ؤن في شام ولا في عراق

﴿ شاهد للنسرح ﴾

إن ابن زيد لا زال مستعملا للخير يفتى في مصره العرفا

﴿ شاهد الخفيف ﴾

خفف الوطاء ما أظن أديم ال أرض إلا من هذه الأجساد

﴿ شاهد للمضارع وهو مجزو ﴾

دعاني إلى سعاد دواعي هوى سعاد

﴿ شاهد للتضرب وهو مجزو أيضا ﴾

أعرضت فلاح لها عارضان كالبرد

﴿ شاهد المجتث وهو مجزو أيضا ﴾

لم لا يبي ما أقول ذا السيد للأمول

﴿ الكلام على الدائرة السابقة - شاهد للتقارب ﴾

فولن ثمان مرات وأروى من الشعر شعرا عويضا ينسئ الرواة القى قد رروا

هي الشمس سكنها في السما فمز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع إليها الصمودا ولن تستطيع إليك النزولا



وبهذا تم الكلام على بعض الدوائر الفلكية ثم جميع الدوائر الشعرية التي أبدعها الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى .

وبهذا ظهر لك أيها القارئ كيف أصبح علم الشعر وعلم الموسيقى وعلم الفلك من واد واحد فهي على مقتضى حساب منظم . ولما كان ظهور هذا التفسير موافقا لظهور كوكب جديد وراء نبتون وجب أن أبينه هنا ثم أتبعه بأشكال القمر وما يتبع ذلك إيفاء لحق اللقاة فأقول :

(الكوكب السيار الجديد)

جاء في جريدة (الأهرام) بتاريخ يوم الأحد (٣٠) مارس سنة ١٣٩٠ م مانصه

(بلاغ من مرصد حلوان)

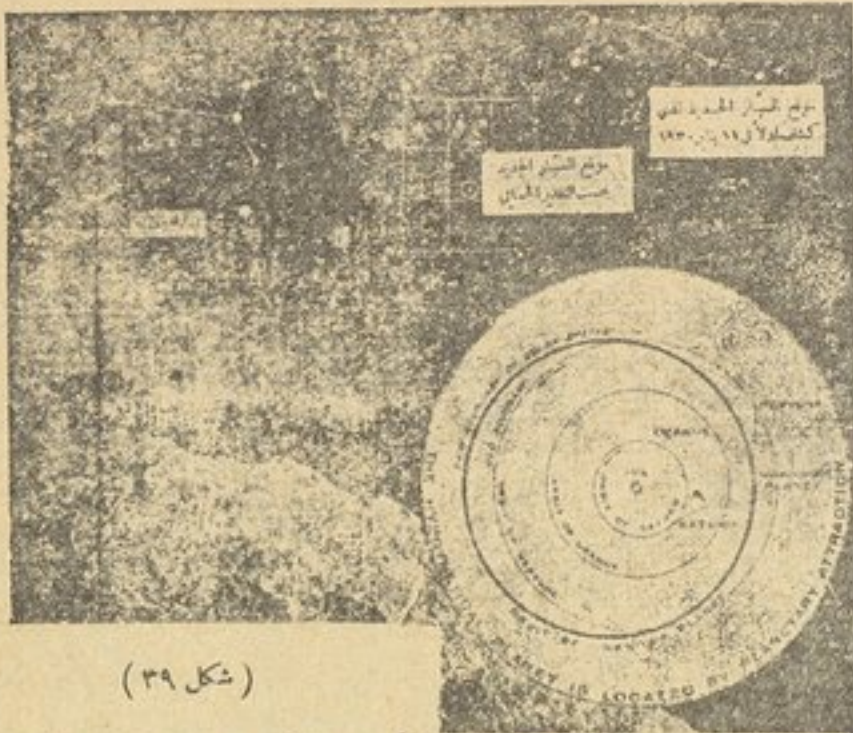
في ١٢ مارس الحالي اكتشف مرصد لول بمدينة فلاجستاف في الأريزونا بالولايات المتحدة الأمريكية كوكبا سيارا علويا جديدا وراء نبتون . ولهذا الاكتشاف أهمية عظيمة جدا للمعلوم الفلكية ، وقد زاد عدد الكواكب السيارة بما في ذلك الأرض حيث يبلغ الآن عددها تسعة ، وقد اكتشف الكوكب الثامن نبتون في سنة ١٨٤٦ والكوكب السابع أورانوس في سنة ١٧١١ .

وعند وصول هذا النبأ قد أخذ الدكتور محمد رضا مدور الفلكي للقيم بمرصد حلوان عدة ألواح

فتوغرافية بواسطة نظارة رينولدز العاكسة البالغة قطرها (٣٠) بوصة وقد ثبت جليا وجود الكوكب الجديد في الألواح للعرضة لموقع الكوكب مدة ساعة من الزمن في الليالي الآتية (١٨ و ٢٤ و ٢٧ مارس).

وهذا الكوكب مثيل للمان حيث يبلغ قدره الفلكي نحو (١٥٠) فهو بذلك ألف مرة أقل لمعانا من الكوكب نبتون وهو يقع في برج التوأمين بالقرب من النجم اللامع ولكنه لا يمكن أن يرى بالعين حتى ولو استعمل أكبر منظار ، ولا بد أن يمضي بعض الزمن حتى يمكن حساب حجمه وكتلته ولكن للقادر الابتدائية ثبت أنه أكبر من الأرض وأصغر من أورانوس . ويبلغ بعده عن الشمس نحو (٤٥) مرة بعد الشمس عن الأرض . وقد دلت الفروق الصغيرة في حركات الكوكب أورانوس أنه لا بد من وجود كوكب تاسع بسبب هذه الاختلافات . وقد عمل الدكتور لول مؤسس المرصد المذكور آنفا حسابا لموقعه في السماء غير أن هذا الاكتشاف يرجع إلى البحث للنظم بواسطة النظارات الفوتوغرافية منذ (٢٥) سنة تقريبا اه .

وسترى في الصحيفة الآتية رسم خريطة نجمية تبين موقع السيار الجديد في صورة التوأمين وموقعه للقدر بالحساب قبل اكتشافه في برج السرطان وموقع السيار نبتون في صورة الأسد ، وفي الدائرة رسم مصغر للنظام الشمسي تظهر فيه الشمس في المركز إلى آخر ما ذكر هناك . وكذلك صورة لالتسكوب الكبير الذي اخترع حديثا . وسترى أيضا في الصفحات الآتية بعد ذلك صور أشكال أوجه القمر المختلفة .



(شكل ٣٩)

خريطة نجمية تبين موقع السيار الجديد في صورة التوأمين وموقعه المقدر بالحساب قبل اكتشافه في برج السرطان وموقع السيار بتون في صورة الأسد وفي الدائرة رسم مصغر للنظام الشمسي تظهر فيه الشمس في المركز ولا تظهر أفلاك عطارد والزهرة والأرض والمريخ والنجيمات والمشتري لأنها على هذا القياس قريبة جدا من الشمس فيتمتد رممها هنا وبلى ذلك فلك زحل ثم فلك أورانوس ثم فلك نبتون الذي كان إلى أوائل هذه السنة حد النظام الشمسي المعروف ثم يظهر فلك السيار الجديد بخط نجين .



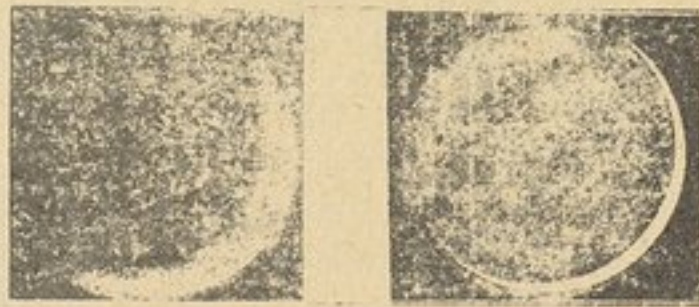
صورة لتلسكوب الكبير الذي أشرنا إليه غير مرة في القنطف وسيكون له مرآة من الكوارتز للصور قطرها مائتا بوصة أي مضاعف قطر المرآة في أكبر تلسكوب بنى حتى الآن . و ينتظر أن تبلغ نفقانه ستة ملايين ريال أو مليون جنيه ومائتي ألف جنيه .

في ٢١ يناير سنة ١٩٣٠ كشف الستر كليد تيمو وهو مساعد حديث السن انضم من عهد قريب إلى مرصد لول بأرزونا . في صورة فوتوغرافية عن شبح منثيل لجسم سموي متحرك . وكان موقعه في صورة التوأمين على

نحو خمس درجات من الموقع الذي عينه الأستاذ برسكال لول بالحساب الرياضى للسيار المجهول خارج فلك نبتون. فاحتفظ علماء مرصد لول بسر هذا الاكتشاف سبعة أسابيع والواقي أنشأها البحث والتحقيق للتثبت من أن هذا السيار يدور حقيقة في فلك خارج فلك نبتون إذ ليس ما يمنع أن يكون إحدى النجيمات العديدة التي تدور بين المريخ والمشتري ، وأخيراً ثبت لهم أنه سيار جديد وراء نبتون وأن فلكه يتفق تقريباً مع الفلك الذى تنبأ به لول أما بعده عن الشمس فنحو ٤٥ ضعف بعد الأرض عنها أى نحو ٤٢٠٠ مليون ميل . وعلى هذه المسافة لا يصله من نور الشمس وحرارتها إلا جزء من ألقى جزء مما يصلنا منها انتهى من مقتطف مايو ١٩٣٠ .

أشكال القمر

في مدة دورة اقترانية يأخذ البعد الزاوى لمركز القمر عن مركز الشمس مقدرًا على الطول جميع المقادير من ٠ إلى ٣٦٠° وفى هذه المدة يكون على وجه العموم قرصه المستدير مكوناً من جزأين : أحدهما مستدير والآخر مظلم ، وشكل هذين الجزأين ومقدارهما النسبى يتغير دائماً ومنهما تتكون الظواهر المعروفة بأسم أشكال القمر : ويبان ذلك أنه متى لم يكن القمر منظوراً لايلاً ولا نهارة يقال له فى حالة الحاق أو الاقتران أو الاجتماع أو التوليد . وسبب عدم رؤيته أن وضعه مجاور جداً فى الظاهر للمحل الذى تشغله الشمس فى السماء فيوجه نحو الأرض نصف كرتيه للظلم المحجوب عن الأشعة الشمسية ويمكث خفاء القمر يومين أو ثلاثة أيام ، لكن لحظة الاقتران المضبوطة التى يستدل عليها من السنوبات الفلكية نحصل متى كان للشمس والقمر طول واحد ، وفى اليوم الثانى أو الثالث بعد تلك اللحظة (١) يظهر القمر ليلاً بعد غروب الشمس بعدة قليلة على شكل هلال رفيع (شكل ٤٠) تحديه نحو القطعة التى توجد فيها الشمس تحت الأفق وبسبب الحركة اليومية يغرب القمر بعد قليل فى الأفق الغربى . وفى اليوم التالى تحصل الحالة بعينها ، غير أن الجزء المستدير يكون أعظم وحيث أن القمر يكون بعيداً عن الشمس أكثر من بعده عنها فى اليوم السابق يتأخر غروب القمر عن اليوم السابق ، وفى اليوم الرابع (شكل ٤١) بعد الاقتران يغرب بعد الشمس بثلاث ساعات وشكاه بعد اليوم الرابع من الاجتماع يسمى التربيع الأول (انظر شكل ٤٠ و ٤١) .



(شكل ٤٠ - الوجه الأول للقمر) (شكل ٤١ - اليوم الرابع للقمر)

ثم ينمو الهلال شيئاً فشيئاً ، وبين اليوم السابع والثامن من لحظة الاجتماع ليظهر لنا القمر على شكل

(١) هيفيلوس يقول إنه لم ير القمر إلا بعد ٤٠ ساعة من الاقتران و ٢٧ ساعة قبله بحيث أن النهاية العظمى لمدة خفائه تكون ٦٧ ساعة وهذه المدة تختلف على حسب الأقاليم وعلى حسب عرض القمر .

نصف دائرة ويرى مدة في النهار (شكل ٤٢) والحركة اليومية لاتأني به في مستوى الزوال إلا بعد مرور الشمس به بست ساعات تقريبا .

ويبين الترييع الأول والبدر تضي سبعة أيام أخرفي غضوننا بقرب الجزء للستير شيئا فشيئا من أن يصير دائرة تامة (انظر شكل ٤٣) وتأخر شروق وغروب القمر شيئا فشيئا في مسافة هذه للدة مع كونه موجها



(شكل ٤٢ - القمر في الترييع الأول) (شكل ٤٣ - القمر بين الترييع الأول والبدر)

دائما نحو الترب الجزء العلوي من قرصه وبعد الاقتران بخمسة عشر يوما تقريبا يظهر لنا قرصه مستترا بأكله (شكل ٤٤) وحينئذ تكون لحظة شروقه هي تقريبا لحظة غروب الشمس التي تشرق عند غروبه ومتى ارتقى القمر إلى أعلى نقطة من سيره أعنى مر بمستوى الزوال يكون نصف الليل ووقتئذ تمر الشمس تحت الأفق بمستوى الزوال الأسفل بحيث يكون القمر مقابلا للشمس بالضبط بالنسبة للأرض .



(شكل ٤٤ - البدر) (شكل ٤٥ - القمر بين البدر والترييع الأخير)

وبعد ذلك يتناقص على التوالي الشكل للستير للستير للقرص وينتهي بأن يظهر كما كان في أول الأمر على شكل هلال رفيع جدا تحدبه جهة الشرق بحيث يكون نصف الدائرة المحدد للجزء للستير موجها دائما نحو الشمس ، وفي وسط للمسافة التي تفصل البدر عن الزمن التالي له يكون للقمر شكل كالذي كان له في الترييع الأول غير أنه موضوع بعكسه ويسمى الترييع الثاني أو الأخير وفي هذا الجزء الثاني من الزمن القمري يقرب الوضع الظاهري للقمر في السماء شيئا فشيئا من موضع الشمس وتقريبا من الأيام الأخيرة يسبق شروقها بعدة قليلة جدا حتى يدخل من جديد في أشعتها ويختفي ليعود قمرا جديدا (انظر شكل ٤٥ و ٤٦ و ٤٧) .



(شكل ٤٦ - التربيع الأخير) (شكل ٤٧ - القمر بين التربيع الأخير والهِلال)

﴿ الضوء الرمادى ﴾

قد قلنا إن الجزء المستضيء من القمر الذى تثيره الشمس مباشرة يتغير شكله فى مدة الدورة الكاملة للقمر من ابتداء الهلال الرفيع المضى، والشكل الأخير لعناية الدائرة الكاملة التى يظهرها الكوكب فى مستويه. وأما الجزء المظلم من هذا القرص فيظهر فى بعض أشكاله ضوء ضعيف جدا يسمى الضوء الرمادى (شكل ٤٠) ويسهل رؤيته بالعين العارية وجميع العالم يمكنهم أن يروه قبل أو بعد الحاق ببعض أيام حيث يكون القمر وقتئذ هلالا وجميع جزء نصف الكرة الموجه نحونا والذى لم يتأثر بالأشعة الشمسية يرى مع ذلك متميزا بحيث يحدد الدائرة الكاملة للقرص، والضوء الرمادى يرى مادام الهلال ولا يختفى مطلقا قبل التربيع الأول ويرى بعد التربيع الأخير بقليل ولا يختفى إلا باختفاء القمر وشدة الضوء الرمادى ربما تكفى فى تمييز كلف القمر بالعين العارية.

﴿ أسباب الضوء الرمادى ﴾

قد كان الأقدمون من الفلكيين يعتبرون أن هذا الضوء نابع من نوع تفصفر^(١) لسطح مادة القمر لكن ذلك قد بطل اليوم وعلم أن الضوء الرمادى هو ضوء الأرض منعكسا على القمر من الأجزاء المستضيئة منها، وذلك أن الأرض يجب أن ترى من القمر بالأشكال التى يرى بها القمر من الأرض بالضبط لكن هذه الأشكال تكون بعكس أشكال القمر، لأن وقت الحاق توجّه الأرض جزءها للسنتير بأكمله نحو نصف الكرة المظلم من القمر بحيث إن نصف الكرة المذكور يتلقى بواسطة الانعكاس جميع الضوء الذى ترسله الشمس إلى الكرة الأرضية، وحيث إن السطح الظاهرى للكرة الأرضية منظورا من القمر هو أكبر من قرص القمر بنحو ثلاثة عشر مرة تقريبا فيعلم أن ضوء الأرض يجب أن يعطى للبالى القمر ضوءا أعظم مما يصل إلينا من ضوء القمر وأجزاء نصف كرة الأرض للسنتير منظورة من القمر تكون مع ذلك قليلة كلما كان القمر بعيدا عن الوضع الذى يشغله فى وقت الاجتماع، ومن ذا يعلم سبب عدم ظهور الضوء الرمادى بين التربيع الأول والأخير، وحينئذ فالضوء الرمادى ليس شيئا آخر سوى انعكاس ضوء الشمس المنبعث مرة أولى من الأرض على القمر ثم مرة ثانية من القمر على الأرض. انتهى ما أردته من كتاب الفلك الحسى بك.

﴿ النازل والبروج ﴾

وكيف كان سير الشمس والقمر فهما بحساب لا خلل فيه على مقتضى الشهور الرومية مثل يناير فبراير وهكذا، أو الشهور السريانية مثل أيلول تشرين الأول تشرين الثانى وهكذا: والموازنة بينهما وبين الشهور

(١) التفصفر: كناية عن مادة فصفورية فى القمر.

القبطية مثل توت بابه هاتور كيهك طوبة أمشير وهكذا . وبيان أن أسلافنا منذ قرون جعلوا بينها جميعا موازنة بحيث إذا عرف الإنسان حساب الشهر القبطي كأهل مصر ، أو الرومي كأهل أورربا أو السرياني كغيرها أمكنه أن يستخرج بكل سهولة نظائرهما من الشهور الشمسية . وكذلك القمرية عند العرب واليهود وهكذا يعرف أين تنزل الشمس من منازلها البالغة (٢٨) منزلة وهي الشرطان والبطين والثريا الخ . وأين هي في بروجها البالغة ١٢ برجا . ثم كيف نظم الناس أعمالهم على مقتضى ذلك النظام كأن يذروا البرسيم ونحوه في شهر بابه ويحصدوا الأرز ويجنوا الرمان ويستخرجوا دهن الآس واللينوفر وهكذا في شهر توت قبله ويعرفون أن أوله يسمى النيروز وهو رأس السنة القبطية . وفي (٧) منه يلقطون الزيتون . وفي (١٧) منه تفتح أكثر الترع بمصر . وفي (١٨) منه يبتدىء فصل الحريف . وفي (١٩) منه يهيج السوداء في البدن . وفي (٢١) منه يبتدىء بيض النعام . وفي (٢٨) منه يذهب الحر . وفي (٢٩) منه يكون أول رعي الكراكي . وفي (٣٠) منه يزرع المليون . وهكذا بقية الشهور قد وزعت عليها أعمال الحياة الإنسانية والحيوانية والنباتية . ولما كان هذا المقام لا يسع ذلك أرجأته لأكتبه مفصلا موضعا في (سورة الزمر) في آية «خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ، ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى» الخ مع آية « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ، ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه» الخ وهذا هو السر في أن آيات الزرع متصلة بآيات سير الشمس والقمر في كثير من الآيات . ألا ترى إلى قوله هنا في (يس) « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها» الخ ثم أتبع ذلك بالشمس والقمر والليل والنهار وإلى قوله تعالى في (سورة ق) « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم» الخ ثم يتبع ذلك بقوله « والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي ، وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى» الخ وهكذا في (سورة الرحمن) « الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان» والنجم هو ما لاساق له من الزرع والشجر ماله ساق ، فسجود هذين النوعين مبنى على حساب الشمس والقمر قبلهما كزرع البرسيم في شهر بابه وحصد الأرز وجنى الرمان ولقط الزيتون في شهر توت قبله وزرع المليون في آخره وهكذا ما تقدم وما سياتى في (سورة الزمر) قريبا إن شاء الله تعالى .

الكلام على حساب الشهور القمرية إيفاء لبعض ما تقتضيه هذه الآيات

. جاء في كتاب صبح الأعشى ما نصه :

إن أردت أن تعرف أول يوم من شعبان وكان أول المحرم يوم الأحد مثلا فتعد من أول المحرم إلى شعبان وتدخل شعبان في العدد فيكون ثمانية أشهر فتقسمها نصفين يكون نصفها أربعة فتضيف الأربعة إلى الثمانية تكون اثني عشر ، ثم تبتدىء من يوم الأحد الذي هو أول المحرم فتعد الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت ، ثم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس فيكون انتهاء الاثني عشر في يوم الخميس فيكون أول شعبان يوم الخميس . ومثاله في الكسور النصف إذا أردت أن تعرف أول رمضان أيضا وكان أول المحرم الأحد كما تقدم فتعد ماضى من شهور السنة وتعد منها رمضان يكون تسعة أشهر فتقسمها نصفين يكون نصفها أربعة ونصفا فتكملها بنصف تصير خمسة فتضيفها إلى الأصل المحفوظ وهو تسعة يكون المجموع أربعة عشر ، ثم تبتدىء عدد الأيام من أول المحرم ، وهو الأحد كما تقدم فيكون انتهاء الرابع عشر في يوم السبت فيكون أول رمضان يوم السبت .

ومن الطرق للعتبة في ذلك أن تنظر في الثالث من أيام النسيء من شهور القبط كم يوما مضى من الشهر الربيعي فما كان جملة أصلا لتلك السنة . فإذا أردت أن تعرف أول شهر من الشهور العربية ، أو كم مضى من

الشهر الذي أنت فيه . فخذ الأصل المحفوظ معك لتلك السنة ، وانظر كم مضى من السنة القبطية شهرا فخذ لكل شهرين يوما ، فان انكسرت الأشهر وجاءت فردا فاجبرها بيوم زيادة حتى تصير زوجا . وزد على ذلك يومين أصلا أبدا ، ثم انظر كم يوما مضى من الشهر القبطي الذي أنت فيه فأضفه على ما اجتمع معك ، وأسقط ذلك ثلاثين ثلاثين فما بقى فهو عدد ماضى من الشهر العربى . ومنه يعرف أوله .

ومثال ذلك نظرت في الثالث من أيام النسيء ، فوجدت الماضى من الشهر العربى ثلاثة أيام فكانت أصلا لتلك السنة ثم نظرت في الشهور القبطية فوجدت الشهر الذي أنت فيه أمشير مثلا فتعد من أول شهور السنة القبطية (وهو توت) إلى أمشير يكون ستة أشهر فتأخذ لكل شهرين يوما فتكون ثلاثة أيام فتضيفها على الأصل الذي معك من أيام النسيء . وهو ثلاثة تصير ستة فزد عليها اثنين يصير المجموع ثمانية . ثم تنظر في الشهر القبطي الذي أنت فيه : (وهو أمشير) تجده قد مضى منه يومان فتضيفها على المجموع يكون عشرة وهو الماضى من الشهر العربى الذي أنت فيه ومنه يعرف أوله . اه .

(حساب الشهور القمرية أيضا)

وهذا نصه :

لقد قرأت الجدول الآتى في كتاب المقدم الفريد للملك السعيد وحسبت بمقتضاه أول شهر رمضان للعظيم في السنة الماضية سنة ١٣٤٨ هـ فكان موافقا لما جرى عليه العمل فأردت إثباته هنا :

فإذا أردت العمل به فخذ جميع سنن الهجرة من أولها مع السنة التي تريد معرفة أول شهرها ومواسمها فتسقط ذلك كله مائتين وعشرة مائتين وعشرة إلى أن يبقى أقل من مائتين وعشرة فتنتظر في جدول الأعداد في بيوت العشرات وفي بيوت الآحاد بجانب الجدول من يمينه طولاً في العشرات وأعلى الجدول في الآحاد ، فالآحاد من الواحد إلى العشرة ، والعشرات إلى المائتين وعشرة فتنتظر إلى تبار الباقي بعد إسقاط عشراته في العشرات وآحاده في الآحاد فتوضع أصبع على البيت الذي فيه تلك العشرات وأصبع على البيت الذي فيه ذلك العدد من الآحاد ثم تمر الأصبع في السطر الذي يزاء تلك العشرة عرضاً وتنزل الأصبع في السطر الذي تحت ذلك العدد من الآحاد طولاً بحيث التقت الأصبعان في بيت واحد ينظر ما في ذلك البيت من الأسماء والصفات السلطانية فيحفظ ثم ينظر في الجدول العمول للشهور ويعتبر أعلاه وينظر ذلك الاسم والصفة المحفوظة فإذا ظهر في على الجدول فتوضع الأصبع عليه ثم ينزل في السطر الذي تحت إلى محاذة الموسم أو الشهر المطلوب معرفة أوله إن كان شهراً أى يوم هو أو إن كان موسماً فما كان في محاذاته فهو المطلوب واعتباره ذلك أنه إذا أريد معرفة شعبان من سنة أربع وأربعين وستائة ومعرفة ليلة نصفه ومعرفة أول شهر رمضان فنسقط سنوات الهجرة مائتين وعشرة مائتين وعشرة فنسقط ستائة وثلاثون ويبقى أربعة عشر في الآحاد أربعة وفي العشرات عشرة واحدة ، فإذا وضعت أصبعاً على العشرة الواحدة ثم مررت في الوسط اللوازي لها ووضعت أصبعاً على الأربعة ثم نزلت إلى محاذة العشرة الواحدة التقت الأصبعان في بيت واحد فيه الإسم الكريم السلطاني نصره الله وهو يوسف فيحفظ لازال في حفظ الله جل وعلا ثم ينظر جدول الأشهر فيوجد الاسم الكريم المحفوظ في الطرف الأيسر من السطر الأعلى منه فتوضع الأصبع بازائه وتنزل إلى محاذة شهر شعبان فيوجد في محاذة اسم أوله وهو يوم الأربعاء ومحاذة نصفه تحت يوم الأربعاء ومحاذة أول رمضان تحت يوم الخميس ومحاذة أول شوال تحت وهو يوم العيد يوم السبت وهكذا طريق العمل به دائماً (انظر الجدول المذكور في الصفحة التالية والتي بعدها) .

١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	الأعداد أحاد وعشرات
الناصر	يوسف	السلطان	خدمة	الملك	يوسف	المولى	الناصر	خدمة	عشرة	
١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	عشرين	
١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	ثلاثين	
السلطان	الناصر	خدمة	السلطان	الناصر	المولى	يوسف	السلطان	١٠	أربعين	
الناصر	يوسف	السلطان	الناصر	خدمة	الملك	١٠	المولى	الناصر	خمسين	
١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	ستين	
١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	سبعين	
السلطان	الناصر	خدمة	السلطان	المولى	يوسف	الملك	السلطان	يوسف	ثمانين	
الملك	يوسف	المولى	الناصر	خدمة	السلطان	١٠	المولى	الملك	تسعين	
١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	مائة	
١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	مائة وعشرة	
١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	مائة وعشرين	
الملك	١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	مائة وثلاثين	
١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	مائة وأربعين	
يوسف	السلطان	١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	مائة وخمسين	
١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	مائة وستين	
الملك	١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	مائة وسبعين	
الناصر	خدمة	السلطان	١٠	٩	٨	٧	٦	٥	مائة وثمانين	
يوسف	المولى	الناصر	خدمة	السلطان	١٠	٩	٨	٧	مائة وتسعين	
١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	مائتين	
السلطان	١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	مائتين وعشرة	

أسماء الشهور	خدمة	للولى	السلطان	الملك	الناصر	صلاح الدين	يوسف
المهرم	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت
عاشوراء	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين
صفر	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد
ربيع أول	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء
ربيع آخر	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس
جمادى الأولى	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة
جمادى الآخرة	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد
رجب	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين
شعبان	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء
الصف	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء
رمضان	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس
شوال	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت
ذو القعدة	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد
ذو الحجة	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء
الوقفة	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء
عيد الاضحى	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس

العلم هو أعلى السعادات لنوع الإنسان

هو العلم الذي أَرانا أن :

- (١) السنين الكبيسة والسنين البسيطة دوائر منتظمة متعاقبات كدوائر الشعر والموسيقى ونعمات الطيور ، وأن نعمات الطيور تسير على دوائر كما تقدم في الدائرة الأولى من دوائر الخليل .
- (٢) التي فيها بحر الطويل المائل .
- (٣) لصباح الفاختة .
- (٤) ولنظيره من الذي يسمونه الماخوري في علم الموسيقى .
- (٥) ومن دوائر الكسوف والخسوف من حيث مواعيد وقوعها كالتى قبلها .
- (٦) ويتبع ذلك أن لقمر وجوها تتكرر كل شهر فهي إذن أشبه ببحر من الشعر ذى أوزان تتكرر في كل سنة (٩٦) مرة .
- (٧) وهكذا دوائر الكواكب المعروفة ومنها (الكوكب الجديد السيار) فسكها تم دائرتها ثم تعود كما يفعل الشاعر في شعره والمعنى في غناؤه . إن الله عز وجل يفعل في فسكه من سير الكوكب وحسابه ما يفعله الشاعر والموسيقى ، وفعل الله في نظام العناصر وفصل الإنسان والطيور في نظام الحروف والنتيجة تتبع القدمات اه .

بهجة العلوم في هذا المقام

(كتب قبيل الفجر ليلة الخميس ٢٦ يونيو سنة ١٩٣٠)

اعلم أن النعم في هذه الحياة الدنيا إما مادية وإما معنوية ، فالمادية كالمآكل والملابس وكل ما يملكه الإنسان ، والمعنوية كالعلوم والمعارف ، ومنها علم الفلك وبقية الرياضيات والطبيبات وهكذا . ولا تخلو حال للنعم عليه من واحدة من ثلاث خصال : إما أن يكون من العامة ، وإما أن يكون من الخاصة ، وإما أن يكون من خاصة الخاصة . فإن كان من العامة فهذا تكون سعاداته بالنعمة وقية وفرحه بها فرح زائل فيكتفي من المآكل بمنظرها والاستلذاذ بطعمها والافتخار بمحور الفاكهة والحلوى ومفاخر الأطعمة وأن يذكر الناس أنه غنى ذو مال كثير وهكذا في ملابسه وكل ما يملكه من عقار ونضار وخيل وأنعام وصيت وذكر ، ودولة وإن كان من الخاصة فهذا لا يعنيه من المآكل إلا ما به يسبح جسمه ولا من الملابس إلا ما يلبس له وهكذا فهذا ينظر المنافع في حد ذاتها ويضرب بطواهر اللذات عرض الحائط وهكذا في كل ما يملك فهو لا يبالي إلا بحفظ نفسه وإسعاد أمته والتعاون والتحاب بالهدايا والتحف للأهل والإخوان . ولا يكتفي من علم الفلك بحساب السنين والشهور من حيث ظواهرها كالقريق الأول . ولا في علم الموسيقى بطواهر النغمات التي يتسلى بها العامة والجهلاء كذلك بل يتعمق في النظر وينقل من النغمات السموعات ومن ظواهر حساب السنين والشهور إلى أسباب ذلك من تلك النسب البديعة وأنواع الحساب الدقيقة ويحجب من دقتها ونظامها ونظام كل حساب في علم الكيمياء والطبيعة ونظام الأجسام الحيوانية وحسن اتساقها . فهناك يرى نظاما واحدا ثابتا لا يخلل فيه فهذه موسيقى علمية يطرب بها طربا لا نهاية له ، فإن فكر في الأفلاك أو في الأجسام الحيوانية

أو تركيب الهواء والماء رأى نظاما واحدا يرجع كله إلى النسبة والتناسب ، وهذه النسب كلها متشابهات لا فرق فيها بين نعمات الطيور وأشعار الثمراء وسير النجوم وحساب سنيها . ولن يعرف ذلك حق معرفته أحد إلا من درس جميع هذه العلوم بجد وشوق أو اطلع على هذا التفسير أو أكثره فهو مشعور بهذه العجائب ؛ مثلا بحر التقارب في علم الشعر الذي تقدم وزنه فنون ثمان مرات . ومعنى هذا أنه هكذا : ثلاث متحركات وساكنان ثمان مرات (وبعبارة أخرى) نسبة (٣) إلى (٢) كنسبة (٦) إلى (٤) كنسبة (٩) إلى (٦) كنسبة (١٢) إلى (٨) كنسبة (١٥) إلى (١٠) إلى آخره ، وحاصل ضرب الطرفين يساوي حاصل ضرب الوسطين ، فإذا نسبت ثمن البيت إلى البيت كله كان هكذا : نسبة (٣) إلى (٢) كنسبة (٢٤) إلى (١٦) وضرب (٣) في (١٦) يساوي (٤٨) وضرب (٢) في (٢٤) يساوي (٤٨) وعلى هذا أبدا فقس . هكذا إذا أتيت ببحر الطويل وهو في الدائرة الأولى ونسبت ربع البيت إلى البيت كله كان هكذا نسبة (٧) متحركات إلى (٥) ساكنين وهي (فعلون مفاعيلن) كنسبة (٢٨) إلى (٢٠) وضرب (٥) في (٢٨) يساوي ضرب (٧) في (٢٠) ولا جرم أن نفس هذا البحر كما تقدم هو ضرب من ضروب الموسيقى وهو السمي للماخوري بالحساب واحد وهو نفسه صوت الفاختة . إذن أصبح الشعر والموسيقى ونعمات الطيور علما واحدا وبضمها إلى علم الفلك تصبغ كلها نسيا متحدة وهذا لا يصعب عليك بعد ما قدمناه لأنك إذا نسبت السنين الكبيسة إلى السنين البسيطة في الأدوار الصغيرة المتقدمة ترجع في نهاياتها إلى ما رأيت من الشعر والموسيقى ونعمات الطيور فإنك تقول نسبة (١١) إلى (١٩) كنسبة (٢٢) إلى (٣٨) وهكذا إلى ما لا نهاية له ، ولا جرم أن حاصل ضرب (١٩) في (٢٢) يساوي حاصل ضرب (١١) في (٣٨) وعلى هذا فقس في جميع العلوم . وإذا نظر الحكيم إلى علوم الطبيعة ولواحقها بجد أمور عجيبة طبيعية فانه يجد الحديد مثلا والمغنسيوم والجير والكبريت هذه الأربعة كلها لها منافع في جسم الانسان ، فالحديد يجعل الدم أحمر ويمنع فقر الدم ، والمغنسيوم يقوى العضل ويمنع الفتق ، والجير يغذي العظم ويشق الجروح ، والكبريت ينظف الدم ويمنع الروماتيزم . ثم يجد أن النباتات قد فرقت هذه العناصر عليها . ويجد أمثال السبانخ والطماطم التي تؤكل غير مطبوخة قد جمعت ذلك كله فيها جميع هذه العناصر ومنافها ، وتزيد السبانخ بأن فيها الفسفور الذي يغذي اللع كما يغذي سمك البحر وفيها الكلورين الذي يمين على المهضم وينظف المعدة كما ينظفها الصابون وذلك بشرط ألا تطبخ أكثر من خمس دقائق كإتراء في كتاب ويلكوكس الإنجليزي . فكما يرى في العلوم الرياضية نسبة هندسية يرى نظيرها في تركيب الأجسام الطبيعية ويزيد عليها نظام منافها وعجائب إبداعها فيدهشه الاتقان المحكم ويعجب من حديد ومغنسيوم وجير قد فرقت في الأرض ووضعت ولها نظام خاص تقدم شرحه في (سورة العنكبوت) فهناك جدول عجيب لجميع العناصر . ثم يرى أنها لا ينتفع بها الإنسان ولا الحيوان إلا بعد أن تمر على النبات فيرى أن النباتات التقطت تلك العناصر فأدخلتها في جسمها وانتقلت منها إلى مخ الانسان وإلى عظمه وإلى عضلاته ، فهناك يدخل في بحر لحي لا ساحل له .

هذه هي آراء الخواص . أما آراء خواص الخواص وهي أعلى طبقات هذا النوع الإنساني فهؤلاء بعد أن يقاسوا ما يقاسون من الشاق في الحياة والعمل لها ولرقى النوع الإنساني يرجعون إلى أساس تلك القوانين فتلمح نفوسهم أن وراءها حكمة وعلماء ورحمة ورأفة وإبداعا وإتقانا وإحسان النفس والتصوير . وأن هذا الحساب والنقش والتصوير وراءها حاسب مصور متقن وليس ذلك مجرد خواطر كما يحيل لمن يقرأ ما أكتبه الآن . كلا . بل يكون نسبة هذه العلوم إلى ما وراءها كنسبة هدية للملك إلى مجالسته والأنس به فمن أقبل

عليه الملك وجاله أوفر حظا ممن أهدى إليه الهدايا ولم يره أهلا لمجالسته والأنس به «وللاخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى» هذا إيضاح هذا المقام والحمد لله رب العالمين .

اللطفية الخامسة

(في قوله تعالى «سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض
ومن أنفسهم ومما لا يعلمون»)

وإنما أخرناها إلى هنا وإن ذكرت بين الكلام على الأرض والشمس لأنها نتائج السموات والأرض
الله منزّه عن المادة بل التحقيق أن لامادة في هذا الوجود وما هو إلا حركات في موجود سموه (الأثير)
فإنه تباعد عن المادة كما يبعد السابغ في البحر . يا عجباً الله منزّه عن المادة ومن شأن الجليل ألا يصدر منه
إلا ما هو جميل . لذلك لم تسكن هناك مادة غليظة . كلا . بل ذلك الأثير . وما هو الأثير ؟ ياليت شعري :
هو أمر يشبه الأمور الروحية فرضه العلماء في عصرنا أو هو كالذي نحس به في خيالنا من أمر موجود
ألطف من المادة .

العلم الآن وفيها مضى عند القدماء قد نفي المادة بتاتا وقال . (ليست هذه الأرض ولا الماء ولا الهواء ولا
النجوم ولا المجموعة الشمسية ولا الهجرة ولا المجرات الأخرى ولا السدم التي كشفت حديثا في عصرنا إلا
حركات في ذلك الأثير . وبعبارة أخرى : إن هناك نقطا ضوئية وتلك النقط الضوئية ناجمة من كهرباء سالبة
وأخرى موجبة يدور سالبها حول موجبها في الثانية الواحدة نحو ستة آلاف مليون مليون مرة فتظهر تلك
النقط كأنها شجر وحجر وجبل وجمل وتختلف المظاهر باختلاف عدد الدورات في الثانية الواحدة . وهذا
للموضوع ظاهر ظهورا بينا في (سورة النور) عند آية (الله نور السموات والأرض) إذ ظهر هناك أن نقطة
الماء مركبة من جواهر نحو عدد نجوم السماء المعروفة الآن وكلها مركبات من تلك الأضواء الكهربائية الدائرة
حول بعضها .

فإنه لما تنزه عن المادة لم يشأ أن يجعل لها حقيقة ما بل جعل لها (طرفين : أحدهما) من جهة الحقيقة
الثابتة فلم يكن إلا النور والحركات (وثانيتها) من جهة حواسنا نحن فكانت تلك الأنوار والكهرباء حديدا
وأشجارا وجبالا الخ . يقول الله «سبحان الذي خلق الأزواج كلها» وذكر منها نبات الأرض وأنفسنا وما لانعلم
إذن هنا ثلاثة مباحث : النبات ، ونفس الانسان ، وما لا نعلم . فالتى خلق هذه الأقسام الثلاثة حقيق بالتنزيه
والتقديس . وإنما كان خليقا بذلك لأن من ظهرت براعته من الناس في صنعة ما سواء أكانت يدوية أو عقلية
كان حقيقا بالإعظام والإجلال ، والعظيم الجليل ليس مشرعة لكل وارد ولا يرد عليه إلا الواحد بعد الواحد
لمحكته وعلمه وبراعته في الصناعة .

هذا كله في المخلوق البارع بديع الصنعة . المخلوق الذى ظهرت براعته في الصناعة من الناس نشأت إلى
النفوس ونحن له القلوب ولكن لانهم عليه الجواهر ولا يرونه حتى ولو بالمجاهر والناظير لأنهم لا يصلون إليه
وإليك حادثة فصها المستر (انسل) الذى كان سكرتيرا للمستر (اديسون) الذى بهر العالم الإنسانى كله بما اخترعه
من الفونوغراف وهو (الصدى) أى الذى يسمعا الصوت الذى مرت عليه السنون وقد ملا الأصقاع واخترع
جهاز الصور المتحركة ، وطريقة لاستخلاص الذهب من الحام بسرعة ، وطريقة لتبديد الثلج المتساقط
في المدن بسرعة ، واللواء الكهربائى الذى يدور باحترق الفحم والمحرك الكهربائى الذى يدور بالكهرباء

الحرارية للتولدة من تعاقب الحرارة والبرودة ، وجهازا لتقدير مراتب الحديد (خواصه من حيث الجودة)
والدليل الكهربائي (جلفانو متر) بلا ملف أو إبرة . وجهازا لقياس درجات الروائح . وإدخال تحسينات
كبيرة على مطاحن الأسمنت ، وطرقا فنية لمعالجة خامات الذهب والنيكل والنحاس . وثلاث طرق لإحداث
موجات فوق موجات الأشعة فوق البنفسجية . وطرقا كثيرة لتفطية سطح خويطات المصايح الكهربائية
بطبقات من السليكون أو الكروميوم أو غيرها وآلة موسيقية تحرك الأوتار الصوتية في حناجر هلهولتز
الصناعية . وثلاث نماذج مختلفة من التماثيل الصناعية . ومسبارا كهربائيا لاثبات أعماق المحيطات باستمرار
وجهازا لقياس مقدار مقاومة الأنايب الكلام . وطريقة لإرسال الصوت في اتجاه مستقيم من غير أن ينتشر
في الطريق . وطريقة للتبليد في التلغراف أي إرسال جملة إشارات معا في آن واحد على سلك واحد .
والتلغراف الطابع . وجهاز تقوية الصوت في التليفونات . وتوزيع القوة الكهربائية بطريق الثلاثة الأسلاك
الأرضية الخ .

وهكذا قد قدم لمكتب التسجيل بأمريكا (١٤٠٠) طلب لاختراع أو تحسين . هذا هو المستر اديسون
الذى ذكرنا صناعته لتبين مقدار إعظام الناس له في قصة (المستر انسل) صاحب سره . وإنما نذكر تلك
القصة كما ذكرنا بعض صناعته لتعرف بعض سر التعبير بالتسييح في حيز الكلام على النبات وخلق الأتس
الاديين سيظهر لك إبداع الله وإتقانه فيها بما يدهش العقل ويغير القلب . ومن ذلك ينشأ التسييح والإعظام
بالقلب لا بمجرد اللسان فالأقصار عليه تسييح الجاهلين ، المستر اديسون رجل صانع ماهر خدم كل أمة وكل
فرد والمسلمون وغير المسلمين مدينون له . فهم يعظمونه ويحلونه ولكنهم لم يروه بل الذين حوله في أمريكا
لا يستطيعون رؤيته حتى إن (المستر انسل) الذى سقنا هذا الحديث لأجله وقلنا إنه صاحب سره يقول :
إن اديسون يتساوى عنده الليل والنهار فهو دائما يعمل وكنت كثيرا ما أذهب إليه في العمل أو المصنع بالليل
حيث كنت أفضى النهار بنيويورك للقيام ببعض الأعمال وقد كان يتصادف أنى لا أستطيع مقابلته لفرط
انهماكه في العمل إلا عندما يتناول الطعام في منتصف الليل فأتهمز الفرصة وأعرض عليه بعض المسائل وأسأله
البريد فيطلع عليه في دقائق معدودة ثم يشير على بما أتبعه ويعود هو للعمل .

هذا هو (اديسون) المخترع الشهير لا يقابل الناس لأنه يقوم بشئونهم ويرفع من قدر الإنسانية . تباعد عنهم
لا عزازم وإسعادهم والناس أعظموه . هكذا كل صانع وعالم في الأرض يعظم عند الناس بمقدار عمله وحسنه ،
عرف الناس مقدار العظمة عند عدائهم وصناعهم وحكائهم وأنبيائهم فأجلوا قدرهم لأنهم مخلوقون مثلهم
وكما كان عمل الصانع أجدى نفعا وأوسع فضلا كانت النفوس له أشوق وعظمته أبعد مدى والاعظام والحب
يقعان معرفة قدر الصنعة والعلم والابداع والاختراع وهذا في المخلوق . وعلى هذا القياس يكون التعظيم والاجلال
خالق هذا العالم . والحسكاء والأنبياء لهم منازل على مقدار معرفة إبداع الله وإتقانه . ولا سبيل لمعرفة ذلك
إلا بقراءة جميع العلوم سماوية وأرضية . روحية وجسمية . ولم يذكر في هذه الآية منها إلا خلق النبات وخلق
الأتس وما لانم والذى لانعله يقاس على مانعله . فاذا عرفنا نظام النبات ونظام الأتس الإنسانية وبدائع
التركيب وجمال الصنعة كان تقديرنا وإجلالنا للبداع الحكيم لانسبة بينه وبين إجلال الناس لاديسون إلا
كنسبة نظام صنعته إلى نظام صنعة هذا المخلوق . ولا ريب أن العقول الكبيرة في العالم هي التى تدرك تلك
الحقائق العالية في الإبداع ويكون عشقها ومحبتها وسعادتها القلبية بمقدار ما أدركت من تلك الحكم العالية .
ومعلوم أننا في الدنيا لا ندرك منها إلا التمر اليسير وبهذا التمر اليسير يكون تسييحنا للحق وحينا الإلهى
«فوق كل ذى علم علم» .

فهل نحب أيها التلميذ أن أحدثك في هذا المقام (حديثين) حديثاً عن خلق النبات . وحديثاً عن خلق الإنسان .

ولما وصلت إلى هذا المقام حضر صاحبي العالم الذي اعتاد أن يناقشني في للسائل الهامة قرأ هذا وقال هذا حسن وإن كان الإنسان في بادئ الأمر قبل الفهم يظن أن بعض القول يشبه الخروج عن الموضوع وفي الحقيقة كله في الموضوع ، اللهم إلا أن أكثر تلك الصناعات المبتكرات لا يفهمها أكثر القراء لأنها أمور فنية لا يدركونها ولكن في ذكرها تنور للسليلين فيفكرون فيما ينفعهم عسى أن يفتح الله لهم باب الاختراع وكفى الفهم الاجمالي لتلك الاختراعات . ولكن ماذا تريد من شرح النبات والأنفس الانسانية في هذا المقام هذا الكتاب تقدم فيه ما فيه غنى للمستبصر في علم النفس وفي علم النبات ، ففي سورة الحجر قد رحمت الأزهار المختلفة وشرحت كيفية إلقاحها وبينت الحساب الرياضي في أوراقها بمداول ، وفي سورة الشعراء كذلك وفي سورة طه أمور أعجب وفي سورة السجدة وهكذا وفي سورة البقرة والأنعام والعدو غيرها ، فهل هذا كتاب في علم النبات ، فأما علم النفس وتفسير الجسم فهو كثير في الكتاب ، فلماذا تريد أن تكتب الآن ؟ قلت تلميذ أكتبه الآن شيء لم يتقدم له نظير وهو السحر الحلال والجمال والبهجة والحكمة ، فسأريك الساعة ما لم تره تعلم قوله تعالى « وكأين من آية في السموات والأرض يمررون عليها وهم عنها معرضون » ثم قلت : أنا لا أريك زهرة ولا شجرة ولا حديقة ولا حقلاً ولا نمرًا ، ولكن سأريك أمراً لا يؤبه له ، يحقره الجاهل والعالم ولكن بعد درسه الذي تراه يصبح ذلك الحقير في عظمة الشمس والأقمار والنجوم الثوابت والمجرات العظيمة .

فقال : لقد شاقني وصفك ، فما هو هذا ؟ قلت : ورقة سقطت من شجرة والناس يزدرونها . فقال : ما السبب في اختيارك الورقة ؟ قلت : السبب فيه أني نظرت رسمها في كتاب (علوم للجميع) باللغة الانجليزية ومقالاً شرحها ، وهناك ترجمة ذلك المقال بقلم المستر (روبرت براون) الأستاذ في علوم النبات الفخ تحت عنوان (الورقة الساقطة) قال :

إن الصيف هو الزمان الذي يعني فيه علماء النبات ثمرات علومهم ، وليس الحريف خالياً من مسراتهم وإسعادهم بالعلم ، إنه هو الفصل الذي فيه تنقد الحبوب وتنجي الثمرات الفخ وتنضج الحبوب قبل فصل الشتاء الذي هو في أقطارنا الشمالية يضعف قوة الحياة ونشاطها إلى نهايتها . وبالجملة إن أشهر الحريف هي التي فيها تسقط الأوراق . إن الغابات ذوات الأشجار العريضة الأوراق المختلفة الأنواع والأجناس في هذا الفصل تكون أبهج للناظرين وأسحر لمقول للفكرين منها ، في منتصف فصل الصيف حيث يصنع الناس الدريس ، اعتاد الناس أن يروا في شهر يونيو ما لا حصر له من المساحات الواسعة المدهامات وهي غضة بهجة تسر الناظرين ، أما في شهر سبتمبر وأكتوبر فإن تلك الغابات تتلون بألوان مختلفة الأصفر والأحمر والأصفر وهكذا مما يشعرونه أجل تلك الأوراق وتوديعها الحياة . إن الأشجار إذ ذاك تخلع حللها السندسية وجلايبها البنية . وبعد حين تلبس أخرى مسرة للناظرين . وهاهنا رسم السكاتب ثلاث ورقات (انظر الأشكال الآتية)



(شكل ٥٠)



(شكل ٤٩)



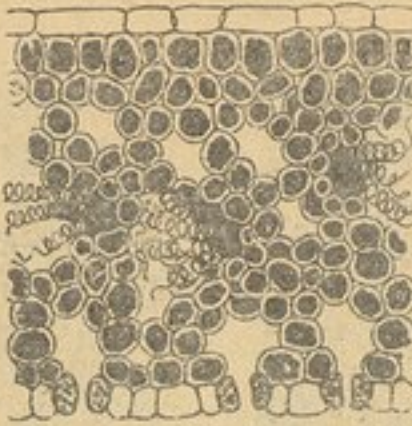
(شكل ٤٨)

(ب) الورقة الدابة الجافة (ج) هيكل الورقة (١) الورقة الخضراء التي لا يزال فيها ماء الحياة

فورقة (١) خضراء لا تزال تفرق بماء الحياة، لقد انزعناها من شجرة الحور . وورقة (ب) قد أصبحت مسفرة ذابرة وقد فارقت الحياة. والورقة (ج) لنفس هذا الشجر ولكن للادة التي تملأ ما بين خلل المروق في الورقة قد نمت عنها وزايلتها ولم يبق إلا الهيكل الذي يقول :

ألا ليت الحياة تمود يوما فأخبرها بما فعل للمات

وهنا أخذ يصف الورقة فأبان أن هيكلها حافظ لشكلها الأصلي . ثم قال : (إن هذه الورقة الخضراء مدورة قليلاً أو كثيراً في هيئة رسمها شأن جميع الأوراق والطول يزيد كثيراً عن العرض وهي دقيقة الطرف حادته وهذه هي هيئة اللثا الذي لا إتيان فيه وتأملها تجد في وسطها ما يشبه العمود الفقري في الحيوان وقد تشعبت منه في الجهتين أضلاع وكل منها ذو فريجات أخرى يتخللها جميعها مادة ناعمة تقوم مقام اللحم في هيكل الحيوان بحيث يظهر كل ذلك بهيئة شبكة منسوجة جزأت الورقة أدق الأجزاء وأصغرها . ولقد غطى كل ذلك بغطاء دقيق إذا عومل بآبرة مع رفق واحتراس إذن قسم أقساماً في غاية الدقة . وفوق كل ذلك أننا نرى ظهر هذه الورقة (وكل ورقة أخرى من أي نبات كانت) أوضوح لونا من وجهها الذي يقابل السماء ونرى أيضاً أن الأسفل ليس في النعومة كالأعلى . إن كل ما ذكرناه هنا قد عرفناه بمجرد العين ولو لم نستعن فيه بآلة بصرية كالمظهر . ولما كانت آلة الإبصار الصناعية للسهة بالمكروسكوب بممكنة الشراء لجميع الناس تخريباً لرخص ثمنها أمكننا أن نستعين بها في تحقيق امتحاننا في هذا القام لنزل بالآبرة مع الاحتراس قطعة صغيرة من غطاء أو جلد الوجه الأسفل للورقة ولنضعها بكل احتراس على قطعة من الزجاج تحت للمكروسكوب . أتدري ماذا يحصل بعد ذلك ؟ يكون هذا الشكل الذي تراه أمامك الآن (انظر شكل ٥١) .



(شكل ٥٢ - الورقة مقطوعة عرضاً)



(شكل ٥١ - قطعة من ظاهر الورقة ترى فتحاتها وهي الأفواه)

وليس الفتحات شيئاً سوى أفواه جلد الورقة أو منافذها ، وهذه الفتحات عملة في جميع أجزاء النبات الخضراء الكسوة بهذا الجلد أو بهذا الغطاء وتكون أيضاً في أوراق الأزهار ولكنها أكثر جداً (في الأوراق لاسيما الوجه الأسفل منها) من أي جزء من ظاهر النبات وتختلف أعدادها قلة وكثرة بحسب اختلاف أنواع النبات ، ثم إن هذه المنافذ أو الأفواه التي رأيتها في جلد الورقة الآن موصلات إلى حجرات صفيرات مكونات من مادة ناعمة خضراء من الورقة وهن موصلات إلى منافذ الهواء التي تراها الآن في داخل المادة للرسمية في هذا الشكل (انظر شكل ٥٢) .

أتدري ما عدد الأفواه التي ذكرناها في الورقة ؟ إنها قد تكون في البوصة الواحدة للريشة عدد (١٢) وقد تكون (٢٤) وتزيد حتى تصل إلى (١٦٠٠٠٠) وقد يكون ذلك في ورق الشجيرات الصغيرة اللاتي تشبه النجم أي ما ليس بشجر بمقدار (٧٠٨٧٥٠) في البوصة الريشة أيضاً بينما كان عددها في ورقة شجر (الكسكس) مليوناً وثلاثاً وخمسين ألفاً (١٢٠٥٣٠٠٠) .

(وصف المادة التي في داخل الورقة)

ليس من السهل امتحان المادة التي في داخل الورقة ولكننا إذا فصلنا قطعة من جرمها اللحمي الذي نخلته تلك الشبكة رأينا تحت الميكروسكوب (المنظار العظيم) منظراً كالذي استحضرنه وأربنا كه فيها تقدم .

إتنا هنا نلاحظ أن بين وجهي الورقة من أعلاها ومن أسفلها مادة خضراء قد جعلت بهيئة مثانة مدورة كما ترى وما هي هذه إذن ، هي السهارة بالخلايا جمع خلية في اصطلاح علماء النبات وكل خلية من هذه التي أمامك تحتوي على مادة خضراء عامة في مادة سائلة وهذه المادة السائلة تسمى (خضرة الورقة) وإذا أردت ابها أطول من هذا قلنا لك (كلوروفيل) كما هو اصطلاح علماء النبات ويحيط بهذه المادة الشرة حيطان شفافة يملوها سقف مرفوع ، وما أشبه للسادة الخضراء بين السقف والحيطان الأربعة إلا بسراج ذي لون أخضر أضاء على هذا السقف فظهرت الورقة بلون الخضرة البديع إذ الجلد أو الغطاء ليس فيه مادة خضراء وإن كان من نفس مادة الخلية وليس يحوى غير الهواء وهو مركب من ذرات صفيرات شبيهات بالبنات التي تنبى بها الحيطان في منازلنا وقد وضعت وضما محكما بهيئة منظمة كل واحدة بجانب الأخرى لا يتخللها غير الهواء . إن الشبكة النسوجة من الفروع الدقيقة مما يشبه العمود الفقري في الإنسان

في وسط الورقة تمتد في وسط الخلايا فتتخلل كل مسافة فارغة فتحشوها وتكون لها كأنها قوالب أو هياكل تحفظها .

إن هذا الامتحان السريع الذي لم تتعمق فيه فيما يشبه العمود الفقري وفروعه قد يكون كافيا ولكننا نريد أن نزيد عليه ما هو أجمل وأكمل ، ذلك أن هذه الفروع إن هي إلا حزم من الأنابيب مجتمعات أو أوان وضعت بجانب بعضها وربطت معا ، وهذه الأنابيب وظيفتها أنها تحمل المواد الغذائية من الساق إلى الأوراق ، أفلا يحق لنا الآن أن نسمى تلك الأنابيب بالعروق لأنها أشبهت في إيصال التغذية عروق الحيوان .

هأنحن أولاء أتينا على عجالة في تركيب الورقة من علم النبات ، وما هذه العجالة لإرسالة صغيرة وضعت لإيضاح ما نحن فيه ، وقد اضطررنا أن نعجل فيها لأن ذلك كاف في مقصودنا . فنحن في الأسطر القليلة المقبلة نوضح هذه المسألة بتجربة كيميائية يعرف بها الفرق بين الغازين غاز الأوكسجين وغاز الكربونيك أي حامض الكربون فنقول :

لنضع ورقة (الحور) التي قطعناها حديثا في إناء من الزجاج واسع القم ثم لنغمرها بالماء ولنعرضها لضوء الشمس الوهاج ، ثم إذا نجد إذن ، نجد هناك فقائيع من الماء أخذت تطفو على وجهه . هذا في النهار . أما في الليل فانا نجد فقائيع مثلها كذلك خرجت من ذلك الماء . فهنا (أمران) إما أن نكون من علماء الكيمياء فانا نعلم علم اليقين أن الغاز الذي ظهر بالفقائيع ليلا غير الغاز الذي خرج بالفقائيع نهارا . فأما إذا لم نكن كذلك فليتنا أن نسأل أهل الذكر بهذا العلم ومن هؤلاء إلا علماء الكيمياء ، هؤلاء يقولون لنا إن الغاز الأول هو الأوكسجين والغاز الثاني هو غاز حمض الكربونيك ، فالأوكسجين به حياة الحيوان وغاز الكربونيك هو الذي يخرج منه بالزفير لأنه يمت له ، والأوكسجين إذا سلطت شرارة نار في قطعة خشب صغيرة أمدتها وقواها فأخذت تسرى في جرم الخشب فتصير لها ، فهو إذن حياة الحيوان وموقد النار فإذا وضعنا هذه القطعة الخشبية قبل أن يتم إشعالها في إناء فيه غاز الكربونيك انطفاأت النار حالا . إن غاز الكربونيك يخرج من البراكين بمقادير عظيمة ، ومن أجواف الحيوان بواسطة الزفير ، ومن المصانع المعروفة وهو الذي يتبخر في الجو من النباتات التي أخذت تتحلل أجزاءها وتضد هياكلها إذا لحقها الردى وحل بها الهلاك ، إن مقادير غاز حامض الكربونيك في الجو قليلة ولا نسبة بينه وبين الهواء الجوي إلا كنسبة واحد إلى ألف ألف ، وليس في الجو من الفحم الصافي إلا (١٣٨٨٦١٦٠٠٧٥٨٨٩٢) طنا والطن حوالي (٢٢) قنطارا والقنطار (٣٦) أفتوهذا القدر الطائر في الهواء هو عينة من صنف لحم الكوكالسمى بالفرنجية (تيرلوك) وهو الفحم الرخيص الذي يجعله الناس في مواضعهم للتدفئة ونحو ذلك ، فهذا القدر للدكور أحد جزئى ذلك الغاز وهو حامض الكربونيك لأن حامض الكربونيك مركب من جزء من الكربون (الفحم) وجزءين من الأوكسجين ، فالجزء للدكور هو الذي تقدم وزنه ، والأوكسجين يكون في الهواء مقدار خمسة ، وإذا كان الهواء (على فرض أنه أصبح سائلا بالتبريد) صير عشرة أمتار على الأرض وهو الآن في حاله الغازية نحو (٦٠) كيلو مترا يكون حامض الكربونيك للدكور شيئا قليلا جدا لا يؤبه له في كلتا الحالتين . إن النبات بتعرضه لضوء الشمس يمتص غاز الكربونيك من الجو بمساعدة الأوراق وكل جزء أخضر في النبات فهناك يمتصه النبات ويدور فيه دورته ، ولئن يكون ذلك إلا بمساعدة ضوء الشمس أولا وتأيد المادة الخضراء في الورق ثانيا ، وما الورق إذ ذاك إلا معامل صناعية كيميائية يجعل لنا ذلك الغاز فيها فيأخذ جرم النبات الكربون (الفحم) ليتخذى به ويقيم بنية هيكله ويدع الجزءين الآخرين من الأوكسجين

فيغرجان بالزفير كما دخلا بالشيق . إذن بهذا نفهم أن ما رأيناه خرج بزفير الورق بهيئة صقايح في الماء في الاختبار للتقدم إنما كان أكسوجينا ، ولو أننا هنا وضنا على الزجاجة قنعا من القليل وغطيناها به لرأينا شرارة تنقد في ذلك الإناء . وقد تصير لها ، فأما في الليل فإن التجربة هي بعينها تفعل مثل ما تقدم ولكن النتيجة هنا عكس ما تقدم فها هنا تمتص الورقة الأكسوجين وتدمع الغاز يخرج منها بالزفير ولكن كيته قليلة جدا . وها هنا بحث العلماء في هذا الغاز من أين أتى ؟ أهو من نفس الأكسوجين والكربون اللذين هما في بنية النبات ، أم هو غاز من الذي امتصه النبات بالنهار ولم يتم امتصاصه في بنيته ؟ هذان رأيان لم يبت فيهما العلماء .

وها هنا يسأل سائل فيقول : إذا كان النبات هذا شأنه وأنما الليل يخرج لنا غاز الكربونيك فإنه لا جرم يفسد الهواء . وأي فرق بينه وبين غم الكوك (تشرلوك) إذا أوقدناه كلاهما يفسد الهواء . فلو أننا وجدناه في غرفة للقبالة أو الجلوس فإنه يضر الأحياء أو يقتلهم .

وها هنا أجاب الكاتب قائلا : « إن هذا القول صحيح نظريا . فأما عند العمل فلا لأن النبات الذي يكون في النافذة مهما كثر فإن زفيره بالحامض المذكور قليل جدا . بل إذا نام قارى هذا الكتاب في نفس ما زرع فيه النبات وحفظ فيه فلا خوف عليه من الاختناق . وكيف يستنصر بهذا الغاز ونحن لا نجد في سنة آلاف نباته مزروعة في أوعية قد أحكم النطاء عليها (١٢) ساعة مالا يزيد عن جزء واحد و ٣٩ في المائة من (١٠٠٠٠) جزء .

قد قلنا فيما مضى إن الشيق والزفير يكونان بواسطة الأفواه للرسومة فما تقدم . ومثل ما قلنا في النبات للشاهد في الأرض تقول أيضا في نبات الماء ، ولكن الامتصاص هنا يكون بجهد الورقة لا بالأفواه للتقدمة ، ثم إن الأكسوجين الذي يمتصه ذلك النبات يدور في بنيته ويتمثل فيه فيدخل أولا في تلك الفتحات ويصل إلى تلك الخلايا ومن هناك يدور في هيكل النبات كله واصلا إليه بطرق هوائية صغيرة أو قنوات تحت تلك الخلايا .

﴿ النبات زبال الهواء ﴾

ألمت ترى أيها القارىء بعد هذا أن النبات زبال الهواء ، وكيف لا وهو الذي يأخذ منه للمادة الضارة وهو حامض الكربونيك فيجولها في داخل معمله إلى كربون صار يبق في بنيته لأنه يناسبها وإلى أكسوجين يرجع ثانيا إلى الهواء فيصبح صالحا لتنفس الحيوان عوضا عن ذلك الغاز الضار به وعلى ذلك تقول إن الورق في النبات يقوم بوظيفة الرثة في الحيوانات العليا ، والخلايا التي في الورق تقوم بوظيفة الخلايا التي في الرثة ، وإنما ذكرنا الحيوانات العليا هنا في التظير لأن الحياة في أدنى درجاتها يكون العضو فيها قائما بأعمال كثيرة . أما في مراتب الحيوانات العليا فالأعمال موزعة توزيعا حسنا ، وذلك له نظير في المدينة . فالأمم الراقية أعمالها موزعة توزيعا حسنا ، أما المنحطة فإن الفرد الواحد يعمل جملة أعمال فهناك يقل الاختصاص ونبوغ الأفراد .

﴿ ندى الأشجار ﴾

وها هنا أفرد الكاتب فصلا شرح فيه الندى على الأشجار والنبات فأفاد أن الندى لم يكن من الجو وإنما هو عرق من هيكل النبات كعرق الإنسان وقبلك نشم من هذا الندى رائحة النبات الذي ظهر هو عليه كأنهم من عرق الإنسان رائحته هو سواء بسواء ، ومن الشجر ما يقطر ماء على هذا النمط . وقد مر في بعض هذا التفسير ما هو أوفى من هذا في الندى .

﴿ الورقة شجرة مصفرة أو هيكل حيوان ﴾

فلنتجاوز ذلك إلى ما ذكره المؤلف بعده بنحو ورقة من الكلام على هيكل الورقة ببيان أوضح وأجمل قال : « فإذا تصورنا عظام الحيوان وأوعية دمه وتمثلت أمامنا هيكله فإنه نجد هذه الصورة مطابقة تمام للطبقة لمية الورقة . وهنا عجيبة أخرى ألفت إليها نظرك أيها التلميذ ، فانظر واعجب : إننا كثيرا ما نرى نفس هيكل الورقة يشبه جد الشبه هيئة شجرتنا التي تحملها فصورة الورقة لها نظيران : هيكل الحيوان وهيكل شجرتها . حقا إن الشجرة التي جردت من أوراقها أيام الشتاء مثلا تكون صورة مكبرة للورقة التي سقطت منها . فإذا نظرت هيكل الورقة استبان لك النسبة بين تشعب فروع هيكلها وبين عروق جسم الحيوان . فانظر إلى الأوراق للتقدمة وتأمل . أليست نجد أن فيها عمودا وسط الورق وهذا العمود خرجت منه أضلاع من جانبيه . فهذه الأضلاع كونت مع ذلك العمود الذي في الوسط زاوية . وهذه الزاوية بينها ترى فيما بين تلك الفروع وبين الأغصان التي تفرعت منها . فهذه الموازنة تراها جلية ظاهرة . ثم إن نفس صورة الورقة مشابهة تمام للشابهة لصورة شجرتها فإن الزوايا الحاصلة فيما بين جنع الشجرة وفروعها هي بينها الزوايا الواقعة بين جزء الورقة الممتد فيها وفروعها سواء بسواء . وبهذا تم الكلام في شرح هيكل الورقة وتبيان عجائبها . وملخص ما تقدم في هذا اللقمان أن للورقة في كل نبات :

- (١) خلايا جمع خلية ، وهي أشبه بالحجرات .
- (٢) وهذه الخلايا مركبات من حيطان شفافة .
- (٣) ولكل منها سقف مرفوع عليها بخطها .
- (٤) وهذا السقف مكون من ذرات تشابه اللبنة التي تبنى بها منازلنا .
- (٥) وفي داخل الحجرات سائل فيه مادة خضراء .
- (٦) وهذه المادة الخضراء مضيئة تشع ضوءا على السقف وهو خال من اللون وليس يتخلله سوى الهواء .
- (٧) وبهذا تظهر الأشجار بأنها خضراء والحقيقة أن الخضرة في تلك الخلايا داخلها ، وما هذه الخضرة إلا انعكاس .
- (٨) في كل بوصة مربعة (البوصة تساوي سنتين اثنتين ونصف سنتي والسنتي جزء من مائة من اللتر) ما يبلغ (١٢) خلية (٢٤) وهكذا إلى ما يزيد عن ألف ألف حجرة يضع مئات .
- (٩) هذه الورقة إذا وضعناها في إناء زجاجي وعرضناها للشمس نظرنا في الماء قفائيع وهكذا يحصل في الليل قفائيع النهار أكسوجين وقفائيع الليل غاز الكربونيك المستخرج من جسم ذلك النبات ليلا أو مما بقي مما امتصه بالنهار .
- (١٠) ولو أننا أقلنا الزجاج بالظلمة لظهر لنا الهبوس من الأكسوجين بالنهار شررا ، وإذا ازداد ذلك صار لهبا .
- (١١) إن غاز الكربون الذي في الهواء قليل بالنسبة له بحيث لا يزيد على واحد في ألف جزء منه ، والكربون الذي فيه تقدم ذكر عدد طولاناته فلا نبيده .
- (١٢) وما النبات بالنسبة للهواء إلا كتل مزرعة الجبل الأصفر في بلادنا المصرية بالنسبة لمستقنرات القاهرة فإن مراحلض القاهرة تسير في أنابيب تحت الأرض وتسير أميالا كثيرة وهناك تمتزج بالماء وتسقى بها للزرعة وهناك يبقى بعض السهاد ليخضب الأراضي الأخرى وزرعها

عجيب جدا ، فهكذا النبات بالنسبة للهواء فقد أخذ ما يفسده فأصلحه في جسمه ثم رده صالحا للتنفس وورق النبات يقوم مقام الرئة في الحيوانات الكبيرة والحلايا في هذه كالحلايا في تلك .

- (١٣) غاز الكربونيك الذي يخرج من النبات لا يضر الناس ولا الحيوان لأنه قليل جدا فإن ستة آلاف نباتة بعد (١٢) ساعة لم يظهر منها (مع أن النبات مغطى) إلا مقدار يسير من ذلك الغاز الضار
- (١٤) للشجر وورقه عرق كعرق الإنسان يظهر بهيئة الندى للعلوم ولذلك نراه يحمل رائحة نفس النبات كما أن عرق الإنسان يحمل رائحته .
- (١٥) إن في هيكل الورقة لشها لهيكل الحيوان ولهيكل نفس الشجرة ، ألم ترى إلى الزوايا التي بين جفجع الورقة وفروعها الكبرى وللزوايا التي بين الفروع الكبرى وأغصانها فهذه متساوية هكذا ترى نفس الشجرة جذعها مع فروعها الكبرى وفروعها الكبرى مع أغصانها كل هذه متساوية الزوايا انتهى ملخص الموضوع .

خطاب الورقة للناس عامة وللمسلمين خاصة

(في تفسير « سبحان الذي خلق الأزواج كلها »)

تقول : أيها الناس : ها أنا ذا ترونني أسقط من شجرتي في ظلها تحت أرجلكم وغاية ما تفعلون أنكم تزيلونني لتنظيف أمكتكم ولكنكم لاتعلمون أي نور الله لتدرسوني كما أن الحشرات نوره أنزلت لكم لتدرسوها ما أكثرنا نحن معاشر الورقات في الأرض ، وما أكثر أنواع الحشرات الطائفات عليكم صباحا ومساء ، أنا في حقولكم وفي بساتينكم وتحت أرجلكم والحشرات تطوف عليكم في الهواء ، أما أنا فاني علم وحكمة مجسمة واضحة أقيم عليكم الحجة لفهموا قوله تعالى « سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون » فأما أنا فاني مما تنبت الأرض ، قد اخترعني وابتدعني منظم هذا العالم وخالقه وقد ملأني بالحكمة والعلم ، أتم تعظمون أمثال (اديسون) المخترع الأمريكي وقد ساعدكم في كشف أسرار الأنوار في منازلكم ، هو معظم عندكم منزله سامية ، تحبونه وتهابونه بقلوبكم لأنكم أدركتم آثار صنعته ، وما هو ذا ربي قد جعلني نموذجا لصنعتي ، فماذا صنع ، صنع لي سراجا كما صنع (اديسون) لكم سراجا ولكن سراج ربي هو الشمس ، ومن رحمته وحسن إبداعه أنه جعلها بعيدة عني بمقدار (٣٥٠) سنة يسير الفطار بمقدار (١٢) سنة يسير قلة للدفع وجعل لنورها سرعة بحيث يصل إلى في (٨) دقائق و (١٨) ثانية .

هذا هو سراج ربي فهذا النور هو وللإضاءة الخضراء في داخل حجراتي أيام حياتي بهما أجذب أنا مادة حامض الكربونيك للفسد للهواء وأهضم في جسمي ذلك الفاسد وأخرج ما يصلح الهواء ، إن الفحم الذي يفسد الهواء هو الذي يدخل في تركيب كل فاكهة وزهر وورق وشجر ، هذه الحفول وهذه الجنات لاجابة لما إلا بما تستخرج من زبالة الهواء ، فأضواء الشمس وأكسوجين الهواء والكربون للضرب فيه والأشجار وأوراقها وأزهارها وأثمارها والماء والأرض والرياح كلها متعاونات على نتيجة واحدة وهي حياتكم ، فأى نسبة بين سراج اديسون ومعامله وبين سراج الله وهو الشمس وبين معامله في الأرض ؟ إن معامل اديسون وأمثاله لن تقدر أن تصنع حجرة واحدة من حجراتي بحيث تكون حيطانها شفافة وسقفها يبني بناء محكما وفيها سائل وفي السائل مادة خضراء تضيء وفي داخلها فروع كثيرات متداخلات فيها تحفظها حفظا تاما كالإطار

الذى يحفظ ما هو داخله . فالمعامل في الأرض ليس في طاقها أن تصنع خلية واحدة كهذه فضلا عن (١٢)
فضلا عن ألف ألف وبضعة آلاف في بومة واحدة .

إن صناعات (اديسن) وأمثال اديسن أقرب لقولكم ، وصنع الله لشدة عظمته يعزب تذكرة عنكم
فقولكم أقرب إلى تعظيم صانع في أرضكم من تعظيم خالق الكون لعظمة صناعته وأنها بعيدة المثال ، ولولا
رحمة ربي بغفلتكم عن فعله لهامت قلوبكم به هيأما ينسبكم أنفسكم واسكنه من فضله أدخل الغفلة عليكم حتى
ضغقت بصائرهم فسكفتم على أعمالكم الجزئية . ولكن في الأرض أناس قليلون جدا سمعت عقولهم
وارتقت أفكارهم . فهؤلاء يهيمون بربهم لما بهرهم من عظمة صنعه . وهم الذين يحبونه جدا جدا . فهم
في الأرض يعيشون لا يبتغون من الحياة إلا أن يكونوا مسعدين لأنهم مقتدين بما يرون من أعمال ربهم
لشدة حبه إياه .

وهؤلاء هم عماد أهل الأرض وبقية الناس دونهم ، وهؤلاء ليس عندهم لذة غير ذلك الحب وكلما غفلوا
عنه حزنوا واعتقدوا أنهم قد أذنبوا . فهم إذن يستغفرون . وإذا جاء اللوت فرحوا به لأنهم به يرون محبوبهم
أولئك هم السعداء الفلحون .

فأما قوله تعالى « ومن أنفسهم » فاقراء فيها تقدم في (سورة السجدة) في تفسير قوله تعالى « يدبر الأمر
من السماء إلى الأرض » الخ ، وأما قوله « وما لا يملكون » فذلك تذكرة لنا بأن هناك عوالم نظامها متنسق
على مقتضى هذا النظام .

وهذا ما هو إلا ضرب مثل له . ألا ترى إلى قوله تعالى « ما ترى في خلق الرحمن من
تفاوت » وإلى قوله « وكل شيء عنده بمقدار علم الغيب والشهادة الكبير المتعال » وإلى هنا تم الكلام على
أزواج النبات . كتب صباح يوم الأحد أول شهر ديسمبر سنة ١٩٢٩ .

أما أزواج الحيوان فما أكثرها في هذا التفسير . ولكن لندكر هنا ما جعل مما عثرنا عليها . فهناك مناظر
جميلة لأزواج الحيوان . فنذكر أولا أشكالا غريبة لأربعة منها وذلك من إحدى المجلات العلمية وهي [مجلة
الجديد] وثانيا نذكر ذكاه الحيوان وأعمارهم . وكذلك سمك الفردوس الذى يبنى أعشاشه كالطير ويسبح
فوق سطح الماء . وثالثا نذكر رءوسه المختلفة (انظر شكل ٥٢ و ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ في الصفحة التالية) وسترى
أيضا باقى الصور فيما يلى من الصفحات .

أولا - الأشكال القريبة الأربعة



(شكل ٥٤ - لاحاجة للمرأة)

هذه النعامة تستطيع بما وهبها الله من عنق طويل لين أن ترى أى جزء من جسمها فلا تعوزها المرأة وأكثر من هذا أن لها طرفا متعددة في النظر إلى ماحولها ، وعلى الرغم من كل هذه المميزات فان منظر الحزن والكتابة لا يكاد يفارقها



(شكل ٥٣ - الرهبيا)

نوع من أسرة النعام وقد ظهر أنها شديدة التقليد للطاووس حين جاورها في السكن



(شكل ٥٦ - رسم عجل الكودو وهو الذى

صادته بطة حديقة حيوانات لندن من أواسط أفريقيا ، وفي الصورة أحد الصبيان من الأهالي وهو يرضعه من زجاجة ليأثلف به قبل ترحيله)



(شكل ٥٥ - رسم غوريلا كبيرة يبلغ وزنها

٤٥٠ رطلا وطولها ١٧٠ سم وقد صاها الكولونيل (فن) من الكونغو البلجيكية)



(شكل ٥٨ - رسم شامليون عجيب طوله ١٤ بوصة وهو أطول شامليون عرف في العالم مادته بئنة حديقة حيوانات لندن في تجوالها الأخير في أفريقيا)



(شكل ٦٠ - حية يقتلها النمل)

بين أصناف الأفاعى التي صادتها بئنة حديقة حيوانات لندن هذه الحية التي اقترسها النمل الأحمر هي وست مثلها في ليلة واحدة، وهي من النوع السام والذي تميت لمنفته الواحدة



(شكل ٥٧ - أحدث طريقة لتحنيط الحيوانات) أعلن أستاذ علم الحيوان في جامعة فينا أن خير طريقة لتحنيط الحيوانات والنباتات هي غمسها في حمام البرافين إذ شاهد أن البرافين يمتصها وهي في حالتها الطبيعية كما ترى في الصور الأربعة وفي حالة النبات يحفظ لون النبات وشكل الزهور الطبيعي وهذا يساعد كثيرا في دراسة هذه الأحياء



(شكل ٥٩ - آكل النمل)

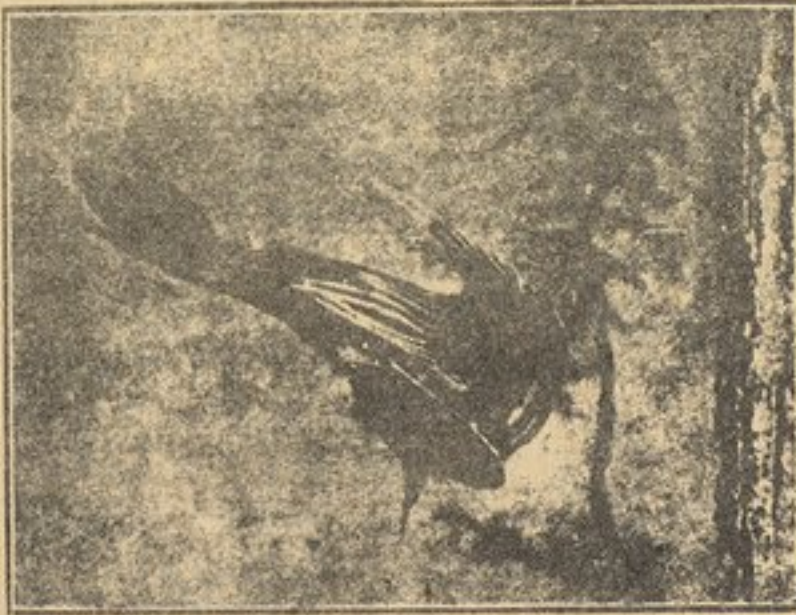
حيوان من أعجب الحيوانات التي أوفدت حديقة حيوانات لندن بئنة لجمعها ويدعى آكل النمل . غير أن هذا النوع لم يطل أمد تناسله بل حل مكان نوع آخر منه

﴿ سمك الفردوس بين أعشاشه كالطير، ويسبح فوق سطح الماء ﴾

تعرف البحار الصينية بأنواع غريبة من الأسماك ، ومن أغربها النوع المعروف بسمك الفردوس وهو يتخذ أعشاشا كالطير، ويصنعها من مادة لزجة ينفعها بغمه فتصير كالنفقايح وتسبح فوق سطح الماء. وصناعة هذه الأعشاش خاصة بالذكور دون الإناث. فإذا باضت الأنثى أخذ الذكر بيضها بغمه واحدة فواحدة ووضعها في العنق اللزج فلتصق به. ولما كانت الأنثى في سمك الفردوس ذات طباع وحشية، ونحب أن تأكل بيضها وما يخرج منه من الأسماك الصغيرة يرخم الأب أو الذكر على هذا البيض حتى يفقس ويعمره حراسة تامة حتى لاتلتهمه الأنثى (انظر الأشكال الأربعة الآتية)



(شكل ٦١ - سمك الفردوس)



(شكل ٦٢ - الذكر من سمك الفردوس يتفقد بيض الأنثى في العنق)



(شكل ٦٣ - الذكر من صمك الفردوس يرخم على بيض الأنثى في العش)



(شكل ٦٤ - صمك الفردوس)

ثانياً — (ذكاه الحيوان وأعمارها)

وأما أعمار الحيوان وذكاه بعضه ، فهناك ما جاء في (مجلة الجديد) تحت عنوان : أعمار الحيوان ،
وها هوذا :

(أعمار الحيوان)

عثر بعض المسافرين الإنجليز عند مرورهم بجزر تونجا في الأفيانوس على سلحفاة كتب على ظهرها عام
١٨٣٧ وقد كتبها القبطان كوك عند مروره بهذه الجزيرة ، وقد اتضح لهم أن عمرها يبلغ ١٥٠ عاماً وقبلاً
على بيان بمتوسط أعمار الحيوانات المعروفة :

(النضاح من ٢٠٠ إلى ٢٥٠ عاماً ، الفيل من ١٥٠ إلى ٢٠٠ عام . النسر ١٠٠ عام . البجعة ١٠٠
عام . التراب ١٥٠ عام ، السكر كدن ٦٠ عاماً ، الأسد ٦٠ عاماً . البيضاء من ٥٠ إلى ٨٠ عاماً . الأوز ٥٠
عاماً . الجبل ٥٠ عاماً . الصقر ٤٠ عاماً . الثور ٣٠ عاماً . الوعل ٣٠ عاماً . الخمار من ٢٥ إلى ٣٠ عاماً .
الحصان ٢٥ عاماً . الصفور الحسون ٢٥ عاماً . الطاووس ٢٥ عاماً . البرقش من ٢٠ إلى ٢٥ عاماً .
الخنزير ٢٠ عاماً . الجاموس من ١٨ إلى ٢٠ عاماً . القط ١٨ عاماً . الكلب من ١٠ إلى ٢٥ عاماً .
الدب ٢٠ عاماً . البقرة ٢٠ عاماً . الظبي ٢٠ عاماً . السرطان ٢٠ عاماً . الدب ٢٠ عاماً . البيلبل ١٦ عاماً
القنبرة ١٦ عاماً . الثعلب ١٥ عاماً . ثعبان السمك ١٥ عاماً . الشاة ١٢ عاماً . الصرصار ١٠ أعوام .
صفور الكناري ١٠ أعوام . للاعز ١٠ أعوام . الصفور السوري ١٠ أعوام . الدجاجة ١٠ أعوام .
الأرنب ٨ أعوام . الأرنب البري ٧ أعوام . المنجاب ٧ أعوام . الفراشة ٧ أعوام . النحلة عام واحد
وتوجد في عين الفراشة (٥٠٠٠) عدسة مختلفة و (٥٠٠٠٠) عصب . وإذا وضعت قوقعة إلى جانب أذنك
سمعت صوتاً كاللوح ينشأ من تكبير النطاء الخارجي لصوت ضربات النبوة الدموية الصادرة من أوردة
الرأس (انظر شكل ٦٥) .

خريج جامعة كولومبيا



(شكل ٦٦ - رسم طير غريب ، ومن غرابته أن
قدميه سمراوا اللون، طول كل قدم (٢٧) سنتيمترا
ونصف سنتيمترا، أما ارتفاعه فهو ٥٥ سنتيمترا فقط)



(شكل ٦٥)

جاز هذا الكلب امتحانا عقد له خامسة
في جامعة كولومبيا لاختبار ذكائه وعمره
٥ سنوات .

ثالثا - رموس الحيوان المختلفة

أما رموس الحيوان فاسمع ماجاء في (مجلة الجديد) تحت العنوان التالي وهذا اسمه :

أعجب رموس الطير



(شكل ٦٨)

الصقر للتوج ومنقاره الصغير المقوف يحدث أشد الرعب للطير والحيوانات الصغيرة ، وهو يأكل القرود والفيران والأرانب والطيور والأوز والخلان.



(شكل ٦٧)

رأس البطة للعروفة بذات الشط ، وهي من أندر أنواع البط ، وذلك أن عرفها الشبيه بالمشط يكون فوق رقبته لا فوق رأسها ، وليس لذلك أي سبب إلا أن تكون مخالفة لسواها في الشكل.



(شكل ٧٠)

رأس الطاووس ، وهو على الرغم من جماله وما يبدو عليه من الحجل تفرغ منه السعال والضفادع ، وإن كان الطاووس نفسه يفضل أن يأكل الحبوب والسكّال



(شكل ٦٩)

رسم التوكان ، وطول منقاره كطول جسمه ويقرب منه في الحجم ، ولولا خفة هذا المنقار لما استطاع حمله



(شكل ٧٢)

رسم رأس دجاجة من بلاد غينيا بأفريقيا ولها
منقار صلب، وهي عارية من الريش تتكون من عظام
تشبه خوذة الفارس



(شكل ٧١)

رسم رأس بتروش ويحرف بطول الرقبة
وضخامة للنقار الذي يشبه صندوقا ذا غطاء محذب



(شكل ٧٣)

رسم رأس أييس أو أبي منجل ومنقاره طويل مستدق يذمه بسهولة في طبقة من الأرض
غير قليلة السمك فيخرج الديدان والحشرات وهو مفيد للزراعة



(شكل ٧٤)

رسم حمل الماء وقد أعده الله بمنقار كالتقريب لأنه لا يتغذى إلا بالسمك
فهو يحمل الأسماك في جعبة هذا المنقار لأفراخه الصغار

اللطيفة السادسة

(في قوله تعالى - وتكلمنا أيديهم - وكيف تكلمت الأيدي في زماننا)

(الإجمام في اليابان والطرق الحديثة لسكاتها)

من هراء القول أو تحصيل الحاصل ذكر ما خطته اليابان في نصف القرن الأخير من التقدم العظيم في مختلف العلوم والفنون مما أدهش العالم وجعلتها محل احترام أرقى الأمم الغربية الحديثة فإن ذلك معلوم مشهور لا يحتاج إلى بيان وتفصيل . وإنما الذي حداني اليوم أن أكتب بعض الشيء عن ناحية معينة من نهضة اليابان وهي ناحية الأمن والطرق الحديثة للتنمية في مكافحة الإجرام هو ما تعمل له حكومتنا الآن من تعديل نظم البوليس والأمن العام تعديلاً يتمشى مع حالة العصر الذي نعيش فيه ويتكافأ مع النظم المتبعة في أوروبا وأمريكا حتى لا يكون هناك اعتراض من جهة ما على ما نطلبه من توحيد القضاء ومساواة الجميع من أجنب ووطنيين أمام قانون البلاد . الذي لفتني إلى دقة نظام البوليس في اليابان وارتكازه على الطرق العلمية الحديثة هو حادث قتل ارتكب في ضاحية من ضواحي طوكيو اطلعت عليه أخيراً في إحدى المجلات الأمريكية . وهو وإن يكن حادثاً عادياً في ذاته يحصل الكثير من أمثاله بل ما هو أشد فظاعة وعموضاً منه في أي بلد من البلاد وقد يصل رجال الأمن في تلك الجهات إلى معرفة الفاعل بعد تتبع إجراءات كثيرة وبذل مجهود عظيم . وإنما محل الإعجاب في موضوعنا هذا هو حسن قيام البوليس الياباني بواجبه وتوزيع العمل بين رجاله توزيعاً روعى فيه التخصص واتكأ على الرجال الفنيين ذوي الخبرة الواسعة في كشف الجرائم وتبين أسرارها هو الذي كلل بمجهوداتهم بالفوز في القبض على المجرمين والأشرار في معظم الحوادث الجنائية مما صان هيئة الحكومة

في نظر الجميع . وقد أتيج ذلك أثره في تقليل الجرائم بأنواعها . ولأجل أن يحكم القارىء بنفسه على دقة نظام البوليس في اليابان وارتكازه على العلم نسرده باختصار هذا الحادث على سبيل المثال . وقبل ذكر موضوع الجريمة تقول إن بصمات الأصابع كانت العامل الأكبر في إثبات شخصية المجرم .

﴿موضوع الجريمة﴾

تاروكاوايسق شاب ياباني في العشرين من عمره أحب فتاة من بنات جنسه تدعى تيموك كوجيكي ، عامة في أحد المحال التجارية بطوكيو ولكن هذه لم تبادل له حبه لفظاً بل أخلاقه وإيمانه الخمر وصارت تباعده كلما حام حولها فأدى سلوكها هذا إلى تحريك كوا من الحقد والبغض في نفسه الشريرة وصمم على الانتقام منها جزاء معاملتها له . ففي ليلة ظفاه في إحدى حارات ناحية هودوجايا من ضواحي طوكيو وجد نفسه وجهاً لوجه مع كوجيكي مشوقته فيمجرد رؤيتها تغلبت عليه روح الوحشية والشر وطعنها عدة طعنات قاتلة في رأسها بخنجر كان قد أعده لهذا الغرض ، وبعد انتهائه من فعلته الشنعاء مسح الخنجر من الدم بواسطة حزمة من السكلاً الأخضر الذي ينمو بطبيعته في الحقول المجاورة لمكان الحادث . ولكن أثناء تنظيفه لخنجر انطبعت بصمة إبهامه الأيسر على السلاح بدون أن يلاحظ ذلك ، وبمجرد فراغه من عملية التنظيف ألقى بالسلاح على الأرض في جهة مجاورة لمحل الحادث ولاذ بالفرار تحت جنح الظلام . ولو كان يعلم أن في إلقاءه السلاح منطبعة عليه بصمة إبهامه فيه تسلياً لرقبته للجلاد لكان له رأى في احترام القانون بخالف ما قدمت يداه .

﴿العثور على الجثة﴾

لم تمر إلا برهة وجيزة حتى عثرت الشرطة للارة بالجثة ، وفي الحال أبلغت الأمر لبوليس طوكيو . كان أول من وصل لمحل الجريمة هم رجال تحقيق الشخصية مع الآلات الفوتوغرافية والنظارات الليكروسكوبية والمواد الكيميائية والساحيق والقرش الخاصة بإظهار البصمات الخفية وكذلك الطبيب الشرعي فباشروا عملهم بكل دقة وعناية حتى توصلوا إلى اكتشاف السلاح الذي ارتكبت به جريمة القتل وبمخونه بكل دقة فوجدوا بصمة إبهام منطبعة عليه فأسرعوا بنقلها على ورق الشمع (ورق خاص لهذا الغرض) ووضعوا عليها غطاء من السليويد لحفظها ، وكذلك رسموا الجثة ومحل الحادث والجثات المجاورة له . وبمحتوا عن كل الآثار التي قد تنبئ في كشف سر الجناية . ابتداءً زجال تحقيق الشخصية في بحث البصمة التي عثروا عليها فكبروها وصاروا يدرسون مئات الخطوط والنقط الدقيقة عليهم يجدون لصاحبها سجلاً خاصاً في محفوظاتهم وعند فراغهم من تقسيمها التقسيم الفني حفظوها في سجل خاص بها لعدم العثور على بصمات لصاحبها محفوظة في الإدارة .

وانتظروا التحريات التي يقوم بها البوليس السري (البوليس السرى هناك كما هو الحال في أوروبا) مكون من رجال فنيين في علم الإجرام درسوا دراسة علمية خاصة فدربوا على القيام بعملهم أحسن تدريب . ارتكب تاروجريمته في مارس وبعدمرور سنة من ارتكابها اعتقد أنه قد عفا النسيان على فعلته الشنعاء فاطمأن باله وذهب هو واجسه واشتغل عاملاً في حانات الخمر والقهاوى منتقلاً من إحداها إلى الأخرى . لم يزم الكشافون عن مواصلة بحثهم لكشف الستار عن سر هذه الجريمة ، ففي أغسطس للامضى سنة ١٩٢٧ قبضوا عليه في محل لعب لليسر في السمعة مشهور بأنه مجمع الأشرار وذوى السير للعوجة . لم يزعج تارو من البوليس وسخر من أخذهم لبصمات أصابعه لاعتقاده أنه ليس لبصماته سجل محفوظ من قبل حتى يمكن معرفته وإداته في جريمة القتل . أرسلت بصماته لإدارة تحقيق الشخصية فوجدت إبهامه الأيسر مطابقاً تماماً

للإبهام الذي وجد منطبعا على الخنجر الذي استعمل في ارتكاب الجريمة . عند ذلك تأكد البوليس أن القاتل قد وقع في قبضته . أودع تارو السجن وسردت له فيه قصة جريمة القتل التي ارتكبها منذ سبعة عشر شهرا ووضعت أمامه الصورة الفوتوغرافية لجثة القتيلة برأسها المهشم والخنجر الذي استعمله في ارتكاب الجريمة فأخذ الرعب يدب في قلبه وصار يهذي هذيان المهوم واعترف بما قد أتمت يده . هذه هي خلاصة الإجراءات التي اتبعت في هذه الجريمة وهي تدل على إحكام نظام البوليس في اليابان ، وعلى أن رجال الحفظ في تلك البلاد تربوا تربية فنية خاصة ونظموا عملهم على أحدث القواعد العلمية بل كان لهم فضل كبير في استنباط طرق علمية لإظهار بصمات الأصابع أخذتها عنهم بلاد عريقة في المدينة والعلم . إدارة تحقيق الشخصية والباحث الجنائية في طوكيو هي أم إدارات البوليس من حيث إنها عماد البحوث الجنائية فيها تركز جميع للمعلومات الخاصة بالجرائم في امبراطورية اليابان وجزيرة فرموزا وكوريا . وتحفظ السجلات الخاصة بالباحث الجنائية مع حفظ بصمات المجرمين وصورهم الفوتوغرافية . وكذلك آثار الأقدام والبصمات الفردية التي يتركها الجناة في محال الجرائم . وتسجل بصمات المجرمين وتحفظ على حسب طريقة الأجرام التي يتبعها المجرمون في ارتكاب جرائمهم . وهذا النظام يفيد كثيرا في سهولة العثور على المجرم لأن طريقة ارتكاب الجريمة تحصر البحث في عدد معين من المجرمين اعتادوا تنفيذ جرائمهم بطريقة خاصة ليس من السهل أن يجيدوا غيرها . ويتبع هذه الإدارة رجال البوليس السري الذين يناط بهم التحري عن الجرائم وكشف أسرارها . وعلى العموم فجملة النظام للتبع في هذه الإدارة هو ما يجري عليه العمل في اسكتلنديارد في لندن وإدارة البوليس العامة في باريس .

متحف الجريمة

يوجد بالإدارة متحف هائل تحفظ به جميع الآثار التي يثر عليها في محال الجرائم بعد أن تكون قد بحثت بكثر بولوجيا . فيشاهد به مجموعة كبيرة من الأسلحة ولللباس اليابانية والأوروبية على اختلاف أنواعها والأجهزة والآلات التي تستعمل في كسر الخزائن الحديدية وأوان زجاجية ومعدينة وغير ذلك من الآثار التي كان أو يكون لها شأن في إثبات الجرائم . ومن ضمن الآثار الهامة المحفوظة في هذا المتحف هو هذا الخنجر الذي قتل به الرئيس هارا رئيس وزارة اليابان منذ بضع سنوات في محطة طوكيو .

الأستاذ بوشيكوا

رأس إدارة تحقيق الشخصية والباحث الجنائية في اليابان الأستاذ سوميتشي بوشيكوا أحد خبراء القاتل في القاتل في السائل للتلقة بالإجرام والمجرمين وخاصة في كشف الجرائم القائمة وهو أستاذ ضليع في فن بصمات الأصابع والتصوير الشمسي ، وكشاف ماهر للآثار الدقيقة التي يتركها أمهر المجرمين أثناء ارتكاب جرائمهم يستعين بالبحث الكيماوي الكهربائي والليكرسكوبي وجميع الوسائل الأخرى التي تلازم هذه البحوث إن الأستاذ بوشيكوا درس الطرق الفنية لبصمات الأصابع الجاري عليها العمل في اسكتلنديارد في لندن وفي إدارات البوليس في نيويورك وباريس وبرلين وهامبرج وفيينا . ولم يكن بذلك بل واصل البحث والدرس حتى جعل لنفسه مكانة علمية لم ينلها إلا القليلون في العالم . يرجع إليه الفضل في اكتشاف أنه لو استعملت ترات الخفض في إظهار بصمات الأصابع ثم عرضت البصمات بعد ذلك للأشعة فوق البنفسجية لوضحت وضوحا تاما . وقبل اكتشافه هذا كان كثير من البصمات يعتبر عديم القيمة لعدم وضوح رموزها وضوحا كافيا ، ولهذا كان يخلت كثير من المجرمين من يد العدالة . فتصوركم أدى هذا العالم إلى العدالة والإنسانية من الخدمات ، إذ أن

في الاتصاف من المجرم حياة للجموع . هذا هو مجمل نظام القسم الفنى الجنائى لبوليس في اليابان ذكرناه
كثالاً للأنظمة الحديثة لبوليس التى أفادت كثيراً في مكافحة الأجرام وحصر دائرته .

محمد جمال الدين

مساعد مدير تحقيق الشخصية

(مسامرة)

حدثني أحد نظار المدارس للصربية . قال : أسلم عالم المانى فمثل لسافا أسلمت ، قال : لآنى قرأت
في القرآن للترجم بالألمانية آية « بلى قادرين على أن نسوى بنانه » وعلم تحقيق الشخصية للبنى على البنان لم يعرف
إلا في زماننا هذا فعرفت أن هذا كلام الله فأسلمت اه .

(التطق بلا لسان)

(حوادث واقعية غريبة)

كان العالم الإنجليزي هكسلى في مقدمة الذين يجزمون بإمكان التطق بلا لسان . وقيل إن الدين يصابون
بداء السرطان يفقدون لسانهم في بعض الأحيان ولكن بعضهم يتطقون ويميزون الطعم بعد فقد ، وما
يموى في هذا السدد أن هنرى الظالم قطع ألسنة بعض للبشرين بالإنجيل سنة ٤٨٤ ميلادية . لما لبث بعضهم
زماناً حتى عادوا إلى الوعظ والإرشاد من غير لسان . وأن الباباليون الثالث قد لسانه أيضاً ولكنه لم يتع
عن الكلام والدوق ، وفي سنة ١٧٤٢ م لحقت لجنة من الأطباء في إنجلترا فتاة فقدت لسانها ورأت أنها
تحسن النطق والكلام مثل غيرها من الناس . وفي بلاد الإنجليز الآن رجل بلغ السبعين من العمر قطع
لسانه من نحو ١٣ سنة وهو يتكلم ويخى ويلدق بلا عناء . وأما التعبير عن المراد بالحركات والإشارات فمن
الأمر السهولة ، وبعض القبائل في الحديث إشارات وحركات تزيد على الألفاظ عدداً ، وأكثر الأوروبيين
استعمالاً للإشارات في الكلام أهل إيطاليا وأقلهم استعمالاً لها الإنجليز ، انتهى من (الصور) .

تذكرة

(في قوله تعالى «ومن نصره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون »)

وفيها بيان أقوال علماء النصر في هذين السؤالين : (الأول) متى يبش الإنسان ١٤٠ سنة . (الثاني)
كم يجب أن يصبر روحاً لفقراء المسلمين مع فوائد تليق بالمقام ، فهناك ما جاء في مجلة كل شئ . وهذا نصه :

(متى يبش الإنسان ١٤٠ سنة)

(حديث مع الأستاذ فورونوف)

الأستاذ أو اللهكتور فورونوف معروف في القاهرة مذ كان طبيباً فيها في أوائل هذا القرن وطبياً خاصاً
للسراى الحديوية ، ثم لما انتقل إلى أوروبا واشتغل بتجاربه المشهورة في إطالة العمر وتجديد قوى الشيوخ
بالتطبيع وتجربة ذلك أولاً في القرد وغيرها من الحيوانات طار اسمه في كل ناحية لا كطبيب بل كبشر
بإمكان إطالة العمر إلى ما فوق المائة وإمكان عود الشباب الذى تفرحت عليه أجنان الشاعر الباكى القائل :

ونحت على الشباب يدمع عينى فلم يجد البكاء ولا النحيب

وقد جرى له حديث مع متدوب مجلة إنجليزية فقال : (إن الأم التى تكون أول من يدمع إليها ولها

لتجربة عملية تجديد الشباب فيه قد تكون مؤسسة نوع إنسانى جديد وقوى ، أعطى أولادا تشتمل فيهم شرارة البقرية ، وأنا أرى لك نوعا من (السورمان) أى الرجال الكاملين يكون عمر الواحد منهم فوق للثلاثة ويكون في الوقت نفسه قويا ونشيطا وعاملا بدنا وعقلا كالشباب منا ، ومشروعى هذا الذى بدأ بمليات محمد تقوى في الأقسام الضعيفة قد يظهر كالمجدل في عيون غير العارفين ولكنى أبتدأ بعد امتحانات طويلة ودقيقة صحة المتأوى التى ادعيتها من وقت إلى آخر حتى امتلأ صدرى أملا من جهة المستقبل واعتقدت إمكان إخراج آرائى في هذا الموضوع من القول إلى الفعل ، بدأت تجاربي بالكباش فقلت غدة حيوية من كبش حولى إلى كلبى منى في أواخر عمره فكانت النتيجة على ما يرام حتى أعدت التجارب في حيوانات أخرى فكانت أحسن من الأولى ولكن عمل الطبيب يجب أن يكون دقيقا ، فالواجب لذلك أن تمد التجارب للمرة بعد المرة بلا ملل . وبعد ذلك أخفقت الفصد التى قصت بها حيوانا تجددت قواه فحصلت بذلك على برهان مزدوج ، ذلك بأن الحيوان الذى استؤصلت منه الفصد عاد فتهقر إلى ما كان عليه إذ جعل يهزل وقد شبهته إلى الطعام ومعد شعره أو صوفه حتى بلغ درجة من الأخطاط أخط مما كان عليه قبل عملية التجديد الأولى قلت في نفسى إذا نجحت هذه الصليات في الحيوانات ، فلماذا لا تنجح في الإنسان ولكن عرضت هنا صعوبة وهى قلة الرجال الأقوياء الذين يقدمون أنفسهم لمساعدة الضفاء وضرون بمثل هذه التضحية التالية مع أن استئصال هذه الفصد من الأقوياء الأصحاء لا تؤخر كثيرا في أحوالهم الطبيعية ولكن تقبض الضفاء بها ينضمهم إليها ضم ، وهنا بدأت تجاربي في النسائس وبقول علماء الطب أن الشبازى أقرب هذه الأصناف إلى الانسانية وإذا أخذت قطرة دم من الإنسان ووضعت تحت السكر سكوب هى وقطرة من دم نسانس لم تمكن معرفة الواحدة من الأخرى ، وقد جاءت تجاربي في النسائس ناجحة جدا ، وفي مدة خمسين سنة أو أقل يمكن عمل عمليات مدعشة في الناس ، وليس تجديد قوى الشيوخ بالتقصيح هو غرضي الأعظم بل إن غرضي الأعظم هو تقصيح الذكور الذين سبهم بين الثامنة والعاشرة بالصد فتكون النتيجة لإيجاد نسل من الرجال للتفوقين (سورمان) .

أما معظم الصعوبة الآن ، قلة النسائس ولكنى وضعت مشروعا للمحافظة على هذه الحيوانات النافعة وأصدرت الحكومة الفرنسية بناء على طلبى أمرا بمنع صيد الشبازى في المستعمرات الفرنسية وبأن لا يصدر منها إلا الفرض طوى ، ثم قضت إلى (مدريد) وقابلت ملك أسبانيا فأصدر أمرا مثل هذا فيما يخص المستعمرات الأيبانية . وهكذا منع ملك البلجيك عند مقابلتي إياه في عاصمته بل أسانف إلى مثل هذا الأمر إصدار عمليات بأن يحصل جزء من الكنفو البلجيكية حيث تكثر النسائس مستودعا لها حتى تم المعدات التى أخذها لإصدارها منه . وأمل أن تساعدنى الحكومة الإنجليزية بمثل هذه الطريقة . وقضت أشهراً من السنة الماضية أقتضى عن مكان بين جنوا ومرسيليا يصلح ليكون مزرعة لهذه الحيوانات حتى وجدته وفيه الآن نحو مائة منها فإذا نجحت وكانت للزراعة ملائمة لصحتها فلم تضيق بتغير الإقليم ففى عزى إنشاء سلسلة منها من (نابلى) إلى (مرسيليا) بمساعدة الحكومة الفرنسية ، ويجب أن يكون عمر الشبازى (٦) سنوات إلى (٨) قبلما يصلح لأن تتأصل غدناه وبقص بها الإنسان . ومضى ظلت على جميع الصعوبات وامتلات مزارعى حيوانات شديدة شرعت في تجاربي على قدر كبير . وقد عملت إلى الآن (٦٠٠) عملية ناجحة والعملية بسيطة جدا لا يحتاج فيها إلا إلى مخدر موضعى ولا يبقى صاحبها راقدا أكثر من أسبوع . وأقول الآن عن اقتناع إنه لا ينصرم القرن العشرين حتى يمكن تجديد قوى الشيوخ وإزالة غبار السنين عن وجوههم كثيرة الضنون والأسارب وأجسامهم المحدودة الهزيلة . ويمكن أيضا تأخير الشيخوخة ومضاعفة العمر

الذي هو الآن سبعون سنة على القالب وسيتقى الدماغ والقلب صحيجين إلى الآخر . وقد يمكن تغيير الصفات والشخصيات والمعادن بهذه الطريقة فتقل الجرائم وتخلق المبقرات وتفرغ الشخصيات في قوالب على حسب الطلب . ومهما يكن زمان ذلك بعيدا فما لا ريب فيه أن القروود ستكون أساس أمة قوية عقلا وجسما وعملا فاقا وقبلا ونموا وذلك كله بواسطة التلقيح بتدورها اه .

﴿ كم يجب أن نعيش ؟ وفوائد أخرى ﴾

يقول هوفلند أحد العلماء الذين صرفوا عنايتهم إلى درس الحياة في كتاب وضعه وجعل عنوانه (فن إطالة العمر) إن الرء يولد مستعدا للحياة قرنين من حيث تركيب بنيتة ونظام قواه قياسا على ما تراه في الحيوانات . ليس الإنسان حيوانا مثلها على أن هوفلند لم يتفرد في هذا الرأي . فكل الذين يدرسون طبائع مخلوقات يرون رأيه ورون طلائع النور من أبحاثهم بإمكان إطالة العمر فيسمعون إلى التجارب والامتحانات للتعدي . ومن للملاحظات الحرية بالنظر ما ذكره بعضهم عن النسبة بين عمر البلوغ والعمر التام فقالوا إنها في الحيوانات على اختلاف أنواعها تكون كنسبة واحد إلى ثمانية أي أن الكلب يبلغ أتم نموه في سنة ونصف فهو يعيش إذا لم يمرض أو يقتل بمحادث ما ١٢ سنة ، والحصان يبلغ أتم نموه في ثلاث سنوات فهو يعيش في ١٤ سنة وقس عليهما سائر الحيوانات الدنيا . وإذا اعتبرنا الإنسان من حيث تركيبه البدني حيوانا وكان نموه لا يتم قبل بلوغه الخمسة والعشرين عاما فمن الضروري أن يعيش مثق سنة ويدعم هذا الرأي ما تراه من حياة بعض الناس الذين عاشوا أعمارا طويلة .

إن هنري جنسكس الإنجليزي الذي ولد في ولاية يورك بانكلترا عاش ١٦٩ سنة ولما بلغ سن ١١٢ كان يحارب في معركة فلورفيلد . وجون بافن البولندي عاش ١٧٥ سنة ، ورأى بينه ثلاثة من أولاده يتجاوزون المئة من أعمارهم . ويوحنا سور تنغتون الزوجي الذي توفي سنة ١٧٩٧ عاش ١٦٠ سنة وكان بين أولاده من هو في المئة والخمس سنوات . وطوز مايار عاش ١٥٢ سنة . وكورتوال ١٤٤ سنة . على أن أكثر من عاش بين البشر حديثا على ما يعرف هو زنجي بلغ ٢٠٠ سنة .

والاحصاءات تدل على أن أعمار الناس أطول في اسوج وزوج وانكلترا منها في فرنسا وإيطاليا وكل جنوبي أوروبا ، كما أن الذين عاشوا هذه الأعمار الطويلة إنما عاشوها ببساطة وكانت حياتهم حياة جد وعمل .

لامشاحة في أن العمل والمعادن والاعتدال من العوامل الرئيسية لإطالة العمر . فالإفراط في كل أمر مع الانحراف عن النظام الطبيعي إنما هو سبب تقصير أعمارنا . ومن رأى البعض أن العبودية هي السبب الأهم في تقصير العمر . العبودية للشهوة والتقليد والبطالة والزي . فإذا حاولنا التخلص من عبودية المدينة الحاضرة والانصراف إلى كل ما هو قانوني وبسيط يمكننا مع الاعتدال أن نعيش مثق عام بشرط آخر هو أن لا يكون علينا استحقاقات شهرية ولا مسئولية عقلية تقضى على سلام حياتنا اه .

﴿ رأى نابليون في الطب ﴾

اشتهر نابليون بونابرت بميله الشديد للمطالعة وإحراز الكتب النفيسة وتقديره للطب والمهيجين ، وكان ميله للمعلوم الطبية قويا إلى حد أنه تعلم علم التشريح وأتقنه إتقاننا لكنه لم يستكمل دراسة الطب لأتجاه آخر دفعه إليه القدر . أما ميله للطب والمهيجين فكان بمقدار كرهه للدواء والمعايير معتمدا كل الاعتقاد على (الطبيعة الشافية) ومحبذا طريقة البابليين الذين كانوا يلغون للمريض على قارعة الطريق حتى إذا مر به عابر أصيب بمثل ذلك المرض وشفي منه أرشده إلى العلاج الذي كان سبب شفائه . ومن أقواله : إن الأدوية لا تفيده

سوى جماعة الطراز القديم، وكان دواؤه الوحيد الحمية والاستحمام بالماء الساخن وللماء للملح. وقد قال يوما لأحد الأطباء: (إن الجسم آلة تطلب الحياة، وهو مركب لهذه الغاية فقط. فلندع فيه الحياة تنمو ونحيا كما نشاء ولنندعها نندفع عن نفسها بنفسها فإنها تعمل أكثر جدا مما تفعله أديبتكم التي تشل حركتها على الدوام).

ومن أقواله أيضا: (إن الجسم يشبه ساعة تسير سيراً طبيعياً منظماً مدة من الزمان وليس لساعاتي ما أن يفترجها أو أن يعالج ما اختل في نظامها إلا باحتراس كثير وعناية مصبتان. وإذا وفق ساعتان واحد بعد عناء عظيم وعذاب طويل إلى أن يصلح شيئاً مما أفسده الزمان في ساعة جسمنا فكم وكم من الأغبياء يفسدون هذه الآلة العجيبة التي صنعها الخالق سبحانه وتعالى) هـ.

(وصايا طفل يخاطب والديه)

(في سنة الأولى): الأقطرة الشديدة تنهك جسم النحيل الرخص، فلا تشداني بها وإلا فعل القليل حلا وثاق من تلك الأربطة لأتفس قليلاً ويجري الدم في عروقي.

(في الثانية): النظافة تنفع جسمي العنق وتغويه فأغسلاني مرة أو مرتين في اليوم كل يوم وإلا فعل القليل مرة في الأسبوع.

(في الثالثة): القيلة تنقل إلى جراثيم الأمراض الضارة والأسقام للؤلؤة فلا تقبلها ثفري وخذى وعيني، ولا تسمعها لأحد بتقبيلي وإلا فعل الأقل قبلا يدي فإنها تكفي.

(في الرابعة): الزهرة خارج المدينة مفيدة لي والهواء النقي ينعشني ويقوين فسيرا لي لأتمتع بمناظر الطبيعة الجلية القوية وإلا فعل القليل اصمدا لي إلى السطح.

(في الخامسة): العاشرة الرديئة تفسد أخلاقي فلا تتركاني تحت رحمة الخادمة أو بين أولاد الأزقة وإلا فعل القليل اجتماعي وحدائي ولاطفاني ولو ساعتين في النهار.

(في السادسة): المدرسة مصدر سعادتي في المستقبل فانتخبني مدرسة وطنية جامعة لأرضع فيها لبان العلوم العالية وإلا فعل القليل العلوم البسيطة هـ.

(عمر المخلوقات)

جاء في مجلة «كل شيء» ما نصه:

يقول الناس أن كثيرا من الحيوانات والطيور تنمر أكثر من الإنسان، ولكن ظهر بعد فحص عمومي لمعدل أعمار المخلوقات على أنواعها أربعة فقط منها تعيش أكثر من الإنسان وذلك مع عدم الانتباه للشواذ وهناك يائها:

(١) السلحفاة ١٥٠ إلى ٢٠٠ عاما.

(٢) نوع من السمك الألماني ١٠٠ إلى ١٥٠

(٣) العقاب ذو الرأس الأبيض ٥٠ إلى ١١٨ عاما

(٤) النسر ٥٠ إلى ١٠٤ عاما

وإليك معدل أعمار بعض المخلوقات: الكلاب ٣٥ - الخيل ٤٠ - البقر ٢٥ - الهر ٤٠ - الدجاج

٣٠ - البط ٧٥ - الأسود والنمر ٢٥ - والسمون (نوع من الأسماك) يعيش عاقمة عام. والصفدع الأوروبي

٣٦ ويصل عمر التماسح إلى الأربعين، وأقصر الأعمار توجد بين الحشرات، فنوع من الخنافس يعيش من

ساعة إلى ثلاث ساعات، والقديابة ٣٤ يوما، ولكن خنافس الأشجار تعيش أكثر من سائر الحشرات إذ

أنها تنمر ٣٧ عاما: انتهى ما أردته من المجلة المذكورة.

لما كان هذا التفسير يراد به ارتقاء العالم الإنساني، لاسيما المسلمين انتهزت كل فرصة لإفادة العقلاء بتجارب
أشاهم ليحدثوا حذوهم . فمآك ما جاء في جريدة الأهرام يوم ١٩ مايو سنة ١٩٣٠ م تحت عنوان « كلمة
شفيق باشا في الاحتفال ببلوغه بين السبعين » وهذا نصها :

سيداتي سادتي : قضيت سبعين حجة طويلة مررت فيها بأيام سعيدة وليلالي هنيئة ، ولكني أعد هذا اليوم
أسعد أيامي ، فأنا في جمع من خلاصة أصدقائي وإخواني . ليس فيهم إلا كل بروفي يشاطرنى ما أحمل له في
أعماق نفسي من حب ووفاء .

زملائي الأعداء رجال الرابطة الشرقية : يسرنى أن أتوجه بالشكر إليكم على تذكركم الذي يزيدني
قوة ونشاطا وسأحفظه بنية حياتي عنوان الثقة العالية ، كما أشكر حضرات الذين تفضلوا فأطروني إطرار
مبالغوا فيه وأشكر جميع الذين شرفوني والذين حالت أعذارهم دون إسعادي بوجودهم فأرسلوا تهنيتهم
بالبرق وبالبريد .

سيداتي سادتي : سألتني صديقي إسماعيل بك شيرين أن أبسط لحضراتكم ما اعتقده سر النشاط
والصحة في هذه السن المتقدمة . وعندى أن ذلك يرجع إلى أسباب اتباعي أوامره بابتعادى عن تعاطي
التدريبات الروحية . وبما ساعد على ذلك أنه كان لنا جار مدمن لاجود إلى داره إلا وهو نشوان فترجع
رأسه بين كنفه وتسلمها حائط إلى أخرى ولا يكاد يعي ما يقوله . وذات ليلة ممطرة رأيتة محمولا إلى الدار
مخبرين أحدهما من يديه والآخر من رجله وهو ملطخ بالوحل . انطبعت هذه الصورة البشعة في ذهني فزادت
عورى من الخمر وكراهيتي لها . ومنها أني لم أدخن أبدا ولم أتعاط القهوة عادة إلا قليلا منها بمزوجا بالبن
وقد اندهش بعض إخواني لذلك فهمست في أذنه عن السبب . واسمحوا لي فلا أفصح عنه لأنه لا يقال إلا بين
الرجال . ومن ذلك أيضا عدم الإسراف في ملاذ الحياة ، فلا في الأكل كنت نهما ، ولا في غيره كنت مسرفا ،
وكانت البساطة وما زال ملاك حياتي ، فإذا لم أصادف القرائش الناعم والخبر اللين رضيت مغتبطا بالقرش
الحشن والكسرة الجافة .

ومنها تعودى الرياضة . فأنا مولع بالمسير على الأقدام حيث أمشى الساعة والساعتين والثلاث
في اليوم . فإذا عدت إلى مستقرى أكلت بشهية ونمت براحة مبكرا كما أستيقظ مبكرا . ومنها أني
لم أتعود التعرير في وقتي فكنت منتظما في ساعات عملي وأوقات راحتي ورياضتي ، ولا أقفل الوقت
في القهاوى والملاهي .

تلك هي الأسباب الأولى عندى التي أشكر الله عليها وأسأله للزيد حتى أعسكن من أداء ما يتقلى كاهلي
من دين على للتاريخ ألا وهو نشر مذكراتى في نصف قرن وبعد ذلك فعلى الدنيا السلام . انتهى كلامه ،
وللى هاتم الكلام على اللطيفة السادسة والحمد لله رب العالمين .

اللطيفة السابعة

(في قوله تعالى - الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا - الخ)

جمال الله تعالى في الأنفس وفي الأشجار وفي كل مخلوق ، المادة كما تقدم في (سورة النور) عند قوله
تعالى - الله نور السموات والأرض - عبارة عن نقط كهربائية يدور سألها حول موجهها (٦) آلاف مليون
مليون مرة في الثانية فانظره هناك ، فإن الشجر والحجر والأرض والسماء كلها نور تنوعت حركاته فتنوعت

مناظره فقيل هذا حديد وهذا ماء، وما هذا وما ذلك إلا تلك الأنوار الكهربية الجارية حول بعضها ترسم دوائر كدوائر الكواكب حول الشمس وبينها فرجات ومسافات وهي المسام تعادل للمسافات بين الأرض والسيارات وبين الشمس. إذن المادة لم تخرج عن كونها مادة نورية غليظة وغلظتها إنما جاء في نظر أعيننا. هذا هو رأى علماء العصر الحاضر وهذه الحقائق اخذت عن عيوننا، فلما خلقنا الله في الأرض أحوجتنا إلى الغذاء والغذاء احتاج إلى الحرارة، وهكذا أجسامنا اعترها البرد فاحتاجت إلى الدفء، لهذا خلق الله النار ولكنها محبوبة في الشجر والحجر فألمهم الآباء أن يحكوا عودا يعود فظهرت النار ففرحوا بها. الله لا يريد أن يعطينا شيئا إلا إذا اشتقنا إليه ومتى اشتقنا طلبنا ومتى طلبنا تلقنا علما منه بأنا لآلئنا بما لا نطلبه. هذه النار التي أوربناها من الحجر ومن الشجر عالم لطيف يذكركنا بالنور الأصلي وهو النور الذي منه كانت المادة وهو أقرب إلى اللطافة والجمال. ومذكري بنور الكواكب والشمس والقمر. والنار رآها موسى فقال «إني آنست نارا على آتيسم منها بقبس أو أجد على النار هدى» وقد قال بعض الفسرين: هاديا بدلتني على الله. ومتى ثبت أن المادة أضواء نورية لم يبق في الوجود الحق إلا الله. ومن عجب أن هذه الفكرة هي التي يقولها الصوفية وهي التي يقولها سقراط وأفلاطون من علماء اليونان إذ يقولون: «لا معنى للموجود الذي يتغير» وللادة متغيرة فاطلاق اسم الوجود عليها مجاز، ولا يتعلق العلم بها وإنما يتعلق بما هو ثابت. فها هنا عجبتان:

(العجبية الأولى) إيقاد النار في العصور الأولى التي منحها الله البشر وهذه صورتها (انظر شكل ٧٥).

وهذه النحلة قديمة العهد جدا مجهولة الابتداء ولكنها بقيت عند أقوام إلى الآن في بعض جزائر المحيط الهادى كما أن لهم عادات مزعجة إذ تفعل الأرملة بعد موت زوجها في نفسها ما يفسح ضله (انظر شكل ٧٦)



(شكل ٧٦ - أرملة في بونا جيبست شعر رأسها ووجهها بالجبر والطين لأن ذلك من شعائر الحزن الواجبة على المرأة هناك عندما تفقد زوجها)



(شكل ٧٥ - أول طريقة لاختراع النار وقد توفقت إليها الإنسان الفطرى بشدة احتكاك قطعتين من خشب الأشجار ولا تزال مستعملة بين سكان جزائر المحيط الهادى فأعجب لإجهاد ستة من الرجال الأشداء، كلما احتاجوا إلى ما نقطه نحن في لحظة واحدة يعود من الثقب)

وأيضاً لهم أسلحة حجرية إلى الآن يستعملونها (انظر شكل ٧٧) وهكذا يضعون الورق على أجسامهم كما كان يفعل آدم عليه السلام هو وحواء (انظر شكل ٧٨).



(شكل ٧٨ - رسم فارس من حاشية أحد الرؤساء في جزائر المحيط الهادى وهو مكلف بخدمة المآدب وما إليها. ولباسه الرسمى قبعو بذلة من أوراق شجرة جوز الهند مع دهن وجهه بملاط أسود وأحمر)



(شكل ٧٧ - أسلحة حجرية من بلاد بابوان، وقد أصبحت نادرة في جزائر المحيط الهادى إلا في هذه الجهة)

واعلم أن الله أتى هذه العجائب في المحيط الهادى إلى الآن ليرينا كيف ارتقى الإنسان في إيقاد ناره، وفي عاداته وفي أسلحته وفي ملابسه ليعلم المسلمون الآن ومن معهم من الأمم أن في هذا العالم نعا قد خبت لهم لايتألمونها إلا بالعمل. تمت العجبية الأولى.

(العجبية الثانية) لا تؤخذ من الآية بطريق المفهوم ولكنها بطريق الاستنباع. ذلك أن الشجر والحجر إذا كان فيهما نار أفلا يكون في هذه النفوس الإنسانية سر تكون نسبة النفوس إلى ذلك السر كنسبة الشجر والحجر إلى النار، نعم ذلك هو السر للكون وهو الذى استخرجه أفلاطون قبل الميلاد بمدة قرون قال ماملخصه:

مثل أفلاطون

يقول أفلاطون إن مثل الناس في الأرض كمثل قوم عاشوا في مغارة تحت الأرض وقد وضعوا وضعا بحيث لا ينفثون بمنة ولا يسرة ووجوههم مولية تلقاء آخر للغارة من الجهة المقابلة لباها، وهناك نار أوقدت وراءهم في الطريق وبينهم أيضا وبين النار سور والناس يحدون وروحون خلف هذا السور أى في الجهة التى فيها النار وهؤلاء الذين يحدون هم صور الحيوانات والنبات والشجر. فهؤلاء الذين في المغارة لا يرون إلا ضوء النار الالامع في القارة أمام أعينهم وهم لا يرون النار ولا السور وإنما يرون تلك الصور

مرسومة على حيطان المغارة أي صور الناس والحيوان والنبات . فمؤلا، لا يعلمون من الوجود إلا تلك الظلال فيسمون تلك الظلال بأصنام على حسب ما يتفق لهم . قال فإذا أتيت لواحد منهم أن يخرج من المغارة إلى خارجها فإنه يرى الحقائق خلاف ما يرى إخوانه . يرى أن النبات والحيوان والإنسان الحقيقي غير الخيالات ويرى تلك الحقائق مجسمة فعلا ماثلة وراء السور أمام النار ، ثم ينظر فيرى أن إخوانه مغرورون إذ يظنون الظلال حقائق ثم ينظر هو فيرى أن الحيوان والنبات والإنسان وما أشبهها ما هي إلا صور صورت فوق الأرض بأسباب مماوية كضوء الشمس والقمر والكواكب بل نفس النار آتية بحسب أصلها من آثار ضوء الشمس في الأشجار والنبات وهناك يرى أن السبب الحقيقي لهذه المخلوقات إنما هي الشمس فيرى الليل والنهار والفصول الأربعة وإذا ذلك بدهش من هذا الجمال والإبداع ويعرف أصل الوجود اه .

فهناك (أمران : الأمر الأول) أهل المغارة يرون خيالات (الأمر الثاني) هذه الأجسام الحقيقية والنار للتقديرة أصلها الشمس . فكما أن الخيالات في المغارة لاحقيقة لها هكذا النبات والحيوان وسائر الدواب والطيور لاحقيقة لها بالنسبة للشمس . فالشمس هي الأصل والمخلوقات على الأرض تبع لها ، ثم إن أهل المغارة أشبهوا أهل الأرض والصور الخيالية في ضوء النار بالمغارة تمثل لسلك حماد ونبات وحيوان ومخلوق على الأرض وضوء النار في المغارة تمثل لضوء الشمس ، فالشمس وما تفرع عنها من الفصول والدهور وما خلق بسببها من الحيوانات والنباتات خيالات وصور غير ثابتة والوجود الحقيقي هو الحجر المحض وهو الله تعالى .

فما أهل الأرض إلا عوالم لم يعرفوا الحقائق المحبوبة وراء هذا العالم وهو الحجر المحض الذي يدركونه إذا نظروا إلى نفوسهم وهذا الحجر المحض هو الله تعالى . فانظر إلى أفلاطون القائل : إن هذا العالم له مثل (جمع مثال) وتلك اللؤلؤة وهي عوالم روحانية دائمة وأن هذا العالم فان وأنه يجب علينا أن نطلب ذلك العالم الباقى وننذر هذا الفانى ولا يكون ذلك إلا بالجد والاجتهاد ، فكما أن أصحاب المغارة لا يمكنهم أن ينظروا نور القمر ولا نور الشمس إلا تدريجاً بمعنى أن الواحد منهم ينظر بعد خروجه أولاً إلى صور الأشياء في الماء ، ثم إلى نجوم الليل في الماء ، ثم إلى نفس ضوء النجوم ثم إلى ضوء القمر ثم إلى صور الأشياء نهارة في الماء ، ثم إلى نفس الأشياء وهكذا كل ذلك بالتدرج . هكذا لا يمكن الناس أن يصلوا إلى الحقائق إلا تدريجاً بطرق منظمة على طريق الاحتيال . والحياة كلها يجب أن توجه النفس فيها إلى طرق العلم توجهها تماماً لاهوادة فيه ولا عوج ، وبدون ذلك لا يتسنى نيل المرغوب من الوصول لحقائق الأشياء ويقول إذا عرف الناس ذلك حقروا هذا العالم الفانى وأحبوا الوجود الحق .

أقول : ولكن ليس هذا بحسب الطريق التي يتبعها جهلة المسلمين الناعمين . كلا ، بل هي طريق العلم والمعمل والجد السنمر . كل ذلك تشير له آية «الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً» الخ فآله عز وجل ألهم الناس فاستخرجوا النار من الشجر ، ثم ازدادوا علماً بالمخترعات في عصرنا الحاضر ، عصر الراديو وعصر أصعب الاختراعات وألهم الحكما . من الناس فاستخرجوا من النظر في نفوسهم معرفة ربهم فعاشوا في الدنيا مسكرون في إسماء أنفسهم وأممهم والحمد لله رب العالمين . كتب يوم الاثنين ١٨ مارس سنة ١٩٢٩ .

﴿ تذكرة في قوله تعالى «الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا
فإذا أنتم توقدون» ﴾

(يوم الأحد ٣ فبراير سنة ١٩٣٠ عند صلاة سنة الصبح ، وأنا أردد آية «وهل أتاك حديث
موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا»)

تباركت يا الله وتعاليت ، وأعجبنا كلامك كما أدهشنا صنعك ، ذكرت لنا أنك جعلت لنا من الشجر
الأخضر نارا وبهذا تذكرنا آية «الله نور السموات والأرض» وأنت سميت سورة باسم النور ولم تسم سورة
باسم النار ، وأن رحمتك سبقت غضبك ، وأن لك شموسا كشقوها حديثا لاجتماعها فيها وليس يخرج منها
إلا ضوء ، وأن الناس اليوم يريدون أن يجرّدوا أضواء الصاييح من الحرارة البالغة ٩٦ في المائة ويحولوها
إلى ضوء ، وتصبح الحرارة (٤) في المائة والباقي يكون ضوء كشموسك التي جعلتها ضوء لا حرارة فيه وتذكرنا
قولك في (سورة الواقعة) «نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين» وهم الذين يكونون في الصحارى المقفرة
فيقدحون الزبدني ويستخرجون النار . وقولك «وقودها الناس والحجارة» وقولك «وهل أتاك حديث
موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا» .

اللهم إن شأن النار في قولك وفي صنعك لعظيم ، النار صنعك وأنت جميل فمصنوعك جميل يهيج العقول
ويغير الأفكار ، جعلت النار تذكرة كما جعلتها متاعا لنا . إذن هي لعقولنا تنوير ولأجسامنا تدفئة ولما لنا
مخرجة على هيئة بخار من البحار وهو يحمل سحبا وهي لبناتنا منعية وحيواننا منشطة ولعالمنا
الأرضي كله نعمة لا عدد لأفرادها ولا حد لأوصافها .

لولا الحرارة ما كان حيوان ولا إنسان . لولاها لم يكن سحاب ولا رياح . النار نعمة من أجل النعم
فهي وللأمة الحياة وبها الموت : بهما الحياة إذا اعتدلت بالميزان ، وبهما الموت إذا لم يكن اعتدال
الميزان بيدك .

وزنت عالمنا وجعلت للنار حدا وللأمة حدا ، وقلت لهما معا : أدخلوا أجسام كل حيوان وكل نبات وكونوا
نعمة لأهل الأرض إذا كان هناك نظام وكونوا نعمة إذا لم يكن نظام . إن جسم الإنسان فيه حرارة وفيه
رطوبة بقدر معلوم فإن زادت الرطوبة المائية حصل الزكام والسل وجميع الأمراض الباردة ، وإذا غلبت
الحرارة كانت أنواع من الحمى وما يماثلها ، ومتى اشتد أحدهما هلك الحيوان . إذن لا بد من الحرارة مصحوبة
بالرطوبة في جسم الحيوان وهذا يشير له قولك «ومتاعا للمقوين» وقولك «لعل آتاكم منها بقبس» وهذه الحرارة
الظاهرة الناجمة من الشمس ومن جميع أنواع النيران التي تنفذ لها آثار في النفوس تشاكلها . وفي الحديث
«إن كل أم يتبعها ولدها» فإذا رأينا في الأجسام حرارة هكذا نرى في العقول والنفوس حرارة معنوية ولكن
هذه أشد من تلك وأدوم . إذا اشتدت الحرارة على الأجسام أهلكتها ولكنها إذا اشتدت آثارها كالحسد
والغضب والحقد والبغية والتعصب والطمع وأنواع العداوات وأنواع المحبة والعشق . فكل هذه إذا غلبت
على الروح كانت لها عذابا واصبا . فإذا أهلكت النار الحسية الحمى في لحظة فإن النار المعنوية في النفوس
تلازمها وتكون لها عذابا واصبا كما نرى ذلك في متاع . حمر وأنواع التسع والحشيش والأفيون فكل
هؤلاء أصبحت نفوسهم فيها نيران الشهوات الحاسية قد لازمها وبشير لذلك «إن عذابها كان غراما» .

فهذه اللذات التي لا ترحم في مطالبها للإنسان نيران تطلع على الأنفذة وهي العبر عنها في القرآن بقوله
تعالى «لنديقهم عذاب الحزى في الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد وهم لا ينصرون» ويقول تعالى «ولأنخرنا

يوم القيامة إنك لا تخلف للبعاد» وأوضح هذا كله قوله تعالى «ربنا إنك من تدخل النار فقد أجزيت»
فإدخال النار الجسمية يتبعه الجزى والجزى هو مثل ما نراه في الدنيا من أن الإنسان قد يسلب ماله أو ملكه
فيجزى لشتماته الأعداء وفرحهم به . وهذا كله عذاب معنوي أشد من الحسى إذ جعله في الآفة أشد من الحسى
لأنه سبب الفضيحة والشتمات للمعذب بها . فنحن في هذه الدنيا بين (نارين) نار ظاهرة وهي إما معتدلة وهي
النعمة في منازلنا المدبرة لآلاتنا الخازنة لجزئنا الطامحة لطعامنا الجريفة لسفننا المسيرة لقطراننا ولسياراتنا ولطيارتنا
ولعرباتنا . فهذه نعمة علينا في الأرض والبحر والهواء وفي أجسامنا وأجسام حيواننا . وإما غير معتدلة وهي
التي تشب في مخازننا وفي مدننا فجأة فهلك الحرث والنسل . ونار باطنة وهي إما معتدلة فيكون منها الحب
للورث انتظام الجماعات واستقامة الأمم . والكراهية المعتدلة التي بها يكون تفرق الجماعات على الأرض
ليحصل الانتفاع بقطبها المختلفة . ولو أن الله لم يجعل في القلوب إلا نار الحبة ولم يلقها بما يصادها وهو
الغيرة والحسد والتنافس لاجتمع الناس في صعيد واحد في الأرض وهلكوا . ولكن الغيرة والتنافس
يورانان التباعد فيكون هناك ازدياد الحيرات والنمرات . فكما كان في النار الظاهرة نعمة لنمو النبات والحيوان
ودوران الآلات هكذا في النار الباطنة نعمة . فالحب نار نافعة والبغض نار ناعمة إذا كان فيهما اعتدال .
فإذا لم يعتدلا وازداد الحب حتى أعمى المحب عن المساوى أو ازدادت الغيرة والنبطة والحسد حتى جاوزت
التقدير كان هناك الحرب والإيذاء وخراب الديار . فالتار سواء أكانت ظاهرة أم باطنة منفعة لنا . وقد يكون
فيها الهلاك .

وهنا سألتى بعض الإخوان قائلا : أريد تلخيص هذا اللقار فهو كثير الشعب لاضابط له . فقلت انظر
البيان الآلى :

القبس فرعان وهما :

- (١) الحرارة .
- (٢) الضوء .
- (٣) الضوء معنوى يهدى إلى المعلوم والمعارف .
- (٤) حسى بالحواس الخمس المعروفة .
- (٥) أما الحرارة فهي معنوية وحسية .
- (٦) فالحرارة الحسية إما أن تعتدل وإما أن لا تعتدل .
- (٧) فان اعتدلت فهي التناع .
- (٨) والحرارة التي سببها متاعا هي إما جامعة وإما منمية وإما مدبرة وإما مثيرة .
- (٩) فهي في نحو الطين والمجبن جامعة وفي النبات والحيوان منمية وآلات الأرض كسكة الحديد
وآلات الماء كالسفن البخارية وآلات الهواء كالطيارات (مدبرة) .
- (١٠) وللبخار من البحار والهواء (مثيرة مبثثة) وبهذا تمت أقسام الحرارة المعتدلة التي سببها متاعا
- (١١) أما الحرارة التي لم تعتدل فهي التذكرة وهذه التذكرة تكون طاغية في الأجسام وفي المدن
والحقول .
- (١٢) فالطاغية في الأجسام تحدث أنواع الأمراض كالتواع الحيات .
- (١٣) والطاغية في المدن والحقول تهلك الحرث والنسل . وبهذا تم الكلام على الحرارة الحسية المعتدلة
والتي لم تعتدل .

(الحرارة العنوية تنقسم كأقسام الحرارة الحسية المتقدمة)

- (١٤) أما الحرارة العنوية فهي معتدلة وغير معتدلة .
 (١٥) فإن اعتدلت فهي إما مثيرة للحرارة في الأعمال العظيمة .
 (١٦) وإما مديرة لتنظيم الفرد والأسرة والديانة .
 (١٧) وإما منمية لتلك النظم .
 (١٨) وإما جامعة للناس بأنواع المهنة .
 (١٩) والحرارة العنوية إن لم تعتدل فهي إما محدثة لأنواع الأمراض المختلفة .
 (٢٠) وإما موجبة للحرب والقتل بسبب العداوات المفرطة .

ثم قلت : فهذا الجدول المرقع (٢٠) فرعا به تعرف أيها الذي بعض أسرار قوله تعالى في هذه السورة «التي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أتمننه توقدون» فإيقاد النار عادة يكون للمتاع وهذا يناسب قوله في (سورة الواقعة) «ومتاعا للفقيرين» وهذه لها تسعة فروع في هذا الجدول ، وأما التذكرة في (سورة الواقعة) فلها فرعان وهذه هي النار الحسية وتلحق بها العنوية بقسمها ولها ستة فروع والهدى المذكور في (سورة طه) له فرعان . فقط ، إذن التذكرة والهدى والمتاع والقبس هذه الكلمات الأربع المذكورة في سور مختلفة تفرعت عليها جميع أعمال هذه الحياة ونظمها ، ثم إن الهدى والتذكرة والمتاع آثارها في النفس باقية فإن حرارة شوق النفوس إلى العلوم وتحصيلها على مقتضى تلك الحرارة ومزاولة أنواع الآلات الصناعية في هذه الحياة تحدث في النفوس ملكات تختلف باختلاف الأشخاص وهذه الملكات عملية في فروع للمتاع عملية في فروع الهدى . ولا آخرة ولا جنة ولا لقاء لله في الآخرة ولا سعادة إلا على مقتضى هذين الأصلين القوى العلية بالهداية والقوى العملية بمزاولة أعمال متاع هذه الحياة .

اللهم إني أحمدك على العلم والحكمة وعلى معرفة بعض أسرار التبريل في كتابك للقدس . إنك أنت اللهم أنت المنعم وأقول ما قاله بعض الصحابة رضوان الله عليهم .

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

فأنا بالله لولا توفيقك وإلهامك ونصرك لبعث ضعيف مثل ما كتبت حرفا واحدا وهذا هو قول السلم في الرفع والاعتدال في الصلاة «اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا راد لما قضيت ، ولا ينفع ذا الجند منك الجد ، فلك الحول ولك القوة ولك الملك والمسكوت» .

فقال صاحب هذا حسن جدا واضح جميل ولكن هذا الموضوع كان أليق بسورة طه أو بسورة الواقعة قلت : نعم ولكن لم يفتح الله به إلا في هذه الأيام في أوائل شهر رمضان فأثبتته في أقرب سورة إلى الطبع فقال : استوف المقام إذن لأنى أرى أن له بقية ، قلت : لا أدري ماذا تريد . فقال : أريد إتمام الكلام على قوله تعالى «وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا» الخ . لم هذا التشويق بجملة «وهل أتاك» الخ وعلى الشمس وحرارتها فإن لها بقية سالحة . قلت : نعم هنا (فصلان : الفصل الأول) في التشويق بقوله تعالى «وهل أتاك حديث موسى» الخ (الفصل الثاني) في إتمام الكلام على حرارة الشمس وضوئها .

الفصل الأول

(في الكلام على التشويق بقوله تعالى « وهل أتاك حديث موسى »)

اعلم أن القصص في القرآن أريد به بعث المهتم وشحن الأذهان . إن هذه الأمم الإسلامية التي نامت في القرون المتأخرة ستستيقظ من رقدتها بمزاولة القرآن واستكناه معانيه . ومماثل السلم حين يقرأ علما أو يستفيد حكمة من أي فرع من فروع العلوم العالوية أو السفلية الحسية والعقلية إلا كمثل رجل رأى قافلة مقبلة وأهله في منزله لا قوت عندهم وقد انتظروا الطعام وأنواع الأمتعة من هذه القافلة . أو رأى سحائب أقبلت وهو في أشد الجوع والعطش فأقبل إليهم يقول بشر أكم هاهي ذه القافلة أقبلت أوهاهي ذه السحائب ستمطر كم وهذه عادة كل امرئ مع من يتصل به فهو إذا رأى مقبلا قد اقترب وهم في انتظاره أسرع إليهم وبشرهم . وهل هذه إلا حال موسى عليه السلام . رأى نارا وهو متعب في طلب (أمرين) الهداية لله والدفء لأهله التي تضع ولا مغيث لها ولا معين في صحراء طور سيناء ، فأراه الله النار في شجرة العليق فبشر أهله بها . وهل هذه القصة جاءت لمجرد حفظها أو فهمها أو معرفة بلاغتها أو مجرد الإيمان بها : كلا . والله فهذه مرتبة المعجزات وصغار التعليم .

أيها المسلمون : لا يفرنكم البلاء ولا الشعراء ولا صفار العلماء . أو لا يعلم المسلمون في أقطار الأرض أن كتب الحكماء ككتاب كليلية ودمنة الذي جاء على السنة الحيوانات قد قبلته جميع الأمم وهذه الحوادث التي فيه كحادثة ابن الملك والطار (فزه) فإن هذا الطائر كان له فرخ يلعب به ابن الملك فزرق في حجره فقتله فأقبل الطائر ففقا عين ابن الملك اقتصاصا لابنه فأراد الملك أن يخذع الطائر ويقول له أقبل ويكون بيننا الصلح فلم الطائر أنه يريد العذر به فلم يقبل وكانت نتيجة ذلك هذه الحكمة : (إنه لا أمان لعدو قوي له علينا نار وإن أظهر لنا نضرعا وملقا) وكحادثة الجرذ والسنور إذ ضرب مثلا لرجل كثير أعداؤه وأحذقوا به من كل جانب فأشرف معهم على الهلاك فالتمس الذبابة والخرج بموالاة بعض أعضائه ومصالحته فلم من الحوف وأمن ثم وفي لمن صالحه منهم ، ذلك أن الجرذ خرج يوما فرأى السنور وقع في شبكة الصيد ورأى ابن عرس خلفه يريد أخذه وفي الشجرة يوم يريد اختطافه أيضا فصالح السنور وهو أحد أعدائه لينجو منه ومن الباقي فقطع حباله إلا واحدا حتى لا يختاله السنور . ولما رأى ابن عرس والبوم اقترابه من عدوها بثنا منه وانصرفا ، فلما أقبل الصياد نحو السنور أقبل الجرذ فقطع الحبل الباقي فبجأ السنور بذلك كما نجح الجرذ وانتهى الأمر .

فهاتان الحادستان يفرح بهما الأطفال والجهال باعتبار ظواهرهما ، أما رجال السياسة ورجال الحكمة وهم سادات الأمم في الدنيا والدين ، فانهم يقولون : إن المقصد أن الأفراد والأمم عليهم أنهم إذا وقعوا في ورطة وتألبت عليهم الأعداء أن يصالحوا بعضهم مع الاحتراس وبهذه المصالحة ينجون من بقية الأعداء ومن نفس ذلك العدو الذي صالحوه ، وهذا هو الذي فعله الانسكايز إذ صالحوا أمة شرقية هي اليابان إذ حاربت الروسية التي كانت تناوى انسكترا ، وهكذا فليعمل الأفراد مع بعضهم . وهذه الطائفة إذا قرأت « وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا » تفهم فوق ما يفهمه الجهلاء . فماذا يقولون ؟ يقولون إن كل عاقل في الأرض لا سيما المسلمين عليه أن يسعى (لمرضين : الأول) إصلاح حال الأمة من حيث الأمور المادية (الثاني) إصلاحها من حيث الهداية العقلية ، وهذان يجتمعان القبس والهداية ، فالأول مادي والثاني عقلي وهذا هو نظام

الأمم جميعها ، فلا نظام لأمة نخرج عن هذين الأصلين . وإذا كنا نجد مصالحة الجرد للسنور ونجاته من ابن عرس والبوم جعلت رمزا لمصالحة من الفول العادية أو الجماعات للنجاة من الجميع وهذا سر كلام فيلسوف مخلوق أفلا يكون كلام الله أولى باستنتاج الحكمة والعلم .

فقال ساحبي : هذا حسن ولكن هذه المعاني مصرح بها في القرآن إذ يقول الله « وخفوا حذركم » ويقول « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » وأمثال ذلك في القرآن كثير فلا نطيل به . فقلت : نعم ولكن للرموز مزية ليست للتصريح . فالرمز آثاره قيمة نافعة عظيمة الأثر . فللناس حكم مسطورة في الكتب ككتاب [الأمثال] العبداني ولهم حكايات مختلفة الأساليب وكلها ترجع لأغراض الحياة . هكذا القرآن فهو كما يقول « ولا يحق للكفر السوء إلا بأهله » هو نفسه يذكر عادا ونموذا وأصحاب الرس وبختم أخبارهم بإهلاك الكافرين وهذه طرق مختلفة لا بد منها كما اختلف الطعام والتراب والزرع والأدوية . كل ذلك لنظام الحياة على الوجه الأكمل .

(آية « لعل آتيتكم منها قبس » أيضا وآثارها عند فلاسفة اليونان)

كتاب كليلة ودمية كتبه هندي ترجم للفارسية وترجمه ابن المقفع للعربية وهاتان الحادثتان ذكرناهما هنا لجرد التطير وإن كان بينهما يون بعيد لأن كتاب [كليلة ودمية] فقد بظواهره الخرافة وبيواته الحكمة والعلم . أما قصص موسى فظواهره حقيقي لأنه نسب إلى نبي مع أهله وهذا السر وقع بخلاف مسألة السور والجرذ فهما خرافيان . وهنا أمر حدير بالتعجب وهو أن القرآن ذكر النار وقبسها والهدى في هذه الآية التي ذكرناها هنا لمناسبة آية « الذي حمل لكم من الشجر الأخضر نارا » الخ .

ذلك أن أفلاطون في جمهوريته ذكر النار في هذه المعاني نفسها قبل زول القرآن بنحو (٨) قرون وهذا هو معنى قوله تعالى « بل هو آياته بينات في صدور الذين أوتوا العلم » فلا زلنا نرى في القرآن آيات قد تقررت وثبتت في العلم والحكمة كالمدي تقدم في سورة النور إذ يقول الله تعالى « وينزل من السماء من جبال فيها من برد » الخ مع أنه لا جبال في السماء بل من البرد فظهر بالكشف الحديث أن في السماء جبلا من ثلج يصعد فيها البرد (انظر صورته المأخوذة ومعها الطيارة التي كان فيها الصور تصويرا شمسيا هناك) فهذه آية استنبات في العلم الحديث وذكرها القرآن قبل ذلك بنحو (١٣) قرنا وهكذا آية « أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا » الخ فهذه لم تظهر إلا حديثا إذ ظهر لأهل العلم أن الأرض والكواكب السيارة مشتقات من الشمس وهكذا سياتي في (سورة الحديد) أن الأقباط عصر قد عثروا حديثا على أن الرهبانية ليست من أصل الدين المسيحي ولكنها ابتدعتها رجل مصري في القرن الثالث المسيحي خاف من الوثنيين الرومانيين الذين يحكون البلاد ففر إلى الجبال وتنتق فتنا نصار ذلك سنة وهذا قوله تعالى « ورهبانية ابتدعوها » وأثبت بعض الأقباط في كتاب [الحريرة النفيسة في تاريخ الكنيسة] ذلك وقالوا لم نسكن نعرف هذا إلا في زماننا ، فهكذا هذه الآية فإن قبس النار والهدى قد جاء في كتاب (جمهورية أفلاطون) فهي آياته بينات في صدور الذين أوتوا العلم من اليونان وجاء بها الوحى . فإذا نطق الوحى الحكمة والفلسفة وأصبحت أقوال الفلاسفة شروحا لآيات القرآن سواء أكانت قديمة العهد أم حديثة أم مستقبلية . وهاك ملخص المقالة السابعة من جمهوريته ، وقد كتبنا لها ملخصا وجيزا في (سورة الأنعام) عند آية إبراهيم وأنه رأى كوكبا الخ فلنوسع للمقال فيها هنا فنقول :

قال ماملخصه : إذا أردنا أن نعرف حال النفس الإنسانية علما وجهلا فلنتصور مظارة عميقة خلفها نار فيها أناس قد وضعوا في الأغلال وظهورهم إلى تلك النار ووجوههم موجهة إلى الجهة الأخرى فلم يروا

من الوجود إلا أشعة تلك النار قد أضاءت ما أمامهم من حائط المغارة وهناك أمام النار خلف ظهورهم حائط مرتفع وبين النار والحائط طريق يمر فيه أناس يحملون تماثيل مختلفة من أمتة وحيوانات ونبات وجمادات ولا ريب أن النار المتقدة تحمل تلك الصور فتلقها مع الحائط بظنهم فيرونها .

فأصحاب المغارة هم ضرب مثل لنا نحن سكان هذه الأرض ، فهم لا يرون إلا الضوء والأشباح للصورة فيه فلا ريب يسمونها بأسماء مختلفة . فإذا نبغ أحدهم وخرج من بينهم فرضا وأراد مقابلة الشمس فرجما عمى فلا سبيل له إلا أن يبصر أولا ظلال الأشياء خارج المغارة ثم ظلها في الماء ثم نفس الأشياء ثم صور النجوم في الماء ليلا ثم نفس النجوم في السماء ثم صورة القمر في الماء ثم نفس القمر وضوءه ثم يرى صورة الشمس في الماء ثم نفس الشمس وضوءها ، وهناك يعلم علما ليس بالظن أن الأشباح التي يراها أصحابه في المغارة ليست حقائق بل هي خيالات لصور المواليد الثلاثة وغيرها مما على الأرض : وكل ما على الأرض من حيوان ونبات وجماد هي حقائق تلك التماثيل وهذه نتائج للشمس . فهنا أربع مراتب : الظلال ، التماثيل ، نفس الأشياء من نبات وحيوان الخ . الشمس . فالأصل الشمس وغيرها عنها وجد وأقلها مرتبة الظلال في المغارة إذن فكر في نفسه وقال إن في إخوة بالمغارة فلا بد من أن أرجع إليهم ، فإذا تصورنا رجوعه إليهم فإنه أولا لا يقدر أن يعيش في الظلام كما كان معهم إلا تدريجا ، فإذا استقر قراره وألقى عصاه واستقر به النوى هناك يحاط بهم بما يقرب إلى أفهامهم لا بنفس الحقائق لئلا يكذبوه ولأنه إذا قال هناك شمس وهناك نجوم وهناك حيوان ونبات هي أصل لهذه التماثيل كذبوه فهو يسلك معهم سبيل الحكمة فلا يزال يعلمهم حتى يعرفوا منه أن لهذه الأشباح أصولا هي التماثيل والمواليد الثلاثة ونحوها وكل هذه من الشمس بل نفس النار المتقدة الأصل فيها ضوء الشمس إذ لولاها لم تكن ويفهمهم الفصول الأربعة والسنين وكل شيء وهناك يكون أصل هذه المغارة طوائف ثلاثة : مصدقون ومكذبون وشاكون متحيرين . وهذا كله مثل حالنا نحن فإن المغارة هي عالمنا المحسوس والنار ضوء الشمس والذي خرج من بين أهل المغارة هي نفس الفيلسوف مثلا إذا عرف الحقائق ورجوعه ثانيا إلى أهل المغارة مثل لإرشاده لأهل بلاده وتعليمهم شفقة عليهم . فالشمس بدل النار عبر بها عن الله وضوءها بدل ضوء النار عبر به عن إفاضة رحمته ونفس المخلوقات حية وغير حية بدل التي سميت (المثل الأفلاطونية) وهي عوالم روحية وهذه المخلوقات صور لها ظاهرة ونحن أهل الأرض مثل لأهل المغارة والأنبياء والحكماء مثل لذلك الذي خرج من بينهم فعرف ورجع ليرشدهم .

(١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)
(١) الله	تدبيره	المثل الأفلاطونية	نحن أهل الأرض	(١) ارتقاء نفس
(٢) الشمس	الضوء	العالم المحسوس	سكان القارة	الفيلسوف وتعليمه لأمته
(٣) النار	ضوء النار	ظلاله في القارة .	تصورهم لتلك الظلال	(٢) خروج أحد سكان القارة ثم تعليمهم ثانيا
				(٣) اختلاف أهل القارة في قول عالمهم واختلاف الناس في أقوال فيلسوفهم وكل معلم لهم .

هناك تدرك النفس حقائق الأشياء وترى أن هذه العوالم آثار العالم المعاني فتوجه إلى مبدع هذا النظام ثم قال : ولا سبيل لتعليم رؤساء الجمهورية الحقائق إلا بالتعود على الرياضات البدنية والوسيقى ولا بد من امتحانهم في المخاطر والصبر عن اللذات ، وهكذا علوم الحساب والهندسة والهيئة ثم الموسيقى لتعود النفس للراية الدائمة ثم يتلو ذلك الأعمال الحربية مدة عامين أو ثلاثة ثم علوم الرياضيات كرة أخرى فإذا بلغ التلميذ (٣٥) سنة فلينتقل إلى علم معرفة الخير المحض والجواهر العقلية وهذا العلم هو الأصل وبقية الموجودات كالحيال بالنسبة له بل هو الحقيقة وكل العلوم ظنون ، وهذا يكون في خمس سنين ثم يدرسون على الأعمال الحربية وغيرها ثم تسلم لهم للدينة في سن الحسنيين اهـ .

هذا ملخص الكتاب السابع من جمهورية أفلاطون ، وهل هذا الفصل كله إلا صدى لصوت موسى « إذ قال لأهله امكثوا إني آتيت نارا على آتيتكم منها تجيب أو أجد على النار هدى » ولست أقول إن أفلاطون قرأ هذه الآية فهذا مستحيل لأنها نزلت بعده بقرون ، ولكني أقول هذا الله وكلام الله آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ، ومن الذين أوتوا العلم أفلاطون وأفلاطون ذكر أن أحد أهل القارة عرف فرجع وعلم إخوانه وهو نفسه حكاية موسى إذ رأى نارا فرجا أن تكون له مخرجا في أمر للعاش بالقبس من حيث حرارتها وأمر للماد بالهدى من حيث ضوءها ، وهذا هو ملخص الكتاب السابع لأفلاطون فهو استنتاج من النار على حائط للقارة نتائج أوصلته إلى الشمس ثم إلى الله وهذا هو نفس الهدى الذي جاء على لسان موسى إذ قال « أو أجد على النار هدى » فهذا الفيلسوف وجد على النار هدى بالبحث دله على الله والتي موسى عليه السلام نودي أن يورك من في النار ومن حولها فجاءه الهدى بطريق الوحي عند النار . اللهم إني أحمدك على العلم وأحمدك على التوفيق « اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت » اللهم إنك أنت للهم وللهم ولو تركتني وشأني في هذا التفسير لم تكن لي قدرة أن أوازن ما بين كلام أفلاطون وهذه الآيات القرآنية ولم يكن لي من العلم ما يجمع بين هذه الأمور للتبينة ظاهرا للتشاكلة حقيقة .

أيها المسلمون . كفى نوما . ها هوذا موسى عليه السلام يقول لأهله « إني آتيت نارا » وهما في ذلك الحكمة في أقطار الأرض يتعلمها الناس وهذه الجمهورية الأفلاطونية تدرس في سائر أنحاء التراب والشرق ومقالاتها في تربية الجند والجيش والتدريب يتردد صداها بين أهل أوروبا الذين تنظرون لهم نظر الإعظام

والإجلال . إذن علوم الحكمة قيس من أنوار القرآن ، إذن لتدرسوا كل حكمة وعلم . ومن قرأ هذا التفسير أو أكثره فإنه لا محالة لا يستقر له قرار ولا يكون له اضطراب إلا إذا سمى سمياً حثيثاً لرقى الأمم الإسلامية بل جميع الانسانية في الأرض . فليقل كل قارى لهذا التفسير أو نحوه لأتمته « إني آتيت ناراً لعل آيتكم منها قبس أو أجد على النار هدى » .

هذا ما خطر لي في صلاة الصبح في التاريخ المتقدم إجمالاً وكان تفصيله وقت الكتابة . انتهى الكلام على الفصل الأول في التشويق بقوله تعالى « وهل أتاك حديث موسى » .

الفصل الثاني

(في إتمام الكلام على حرارة الشمس)

معلوم أن الشمس تشع منها حرارة وضوء والحرارة تثير البخار وتثير الهواء وتثير السحاب . وهذه الإثارات الثلاثة يراد بها تنمية أعذية الحيوان والإنسان وإراحتهما وإسعادهما . فها هنا ساقى الشمس بأمر الله ماء وهو للعالم الحيواني . فلم يكن الغذاء ولم يكن الدواء ولا الروائح العطرية ولا لذائذ التدوق واللمس وجمال المبصرات آتياً من الشمس مباشرة بل اتخذ التدبير الإلهي واسطة بين الشمس وبين الحيوان والإنسان ، ولم تكن الشمس التي هي مصدر هذا كله لا تنطف عند هذا الحد ، فهي بحرارتها تحيط بحجم الحيوان كل يوم فتصبت الأحياء الثدية وهي (السكريات) بنفسها بواسطة وتفضل في الجومع المادة اللوثة (كلوروفيل) العائمة في وسط السائل الداخل في فتحات الأوراق اللآق تمد بمئات وبألوف وبملايين في الورقة الواحدة . انظره في قوله تعالى « سبحان الذي خلق الأزواج كلها » التي التي تقدم قريباً وبهذا الانحداد بين ضوء الشمس وبين تلك المادة يجتذب الورقة المادة الكربونية من الهواء وهذه المادة بها حياة الشجر وقيام هيكلها وصلاح محلها وظهور أزهارها وأثمارها وجمالها وحسنها وبهاتها . إذن الشمس تقصت الأحياء بواسطة الهواء . ولما تارة وبفسها تارة أخرى . انتهى اللطيفة السابعة .

اللطيفة الثامنة

(في قوله تعالى « سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء »)

وذلك في بيان شكل الكون وسدسه والكشف الحديث لملايين النجوم ، أما شكل الكون إجمالاً فهناك ما جاء في (القطب) وهذا نصه :

﴿ شكل الكون وعظمته ﴾

ارتأى الفيلسوف (فيثاغورس) في القرن الخامس قبل المسيح أن الأرض كرة فوضع أساس علم الكون (كوسمولوجيا) ولكنه وجد من الصعوبة هو وتلاميذه في إثبات رأيه ما نجد الآن لإثبات ما يراه علماء عصرنا في شكل الكون وعظمته . والرأى الممول عليه الآن أن الكون كرة مجوفة إذا سار النور من الطرف الواحد منها إلى الطرف الآخر ماراً بمركزها استغرق سيره مائة مليون سنة مع أنه يقطع في الثانية من الزمان (١٨٦٠٠٠) ميل والموالم كلها أي نجوم المجرة التي شمنا منها والسدام كلها عوالم مثل المجرة وهي سابعة مثلها في فراغ هذا الكون . ويظهر في بادىء الرأى أن تصور ذلك ضرب من المحال لكثرة هذه الملايين

ولكن مامن أحد يتعذر عليه أن يقابل بين حبة رمل وبين جبل كبير كجبل للقطم في مصر أو كجبل صنين في لبنان . حبة الرمل إذا كان قطرها ربع مليمتر تسهل رؤيتها ويسهل لمسها وإذا انصت بالطعام نشربها ونحن نعضه وتتألم من احتكاكها بأسناننا ومع ذلك فندبها إلى جبل مثل جبل صنين من قاعه إلى قمته كنسبة واحد إلى نحو ألف مليون مليون مليون وإلى الأرض كلها كنسبة واحد إلى ستة ملايين مليون مليون مليون مليون مليون . وأما سدمه فهناك ماجاء في إحدى المجلات وهذا نصه :

قد يفوق السدم بعض عالمنا المجرى (١) في العظمة والزهاء . وتنبأ (هرشل) بأننا إذا بحثنا في كنه هذه السدم فإننا سنجد بعضها يختلف اختلافا بينا عن كنهه النجوم ، وقد تحققت نبوءة هرشل هذه عام ١٨٦٤ حين حلل ولیم هاجنز أطيف السدم فوجدها تختلف اختلافا بينا عن أطيف سائر النجوم ، وتدل دلالة واضحة على أن ثلث عدد السدم على الأقل من مادة غازية متخاملة ، وقد تقدم البحث في طبائع السدم تقدما كبيرا عندما بدى في استعمال طريقة التصوير الفوتوغرافي في الأرصاد الفلكية ، ففي عام ١٨٨٠ نجح هنري ديريير في الحصول على أول صورة فوتوغرافية للسديم الأكبر في برج الجبار ثم إن كن وروبرتس حصلوا في عام ١٨٨٨ لأول مرة على صورة ظاهر فيها النظام اللولبي للسديم الأكبر في برج اندروميديا (انظر شكل ٧٩) بأن عرضا لوحا فوتوغرافيا لمدة ثلاث ساعات أمام منظار عاكس قطره عشرون بوصة . ويبلغ عدد السدم التي يمكن تصويرها بواسطة أحد النظارات اليوم في أنحاء السماء نحو المليون ، وتنقسم السدم بوجه عام إلى قسمين . مجرية ولا مجرية وذلك على حسب قربها أو بعدها عن العالم المجرى . والرأى السائد أن السدم اللامجرية تمثل عالمين في درجات متقاربة من أدوار تطورها . وقد سميت هذه العوالم بالجزر العالمية .

وبناء على هذا الرأى يكون هناك مئات الألوف من هذه الجزر العالمية متباعدة الواحدة عن الأخرى بما يقدر بملايين السنين الضوئية (٢) وقد قدر شدتلى قطر السديم الأكبر في برج اندروميديا بمقدار ٤٥٠٠٠ سنة ضوئية وقدر قطر السديم الرموز له بالرمز (م) بحوالى ١٥٠٠٠ سنة ضوئية . وهذه الأبعاد وإن كانت تقل عن قطر عالمنا المجرى إلا أنها كبيرة كبرا كافيا بحيث تسمح لنا باعتبار هذه السدم عوالم مستقلة كانت تقل عن قطر عالمنا المجرى إلا أنها كبيرة كبرا كافيا بحيث تسمح لنا باعتبار هذه السدم عوالم مستقلة . (انظر شكل ٨٠) .

على مصطفى مشرفة

(١) نسبة إلى نهر المجرية ، واسمه في السامية (سكة التبان) وهو مجموعة من النجوم المتكاثرة تظهر لنا عرض السماء كنه مضيء . والعالم المجرى مؤلف من المجموعة الشمسية وسائر نجوم نهر المجرية .
(٢) السنة الضوئية هي ما يقطعته الضوء من المسافة في السنة وتساوى نحو ستة ملايين للآلاف من الأميال .



(شكل ٧٩ - السديم الأكبر في برج أندروميديا) صورت يوم ١٨ سبتمبر سنة ١٩٠١ بمقرصد بركنس



(شكل ٨٠ - السديم الأكبر في برج الجبار) صورت يوم ١٩ أكتوبر سنة ١٩٠١ بمقرصد بركنس

نور العلم في أواخر هذه السورة

- (١) انحصر العلم اليوم في النور .
- (٢) ليس في الدنيا مادة محققة .
- (٣) كل ما نراه أو نسمعه أو نشمه أو ندوقه أو نلمسه إن هو إلا حركات .
- (٤) اقرأ هذا المقام فيما تقدم في (سورة النور) تحت عنوان (قطرة ماء) عند آية «الله نور السموات والأرض» الخ فهناك تجد القدرات المائة ترجع إلى الكهرباء السالبة والكهرباء الموجبة التي يجرى أولها حول ثنائيا ستة آلاف مليون مليون في الثانية الواحدة .
- (٥) فإن نقص عدد الحركات كانت للظواهر غير ذلك كان محس بها نورا وهو ينحصر في عدد بين (٤٠٠) و ٧٠٠ مليون مليون مرة في الثانية فأدناها لون الحمرة وأعلاها البنفسجي .
- (٦) وإن زادت سرعة الحركات عما تقدم في الحال الرابعة كان عندنا ما نشمه وندوقه ونلمسه من اللواد كالحديد والنحاس وما أشبه ذلك .
- (٧) إذن العالم الذي نعيش فيه حركات والحركات بتنوعها صارت كهرباء ونورا وماء وحديدا وورصاصا
- (٨) وهذه المظاهر التي أحدثتها الحركة بحفظها نظام بديع جميل يختلف باختلافها .
- (٩) خذ لك مثلا عرف علماء القرن التاسع عشر في النصف الأول منه أن كل عنصر من العناصر الكيميائية لن يدخل في تركيب مادة إلا بنسبة خاصة لا يتعداها هي ومضاعفاتها ويسمى ذلك عندم (قانون النسب المضاعفة) وقد تقدم بعضه في (سورة البقرة) عند آية «وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى» فالألكسوجين له رقم (١٦) وللكربون رقم (١٢) فإن يدخل الألكسوجين مع الكربون إلا على هذا العدد أو مضاعفاته كما أن الجرثومة الأولى التي يتكون منها الحيوان والنبات تسير على طريقة المضاعفة أيضا (١-٢-٤-٨-١٦-٣٢) وهكذا ، اقرأ هذا المقام في (سورة مريم) إذ ترى هناك أن هذه العوالم كلها عند تركيبها تسير على طريقة المضاعفات في رقعة الشطرنج . جسم الإنسان والحيوان والنبات لا يتعدى نظرية الفيلسوف (صه بن داهر) الحكيم الهندي الذي طلب من الملك أن يمنحه حبات بر تتكون بحسب المضاعفات المبدوءة بعدد (١-٢-٤) النتهية بعدد (٦٤) وقد ظهر هناك أن القمح للزروع في الأرض كلها سنين وسنين لا يبلغ مبلغه . أقول : نظير هذه للسألة التاريخية جميع مركبات الأجسام الحيوانية والنباتية . فالسألة التي ذكرناها هنا وهي تركيب الألكسوجين مع الكربون على هذا النمط تسير هي وغيرها فيكون التركيب فيهما (٣٢) من الألكسوجين مع (١٢) من الكربون أو (١٦) من الأول مع (٢٤) من الآخر وهكذا ، والقدرات التي حسبها أولئك العلماء في القرن الماضي وبنوا عليها ما تقدم وعلى رأسهم (دلتن) وظنوا أنها لن تنجزأ بعد ذلك أصبحت في قرننا هذا مجزأة بحيث إن أخف ذرة من تلك القدرات تحلل إلى (١٠٥٠) جزءا بسمونه (الكترون) وهل هذا الالكترتون إلا نقطة كهربائية ، إذن الدنيا كلها تقط كهربائية كالتي تقدم في (قطرة الماء) في (سورة النور) ومن هذا الباب عرف العلماء اليوم أن العناصر التي كشفوها وهي نحو (٧٠) ليست ثابتة فكل عنصر منها يمكن أن يحول إلى غيره مثل ما وجدوا أن الراديوم استخرج منه عنصر الهليون وعنصر الرصاص المعلوم الذي تصنع منه الأنابيب .
- (١٠) الأستاذ (السيرار نست رذرفرد) الأستاذ بجامعة كامبردج حول عنصر الأوزون وهو (غاز) طبعا يكون $\frac{1}{2}$ الهواء الجوي إلى عنصر الأيدروجين الذي هو أحد عنصرى الماء وقد حصل على الأيدروجين من العناصر الآتية وهي : (البور ، الفلور ، الصوديوم ، الألومنيوم ، الفسفور) .

(١١) إذن لا حواجز تحجز المواد أن يتقلب بعضها إلى بعض وثبت ثبوتنا لاريب فيه لعلماء عصرنا أن العالم كله تقط كهربائية ، إذن نحن اليوم جميعا في مواد نارية ولكنها ماطفة بهذه المظاهر ولم يعرف الناس ذلك إلا بالتحليل الذى تشير له حروف أوائل السور ومنها الياء والسين ، ومن نتائجهما أن الشجر الأخضر اتقد نارا ، فإذا كان السكون كله نارا والشجر الأخضر المذكور في الآية ضرب مثل له كله ، فلنعجب إذن من القرآن وعلومه التى تنطبق كل الانطباق على مباحث علماء العصر الحاضر . فعلماء عصرنا يقولون كما سمعته الآن أن الثورات الكهربائية ركبت منها حواسنا هذه المظاهر كلها والقرآن يحلل الحروف في أوائل السور ويذكر أن الشجر الكثيف الجسم حول إلى نار بالاحتكاك . ثم انتقل إلى المقصود إلى ما هو أدق فقال : «انما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون» .

إن الإنسان إذا نطق فلامنى لفظه إلا حركات في الهواء إن نقصت عن (٣٢) حركة في الثانية لم نسمعها وإن زادت عن (٣٢) ألف حركة في الثانية لم نسمعها كما أن الحركات في الأثير إن نقصت عن (٤٠٠) مليون مليون لم نرها وإن زادت عن (٧٠٠) مليون مليون لم نرها . إذن لاصوت ولا حرارة إلا بحركات ذات عدد مخصوص فلا فرق إذن بين كلامنا وبين ضوء الكواكب وغيرها في أنها كلها حركات . فكما أن نطقنا بالكلام توجد به عوامل الكلام هكذا تحريك الله للأثير بصدورنه الأنوار وجميع المواد . إذن الوجود كله أمر أشبه بالمعنوى تنوعت مظاهره . لذلك ختم السورة بالحقيقة فقال تعالى . « فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ » ذلك لأنها كلها أمور جعلت مظاهر له هو وإلا فهى لا شئ .

يا عجبنا : اتفق العلم والقرآن اليوم اتفاقا بديعا ، ومن أعجب العجب أن تكون الآراء العلمية التى نحفظها عقولنا ماهى إلا حركات فكرية . إذن الأجسام كلها حركات نارية والمعانى كلها حركات فكرية قائمات بقولنا . فكما أن الحركات القائمة بالأثير كونت ماسميناه مادة بحسب المظاهر هكذا الحركات القائمة بقولنا كونت ماسميناه علما ، ونحن إلى الآن لم نعرف ماهو الأثير الذى جرت فيه هذه الحركات الظاهرية ولا ماهى أرواحنا التى جرت فيها الحركات التى سميناها علوما .

فيا ليت شعرى هل يعرف الناس بعدنا سر هذه الروح وسر هذا الأثير ولكننا نكتفى الآن بهذه الكلمة « بيده ملكوت كل شئ » ولما كانت النتيجة من هذا الوجود إنما هى الأرواح التى تربى فيه بالعلم والأخلاق ختم السورة بقوله « وإليه ترجعون » وأرواحكم تحمل علما وأخلاقا وعلى مقتضاهما تكون درجاتكم . إذن الحركات التى بها ظهرت للمادة نتيجتها الأخيرة الحركات التى سميناها علما وهى التى بها تعلو العوالم الروحية « وإن إلى ربك المنتهى » كتب فى صيغة يوم الأحد ٢٩ يونيو سنة ١٩٣٠ م .

﴿ تذكرة ﴾

قد كنت كتبت جملة مختصرة من أقوال أفلاطون قريبا وهى من تلخيص العلامة (سنلانه) التليانى ولما اطلمت عليها كاملة فى نفس الكتاب المنشور حديثا فرحت بنعمة العلم وكتبتها تامة مفصلة والتفصيل بحسن حمد الإجمال والحمد لله رب العالمين .

تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء السابع عشر من كتاب (الجواهر)

فى تفسير القرآن الكريم

وبليه :

الجزء الثامن عشر وأوله

تفسير سورة الصافات

فهرس

الجزء السابع عشر من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

- ٢ تفسير سورة سبأ .
مقدمة في مبادئ السور .
- ٤ تقسيم السورة إلى (ثلاث مقامات : المقام الأول) في تفسير البسملة وفي قوله تعالى «واللهي أوحينا إليك من الكتاب» الخ .
- ٥ كل ما يتناقله بعض رجال الصوفية من ألوهية بعض الأئمة وتصرفهم إن هو إلا ترديد لصدى صوت جهال الأمم القديمة، وهو نوع من التشيع سرى إلى متأخريهم ولم يكن ذلك عند متقدميهم .
- ١٠ (المقام الثاني) سورة فاطر مكتوبة .
- ١٢ تفسير الآيات اللفظي من أول السورة إلى «والعمل الصالح يرفه» .
- تفسير الآيات اللفظي من قوله تعالى «والذين يمحرون السبئات» إلى آخر السورة .
- ٢٠ (المقام الثالث) في تفسير السورة مراعى فيه تقسيمها إلى (سبعة مقاصد : الأول) وصف الله بأبداع العالم الحسى والعقل (الثاني) التذكير بالنعم (الثالث) تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم (الرابع) نداء عام للناس أن يتخلوا عن الرذائل الخ (الخامس) صرب الأمثال لما سلف من القسمين (السادس) تقسيم المؤمنين إلى قسمين من حيث العلم وإلى ثلاثة أقسام من حيث العمل (السابع) وصف الكأس التي يتجرعها الكافرون والتي يشربها المؤمنون وشرح ذلك كله شرحا كافيا .
- ٢٣ جوهرة في قوله تعالى «ما يفتح الله للناس من رحمة فلا يمكك لها» وتبيان الرحمة التي فتحها الله في العناصر للناس اليوم . إن الله قد صدق وعده للناس إذ قال «وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها» .
- ٢٧ للملح وفوائده .
- ٢٩ الألومنيوم وفوائده .
- ٣٠ بيان أن هذه العلوم كلها واجبة وهي فروض كفاية وضرب مثل لحال المسلمين مع ربهم بحال من قسم أرضه بين أبنائه وقد قصر أحدهم حرمه . وبيان أن هذا التفسير مق انتشر هب الملون على بكرة أديم لحوز العلوم . وبيان أن بلاد الحجاز ونجد والقرس والأفغان كلها مستقلة . فعلى كل من قرأ هذا الكتاب من أذكيائهم أن يذيع هذه الفكرة في بلاده وعلى الأغنياء أن يساعدوا بالمسال .
- ٣١ زجاج بلاس وفوائده .
- ٣٢ مسامرة في قصة «فون شوبرج» ومحبوبته «ستوستود» الأول .

٣٤ الاتحاد المادى والاتحاد المعنوى والثانى صناعى وطبيعى ، فالاتحاد المادى كاتحاد الهيدروجين مع الأوكسجين .

- ٤١ (جوهرة فى خلق الله الآيات والشمس والقمر والأرض وما عليها من نبات وحيوان الخ) .
- ٤٢ اختلاف نتائج الطعام فى أحوال الناس .
- ٤٥ ثواب الناس وعقابهم كنتائج الأغذية .
- ٤٦ وصف مناطق القطبين من حيث علم الفلك .
- الآيات التى عرفها الناس فى زماننا بسبب قوتهم الفضية .
- ٤٧ نتائج تعليم الله لنوع الانسان فى هذا الزمان .
- حديث « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير » الخ .
- ٤٨ الكلام على مصادر القوة . وعلى الضباب الصناعى وعلى النبات الذى فيه طعامه فوق الأرض وبطاطس نخمها وأن الانسان ربما يتخذ غذاءه من الجوهر الفرد فى المستقبل والشمس أصل كل ما فى الأرض فذلك كله تفسير للأحاديث .
- ٥٠ قد أظهر الكشف أن النبوغ أكثره فى الأغنياء وهذه القاعدة المشهورة .
- ٥١ آيتان فى الكشف الحديث :
- الأولى الحيوانات الدرية، الثانية حيوانات شتى فى الماء الصافى .
- ٥٢ الكلام على ما فتح الله به على الناس فى زماننا بكشف خبرات كانت خافية عليهم .
- ٥٣ رسم محطة الطيارات والبالونات فى القطب الشمالى كما تخيلها أحد المهندسين ، والكلام على الأرض فى دائرة القطب الجنوبى التى تنفع فى الانتفاع بصيد الحيتان من بحارها واستخراج المعادن .
- ٥٤ كيف تأكل نور الشمس وتتداوى به ، والكلام على المنسوجات الكيميائية .
- ٥٨ (أعجوبة البناء) ونقل الأمريكان كنيسة من مكانها إلى مكان آخر (شكل ٤) .
- ٦٠ استخراج الألماس . منظر عام للآلات التى يجلس عليها العمال القائمون بتنظيف الألماس (شكل ٥) .
- ٦١ (شكل ٦) عملية قطع الألماس .
- (شكل ٧) منظر الاختصاصى الذى يزن قطع الألماس .
- ٦٢ الجليد السخن وصنع الورق من ورق القدرة بالضغط العظيم للمساوى لضغط الماء فى البحر على عمق (٢٥٠) ميلاً تحول الفولاذ إلى مادة لينة .
- ٦٤ ساعة تبيين الزمن وأوضاع القمر وساعة تشتغل من نفسها ليلاً ونهاراً (شكل ٨) رسم ساعة تشتغل من نفسها (١٠٠٠ سنة) .
- ٦٥ اكتشاف الطيارات فى الجو . اختراع الستير بيرد . اختراع فونوغراف لتعليم اللغات .
- عجائب العلم الحديث وهى البكتريا ومعرفة الشمع وتقدم الكهرباء واحتراق الآلات فى داخلها والبناء الحديث والمعادن، وطرق حفظ المواد الغذائية بدون تعفن . والطيارات والرحلات الجوية .

٦٨ (فوائد) منها معرفة أن البرق الصاعق يتم في (٧) من ألف من الثانية وأنه يكون من الأرض والسماء معا ، وأن القوى كلها من الشمس إلا قليلا ومنها قوة الانسان المستمدة من النشا للتمد من الشمس . المتر وليمسون الأمريكى وزوجته يعيشان في غوامة في الماء وبصوران عجائب الأعشاب والقابات وأصناف السمك البديع الجليل .

٦٩ (السألة الحادية عشرة) مما فتح الله به على الناس تلك العقول الكبيرة للأطفال ، فهناك طفل في (سلوفاكيا) بحسب عمر كل إنسان ساعات ودقائق في يضع ثوان وعمره هو خمس سنين ، وفي الولايات المتحدة من عمره (٨) سنوات وهو يعرف ثمان لغات وله مؤلفات ، وطفل اسمه (هرى) في الشهر العاشر من عمره كان ينطق كل كلمة في اللغة الألمانية .

٧٠ طفل بلجيكي في الثانية من عمره يضرب عددين مكون كل منهما من خمسة أرقام بسرعة ولا يحطى بدون كتابة ، وصبي في الثانية عشرة من عمره في يرو بصارع الثيران . وفق يسمى ترك مصري ضرب أعدادا كثيرة في زمان قليل واستخرج الجذر التكعيبي وهكذا .

٧١ اللقار الثاني ما عسك الله من الرحمت مثل ما حصل من البرد في أوروبا سنة ١٩٢٩ في بريطانيا .

٧٢ في لبنان عطلت حركة التجارة وقطعت الطرق . وخسائر الجليد في العالم في كل شتاء (٢٠٠) ألف ألف دولار .

٧٣ صورة إحدى كنائس مدينة البندقية في إيطاليا تحت الجليد .

لطيفة في قوله تعالى «وأنه خلقكم من تراب» الخ ويبيان أن الآلام موقظات لمعرفة الجمال .

٧٤ شكل ٢١٠ الجهاز الهضمي فيه الفم والريء والعدة اللعابية والعدة الدرقية والقنبة الهوائية والغدة التيموسية وهكذا إلى التخرج .

٧٥ شكل ١١ شرح الجهاز الهضمي من الأهر السنة في الفم والبلعوم والريء والعدة والأمعاء الدقيقة والغلاظ والمستقيم والزائدة الدودية وهكذا شرح أوسع لتلك في تقسيم الطعام على تلك الآلات .

٧٦ شرح شكل (١٢) في المعدة وما حولها وهو (١٣) جهازا كالقناة الصفراوية والقناة البنكرياسية وهكذا . من حال إلى حال كما يرتقى التلاميذ في مدارسهم وما يق من الفضلات يخرج من مخرجه وما اصطفي من الطعام بقوى الأفضاء وينتهي إلى الخج وبصير عقلا وفكرا . ومن عجب أن تكون الغدد والآلات موزعات في الهضم على أنواع الطعام المختلفة «ذلك تقدير العزيز العليم» .

٧٨ شكل (١٤) القنبة الهوائية (شكل ١٥) الحويصلات الهوائية

شكل (١٦) النسيج الهدبي للقنبة الهوائية وأنه أشبه بالمكسنة من حيث وصفه وأنه دائما يتحرك ليخرج الفبار الداخل مع التنفس (شكل ١٧) رسم الرئتين وتفرع القنبة الهوائية فهما وهذا عجب . فهنا ما يشبه الشجر والأغصان والفروع .

٧٩ (شكل ١٨) رسم يأتى للغدد البسيطة والأنبوية والمنقودية . ويبيان أن هذا الدم أيضا يحتاج إلى آلات ومصانع ليبنى بها هذا الجسم كالغدة الصنوبرية لتحفظ التوازن في نظام الجسم ونمو الشعر ، وعدم

- طول العظام بغير نظام ، ومثلها الغدة النخامية وتزيد على ذلك أنها لها صلة بأعضاء التناسل وحفظ الدم ودقات القلب ومثل غدة نغز الماء اللامحى في العين ، وهكذا من الغدة الدرقية وجاراتها وهذه الأخيرة إذا أزيلت حصل التشنج . والبنكرياس تساعد الكبد في تلطيف بعض المواد والكبد يفرز الصفراء .
- ٨١ الغدتان فوق السكيتين (شكل ١٩) .
- ٨٢ أعصاب الحس وأعصاب الحركة . الهيكل العصبي للإنسان (شكل ٢٠) .
- ٨٣ (شكل ٢١) رسم اللغ ، والحبل الشوكي يتقل الإشارات بين اللغ وأطراف الجسم ، وهناك ١٢ زوجا عصبيا في مناطق الرأس للحواس موصلات منها إلى القوة العاقلة ، وفي الحبل الشوكي تقوب بين الفقرات يمر بها أعصاب تبلغ ٣١ زوجا موزعات على جانبي الجسم من الجانبين ، كل هذه للحركات الإرادية .
- ٨٤ وهناك الجهاز العصبي الاشتراكي فيه العقد الشوكية (شكل ٢٢) وفيه عقد عصبية على جانبي العمود الفقري توزع في الغدد اللعابية والثديين وفي كل ما لاسلطان لنا عليه .
- ٨٦ (تذييل لهذا المقام) قراء هذا التفسير يشهدون بالحق لأنهم شاهدوا نفس الأعضاء وقد يقرأ عالم التشريح هذا وهو غافل عن حكمه كما يفعل الفلاح الذي يحافظ على الزرع عن حقايقه فمؤلا غافلون لم يشهدوا بالحق وهو قوله تعالى «وإذ أخذ ربك من بنى آدم » اللغ وقوله «شهادته أنه لا إله إلا هو» اللغ .
- ٨٨ مسامرة في نظام الإنسان وجماله . إيضاح نظرية المحبة .
- ٩٢ (لطيفة في بلدة المرج) جندي راكب يقبض على الفلاحين لأجل قتل الجراد الآكل للزرع فالجراد وباء يهلك البلاد ، إذن الانحدار لا بد منه لاتقاء الأخطار . مبدأ الأمور كلها الجوع وهو يستلزم الطعام والأمم كلها يجب أن تتعاون لجلب النفعة ودفع الضرر . إذن جسم الانسان أشبه بعلم الفلسفة يجمع العلوم كلها أو كالقرآن .
- تعجب المؤلف من خلق الجراد وخلق آفته وهو مكروب يعطى لواحد منها فيسرى الطاعون فيها كلها
- ٩٤ (لطيفة) في قوله تعالى «وما يستوى البحران» وفيها فصلان :
- الفصل الأول في بعض عجائب البحر .
- ٩٥ الفصل الثاني في الفلك اللواخر في البحر .
- ٩٧ البرق السلكي والبرق غير السلكي .
- ١٠٠ لطيفة في قوله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء » اللغ وهاهنا يشير المؤلف إلى ما كتبه في (سورة الكهف) مما نقله هناك أن علم الألوان اليوم لا يزال في المهدي ولكن الذي علناه منه يورث اليقين بالنهاية الخاصة كما يشاهد في حمار الحبشة للرسم هناك وفي أبي دقيق الطائوسي .
- ١٠٤ رسم شجرة ذات جدائل (شكل ٢٣) .
- ١٠٤ صورة شجرة عجيبة في شمال (كاليفورنيا) يقصدها السائحون من كل فج عميق (شكل ٢٤) .
- ١٠٥ شجرة يسمونها ناطحة السحاب (شكل ٢٥) في برمين في ألمانيا عمرها ٩٠ سنة ارتفاعها ٢٥ مترا شجرة بالولايات المتحدة تسمى شجرة الفيل كأنها رأس فيل رفع خرطومها (شكل ٢٦) .
- (الجوهرية الثانية) فيما جاء في علم الحيوان حديثنا وأن الحيوانات العلومة نحو نصف مليون نوع ومن هذه الأنواع ماتطير وطيراتها على قسمين : قسم بطير بمخفقان الأجنحة أعلى وأسفل كما هو مشاهد ،

- وقسم يطير بالقفزات مثل بعض أنواع السمك الطيار والسحالي الطائرة والسنجاب الطائر .
- ١٠٧ (شكل ٢٧) و(شكل ٢٨) الوطاويط أثناء نومها وهي تحمل صغارها .
 (شكل ٢٩) وطوايط طول جناحيه خمسة أقدام. الكلام على ريش الطيور . ويان أن ذكور الطيور هي التي تزين بالريش الباهر الزاهي والإناث لا يهتمن بالزينة خيفة أن تظهر للحيوانات المفترسة لها وهي تحضن بيضها فتأكلها ، وجوارح الطير لازينة لها لتلا ترفها فريستها فنفر منها .
- ١٠٨ (شكل ٣٠) ها هنا (٢٤) نوعا من الريش المختلف الأشكال كالعقاب وعصفور الجنة والعصفور الطنان .
 (شكل ٣١) وفيه (١٨) شكلا من أشكال الحيوانات المائية المذكورة مثل ماهو كالتنديل الذي يشبه اللبلة . وما هو كالبلون وما هو فناءك وماله أعضاء منيرة وما هو كالحروف وهكذا الطائر اللسبي النساف علاقته مع أثناءه في غاية العجب إذ تستقر هي في جوف الشجرة ويساعدها هو بالتذاء إلى أن تربي أفرانها ويطرن .
- ١٠٩ الكلام على حيوانات قاع البحار التي عليها صمغ عظيم كما تقدم فذلك كان لها قاسيا لا يؤكل ولها ضوء يقوم مقام ضوء الشمس الذي حرمته .
 (شكل ٣٢) صورة ذكر النساف خارج باب العنق ومنقار أثناء متمد من الداخل .
 جمال العلم والبهجة واستطراد بذكر أمر نباتي وهو صنع الورق من اللدة وأمر حيواني وهو الجراد الذي هجم على مصر وماحولها من البلاد في هذه الأيام .
- ١١٣ (شكل ٣٤) في كيفية وضع بيض الجراد .
- ١١٥ آية من آيات الجراد وهي الأحوال السياسية .
- ١١٧ (الأمر الثالث) الإصلاح الديني بسبب الجراد .
- ١١٨ بهجة هذه الآيات من قوله تعالى « ألم تر أن الله » إلى قوله « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .
- ١٢٠ مثال حب العلم الذي أثبتنا أنه أعلى من سابقه .
- ١٢٣ يان أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم ، وأنه لا يتصور أن يؤثر عليها لغة أخرى إلا من حرم تلك اللغة .
- ١٢٦ ومق انتهى صفاء قلبه أحسن بلغة لقاء الله في هذه الحياة . وها هنا ذكر لغة الصبيان والشبان ثم الحكماء وشرحها شرحا كافيا .
- ١٢٧ بهجة عليية في الحب والقرام .
- ١٢٨ بهجة الجمال ليلة ١٤ من شهر ذي الحجة سنة ١٣٤٨ هـ وما حصل للمؤلف منها .
- ١٢٩ جوهرية في قوله تعالى « أو لم نعمركم » الخ ويان أن الأطباء يقولون : « إن الإنسان يعيش مائتي سنة بالقياس إلى الحيوان إذ يعيش ثمانية أمثال مدة نموه ومدة نمو الإنسان (٢٥) سنة وأن الأطباء أجمعوا على أن ترك الشهوات والتنعيم وتقليل الغذاء وإطالة المضغ تطيل الحياة ، وهذا تقرؤه في سورة طه في آخرها وفي أوائل الحجر وفي سورة الأعراف عند ذكر الإسراف وفي البقرة عند آية « وإذا استسقى موسى » الخ وفي سورة الشعراء عند ذكر قصة إبراهيم .

- ١٢٩ تذكر المؤلف في مدة حياته امتثالا لهذه الآية .
حب الذكور للاناث .
- ١٣٦ (سورة يس) وذكر أنها أربعة فصول : البسملة . تفسير الألفاظ . وتلخيصها ، والمجانب العلمية (الفصل الأول) في تفسير البسملة . وذكر أن اليوم شروق وضوى وزوال وعصر : والسنة ربيع وصيف وخريف وشتاء . والانسان سبي وشاب وكهل وشيخ .
- ١٣٩ (الفصل الثاني) سورة يس إلى آخرها .
- ١٤٨ تفسيرها تفسيراً لفظياً .
- (الفصل الثالث) في ذكر ما كنت فسرتهما به منذ سنين وأنها ثمان مقاصد : أن النبي حق ، وأن للتدبرين صفان الخ وآخر المقاصد ثلاثة فصول . قدرته على مسحهم ، والانتفاع بالأنعام ، وإثبات البعث بأمر يمانونها كما ختم السورة السابقة بجوهرتين وياقوتتين .
- ١٤٩ (المقصد الأول) يس الخ .
(المقصد الثاني) «لتنذر قوما» الخ .
- ١٥٠ (المقصد الثالث) «إنا نحن نحيي الموتى» إلى «إمام مبین» .
(المقصد الرابع) «واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية» إلى «محضرون» .
(المقصد الخامس) «وآية لهم» إلى «يسبحون» .
- ١٥٢ (المقصد السادس) «وإذا قيل لهم» إلى «ألم عهد إليكم يا بني آدم» الخ .
(المقصد السابع) «وامتازوا اليوم» ويدخل معه الثامن بفصوله الثلاثة .
آيات العلوم في هذه السورة ، وآيات الأخلاق ، وآيات الأحكام .
- ١٥٤ (الفصل الرابع) في عجائب العلوم التي تشير لها هذه السورة . الياء والسين حرفان إما بمعنى بإنسان في لغة طيء أو يا محمد ، وفي سورة (آل عمران) إن الحروف تشير لتحليل الكلمات والعالم للشاهد ليس فيه إلا الحروف والعناصر فالأولى منها الكلمات والثانية منها هذه العوالم .
الكلام على قوله تعالى «الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا» .
- ١٥٥ علوم الآفاق في مستقبل الزمان في بلاد الإسلام .
- ١٥٦ محاوره بين المؤلف وبين أحد العلماء وإيضاح الظواهر الكيميائية والطبيعية وأن إتقان النار في الشجر من علم الكيمياء .
- ١٦٠ الكلام على الصودا والبوتاسا للشمطين على الصوديوم وعلى البوتاسيوم وأنها داخلتان في شعر القطن وغيره من المواد المذكورة بالباقية (١٣) مادة بنسب مختلفة وشرح كل منهما وأنها مادتان ناريتان دخلتا في أجسامنا وفي أشجارنا .
- ١٦١ البارود مركب من الفحم والكبريت وملح البارود ، ويختلف تركيبه باختلاف الدول . وخطاب المؤلف للمسلمين يقول لهم : (الشجر اتقاد نارا ولكن الصوديوم والبوتاسيوم اتقادا نارا في الماء . فهما أعجب من اتقاد النار من للريح والنفار . فهذا اتقاد في ماء وذاك في شجر) . ثم تلخيص المقام في خمسة أمور
- ١٦١ (فائدة) في ذكر المركبات التي تكون منها النيران الخضراء والحراء والبنفسجية . والكلام على

ملح الطعام وأنه مركب من الكالسيوم الذى يحدث السعال ويسبب الأغشية ويميت ، ومن الصوديوم الذى يتقد نازلاً في الماء ، وبضع فوائد له . ويدخل في الكالسيوم المركب الذى يسمى بالماء للسكر الذى يذوب البلاتين والذهب .

١٦٢. الكلام على بعض العلوم للرموز لها بالياء والسين ، إننا لم نسمع العربى يقول : « يس قفا نيك الخ »
١٦٤ لطائف هذه السورة .

١٦٥ اللطيفة الأولى : في هذه اللطيفة (فصلان : الفصل الأول) في قوله تعالى « يا ليت قومي يعلمون » وذكر حكاية من كتاب (إخوان الصفاء) إذ ذكروا أن جماعة نزلوا سفينة فكسرت المركب فوصلوا إلى جزيرة فيها قرود فأنسوا بها وتزوج الشبان منهم وولدوا ثم تذكروا بلادهم فصنعوا سفينة وبيناهم كذلك إذ انقض طائر على أحدهم فاخطفه ورده إلى منزله فهم يبكون عليه وهو يقول يا ليت قومي الخ .

١٦٦ (الفصل الثانى) في معنى « يا حشرة على العباد » وإحالة الأذكيا على المذكور في معنى الاستهزاء في (سورة التوبة) .

١٦٧ (اللطيفة الثانية) في غمر الأرض وتقصها المستمر والكلام على الراديو وعلى مدة عمر الأرض .
(اللطيفة الثالثة) « والشمس تجري لمستقر لها » والوازنة بين سرعة النور والقبلة وسرعة الأرض وسرعة الطائرة الفرنسية والأمريكية والمائة والأونومويل والرجل في مشيه والحلزون وغوا الشجرة .
١٦٨ ركوب الريح أو الطيران خمسة أميال في الدقيقة ، إن الطيارين يؤملون أن يطيروا (٦٠٠) ميل في الساعة الخ (شكل ٣٥) فيه صور الزورق والقطار الكهربائى وهكذا .

١٦٩ (شكل ٣٦) بيان لأسرع الأشياء ، هل بلغ الإنسان أقصى سرعته في البر والبحر ؟ أسرع قطار بحرى ٦٨ ميلا في الساعة ، وأسرع قارب ٩٣ ميلا ، وأسرع سيارة ٢٣٢ ميلا في الساعة ، وأسرع طائرة ٦٩٣ ميلا في الساعة ، ويظن أن السرعة ستبلغ ٥٠٠ ميل في الساعة إلى ألف وهو مبالغة . وقد كشفوا ذبابة سرعتها ٨١٥ ميلا في الساعة أو ٣٦٠ مترا في الثانية . والعلم يحكم أن الانسان لا يستطيع أن يقود سيارة بحرى ٣٠٠ ميل في الساعة لأن سرعة أعصابه في توصيل الإحساس أقل من ذلك .

١٧١ علم الفلك ودراسة الفلك فيها وراء البحار .

١٧٣ (شكل ٣٧) خريطة البلاد التى نشأت فيها حضارة المايا وازدهرت وقد عرفوا السنة الشمسية والقمرية والشهر القمري بالدقة والتقويم البيوليانى ليس أفضل من تقويم المايا كثيرا فتقويمهم متفالأني سنة لا يبلغ الخطأ فيه أكثر من يوم في ٣٣٢٣ سنة والتقويم القمري لا يزيد الخطأ فيه عن يوم واحد في ٣٠٠ سنة وعرفوا دوران الزهرة والريخ والمشمري وزحل وعطارد ، وتقويم الزهرة جعلوه ضابطا لتقويم الشمس والقمر وقد استنبطوا الصفر في الحساب قبل أهل الهند بألف سنة وأهل الهند لم يستنبطوه إلا في القرن السادس أو السابع بعد الميلاد ، إذن الأمم تتشابه في الحساب وإن لم تجتمع

١٧٥ (تذكرة للأمم الاسلام) وهاهنا تذكرة بما مر في سورة يونس في أولها من مسود مرسومة فلكية وروج وعجائب الأهرام ونسبة ارتفاعه ومحيطه إلى محيط مدار الأرض حول الشمس ، وكيف كان

- أس القنطار والأردب والمساحة الخ وكيف رسم ذلك على صناديق اللوتى . وكيف حظى أموات المصريين بهذا العلم وجهه أحياء وأحياء أمة الإسلام الخ .
- ١٧٨ عجائب الحرارة والضوء في قوله تعالى « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار » الخ . وفيه بيان أن أمواج النور من (٤٠٠) إلى (٧٠٠) مليون مليون في الثانية . فهذه الموجات تسليخ من الليل هكذا الأكسوجين يسليخ من الأودروجين وهذا يتعد بالأوزوت فيكون النوشادر ، فالأودروجين بطريق الكيمياء انسلخ من الأكسوجين وانحد بالأوزوت فكان له في كل موطن حكم . إن الناس اليوم يريدون أن يسليخوا الحرارة من الضوء فترجع كلها ضوءا وهناك شمس لحرارة لها مثل مايتخيها الناس الآن هنا في الأرض .
- ١٧٩ (الكشف الحديث في الحرارة والضوء) وعظمة الأجرام السماوية .
- ١٨١ بهجة العلم في البصرات والسموعات من حيث التلك والموسيقى والشعر وغناء الأطيوار وعملى في الحقل
- ١٨٤ (بهجة البدر) إتماما لما تقدم في سورة فاطر، إذ خيل لي أنه يخاطبني قائلا : (إن أناسا سيفقون موقفك هذا ويمتنحون نفوسهم هل أحسوا في أنفسهم ما أحسسته أنت . ويرون أن الجوزاء مقدار الشمس (٢٥) مليون مرة والسكواكب كثيرة العدد فكيف اختصت أرضنا بأن الله له فيها ولد وحدها
- ١٨٤ منظر التخلات اللاتي كالقبايب الحضر وهي أشبه بالراقصات والنجوم تلمع من خلالها ومنظر النجوم الباسمات للحكماء مرسلات من الحضرة القدسية ليرفعن نفوس أقوام في الأرض ليصيروا في اللا الأعلى والوازنة بينهن في تبسمهن للحكماء وبين تبسم العشوق للماشوق فيتبه هذا بذلك .
- ١٨٦ علاقة النظام السياسى بالنجوم والحساب والمهندسة والتجربن العضلى والموسيقى . في جمهورية أفلاطون أن اليقين لا يكون إلا بالمقل ولا بد من معرفة صورة الخير الجوهرية (الله) وفي طريق الفيلسوف عقبتان : عقبة في أيام التعلم . وعقبة أيام تعليمه الناس .
- ١٩١ علم الشعر أرجه الخليل بن أحمد إلى خمس دوائر اشتملت على (١٥) بحرا من الشعر وهي كدواز الفلك التي شرحت هنا شرحا كافيا .
- ١٩٢ شواهد بحور الشعر وأوزانها مختصرة .
- ١٩٦ الكوكب السيار الجديد .
- أشكال القمر الثمانية وشرحها .
- ١٩٩ (الكلام على حساب الشهور القمرية) وذلك من كتاب (صبح الأعشى) .
- جداول لمعرفة حساب السنين .
- ٢٠٤ الجدول الأول .
- ٢٠٥ الجدول الثانى الذى فيه القصورود .
- ٢٠٦ العلم أعلى السعادة فانه أظهر لنا أن حساب الفلك والعروض ونعمات الطيور كلها من واد واحد الخ (بهجة العلوم) وأن أصحاب العلوم ثلاث درجات : قوم وقفوا عند الظواهر . وآخرون رجحوا إلى الحقائق . وآخرون صعدوا إلى ماوراء ذلك .
- ٢٠٧ وهل أنك نبا الحساب في الشعر وأنه نسب عجيبة هندسية بحيث أننا إذا نسبنا ربع بيت من بحر الطويل مثلا إلى البيت كله كانت هكذا نسبة ٧ إلى ٥ كنسبة ٢٨ إلى ٢٠ وضرب ٥ في ٢٨ يساوى ضرب

- ٢٠ في ٧ وهكذا بقية البحور والنسب : وإذا نظرنا إلى العلوم الطبيعية وجدنا نفس هذا الحساب في العناصر الداخلة في اللوالب وتزيد تلك اللوالب بجانب أهدع من هذه مثل إن التيسيوم والحديد والجر والكبريت ، أولها يقوى العضل ويمنع الفتق ، وثانيها يجعل الدم أحمر ويمنع فقر الدم ، وثالثها يقوى العظم ويشفي الجروح ، ورابعها ينظف الدم ويمنع الروماتزم ، ولقد فرقت على المناهج فكانت هذه الأربع مجموعة في الطماطم والسبانخ ومفرقة في غيرها ، وتزيد السبانخ منافع أخرى.
- ٢٠٨ (اللطيفة الخامسة) في آية « سبحان الذي خلق الأزواج كلها » الخ ، ويان أن للسادة ليست شيئا سوى حركات أحدثت أضواء فتراكت بحسب مانعس به فسبحناها أرضين وسهوات وغيرها :
- ٢١٢ ورقة جافة وورقة تظهر الهيكل الأصلي ، ثم انظر قطعة من ظاهر الورقة تظهر فتحاتها وأخرى مقطوعة عرضا (شكل ٥١ و ٥٢)
- شرح وكيفية الورق للوجود في شكل (٥٢ و ٥١).
- ٢١٦ خطاب الورقة للسلمين تقول لهم : (إن الناس لما فهموا مصايح اديسون عظموه. أما الناس فاتهم جهلوا مصايح الله لأنها تعجز جميع الناس أن يصنعوا مثلها
- ٢١٨ ومن عجائب خلق الأزواج كلها النعامة والنورلا وعجل السكودو والريها وآكل النمل والنمل الضعيف قاتل الحية وشامليون عجيب وحك الفردوس ، وكيف يتفقدوه ييض الأثني ، وكيف يرقد هو على ذلك البيض بدل الأثني التي تريد أكله لا تنزع الرحمة من قلبها، وكيف امتحن العلماء كلبا في جامعة كلومبيا واختلاف رءوس الحيوان كما هو مبين الأشكال من (شكل ٥٣ إلى ٧٤) .
- ٢٢٦ (اللطيفة السادسة) في قوله تعالى « وتكلمنا أيديهم » الخ وقصة الفتى (ناروكاوايسق) مع فتاة يابانية .
- ٢٢٩ حوادث النطق بلا لسان رواها قوم ، فهناك فتاة في انكلترا قطع لسانها فصارت تنطق بغيره وبعض الشريرين قطع لسانه فصار يعط الناس بلا لسان
- تذكرة في آية « ومن نعمه ننكسه في الخلق » ويان أن تنكيس الخلق الذي يكون في هذه الأيام سببه جهل الناس بالصحة .
- ٢٣١ كيف كان من الناس من عاش مائتي سنة في زماننا وهو زنجي ، وجون بافر البولندي عاش ١٧٥ سنة وهنري جنكسن الانجليزي عاش ١٦٩ سنة وهكذا فهذا شبه دليل لقابلية الناس لطول الحياة التي يريدونها (فورونوف) ويقول نابليون : (إن الأدوية لا تفيد شيئا فالحية والاستحمام بالماء الساخن نافعة ولترك البنية لصانعيها الحكيم ، فأما فتحها والبحث في داخلها فكم أهلك أناسا، وكان له الملم يعلم الطب
- ٢٣٢ وصايا طفل يخاطب والديه عن ترتيب كيفية تطورات حياته
- ٢٣٣ كلة شفيق باشا للعاصر في الحجر ومضارها
- (اللطيفة السابعة) في قوله تعالى « الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا » وهاننا رجعا إلى أصل المادة وأنها نقط ضوئية صارت في أعيننا شجرا وحجرا والبحث في ذلك
- ٢٣٤ (شكل ٧٥) لبيان أول طريقة لاختراع النار ظهرت بين سكان جزائر المحيط الهادى
- (شكل ٧٦) تضع الأرملة على جسمها وشعرها طينا وجبسا حزنا على زوجها وهكذا أسلحتهم الحجرية
- ٢٣٥ (شكل ٧٧) لتعرف الآن كيف تطورت الأحوال الاجتماعية ، وهكذا الفارس الذي هو في حاشية أحد الرؤساء هناك وملابسه كلها من ورق شجر اللوز وذلك أشبه شيء بلباس آدم وزوجه

٢٣٧ تذكرة في قوله تعالى «الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا» الخ عند صلاة الصبح خطاب لله تعالى وأن نار الصايح تشتمل على (٩٦) في المائة حرارة وعلى أربعة في المائة ضوء وأن من الناس من يريد أن يعكس الموضوع فيزيد الضوء جدا فذكرنا هذا ما علمه الناس حديثا من شموسك التي لحرارة فيها بل هي ضوء فقط بنفس الحرارة .

٢٣٧ اللهم إن شأن النار عظيم . فإن كانت حسية معتدلة كان بها خروج البخار من البحار وجرى الهواء وحمل السحاب ونمو النبات والحيوان والانسان . وإن طفت ولم تكن معتدلة أثار الأعاير وأهلك الحرث والنسل وخربت المساكن والمدن والحقول وأثارت بالأجسام الأمراض من الحمى والجدرى ونحوها .

٢٣٨ القبس فرعان وهما الحرارة والضوء الخ . وهنا تفصيل لذلك (٢٠) نوعا مثل أن الضوء معنوي وحسي والحرارة معنوية وحسية وهكذا ، وهذا التفصيل كله من أسرار ما جاء في (سورة طه) وفي (سورة الواقعة) من وصف النار بأنها متاع وأنها هدى الخ .

٢٤٠ الفصل الأول في الكلام على التشويق في «وهل أتاك حديث موسى» وبيان القبس والهداية وأن الأول إصلاح مادي والثاني إصلاح عقلي وكل نظام يرجع إلى هذين وهذا هو كل شيء .

٢٤١ آثار آية «لعل آتيتكم منها بقبس» عند فلاسفة اليونان : وأن أفلاطون ذكر النار في الفارة وجعلها مثلا للشمس والشمس رمز الله الخ .

٢٤٤ الفصل الثاني في إتمام الكلام على حرارة الشمس .

(اللطيفة الثامنة) في آية « فصبحان الذي بيده ما سكوت كل شيء .»

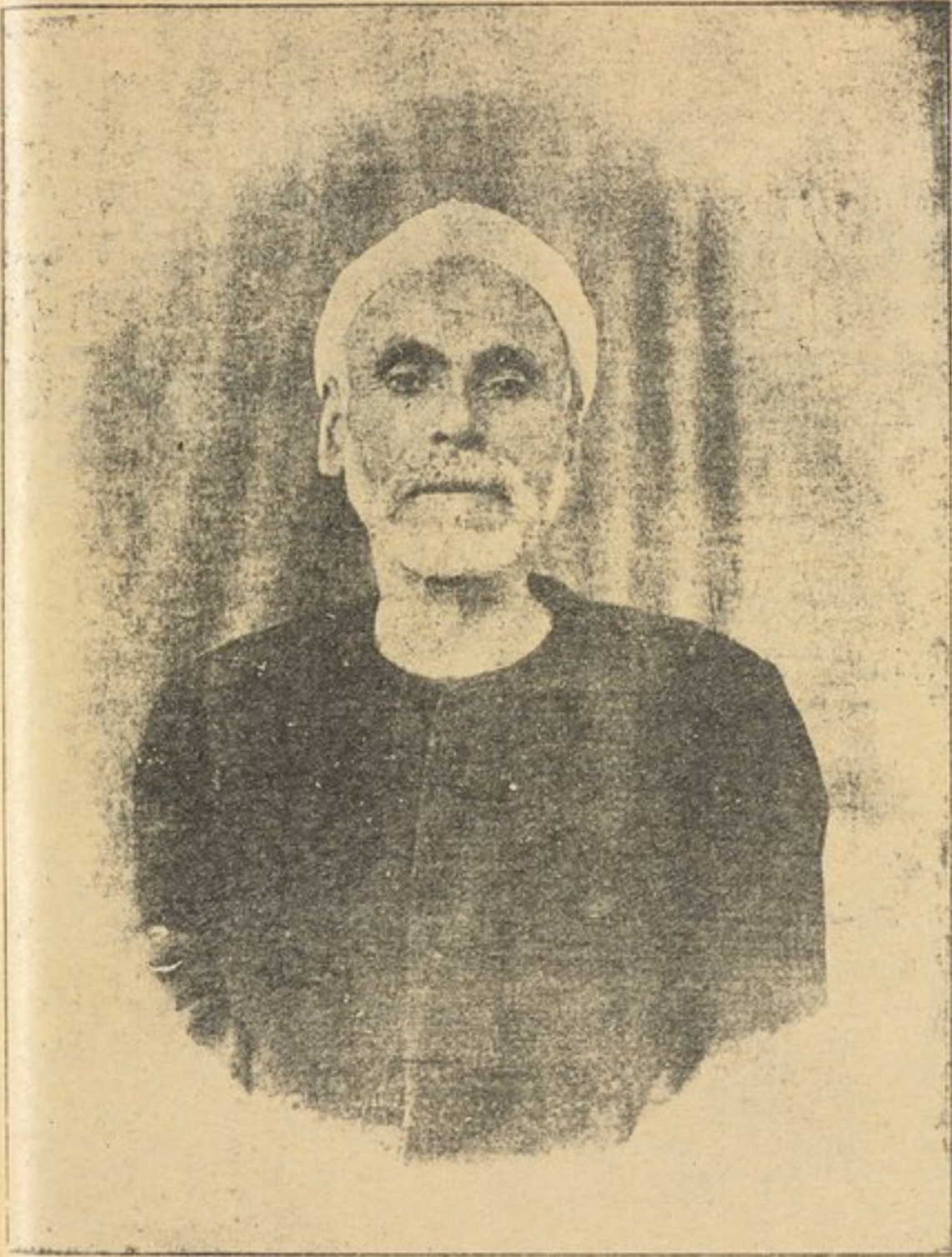
٢٤٦ (شكل ٧٩) السديم الأكبر .

السديم الأكبر في برج الجبار .

٢٤٧ نور العلم في أواخر هذه السديم .

لرغبة الكثيرين من العلماء والأدباء من قراء تفسير
الجواهر في مختلف الممالك الإسلامية واشتياقهم لشاهدة
صورة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الحكيم
(الشيخ طنطاوى جوهرى)

أجبنا ملتمسهم وصدّرنا هذا الجزء بآخر صورة
لفضيلته أدامه الله نخدمة العلم وبث المعارف
مُصِطَفَى البَابِي الحَلَبِي وَأَوْلَادُهُ بِمِصْرَ



- (١) الدين والعلم نومان .
- (٢) الدين يدرك بحاسة السمع ، ومشاهد الطبيعة تدرك بحاسة البصر ، والعقل يدبرهما .
- (٣) ومن اكتفى بحاسة السمع فهو جهول .
- (٤) إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا .

الجواهر

في تفسير القرآن الكريم

الشمس على عجائب بينع المكنون وغرائب الآيات

تأليف

الأستاذ تاج الحكيم شيخ طنطاوى جوهرى

الدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا
تتبعه المسلمين بمائة أمين

الجزء الثامن عشر

الطبعة الثانية

١٣٥٠ هـ - رقم ١٧١

حقوق الطبع محفوظة

طبع مطبعة

مصطفى الباقى الحلبي وأولاده بمصر

بمباشرة محمد عبد الرحمن

فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة الصافات (هي مكية)

(آياتها ١٨٢ - نزلت بعد الأنعام)

وفيهما « أربعة فصول : الفصل الأول » في تفسير البسملة « الفصل الثاني » في التوحيد ووصف ابداع الله في السموات وخلق الانسان وأن الله خلق ما هو أعظم منه شأنًا كما جاء في آخر (سورة يس) من قوله - أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم - فأول هذه مرتبًا بآخر تلك ارتباطًا وثيقًا ، ثم كيف جهل الانسان فأنكر البعث وما يتبع ذلك من محاوراة أهل الجنة وهم يظنون على أهل النار ثم وصف أهل الجنة ونعيمهم الخ « الفصل الثالث » في قصص نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحق وموسى وهرون والياس وهو الياسين ولوط ويونس « الفصل الرابع » دفع فرية ان الملائكة بنات الله واثبت انهم صافون مسبحون كما جاء في أول السورة لانهم بنات الله وفذلكة السورة بمدح المرسلين والسلام عليهم

﴿ الفصل الأول في تفسير البسملة ﴾

(مذكورة عن فكرتي قبيل فجر يوم الأحد ٢٤ مايسنة ١٩٣٠)

ذكرت في أمثال هذا المقام اني أنام في فصل الربيع وما بعده فوق السقف تحت النجوم إجابة لداعي المحافظة على الصحة واتناسا بالنجوم واشراقها وأنوار القمر وبهجة السماء . ففي هذا التاريخ استيقظت حوالي الساعة الثانية بعد نصف الليل ، والظلام حالك ، وأنوار النجوم متلاذات ، بهجات مشرقات ، يتخلل نورها تلك الظلمات الحالكات ، والرياح مهتاجة لها دوى وصرير وصفير على الحيطان وفي الشبايك والأبواب وفي الثقوب اللاتي تلاقى في ذلك المكان ، ولقد عجبت لهذه النفس تذكرها النسمات وتمتاجها عواصف الرياح وقواصفها

فكأنما هذه الدنيا قيثارات والرياح نواقيها أومثان ومثالك بفنون الطرب وطرف الألحان وقعتها يد الزمن
 الغزير المواهب ، الجليل الفوائد ، الباهر الحكم ، هنالك غادر الخيال حاسني السمع والبصر وأخذ يجري على سننه
 فيجوس خلال العوالم ليحظى بفنون الحكم وبدائع العلم فيما وعاء من صور جميلة مخزونة يستثيرها وحكم
 غوال يأنس بها ، فأشرقت النفس بأنواره وازدادت بلوكته ولألانه ، وأخذ العقل يجول في ميدانه وهو يقول
 « الأنوار أحاطت بالناس من كل جانب النهار والليل مشرقان زاهران ، تغرب الشمس فيظهر القمر والنجوم
 وما أرضنا إلا ذرّة واحدة طائفة في عوالم لاحدّ لنهايتها ولا آخر لمداها اللهم إلا ما افترضه المفترضون من كرات
 المجرات وشموسها وكواكبها إذ يجري النور حولها فلا يقطعها في أقل من مائة ألف مليون سنة مع العلم بأنه
 يقطع في الثانية الواحدة (١٨٦) ألف ميل أي (٣٠٠) ألف كيلو ولا يزيد جويّه حول أرضنا عن جزء من
 سبعة من الثانية الواحدة وما أبعد الفرق بين سبع الثانية وبين مائة ألف مليون سنة ، ثم ان النور يحيط
 بهذه العوالم كلها بل كلها أنوار بل المادة كلها نور قد تراكم فأظلم ولا يبره في عقولنا إلا العلم . انظره عند
 آية - الله نور السموات والأرض - في الكلام على « قطرة ماء »

الدنيا عجوز شوهاء عند الجهلاء وهي عروس لبست الحلل وحليت بحلى الماس والياقوت والدرر جميلة
 هيفاء حوراء عند الحكماء فكأنها السور الذي باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، هنالك أخذت
 أفكر في الجمال الظاهر في هذا الوجود ومنظر النجوم وأصوات الرياح تزيدان التكري وتلهبان في القلب نار
 الشوق والحكمة والعلم

يا سبحان الله : أتحبس في سجن هذه الأرض فلا تعرف ما وراءه ، أنعيش ونموت ونحن جامدون خامدون ،
 أثل هذا خلقنا ؟ نحن نرى الجمال يحيط بنا والرحات لا ندعنا ، هذه الأنوار الشمسية لو أطفئت لمات أهل
 الأرض ، النور هو الحياة ، الرحات لم تدر حشرة ولا بهيمة ولا إنسانا ، بالرحمة والرأفة والعطف رأينا للنملة
 (٤٠٠) عين (اقرأ رسالة عين النملة في سورة النمل في هذا التفسير) و ٤٠٠٠ عين للذبابة ولنغيرها أعين
 تعدد بعشرات الآلاف كما في نفس تلك الرسالة ، وإذا تعمقنا في البحار في الأماكن التي لاتصيها الأنوار
 الشمسية وجدنا لاسمك أنوارا تشع له من نفسه كما تقم في هذا الكتاب ، أينما قلبنا وجوهنا أبصرنا نوراً
 وأينما فكرنا في العوالم أدركنا رحمة ، ونحن لنا عقول تفهم الرحمة وتنظر النور ، هنالك تجسست أنواع الرحات
 نصب عينيّ وتلاّت الأنوار في الخيلة ، إذن هما زيتان : زينة ظاهرة ، وأخرى باطنة ، والزيتان قد
 تجلتا معا في « بسم الله الرحمن الرحيم »

هذه البسمة التي يقرؤها الجهلاء والعلماء وتمرّ على أكثر الناس مرور الرياح في هذه الليلة والأنوار على
 الآذان والعيون فلا يبهون لها وهم بها جاهلون ، فن عجز عن ادراك الجمال في هذه الأنوار والظلمات والرياح
 الطبابات فما أنجزه أن يدرك الرحمة في البسمة ، لا تدرك معاني هذا القرآن إلا بدراسة هذا الوجود ، ألم تر أن
 الرحمة التي ذكرت في البسمة في أول هذه السورة قد سبقت للتذكرة بما فيها من الرحات والنجائب ،
 ذكرى يصبو لها قلب الحكيم ، وعلم يهفوله فؤاد الواله للمغرم اللبيب

- (١) ألم تتركب الزينات الظاهرات في ذكر السموات والأرض والمشرق والمغرب وزينة السماء
 الدنيا بالكواكب ، باللجج أليس ماشاقتي الليلة وألح في قلب نار الشوق للحكمة والبحث هو
 نفس هذه الزينة ، ذكرت في هذه السورة للاعتمها لصفاء النفوس التي تفل في نوع هذا الانسان
 الأرضي اذا كثره محجوب عنه وهو غافل لا يستمع منادى الملاّ العلمى الأعلى لأنه أقرب الى الحيوان
 مغمور في الطين والمادة
- (٢) وكلما سنحت له ساحة أعرض وتولى وشمخ بأنفه ورجع الى بني نوعه وأخذ يقبجع بالمجادلات

ويخرج بالغبلة في مجالس الأقران ، ويسخر من الحكمة والحكمة ، ويمرض عن مناظر الآلاء ، ويهزأ بالمباحث العقلية والآراء الفلسفية

(٣) فهنا تجلت الرحمت :

(ا) أولا في ظهور الأنوار كما بيناه وفي عمومها

(ب) ثانيا في حوار القرناء إذ يلوم كل منهم الآخر بعد فوات الفرصة تقريرا للمقلدين في هذه الأرض وتذكيرا للمفكرين منهم وتبيانا لنا أن لا نعبدش محولين على أجنحة آراء غيرنا ونحن في ذلك مسخرون ، ففي الأنوار رحمة الحياة الجسمية اسكل حتى على الأرض . وفي الاعتبار بتساؤل أهل النار إذ أقبل بعضهم على بعض رحمة أخرى فهنا تكون الحياة العلمية ، فهنا رحمتان : رحمة جسمية ، ورحمة عقلية موضوعتان في السورة وضعا منظما مرتبا

(ج) وثالثا تساؤل أهل الجنة إذ قصّ فائل منهم قصصه مع قرينه وهو في الدنيا وأنه أهمل دلائله الجدلية وآراءه اللاتي كاد يفويه بها فتولى عنها معرضا وسلك سبل السعادات في الجنّات وهذه أشبه بنتائج ما قبلها من الحياة الجسمية ومبادئ الحياة العقلية فان من اعتبر بالمقلدين الضالين يحفره ذلك أن يكون هو من المفكرين العاقلين ، وهذه هي قصة هذا الانسان تدب فيه الحياة ومن أهم أسبابها الأنوار ، فاذا استوى وقوى أخذ يتفكر في شؤون هذه الحياة فتعرض له الشبهات ، وهذه هي المرتبة الثانية ، فاذا صدّ عنها ووصل الى الحقائق فقد كملت حاله في البارين . هذه هي قصة هذا الانسان أولا وآخره ، إذن لم يبق إلا تطبيق أحوال الأمم السابقة على هذه المقدمات

(د) فذكر نوحا وأنه نجا وفاز هو ومن معه وهلك أعداؤه ، فلناتزون كالتقسيم الثالث والمثلكون كالتقسيم الثاني فيما تقدم

(هـ) ومثل نوح في ذلك ابراهيم الذي نظر في النجوم المذكورة في أول السورة وهي مناط فكل العظماء وأجلهم الأنبياء مع تبيان ما أصابه من الأعداء فنصر عليهم ، وما أصابه من الابتلاء بذبح ولده وكيف رحمه الله تعالى . فهنا تجلت الرحمتان ، رحمة في دعوته للناس ، ورحمة في فداء ولده ، وكل ذلك تذكرة للمسلمين اليوم وانهم ان صبروا نجوا

(و) ومثل ابراهيم ونوح الياس ولوط ويونس . وهنا انتهى التطبيق على المقدمات الثلاث فسبر هؤلاء الأنبياء تقص علينا أبناء الرحمت الواردات على الأنبياء وانباهم بعد ما قصّ علينا

رحمت الأنوار ورحمت النجاة من قرناء السوء ثم الوقوف على الحقائق ثم تلخيص السورة كلها لما كانت السورة مبدوءة بالتقسيم باللائكة الصافين على أن الله واحد وهم أرواح لها سلطان على عالم المادة وهم باذن ربهم يدبرون الكائنات فتكون الأنوار والظلمات والحياة والألم وتبع ذلك أن الأنبياء فائزون منصورون وأن أعداءهم هالكون ختمها بافظة الكلام . أولا في الملائكة فأخذ يفند ما يفتره الكافرون عليهم من انهم بنات الله ونحو ذلك ، فلم يبق إلا ان الملائكة هم الصافون المسبحون ، كل له عمل يخصه لا يشاركه فيه سواه . وثانيا ان المرسلين منصورون والجنود الذين معهم غالبون ، ثم تلخيصا أكثر اجالا ، فهو منزّه عما يسفونه به واذن تكون ملائكته القائمون بأمره على حال غير ما وصفوها والمرسلون كتبت لهم السلامة . فلا جرم أن الهلاك لأضدادهم والحمد لله رب العالمين

ومن عجب أن ﴿سورة يس﴾ تلخصت في آخرها كما تلخصت الصافات كما تقدم . هذه هي الرحمت التي تجلت في هذه السورة تبيانا لآية (بسم الله الرحمن الرحيم) واعلم أن قوله تعالى - وسلام على المرسلين -

بينه وبين قوله تعالى - سلام قولاً من رب رحيم - صلة أن الأمان من المخاوف هو أعظم الرجحات في الدنيا والآخرة ، فمن كانت الخواطر النفسية نائرة عليه مضجرة له منهكة لقواء فلاسلام له والمرسلون لم يبق لهم في أنفسهم خواطر سوء ، لأنهم مظلومون على الرجحات الواسعات المحيطات بالناس والحيوان ولم يحجبهم عنها ما يحجب أكثر هذا الانسان من جدال وحوار وعداوات وذنوب ومطامع وكبر وعجب وما أشبه ذلك فهذه كلها حجب أسدلت على أكثر عقول هذا النوع الانساني الذي حكم عليه بالسجن في هذه الدار المملوءة جلالاً وقد صدته عن جملها الحروب والكروب وما تقتم من فواجع الدهر وقواطع الأخلاق الشائنة ، فلا يفقه أكثر الناس ولا يعقل بهجة الأنوار ولا جمال النجوم والشمس والقمر ولا هجائب الرياح وغرائبها وإنما تحمل السحب المطرات فلا يكاد الضوء ينقطع عنا بالسحاب حتى نرى آثاره بالقطرات التي أمطرها علينا فتحيا بها . ومن عجب أن الدارسين لهذه العلوم أكثرهم غافلون كأنهم جاهلون أيضاً لأنهم نظروا اليها باعتبار غايتها و منافعها المادية ولم ينظروا اليها باعتبار مبادئها من الرجحات العاتقة فضلت عقولهم وتاهت في بقاء المادة ولم تجتمع تلك الهجائب عندهم في موجود واحد منه كان صدورها حتى تفرح به قلوبهم ويشعروا بحب عظيم بل حبيب مفرق لا اجتماع له

هذا هو سر البسلة في أول السورة . فهذه العوالم إن لم تكن النفوس العالمة بها ملاحظة الرحمة المتجلية فيها المبسوطة المنشورة في كل ذرة وحشرة كما تقدم فأنهم لا يشعرون بالرحيم - ومن يعيش عن ذكر الرحمن تقيض له شيطاناً فهو له قرين - ومن لم يشعر بأن هذا الوجود إنما ظهر برحمة وعلم وأن هذه هي نتائجها فإن حياته كلها ذلة ولاسلام له لأن الأمان لمن يعلم أن روحه في يد رحيم حكيم ، فأما من يرى أن هذه الدنيا لا مدبر لها وإنما هكذا تائمه من الأزل الى الأبد فإن روحه أبداً معذبة متألمة لا يدري من أين يأتيه البلاء أمن القدر أم من المرض أم من الموت . أما الآخر فإنه يرى نفسه سعيداً لأنه يشعر بذات رحيمه تقوم بأمره ، ومثل هذا ينال الأمان في هذه الحياة وبعد الممات هذا معنى « بسم الله الرحمن الرحيم » في سورة الصافات وبهذا تم الكلام على النصل الأول في تفسير البسلة والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا • فَالْأَجْرَاتِ زُجْرًا • فَالْتَّالِيَاتِ ذِكْرًا • إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ • رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ • إِنَّا زَيْنًا أُنثِيَ زَيْنَةً الْكَوَاكِبِ • وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ
شَيْطَانٍ مَّارِدٍ • لَا يَسْمَعُونَ إِلَى اللَّامِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ • دُخُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ
إِلَّا مَن خَطِئَ الْخَطِيئَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَائِبٌ • فَاسْتَفْتِهِمْ أَهَمْ أَسَدٌ خَلَقْنَا أَمْ مِّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ
مِّنْ طِينٍ لَّازِبٍ • بَلْ نَحْيِيكَ وَيَسْخَرُونَ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ • وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ •
وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ • أَهَذَا مِثْنًا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْلَامًا أَمْ نَأْتِيكُم مِّنْ الْأَوَّلُونَ •

قُلْ نَسَمٌ وَأَنْتُمْ ذَاخِرُونَ • فَأَتَمَّتْ مِنْ زَجْرَةٍ وَاحِدَةٍ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ • وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ
 الدِّينِ • هَذَا يَوْمُ النَّصْرِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ • أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ • وَمَا كَانُوا
 يَتَّبِعُونَ • مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْتَدَوْهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ • وَقَوْمُهُمْ لِيَهُمُ مَسْتَوْلُونَ • مَا لَكُمْ لَأَنْتُمْ صَرُونَ •
 بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ • وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ • قَالُوا إِنَّا كُنْمْ كُنْتُمْ نَأْتُونَنَا عَنِ
 الْيَمِينِ • قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ • وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَآغِينَ •
 تَحْقَقْ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ • فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ • فَأَلْهَمْنَا يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ
 مُشْتَرِكُونَ • إِنَّا كَذَلِكَ نَقُولُ بِالْمُجْرِمِينَ • إِنْهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ •
 وَيَقُولُونَ آئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مِجْنُونٍ • بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ • إِنَّا كُنْمْ لَذَائِقُوا
 الْعَذَابِ الْأَلِيمِ • وَمَا تُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ • إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ • أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ
 مَعْلُومٌ • فَوَآكِهِ وَهُمْ مُكْرَمُونَ • فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ • عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ • يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ
 مِنْ مَعِينٍ • بِيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ • لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ • وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الْعُرْفِ
 عِينٌ • كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ • فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ • قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي
 قَرِينٌ • يَقُولُ أَهِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ • أَهَذَا مِثْنًا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَوْ نَأْتِيهِمْ يَوْمَئِذٍ • قَالَ هَلْ أَنْتُمْ
 مُطْلِقُونَ • فَأُطْلِعَ قَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ • قَالَ تَأْتِيهِ إِنْ كِدْتَ تُفْرِدِينَ • وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ
 مِنَ الْخَاصِرِينَ • أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ • إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ • إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ
 الْعَظِيمُ • لِيُنْزِلَ هَذَا فَيَلْعَنَ الْعَابِلُونَ • أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقْوِمِ • إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً
 لِلظَّالِمِينَ • إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ • طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤْسُ الشَّيَاطِينِ • فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ
 مِنْهَا قَائِلِينَ مِنْهَا الْبُطُونَ • ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حِمِيمٍ • ثُمَّ إِنَّ مَرْجَمَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ • إِنَّهُمْ
 أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ • وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ • وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
 فِيهِمْ مُنْذِرِينَ • فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ • إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(والصافات صفا في فالزاجرات زجرا في فلتاليات ذكرها) أقسم الله بالملائكة (١) يتمون صفوفهم في مقام العبودية في مراتبهم (٢) ويزجرون الكواكب المسخرات وهم جاريات مديريين شؤون العالم رادعين الناس عن الشر بالالهام والشياطين عن الوسوسة لهم (٣) ويتلون آيات الله على الأنبياء والأولياء ، وبالعلماء الذين يحذون حذو الملائكة صفا في العبادات وزجرا عن الجهالات وتلاوة للآيات ، وبالغزاة الحاذين حذو العلماء صفا في الجهاد وزجرا للعدو وتلاوة للكتاب ، وهذه المعاني كلها تحتلها الآية ، فكل هذه صافات وكلها زاجرات وتاليات والعطف لاختلاف الصفات لا التزاوت ، وكل وصف لاحق أرقى من سابقه ، فالصفا للعبادة كمال والمنع من الجهالة والمعاصي تكميل بالمنع من الشر والتعلم بالكتاب إضافة للخبر وهذا غاية المقام السامية من الأرواح العالية ، أقسم الله بالملائكة الذين اتصفوا بالكمال في النفس وتكامل الناس ونظام العالم وبالعلماء الذين حذوا حذوهم وبالغزاة التابعين لهم ، ولاجرم أن تناهى الصفوف وانتظام الأحوال دليل على وحدة المبدأ ، ثم أخذ يفيض بذكر صفاته في جواب القسم فقال (إن إلهكم لو احد في رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق) أي مطلع الشمس وهي (٣٦٥) مشرة لكل يوم من أيام السنة الشمسية مشرق ، فأما رب المشرقين ورب المغربين فأنما هما للصيف والشتاء . وأما رب المشرق والمغرب فهما جهة المشرق وجهة المغرب (إنا زينا السماء الدنيا) القرني منكم تأنيث الأدنى (يزينة الكواكب) بالإضافة وعدمها أي يزينة هي الكواكب من حيث جلالها ولألوانها وبهجتها وتناسب أشكالها وحسن أوضاعها لاسيما عند الخاصة الدارسين لنظامنا المفكرين في حسابنا إذ يرون أن السيارات مثلا بينها مسافات متناسبات بحيث يكون كل سيار بعده عن الشمس ضعف بعد الكوكب الذي قبله . ولن يعرف هذا إلا الدارسون المفكرون الناظرون في ملكوتنا الحاسبون الذين هم يعقلون . فلزينة إذن زينتان : زينة للعامّة والجهلاء وهذه تظهر بالعين في الليلة الليلية ، وزينة عند الخاصة وهي لا تظهر إلا للعلماء ، ولقائك أردفه بقوله (وحفظا من كل شيطان مارد) خارج عن الطاعة متمردات سواء أكان من شياطين الانس أم من شياطين الجن ، ثم بين حالهما فقال (لا يسمعون الى الملائ الأعلى) الى كلام الملائكة والكتيبة (ويقدفون) يرمون (من كل جانب) من جوانب السماء اذا قصدوا صعودها (دحورا) أي مدحورين مطرودين (ولهم عذاب) آخر (واصب) دائم شديد وهو عذاب الآخرة . يقول الله لا يسمعون الى عالم الملائكة واستثنى من احتاس من كلامهم مسارقة فقال (إلا من خطف الحطفة فأتبعه شهاب ثاقب) كوكب يثقب الجوّ بضوئه . يقول الله : « أقسم بهذه العوالم المنظمة المرتبة من ملك وكوكب ونبي وعالم ومجاهد بحيث تلاءمت وتضامت واتصلت وكانت متناسقات الوضع منظمات وهي زاجرات كزجر الملك للكوكب والمجاهد للعدو والعالم للمجاهل . ولاجرم أن الملك والنبي والمصلى والمجاهد تالون للذكر

هذه العوالم ينسب بعضها الى بعض وهي أسباب ومسببات فكأنها عالم واحد بحيث ترى وحدة منظمة للعالم علويه يفيض على سفليه وسفليه قابل من علويه فترى الشمس والقمر والكواكب مفيضات أنوارها على الأرض ولا ترى في خلق الرحمن من تفاوت بل ترى اتحادا واتلافا نظم وحدتها وجمع مفرقتها ، ولاجرم أن ذلك دلالة على وحدة الصانع وذلك برهان ذكره فيلسوف يوناني وهو أفلاطون « ان وحدة العالم دلالة على وحدة الله عز وجل » ثم أخذ يوضحه فقال : « رب السموات والأرض وما بينهما » وأتم تزويجها متصلات منتظمات ،

فأوحده فيهما ظاهرة والألفة بينهما معروفة مشاهدة »

الدنيا بيت فرشه الأرض وسقفه السماء وسراجها الكواكب فلذلك قال - وربّ المشارق - ألا وإن البيوت الرفيعة العماد كاتضاء بالأنوار تزين بالنقوش وأنواع الجلال والبهجة والصور الجميلة ، ولا يكون البيت مسعداً لأهله سارا سكانه إلا إذا أشرقت جوانبه وازدانت أركانها بأنواع الجلال والصور الحسان التي تهواها النفوس وترضاها الشرائع ، وأى سقف أجمل من السماء ؟ وأي فرش أبهج من الأرض ؟ وأي سراج أجمل من الشمس وأى زينة أبهج من النجوم فلذلك قال - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - . لانكون القصور المشيدة والبيوت الرفيعة حافلة بالسرور مأمونا على جلالها وزخرفها إلا متى حفظت من المصوص السارقين ومقتورى محاريبها فلذلك حفظ الله السماء أن يتناول لمرك جلالها واتساق ما فيها وبهجة بنايتها ومحاسن نظامها إلا الملائكة الصافون والأنبياء والعلماء المخلصون ، فأما الجهال والشرقيين فأولئك عن جلالها غافلون وهم عن آياتها معرضون ، فالسما منهنم في حصن حصين ولقد يعيش المرء ويموت وهو في غفلة عن ذلك هذا الجلال لأن السماء حرست منه ، وهل يعرف الفضل إلا ذووه ، فالعيون مفتحة ولكن أين ابصارها وهل ينال العلم إلا عاشقوه أو يبهر الجلال إلا عارفيه . ومن لم يحركه العود وأوتاره والربيع وأزهاره فهو فاسد المزاج يحتاج الى العلاج . ولقد نلوح للمرء لمحة من الجلال وتغن له ساعة وتبدوله بارقة من المحاسن فتخطف بصيرته كالشهاب الثاقب فيحرق الى مثلها ويصوب الى أختها ويتعلق قلبه بالجمال . ذلك تأويل قوله - إلامن خطف الخطفة - ولكن ظاهر القول كما هو مشهور أن الشياطين يسترقون السمع فيحترقون بالشهب وقد تحطّمهم الشهب فيعودون ليسمعوا كالسارقين من نوع الانسان والقاتلين رجاء أن لا يقعوا في قبضة الحاكمين وهذا المعنى اذا أريد كما هو المشهور فيمكن كناية وهي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز ارادة المعنى الأصلي فلنقل هذا هو المعنى وهو كناية عن المعنى المتقدم فيكون المنع الحسى رمزا للمنع العقلي والكناية من أجل أنواع البلاغة فاصطلح المعنيان وتساوبا في اليدان وأبقينا الظاهر على ظاهره وتمتع الحكيم والهدى بباطنه . ألا ترى رعاك الله أن كثيرا من الناس حولك محبوسون في هذه الأرض غائبة ابصارهم لا يسمعون الى الملا الأعلى ولا يفهمون رموز هذه الدنيا ومخاطبها وقد قذفوا من كل جانب مطرودين طردتهم شهواتهم وعمدا وانهم كبر بأذهم وحروبهم وطعمهم وشرهم عن تلك المعاني العالية . فهم مغمورون في حماهم تاهون في سكراتهم تحطفتهم من كل جانب الأهواء والشهوات وانغمسوا فيها فلا يخلصون الى ذلك الجلال ولا يفتقون ذلك السقف المنقوش . إن النجوم أشرقت بجمالها للحكاما وبهرت بمنظرها العلماء وزينت السماء للناظرين وهي من جهة أخرى أزهت الحرارة الى الأرض فأبغى الزرع ودرت الفسح والمغتنى الجمع فتلقت الشهوات وكثرت اللذات فأعمت البصائر عن النظر والعقول عن الفكر وأصبح الناس صرعى أوهاهم قلى أهوائهم مطرودين عن الحكمة ، ثم ان شياطين الجن كشياطين الإنس غاية الأمر أن الأولين ليسوا في الأجسام البشرية وأن الآخرين فيها ولكن البصيرة واحدة ومن كان في الجسم أعمى فهو اذا جرد منه أعمى فشياطين الانس وشياطين الجن كلاهما محرومون من الحكمة العالية ، ألا ترى أن الخواطر الحكمية لا ينالها في هذه الدنيا إلا أهلها ولكل أناس في الأجسام البشرية وفي الحال الروحية خواطر خاصة بهم كأنهم صفوف لا يتعدون مراتبهم فمن خطف الخطفة على أحدحالين إما أن تهديه الى الصراط السوى وأما أن تقف في طريقها الشهوات وتجبتتها اللذات والأهواء . فعلى المعنى الأول يكون الاستثناء متصلا كما قدمناه . وعلى المعنى الثاني يكون منقطعا على ما هو مشهور وكلا المعنيين حق . فكمن من الناس جاءتهم بارقة العلم فاستنابوا بها . وكمن أناس سمعوا الذكر فأعرضوا عنه وهم بجهالتهم مشغولون . ذلك تفسير هذه الآية

فقتل الناس حولك . انظر نجد هذه المعاني متجلية - ولكن أكثر الناس لا يعلمون - لقد قلّ الذين

بهرهم الجمال وذاقوا حلارة الحكمة وأكثر الناس لا يعلمون لأنهم عنها مصروفون

﴿ مثال يوضح المقام ﴾

قرأ قارئ - المال والبنون زينة الحياة الدنيا - فالآية معناها معلوم وهو أن زينة الحياة الدنيا لابقاء لها فالباقيات الصالحات خير أي أن يكون سعي الإنسان لثواب الآخرة . فهذه الآية يذهب عندها السامعون مذهبين : مذهب لفهم المعنى المقصود والتفكير فيه . والآخر للتحسر على الدنيا ولذاتها ويقول الإنسان أين المال . أين الولد . أين زينة الدنيا ؟ يقول ذلك وهو يعلم المعنى المقصود . لماذا ؟ لأن بصيرته لم تستعد للمعنى بل هو مشغول بالعاجلة . فهذان القسمان من الناس أولهما خطف الخطيئة فاهتدى . وثانيها خطفها فتبعته الهواجس فقتلت الفكرة في مهدها وكأنما ذلك شهاب نارة يهتدى بضوئه ونارة يهلك بناره . هدى الأول بضياته وأهلك الثاني وأمات وجدانه بناره

فجّل العلم وجلت الحكمة وجلّ الله الذي جعل هذه المعاني في تلك المباني وصرف عقول العارفين عن تقاض المعاني إلى النظر إلى العالم العلوي والحكمة القدسية

إن خواطر الناس الشريفة كلها خطفات من الملائكة الأعلى . إن المعارف والعلوم والمعاني الشريفة تشرق على النفوس لتصلها بعوالم مشرقة فيها هذه المعاني . وما عقولنا إلا كالعالمين . وماتلك العوالم إلا كالسواكب المضئبة . وما المعرفة إلا انكشاف المعاني بتلك الأنوار الباطنية فنسبة تلك العوالم إلى عقولنا كنسبة الشمس إلى أبصارنا ونسبة انكشاف المعاني إلى بصائرنا كنسبة انكشاف المرئيات إلى أبصارنا . فلولاه الضياء مارأى الناس الأجسام هكذا عالم الملائكة . ذلك كله تقرير الحكماء السابقين والعلماء المحققين

﴿ لطيفة ﴾

اعلم أن مسألة الشهب كانت عند القدماء من المشكلات الدينية . ألا ترى أن السماء كانت في رأى قدماء الفلاسفة لا تقبل انحرق ولا الالتئام فكيف تكسر الكواكب وينزل شهب منها في الأرض ؟ فكان علماء التفسير رحيم الله يؤولون نارة ويكذبون علوم الفلاسفة أخرى . أما الآن فما أجل العلم فإن العلم الحديث يعتبر الشهب من نفس الكواكب السماوية وهي قطع صغيرة تقدم إيضاحها في هنا التفسير في النصف الأول من القرآن فقرأه في ﴿ سورة الحجر ﴾ وما قبلها فلاشكال وذلك مجزة للقرآن ، خالف الفلاسفة البائدة ووافق الحاضرة

﴿ أسرار القرآن في علم الأرواح وعلم التصوف ﴾

يقرأ القارئ هذه الآيات ولا يخطر بباله أن الكشف الحديث أبرزها . لقد سأل علماء النفس في أوروبا بعض الأرواح عن اتصالمهم بالناس وحضورهم إذا طلبوهم فأجابوا قائلين مانسه : « إن الأرواح العالية لا تناجي إلا نفوسا صافية لا تريد إلا الخير للناس مع استعدادها للحكمة ومستحيل أن تناجي من شوه قلوبهم الكبرياء وألتهنم الشهوات . أما الأرواح الناقصة فإنها تسرّجدا بمحادثة الجهلاء من الناس وتعطيهم أكاذيب وأساطير وتفرح بذلك كما يفرح جهلة المسلمين والمسيحيين بالكذب الذي اعتادوه في أول إبريل . وفوق ذلك قالوا : إن كل ما كان من حديث الأرواح لامور العاجلة فهو من سقط المتاع لانهواه إلا الأرواح الشريرة وما كان من قبيل العلم والحكمة والمنفعة العائمة فهو شغل الأرواح العالية السماوية تلقية إلى من هم مستعدون » اه فتبين من ذلك أن الملائكة الأعلى من الملائكة والأرواح لا يأتسون إلا بما هو نفع عام ويأتفون من الامور الخاصة كالمال والبنين وزينة الحياة الدنيا

﴿ علماء التصوف ﴾

أما علماء التصوف فانهم قد يأمرودن نلاميذهم بالجوع والسهو وترك الكلام والعجب وما أشبه ذلك مع الذكر وحسن السير . فبعض هؤلاء يكشف لهم وهذا الكشف قد فصلوه تفصيلا فقالوا : « إن كان للامور

العاجلة كموت زيد وحياة عمرو وغناه وفقره فذلك من الكشف الظلماني . فأما ان كان كشفا للامور العلية والحكمة والمعارف فهو كشف نوراني ،

أليس ما يقوله الفريقان قديما وحديثا هو عين هذه الآية . أليس هوسرها ؟ فالصوفي ومحضر الأرواح إن قصدا بالكشف الدنيا والمال والعظمة تركتهم الأرواح العالية وأحاطت بهم الشريرة ويكون العلمان وبالا على من تعلمهما واذن الجهال أفضل وهم بمن قال الله فيهم - وأضل الله على علم - فهؤلاء كتجار الخروباعة الخمازير وشاربي الخمر والحشيش بل هؤلاء أشد وهم الذين لا يسمعون الى الملائكة الأعلى بل الى الملائكة الأسفل ويقذفون من كل جانب دحورا لأنهم مطرودون عن التلقي عن الأرواح العالية التي لا تلتقي إلا من هم مستحقون . يقول مؤلف الكتاب فالجد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . لقد ظهرت معاني القرآن اليوم أي بعضها وظهر سر قوله تعالى - سخرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وسر قوله - وفل الحمد لله سيركم آياته فتعرفونها -

ولكم سألني سائلون عن هؤلاء المتصوفة الذين ظهروا ببلاد الاسلام كقوم ببلاد مراکش لا يصلون ولا يصومون وينسبون لولي عظيم واذا جلسوا معا وتواجدوا طار أحدهم الى قبة المكان الذي هم فيه جالسون واذا سجد لهم بشاة أو عز خرقوا بطنها وشووها وأكلوها . فهذه فتنة كثيرة وطق الناس أن هؤلاء عندهم سر عظيم وماهي إلا توجه نفوسهم الى أمور جزئية فنالوها ولكنها أمور منحطة قدره دنيئة لا ترقى النفوس البشرية بل هي أمور ظاهلية . فاذا عجز المصلي والمزكي والعالم المسلم عن هذا فليس معناه ضعف حاله . وأن هؤلاء يعلمون عليه بل هم قوم حصرت نفوسهم في أمر جزئي صغير فلا هم في العبر ولا في التفير بل تجب محاربتهم وقتلهم . ان هؤلاء لا يسمعون الى الملائكة الأعلى . واذا رأيت أمثال هؤلاء يجرونك بشئ في نفسك فلا تطلق الأمر عظيما . فهذا الكشف حقير لأنهم لا يسمعون الى الملائكة الأعلى لضعف نفوسهم وإنما يسمعون الى الملائكة الأدنى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب دائم يوم القيامة لأنهم أضاعوا أنفسهم في أمور جزئية وغفلوا عن هذه الدنيا وجالها وعلومها ولم تصلح نفوسهم لعالم الملائكة فيفسدوا العلم والحكمة بين الناس

﴿ ذكر نظير هذا في المعروف بين الناس ﴾

إن هذه الأحوال هي التي نشاهدها في العالم الانساني ، انظر ألت ترى أن أكبر العلماء والحكام لا يستطيعون أن يذكروا شيئا من حكمتهم وفلسفتهم أمام الجهلاء ولو ذكروها لم ينلهم منهم إلا السخرية والاستهزاء ، ألت ترى أن العلماء قالوا : « إن الحكماء خلقوا ليعلموا العلماء والوعاظ ليعلموا العامة » فهل يخاطب الحكماء الجهلاء ؟ كلا . ثم كلا . هكذا هذه الآية . يقول الله - لا يسمعون الى الملائكة الأعلى - لأن الملائكة الأعلى لا يخاطبهم لعدم التلاؤم ، فسبحان من أظهر هذه المعاني حتى صارت من المألوفات ، وأشرقت الأرض بنور ربها في سر الكتاب ، قال تعالى (فاستقمهم) فاستخبر نبي آدم (أهتم أشد خلقا أم من خلقنا) من الملائكة والسماء والأرض وما بينهما والكواكب والشهب التواقب فكيف ينكرون البعث وأين هم بالنسبة لهذه العوالم التي خلقناها (إنا خلقناهم من طين لازب) أي لاصق أولازم فأين هم من كواكب السماء وعالم الملائكة وتلك العوالم النورية المشرقة ، فاذا قدرنا أن نخلق تلك العوالم العظيمة فهل يجوزنا أن نعيد ما هو مخلوق من طين لا يصلح للحياة إلا بأشراق الأنوار عليه ووصول الآتار إليه من العوالم الأخرى (بل عجبت) يا محمد من تكذيبهم إياك ومن انكارهم البعث وهم (يسخرون) من أمر البعث (واذا ذكروا لا يذكرون) ودأبهم أنهم اذا وعظوا بشئ لا يتعظون (واذا رأوا آية) مجزة كانشقاق القمر (يستسخرون) يستدعي بعضهم بعضا أن يسخر منها أو يبالغون في السخرية ، فهؤلاء كالذي خطف الحطيفة فأتبعه شهاب قتله وأمان

فكرته وأضاع رشده وأضلّ عقله فأمثال هذا أحياء وماهم بأحياء كما قال تعالى - أموات غير أحياء -
 ✽ وقال الشاعر

ففر يعلم قمش حيا به أبدا ✽ الناس موتى وأهل العلم أحياء

فهؤلاء يسخرون (وقالوا إن هذا لإسحريين) سحرظاهر ساحريته (أنذا متنا) استفهام إنكاري
 (وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون) أي أنبعث إذا كنا ترابا وعظاما (أو آباؤنا الأولون) أي أبعث أيضا آباؤنا
 مستبعدين ذلك زيادة استبعاد لأن آباءهم أقدم منهم فيكون بعثهم أشد غرابة (قل نعم وأتم داخرون)
 صاغرون وإذا كان كذلك (فإنما هي زجرة واحدة) صيغة واحدة وهي نفخة البعث (فإذا هم ينظرون)
 أي إذا هم أحياء بصراء ينظرون إلى سوء أعمالهم أو ينتظرون ما يحلّ بهم (وقالوا) إذا قاموا من القبور
 (يا ويلنا هذا يوم الدين) يوم الحساب فتقول الملائكة (هذا يوم الفصل) يوم القضاء بينكم وبين المؤمنين
 (الذي كنتم به) في الدنيا (تكذبون) فتقولون أنه لا يكون (احشروا الذين ظلموا) أي اجمعوا كل ظالم
 بشرك أو غيره (وأزواجهم) وأشباههم وأمثالهم بحيث يكونون في مباءة واحدة كما يرى في هذا العالم المادّي
 إن المواد الأرضية مجذوبة إلى الأرض والهوائية إلى الهواء والمائية إلى الماء وأصحاب الحرف المتنفقة يتفقون
 ويتفاهمون وأصحاب الأخلاق الوضيعة يتحاورون وذوو النفوس الشريفة يأتلّفون ، فهذا العالم المادّي والروحي
 على نسق واحد فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ، فالحجة في الدنيا لاتفاق الأشكال وفي الأخرى
 لاتفاق العلوم والأخلاق - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت -

وهل تألف الغربان لإسربها ، أو الحمام لإلفها ، أو الزناير لإخوانها ، أو الغل لإطاعتها . فيعجبا .
 تناكحت الدنيا والآخرة وما يذكره القرآن عن الآخرة نشاهده في الدنيا . فالسؤال في الدارين باتفاق الصفات
 واختلافها ، لهذا نزلت البيانات وقرئت العلوم ونظمت الدروس وألفت الكتب وبنيت السكليات وأقيمت
 الجامعات . كل ذلك لتربية العقول وصلها بسقال واحد . إن ذلك هو النظام العجيب

يقول الله - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم - (وما كانوا يعبدون من دون الله) من الأصنام زيادة في
 تحيرهم (فاهدوهم إلى صراط الجحيم) فمفهوم طريقها ليسلكوها لأنهم على مشرب واحد . وفي الحديث
 « أنت مع من أحببت » وذلك كله بطريق الجاذبية والاستعداد - وما ربك بظالم للعبيد - (وقفوههم)
 احبسوهم في الموقف (إنهم مسؤولون) عن العقائد والأعمال (مالكم لاتناصرون) لا ينصر بعضكم بعضا
 (بل هم اليوم مستسلمون) منقادون لجزهم (وأقبل بعضهم على بعض) أي الرؤساء والأتباع أو الكفرة
 والقرناء (ينساءلون) يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ أو يتخاصمون (قلوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين) أي
 من قبل القهر بالقوة لأن اليمين موصوفة بالقوة أي إنكم عملتوا على الضلال وتقهوتوا عليه ، أو من قبل
 الدين فتضلوننا وتقولون لنا إن الدين ما تضلوننا به (قلوا) أي الرؤساء للأتباع (بل لم تكونوا مؤمنين)
 أي بل أيتم أتم الإيمان وأعرضتم عنه وأتم مختارون ، وهل لنا سلطان على ضلالتكم وهذا قوله (وما كان
 لنا عليكم من سلطان) تسلط نسلبكم به اختياركم (بل كنتم قوما طاغين) مختارين الطغيان (حق علينا قول
 ربنا) فلزنا جميعا وعيد الله بالسخط والعذاب (إننا لذائقون) العذاب في النار (فأغويناكم إنا كنا
 غاوين) أي فدعوناكم إلى التي لتكونوا أمثالنا لأن الطيور على أشكالها تقع والناس مولعون بتكبير وادهم
 ومن هم على شاكلتهم ليأنسوا بهم كما تفعل الأمم كلما يعلمون الأمم لغاتهم وعلومهم وتاريخهم ليكونوا على
 شاكلتهم ويتفهموا بهم (فإنهم) فإن الأتباع والمتبعين (بومئذ في العذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين في
 الغواية (إننا كذلك) أي مثل ذلك الفعل (نفعل بالجرمين) بالمشركين وبين سببه فقال (إنهم كانوا إذا
 قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) أي عن كلمة التوحيد وعن الداعين إليها (ويقولون أننا لئناركوا آلهتنا

لشاعر مجنون) يعنون محمدا ﷺ فرد الله عليهم قائلا: كلا (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) أى ما جاء به قام عليه البرهان وتطابق عليه المرسلون (إنسكم لذائقوا العذاب الأليم) بالاشراك وتكذيب الرسول (وما تجزون إلا ما كنتم تعملون) أى إلا مثل ما عملتم (إلا عباد الله المخلصين) هذا استثناء منقطع

﴿ وصف أهل الجنة ﴾

مآكلهم ، ومجالسهم ، وشرابهم ، ونسأؤهم

﴿ مآكلهم ﴾

هى القواكه للتلذذ مع الاكرام وعدم النصب في التحصيل وهم في الحدائق وهو قوله (أولئك لهم رزق معلوم) قواكه وهم مكرمون في جنات النعيم

﴿ مجالسهم ﴾

يجلسون على سرر وهم متقابلون ، وقد جاء في آية أخرى - ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين - لا يمسه فيها نصب - وذلك قوله تعالى (على سرر متقابلين)

﴿ شرابهم ﴾

يشربون الخمر من نهر ظاهر للعيون أو خارج منها وهى بيضاء لذيدة لشاربها ليس فيها غائلة تفسد عقولهم كما في خمر الدنيا وتصدعهم وتحدث فيهم البول والقيء والعريضة وأمثالها ، يقال غاله إذا أفسده ولا يسكرون منها وهذا قوله (يطاف عليهم بكأس) باناء فيه خمر (من معين) من شراب معين أو نهر معين (بيضاء لذية للشاربين) صفنان للكأس (لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون) يقال نرف الشارب فهو نريف ومنزوف

﴿ نسأؤهم ﴾

قصرن أبصارهن على أزواجهن فلا يجيبن غيرهم نجلى العيون أى واسعهن جمع عيناه يشبهن بيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بأذى صفرة فإنه أحسن ألوان الأبدان وهذا قوله (وعندهم قاصرات الطرف عين) كأنهن بيض مكنون

﴿ وصف حديث أهل الجنة ﴾

بعد أن ذكر الله مآكلهم ومشاربهم وقلوبهم المؤتلفة ونساءهم أخذ يذكر أحاديثهم في شؤون مضت واتضت في الدنيا قبل البعث كما قال الشاعر:

وما بقيت من اللذات إلا * محادثة الرجال ذوى العقول

وهذه لذة عقلية أشرف من اللذات الحسية السابقة ، فهؤلاء يطاف عليهم بكأس من معين وهم يتعادثون كما يحصل ذلك بعد الانتصار في الحروب العظيمة فيقول أحدهم : « لقد كان لى جليس في الدنيا يوبخنى على التصديق بالبعث » ويقول : « نحن فدان (أى نجزي) إذا أصبحنا ترابا وعظاما ؟ كلا . ثم كلا . انظروا ، انظروا أيها الاخوان هاهوذا فلان الذى كان شأنه ذلك » (هل أتم مطالعون) الى أهل النار لأرىكم ذلك القرين (فاطلع) عليهم (فراه) أى قرينه (فى سواء الجحيم) أى وسطه فلما رآه (قال) له (نالله إن كدت لتردين) لنهلكنى باضلالك (ولولا نعمة ربى) بالهداية والهدمة (لكنت من المحضرين) معك فى جهنم ، يا هذا نحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معدتين إلا موتتنا الأولى بخلاف الكفار فهم يموتون الموتة الأولى مثلنا ثم هم فى جهنم يموتون الموت كل ساعة . قيل لحكيم : ما شر من الموت ؟ قال الذى يموت فى الموت وهذا القول يقوله المؤمن تحمداً بنعمة الله عليه بسمع من قرينه ليكون توبىخاله فيزيد تعذيبه ثم قال لقرينه (إن هذا) الأمر الذى نحن فيه (لهو الفوز العظيم) قال الله (لمثل هذا فليعمل العالمون)

﴿ وصف جهنم ﴾

قال تعالى (أذلك خير من لا) تميز (أم شجرة الزقوم) أي أنعم الجنة وما فيها خير من لا أم شجرة الزقوم والنزل ما يقام للنازل بالمسكان من الرزق والزقوم شجرة مناهمة (إن جعلناها فتنة للظالمين) محنة وعذاباً في الآخرة أو ابتلاء في الدنيا إذ قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجرة (إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم) فنبتها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها (طلعها كأنه رؤس الشياطين) أي رؤس الحيات القيحة المنظر التي يسمها العرب شياطين أو نفس الشياطين التي لم يرها الناس ولكن وقع في وهمهم شناعتها وقبح منظرها كما في بيت امرئ القيس . * ومسنونة زرق كأنياب أغوال * (فأنهم لا يكون منها) من الشجرة أو من طلعها (فالثون منها البطون) لعلبة الجوع (ثم إن لهم عليها شوبا) أي خلطاً (من حميم) ماء حار يشوي وجوعهم (ثم إن مرجعهم إلى الجحيم) فتلخص ذلك أنهم يؤتى بهم من دركات الجحيم إلى شجرة الزقوم فيأكلون ثم يسقون ثم يرجع بهم إلى عظامهم من الجحيم ، ثم بين السبب الذي أوقعهم في الكفر المسبب لذلك فقال (إنهم أنفوا آباءهم ضالين * فهم على آثارهم يهرعون) الأهرع الأسراع الشديد كأنهم يحثون حثاً (ولقد ضلّ قبلهم أكثر الأولين) أي ضلّ قبل قريش الأمم الخالية بالتقليد وترك النظر (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أنبياء حذروهم العواقب (فانظروا كيف كان عاقبة المنذرين) الذين أنذروا وحذروا أنهم هلكوا جميعاً (إلا عباد الله المخلصين) الذين أخلصوا دينهم لله فأنهم لم يهلكوا . انتهى التفسير للنظري للفصل الثاني

﴿ لطيفة في التقليد والنظر ﴾

يبين في هذا الفصل ما تكون عاقبة التقليد بقاء أولاً في قول القائل في الجنة لقرينه في النار انه نجما من اغوائه ولو انه اتبعه لوقع في الجحيم ، وثانياً في قوله - إنهم أنفوا آباءهم ضالين * فهم على آثارهم يهرعون - ثم زاد على ذلك أن أكثر الأمم الخالية ما هلكوا إلا بالتقليد ، فظهر من هذا المثال أن التقليد أوله وآخره شؤم على المقلد وعلى من يقعه ، إن العالم الإنساني لاسعادة له إلا بالنظر والتفكير والبحث في حقائق الأشياء دينوية وأخرية ، فلينظر العقلاء في التعاليم الإسلامية الخالية وليفكروا في نظام الدين الإسلامي وليعلموا أن اتباع الأمم الإسلامية المتأخرة في تعاليمها قد أضع الأمم الكثيرة في الشرق ، فلينظام تعليم الإسلام بجميع العلوم والصناعات باعتبار أنها فرض والأفليعلموا أنهم لا يحقون بالأمر التي أبداها الجهل وأضاعها الجاهلون

﴿ جوهرة في قوله تعالى - إننا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - الخ ﴾

لقد تقدم الكلام على الكواكب والكشف الحديث فيها في أول سورة البقرة وفي سورة الأنعام وسورة يونس وغيرها ، ولا بد هنا من ذكر أبداع ماجاء في الكشف حديثاً لتبتهج أيها الدكي بالعلم والحكمة فهناك ماجاء في « مجلة السياسة » الأسبوعية وهذا نصه :

﴿ اكتشاف علمي جديد ﴾

﴿ المجرة ومركز الكائنات ﴾

(نظرية الدكتور شابلي في سعة هذا الكون)

نحن نطلق لفظ الكون على ما نشاهده وما لا نشاهده من الأجرام العالوية التي تسبح في الفضاء ، وقد كانت النظريات العلمية تؤكد حتى الآن أن الكائنات (على سعتها وكثرة أجزائها) محدودة وأن وراءها ظلمات فوق ظلمات وفراناً لا أول له ولا آخر . على أن الدكتور شابلي مدير مرصد جامعة هارفرد الأمريكية ومن أشهر علماء ذلك في الوقت الحاضر قد جاءنا اليوم بنظرية جديدة وهي أنه ليس في الكون فراغ بالمعنى

العلمي وأن الأجرام الفلكية تملأ هذا الوجود الى مالا نهاية له ، وقد نشرت إحدى المجلات العلمية الأمريكية مقالة في هذا الموضوع رأينا أن نلخصها فيما يلي

« يؤخذ من أحدث المباحث العلمية أن الفراغ الذي تسبح فيه الأفلاك شفاف وأنه ليس منه جزء فارغ كما كان يظن حتى عهد قريب بل هو يعج بالأجرام الفلكية في كل ناحية من أبعاده وليس فيه مجرّة واحدة بل عدّة مجرّات وأن بعضها كبيرة جدا حتى ان المسافة بين طرفيها تزيد على ألوف الملايين من السنين النورية ويرجع فضل هذا الاكتشاف الى الدكتور شابلي فقد أثبت بعد البحث العلمي الدقيق هذه الحقيقة العلمية الجديدة وهي أن نظامنا الشمسي ونظام المجرة هما في الواقع نظام واحد يدور بسرعة مائتي ميل في الثانية أو بسرعة تزيد على ستة آلاف وثلاثمائة وسبعة ملايين ومائتي ألف ميل في السنة ، وأنه يكمل كل دورة من دوراته في ثلاثمائة مليون سنة (وبعبارة أخرى) ان اليوم من أيام هذا النظام يعادل ثلاثمائة ألف سنة (لأن اليوم بالاعتبار الفلكي هو دورة الجرم على محوره ودورة النظام الذي نحن بسدده على محوره تستغرق ثلاثمائة مليون سنة) وتبلغ المسافة التي يبتازها هذا النظام في كل دورة من دوراته وثلاثمائة واثنين وتسعين ألف ومائة وستين ألف ألف ألف ميل . ويعتد الدكتور شابلي أنه لن ينقضي زمان طويل حتى يتوصل العلماء الى اكتشاف سرّ الحياة في أحد تلك الأجرام فإن معظمها قديم جدا ، وليست كرتنا الأرضية بالنسبة اليه سوى طفل حديث الولادة ، وقد كان الأقدمون يعتقدون أن الكرة الأرضية هي مركز جميع الكائنات وأن الشمس وجميع الأفلاك تدور حولها ، ثم تقدم العلم فثبت أن الأرض لم تكن مركز الكائنات ، وقام الاعتقاد بين جمهور العلماء أن الشمس هي ذلك المركز ، وظلت النظريات تتغير وتتقلب الى أن جاء الدكتور شابلي بنظريته الجديدة وهي أن مركز الكائنات هي نقطة اتصال الأبراج المعروفة بالعقرب والحية والرامي وتبعد هذه النقطة عن الكرة الأرضية نحو خمسين ألف سنة نورية أي نحو ثلاثمائة ألف ألف مليون ميل فالنور الذي نراه الآن منبعثا من ذلك المركز هو النور الذي انبثق منه منذ أكثر من خمسين ألف سنة أي قبل أن يظهر الانسان على هذه الكرة

ومما يجسر بالذكر أن الاستاذ (ادنجتون) الذي يعتبر أعظم علماء الفلك في الوقت الحاضر (وهو أستاذ الفلك في جامعة كمبرج بالانجلترا) أعلن منذ عشر سنوات أن الشمس هي مركز المجرة وأن طرف المجرة يبعد عن الكرة الأرضية عشرة آلاف سنة نورية وأنه ليس وراء ذلك الطرف سوى فضاء لا حدود له ، أما الآن فقد أثبت (الدكتور شابلي) أن الكائنات أوسع من ذلك بكثير ، اذا انطرت الى السماء في ليلة صافية الأديم أمكنك أن ترى بالعين المجردة نحو خمسة آلاف نجم من النجوم المختلفة الأبحام والدرجات وهذه النجوم مبعثرة في قبة الفلك بلانظام ظاهر ويختبرها في الوسط طريق المجرة الذي هو أشبه بنهر متعرج ، على أن مازاه بالعين المجردة ليس سوى جزء صغير من مجموع النجوم التي يتألف منها عالمنا (أي نظامنا الشمسي والمجرة معا) فإن عدد نجومه يبلغ عشرة آلاف مليون نجم ، وما شمسنا سوى نجم نافع يدور هو والأرض وجميع أجرام النظام الشمسي حول مركز الكائنات الذي سبقت الإشارة اليه

ويقول الدكتور شابلي أيضا : إن حول هذا المركز نحو مائة مليون نجم (وللنجم هو الشمس بعينه) ومن هذه المجموعة تتألف نواة المجرة ولكن بقية أجزاء المجرة لا تزال محوطة بحجب الكتمان ، وإنما هنالك قرائن تدل على أن نخاعة نظام المجرة تبلغ نحو خمسة وخمسين ألف سنة نورية وأن قطرها أكثر من ذلك بكثير

(ترى ما الذي وراء مركز الكائنات ؟)

يعتقد الدكتور (شابلي) أنه لن يمر وقت طويل حتى نتجلى لنا أسرار كثيرة ، أما النظرية القائلة بوجود شمس عظيمة تستمد منها جميع الشمس نورها وهي مركز الكائنات فهي خرافة لا طائل تحتها ، ونظريته

النسبية (وهي أحدث النظريات العلمية وأصدقها في الوقت الحاضر) تؤكد لنا أن لكل جرم حدودها لا يبتعداها، فالنجم المسمى (منكب الجوزاء) هو عبارة عن شمس هائلة يمكن وضع خسة وعشرين مليون شمس كشمسنا في بطنها ومع ذلك لا يمكن (بحسب مذهب النسبية) تصور شمس أكبر من منكب الجوزاء لأن قوة الجاذبية فيها تكون هائلة جدا تصطم بقوة إشعاعها وتمزقها شراً ممزقاً

فركز الكائنات بشرف على نظامنا الشمسي ونظام المجرة معا ويحفظ التوازن بين جميع أجرام النظام، وقوة جاذبية تفوق قوة أي جرم آخر يفرضه العلم، وتدلل المباحث العلمية الحديثة أيضا على أن مركز المجرة محوط بألوف الملايين من النجوم المبعثرة في الفضاء، والدلالة على سعة الفضاء الذي تشغله تلك النجوم قول: « إن محيطه لا يقل عن ثلثمائة ألف سنة نورية ونخاتته لا تقل عن مائة وخمسين ألف سنة نورية، أما نظامنا الشمسي فواقع خارج محيط المجرة عند أحد طرفيها، ولا يخفى أن جميع أجرام الفلك تدور على محورها بلا انقطاع، وقد قلنا أن اليوم يتكوّن من دورة الجرم على محوره، فاليوم باعتبار مركزنا الأرضية يتكوّن من دورة الكرة على محورها وهو بحسبنا أربع وعشرون ساعة، أما الكائنات التي يتألف منها نظامنا الشمسي ونظام المجرة معا فهو يعادل ثلثمائة مليون سنة لأن هذه الكائنات تدور مرة حول محورها كل ثلثمائة مليون سنة، وعليه فإن ستة أيام أو سبعة من نوع الأيام التي نحن بصددنا نكفي لنشوء كائنات بأسرها، أما الذي حل (الدكتور شابلي) على القول بأن نطاق الأفلاك أوسع كثيرا مما يتوهم العلماء وأن عدد الأجرام التي تتألف منها الكائنات غير محدود فهو النجوم المعروفة بالمنيرة، فقد اكتشف منها عدّة آلاف وهو يعتقد أن الكون ملؤه بها، وقد درس حالة هذه النجوم درسا مدققا فابتكر طريقة علمية لقياس درجة نورها ولعانها، والمجال لا يقع لشرح تلك الطريقة وإنما قول إن الدكتور شابلي توصل بواسطتها إلى معرفة أبعاد تلك النجوم وقد أثبت أنها تقع خارج الحدود التي كانت مفروضة للكائنات أي في الفضاء الذي كان يقال حتى عهد قريب أنه فراغ ليس فيه شيء من الأجرام الفلكية، وقد وجد أن قوة إشعاع بعض تلك النجوم تفوق قوة إشعاع الشمس أكثر من ثلاثين ألف ضعف فتأمل

وبناء على هذا الاكتشاف أصبحت حدود الكائنات أوسع بكثير مما كان العلماء يتصورونها حتى أوائل هذا القرن، ويظهر الآن أن النجوم المتبعثرة توجد بشكل مجموعة مبعثرة حول أطراف المجرة وانها حدود الكائنات التي يتألف منها نظامنا الشمسي ونظام المجرة معا، أما حقيقة شكل الكائنات المذكورة فهي انها نسبة قرصا منحنيًا مستطيلا يتألف من نظامنا الشمسي ومن المجرة، وليس نظامنا الشمسي مركزا لتلك الكائنات بل هو يبعد عن ذلك المركز نحو خمسين ألف سنة نورية كما سبق القول فيه

(ووراء هذه الكائنات كلها ؟)

كان العلماء يزعمون حتى عهد قريب أن وراء الكائنات فراغا لا حدود له وأن هذا الفراغ يبتدىء بعد المجرة بقليل وليس له آخر إلا ان الدكتور شابلي قد أثبت اليوم أن مجرتنا ليست هي المجرة الوحيدة بل إن هنالك مجرات أخرى ومجموعات نظم شمسية لاعداد لها وهي تدور حول نواة مركزية، وقد أطلق عليها الدكتور شابلي اسم جزائر كونيّة ويمكننا رؤية عدّة مئات منها بواسطة التلسكوبات الحاضرة، ومن أمثلي تلسكوب مرصد (مونت ويلسون الجديد) الذي يبلغ قدر عدسته مائتي بوصة فالأرجح أننا نستمكن من مشاهدة ألوف كثيرة من تلك الجزائر، وتظهر هذه الجزائر لأول وهلة بشكل مجموعات مظلمة من النجوم أو السدم المبعثرة في الفضاء، ومع ان هذه الجزائر ليست من مكشفات (الدكتور شابلي) إذ قد كانت معروفة من قبل إلا ان القول بأن كلا منها هي مجرة قائمة بذاتها هو قول جديد، وقد ثبت الآن أن بعضها يبعد عن نظامنا الشمسي نحو مائة مليون سنة نورية أو أكثر

وعما يدل على سعة هذا الكون أنه لو أصيبت مجرتنا (وفيهما نحو عشرة آلاف مليون جرم فلدينا) بحصبة محقتها وأزالتها من الوجود فإن الذين في أقرب الجزائر الكونية (إذا صح أن في تلك الجزائر مخلوقات) لا يشعرون بتلك المسيبة إلا بعد مئات الآلاف من السنين لأن أنوار المجرة تظل سائرة في الفضاء ولا تصل إلى أقرب جزيرة إلا بعد اقتضاء مئات الآلاف من السنين ، انتهى ماجاء في المجلة المذكورة

هذه هي المقالة التي أحببت أن أكتبها هنا قبولا لنعمة الله علينا بالعلم والحكمة ، فانظر أيها القارئ إلى عظمة الله التي لا تنفاهي وكواكبه التي لا حد لها ، اللهم إن هذه هي السعادة الحقيقية أن تزيد معارفنا بجمالك وبهاتك ونرى أنفسنا في يد رحيم لانهاية لرحمته ، عظيم لانهاية لعظمته ، إن القلب إذا أدرك هذه العظمة وعقل هذه الرحمة يكاد يذوب وجدا على بعده عن مسدى هذه النعم ويحس لو يراه ، بل كثير من قراء هذا التفسير الماشقين للعلم ستكون حياتهم كلها سعادة بعمل نافع للأمم جمعاء ، ويرون أن الموت نعمة من أجل النعم ، بل سعادة لاحد لها ، لأنهم يودون أن يروا مسدى هذه النعم صانع هذه الجبابر مبدع هذا الجمال بمد أن يكونوا قد آمنوا ما أعنتهم له في هذه الأرض

يا سبحان الله : كأي أشاهد كثيرا من قراء هذا التفسير قد امتازوا بأنهم في الدنيا مشرقة أنوارهم العلمية وقد اشتاقوا لمسدى هذه النعم وحققوا معنى الحديث « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه » ولا سيبل لهذه المحبة بغير دراسة هذه الدنيا ، وأنا أجدك يا الله أن جعلت هذا التفسير جامعا لأجل ما في العلوم وزهراتها إن قراء هذا التفسير فضلاءهم إذا سمعوا قوله تعالى - وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون - وسمعوا قوله تعالى - تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة - لانطيش سعادتهم ولا يضل سعيهم ولا يظنون التناقض والتناقض بل هم يعلمون علما ليس بالظن أن الله يخاطب الناس كما يخاطب أهدنا طفلا صغيرا بل كما يخاطب السواب ، إن منزلتنا من الله أبعد من ذلك وإنما ضربنا ذلك مثلا إذ ليس المقام مقام تحديد اليوم بألف سنة ولا مقام تحديده بخمسين وإنما يراد مدة عظيمة عبر عنها بما نسبته ، ولا جرم أن اليوم (٢٤) ساعة وهذا هو المعروف عندنا وهذا مبني على دوران أرضنا ولكن هناك كواكب أخرى أكبر من أرضنا وهناك مجرات وسدم وهذه مجرتنا التي فيها شمسنا يومها (٣٠٠) ألف سنة كما رأيت وقد يكون أكثر لمجرة غيرها ، فإذن ألف سنة ليس قيما وخمسون ألف سنة كذلك وثلاثمائة ألف ألف سنة كذلك ولا يعلم أيام جميع الكواكب وجميع المجرات وجميع السدم إلا من لانهاية لعلمه ، إذن هنا فهمنا قول علمائنا رحمهم الله « إن العدد لا مفهوم له » قالوا هذا عند الكلام على أن السموات سبع وأن الأرضين سبع ، أفلمست ترى أن هذا زمان عجائب القرآن ، يقول : إن يوما عند الله يبلغ ألف سنة ، ثم يقول خمسين ألف سنة ، لماذا ؟ ليفتح العقول أبواب الفكر فيفكر العاقل ويقرأ العلوم فيعلم أن ذكر المعددين يفتح باب العرس حتى يعرف أنه لا حد للسنين ولا وقوف لها عند حد والله واسع عليم - يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب - انتهى نصف الساعة الثانية من ليلة الأحد (٥) يناير سنة ١٩٣٠ وبهذا تم الكلام على الفصل الثاني والحمد لله رب العالمين .



الفصل الثالث

في قصص الأنبياء الذين أجمعوا في قوله تعالى - ولقد أرسلنا فيهم منذرين الخ -

بَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ • وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ • وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ
 الْبَاقِينَ • وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ • سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ • إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ •
 إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ • ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ • وَإِنْ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ • إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ
 سَلِيمٍ • إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ • أَتَيْكُمُ آلِهَةٌ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ • فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ
 الْعَالَمِينَ • فَنَظَرْنَا نَظْرَةً فِي النُّجُومِ • فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ • فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ • فَرَاغَ إِلَى آلِهِمْ
 فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ • مَا لَكُمْ لَا تَنْطَلِقُونَ • فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ • فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرِفُونَ •
 قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ • وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ • قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ •
 فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْقَلِينَ • وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ • رَبِّ هَبْ لِي مِنَ
 الصَّالِحِينَ • فَبَشِّرْهُنَّ بِبَنَاتِكُمْ حَلِيمٍ • فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ
 فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمُرُ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ • فَلَمَّا أَسْنَأَ وَقَلَّ
 الْعَجِينِ • وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ • قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ • إِنَّ هَذَا لَهُوَ
 الْبَلَاءُ الْمُبِينُ • وَقَدَّيْنَاهُ بِرِيحٍ عَظِيمٍ • وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ • سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ •
 كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ • إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ • وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ
 الصَّالِحِينَ • وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ • وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ • وَلَقَدْ مَنَّا
 عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ • وَنَصَرْنَا هَامَانَ فَكَانُوا هُمُ الْفَالِغِينَ •
 وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ • وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ • وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ • سَلَامٌ
 عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ • إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ • إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ • وَإِنْ إِلَى يَمِْنِ
 الْمُرْسَلِينَ • إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ • أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ • اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ
 آبَائِكُمُ الْأُولِينَ • فَكذبوه فإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ • إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ • وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ
 سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ • إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ • إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ • وَإِنْ لَوْطًا إِتَى
 الْمُرْسَلِينَ • إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ • إِلَّا نَجَّوْرًا فِي النَّابِرِينَ • ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ • وَإِنَّكُمْ

لَتَمُرُّنَّ عَلَيْهِمْ مُضِيحِينَ • وَبِالْبَيْلِ أَفْلًا تَقُولُونَ • وَإِن يَبُوسَ لَبَنَ الْمُرْسَلِينَ • إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ
 الشَّاهُونَ • فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ • فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ • فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ •
 لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ • فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ • وَأُنْبِئْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ •
 وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ • فَآمَنُوا فَفَتَنَّاهُمْ إِلَى حُبِّ

﴿ التفسير اللفظي ﴾

﴿ قصة نوح عليه السلام ﴾

قال تعالى (ولقد نادانا نوح) لما أيس من قومه المقلدين لآبائهم فأجبناه (فلنم المجهيرون) أي فوالله
 لنم المجهيرون نحن (ونجينا وأهله من الكرب العظيم) من الفرق ومن أذى قومه (وجعلنا ذرية من الباقين)
 إذ كان له ثلاثة أولاد سام وهو أبو العرب وفارس والروم، وحام وهو أبو السودان من المشرق إلى المغرب، ويافث
 وهو أبو الترك وبأجوج ومأجوج. هذا هو المشهور على السنة المؤرخين وليس في القرآن نص على هؤلاء
 ولا على غيرهم (وتركنا عليه في الآخزين) من الأمم نساء حسنا وذكرا جيلا فيمن بعده من الأنبياء إلى
 يوم القيامة، ثم قال الله (سلام على نوح في العالمين) أي سلامة وسعادة منا على نوح من بين العالمين في
 زمانه (إنا كذلك) هكذا (نجزي المحسنين) بالقول والفعل بالثناء الحسن والنجاة تبشيرا بالنجاة والذكر
 الحسن لكل من آمن وعمل صالحا (إنه من عبادنا المؤمنين * ثم أغرقنا الآخزين) وهم كفار قومه

﴿ قصة ابراهيم ﴾

قال تعالى (وان من شيعته) ممن شايه في الايمان وأصول الشريعة (لإبراهيم * إذ جاء ربه بقلب
 سليم) إذ ظرف متعلق بشيعة لما فيها من معنى المشايعة وسلامة قلبه خلاصه من الشرك ومن آفات القلوب
 وهي المهلكات من الذنوب القلبية كالكبر والحسد (إذ) بدل من إذ الأولى (قال لأبيه) آزر (وقومه)
 عبدة الأوثان (ماذا تعبدون) من دون الله قالوا نعبد أصناما قال لهم ابراهيم (أقمصا آلهة) أي أتريدون
 آلهة دون الله لأجل الأفك أي الكذب (فاظنكم رب العالمين) أي فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف
 يعاقبكم وقد عبدتم غيره وعلمتم انه المنم على الحقيقة فكان حقيقا بالعبادة (فنظر نظرة في النجوم) أي نظر
 في النجوم راميا بصره إلى السماء ليريهم انه ينظر فيها لا اعتقادهم علم النجوم فأرهمهم انه استدل بأمره على
 أنه سقيم (فقال إني سقيم) أي مشارف للسقم وهو الطاعون وكانوا يخافون العدوى كما هي الحال اليوم في
 جميع الأمم فنفرقوا عنه بهذه الحيلة وتركوه في بيت الأصنام ليس معه أحد فضل بالأصنام ما فعل وهذا من
 معارضة الكذب لأنهم فهموا انه سقيم الآن وهو يريد ساقم بل إن كل من كان الموت لاحقه فهو به
 سقيم أو مرض السلامة داء كما في المثل « كفى بالسلامة داء » أو اني سقيم بكفركم (فتولوا عنه مدبرين)
 مولين الادبار (فراغ إلى آلهتهم) مال إليها (فقال) استهزاء (ألا تأكلون) من الطعام الذي أمامكم فلم
 يعين (مالك لا تنطقون) لا يجيبون (فراغ عليهم) فأقبل عليهم (ضربا باليمين) أي ضاربا بسبب الحلف
 السابق منه ليعرف في يمينه، أو ضاربا يمينه للدلالة على القوة، فرجعوا إلى أصنامهم فوجدها مكسرة (فأقبلوا
 إليه يزفون) يسرعون فقالوا نعبد ما وأنت تكسرها فأجابهم (قال أتعبدون ما تحتون) بأيديكم (والله
 خلقكم وما تعملون) وخلق ما تصنونه من الأصنام، أو وخلق أعمالكم فلم تعبدون غيره؟ (قالوا ابنوا له)
 لأجه (بنينا) من الحجر طوله عشرون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا (فألقوه في الجحيم) في النار الشديدة

(فأرادوا به كيدا) بالقائه في النار (لجملناهم الأسفلين) المتهورين عند الالتقاء بفرج من النار (وقال إني ذاهب إلى ربّي) أي إلى موضع أمرني بالذهاب إليه (سهيدين) سيرشدني إلى ما فيه صلاح في ديني وبصنعي وبوطني (رب هب لي من الصالحين) أي بعض الصالحين أي الولد (فبشرناه بسلام حلیم) فالبشارة بثلاث : انه ذكر ، وانه يبلغ أوان الحلم ، وانه حلیم . ومن سلمه انه رضى بالذبح كما سيأتي (فلما بلغ معه السعي) أي بلغ أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه وكأنه قيل مع من يسعى ؟ فقيل مع أبيه ، فأذن معه بيان لا يتعلق ببلغ ولا بالسعي (قال يابني إني أرى في المنام أنّي أذبحك) إذ قيل له في المنام اذبح ابنك ورؤيا الأنبياء وحى ، فلما أصبح روى في ذلك من الصباح إلى الزواجر ، أمن الله هذا الحلم ، أم من الشيطان ؟ فمن نعمة سمى يوم التروية فرأى مثل ذلك في الليلة الثانية فعرف انه من الله فسمى يوم عرفة ، ثم رأى الليلة الثالثة مثل ذلك فهمت بنحره فسمى يوم النحر (فانظر ماذا ترى) من الرأي على وجه المشاورة ، يريد أن يختبره ليعلم أيجزع أم يصبر (قال يا أبت افضل ما تؤمر) أي ما تؤمر به (ستجدني إن شاء الله من الصابرين) على الذبح (فلما أسلمنا) اقتادا لأسر الله وخضعا (وتله للجبين) صرعه على جنبه ووضع السكين على حلقه (ونادينا أن يا ابراهيم * قد صدقت الرؤيا) أي حققت ما أمرناك به في المنام من تسليم الولد للذبح وجواب لما عذوف أي كان ما كان مما لا يحيط به الوصف من استبشارهما وحمدهما الله وشكرهما له على نعمة دفع البلاء (إنا كذلك نجزي المحسنين) أي إنا كما عفونا عن ذبح ولده كذلك نجزي المحسنين في طاعتنا (إن هذا هو البلاء المبين) أي الاختبار الظاهر إذ اختبرناه بذبح ولده (وقدينا به ذبح عظيم) كبير الجنة سمين ، يقال إن جبريل أتى له بكبش أملح أفرن من الجنة ، ويقال انه رعى فيها أربعين خريفا ، وقيل انه وعل أهبط عليه من ثبير ولما هرب من عند الحجر رماه بسبع حصيات حتى أخذه فصارت ستة ، ويقول الحنفي : « من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة » (وتركنا عليه في الآخرين * سلام على ابراهيم) هو كما سبق (كذلك نجزي المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين) وقوله (وبشرناه بأسحق نبيا من الصالحين) أي بوجود اسحق أي ولما أسلم أمره لله في ذبح اسماعيل بشره الله بأسحق بعد ذلك (وباركنا عليه) أي أفضنا عليه بركات الدين والدنيا (وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن) في عمله (وظلم لنفسه) بالكفر والمعاصي (مبين) ظاهر ظلمه

﴿ لطيفة ﴾

في هذه القصة الشجاعة بالفتك بالعبادات المزرية بالانسانية والشجاعة في اقتحام الأهوال وقد تم بمثل ذلك نبينا ﷺ وفيها الصبر والحلم والناة وأن يستعد الانسان لتسليم نفسه لله كل وقت لا يبالي بما يصيبه من فقد أو قتل أو نقص ، كل ذلك تعليم لنا ونهيته للعالمى ، ولقد سبق في ﴿ سورة البقرة ﴾ اني ذكرت لك هناك « لغز قابس اليوناني » قبل الميلاد بحمسمائة سنة إذ شرح كل الأحوال الانسانية من علم ومال وولد وملك فلم يجعل للانسانية سعادة إلا بالصبر على ما يصيب الامعان ، فالصبر أول الامور وآخرها ، وأخرج من السعادات العلماء والشعراء والأغنياء والملوك وأهل الجلال والوارثين فقد حكم على هؤلاء جميعا بأنهم ليسوا سعداء وجعل كل ما يقرؤه الناس في الكتب من الأخلاق أديا مزورا . فأما الأدب الحقيقي فهو الأخلاق وأعمالها الصبر على النوائب وحكم بأن هؤلاء جميعا قبل أن يتلا بالمصاب ليس أحد منهم سعيدا ولهذا وحده جاءت هذه القصص وكيف رضى ابراهيم بذبح ولده . وكيف رضى اسماعيل بالذبح لذلك وردت هذه القصص في القرآن . ومن يجب أن تتحد الفلسفة والدين على أمر واحد أمر الصبر وانه السعادة القصوى . يقول قابس « لأن النفس مادامت تفرح بالنعمة وتؤلمها بالنقمة فانها رعناء جاهلة طفلة لأن المال والولد كالليل والنهار يظلمان على الفاجر والصالح . والسعادة التي اسطلىح عليها الناس لابقاء لها فهي رعناء تفرح بها النفوس الرعناء » فالسعادة إذن أن تكون النفس مطمئنة لكل ما يأتي عليها وهذا قوله تعالى - لكيلا تأموا على ما فاتكم

ولانفرحوا بما آتاكم - وقوله - إن الله لا يحب الفرحين - وهذا الخلق يحصل بأحد أمرين : إما بتوالي
النواب على امرئ حتى يصير قادرا على احتياها . ولما أن يدرس هذا العالم درسا مدققا فيدرك إذ ذاك
أن العالم نظام واحد له مرب يرئيه مطلع على كل جليل وصغير وحينئذ يرى أن الله معه في السراء والضراء .
فيرضى وقتا ويغلبه الطبع وقتا ولكنه أقرب الى الرضا من الجهال

﴿ قصة موسى وهرون ﴾

قال تعالى (ولقد مننا على موسى وهرون) أنعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من النعم الدنيوية (ونجيناهما
وقومهما من الكرب العظيم) من تغلب فرعون ومن الفرق (وانصرناهم) الضمير لهما مع القوم (فكانوا
هم الغالبين) على فرعون وقومه (وآتيناهما الكتاب المسبين) البليغ في بيانه وهو التوراة (وهديناهما
الصراط المستقيم) الطريق الموصل الى الحق (وتركنا عليهما في الآخريين) سلام على موسى وهرون * إنا
كذلك نجزي المحسنين * إنا من عبادنا المؤمنين

﴿ قصة الياص ﴾

هو الياص بن ياسين من ولد هرون أخى موسى وقيل هو ادريس النبي عليه السلام (وان الياص لمن المرسلين
إذ قال قومهم ألا تتقون) عذاب الله (أتدعون بعلا) أى تعبدونه وهو اسم صنم كان لأهل بك بالشام وهو
البلد الذى يقال له الآن بعلبك ويطلق البعل على الرب بلغة اليمن و بصير المعنى أتدعون بعض البعول (وتذرون
أحسن الخالقين) وتركون عبادته (الله ربكم ورب آبائكم الأولين) بدل من أحسن (فكذبوه فأنهم
مخضرون) أى فى العذاب (إلا عباد الله المخلصين) بدل من الواو (وتركنا عليه فى الآخريين) سلام على
إلياسين) لغة فى الياص كسينا وسينين (إنا كذلك نجزي المحسنين * إنا من عبادنا المؤمنين

﴿ ذكر لوط ﴾

قال تعالى (وان لوطا لمن المرسلين * إذ نجيناه وأهله أجمعين * لإلحجوزا فى الغابرين * ثم دمرنا الآخريين *
وانكم) يا أهل مكة (لترون عليهم مصبين) داخلين فى الصباح (وبالليل) أى مساء (أفلا تعقلون) أى
أظلمس فيكم عقل تعبرون به

﴿ ذكر يونس ﴾

قال تعالى (وان يونس لمن المرسلين * إذ أبى) هرب (الى الفلك) من قومه بغير إذن ربه (المشحون)
المملوء (فساهم) فقارع أهل الفلك (فكان من المدحضين) المغلوبين بالقرعة * روى انه لما وعد قومه
بالمذاب خرج من بينهم قبيل أن يأمره الله تعالى به فركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد آبق فاقترعوا
فخرجت القرعة عليه فقال أنا الآبق ورمى بنفسه فى الماء (فالتقمه الحوت) فابتلعه وهو من اللقمة (وهو لم يلم)
آت بما يلام عليه (فالولا انه كان من المبصين) الناكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره أوفى بطن الحوت
إذ كان يقول : « لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » وقيل من المصلين (للبت فى بطنه الى
يوم يمضون) ميتا (فنبذناه) طرحناه (بالعراء) بالأرض الخالية عن الشجر والنبات (وهو سقيم) عليل
وكان لبثه فى بطن الحوت ثلاثة أيام (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) هو القرع ، وكل نبت يتد على وجه
الأرض كالقرع يقطين * قيل لرسول الله ﷺ إنا لك لتحب القرع . قال : أجل هي شجرة أخى يونس
(وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) هم قومه أهل نينوى . واعلم أن كلام المفسرين مضطرب هنا فترسمعك
مخلص كلام التوراة :

« إن الله أرسل « يونان » أى يونس بن امنائى فكلامه اذهب الى أهل نينوى للمدينة العظيمة فهرب
يوان من وجه الرب فنزل الى بابل ووجد سفينة ذاهبة الى ترشيش فجات ريح شديدة وكان ما كان . لهو

معروف من أمر القرعة ، ولما خرجت القرعة بأن يرمى في البحر سافروا خوفا شديدا ثم طرحوه فسكن
البحر ، وأما الرب فألم حوتا فابتلعه

﴿ الإصحاح الثاني ﴾

فصلى يونان الى الرب إلهه من جوف الحوت الى آخر ما هنالك فنبذه الحوت بعد ثلاثة أيام الى البر

﴿ وفي الإصحاح الثالث ﴾

إن الله أمر يونس أن يذهب الى أهل نينوى رسولا ثانيا فذهب اليهم وقال بعد أربعين تنقلب نينوى
ثلاثين من أهل نينوى وصاموا ولبسوا المسوح جميعهم من الملك الى أدنى رجل فغفا الله عنهم ولم يهلكهم

﴿ وفي الإصحاح الرابع ﴾

إن يونان لما رأى ذلك اغتم غما شديدا وقال يارب أنا كنت بدمت الى الهرب لأنى أعلم أنك ستفعل
ذلك وتعفو عنهم ، ثم جلس شرق المدينة وجعل لنفسه مظلة ليجلس تحتها فأبنت الله له يقطينة فارتفعت على
رأسه ليخلصه من غمه ففرح يونان فرحا عظيما ثم أرسل الله لها دودة وقت الفجر فضربت اليقطينة فبيست
وعند طلوع الشمس جاءت ريح شرقية حارة فضربت رأس يونان فذبل فطلب لنفسه الموت فقال الله ليونان
هل اغتظت من الصواب من أجل اليقطينة ؟ أنشفق على يقطينة لم تنعب فيها بنت ليلة بنت ليلة هلكت
أفلاشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة وفيها خلق كثير لا يعرفون يمينا من شمالهم وبهاثم كثيرة . انتهى
ملخصا من التوراة

ثم قال تعالى (فآمنوا) أى الذين أرسل اليهم يونس (فتعناهم الى حين) الى انتضاء آجالهم . انتهى
التفسير اللفظي للفصل الثالث من السورة

﴿ لطيفة في قصة يونس وقصة ابراهيم عليهما السلام ﴾

إن يونس تجهل أمر الله فأما ابراهيم واسماعيل الذبيح فانهما صبرا ، إن ابراهيم قانت لله شاكر لأنهم
صابر فيه الصبر والشكر ، فأما يونس فانه ذا كره لله ولكنه استجبل ، ولذلك قال الله تعالى لبيبه ﴿ ﴿ ﴾
- فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم - فاذن القصد من هذه السيرة
المسلمين أى ان الصبر هو عمدة السعادة في الدنيا ، فابراهيم صابر شاكر ، وأما يونس فانه قد استجبل مع انه
بذكر الله ، فذكر الله نفعه ولكن الصبر درع ، ذلك هو المقصود من هذه القصص ، وقد قدمت لك أن الصبر
عليه مدار السعادة في الدنيا لأن الامور ليست تحت تصرف العباد ، فالناس جميعا معرضون لما لا يرضونه كل
آن فان لم يكن صبر فلا سعادة ولا شرف في الدنيا ولا الآخرة . انتهى الكلام على الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع ﴾

فَأَسْتَفْتِهِمُ الرَّبُّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ • أَمْ خَافْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَّا نَا وَهُمْ شَاهِدُونَ • أَلَا إِنَّهُمْ
مِنَ الْبَنِيكُمْ أَيْقُولُونَ • وَاللَّهُ وَابْنُهُمْ لَكَاذِبُونَ • أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ • مَا لَكُمْ كَيْفَ
تَحْكُمُونَ • أَفَلَا تَذَكَّرُونَ • أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ • فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ •
وَجَاءُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَقَدْ عَلِمَتْ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُخْضَرُونَ • سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ •
إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ • فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ • مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاعِلِينَ • إِلَّا مَتَّ هُوَ مَالِ

الجحيم • وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ • وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافِرُونَ • وَإِنَّا لَنَحْنُ السُّبْحُونَ • وَإِن
كَانُوا لَيَقُولُونَ • لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ • لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْخَالصِينَ • فَكْفَرُوا بِهِ
فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ • وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ • إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ • وَإِنَّا جُنْدًا لَهُمْ
الْقَابِلُونَ • فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ • وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ • أَفَعِمَدَانَا يَسْتَمْعِلُونَ • فَإِذَا نَزَلَ
بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ النَّذِيرِينَ • وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ • وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ • سُبْحَانَ رَبِّكَ
رَبِّ الْعِزِّ وَمَا يَصِفُونَ • وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ • وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿ التفسير اللفظي ﴾

هذا الفصل فيه ملخص الفصلين السابقين فان أول السورة ذكر الصفات وهم الملائكة وهنا أخذ يستفي
أهل مكة في تسميتهم بنات الله ثم ذكر أنهم هم الصافرون المتقدمون في أول السورة ، وفي وسط السورة ذكر
المرسلين وهنا ذكر أنهم منصورون . فاذن هذا الفصل ملخص الفصلين السابقين وهذا قوله تعالى (فاستفتحهم
أربك البنات) البنات (ولهم البنون) عطف على ما تقدم في أول السورة - فاستفتحهم أهم أشد خلقا أم من
خلقنا - والكلام هنا في أنهم نسبو الله الولادة والله منزه عن المادة فكيف يلد ؟ وفي أنهم جعلوا الولد
أنصف الزوجين الذكر والأنثى وفي أن الملائكة الذين لا يوصفون بما يوصف به الحيوان إناث وهذا قوله تعالى
(أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون) حاضرهم (ألا انهم من إفسكهم) كذبهم (ليقولون ولله الله) إذ
لادليل عليه (وانهم لكاذبون) فيما يتدينون به (أصطفى البنات على البنين) استفهام انكار واستبعاد (مالك
كيف تحكمون) بثما تقضون لأنفسكم ترضون لله ما ترضون لأنفسكم (أفلا تذكرون) انه منزه عن ذلك
(أم لكم سلطان مبين) حجة واضحة أو كتاب بين فيه أن الملائكة بنات الله (فأتوا بكتابكم) الذي نزل
عليكم (إن كنتم صادقين) في قولكم (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) أي الملائكة ويسمون جنابا لاجتماعهم
(ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) أي ولقد علمت الملائكة أن الذين قالوا هذا القول لمحضرون في النار
(سبحان الله عما يصفون) من الولد والنسب والصحابة . وقوله (إلا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع
من المحضرين (فانكم) يا أهل مكة (وما تعبدون) ومعبودكم (ما أتم) وهم جميعا (عليه) على الله
(ضالين) بضلين (إلا من هو مال الجحيم) أي استمضلون أحدا إلا من استعدوا للفتنة بحسب فطرهم
فيكفرون فيصاؤون جهنم كما هو مقترأ لا كقوله تعالى - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - يقال فلن
على فلان امرأته أي أفسدها عليه . قال جرير عليه السلام (ومانا) أحد (إلا له مقام معلوم) في المعرفة
والعبادة والاتجاه الى أمر الله في تدبير العالم « وعن ابن عباس « ما في السموات موضع شبر إلا وعليه ملك
يصلي أو يسبح » فهذا وحديث « أطت السماء وحق لها أن تط » (١) يفيدان كثرة الملائكة (وانا لنحن
الصفافون) في أداء الطاعة (وانا لنحن المسبحون) المنزهون عما لا يليق به ويصح أن يكون الكلام في
النبي ﷺ والمؤمنين ، فهم صافون في الصلاة ، ومنزهون لله عن المحدثات . والكلام هنا كالكلام في
أول السورة (وان كانوا) أي كفار مكة قبل بعث النبي ﷺ ان محففة من الثقيلة (ليقولون لو أن عندنا
ذكر من الأولين) أي كتابا من الكتب التي أنزلت عليهم (لكننا عباد الله المخلصين) لأخلصنا العبادة له

(١) الاطيط أصوات الابل

ولم يخالف مثلهم لجاهم الذكر الذي طلبوه وهو القرآن (فكفروا به فسوف يعلمون) مفة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام (وقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) الكلمة قوله (انهم لم للنصوريون * وان جنودنا لهم الغالبون) وسميت كلمة كما قال ابن مالك * وكلمة بها كلام قد يؤم * (فتول عنهم حتى حين) الى مدة يسيرة (وأبصرهم) أى أبصر ما ينالهم يومئذ (فسوف يبصرون) ذلك . أو أعلمهم فسوف يعلمون (أفبعذابنا يستهجلون) قبل حينه (فإذا نزل بساحتهم) بفنائهم (فساء صياح المنذرين) صياحهم (وتول عنهم) يا محمد (حتى حين) الى وقت هلاكهم يوم بدر (وأبصر) اعلم (فسوف يبصرون) فسوف يعلمون ماذا يفعل بهم بعد الموت ويوم القيامة (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) عما قاله المشركون بما سكي في السورة (وسلام على المرسلين) سلم الله على الرسل عموما بعد سلامة في النصل الثالث على المذكورين في السورة (والحمد لله رب العالمين) على هلاك الأعداء ونصر الأنبياء وفي تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخجلوا به * قال على - رضى الله عنه : « من أحب أن يكتال بالمكبال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه - سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين - » واعلم أن المؤمن في كل تشهد يقول : « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » ولاجرم أن الصالحين يشملون الأنبياء فكان المؤمن يحكي كل روح شريفة من الأرواح الفارقة للعادة وعند قيام المرء من المجلس يسلم على المرسلين ويحمد الله مربي العالمين وتربية الطالين تشمل الارسال والهداية وتعذيب الكافر والعاصي واثابة الطائع المؤمن . فالؤمن يحمد الله على تربيته للعالمين وما التجير والشر في التربية إلا أخوان . فاللوت والحياة والضر والنفع سواء في التربية . وفي هذه بشرى لكل مصلح من أتباع الأنبياء فانهم يهنؤن بالسلامة وبالأكرام من الله . ويمنعون نعماء عظيمة في الدنيا بالنصروفي الآخرة بالنظر لوجه الله الكريم والتقرب منه ومشاهدة جلاله اه

﴿ لطائف هذه السورة ﴾

- (١) في قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب -
- (٢) في قوله تعالى أيضا - إنا زينا السماء الدنيا - الخ
- (٣) في قوله تعالى - احشروا الذين ظلموا - الخ
- (٤) في قوله تعالى - إني كان لي قرين -

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

(في قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب * وحفظا من كل شيطان مارد * لا يسمعون الى الملاء الأعلى ويقذفون من كل جانب * دحورا - الى - شهاب ثاقب -)
(خواطر في يوم الاثنين كتبت ليلة الثلاثاء ٢٨ يناير سنة ١٩٣٠)

معلوم أن الصافات صفا هم الملائكة المذكورون قبل آخر السورة - وانا لنحن الصافون * وانا لنحن المبهون - فهؤلاء الصافون هم القائمون بنظام العالم وتديره بأمر ربهم وهم المهتمون الناس العلم كما ان الشياطين يوسوسون بالشر - فلزاجرات زجرا - اشارة الى الأعمال النظامية - فالتاليات ذكرا - اشارة الى العالم ولاوظيفة إلا العلم والعمل . وزينة السماء الدنيا بالكواكب مبدءا لعالم الأمم ولتربية الحكماء والفلاسفة في الأرض . يخرج الانسان طفلا فراهقا ففتى فينظر فبرى كواكب وشموسا وهو في هذه على إحدى ﴿ أربع حالات * الحال الأولى ﴾ أن يرى الكواكب يبصره وهو لا يشعر بجمال ولا يجب بها إما لقصور في نظره ولما لا عرض كمرض أو عواطف خاصة أو أمور شاغلة جسمية أو عقلية . فهؤلاء كلهم يرون النجوم والشمس والقمر كما يرون المدر والجر فلا تعجب ولا احساس بالجمال ﴿ الحال الثانية ﴾ أن يحسن بالجمال . ولاجرم أن

هذا أرقى من سابقه لأن الأول شارك السواب والمثل والنحل في انها نظرت الأنوار بل النبات له احساس بالنور إذن لامزية للأول على غيره من الأحياء ولكن الثاني لما رأى أن فيها جالا تبدى بلائها وبهجتها وصار يتأملها المرة بعد المرة عشقا وغراما وابتهاجا بها ، فهنا ارتقى من حال الحيوانية الى مبادئ الانسانية (الحال الثالثة) تتوقف على السابقتين إذ يقول في نفسه هذا جمال وهذه بهجة وهذه العوانس الأوانس والخفس الجوارى الكفس أراها عرائس تزف كل ليلة ولها أنواع من السبر والنظام فلابح من كيفية دورانها وسنيتها وشهورها وبروجها ومنزلها ونظامها وحينئذ يقول : « إن النظام الذي أدركه عقي بالحساب والعلوم الرياضية لانسبة بين جماله وشرفه وبين جمال وشرف الألوان الظاهرة . فالثاني لفظ والأول معناه . والثاني عرض والأول جوهر . والثاني مبتدأ والأول خبره . والثاني قشر والأول لبه . والثاني زهر والأول ثمره . هنالك تتجلى تلك المعاني البديعة في نفوس المطلقين فترى البصيرة من بدائع الحركات وفنون النظم وجمال الابداع وحينئذ يفسون اجمال الظاهري وتسكر عقولهم بلذة الأفراح العلية في باحات الأفلاك السماوية (الحال الرابعة) تتوقف على الثلاثة قبلها فتشاهد عقولهم ملاحظين رأت ولاأذن سمعت ويقولون جمال ظاهر ونظام بحساب لاخطأ فيه بين آلاف الآلاف من الكواكب بل النجوم والسدم وكل كوكب كونه سيارات وللسيارات أقمار وكلها ذات حركات سريعة لا تصطم ولا تخطئ . فهنالك تودّ النفس لو يتاح لها مشاهدة المبدع لهذه العجائب وهنالك تكون السعادة التي لاحد لها . فمن أدرك ذلك في الدنيا وشعر بما أكتبه شعورا مبينا على علم حقيقي فهو من الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون من الآن لأنه أدرك نظاما جيلا أحسنت به نفسه فسعدت سعادة حقيقية وابتهج بأدراك صافه وأحسن بأنه جواد حكيم . وكل ما اعتراه من نصب أو ألم يرى أن ذلك الصانع حكيم في فعله فيسكن قلبه وتطمئن نفسه

فهؤلاء هم خير الذين زينت لهم السماء حقا . فأما الفريق الثاني والثالث فهنا أقل من هؤلاء . فأما الأولون فهم همج المميج . ذلك أن هذا الفريق قد جعل من بين أيديهم سد ومن خلفهم سد وذلك السد معنوي فلا يرون ما وراء غيرهم . فلم أباصر ولكن لا يبصرون وأسماع ولكن لا يسمعون إما لنقص الفطرة وقص التريخة أو للشهوات والذات أو للآلام أو للعداوات وهكذا . فهؤلاء هم الذين قيل فيهم على سبيل الرمز - وحفظا من كل شيطان مارد - . وكيف يسمعون الى الملا الأعلى وهم لا يفرحون إلا ببلدات بطونهم وشهوات فودجهم والاستمزاز بالمال والجاه والتفاخر والكواكب تطوف حولهم والشمس والقمر وأنواع اجمال فهم غارقون في طوهم والدنيا حافلة بأنواع اجمال والكمال . ومن هؤلاء في الدنيا من يسمع حكمة فتبهره في لحظة فيحس بأمر لم يعده في نفسه فتارة يتأبر عليه ويستزيد علما وهذا العلم إما أن يكون علما بالجزئيات وإما علما بالكلية . فالعلم بالكلية أمثال ما ذكره فيما تقدم من الابداع والنظام والحكمة والعلم بالجزئيات مثل أن يسكر في أهل أوروبا الآن وأهل الشرق وأرباب البيانات فيرى أن بعض المسلمين اليوم قد غلبوا على أمرهم وأن أهل أوروبا هم الغالبون بالسلاح والكرام وأن الفاسق والكافر يسود ويظلم الصالح الناسك وأن كثيرا من الصالحين فقراء وكثيرا من الفاسقين أغنياء . فهنالك يحصل الشك والكفر والضلال فالخطفة على قسمين : خطفة تؤدى الى الهدى في النظر الى النظام العام العجيب . وخطفة تؤدى الى الردى وتوقع الإنسان في هوة الهلاك بالنظرات الجزئية وهذا هو الذي يحصل في هذه الأرض وهو المرموز له بالخطفة التي يتبعها شهاب ثاقب . فهذا الشهاب الثاقب المذكور هنا والشهاب المبين المذكور في سورة الحجر إما للهلاك وإما للحكمة والعلم . ومن عجب أن الشهاب يهدى ويهلك كالماء به الحياة والمات وهكذا النور . ولا أحد ممن تصفوا من جهال نوع الانسان يخلو من إحداهما . فأهل الأرض إما قوم صلحوا آمنوا بأنبيائهم بلا بحث ولا تقييد . فهؤلاء هم الصالحون ولهم مراتب تناسب عقولهم فيعيشون في الجنة الجنسية ويكونون من

أصحاب اليمين . ولما قوم قالوا كلا نحن نريد أن نعرف بمقولنا وهؤلاء قسبان : قسم بحث فلم يصل وكسل
ومال الى الترف والتعيم ، وهؤلاء هم الهرجية الوسطى من الباحثين وهم أهل الضلال . وقسم ومهل وعرف
أمثال ما في هذا التفسير ، فأولئك هم الذين أنعم الله عليهم بالعلم والحكمة وهم الفائزون وهم المقربون ومن
قبلهم هم أصحاب المشامة

ملخص ما تقدم أن للناس جميعهم ﴿ أربع درجات ﴾ ناظرون لا يعقلون ، وناظرون يعقلون الأنوار
المحسوسات ، وناظرون يدركون سرّ الحركات والنظام ، وناظرون يدركون ما وراء ذلك ، والفريق الأول
منهم من ينظر نظرة فلما أن يلحق بأحد الأقسام الثلاثة بعده ، ولما أن يهلك فيردى ، هذا ملخص ما تقدم
وهو من أسرار هذه الآية

﴿ نظرات الناس في قراءة لقرآن كنظراتهم في الأفلاك ﴾

وكما أن الناظرين في الفلك وجاله يكونون أربعة أقسام ، هكذا قراءة القرآن ، فمنهم من يتكفي بلفظه
فيقرأ هذه الآيات ويكتفي بالتلاوة فهذا كالفريق الأول ، وقسم يجب بالبلاغة والإعراب وأنواع المجاز
والاستعارات والتقديم والتأخير والذكر والحذف وهكذا من فنون علم المعاني والبيان والبدع . فهذه الطبقة
الثانية هي التي تقف عند الفرح بمحاسن الكلام كما وقف أولئك عند محاسن الأنوار من كواكب السماء
وجهاوا بزواياها ، وهؤلاء هم أكثر علماء البلاغة والمدرّسون في المدارس الشرقية والغربية المختصون بفن
البلاغة ، وقسم ثالث يقول . كلا . لا بد من الدراسة والعلم بهذا الوجود ، وقسم رابع بخطو وراء ذلك خطوات
وهذان القسمان يشبهان القسمين الثالث والرابع فيما تقدم . فهنا اجتمع الفريقان : فريق الناظرين .
وفريق السامعين وان كانوا في مبدأ الأمر مفترقين

﴿ نظرات فلاسفة العالم أربعة ﴾

ألا تعجب من أيها الدكتور : انك مهما قلبت طرفك في آراء علماء اليونان والرومان والعرب والألمان
والانجليز والفرنسيين وجميع فلاسفة الشرق والغرب لا ترى غير هذه النظرات . سبحانه اللهم وبمحمدك .
إنك جعلت (طالبس الماطي) ومن بعده من (ديموقراطيس) قد وقفوا على المادة وقالوا إن الهواء أو الماء
أو النار أو الأرض أو الأجزاء التي لا تتجزأ هي أصل هذا الوجود كله فلا إله ولا ملك ولا نبي ولا رسول فالعالم أوله
وأخوه لأصل له إلا ذلك . وهذه الطاقة هنا تشبه الطاقة الأولى من الطوائف الأربعة المتقدمة بعض الشبه
مع اختلافهم في تعيين المبدأ منها . فهم اتفقوا في الأصل واختلفوا في تعيينه . وجاءت طاقة ثانية فقالت :
« والله نحن متحبرون هذه الأرض لا علم فيها ولا حقيقة . وكل امرئ له أن ينظر كما يشاء » وهؤلاء هم
السوفسطائية . وقسم ثالث نظر فقال . كلا . هنا في الطبيعة حساب وههنا هندسة ونظام . إذن الحساب
أصل أو يقولون هنا حجة ونفور ودفع وجذب . إذن أصل العالم حجة ونفور أو حساب مثل ما يقوله فيثاغورس
وانبذقليس . وقسم رابع قال : « لأحساب بلا حساب : ولا حجة ولا نفور بدون فاعل لها » وهؤلاء هم
انكساغورس مم سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس فهؤلاء أقرّوا بالله ولكن الأول ظنه لا عمل له إلا في
الكليات والآخرون يقولون بأنه يحيط علما بجميع الجزئيات

فهذه الطوائف الأربع لا يخرج عن حصرها أحد في العالم قديما وحديثا ومستقبلا . فإذا سمعت أن
طائفة من المتعلمين بمصر وبلاد الشرق القريب على مذهب بخترا الألماني المفسر لمذهب (داروين) والدكتور
(شبل شميل) المترجم لهذا الكتاب الى اللغة العربية فاعلم أن هؤلاء في صف القسم الثاني والأول فهم إما
متحبرون ولما واقفون عند المادة . وإذا سمعت قوما منهم يقولون : « إن الإله موجود ولكنه ترك المادة
حبلها على غاربها » فهؤلاء أشبه بمذهب انكساغورس الذي تقدم وهكذا

واعلم أن هذه درجات نوح الانسان في كل عصر وجيل لانحلال الأرض منهم وذلك على مقتضى جلاتهم
وستهي ملوحت اليه عقولهم ، والسبب في ذلك (أسعدك الله) أن لكل امرئ حدا في المعرفة كما قيل :
الناس شتى اذا ما أنت ذقتهم * لا يستون كما لا يستوى الشجر
هذا له ثم حلو مذاقته * وذلك ليس له طعم ولا نمر

﴿ نظرات التحليل عليه السلام ﴾

ومن عجب أن هذه المراتب الأربع هي التي أشار الله لها في القرآن في نظرات التحليل ، فان السكواكب
والقمر والشمس لم تكفه في نظراته فتخطاها وقال - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - الخ
واباك أن تصف عند اللفظ فليس التحليل عليه السلام بالذي يقف عند هذه المناظر . كلا . بل هذا رمز للعارف
والعلم وانها درجات بعضها فوق بعض حتى تنتهي الى الدرجة الرابعة المتقدمة ، واعلم أيديك الله أن نظرات
التحليل ذكرت في القرآن ليتعلم المسلمون كيف يرتقون في أسباب العلوم وأن هذا لا بد منه لمن يريد الوصول
لله وليس المعنى أننا نكتفي بهذه الآيات أو بلاغتها أو معناها . كلا . ثم كلا . فالقرآن أنزل ليعلم العروج لله
بالحكمة والفهم والتفعل

أفلا ترى أن هذا من عرايب القرآن ومجانبه ، ثم ألا تحب أن أريك أمرا عجيبا يناسب ما ذكرناه هنا
وهو ما جاء في « اخوان الصفاء » الذي ألف منذ نحو ألف سنة وقد يقرؤه بعض أهل العلم ولكن أكثرهم
كالوا لا يفهمونه ، وكيف يفهمون ما لم يدركوه ؟ وكيف يدركه امرؤ لم يدرس علوم الحكمة من الرياضيات
والطبيخيات حتى يعرف جلال الله في تشريح الانسان والحيوان ونظام النبات وكان أكثرهم يظنون أن
هذه العلوم تنافي الدين هوقفت العقول وطمست البصائر ، وربما كان بعضهم يرى تأويل آية في ذلك الكتاب
فيعد هذا التأويل كفرا فينفر من الكتاب ، فاذا قلت لك الآن جملة صالحة منه فاني أقول نحن الآن لسنا
مقلدين لأحد ، فنحن نأخذ الحكمة آتى وجدناها ونذكرها لادليل عليه . هذا وجدنا في هذا الكتاب وغيره
ولا يصح عن العلم أن يقال : « ان صاحبه قد أخطأ في بعض المسائل لما فيه الخطأ أنا أجتنبه لاني أترك
ألف حكمة لأجل خطأ موهوم أو محقق في حكمة واحدة . إن هذا جهل وغرور ولو كانت هذه القاعدة صادقة
لم يخلق الله العالم . إن الماء وإن النار وإن الهواء وإن الشمس كل من هذه فيها هلاك بأفراق ناسك وإسراق
عجوز واحداث أمراض بالهواء الفاسد وازدياد المرض لمن به حتى واحداث ضربة الشمس . فلو كان الضرر
التليل يوجب ترك النفع العظيم لوجب أن يفتى هذا العالم كله ولكان خلقه عبثا - وما خلقنا السموات
والأرض وما بينهما لالعينين - إذن فلا قص عليك ما جاء في كتاب « اخوان الصفاء » في الجزء الثالث من
تحت العنوان التالي وهذا نصه :

﴿ فصل في جزاء المحسنين ﴾

اعلم يا أخي أن جزاء المحسنين يتفاضل في الآخرة بحسب درجاتهم في المعارف واجتهادهم في الاعمال
الصالحة والناس متفاوتو الدرجات في أعمالهم كل يعمل على شاكلته وأجود أحوال العامة والجهال كثرة
الصوم والصدقة والملاة والقراءة والتسبيح وما شاكل ذلك من العبادات المفروضة والمسئونة في الشرائع المشفلة
لهم عن فضول وبطالة وما لا ينبغي لهم كيلا يقصوا في الآفات وأفضل أعمال الخواص التفكير والاعتبار بتصاريف
أمر المحسوسات والمضولات . وبخاصة ما يتعلق بالدين وقد قيل أفضل أعمال الخير خصلة واحدة وهو التفكير
قال الله تعالى - قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تفكروا - ثم اعلم أن الانسان إذا
عقل الأمور المحسوسة وهرفها وتفكر في الأمور العقلية وبحث عنها وعن عظيمها استقبلته عند ذلك طريقتان

إحداهما ذات العيين تؤديه الى الهداية والرشاد والأخرى ذات الشمال تؤديه الى التل والضللال وذلك ان أمور
 العالم نوعان كليات وجزئيات لاغير فاذا أخذ الانسان يفكر في كلياتها ويبتدأ أحوالها وتصاريفها ويبحث
 عن الحكمة فيها بانته وأمكنه أن يعرفها بحقائقها وأرشد اليها فكلما تقدم فيه ازداد هداية ويقينا ونورا
 واستبصارا وتحققا وازداد من الله قربا وكرامة واذا أخذ يفكر في جزئياتها والبحث عنها وعن عظمها خفت
 وانفلقت مناجيها وكلما ازداد تفكرا ازداد تحيرا وشكوكا ومن الله بعدا وكان قلبه من أجل ذلك في عذاب
 أليم . مثال ذلك انه اذا ابتدأ الانسان أولا وتفكر في نفسه ونظر الى بنية هيكله ونفسه وكيفية تركيب جسده
 وكيف كان أولا في صلب أبيه ماء مهينا . ثم كيف صار نطفة في قرار مكين . ثم كيف صار مضفة . ثم كيف
 كسا العظام لحما . ثم كيف صار جنينا بعد أطوار متعاقبة . ثم كيف قبل جسده نور شعاع فيض روح القدس
 الالهي . ثم كيف أخرج من الرحم الذي هو عالم كونه الى الدنيا الذي هو عالم آخره . ثم كيف صار طفلا
 حساسا . ثم كيف تربى وهو طفل صبي جاهل . ثم كيف نشأ وصار شابا عالما أو جاهلا . ثم كيف صار رجلا عالما
 فيلسوفا حكما مدبرا متملكا على ماله . ثم كيف صار زاهدا عابدا . ثم ان طال عمره كيف يرجع . ثم
 بدبا ضعيفا ذاهب القوة . ثم كيف ظهر بعد الشباب والقوة الضعف والشيبة . الله الذي خلقكم من ضعف ثم
 جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء . فاذا فكر الانسان في هذه الحالات
 التي ينتقل فيها من أدونها الى أعلاها ومن أفضلها الى أكلها فيعلم بالضرورة ويشهد له عقله ان له صانعا حكما هو
 الذي اخترعه وأنشأه وأغماه فاذا تحقق عنده ما وصفت من هذه الحالات جعل نفسه عند ذلك مقياسا على سائر
 أبناء جنسه فلم يعلم يقينا انه قد فعل بهم مثل ما فعل به وهكذا سائر الحيوانات وكلما ازداد تفكرا في هذا
 الباب ازداد بره يقينا وبأوصافه معرفة وعلم أن الله تعالى حي عالم قادر عليم حكيم محسن جواد كريم مشفق
 رحيم ولو نظر في التشریح أوفى كتاب منافع الأعضاء أو كتاب الحيوان أو كتاب النبات أو كتاب المعادن أو
 كتاب الآثار العالوية أو كتاب تركيب الافلاك وماشا كلها من الكتب والعلوم والمعارف من وصف مصنوعاته
 وهجائب مخترعاته فانه كلما ازداد فيها نظرا ازداد بالله علما وبأوصافه اللاتقة بمعرفة واستبصارا وإليه قرينة
 وإلى لقاء الله اشتياقا فهذا هو الطريق ذات العيين المؤدى سالكة الى الله تعالى وإلى نعم جنانه . وأما الطريق
 الآخر ذات الشمال المؤدى الى الشكوك والحيرة والضلالة والعمى وهو أن يبتدئ الانسان قبل النظر في العلوم
 والآداب والرياضيات وقبل أن يحسن أخلاقه ويهذب نفسه بالكشف عن الأمور الجزئية الخفية المشككة على
 الحذاق من العلماء والاتساع فضلا عن غيرهم نحو معرفة ألم الأطفال وطلب معرفة مصائب الأخيار والبحث
 عن الأبناء وتيسير أمور الأشرار ولم زيد الحازم فقير وعمرو العاجز غني ولم جعفر النبي أمير وعبدالله الحكيم
 فقير ولم هذا الرجل ضعيف والآخر قوى صحيح ولم هذه البودة صغيرة وهذا الجبل كبير ولم القيل مع كبرجته
 له أربع قوائم والبق مع صغر جثته له ستة أرجل وجناحان ولماذا يصلح البق والنباب والقردان والبراغيث
 وأى فائدة في خلق الخنازير والوزغ وأي حكمة في خلق العقارب والحيات وماشا كل ذلك من المسائل التي
 لا يحصى عددها إلا الله ولا يعلم سواه عليها فاما الانسان فانه لا يعرف الحكمة في عليها الا بعد النظر في العلوم
 الالهية وهو لا يعرف الا بعد النظر والتفكر في الأمور الطبيعية وهو لا يعرف الا بعد النظر في الأمور المعقولة وهو
 لا يعرف الا بعد النظر والتفكر في الأمور المحسوسة فمن لم يكن مرتاضا بهذه العلوم والمعارف ولا متأدبا بها ولا صافي
 النفس ولا صالح الأخلاق فيبتدئ أولا يطلب الأمور المشككة التي تقدم ذكرها فلا يدركها ولا يستقلها فيرجع عند
 ذلك خاسرا متفكرا متحيرا غافلا بنفسه وسواسا في قلبه فينظر عند ذلك الى أمر العالم مهملا والكائنات بانفاق
 لا بصيانة حكيم ولا صنع صانع عليم أو يظن أن رب العالمين غافل عن أمر عائلته حتى يجرى فيه ما لا يليق بالحكمة
 أو يظن أنه لا يعلم ما يجرى فيه أو أنه لا يفكر في هذه الأمور الجزئية ولا يهيمه أو يظن انه قاس قليل الرحمة والنظر

لضعفاء الخلق أوانه جار في قضائه وأحكامه متعب مخلقه مفرط في تقديره غير عدل ولا حكيم في كثير من أفعاله لا يرحم الضعيف وما شا كل هذه من الظنون والشكوك والحيرة والضلال الذي قدناه في طلب معرفته عقول كثير من العقلاء المتقدمين المرتاضين بالعلوم الحكمية فكيف غيرهم ممن ليست له رياضة ولا معرفة بحقائق سرار المعروفة وقيل إن حكيم الفرس يزر جهر لما تفكر في هذه الامور المشككة ولم يعرف عليها قال عند ذلك احتجاجا لنفسه إذ قد تبين له بأن الله حكيم عدل فان مصائب العباد اذن لعل لا يعرفها اقرارا على نفسه بالجهز عن معرفة هذه الامور المشككة ويقال ان نبيا اجتاز مرة بعين من الماء في سفح جبل فتوضأ منها ثم ارتقى الى الجبل ليصلى فينا هو كذلك اذ نظر الى فارس قد أقبل على تلك العين فشرب منها الماء وسقى فرسه ثم ركبها فضى ونسى عند العين صرة فيها دراهم ثم جاء من بعده راعي الغنم ورأى الكيس فأخذه ومضى فجاءه بعده شيخ حطاب عليه آثر البؤس والمسكنة على ظهروه حزمة من الحطب ثقيلة حملها خط هناك حزمته واستاقي يستريح بمابه من شدة الضعف والتعب والريق والانهار ففكر النبي وقال في نفسه لو أن ذلك الكيس مكانه لكان هذا الشيخ الضعيف أولى بأخذه من ذلك الرعي الشاب الغني القوي فما كان الا قليلا حتى أن الفارس فخرج الى مكانة الذي شرب الماء منه وطلب الكيس فلم يجده فطالب الشيخ فأبى الشيخ وقال ما عندي خبر هذا فضر به وعذبه حتى قتله ومضى الفارس فقال عند ذلك يارب ما وجه المحكمة في هذه القضية وأين هذا من العدل فأوحى الله تعالى اليه ان أبا الشيخ قتل في الزمان الماضي أبا الفارس وكان على أبي الفارس دين لاني الرعي بمقدار مائة الكيس فأخذت القود ورددت الدين وأنا حكيم عادل . ولذلك يحكى أن نبيا من أنبياء الله تعالى اجتاز نهر قبه صبيان يلعبون وبينهم سبي مكفوف وهم يفتوضونه في الماء ويولعون به وهو يطلبهم ولا يظفر بهم ففكر النبي في أمره ودعا ربه أن يرد بصره ويسارى بينه وبين الصبيان فلما رآه الله بصره فتح عينيه ففكر الى واحد من أولئك الصبيان فتعلق به وغوصه في الماء ولم يفارقه حتى قتله وطلب آخر كذلك وهرب الباقون فدعا النبي حين ذلك ربه أن يكفهم شره فأوحى الله تعالى اليه وقال اني قد فعلت ولكن لم ترض بحكمتي وتعرضت في تديري خلقتي قتيلا للنبي ان كل ما يجري في العالم من أمثال هذه الامور فته تعالى فيه سر وتدير وحكمة لا يعلمها الا هو . وقد أخبر الله تعالى في القرآن من حديث نبيين وما جرى بينهما من الخطاب في هذا المعنى أحدهما موسى عليه السلام وهو صاحب شريعة وأمر ونهى وحدود ورسوم وأحكام والآخر الخضر عليه السلام وهو صاحب سر وغيب وكنان وكيف تعرض له موسى عليه السلام فيما يفعله بواجب حكمة وكيف اعتذاره اليه لما لم يستطع معه صبرا وإيمانا كرنا هذه الحكايات في هذا الفصل لان أكثر الآراء والمذاهب تشعب من هذه الامور المشككة التي فكر فيها العلماء وطلبوا علما فاذالم تبلغ أفهامهم كيفية معرفتها تفرقت بهم الآراء والمذاهب عند ذلك الامن عصمه الله وهدى قلبه وصرفه ككامل - ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء - وقال الملائكة لاعلم لنا الا ما علمتنا - وقوله - ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما - اه

هذا ما اخترته من ذلك الكتاب . وما هوذا أوضح لنا (ثلاث مسائل في الأولى) أن النظر في هذه العوالم يقر بنا الى الله ويجعلنا مشتاقين الى لقائه . ولن يتم ذلك لأحد من أهل الأرض إلا اذا استوتق من عجائب الطبيعة البهجة البديعة للهبية . وهذه الخصلة هي نهاية حكمة الحكماء في الأرض . فاذا اشتقنا الى لقاء الله كان الموت لنا سعادة لا حزننا وألما إذ به يرى ذلك الذي أرانا شموسا جميلة وكواكب وجعل أضواءها سببا في نظام النبات وتنوعه بحيث يمد الجوع ويكسو الجسم ويبيح النظر ويؤتي السواء ويزيل الماء ويهب حاسة الشم بالروائح وحاسة اللمس بالمسوسات الناعمة . فهذا الصانع الحكيم الذي يبدع هذا الابداع ويجعل شمس العظيمة بمواتية في قناتها لحواسنا وورغباتنا . اليه يشاق المفكرون ولكن ليس كل من قرأ هذا المقال وفهمه محسن نفسه بهذا التعيم العظمي . كلا . مم كلا . فهذا المقال نفسه يقرؤه آف واحد ولكن

الذي يقدره حق قدره عدد قليل وهم الكاملون في العلم وغيرهم يسمعون من وراء حجاب لضعف الاستعداد - وقليل من عبادى الشكور - (المسألة الثانية) إن اشتغال النفس بالأمور الجزئية من قوت وحياة وضر وغنى لا تغطي إلا الشكوك وظن السوء (المسألة الثالثة) إن العلماء المفكرين يحصل عندهم يقين بأن الجزئيات لها أسرار تخفى عليهم لأنهم لما نظروا في الكليات صار عندهم يقين بأن صانع العالم ليس بذرة بلا حساب وهو عدل في الجزئي كما أنه ثبت أنه عدل في الكل. أما العادة فلما عجزوا عن البرهان المذكور فهؤلاء يقال لهم أمثال حكاية الفارس المذكورة وحكاية الصبي الأعمى وحكاية الخضر وموسى عليهما السلام انتهت اللطيفة الأولى والحمد لله رب العالمين

(اللطيفة الثانية)

(في قوله تعالى أيضا - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب * وحفظا من كل شيطان مارد *

لا يسمعون إلى الملائ الأظى - إلى قوله - شهاب ثاقب -)

(كتب في صباح يوم السبت (٢٩) مارس سنة ١٩٣٠)

قبل أن نخوض في هذا المبحث العجيب أقدم مقدمة فأقول : « لقد تقدم في هذا التفسير ملاحظ سقراط وتلميذه أفلاطون من أن هذه المادة وماتركب منها لا يستحقان ولا يصلحان أن يكونا مناط العلوم ولا مسميين باسم الموجود. المادة عندهم لا تصلح موضوع العلم ، العلم ثابت دائم والمادة متحركة غير ثابتة. هي دائمة التغير والتعريف أذبال الكون والفساد فكيف يتكلم عليها العلم ؟ وكيف تكون له مهدا ؟ »

هذه هي النظرية التي نسقها أفلاطون ، وجاء من بعده أرسطاطاليس فأقرها من جهة وخالفتها من جهة أخرى . فقال : « نعم المادة لا تصلح مناطا للعلم ، ولكني لا أوافقني أستاذي في أن العلم مناطه ومتعلقه هو عالم المثال . كلا . إذ لا برهان عليه ، ولا أريد أن أطيل في هذا المقام لأنه معروف في سابق هذا التفسير وفي لاحقه إن شاء الله في (سورة القتال) عند آية - فأعلم أنه لا إله إلا الله - وإنما سقت الكلام في هذا الموضوع توطئة لتفسير الآية . ذلك أن القوم لما جعلوا المادة لا تصلح مناطا للعلم بل لا تصلح أن توصف باسم الموجود إذ الوجود لا معنى له إلا إذا كان دائما ، أما الوجود المؤقت فما أقلّ فضعه وما أضلّ سعيه فوجوده عدم وعلمه جهل . هذا ما أردت أن أقدمه لتفسير الآية وعلى هذا الأساس أقول :

إذا كان العلم لا يبنى على مالدوام له وكذلك الوجود فليكن هكذا الفرح ، فإذا فرح الناس بما لا يلبث له ففرحهم غرور وسرورهم غمّ ونعيمهم شقاء وغيظهم قفر . ولقد اعتاد هذا الانسان أن يفرح بلزينة المنسوبة في الأرض وفي السماء ، والزينة على قسمين : زينة طبيعية ، وزينة صناعية . فلزينة الطبيعية كالأزهار والأشجار والأنهار وجمال الحدائق الغناء وجداول الماء وبهاء الوجوه ومحاسن الوجود وجمال النجوم والشموس والأقمار وبهجة الأبحار الثمينة ، كل ذلك جمال طبيعي لسكان هذه الأرض به يفرحون وبه في أوقات فراغهم ينشرون . أما الزينة الصناعية فهي ما يصنعه الناس من زينة في ثيابهم ومنزلهم ومساجدهم ومعابدهم وما يزينون به نساءهم من الدمالج والأقراط والخواتم والحلى والحلل وما تزدهن به ملوكهم من التيجان والقصور وما يقيمون من الزينة في الولائم والمسرات لمولود أوختان أو عقد زواج أو زفاف أو نصر على عدو أو لتتويج ملوكهم وأعيادهم أو حفلات دينية كالأعياد والمواسم التي اعتاد الناس أن يرفضوا فيها الرايات وينصبوا الأعلام ويتحلوا بما يحلو لهم من الملابس ويلبسوا كل ما غلا ثمنه وجل منظره ونهر الحصول عليه من الأشجار الكريمة كالزبرجد والياقوت والماس والزمرد وأمثالها

هذه مجامع الزينة التي اعتاد الناس أن يظهروها في مواسمهم وفي أفراسهم الخاصة وهي تتبع في نظامها ثروة الذين قاموا باظهارها . فإذا كان القائم بتلك الزينة دولة من دول الأرض وكانت ذات بسطة وفوذ وخصي

مقت سرادقتها وتلاآت أنوارها وازدهرت أفنان الأشجار ليلا بما يعلق عليها من أفانين الأنوار من أصفر
فقم وأخضر ناضر وأحمر قن وأبيض يقق ، ففى الزينة تبهر العقول تذكرة لحوادث وطنية وأحوال سياسية
أو أعياد دينية

هذه مجامع مايزدان به الناس فى الأرض وبه يهيمون وله يهوعون ويفرحون . هذه كلها زينة الأرض
وكلها فانبات . أما زينة السماء فهى تلك النجوم الجميلة التى ردها الله فى الجوّ الذى فوقنا ، فهى دائمة
باقية فى أفراحنا وأحزاننا وموتنا وحياتنا ، فنحن فى مصر فى هذه الأيام قد كانت لنا أنواع من الزينات فى
شهر مارس سنة ١٩٣٠ فيها ماهى لملك البلجيك ، ومنها ماهى لنفس ملك مصر بحيث ازدادت جميع المواوين
بالأنوار المتلاثة وذلك فى يوم أو بعض يوم ، وهكذا تمرّ الأعياد الدينية تلا الأعياد وينصب الناس الزينة لأجل
وليمة العرس أو الختان أو غيرهما ثم تنتهى تلك الزينات ويرجع الناس الى أعمالهم ، ولكن زينة السماء باقية ،
زينا منازلنا ومدتنا أم لم تزيناها فزينة السماء الدنيا باقية ، فإذا أزيلت الزينة من الأرض فزينة السماء باقية
ليلا ونهارا وهى زينة بديعة شمسها الوهاجة تجرى ولانظير لنورها فى مصابيح زينة الأرض . وكذا القمر
والنجوم الثابتة والسيارة . فهذه كلها مضيئة جميلة بهجة سارة للناظرين . زينة العرس تتلوها الماسم وكل
زينة نصبناها فى الأرض يسبق الفرح بها ردّ فعل وهذا قوله تعالى - إن الله لا يحب الفرحين -

تأمل أيها الذكى ما تقدم بسميه وهما زينة لا تدوم وهى الأرضية ورينة دائمة وهى السماوية ، ولا جرم
أن لكل زينة رافعا لها ومنظما ، ومنظم الزينة المقيم لها غير المتفرجين عليها الفرحين بها . فهنا ثلاثة :
منظم الزينة ، ونفس الزينة ، والناظرون لها . فنظم زينة الولايم فى الأعراس أناس لهم علم باتقانها والمسعون
للفرح قوم آخرون ، فالسما وكواكبها من الزينة والملائكة هم المقيمون لها والناس هم الناظرون ، ولكن
ليس كل ناظر للزينة ينشرح به صدره ، فالرجل الذى ساورته الهوموم ، وأحاطت به القوموم ، وأرهقته الدبون
إذا مرّ بأعظم زينة لا يحسّ بها فؤاده ، ولا ينشرح بمرآها صدره ، ولا يسر بمهمدها قلبه ، بل لامزلة لها
عنده ، هكذا الناظرون الى السماء أكثرهم لا يعقلون جاهلها إما للجهل أو لانصراف النفس لامور عارضة
أو لنقص الفطنة أو الفطرة ، والنفوس الكبيرة تألف الزينة الباقية ، والنفوس الصغيرة تألف الزينة الفانية
* قال الشاعر

على قدر أهل العزم تأتي العزائم * وتأتى على قدر الكرام المكارم

ويعظم فى عين الصغير صغيرها * وتصغر فى عين العظيم العظام

ترى الأطفال والجهال والنساء ومن على شاكلتهم يفرحون بمبارون من زينة الأرض طبيعية أو صناعية
وهم للصناعة أميل لأن صناعتها من أمثالهم من الناس ، أما الطبيعية فهى فى المرتبة الثانية لأن صانعتها ليس
من الناس ، أما الزينة السماوية فهم لا يفكرون فيها ولا هم منها يتعجبون لأنها من صنع الملائكة المسخرين
بأمر الله ، إن للملائكة علما وهما والعمل أشير له فى الآية بلزاجرات زجرا ، وزجرا السحاب مثلا فعل فى المادة
وهؤلاء لهم السلطان على المادة فيتصرفون فيها بالكون والفساد والانعاء والافناء والتصوير والابجاد ، والعلم
والعلم أشير له بالتاليات ذكرا ، أقسم الله بالصفات الزاجرات التاليات وهؤلاء هم الملائكة كما قال تعالى فى آخر
السورة فى شأنهم - وما منا إلا له مقام معلوم * وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسجون -

وأبر مظاهر هؤلاء الملائكة تزيبن السماء بالكواكب فهذا هو قوله تعالى - والصابغ صفا * فلزاجرات
زجرا * فالتاليات ذكرا - الى قوله - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب -

عجب وألف عجب من نظم القرآن الحكيم ، يقول الله هنا - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب -
ويقبه بقوله - وحفظنا من كل شيطان مارد * لا يسمعون الى الملائكة الأعلى - الخ ولكن لم يقل نظير ذلك فى

قوله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - بل قال - لنبلوهم أيهم أحسن عملا - وانا لجالعون ما عليها صيدا جزا - . فزينة السماء حفظها من الشياطين ، وزينة الأرض لم يحفظها منهم بل ابتلى الناس بها وفي الناس شياطين كما في الجن كما قال في آية أخرى - شياطين الانس والجن - ولا جرم أن العقول المظلمة من بني آدم المتجسدين ، ومن الأرواح التي ليست من نوع بني آدم في الأرض لاتصل جبال النجوم والشمس والقمر . كلا . ويناسب هذا قوله تعالى في سورة أخرى - وزيناها للناظرين - وحفظناها من كل شيطان رجيم * إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين - فزينة السماء محفوظة ، ونتيجة ذلك ما نشاهده في بني آدم ان أكثرهم لا يعقلون جمال هذه النجوم ولا يشاقون لفهمها ولا يحرصون على اكتساب كنهها ولا يتذكرون بها عظمة مبدعها ، فهذه الزينة فوق متناول عقولهم . أما زينة ملائكتهم وأعيادهم وأعراسهم ومآثبه ذلك فهم بها فرحون ، ولها وامقون ، وعليها يحرصون

ومن هذا القبيل قوله تعالى - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين - الخ وقوله - حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أونهاراً فجعلناها حصيداً - الخ وقوله تعالى - أفن زين له سوء عمله فرآه حسناً - وقوله - والحيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة - وقوله - ولاتعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا -

فهذه مجمل أنواع الزينات التي لا بقاء لها ونهى عنها الخواص وأغرم بها الجهلة والعوام ، وهؤلاء مبعدون عن زينة السموات لا لبخل في العطية ولكن لقصر نظرهم وضعف فطرتهم ، فثلثم كمثل الأيتام إذ يمنون أن يسطوا ما لهم حتى يبلغوا الحلم ، أو كمثل السفهاء من نحو النساء والصبيا الذين قال الله فيهم - ولاتؤثروا السفهاء أموالكم - الخ أو كمثل الفلامين اليتيمين في المدينة وقد خبي الكنز لهما فأقام الخضر الحافظ عليه ليحفظ حتى يلبغا أشدهما ويستخرجا كنزهما

جالس أيها النكبي من نشاء من بني آدم فانك تستخرج ما في نفسه بالمحادثة ، وسرعان ما تدرك أهو من الشياطين المدحورين ، أم من الملحقين بالملائكة للكافرين ، فان كان نزاعا الى معالي الامور مغرما بالامور العالية كاستكناه عجائب النظام العام والكواكب مغرما مولعا بمبدعه مجببا بتلك الآثار فاعلم ان هذا اذا سار في سبيله صار أبا من الآباء الذين خلقهم الله في الناس وفريق منهم كأبنائه فهو ينفعهم مادياً وأدياً كما أن الملائكة كذلك ولا تحجب عنهم الأسرار الكونية الممكنة لأمثال أهل الأرض ما داموا أحياء

(تبصرة)

إن أنواع الزينة المنسوبة في الأرض آنا فآنا مذكرات بالزينة السجارية ، فالحكيم يحقر ما يفتنى ولا يفرغ إلا بما يبقى ، وما جبال الوجوه في الناس ولا أنواع الزينات فيها إلا أعراض زائلات مذكرات بالجمال الهائم والحياة الروحية الخالدة التي يذكرنا بها دوام الكواكب وأنوارها والشموس وأقارها ، فهذه بدوامها الممكن لها تقول لنا بلسان حالها : « كل زينة عندكم كلعنوم » وهذا يذكرنا بقول أفلاطون المتقدم : « إن الكائن الذي لا بقاء له ليس جسدياً بأن يكون مناط العلم ، بل ليس جسدياً أن يستحق اسم الموجود » فهكذا هذه الطائفة الكبيرة النفوس لا تنال بالزينة العرضية وتوجه وجهها للزينة الدائمة التي حفظها الله لهم فلا يشاركون فيها الفوغاء . وهذا هو الأمر المدهش . زينة يراها البار والفاجر طالعة غريبة ولكنها لا يفرح بها إلا الأقلون

هذا ما فتح الله به في تفسير قوله تعالى - والصافات صفا - فالزاجرات زجرا - الى قوله - فأتبعه شهب

ثقب - مساء يوم الثلاثاء أول ابريل سنة ١٩٣٠ م

﴿ بهجة العلم ﴾

(في قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب * وحفظا من كل شيطان ملرد *
لا يسمعون الى الملائحة الأعمى - الآية)

(كتب في صباح يوم الاثنين ٢١ يوليو سنة ١٩٣٠)

توجهت ليلة السبت ١٩ يوليو سنة ١٩٣٠ الى قرى الريف في المزرعة التي اعتدت أن أراقب أحوالها
وبت مع الفلاحين هناك وأنا أشاهد النجوم في الجوارائق البهجة اللطيف ، فإذا رأيت ؟ رأيت بهجة
الكواكب وجالها والنسبات تلعب بالأشجار والحشائش والزروع والفلاحون يتحدثون ويدبرون السواق
لتسقي الجنات المروشات من البطيخ والسنطاوى وأشباههما فسألني سائل : ما الذى نشاهده في السماء كأنه
سحاب وليس بسحاب ؟ فقلت هذه اسمها عندنا المجرمة . فقالوا هي عندنا طريق التبانة لأنها أشبه بما في
طرقكم من التبن . فقلت هي عند علماء الدين أبواب السماء وعند الانجليز الطريق اللبني وأخذت أذكر لهم
عدد نجومها ولكنى ألفت أن القوم لاتحمل نفوسهم هذه العجائب ، فلما ان انفلق عمود الصبح وقال
المؤذن « سحى على الفلاح » خيل لى أن يد العناية العظمى القدسية امتدت جهة المشرق صباحا وقد أخذت
تسدل على الظلام ستارا ، وهجى من هذا الستار ألمه نظيرا في الأرض ، ستار لاهون من صوف ، ولامن وبر
ولامن شعر ، ولامن قطن ، ولامن تيل ، ولامن حرير ، بل هوستار من نسيج غير النسيج الأرضى مرصع
بجواهر جمعت أصناف الألوان من أحمر وبرتقالى وأصفر وأخضر وأزرق ونيلى وبنفسجى ، والمادة المنسوجة
لاتراها العيون ، ولاتتخيلها الظنون ، ولا يعرف كتبها المفكرون ، لم ينسج على منوالها الناسجون ، نسيج
هذا الانسان فى مادة غليظة من الصوف والقطن الخ ونسيج رب الانسان فى موجود سماه الناس أثيرا ،
كيف نسجه وهو لا يرى ياترى ! نسجه بحركات منتظمة ، حركات تسريعات تكاثرت واتحدت فصارت ذات
مظاهر ملونة بالألوان السالفة ، فهذه هى ألوان ضوء الشمس فى عالم الأثير ولكل لون عدد خاص من الحركات
فى الثانية . فبينما يكون عدد الحركات فيها (٤٠٠) مليون مليون لوان المرة اذا هذا العدد يزداد فى غيرها
بالتدرج حتى يصل الى (٧٠٠) مليون مليون فى الثانية فى البنفسجى

أيها المسلمون : ههنا نسيج كالفى نسجه على منوال لاتقدر على تقليده . منوال بديع . ما أجهل
الانسان والحيوان فى الأرض . سبع نسايج تدخلت وامتزجت وكوّنت ستارا واحدا ألقى على السماء فأخفى
كواكبها وعلى الأرض فأبأن مواكبها من جبال وبحار وأنهار وأشجار وزروع جيلات وأشجار باسقات
تبارك الله : ستار واحد يخفى معالم السماء ونجومها ويظهر بهجة الأرض وجالها . إن الذى وضع هذا
الستار بين العالمين العلوى والسفلى لجيل وبتديع . يلقي على السماء وعلى الأرض ستارا وليس بستار يخفى النجوم
وهو مظهر الجبال . بهذا الستار تجلى معنى القابض الباسط . فهاهوذا قبض أنوار النجوم وظلام الليل فأصبنا
لائراهما وهكنا بسط الزروع والحقول والأنهار فأصبنا نراها

تباركت يا الله . انك أنت الذى علمت أصحاب دور الصور المتحركة (السينما) كيف يقلدون ليك بالظلام
ويقلدون نهارك بالضياء . فاذا أرادوا اظهار صور البلاد الثانية والأمم القاصية والديار البعيدة فأنهم يقبضون النور
ويستطون الشرائط التى رسمت عليها تلك الأشكال ويمرضونها الى نور ضئيل فأخذت العجائب تبرز للناس
فى تلك الدور بهيئة عجيبية وهم فرحون لما رأوا من مناظر لم يروها ومعالم لم يهتدوا اليها كما نراك أنت فعلت مع
الناس ليلا إذ تزيهم فى دجنات الظلمات كواكب وكواكب وتبهر الحكماء والعلماء بباهر الجمال وبتديع الصنع .
فاولئك العلماء متى نظروا تلك النجوم هامت نفوسهم فى الحكمة والفلسفة . وهى يكون ذلك إلا فى الظلام

مناظر النجوم . فأما أكثر الناس فانهم يقفون أعينهم و ينامون نوما عميقا فتظهر لهم صور وأشباح وأحلام . إذن الظلام يعطى النفوس الانسانية فرصة الحرية التى بها يجولون فى عوالم الكواكب السماوية ويسبحون فى بحار ليلية من عوالم الأحلام وفى مواكب مختلفة مذكرات بسوائف الأيام وأعاجيب الزمان ، فإذا قلدهم صنعك مدبرو دور التمثيل بعض التقليد فى تقليبك الليل والنهار فلنك قلد حيوانانك بنو آدم فى صناعاتهم كما تقدم فى ﴿سورة طه﴾ فعاشوا فى الكهوف كما عاش الجرذان تحت الأرض وفى الأدواح كما عاشت فيها الطيأ والمها واتخذوا بيوتا كما اتخذ النمل . وصنعوا القناطر والجسور لما رأوا (الكستور) وهو (الجنديادستر) يصنع سدودا لمنع قوة السيل . واتخذوا السفن فى البحار لما رأوا السنجاب يركب خشبة فى البحر ويجعل ذنبه مواجها للرياح ليكون أشبه بالسكان (الدفة) التى تضبط سير السفينة . وهكذا رأوا الدب الشمالى يسافر فى البحر على قطعة من الثلج واصطاد لما رأى الثعلبين البرى والبحرى يعيشان على الصيد الى آخر ما تقدم مما ذكر هناك وهى (٣١) صناعة قلد فيها الانسان الحيوان وأجاد واستفاد وأفاد . أما فى تقليد الليل والنهار فقد أحكمه أيضا إذ أظهر وقت الاظلام مناظر الصور المتحركات كما تتحرك النجوم فى مداراتها فإذا انتهى السور أبرزوا النور فتوارت تلك الصور كما تتوارى نجوم الليل اذا أشرقت الشمس صباحا وتمحى تلك الأحلام فى دبابى الظلمات والعيون هاجعة والحواس خامدة والناس نيام

وانى لا أزال فى حيرة من أمر هذا الستار الذى يلقى على الأرض فيظهر جمالها واذارفع عنها أظلمت أرباؤها وأوحشت ساحاتها

هيا هيا : لقد لمعت لوامع النور من وراء ستار الظلام الدامس وأخذت أفهم الجواب بعد اللتيا والتى . ذلك أنه كلما كان الصانع أظلم كانت الصنعة التى هى أقرب اليه أظلم . فإذا كان صانع بنى آدم يعملون فى كتان وصوف وحرير والفلاحون فى طين وماء فان الشمس ذات الاشراف صنعت بيد العناية ذلك النسيج الذى تشرق عليه أرواح علوية . وأعلى من ذلك أن الأنبياء ينسجون العقول بالدين والحكام بالحكمة فالمصنوع الفيلظ نتيجة صنع عوالم الحيوان والمصنوع اللطيف كضياء الشمس مناسب لاشراقها لأنها جسم نلرى والمصنوع الذى هو أظلم من ذلك هو النسيج العقلى من العلم والحكمة فهو أرقى صناعة وأظلم من صنعة الضياء . وليس الناسج له أجساما حيوانية ولا شموما نازية . ولقد مر ما يقرب من هذه الخواطر فى أول سورة الأنعام عند قوله تعالى - الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور - ولكن لم يخضر لى هذا السؤال هناك فهنا أجبت . ولكن الناسج لذلك أرواح وهى درجات بعضها فوق بعض - والله من ورائهم محيط . لطفنا من الله بالناس جعل ستارهم الضوى غاية فى اللطف ونهاية فى البهجة والجمال . لم يرهتهم يستأثر جسمية . أشرق عليهم بنوره . أضاء لهم تارة وأظلم ليهم تارة أخرى اظهارا للرحمة والجمال . المنظر باهر وساحر ولكن الناس مسحورون بغيره . هم متؤمنون أنانيتهم الشهوات وأبعدتهم الحسرات . لو أن الناس أدركوا جمال هذه الحوادث لانبهروا أشد البهر ولكن الحكمة قضت أن يكونوا فى غمرة ساهين لاهين حتى يعيشوا أمدا يقضى الله أمرا كان مفعولا

﴿ نظرى فى مزرعة قطن ﴾

لما أشرقت الغزالة وملأت البطاح ونجملت المزارع أخذت أجول فى تلك الأصقاع فصادفت مزرعة قطن ولا جرم أن القطن أخص مزارع بلادنا وعماد نروتها . ولكنى نظرت اليه نظرة أخرى وكأنتى من عالم غير هذا العالم الأرضى وكأن الدنيا قد لبست ثوبا قشيبا جيلا

الله أكبر : الناس غشت على عقولهم العادات حتى قال الله - اقرب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون - كلما كان الجمال أبهج كان الاعراض عنه أتم وأكثر . هذه مزارع القطن التى نمر عليها غدتوا وعشيا وفيها

لبلاب جبل وأنواع مزارع أخرى نظرت إليها إذا هي محلاة بالزهر المختلف الألوان . وهناك جوزات القطن ضمت خصوصاً ضماً لتحفظ في داخلها شعر القطن وبدره ، وهما هي ذه لإحدى الجوزات قد تفتحت بالحاح حرارة الشمس عليها وكأنهن جميعاً يخاطبني قائلات : « انظري الزهرات الجميلات ، والى الجوزات الخضراوات ، والى شعر القطن الذي تفتحت عنه الأكام ، هذه الملابس اليك نهديهما من شعرنا لتمنع عنك الحر والقر ، وهذه الزهرات جلال يسر الناظرين ، وهذه الجوزات اللاتي تخفي في داخلها شعر القطن والبذر لئيم فضجهما ويكمل خلقها ، كل هذه اليك ناظرة لاسيما الزهرات الباهرات الجميلات وزهرات أخرى في أنواع الشجرات الأخرى وأن الزهر الأحمر والأزرق والبنفسجي ناظرات اليك مسلمات عليك ، وقد حليت كل هذه الأزهار وأوراقها بأقراط من المس وهبها إياها قطراندي ، فازينت الأرض بأجل زينة ، وازدانت بالبهجة والجمال ، وهناك لم يسمنى إلا أن أصبح قائلاً : يا الله أنت يجب أن نحبك لأن نخاف منك ، أفع هذا الجمال كله يكون خوفنا منك ، إن من جهلك أحق بالخوف منك ، ومن أظهرت له جمالك أولى بحبك لأنك قربته ، وانما خوفك يكون طيبته منك أو خوف بعده عنك

فجيت لنفسي طربت لهذا الجمال مع ان ما ألفتة النفس لاجمال له ، كم نظرت هذا في حقولنا وكنت أنا في زمن الشباب من زرعته ، فما هذا الذي ألبسه لبس الجمال في نظري الآن ؟ العقل الانساني اذا لم يزخره العلم عن مقره في الصبا ولم يوقظه النظر والفكر بقي أسير العادات قليل النظر قليل الفكر ، فاذا استيقظ أدرك انه يعيش في بيته من الجمال والبهجة والحسن والاشراق ، وأين كانت هذه المزرعة ؟ كانت في المكان الذي فيه تخيلت أن البدر يخاطبني في وسط النخيل بالقرب من المرج بالقرب من القاهرة وذلك تقدم في ﴿سورة فاطر﴾ عند آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - الخ وما أدري لماذا لم تستيقظ نفسى ليلاً سابقاً ونهاراً لاحقاً إلا في هذا المكان ، ثم لماذا خطرت هذه الخواطر في هذه الأيام ؟

الله أكبر : لقد تجلّت الحقيقة واضحة ، أنا لم أتم ليلة واحدة في ذلك الحقل ولكني نمت هذه الليلة ، ولماذا هذا ؟ عرفت الجواب أن ذلك لسرّ ظهر وحكمة بهرت وهي انها جاءت لتفسير قوله تعالى في هذه السورة التي قد استعدت المطبعة لطبع تفسيرها في هذا الشهر (أغسطس سنة ١٩٣٠) أليس هذا هو قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بمصابيح - وهذه المصابيح تدعو العقلاء للتفكير في جلالها وفي حكمها وفي حسابها كما تقدم في ﴿سورة يس﴾ عند قوله تعالى - والشمس تجري لمستقرّ لها - وفي سورة يونس عند قوله تعالى - هو الذي جعل الشمس ضياء - الخ وفي سورة الأنعام وفي سور أخرى كثيرة ، ويقول في آية أخرى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - الخ ويقول في ﴿سورة الحجر﴾ - وزيناها للناظرين - . إذن الله لم يزين السماء لمن لبسوا أهلاً للنظر ، إذن الحكماء في هذه الأرض هم الذين زين الله لهم السماء . أما الجهلاء فلم يزين لهم إلا شهواتهم ليعيشوا غالباً كما تعيش الأنعام وهم خامدون . إذن بهذا نفهم قوله تعالى - وجعلناها رجوماً للشياطين - فشياطين الانس وشياطين الجنّ يعيشون ويموتون ولاهم يعقلون جلال هذه الشمس ولا بهجة هذه النجوم وانما هم محبوسون . إن هذه هي التي أجراها الله على لسان العاتمة في بلادنا المصرية إذ هم اذا رأوا سحبا منشورة في السماء مقطعة غير ملتزمة قالوا إن السماء مزينة وانما زينت لعالم مات . فهم يقولون إن العالم اذا مات تزين له السماء أي تزين لروحه اذا صعدت كما تزين المدن لقوم الملوك والعظماء ولكن في الحقيقة هي مزينة له في هذه الحياة الدنيا وهو الذي يفهم جلالها فاذا مات ازداد بصيرة في ذلك الجمال فظفرة العاتمة قد أمت بطرف من معنى الزينة . فالأرض مزينة للحكماء والسماء والنجوم والجمال والشجر والنبات فهم أبدأ في سعادة وحبور . وليكون قرأه هذا التفسير المغموم بالعلم من أرقى هذه الطبقة في عالم الانسان . وبهذا انتهى المقال في تفسير هذه الآيات صباح يوم الاثنين ٢١ يوليو سنة ١٩٣٠ في نفس اللحظة

التي افترقت بلادنا فرقتين : فرقة أوصدت دار النياحة في وجوه الأمة . والفرقة الأخرى هي جميع الأمة المصرية فهؤلاء يريدون دخول البرلمان وهؤلاء ينعونهم وسر ذلك كله تدخل الأجانب في هذه البلاد . وذلك كله منشؤه أن رجال الشرق ينقصهم العلم والتعليم . وهأنذا فت بما يجب على وعلى كل امرئ في بلاد الاسلام أن يقوم من التعليم بما ألهمه الله وأقدره عليه - وإلى الله ترجع الأمور -

﴿ ما حقيقة السموات . وهل للسور وزن ؟ وهل النور خالد ؟ ﴾

وإذا بقي دهرًا طويلًا أفليست الأرواح أحقّ بذلك ؟ ﴾

في يوم الثلاثاء ٢٢ يوليو سنة ١٩٣٠ حضر صديقي العالم الذي اعتاد محادثتي في هذا التفسير فقال حسن ماقلت في هذا المقام ولكني أسألك سؤالاً في نفس موضوع الآية . إن ما ذكرته هنا إنما هو وجدانيات قامت بنفسك فسطرتها والوجدان شيء والعلم شيء آخر ، وإنك لم تذكر إلا السبابة والعشق والفرام وما ذلك إلا عواطف كمواطف العشق الانسانية الشائعة بين الناس وما كل امرئ بهاشق لأن العشق استعداد ، فهل أنت على استعداد أن تحادثني في حقائق السموات ؟ فقلت حبا وكرامة . فقال حياك الله ، هل السماء مبنية شديدة ؟ فقلت أذكرك أيها الصديقي بما مرّ في أول ﴿ سورة البقرة ﴾ عند الكلام على السماء وقد ذكرت هناك أن هذا العالم لا فراغ فيه فهو مملوء بموجود سموه الأثير وهو موجود لأنه به يقوم الضوء والكهرباء والجاذبية فهو إذن موجود ، إذن عالم السماء موجود . فقال حسن هذا وأنا أذكره وأذكر انك أثبت هناك عدم الفراغ ببرهانين برهان القسمة القائل : إن هذا الذي سميناه فراغا لا يتخلو ما نراه فيه من النور والظلمة من أحد أمرين اثنين : إما أن يكونا جوهرين ، وإما أن يكونا عرضين أو أحدهما عرض والآخر جوهر فإن كانا جوهرين فالسموات إذن موجودة وإن كانا عرضين أو أحدهما فالعرض لابد قائم بجوهر إذن ثبت انه لا فراغ وأن السموات موجودة فعلا ، هذا ماقلته أنت إذ ذاك عن القسمة ، وأما المحدثون فانك أثبت قولهم بأنهم استدلوا بأن التلغراف السلكي والذي لا سلك له كلاهما محمول وهل الحامل يكون معدوما ؟ إذن هو موجود . إذن القسمة والمحدثون يجمعون على ذلك ، فالسما المذكورة في الآية هنا موجودة ، فأنا الآن لا أسألك في وجود السماء وقد عرفته فيما تقدم في هذا التفسير وإنما سؤالي هل هي مبنية وهل هي شديدة ؟ إن البناء لا يكون لما هو كالخيال . وهل خيالنا مبنى ؟ وهل خيالنا متين قوى ؟ وهو يفتي حالا . فقلت : هل الأثير خيال ؟ فقال أنت عبرت بهذا القول سابقا فقلت انه كالخيال . فقلت : سأبرهن لك على أن الأثير قوى متين وعلى أنه أقوى من أبنيتنا وكل بناء عرفناه . فقال ياليت شعري كيف يكون ذلك ؟ فقلت : أيها الصديقي . ألت تسلّم بأن هناك قوة جاذبية بها تنجذب الشمس ما حولها من السيارات وأرضنا منها . فقال أسلم به لأنها قضية مسلم بها . فقلت : لو اني أنا وأنت وأناس آخرون مضنا حاولنا أن نزرع صخرة من مكنتها وربطنا فيها حبلا وأخذنا نجح ذلك الحبل ونحن عصبة أولو قوة وزحزحنا هذه الصخرة وأخذنا ندور بها أدياراً منتظمة حول محور فإذا تقول في هذا الحبل الذي به جذبنا هذه الصخرة أضعيف هو أم متين ؟ قال بل قوى متين . قلت فإذا جذبت الشمس كل سياراتها بقوة الجاذبية القائمة بالأثير أفلا يكون الأثير قويا متينا بنسبة هذه الأجرام . أفلا يكون نسبة هذا الأثير إلى الشمس والأرض كنسبة الحبل إلى عصبتنا والصخرة المذكورة قال بلى والله هذا حق . قلت إذن ثبت أن عالم الأثير أقوى من البناء وأمتن شيء عرفناه في الوجود . فإذا سمعنا الله يقول - والسماء بنيناها بأيدٍ واما لموسعون - وسمعنا يقول في ﴿ سورة النبأ ﴾ - وبيننا فوفقكم سعا شدادا - فانا تقول هذه الحقيقة ياربنا لم يتجل لنا بعض معناها إلا في هذا الزمان لأن الناس عندهم شكوك وأرهام في هذا الموضوع . فقال إن هذه المسألة لم أسمع لها جوابا شافيا إلا الآن . فقلت فلتحمده الله على العلم وعلى الحكمة . وهذه تكمل ماقتصنا من العلم في تفسير بسملة (ص) فقال لم أفهم مرادك . فقلت أم قل

هناك ان الانسان له قوى علمية وهي الحواس الخمس والعقل وقوى عملية وهي اليدين والرجلان وأن الحواس بها عرف الناس ماحولهم ووصلوا لما قرب من الكواكب وأن المجاهر والمناظر المظلمة التي أسداها العلم لهم زادت علومهم . فقال بلي تقدم ذلك . فقلت والعقل اقتنص الصور بالحواس فكانت العلوم الطبيعية وصور المقادير فكانت العلوم الرياضية وأن الآلات الجارية على الأرض مساعدات للأرجل وهكذا الطائرات والسفن وهكذا جيع الجهلات والآلات المتحركات مساعدات الأيدي في أعمالها . قال عرف ذلك . فقلت بلي بقي شيء واحد لم يذكره هناك ولكن هنا عمل ظهوره . فقال وما هو ؟ قلت إن اللسان يوصل العلوم كما قلنا هناك . ونقول هنا انه يستخدم الهواء وينوب عنه التلغراف السلكي والذي لاسلك له والتلفون . قال هذا حق . قلت ولا واسطة لمساعد اللسان المذكور إلا الأثير . قال حقا . إن هذا البرهان وكل ما ترتب عليه حسن ، ولكن اذا عضدته ورسخته بكلام علماء الفن يكون أهدي سبيلا وأقوم قبلا وأوضح تأويلا . فقلت انهم يقولون إن كثافة الأثير هي ألف طن للليمتر الواحد والطن نحو ٢٢ قنطارا ، إذن كثافة المليمتر الواحد من الأثير تعادل نحو ٢٢ ألف قنطار . فقال يا للجب : هذه كثافة لانظير لها في كثافة ما نعرفه من الحديد والرصاص والنجارة وحقا ان الذي به تجذب الشمس سياراتها يجب أن يكون كذلك ليتحمل ذلك كله ، وانظر ما كتبت بعض المجلات العلمية وهو المقتطف في شهر ديسمبر سنة ١٩٢٩ تحت العنوان الآتي وهذا نمه :

﴿ تحوّل الآراء في الأثير ﴾

(من نيوتن الى اينشتين)

مهما يكن تصوّر نوع الفضاء الذي يحيط بنا صعبا . ومهما تختلف الآراء في نوعه وحدوده الهندسية ومهما يكن تقصيرنا عن ادراك كنهه وحقيقته . فإن له صفات طبيعية خاصة به يمكننا درسها ومعرفة بعض قوانينها . وعليه لا يمكننا أن نسميه فضاء خصب . بل علينا أن نطلق عليه اسما ينم على خواصه الطبيعية أو بعض هذه الخواص . وأول من بحث في هذا الموضوع بحثا دقيقا وسمى هذا المجهول بالأثير كان الطبيعي الانكليزي العظيم السير اسحق نيوتن . يستحيل علينا أن نصف صفات الأثير الطبيعية بالدقة التامة بالتعابير والمصطلحات التي نستعملها لوصف خواص المواد الارضية . لكننا لانستطيع غير هذا السبيل فنضطر الى استعمال هذه المصطلحات لكوننا لانعرف سواها . وفي مثل هذه الحال يجب علينا أن نبقى متذكرا بن انها لاتعبر عن الحقيقة بالدقة التامة ولكنها تفعل ذلك لو كان الأثير مادة عادية . نحن نتكلم عن مرونة الأثير وكثافته مثلا . فبأي حق نفضل ذلك ؟ ليس الأثير مادة عادية كما وادنا لننسب اليه صفاتها . ومع ذلك نقول ان كثافة الأثير هي ألف طن للمتر المكعب . ومرونته تساوي حاصل ضرب كثافته في مربع سرعة النور . وبهذا نعلم أنه لو تحوّل الأثير مادة لكانت له تلك الكثافة وهذه المرونة . يمثل هذه التحفظات يمكننا أن نستعمل الاصطلاحات العادية لتعداد خاصيات الأثير المعروفة فنقول :

- (١) الأثير شفاف
- (٢) عديم الاحتكاك بالمواد
- (٣) عظيم الكثافة
- (٤) تام المرونة
- (٥) عديم الحرارة
- (٦) عديم الصوت
- (٧) موصل حسن للجاذبية والنور والامواج الكهربائية - المنطوية
- (٨) وسيط لتلاصق دقائق المادة وتماسكها

(٩) الأثيروسيط للجاذبية الكبائية (أو الالف الكبائية)

(١٠) « يملأ كل فراغ من المادة . اه ماجاء في مجلة المقتطف

لست الساعة بصدد أن أوضح :

(١) نظرية نيوتن الذي اضطر أن يفرض وجود الأثير حين عرف ناموس الجاذبية العام وقال « لا أتصور

أن قوة هائلة عظيمة تنتقل من الشمس الى عوالمها بدون موصل لهذا التأثير » (إذن هو جبل يوصل

الجاذبية كما قلنا في الجبل الذي يجذب به عصبنا الصخرة فيما تهتم)

(٢) ولا بصدد أن أذكر (هويجنس) الذي يقول : « إن الأثير مؤلف من ذرات في غاية الصغر

سريعة الحركة ثقيلة الوزن عظيمة الكثافة ، وما النور إلا موجات فيه لأنه ذرات كما قال نيوتن »

(٣) ولا أنا في مقام شرح نظرية (فرنل) الفرنسي الذي جعل الأثير تختلف كثافته باختلاف مواقعه

(٤) ولا في مقام آراء كوتنغ في الذي يؤيد وجوده بسبب ما نراه من الظواهر الكهربية والمغناطيسية

في الأرض

(٥) ولا أنا الآن أود أن أشرح نظرية (جورج توكس) القائل « انه سائل شفاف عديم الاحتكاك

بالأرض والسيارات عند حركتها فيه ولكنه صلد قوى متين عند ما ننظر اليه من جهة إيصال

الجاذبية والنور » وقد أيد هذا الرأي (السراويلي فرلودج) بالتجربة وهكذا

(٦) نظرية (ماكسول) إذ قال بالمرونة والكثافة فيه وأن المرونة تساوي حاصل ضرب الكثافة في

مربع سرعة النور

(٧) وخالف العالم (أماقين) هؤلاء العلماء في الكثافة وهكذا

(٨) العالم (ماكس كولاغ) فانه قال « انه لا يقبل الضغط »

(٩) والعالم (اينشتين) يقول : « انه خيال من الغضاء والوقت يصعب على من لم يتعمق في الرياضيات

أن يدرك كنهه »

أقول : أنا لست في مقام شرح هذه الأقوال وإنما المهم الاتفاق على الجدول المتقدم المحترم عند جمهور

هؤلاء العلماء وغيرهم . إذن ثبت هنا أن السماء أولا موجودة . ثانيا انها أشد الأبنية وأمتنها وأقواها . ثالثا

ظهر بهذا أن اشارات القرآن أصبحت اليوم واضحة جلية في العلوم الحديثة ، فإذا كانت السموات بناء وإذا

كانت شديدة فها هوذا أصبح واضحاً جلياً . فهل كففاك ماسمعت عن علماء النون ؟ فقل كفى والحمد لله

أقول : لقد مررت الاشارة الى هذا الموضوع في غير هذا المكان والايضاح هنا أم

﴿ هل للنور وزن ؟ ﴾

ثم قال : ولكنني أريد أن أسأل في النور . لقد سمعتك تذكر أن النور حركات في الأثير والحركات لا

تكون إلا بقوة دافعة والقوة الدافعة تحرك الميزان حتماً . إذن النور موزون ، ولكنني ماسمعت أحداً يقول

ذلك . فقلت له : انه موزون وله ثقل . فقال : كيف ذلك ؟ فقلت : هاك ماجاء في بعض المجلات العلمية

وهذا نصه :

﴿ أربعة ملايين طونولاً من أشعة الشمس في الثانية ﴾

(هل النور له وزن ؟)

يقول العامة « ضربته الشمس » كأن أشعتها تشمل على مادة تضرب بها الاشياء . وما أقرب هذا التعبير

الى ما اكتشفه العلم الحديث في هذا الشأن فهو في الواقع حقيقة وليس بالمجاز كما يريد أن يفهمه الناس . ولكن

إذا كان الأمر كذلك فلا بد أن يكون للأشعة وزن كسائر الأشياء المادية فقد برهن العلم صحة هذا الاكتشاف

﴿ ازدياد بهجة العلم ﴾

(في قوله تعالى أيضا - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب -)

﴿ وصف الكواكب وبهجتها وأنا في الحقل ليلا حتى مطلع الفجر ﴾

اللهم إنك أنت الحي القيوم ومن حياتك استمدت العوالم حياتها ، ومن علمك استمدت علمها ، ومن قدرتك استمدت قدرها ، ومن جالك استمدت جاهها ، أنت الذي نقشت لنا السماء ، ونقشت الأرض ، وزخرفتهما بزخرفك ، وأزنتهما بنورك ، عجبت للنقش والرقيش وللجندرة وللإبداع في تزويق الأرض بنباتها وجبالها ، وفي تزيين السماء بنجومها وشموسها وأقمارها ، لنا عقول تظهر لي أنها كبيرة جدا بدليل انها مستعدة لأن تفهم بعض مصنوعاتك

ولطالما كنت مشوقا أن أنام في العراء ليلا لأشاهد جبال النجوم قبيل الفجر وهي طالعة فوق الحقل والجبال والصحارى والقفار . كنت أود ذلك كثيرا ، نعم أنا أشاهدها كل ليلة فوق سقف المنزل ولا حاجز بيني وبين النجوم وجبالها ولكن أين الثريا وأين الثرى وأين منظر النجوم في القاهرة حيث المنازل والأبحرة المتصاعدة ودخان الآلات البخارية وبين منظرها في الخلوات ، ولقد هيا الله لي هذه الفرصة الآن لأصف في هذا التفسير تلك المناظر الجميلة أيضا لقوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - فتوجهت الى مزرعتنا بجهة المرج وهي الى الجبل الشرقى أقرب وليس وراءها إلا الصحراء والجبل فبت بعض الليالي هناك في نفس الحقل في أواخر شهر يوليو سنة ١٩٣٠ واستيقظت قبل الفجر فإذا رأيت رأيت زينة حقيقية ، يا سبحان الله : نحن نشاهد فيما يقيمه الناس من الزينة في الولائم العاتمة وأفراحهم والموائد التي يحتفلون بها مصاييح يوقدون فيها ويضعونها صفوفا منتظمت ، وإذا هبت الريح أخذت تلك المصاييح تضطرب اضطرابا يكسبها جلالا طي جلال ، فها أنا ذا في هذه الليلة اطلعت فنظرت المصاييح السماوية تهتز طربا وقد ظهرت بهيئة لم أعهدها في المدن ولا في القرى ، فلكم رأيت النجوم ليلا أيام الشباب وأنا في قرية كنا كفرعوض الله حجازي وهكذا في القاهرة ، ولكن هنا في الجبل والصحراء والحقل تبنت لي راقصة ضاحكة مستبشرة ، ما أبدع هذا المنظر ، إن فرق ما بين الثوابت والسيارات أن الأولى كثيرة الاضطراب أما الثانية فهي لا اضطراب فيها وإن كانت أكبر حجما في نظر العين ، وما أكثر الثوابت وما أقل السيارات ، لذلك كان ذلك المنظر أسمى أجل مارأته عيني في الحياة وخيل لي أنني في جنة عرضها السموات والأرض ، مبدعة أبما إبداع ، متقنة أيما اتقان ، قد ازينت ولكن للناظرين ، وحسنت ولكن للعالمين (بكسر اللام) وشعرت نفسي كأنها كانت في هذه الساحات الجميلة وقد أبعدت عنها بسفرواتها رجعت الى مستقرها وفرحت بالرجوع الى وطنها . ومن العجيب أن الزراعين قد يبيتون في الحقل كما بت ، بل بعضهم نام في الحقل معي . هذه المناظر أمامهم ومع ذلك لا تحرك فيهم ساكنا ولا توقظ فيهم ذاسنة فالجمال ظاهر والمجلس باهرة وأكثر أهل الأرض لا يدرسون فيينا أرى الثريا قد أخذت تشرق طالعة اذا الدبران ذو النور الأحمر قد تلاها وقد ساق أمامه نجوما بهيئة ضلعي مثلث ووراءه من المقعدة ثم المنعة ونجوم الجبار التي يعبر عنها بالجوزاء فأذكرني ذلك ماجاء في «صبح الأعشى» من وصف هذه النجوم فأحييت ذكره وها هو ذا تحت هذا العنوان

﴿ الصنف الثاني : نجوم منازل القمر التي ينتقل فيها القمر من أول الشهر الى الثامن والعشرين منه ﴾

ونكتفي من هذا الفصل بما نحن فيه إذ ذكر الشرطين والبطين ثم أتبعهما بذكر الثريا فقال مانصه :

﴿ الثريا ﴾ ويسمى النجم علما عليها ، وبه فسر قوله تعالى - والنجم إذا هوى - وهي ستة أنجم صفار

يظنها بعض الناظرين سبعة أنجم ، وهي في شكل مثلث منساري الساقين ، وبين نجومها نجوم صفار جدا

كالرشاش ، ومطلعها الى الشمال عن مطلع الشرطيين والبطيين ، وأول ما يطلع منها ويغيب هو الجانب المرىض دون الأفاذ منها ، وهي عند أصحاب الصور بالقرب من محل ذنب الثور المقطوع . قال ابن بونس : وليست من صورة الثور ، وبعضهم يسميها آية الخلل لقربها منه .

(الديبران) ويسمى تالى النجم لكونه يطلع نالو الثريا ، وربما سمي حادى النجم لذلك ، ويسمى أيضا المجدح وعين الثور ، وهذه المنزلة سبعة أنجم تشبه شكل الدال ، واحد منها مضى . آخر عظيم النور ، واسم الديبران واقع عليه في الأصل ثم غلب عليه وعلى باقى المنزلة . وهذه الكواكب السبعة عند أصحاب الصور هي رأس الثور ، وأول ما يطلع منه طرف الدال ، ويصكون رميةا إلى الجنوب وفتحها إلى الشمال . والكواكب الأخر المضى . هو آخر ما يطلع منها ، والعرب تقول للكوكبين القرييين منه : كداه ، والباقي غنمه وربما قالوا . قلامه . ويقولون في خرافاتهم . إن الديبران خطب الثريا الى القمر فقالت . ما أصنع بسرورت ؟ فساق اليها الكواكب المسميات بالقلاص مهرا ، فهربت منه فهو يطلبها أبدا ، ولا يزال تابعها ، ومن ثم قالوا في أساطيرهم : أوفى من الحادى وأغدر من الثريا .

(الحقعة) سميت بذلك تشبيها بدائرة تكون في عنق الفرس ، وقدم القول عليها في الكلام على أوصاف الخيل ، وهي ثلاثة كواكب محاية صغار تسمى الأثافي ، وهي على أعلى القدم اليسرى من التوهم المعبر عنه بالجوزاء . اهـ

أقول : ومن أجل المناظر ماسماه الحقعة وما عبر عنه بالجوزاء . فظرت فرأيت هذه النجمات تليها نجوم دقيقة ممتدة في نظر العين قد صنعت قوسا بديعا جيلا واسعا بهجا كأنه عقد من الماس رصعت به السماء فأبهج وزاد جمالها . ثم فظرت وراءها اذا أنا بنجوم الجوزاء التي يسمونها الجبار وهي أضوأ النجوم في نظر العين فهناك ثلاث نجوم من القدر الأول وأمامها نجوم أخرى تصنع معها ما يشبه زاوية حادة ويسمونها العائمة بميزان تشبيها بميزان الباعة في بلادنا . ولقد وصفت نفس هذا المنظر في السنة الفائتة في نفس هذا التفسير في تفسير السملة في بعض السور التي تتلو سورة العنكبوت . ولكن رصفها في هذه المرة جاء في الخلل لاني المنزل وتلا ذلك ما نقلته من كتاب «صبح الأعشى»

إن في الخلل لتسعا للخيال . تبدو المناظر للعين وتسمع الأذن طنين الحشرات فكأنها حفلة جمعت ما يسر العين ويبهج الأذن . انهاجئة مجت للفسكرين الذين يقولون قوله تعالى . ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح . الألفاظ تلك المدرسون . ولتكن للسلمين مدارس في الحقول ليدرسوا الحقول والحدائق والأشجار والبهائم والأنهار والجيال نهارا ويدرسوا النجوم ليلا والأفليطوا انهم عن ربهم معرضون وعن الرقى في الدنيا والآخرة مبعثون . ولن يذهب ما كتبه عن هذه المناظر سوى سببها مشهده التلاميذ والمدرسون . تعرف في وجوههم نظرة النعيم . ولكم بتنافس في ذلك المتنافسون .

وهل هذه المناظر يقف جمالها عند ما ذكرناه ؟ كلا . أوليست الجوزاء هي التي كشف العلماء اليوم كما تقدم في هذه السورة أيضا أن بعض نجومها أكبر من الشمس (٢٥) ألف ألف مرة ، ومعلوم أن شمسا أكبر من أرضنا ألف ألف مرة وثلاثمائة ألف مرة ، ويقولون إن ضوء الشمس بالنسبة لضوء ذلك الكوكب من الجوزاء المذكورة أشبه بنور الحياض بالنسبة لضوء الشمس ، إذن الجمال الظاهري الذي تمتت به هذه اليلة ليس شيئا مذكورا بالنسبة للعلوم المدخرة في هذه المناظر . إذن الدنيا فيها ما يتبع الحجة ، فأول ما يتبعها جمال الظواهر وبها العلوم التي عرفها نوع الانسان وراء هذه الظواهر والعلوم هي السعادة بل هي مفتاح الحنة ، ومن لم يشعر بالسعادة العلمية في هذه الحياة فكيف يسعد بالنظر الى مدع هذا الجمال اهـ

﴿ امتحان عقول الناظرين من الأمم ﴾

انظر الى البدوي في العراء المذكور في «صبح الأعشى» كيف وقف أمام الدران والتريا والقمر وصور في نفسه أن القمر خاطب والتريا محطوبه والدران هو الذي ساق بأمر القمر النجوم السبعة لتكون مهرا ، فهذا تصور لطيف انتزعه الرجل من أحوال الانسان واختراع للسماء نظاما كنظام أهل الأرض فيه الأحوال الاجتماعية ، وثارة يقول قائلهم :

أليس الليل يجمعني وسلمي * وإيانا وإياها تداني

فهنا تخيل الليل خيمة قد جعلته مع سلمى وان تناءت الديار ، وبارة نسمع قائلا يقول من المتأخرين من الأمم الاسلامية العربية :

باليل ظل ياشوق دم * إني على الحالين صابر
لى فيك أجر مجاهد * إن صح أن الليل كافر
يهنيك بدرك حاضر * ياليت بدرى كان حاضر
حتى يبين لناطرى * من منهما زاه وزاهر
بدرى أرق محاسنا * والفرق مثل الصبح ظاهر

وأونة نسمع آخر يقول :

سل يا أنا البدر نجم الليل عن سهري * تدرى النجوم ولا تدرى الورى خبرى
ونسلم آخر يقول في مدوحه وذلك في حسن التعليل في علم البديع :

لوم تكن نية الجوزاء خدمته * لما رأيت عليها عقد متعلق

فالبدوي في البادية كان خياله أقرب الى الفطرة ، أما المتأخرون ون خيالهم نزل بالمنظر السماوية الى اللغات التي ملكت على تلك الأجيال مشاعرهم إذ ملكوا زمام الأمم وأغنتهم الغنائم بانساع الملك وكثرت لديهم الجوارى الحسان من الأمم فأخذوا يتغزلون وجاراهم في ذلك علماء اللغة وكلما زادوا ابداعا قيده جملوه من العلم ، ولم يكفهم ذلك حتى تخيلوا تلك النجوم قد نزلت فصار من خدام ملوكهم الذين يمدحونهم ، ولماذا هذا المدح ؟ ذلك لأجل الجوائز التي يأخذونها من مال الدولة بلا مقابل إلا ذلك المدح ولكن الله كأنه يقول : إنا زينا السماء لناظرين المفكرين فأما أن تكون النجوم لأجل الغزل أو لأجل الترف للولوك فذلك كله خيال الشعراء - والشعراء يتبعهم الغاؤون -

إن شعر الأئمة وخيالها يدلان على درجتها ، وهذه الأمم العربية المتأخرة نسبت أصل التفاصيل وأفرطت في اللغات فرجعت الى باديها حتى تستقيم أجيالها ككرة أخرى ثم يأتي لها من يوقظها ككرة أخرى ، وهذا المقام أوضحته في ﴿سورة الشعراء﴾ عند تفسير هذه الآية وذكرت هناك ما قاله سديوالفرنسي أن مجموع الشعراء عند الأمم العربية الاسلامية أكثر من مجموع الشعراء في الأمم كلها ، ولكن الافراط في الشعر عند المسلمين في الأندلس والتفكر والتعقل عند الاسبانيين جعل الآخرين يغلبون الأولين والله في خلقه لشؤون وقد ذكرت هناك أن ذلك من معجزات القرآن في آية الشعراء ، والله زين السماء لناظرين وقال :

- إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا - ولقد ابتلى الله آباءنا العرب لما عظم ملكهم واستولوا على فارس والروم فانصرف متأخروهم عن بهجة علوم الكائنات الى بهجة الغلمان والفتيات وابتدأ ذلك في عصر بني أمية وعظم في عصر بني العباس ، وانظر ماجاء في الجزء الأول من كتاب «تاريخ آداب اللغة العربية» وهذا نصه :

كان الشاعر الجاهلي يقول الايات تغزلا في حبيته يعبر بذلك عن حبه أو مانسته جوارحه من الغرام

أوالشوق ولا يشب في غير حبيته أو خطيته وقد يسميها بغير اسمها . والغالب أن يكتفى عنها بأحدى عرائس الشعر لئلا يعلم أهله بتشبيبه فيمنعوه من التزوج بها . لأنهم كانوا شديدى الغيرة على النساء حتى أن أحدهم إذا سطا عليه عدو وخاف على حياته منه عمد الى امرأته أو حبيته فيقتلها غيره عليها من أن يمساها سواء بعد موته (١) ويندر في الجاهلين أن يشب شاعرهم بغير حبيته . وإذا فعل فلداع فوق العادة كما فعل دريد بن الصمة إذ رثى أناء بقصيدة صدرها بأبيات غزلية (٢) وقد رأيت الشعراء العشاق في الجاهلية يعدون على الأصابع فأصبحوا في العصر الامرى أضعاف ذلك وأكثروا من وصف الحب وأعراضه وأحواله وذلك طبعى في الأمة بانتقالها من البداوة الى الحضارة وخصوصا إذا كان ذلك على أثر الفتوح وفيها الغنائم من السبايا فيصيب الرجل منهم جارية أو بضع جوارى فى كل معركة ملكا حلالا له . وكانت السبايا فى صدر الاسلام كثيرات وأكثرهن من الروم والفرس . والفاتحون يبعثون أو يستخدمونهم فى حاجات المنزل ويستبقون الجيلات ممنون للسرورى فتحركت القلوب وتنهت القرائح للمواضيع الغزلية وصار الشعراء يشبون بالنساء الجيلات . وكان الخلفاء الراشدون يعدون ذلك خروجا عن حرمة الادب فجعلوا التشبيح ذنبا يستوجب القصاص . وكان عمر بن الخطاب لا يسمع بشاعر يشب بامرأة الا جلده (٣) فلما أفضت الدولة الى بنى أمية وقد اتقلت عاصمتها من المدينة الى دمشق وكثر الاختلاط بالأعاجم وأخذ العرب بأسباب الحضارة وذهبت هيئة العفة من نفوسهم وانقضت شدة الراشدين فى المحافظة عليها هان عليهم التشبيح فآكثروا منه ولا سيما فى المدينة لأن أهلها من أسبق المسلمين الى القصف والتهول لقيام بعض أبناء الصحابة بين أظهرهم وقد أغرقهم معاوية بالعطايا والرواتب ليشغلهم باللهو عن طلب الملك فكانوا ينفقون الاموال على المغنين ونحوهم فكثرت الهوى فى المدينة وسبقت سائر المدائن الاسلامية الى الفناء . وشاع القصف بين أهلها وتجرأ الشعراء على التشبيح بغير أحبائهم وجاء فى هذا الكتاب أيضا فى موضع آخر مانعه :

كان فى المدينة على عهد معاوية طائفة من أبناء الصحابة يخشى قيامهم للطالبة بالخلافة كما فعل أحدهم عبد الله بن الزبير فاعلمهم معاوية بالعطايا وقيدهم بالاحسان ووسعهم بالحلم فركنوا الى التمتع بالدنيا من طعام وشراب وسباع . ينفقون فى ذلك الاموال وهى تندفق عليهم من خزائن الشام . فلما تولى عبد الملك بن مروان (سنة ٦٥ هـ) كانت المدينة قد أصبحت مرسحا للهو والغناء ونبع فيها طائفة من المغنين وتكاثر فيها المخشون وأهل القصف الا من كان فيها من الحفاظ والقراء اذ المقصود منه

أفلاترى أيها الذكى أن فساد الأم العربية فى القرون المتأخرة انما حصل بكثرة الافراط فى اللذات والانحراف فى سلك الترف والتنعم الذى هو آفة العمران ، فالخلفاء الراشدون كما رأيت منعوا التشبيح وبنو أمية أباحوه والعباسيون أعظموا أمره ، ألا ترى معى أن الاسراف فى ذلك ناجم من الاسراف فى مال الدولة وفى الانفهام فى اللذات وهذا وذلك أبعد المسلمين عن معرفة جمال هذه الدنيا لأننا بين جنابين : جمال يقصرنا على الشهوة الحيوانية وهو ما رأيت ، وجمال يفرحنا ويشرح صدورنا بجمال العلوم ومعرفة الى الله بمعرفة ، فان غلب الأول انحطت الأمة ، وإذا غلب الثانى ارتقت ، وهذا معنى - لنبلوهم أيهم أحسن عملا - فالأرض مزودة بالجمال وكل يصيب منه ما استعد له . وكتاب الأغاني الذى انقضى فى الخافقين من أسباب كثرة الفجور وسقوط الأمة الأندلسية لأن أبناء الأشراف هناك كانوا يقرؤن المحاضرات المخترعة عن ملوك العباسيين وعشقتهم للجوارى ومعرفة بنت الحان فظنوا ذلك حقا فاعتنقوا تلك المذاهب فهلكوا . كل ذلك داخل فى معنى - إنا زينا السماء الدنيا - الخ ومعنى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا -

بأمة الاسلام : هذبوا الأدب العربى . لانلقوا بالكتب الموروثة بين أيدي شبانكم . عشقوهم من إبان

(١) الاغانى ١٤٥ ج ١٢ (٢) العمدة ١٢٢ ج ٢ (٣) الاغانى ٩٨ ج ٤

صفرهم في جمال السماء وجمال الأرض لافى الغزل والتشبيب . احنروا هنا الأدب فانه أدب ضال . فليرووا
الأشعار الفاضلة لا الغزلية كما يات عمرو ابن كلثوم في الفخر في معلقته إذ يقول :

إذا ما الملك سام الناس خسفاً * أينما أن نقرّ الذل فينا
وكأيات زهير بن أبي سلمى إذ يقول :

ومن يك ذا فضل فيخلل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذم
وكقول طرفة بن العبد في معلقته :

لَصْرْتُكَ إِنِّ أَلَوْتُ مَا أَخْطَأَ النَّقْيَ * لِكَالطَّرْلِ الْمُرْحَى وَتَيْنِيَاهُ بِالْيَدِ
مَتَى مَا يَأْتَا يَوْمًا بِقُدَّةٍ لِحَتْفِهِ * وَمَنْ يَأْكُ فِي أَسْرِ لِلنِّيَةِ يَنْقَدِرَ

من ما يسمعه الفتى أيام حداثته عالق لاشكّ بؤزاده ملازم له بقية حياته ، وزى القرينجة في تعليمهم
للأحداث يدرسون لهم في المدارس كتباً فيها صور جيلة نباتية وحيوانية وسموية فيمشقون العلم والبحث
والظفر في هذه العوالم . وهذا هو المنطبق بعض الانطباق على هذه الآية - إنا زينا السماء الدنيا - الخ وآية
- إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها - الخ

أفليس المسلمون أولى باقتناء آثار القرآن . هاأنذا حذرتكم أيها المسلمون . فأما أدب الأغاني والكتب
الأخرى التي تمامته فليس يجوز أن تكون عامّة بل تخصص لها طائفة لحفظ المأثور . أما التعليم العام فيجب
حذف التشبيب منه بتاتا واستبداله بجهاب الدنيا الجليّة والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين

﴿ اعترض على المؤلف وجوابه ﴾

هنا سألتني أحد الفضلاء فقال : وهل في شرعة التأليف أن تذكر أشعار الغزل وذمتها وأشعار الفضائل
ومدحها ومغاني المدينة وفسوق الأندلسيين وذهاب دولتهم وهكذا ؟ هل الآية تحتمل هذا كله ؟ فقلت وأكثرت
منه . إن الزينة السماوية والزينة الأرضية قد جمعا جميع العلوم . فلذا صرف الانسان عقله للزينة العاتمة في
العوالم كان حكما . وإذا حصر عقله في الجزئيات فإن كانت مؤلّة أورثته الشك كما تقتم عن اخوان الصفاء
وان كانت سارة كما في محاسن النساء وسائر الشهوات أورثته العصيان . فلزينة إذن تشمل العلم كلها وتشمل
ما يحصر للنفس في الشهوات التي تخفض النفس وتمنعها من الرفعة في الدنيا والآخرة . أليس القرآن يفسر
بعضه بعضا . ألم يقل الله في سورة الكهف (بعد أن ذكر في أولها أن ماعلى الأرض زينة لها) - واتل
ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن نجد من دونه ملتحدا * واصبر نفسك مع الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه
عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا -

إذن هذه الآية تكملة للآيتين في الصافات وفي الكهف . فهو يقول إن الزينة زينتان : زينة الحياة
الدنيا وهي مذمومة . وماهى زينة الحياة الدنيا ؟ قد فسرنا بقوله - المال والبنون زينة الحياة الدنيا -
وكل ما ألهانا عن العلم فهو زينة الحياة الدنيا وهي مذمومة . وكل ما ذكرته لك داخل في هذا . إذن هذا

كله تفسير للآية . إذن الآيات مرتبات هكذا

- (١) - إنا زينا السماء الدنيا - الآية
- (٢) - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها -
- (٣) - ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا -
- (٤) - المال والبنون زينة الحياة الدنيا -

(٥) - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل

المسومة والأفهام والحرف ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب -

(٩) - أفن زين له سوء عمله فرآه حسنا -

فالأولى والثانية للزينة العامة . والثالثة أخرجت الزينة المهيبة للشهوات . والرابعة مفصلة بعض التفصيل
لثالثة . والخامسة مفصلة للرابعة . والسادسة لبيان أن الزينة قد تعدت ذلك الى سوء أعمال الناس
التي وأنها حسنة في بادئ الرأي . إذن كل ما ذكرناه هنا لا بد منه حتى نعرف لماذا زين الله لنا السماء وما
الزينة الممنومة ؟ وما الزينة المدحوخة ؟ وهل الغزل إلا ما يرجع الى النساء المذكورات في هذه الآيات ؟ وهل
بغير أمثال ما كتبناه يكمل انتفاع المسلمين بمجمل آيات القرآن . فقال : * إن من البيان لسحرا *
فقلت : اللهم إني أحمده على البيان والتبيين وانشرح الصدور وأظهار الحقائق لأم الإسلام . انتهى
صباح يوم الأربعاء (١٣) أغسطس سنة ١٩٣٠ م

(نور على نور)

أذكرك بما تقدم في أول (سورة البقرة) عند آية الجنة وأنتى قلت لك هناك عن الامام الغزالي في
الاحياء أن العلم الجنة العارفين وأن الجنة الحسية للجاهلين فأرجع اليه هناك فأى علم هذا الذي إذا أدركناه يكون
جنة باليت شعري : أعلوم اللغات من الصرف والنحو والبلاغة التي فتن بالوقوف عند حدتها المندوعون من
الأجيال الفاتمة الاسلامية بعد العصور الثلاثة الأولى الذين لم يحدوا لهم منقذين من الجهل ، وكلما نبع نافع
لينقذهم كفره جهالة وبذالة ، أم علم الثقة وأصوله مع الوقوف عليهما . كلا . بل هي العلوم التي بها نعرف
نظام هذا العالم (وبعبارة أخرى) هي العلوم التي قد جمع زهراتها هذا التفسير
الله أكبر : أليس في تقديم الكلام على تلك العلوم في هذه السورة شاهد على ذلك . ألم يقدم الله هنا
ذكر جمال العوالم وزينة السماء على ذكر قاصرات الطرف الحور العين اللاتي كأنهن البيض المسكون وعلى
ذكر كأس المعين البيضاء التي تلذ الشارين ولا تضر عقولهم ولا تسكرهم بل قدم الله آية جمال العوالم وزينة
السماء على ذكر لذات الجنة وحورها وخيرتها فقال - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - ولا جرم أن
هذه لذة العقول ولذات الجنات الظاهرة حسية ولذات العقول أقوى من لذات الأجسام ولذات كانت لذة
الملوك والقبوات أشد من لذات العمال والصناع ، وفوق هؤلاء وهؤلاء لذات العلماء ، واللذة بالمعرفة لا حد
لها ، والله يوم القيامة يجعل الناس في منازلهم بحيث لا يتخطونها فمن لم يعرف من اللذات إلا النساء والشرب
والأكل أدخله الجنة الحسية ، ومن ارتقى فوق هذه الطبقة فترف الله أعطاه فوق ذلك النظر الى وجهه
على مقدار علمه في الدنيا فزيد هناك انكشافا

(سوانح وخواطر في هذا المقام)

يظهر لي أن صفى الشجاعة والحب هما الصفتان اللتان بهما سعادة الحياة والممات ، وأن الجبن والبغض
بهما شقاء الحياة والممات ، وللهيب مفتاح وهذا المفتاح والحمد لله أصبح في أيدي الأذكياء قارئ هذا التفسير
وهو النظر في جمال هذه العوالم . فكلمنا زدنا علما زدنا حبا لصانع العالم . وهذا الحب يجعل حياتنا كلها
نشاطا في أعمالنا ونحس فيها بشعور المحبة الانسانية العامة والخاصة . فترى الذين وصلوا الى هذه الدرجة
مفرين باسعاد الأمم لأن العالم في نظرهم أصبح واحدا ويقدمون اسعاد أم الإسلام الذين هم أقرب اليهم
ولا يتسكئون في اسعاد الأمم الأخرى . فياليت شعري كيف يرى الانسان ذلك الجمال العام الذي ضربت لك
مثله بما شاهدته في الحقل هذه السنة في آخر شهر يوليو سنة ١٩٣٠ ليل قبيل المجرى أول هذا المقال من
بدائع الجمال والنور المشرق في سائر الأرجاء . وذلك الجمال وذلك النور وراءهما - أهو أجل وأسمى وأبهى وهي

فمن الخفائق العلية . أقول كيف يرى الانسان ذلك وانه لاحد له في البهجة والحكال والامتداد ولا تكون
 سيانه كلها علما وجمالا واسعادا للناس قاطبة . ثم كيف يرى ذلك مم يخاف من الموت وقد علم علما ليس
 بالفائق أن روحه في يد مبدع هذا الجمال لاسيما انه أحبه وبمقدار المحبة تكون لذة النظر للمحبوب . وهذه
 الأجسام مائعة منه . فاذن تكون هذه الحياة عاقبة عن النظر . إذن هذا الحب تصعبه الشجاعة فاذا لم يخف
 من الموت ثم يخاف إذن فلامصيبة في هذه الأرض أقوى عند الانسان من الموت فاذا لم يكن مصيبة أصبغت
 جميع أحوال الحياة سهلة وضعفت آثار ما نسميه مصائب فيها . فهنا أصطبغت الشجاعة مع الحب وبسببها
 تميز الأشياء . فاذا عاش الانسان جاهلا فلم يعرف هذه المحائب لم يدخل الحب قلبه . واذا عمل عملا صالحا لم
 يكن له باعث عليه إلا أحد أمرين : إما أن ينتظر المكافأة عليه في الدنيا على أيدي الملوك والأمراء والعاقبة
 واما أن ينتظرها في الآخرة بالخور الحسان وكأس المعين والحلى والحلل . وهذا وما قبله آثارها أضعف من آثار
 المحبين لربهم أولئك الذين يعملون في الدنيا ويرون انهم سعداء بنفس أعمالهم ويرون اطلاع محبوبهم على
 أعمالهم خير مشجع لهم وهؤلاء سعداتهم في الآخرة تكون على هذا المنوال فهم أبدا في ازدياد العلم ونس
 العلم لهم سعادة حقيقية ولو انهم منعوا ذلك النعيم ووقفوا عند حد المطاعم والمشارب والخور لرأوا أنهم معذبون
 عذابا لا يطاق . وفي هذا العالم اليوم من اذا قال له الملك أنا أعطيك أجل جارية عندي تحظى بها ومن المال
 ما تشتهي ولكن لاتحضر مجلسي لأنك لاتصلح للوزارة ولا للشاورة ولا للمساعدة لكان ذلك عليه أشد من
 الموت لأنه إذ ذاك سقطت كرامته في نفسه وأصبح ذليلا مهينا . فاذا كان هذا في الطبقة الوسطى وهم الملوك
 والأمراء ومن على شانهم وهم أرباب اللذة الوسطى فما بالك بمن فوقهم من أرباب اللذة العليا العقلية وهم
 الحكماء . ولقد قدمنا كثيرا في هذا التفسير أن لذة المحسوسات أدنى ولذة الحكم والفطنة أرقى كلذة الأسد
 بنفسه لذة العنز والغزال . فأما لذة العلم والحكمة فهي أحق من جميع اللذات . ولن يصدق هذا القول إلا
 من عرف هذه الأقسام الثلاثة وجرّبها بنفسه فان من لم يجرّب ولم يذق فستحيل عليه أن يصدق ذلك أو
 يتصوره وقد الخلق والأمر وهو رب العالمين

ثم إن هؤلاء المؤمنين لربهم بسبب هذه العلوم يرون أن كل من أحب غيره فان ذلك المحبوب يشعر بحب
 من أحبه وهذه تعظيم تشجيعا إذ يرون أن الله يحبهم حبا يليق بجلاله لا تحب الخلق لاسيما اذا قرؤا قوله
 تعالى - يحبهم ويحبونه - وقوله - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم -
 واعلم أن الأدكيا من قراء هذا التفسير سيكون حبه لله مفرطا . ذلك أن الانسان كلما ازداد علما
 ازداد حبا . وهذا العلم الموجب للحب امتداد هو علم الجباب والجهاب في كتب الحيوان والنبات والمعادن
 وعلم طبقات الأرض والنالك وغيرها مستقاة في الكتب بل صعبة الفهم فلذلك لاتبعد البارعين في تلك العلوم
 عندهم هذه المحبة بل ربما أنكروا الالهية أو صدقوا بها ولكنهم غافلون لأن علومهم أخذوها منفصلة غير
 متصلة ولا موصلة لمبدعها . أما في هذا التفسير فانها متصلة مفضلة . إذن هي موصلة لذلك الحب ولم تكن هذه
 الصعاب في القرون الأولى واضحة لعموم الناس كما اوضحت في هذا الزمان لاسيما بالصور الفوتوغرافية . وسيزيد
 عينك عما كتبت الآن ما أقوله لك عن الامام الغزالي في الاحياء تحت العنوان الآتي وهذا نصه :

﴿ بيان السبب في تفاوت الناس في الحب ﴾

اعلم ان المؤمنين مشتركون في أصل الحب لاشتراكهم في أصل المحبة ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة
 وفي حب الدنيا إذ الأشياء اختلفت تفاوت أسبابها وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى إلا الصفات والأسماء
 التي قرعت سمعهم فتأفكروها وحفظوها وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب الأرباب وربما لم يطلعوا على

حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسدابل آمنوا بها إيمان تسليم وتصدقوا واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهو لاهم أهل السلامة من أصحاب اليقين والتخيلون هم الضالون والعارفون بالحقائق هم المقرّبون وقد ذكر الله حال الأوصاف الثلاثة في قوله تعالى - فأما إن كان من المقرّبين فروج وربحان بوجه نعيم - الآية فإن كنت لاتفهم الأمور بالأمثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثالا فنقول أصحاب الشافعي مثلا يشتركون في حب الشافعي رحمه الله الفقهاء منهم والعوام لانهم مشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحمد خصاله ولكن العايم يعرف علمه بمجلا والفقير يعرفه مفصلا فتكون معرفة الفقيه به أتم وإجها به وجه له أشدّ فإن من رأى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف به فضله أحب للاحالة ومال اليه قلبه فإن رأى تصنيفا آخر أحسن منه وأجهد تضاعف للاحالة حبه لانه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر انه حسن الشعر فيحبه فإذا سمع من غرائب شعره ما عظم فيه حذقه وصنعة ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذا سائر الصناعات والفضائل والعايم قد يسمع أن فلانا مصنف وانه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف فيكون له معرفة بجملة ويكون له بحسبه ميل بمجل والبصير اذا اقتبس عن التصانيف واطلع على ما فيها من العجائب تضاعف حبه للاحالة لان عجائب الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم بجملة صنع الله تعالى وتصنيفه والعايم يعلم ذلك ويعتقده وأما البصير فإنه يطلع تصنيف صنع الله تعالى فيه حتى يرى في العوض مثلا من عجائب صنعه ما ينهيه به عقله ويتعجب فيه له ويزداد بسببه للاحالة عظمة الله وجلاله وكال صفاته في قلبه فيزداد له حبا وكلما ازداد على أعاجيب صنع الله اطلاعا استدبل بذلك على عظمة الله الصانع وجلاله وازداد به معرفة وله حبا وبحر هذه المعرفة أعنى معرفة عجائب صنع الله تعالى بحر لا ساحل له فلا حرم تفاوت أهل المعرفة في الحب لاحصره وبما يتفاوت بسببه الحب اختلاف الأسباب الخمسة التي ذكرناها للحب فان من يحب الله مثلا لكونه محسنا اليه منه ما عليه ولم يحبه لذاته ضعفت محبته إذ تتغير بتغير الاحسان فلا يكون حبه في حالة البلاء كحبه في حالة الرضا والنعماء وأما من يحبه لذاته فلا يمتنع للحب بسبب كماله وجلاله وبجده وعظمته فإنه لا يتفاوت حبه بتفاوت الاحسان اليه فهذا وأمثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في المحبة هو السبب للتفاوت في سعادة الآخرة ولذلك قال تعالى وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا

(بيان السبب في قصور أفهام لخلق عن معرفة الله سبحانه وتعالى)

اعلم أن أظهر الموجودات وأجلها هو الله تعالى وكان هنا يقتضى أن تكون معرفته أول المعارف وأسبقها الى الافهام وأسهلها على العقول وترى الأمر بالضد من ذلك فلا يد من بيان السبب فيه وانما قلنا انه أظهر الموجودات وأجلها لمعنى لاتفهمه الا بمثل وهو انا اذا رأينا انسانا يكتب أو يخط مثلا كان كونه حيا عندنا من أظهر الموجودات حياؤه وعلمه وقدرته وازادته للخياطة أجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة اذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته وعرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لانعرف بعضها ببعضها انشك فيه كقدر طولها واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته أما حياؤه وقدرته وازادته وعلمه وكونه حيوانا فإنه جليّ عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياؤه وقدرته وازادته فان هذه الصفات لا تحس بشئ من الحواس الخمس مم لا يمكن أن تعرف حياؤه وقدرته وازادته الا بخياطته وحركته فلانظرنا الى كل ما في العالم سواء لم نعرف به صفة فاعليه الادليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد بالضرورة كل ما نشاهده ونشركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومبرونبات وشجر وحيوان وسما وأرض وكوكب وبرّ وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وأظهر الأشياء في علمنا أنفسنا بمحسوساتنا

بالحواس الخمس ثم مدركتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولفظه وحكمته والموجودات المدركة لاحصر لها فان كانت حياة الكائنات ظاهرة عندنا وليس يشهد لها الا شاهد واحد وهو ما أحسنابه من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا مالا يتصور في الوجود شيء داخل نفوسنا وخارجها الا وهو شاهد عليه وعلى عظيمته وجلاله اذ كل ذرة فانها تنادي بلسان حالها انه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وانها تحتاج الى موجد ومحرك لها . يشهد بذلك أولا تركيب أعضائنا واتلاف عظامنا ولحومنا وأعصابنا ومنايب شعورنا وتشكل أطرافنا وساير أجزائنا الظاهرة والباطنة . فانا نعلم انها لم تأتلف بانفسها كما نعلم أن يد الكاتب تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود شيء مدرك ومحسوس ومعقول لحواسه وغائب الا وهو شاهد ومعترف عظيم ظهوره فانهبرت العقول ودهشت عن ادراكه فان ما نقصر عن فهمه عقولنا فله سببان : أحدهما خفاؤه في نفسه وعمومه وذلك لا يخفى مثاله : والآخر ما يتناهى وضوحه وهذا كما أن الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لانخفاء النهار واستناره لكن لشدة ظهوره فلن يبصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس اذا أشرقت فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع إبصاره فلا يرى شيئا إلا اذا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجلال الحضرة الالهية في نهاية الاشراق والاستنارة وفي غاية الاستتراق والشمول حتى لم يشد عن تظهوره ذرة من ملكوت السموات والأرض فصار ظهوره سبب خفائه فسبحان من احتجب بأشراق نوره واختفى عن البصائر والابصار بظهوره ولا يتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فان الأشياء تستبان بأضدادها وماعلم وجوده حتى انه لا ضلته عسرا دراكه فلو اختلفت الأشياء فدل بعضها دون بعض أدركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد أشكل الأمر ومثاله نور الشمس المشرق على الارض فانا نعلم انه عرض من الأعراض يحدث في الأرض ويذول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الاشراق لا غروب لها لكننا نظن انه لا هيئة للأجسام الألوانها وهي السواد والبياض وغيرها فانا لانشاهد في الاسود الا السواد وفي الأبيض الا البياض فأما الضوء فلاندركه وحده ولكن لما غابت الشمس وأظلمت المواضع أدركنا تفرقة بين الحالين فعلمنا أن الاجسام كانت قد استضاءت بضوء وانصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرقنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور . مع أن النور أظهر المحسوسات إذ به تدرك سائر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف تصور استبهاام أمره بسبب ظهوره لولا طربان ضده فانه تعالى هو أظهر الأمور وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانتهت السموات والأرض وبطل الملك والملكوت ولأدرك بذلك التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الأشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لادركت التفرقة بين الشبثين في الدلالة ولكن دلالة عامة في الأشياء على نسق واحد ووجوده دائم الاحوال يستحيل خلافة فلا جرم أدركت شدة الظهور خفاء فهذا هو السبب في قصور الافهام وأما من قويت بصيرته ولم تضعف منته فانه في حال اعتدال أمره لا يرى الا الله تعالى ولا يعرف غيره يعلم أنه ليس في الوجود الا الله وأفعاله أثر من آثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة دونه وانما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال كلها ومن هذه حاله فلا ينظر في شيء من الأفعال الا يرى في الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث انه سماء وأرض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث انه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجاوزا له الى غيره كمن نظر في شعر انسان أو خطه أو تصنيفه ورأى فيه الشاعر والمصنف ورأى آثاره من حيث أثره لامن حيث انه حبر وعصص وزاج مرقوم على بياض فلا يكون قد نظر الى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله تعالى فمن نظر اليه من حيث انه فعل الله وعرفه من حيث انه فعل الله وأحبه من حيث انه فعل الله لم يكن ناظرا الا في الله ولا عارفا الا بالله

ولاحبا الاله وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى الا الله بل لا ينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا يقال فيه انه فنى في التوحيد وأنه فنى عن نفسه واليه الاشارة بقول من قال كنا بنا ففينا عنا فبقينا بلا نحن فهذه أمور معلومة عند ذوي البصائر أشككت لضعف الافهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن إيضاحها وبيانها بعبارة مفهومة موصلة للغرض الى الافهام وباشتغالهم بانفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك لغيرهم مما لا يهتبهم فهذا هو السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى وانضم اليه أن المدركات كلها التي هي شاهدة على الله انما يدركها الانسان في الصبا عند فقد العقل ثم يتدرفيه غزيرة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهوته وقد أنس بمدركته ومحسوساته وألقها فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس ولذلك اذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا أو نباتا غريبا أو فعلا من أفعال الله تعالى خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طيعا وأعضاؤه فقال سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه وأعضائه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة لا يحس بشهادتها لطول الانس بها ولو فرض أنك بلغ عاقلا ثم اهتشت غشاوة عينه فامتد بصره الى السماء والأرض والأشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة تخيف على عقله أن يغير لعظم نجبه من شهادة هذه العجائب لخالفها فهذا وأمثاله من الأسباب مع الانهماك في الشهوات هو الذي سد على الخلق سبيل الاستضاءة بأنوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة فالناس في طلبهم معرفة الله كالدهوش الذي يضرب به المثل اذا كان راكبا لحماره وهو يطلب حماره والجليات اذا صارت مطلوبة صارت معاتضة فهذا سر هذا الأمر فليحقق ولذلك قيل

لقد ظهرت فما تخفى على أحد * الاعلى ا كنه لا يعرف القمر
لكن بطلت بما أظهرت محتجبا * فكيف يعرف من بالعرف قد ستر

﴿ زيرجدة ﴾

(في قوله تعالى - فأتبعه شهاب ثاقب - وظهور أسرار القرآن في عصرنا الحاضر)
اعلم أيها الذكي أن كثيرا من العقلاء وأهل العلم والفلسفة اذا سمعوا هذه الآية توهموا وظنوا أن هذه لا تخلو من أحد أمرين : إما أن تكون أمرا خياليا وضع للوعظ والتعليم ، وإما انه مجاز ، فالأمر أن يكون هناك شياطين يرتقون الى السماء ومتى وصلوا اليها سمعوا الملائكة وأن شهابا تقابلهم في طريقهم فتمنعهم ، فهذا مما لا سبيل اليه بحسب ما نشر من العلوم
هنا هو الذي يظنه أكثر أهل العلم في زماننا وفي كل زمان . واعلم أن العلم الناقص هذا شأنه فيحكم بما علم على ما لم يعلم ، وهأنذا باسط لك أيها الذكي آراء المتقدمين وعلماء العصر الحاضر في هذه المسألة لتقف أولا على حقيقة الشهب بحسب العلوم المدونة في زماننا ثم أحدثك بعدها عما فتح الله به من أسرار هذه الآية لينزل الحرج من صدرك وتعلم من العلم ما لم ينله كثير من الفضلاء وليتلج صدرك ولتكون من الموقنين الفرحين بالعلم الذي هو جنة مججلة للعارفين في هذه الحياة الدنيا فأقول والله الفضل والمدة وهو رب العالمين قد تقدم بعض هذا المقام في سورة الحجر ولكن هنا لابد من استيفائه فأقول نافلا عن كتابي « بهجة العلوم في الفلسفة العربية وموازتها بالعلوم العصرية » وهذا نصه :

﴿ حوادث كرة الاثير من الشهب الساقطة وانقضاء الكواكب ذوات الاذئاب ﴾

أما الأقدمون فيقولون اننا نرى في السماء صورة أعمدة مخروطة قائمة قاعدتها مما يلي كرة النار ومخروطها مما يلي وجه الارض وما هي الا دخان يابس لطيف سعد من الأرض كما قدمناه والجيال والبراري فاذا بلغت الأبخرة الكرة الزمهريرية تتلاقى في أعلاها بكرة الأثير وهي الكرة النارية التي حدثت فوق كرة الزمهرير بسبب سرعة الحركات الفلكية التي ولدت الحرارة فأنشأت هذه الكرة وتقل حرارتها كلما اقتربت من كرة

الزهور الغامضة بينها وبين كرة النسيم فاذا بلغ الدخان كرة الأثير المذكورة اشتعل نارا كما ترى الدخان الطائر من السراج المنطفي يشتعل بملاقته لسراج متقد وكذا اذا تشتعل في النفط الأبيض ثم تفتنه بسرعة فينطفئ وإنما اعتبروها دخانا محترقا لانهم يقولون انها تظهر في أيام الجذب أكثر والجذب يقل معه المياه في الارض فيقل البخار ويكثر الدخان ويستدلون على انه دخان أيضا بأن النار عند اشتعالها فيه ترى عظيمة فلا تزال تقل حتى تختفي فيحيل للناظرين انها نار نارلة من السماء . وتارة ترى كأنها كرة صغيرة متدحرجة على سطح كرة كبيرة فهي تبتدى في حركتها من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق ومن الجنوب الى الشمال وبالعكس وتارة تنسكب فكأنها في نظر العين كرة من فطن اشتعلت فيها النار ثم رميت في الهواء وكلما احترقت بالنار تنار شررها وصغرت حتى تفتني . ومثلها الكرة التي يلعب بها أصحاب الخيالات يجهنونها من سندروس وأجزاء عقاقير ويشعلون فيها النار ويأخذونها في أفواههم فاذا رقصوا أو تنفسوا رأيت النار تخرج من أفواههم ومناسخهم وهكذا حتى تفتني . ويقولون في ذوات الأذئاب انها تظهر قبل طلوع الشمس أو بعد غروبها ولا تحدث إلا في كرة الأثير وهي تدور مع فلك القمر على توالي البروج كبير الكواكب السيارة وتارة تنأخر راجعة ومادتها هي المادة المتقدمة البخارية ولكن هذه ألطف فتعقد وتكون شفاقة كالبلور واذا أشرفت عليها الشمس شفت من الجانب الآخر فلا يزال المذنب يشرق ويغرب حتى يجمحي من الوجود . وملخص كلام القدماء أن الدخان اعتلى في الجوق واشتعلت فيه النار ككرة القطن أو كالنفط المشتعل أو كالسندروس المجهون مع غيره . وأن نجمة الذنب أشف مادة وأبقى مدة وأطول أجلا ثم تضمحل . سبب هذا الرأي . أنهم كانوا يرون تبعا للقدماء ان الكواكب لا تنفث ولا تنكسر ولا يكون فيها شظايا لأنها باقية الى الأبد وقد علمت بطلانه

﴿ آراء علماء العصر الحاضر في المذنبات والشهب والنيازك ﴾

المذنب نجم ذو ذنب فله رأس وله ذنب وهو أنواع منه ما لا ذنب له وهي كثيرة التقب وقد تكون رموس المذنبات أجساما مستقلة . وأما الأذئاب فهي أجسام كبيرة لطيفة المادة دقيقةا ولطافة الأذئاب مستتجة من خفتها ولقد نعلم أن السيارات تسير في مدار واحد لجهة واحدة . أما المذنبات فلانظام لها في سيرها وأما كثرتها فهي كسمك البحر عدا . وذنبها يكون أكثر ظهورا كلما اقتربت الرأس من الشمس والرأس تنجذب نحو الشمس متى اقترب المذنب منها . فأما الذنب قائما يكون اندفاعه الى الجهة الاخرى ومذنب (دوناني) أول ما ظهر في شهر يونيو سنة ١٨٥٨ واختفى عن الأعين بعد قليل ونور المذنب ليس مستعرا كنور القمر وكرة هذه النجمة يسمى نواة أو لبا ورؤية ذوات الذنب لا يمكن الا في جزء من مدارها أي حين قربها من الشمس وذوات الذنب متفاوتة في المقدار والضوء فهما بتعسر رؤيته ولو بالآلة . ومنها ما يشغل بسبب عظم ذنبه ثلث السماء أو نصفها بحيث يكون أعظم من ٦٠ درجة الى ٩٠ فالنجمة التي ظهرت سنة ١٨١١ افرنكية كانت لا تكاد ترى فسكها قربت من الشمس صارت بخارا وأضحى جرمها شفافا وهي لا ترجع الا بعد ٣٠ قرنا ولم يتحقق العلماء من رجوع نجوم ذات ذنب مما رصدوها الا اثنتين وهما

(١) نجمة هليه التي تقطع فلکها في ٧٥ سنة ونصف وقد ظهرت سنة ١٩١٠

(٢) النجمة القصيرة الدور وهي تقطع فلکها في ثلاث سنين ونصف وقد ظهرت سنة ١٨٢٩ وفيها بعدها

ومن النجوم ذوات الذنب ما لا تقطع فلکها الا في عدة قرون . ومنها ما يذهب جهة النجوم الثوابت فيخفي عنا ولا يرجع أبدا

اذا رؤيت ذوات الذنب لا يحكم عليها بأنها دورية أو غير دورية وكيف يعلم ذلك وقد علم أن مدد دورة

بعضها يمد بالآلاف أو بمئات الآلاف من السنين حتى ترجع ومن ذا ضمن رجوعها

الشهب والنيازك . الكرات النارية . الحجارة الجوية

الشهب جمع شهاب وهو ما يرى كأنه كوكب انقض والنيازك جمع نيزك وهو معرب (نيزه) بالفارسية

ومعناه الرمح التصير و يطلق على الشهاب تشبيها ويقال شهاب ثاقب ونجم ثاقب لانه يتقب الظلام بضوئه :

(الشهب)

الشهاب ما يرى في الليالي قد انقض من السماء وليس كوكبا وانما هي اجسام صغيرة ربما لا تزيد الواحدة عن حجم البلاطة وهذه الاجسام كثيرة جدا ومنها مجموعة تسمى الاسديت وهي تم دورتها حول الشمس في شكل اهليلجي في ٣٣ سنة ولا يحصى عدد هذه الشهب وقطرها ١٠٠٠٠٠ ميل أو أكثر . والأرض لا تخترق في سيرها هذه الاسديت الا ثلاث مرات كل مائة عام وآخر مرة كانت سنة ١٨٦٦ وفي كل مرة تصيف آلاف الآلاف من هذه الشهب أو النيازك مما ينزل على سطحها . وأما النور الذي يظهر من تلك الشهب فانما يكون من سرعتها واحتكاكها بمادة الجو كما يندسح الزناد وهي أكثر سقوطا في ليال معلومة فهي تزيد في ١٠ اغسطس و١٣ نوفمبر وتقل في ٢٠ ابريل و٢٧ نوفمبر و١٨ و٢٠ اكتوبر و٦ و٩ و١٣ ديسمبر ويقال ان عدد الشهب التي نراها بالعين المجردة والمقارب المتوسطة مما يخترق جوتا كل عام يبلغ نحو ١٥٠٠٠٠٠٠٠ و آلاف آلاف منها تصيب أرضنا وتبقى عليها

(الكرات النارية)

هي أيضا اجسام مضيئة تظهر وتختفي بسرعة كالشهب ولكنها أبطأ منها وتخرق غالبا بالقرب من الأرض فتحدث فرقة وقد يكون منها اهتزازات وما يقع منها على الأرض يسمى الحجارة الجوية ويدخل في تركيبها الحديد والسليس والنيوزيا والنيكل وغيره وارتفاع الشهب من ٨ كيلومترا الى ٦٠ و ١٠٠ و ٢٠٠ كيلومترا وسرعتها متغيرة كارتفاعها وقد تساوى سرعة الأرض بل تزيد عنها ويقولون ان هذه الكرات عبارة عن مادة قطعها صغيرة الجرم دائرة حول الشمس ومتى قربت الأرض منها جذبت اليها بعض تلك القطع فسقط نحو الأرض ونشعل في الجو على هيئة شهب أو تسقط الى الأرض على هيئة حجارة جوية اه . فتأمل نجد الفرق بين القدماء والمحدثين ان الاولين يزعمون ان تلك المذنبات والشهب والنيازك والكرات عبارة عن بخار أرضي قابل النار فاحترق . وعلماء العصر الحاضر يقولون سلمنا بالاحتراق من الاحتكاك لامن كرة الأثير فنحن لا نقر بها ولكن لانسلم ان المحترق هو البخار كالا وانما المحترق اجسام وقطع صغيرة دائرة حول الشمس كما يدور سرب الحمام والقطا في الجو فتمت الأرض به في أيام معلومة اختلطت منها آلافا مؤلفة فطبختها بالحرارة في جوها من الاحتكاك بها كاحتكاك الزنادم التهمتها فأكلتها وكان هذه الاسديت المذكورة وأمثالها قطعان من البقر والغزلان تأكل منها الأرض اذامرت بها وقد جاءت وقد تأكل في أوقات معلومة فان للأرض كل ثلاث وثلاثين سنة مدة يقال لها الفرق بين السنين القمرية والسنين الشمسية ويكون الفرق بينهما سنة في تلك المدة وتلك المدة بنفسها هي التي تمر فيها في الاسديت فاذا كان مائة سنة يكون الفرق بين السنين الشمسية والقمرية ثلاث سنين فهكذا ستمر في تلك الاسديت لتأخذ زاداها للسفر ثلاث مرات فكم في الكون من حجب وقيل ما تبلىه تصلحه بالنار في جوها كما نفعل نحن في طعامنا وأقول لقد اطلعت على بعض تلك الأشجار التي حفظت في المتاحف المصرية والله أعلم

(توضيح الفرق بين المحدثين والقدماء فوق ما تقدم)

فانظر أيها العاقل للعقول الانسانية قديما وحديثا فالقدماء لما اعتبروا الأرض مركز العالم والسماء لا كسر فيها جعلوا ذوات الذنب والسهام والكرات النارية من الأرض . والمتأخرون ؤلوا كلا انما هي اجرام دوائر حول الشمس تنزل اليها وترى فوق سطحها والجميع عرفوا انها نارة تكون سهاما ونارة تكون كرات وان نورها في الجو وحرارتها بالحركة والسرعة عند المتأخرين وان النار أحرقت الدخان عند المتقدمين وكل من الأولين والآخريين يسمون حكماء لانهم عرفوا الحقائق على مقدار الطاقة البشرية انتهى علم الآثار العالوية . انتهى ما أردته من كتابي بهجة العلوم

هاهي ذه أهبأ الذكي آراء القدماء وآراء المحدثين في الشهب والنيازك التي ذكرنا معها المذنبات تنبها للبعث العلمي ، وقد علمت أن الشهب تبلغ نحو (١٥٠) مليوناً في السنة حول أرضنا كما ان المذنبات تبلغ عند سمك البحر ، فينتج من هذا كله أن جو الأرض مملوء من تلك الشهب ومن ذوات الأذئاب ونحن لا نرى منها إلا القليل ، فهل هذه الشهب التي تحترق أرضنا وهي تجرى حولها ليلاً ونهاراً هي التي تحرق الشياطين وتمنعها من صعود السماء

أقول : اعلم أن الشياطين (نوعان) شياطين الانس وشياطين الجن ، أما شياطين الانس فهم النفوس المحجوبة التي تعيش في أبدانها في هذه الأرض من بني آدم فهؤلاء الآن شياطين بالقوة فإذا ماتوا صاروا كهية الشياطين بالفعل ، ألم ترى قوله تعالى - فكسكبوا فيها هم والفارون - وجنود ابليس أجمعون - إذن هم أصحاب واخوان وأصدقاء وكل ما أوتوا من زينة الحياة الدنيا من مال وولد ونعمة إن هي إلا عذاب لهم كما قال تعالى - فلا تحببك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وترحق أنفسهم وهم كافرون -

والانسان لا يستطيع الحياة إلا مع من هم على شاكلته فالعالم لا يعيش عيشاً يناسبه إلا في هيئة علمية والانس يفرح بالصوص وهؤلاء لا يعيشون في جو مكهرب بالعلم والمطر ينزل من السحاب ويجري في الأنهار ولكنه سرعان ما يكر راجعاً الى موطنه الأصلي وهو البحر الذي استخرجه ضوء الشمس منه فارتفع صار سحاباً هكذا المفكرون في الجانب في هذه الدار المحبون للحكمة يرجعون الى مقرهم عند ربهم لأنهم دائماً يحنون الى ذلك المقام . وشياطين الانس الذين يعيشون في الأرض الآن لم يحجبهم عن الحقائق العلمية إلا أدران الذنوب والشهوات كما أن الأنبياء صفت نفوسهم فاطلموا والحكام فكروا فعرفوا معرفة أقل فصاروا خلفاءهم . وللنفوس المحجوبة الشيطانية الاشارة بقوله تعالى - بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلا أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * ثم انهم لصالوا الجحيم * ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون - وللنفوس الفاضلة الاشارة بالآية بعدها - كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين وما أدراك ما عليون - إذن النفوس الشيطانية من بني آدم لها شهوات وأهواء ومعاص وزنوات منعها من الاطلاع على الحقائق . ومن ذلك أسرافها في الماء كل والمشارب وتفانيها في طهي الطعام الذي يلذ طعمه ويقل خيره وهل خيره إلا مادة الحياة المسماة بالقيتامين المتقدم كثيراً في هذا التفسير والذي سيأتي الكلام عليه في (سورة ص) عند آية - فبعضتلك لأغوينهم أجمعين - فالتفاني في التواهل وفي الطبخ بالنار التي هي القاتلة لمادة الحياة في الطعام كما أظهره الكشف حديثاً والتباعد عن الفطرة من قاطبي الطعام وهو غير مطبوخ من كل ما يمكن أكله بلا طبخ فأصبح ذلك طبيعة للناس عالقاً بهم لا يجدون عنها حيصاً كما لا يجد الكبير حيصاً عن السكر وهو يعلم انه نار تطفى عليه . كل ذلك مورث للأمراض وضمف الصحة ومانع عن فهم الحقائق

فلننظر إذن الى بيت التصيد وهي النفوس الشيطانية التي فارقت الأجساد من بني آدم وقلنا انهم هم اخوان الشياطين لأن القبيلين من واد واحد ، ولأذ كرك أهبأ الذكي بما تقدم في سور كثيرة بما نقلته عن علماء الأرواح أولاً وعن الشيخ الدباغ والخواص وأمثالهما سابقاً ، وتجد بعضه في (سورة التوبة) فانك تجد هناك أن الأرواح في البرزخ قبل يوم القيامة لا تكون في الجنة الحقيقية ولا في النار الحقيقية ، فالجنة والنار الحقيقيتان تكونان يوم القيامة ، ألم ترى أن الله يقول - النار يعرضون عليها غدواً وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب - الخ فهؤلاء هم واخوانهم الشياطين يكونون في الجحيم لا يرتقون الى الملائ الأظى ، وهذا الجحيم مملوء بهذه الشهب وهذه الشهب كثيرة الحركات فيه وكثرة الحركات فيه تجعله ميداناً لانفعال النفوس واضطراب الأفسدة ، إذن كما اتنا نعيش في أرض قد ملئت بالحرب والحرارة والبرودة والأمراض

وهكذا وذلك كله يشغل الأذهان عن الوصول للحقائق إلا قليلا من الأكابر هكذا الشياطين واخوانهم من أرواح بني آدم الشريرة يعيشون في جو ملوئ من الاضطراب والزلزلة المانعين من صفاء الأذهان الموصل للاطلاع على الحقائق ، إذن في الجو أوصاب واضطراب يمنع سكانه من معرفة الحقائق كما في الأرض ، وعلى هذا يكون قوله تعالى - ويقذفون من كل جانب بـ دحورا ولهم عذاب واصب - جاء على حقيقته ، فكما أن المجرمين من بني آدم الساكنين معناني الأرض قد أضاعوا حياتهم في الشهوات واللذات والحرب والضرب والقتال وهم عن معرفة الحقائق بهذه الأعمال محجوبون هكذا المجرمون من الأرواح الانسانية واخوانهم- شياطين الجن الذين ضعفت نفوسهم فلم يجاوزوا جو أرضنا - لهم عذاب واصب - بعموم نحن نجعلها وهموم ومنها أخلاقهم التي اكتسبها بعضهم في الأرض ولم يظهر لنا من ذلك العذاب إلا تلك الحجارة النارية التي تجعل جوهم خاليا من الصفاء كما ترى الناس يقتتلون في الميادين ونفوسهم مشغولة بالمدافع والبران التي تقذف منها على المتحاربين ، وكما أن المدافع والغازات الحارقة والمعمية تنزل على المتحاربين بأيدي غيرهم هكذا هذه الشهب تسقط في الأجواء بأيدي الملائكة المذكورين قبل ذلك الموصوفين بلزاجات زجرا ، فهم كما يزجرون السحاب ويزجرون العالم العلوي والسفلي ليكون خاضعا لأمر الله وحكمه . هكذا يزجرون بتلك الشهب تلك الأرواح عذابا لها لتعجيبها عن الاطلاع على الحقائق كما حجبت نفوس كثير من أهل الأرض عنها لأنها ليست أهلا لتلك والله يقول - ورحمتي وسعت كل شيء - وهذه الأرواح المحجوبة منعت معرفة الحقائق رحمة من الله بها لأنها لم تستعد لها ولو عرفت هلكت ، فالمنع الذي هو عذاب لهم قد صاحبه رحمة حقيقية لأن العالم كله خلقه وهو أرحم الراحمين والحمد لله رب العالمين والى هنا تم الكلام على اللطيفة الثانية في قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - الى قوله - شهاب ناقب - انتهى صباح يوم الخميس (١٤) أغسطس سنة ١٩٣٠

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

(في قوله تعالى - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم * وقفوهم انهم مسؤولون -)

أبها المسلمون : ظهر الحق واستبان السبيل . الناس طائفتان : طائفة جاهلة وأخرى عالة . فالجاهلة تعيش وتموت كما يعيش ويموت النود ولو كانت من قارئ الديانات والعلوم وهم في غفلة معرضون . أما الطائفة العالة فهي التي أدركت اليوم قبل يوم القيامة ادراكا يقينيا أن هذه العوالم كلها تجري على نظام ثابت من حيث المناسبات فكما اتنا نرى الطيور في الجو والأنعام على الأرض والسمك في البحر بحيث لا يقدر أحدها أن يعيش في غير مكانه المعد له . وأيضا كل طائفة من الانسان والأنعام والطيور لا يجب أحدها أن تعيش إلا مع أمثاله وهو غريب بعيد عن غير نوعه . هذا أمر واضح . فهكذا سنكون بعد الموت فأصحاب الجحيم هم هنا الآن مجتمعون معا كما سيجتمعون معا هناك . وسترى الحكام الظالمين لا يحبون إلا أمثالهم واللصوص وأرباب الكباثر جميعا يألف بعضهم بعضا في الدنيا والآخرة على وتيرة واحدة

أبها المسلمون : العالم مقبل على أيام انقلاب عظيم وسوف يختلطون بالأمم عاجلا أو آجلا . والأمم المعاصرة لنا كلهم أو جلهم اخوان أو أصحاب المسيح الدجال لأن المسيح على قسمين : مسيح صادق وهو المسيح ابن مريم وأتباعه القدماء الصالحون . ومسيح دجال كاذب يظهر الصلاح وليس بصالح وهذا هو المسيح الدجال الوارد في الشريعة وقد ظهر أعوانه في الأمم المعاصرة لنا . إن المسيح الدجال الذي ورد في الحديث يظهر أنه يسعدنا بما يشبه الجنة ويهدنا بما يظهر لنا انه جهنم . فاذا دخلنا ناره أصبحنا في نعيم . وبالعكس اذا دخلنا

جنته . الله أكبر : أليس هذا حاصلا فعلا حقا وصدقا . ألم تدخل أوروبا بلاد الشرق لارتقائنا هم هي تملأ بلادنا بالخر وأنواع المخدرات . فوا أسفاه على بلادى المصرية . واحسرتاه على عقول ونفوس ذلت وهلكت تقدم في هذا التفسير أنى نقلت عن (هنرى الفرنسى) انه قال : « إن الخمر التى يستعملها المستعمرون في إهلاك الشعوب لم تؤثر في بلاد الجزائر » ولكن أنا أقول متعسرا متأسفا : « لقد نال المستعمرون ما أرادوا ودخل مسيحيوهم الدجالون بلادنا ونحكوا على العقول وملؤا البلاد بالمخدرات والمسكرات والسموم المهلكات فانظر ماجاء في مجلة « الدنيا المصورة » تحت العنوان الآتى وهذا نصه » :

﴿ عبيد السموم البيضاء ﴾

﴿ أولئك الذين اشتروا الموت بالشرف والكرامة ﴾

﴿ حركة جديدة مباركة لمحاربة هذه السموم من مكتب مكافحة المخدرات بحكمдарية القاهرة ﴾

اذادهم البلاد عدو قادر يهب الأرواح ويدمر الأملاك ويعيث في الأرض فسادا فان الواجب يقضى على جميع أبناء البلد الواحد بأن يتآزروا ويتصاموا لدفع أذى هذا العدو السفاح وصون البلد من شره وويله . وقد ينسكب العالم بالحروب . وبالجماعات . وبالابوثة . ولكنه لم ينسكب من قبل بمثل نكبة المخدرات التى نغترس الأرواح قبل الأجسام وتقضى على الاخلاق والعزائم وتجعل من بنى الانسان الذين خلقوا للعمل وللجهاد جيشا بالية وحطاما فانيا . وقد نكبت مصر كما نكبت البلدان الأخرى بهذا الماء الويسل الذى نقت سمومه بين طبقات فيها العمال وفنك فتكا ذريعا وكان من حسن حظ مصر أن آلى حضرة صاحب السعادة حكمدار بوليس القاهرة أن يحارب هذا الماء الفتاك محاربة قاسية لا تعرف الشفقة والرحمة . وقد ظهرت نتيجة هذه الجهود وأثمرت ثمر احسنا وبعد أن كانت الوسيلة التى اتبعتها الحكمدارية هي وسيلة القمع والتهديد . والحكم بالسجن الطويل والغرامات الفادحة على تجار هذه السموم ومدمنىها عمدت الى وسائل الوعظ والارشاد والترغيب وكثيرا ما أفلحت الوعود حيث لا يفلح الوعيد . وهذه المخدرات أحياء خاصة تنتشر فيها كما ينتشر الوب فى الطشم اليابس . ومن هذه الأحياء المنسكوبة حى القرعة البولاقية . طوفة واحدة فى ذلك الحى تبين لك أهوال هذه السموم وفنكها التريع بالنفوس . فاذا جلت بين النور الحقيرة والأزقة والحارات خيل اليك أنك تجول فى مقبرة لنظت أمواتها فخرجوا أشباحا مجردين من اللحم والدم يهيمون فى الطرقات وهم عظام نخرة تكسوها طبقة من الجلد الداكن الذى فقد رونق الحياة ونضرة الصحة . يفيض هذا الحى بأولئك العمال البائسين وأكثرهم من الصهايدة ، ومن الطبقة السفلى الذين أدمنوا تعاطى هذه المخدرات فأصبحوا لا يعيشون الا لأجلها فلا يهمهم أن يأكلوا أو يشربوا أو يلبسوا . وانما كل مهمهم أن يحصلوا على ما ينسج فيهم تلك الشهوة المفترسة . شهوة شم السموم وحقتها . ولم تكن الحكمدارية تجهل مصائب هذا الحى . بل كانت لطافى كل حين معجبة على تجاره تقودهم الى أعماق السجون ويبحث دقيقى بين ساكنيه يؤدى بمن يضبط معه شئ من هذه السموم الى الحبس . ولكن ماحيلة البوليس فى شخص تراه مهلهل الثياب زانغ البصر محطم الأعصاب مطروحا على الارض لا يقوى على الحراك وان قوى فأنما يسعى للحصول على دراهم قليلة يشترى بها شيئا من السكوكاين أو الهروين يسمم به جسده البالى . ماحيلة البوليس فيه وهو لا يحتمل معه من المخدرات ما يجعله طريدة السجن ؟ لذلك قامت قوة من رجال البوليس فى الصباح المبكر من يوم الاربعاء الماضى وطافت فى ذلك الحى المنسكوب . وراح أفرادها يتصيدون تلك الجنث المتحركة من الأزقة والشوارع والخوانيت . ولم يكن البوليس فى حاجة الى من يرشده الى مدمنى تلك السموم فان لهم طابعا خاصا . طابع البؤس والجوع والقنارة والجنون . ولم تمض ساعات قليلة حتى جمع البوليس حول ٢٥٠ شخصا من المدمنين الذين

تم مظهرهم عليهم ثم حملهم في السيارات الكبيرة الى دار المحافظة وجلس ذلك الجيش الجرار في فناء المحافظة وهم لا يكادون يفقهون ماحولهم . وكان مشهدا مفرعا هو عبدة المعتبرين . وهو الدرس البليغ لمن تحذره نفسه بأن يقضى على نفسه وعلى روحه وعلى كرامته هذا القضاء الشنيع . وراح رجال البوليس يحققون أمرهم . واتضح أن الكثيرين منهم سجنوا مرارا لاحرازهم المخدرات ثم أفرج عنهم بعد أن انتهت مدة سجنهم فلم يروعه السجن بل عادوا الى الشر ما كانوا عليه . و بينهم شبان في مستقبل الحياة وقد اضمحلت قواهم العقلية وظهرت عليهم دلائل البله والجنون وخارت قواهم الجسمانية فكأنهم في دور الاحتضار . واشتد بهم اليأس حتى لم يجدوا ما يسترون به أجسادهم الناحلة الاخرقا بالية واسمالا مهلهلة . وطاف بهم سعادة الحكمدار وضباط الحكمدارية وسار بينهم جناب الميرالاي بيكر بك يسوق اليهم النصح ويذكرهم بأولادهم الجائمين وعائلاتهم المنكوبة وكرامتهم الضائعة وهم جود ذاهلون . ولاشك في أن أولئك المنكوبين بمجموعة الآم وأحزان وشقاء فإن لكل منهم قصة كاملة ملؤها الفواجع والنكبات . ويكفي أن نروي هنا قصص بعضهم حتى يدرك القارى مقدار ما صنع تلك المخدرات بضحاياها . فهذا عامل كان يشتغل نجارا وله زوجة وابنتان . ابتلى بداء المخدرات فما لبث أن طرد من عمله . ولم يجد وسيلة للحصول على ثمن السم الا ببيع أثاث منزله . وحاولت زوجته أن تردعه فلم يندع ولم يعد لديه ما يصلح للبيع فراح يأمر زوجته بأن تشتغل حتى تأتبه بالمال الذى لم يعد في وسعه الحصول عليه بعد أن خمدت قواه . ولكن الزوجة كانت عاجزة عن العمل . وأرهقها الزوج التعس بطلب المال وبفتت به الخسة أن عرض عليها أن تتاجر بعرضها الذى هو عرضه . فذهبت غاضبة الى منزل أحد جيرانها حيث لم يكن لها أهل في القاهرة . وأما البنات فقد سعى الأب حتى استطاع أن يرسل كل منهما خادمة في منزل ويحصل لنفسه على أجرة خدمتهما . وبعد شهور قليلة فرت إحدى البنيتين واختفت آثارها . ولو كان في الأب بقية من قوة تساعد على البحث لغتر عليها في دور الفجور . وغيره شيخ كبير لم يجد وسيلة للحصول على المال ليضم جسمه الا بالسرقه فسرق وسجن . وخرج من السجن فلم يجد أثرا لابنته التى كانت تقول وقد جرفت الأقدار القاسية في سبيلها . وهذا كان «افنديا» . وكان موظفا . ثم ابتلى بهذا الداء وكان يحسب في أول الأمر طوا بسيطا . ومالبت ذلك اللهو أن أصبح شغلا شغلا . وطرد من وظيفته بعد أن اقتطع عن أداء عمله وطلقت منه زوجته ورحلت الى أهلها . وانتقل من الشقة التى كان يسكنها إلى مندرة حنبرة في حي بولاق . وعاش عائلة على تجار المخدرات يوزع لهم بضائعهم السمومة مقابل أن يمنحوه شيئا يشبع به شهوة شمه وبيع ثيابه وسار في الطرقات عارى الرأس حافى القدمين . ثم ضبطه البوليس فسجن . وقضى في السجن شهورا وخرج منه وليس في العالم بأسره من يهتم بأمره . فكان يرقد ليلة تحت الجدران في الازقة المظلمة ويسمى نهاره للحصول على قروش معدودة بأية وسيلة . فكانت الوسيلة التى هداه اليها البحث أن يرشد طلاب اللهو الى منازل الدعارة السرية ؟ أولئك هم عبيد السموم البيضاء الذين اشترى الموت بالشرف والكرامة . وسترى في الرسم الآتى في الصفحة التالية (شكل ١) صورة طائفة كبيرة من المصريين المدمنين على تعاطي الكوكايين



(شكل ١) - أخذت هذه الصورة للدمنين على الكوكابين - وكان عددهم ٢٥٠

نفسا - في حوش المحافظة ويرى بجوارهم العساكر

وجاء في جريدة الأهرام في يوم الثلاثاء الموافق ٢٨ يناير سنة ١٩٣٠ ماضه

﴿ بيان رسل باشا في لجنة الأفيون ﴾

﴿ صراحة رسل باشا ووقع بيانه ﴾

جنيف في ٢٧ يناير - افتتح اللواء رسل باشا في لجنة الأفيون المناقشة في منع الاتجار بالمخدرات بفسط الحالة في مصر بسطا مقرونا بالصراحة والشجاعة ، وكان لكلامه عن انشاء هذه الآفة وعن العمل السوء الذي يقوم به أصحاب مصانع المخدرات الأوربية رفع عظيم في النفوس . وقد قال ان هذه التجارة كانت قبل الحرب الكبرى مقتصرة على الخشيش السوري والأفيون السوداني . وكانت اضرارها محصورة في دائرة ضيقة فبعد الحرب قامت تجارة الكوكابين ولتتها تجارة المروين وجنى المهربون منهما أرباحا طائلة . وقد انقشر استعمال هذه المخدرات فتناوها جميع الطبقات حتى الفلاحين وانتشرت بين الشبان على الخصوص وأصبح الأدمان على هذه السموم يشمل أكثر من نصف مليون نفس من مجموع السكان الذي يبلغ أربعة عشر مليونا . ووصف رسل باشا بعبارة مؤثرة فعل هذه الآفة وانتشار عدواها بين سكانهم من أصحاب الناس بنية وأعظمهم نشاطا وقال هل من العدل أن نصب أوروبا اطنانا من السموم على مصر ونأشد جميع البلدان التي تصنع المخدرات أن تعاون في منع هذه الآفة التي تعمل لجنة عصبة الأمم بعزم صادق في سبيل القضاء عليها ونكلم بعبارة بليغة عن وجود التضامن الدولي في هذا الكفاح وعن ان عمل أوروبا يجب أن يكون مقرونا بشعورها بالتبعة والمسئولية . ثم كشف بصراحة وشجاعة النقاب الذي يلقيه بعض صرور الأعمال الألمانية والإدارية على أعمال القائمين بهذه التجارة في كثير من الأحيان وهكذا قدم رسل باشا للجنة الأفيون مثلا حسنا في استقلال الرأي والحزم والصراحة وذكر الأعمال السيئة التي قامت بها عصابات مركزها في سويسرا وعمل بعض المصانع الألمانية والفرنسية . واستشهد بقضية مولر في بال وهي لازال لدى القضاء وأشار الى الفروع المنتشرة في إيطاليا وفرنسا وألمانيا واليونان وتركيا وقال ان أساليب أصحاب هذه الصناعة ومصدرى موادها قد اكتشفت في أكثر الأحيان بفضل يقظة رجال السلطة في مصر . وأثنى على ما أبداه رجال السلطة الفرنسية . والسلطة السويسرية من المعاونة فرد عليه المسيو بورجو مندوب فرنسا قائلا ان الحكومة الفرنسية مصممة على متابعة

هذه المعاونة لمنع هذه الآفة وأكد المسيو كاربير مندوب سويسرا معاونة الحكومة السويسرية وأشار الى تلافى النقص الذى كان فى التشريع السويسرى ووقع بسببه ما أشار اليه رسل باشا فى بيانه وهنأ رسل باشا بما أبداه من النشاط والخدم . وقد أشار رسل باشا الى التحقيقات القضائية الجارية وستعود اللجنة الى المناقشة فى جلسة خاصة وبنض ما أبداه رسل باشا من الحزم سيفضى الأمر باللجنة الى طلب ايضاحات من بعض الحكومات عن عمل بعض المعامل الكبيرة التى تصنع العقاقير وهكذا عادت الى بساط البحث مسألة تحديد صنع المخدرات التى كانت اللجنة تتجنب البحث فيها من قبل

﴿ الافشاءات الخطيرة فى تقرير رسل باشا ﴾

﴿ أقوال جريدة منشستر جارديان ﴾

لندن فى ٢٧ يناير - نشرت جريدة منشستر جارديان اليوم رسالة لمكاتبها من جنيف ضمنها نتيجة مقابلته اللواء رسل باشا وقد قال عنه أنه صرح له بحقيقة راهنة وهى أن الافشاءات التى بدت فى تقريره تتفرع منها حقيقتان هما بمثابة تحد للبلدين المختصين وتستفز ان ربح الدعوى وقد قال رسل باشا بنفسه انه قد يكون فى السجن يوم الاثنين عند ما يمثل امام اللجنة ويقدم ادعاءين كل منهما بمثابة تحد فيما يتعلق بشؤون معمل موهاوس وكيمارى بزوريج . اذيقين من تقرير رسل باشا أن معمل موهاوس استحضرو صدر الى الخارج سنة ١٩٢٨ من الهروبين ٤٣٤٩ كيلو جراما وهذا يسارى أكثر من ضعف ما يلزم للعالم كله من هذه المادة للقتضيات الطبية والعلمية ويربى على مجموع ما أصدرته فرنسا من هذا الصنف كما ورد فى التقرير الفرنسى عن سنة ١٩٢٨

اما فيما يتعلق بكيمارى زوريج فقد علم رسل باشا من المسيو كاربير أن القانون السويسرى سيعمدل بهذا الشأن ويبقى علينا أن نرى ماذا يقول مندوب فرنسا المسيو بورجوا عن معمل موهاوس . فالمسيوروزيت رئيس مكتب المواد المخدرة الذى انشئ حديثا فى فرنسا وصل أخيرا الى جنيف لمساعدة المسيو بورجوا . ويقول رسل باشا أن أرقامه مأخوذة من دفاتر معامل موهاوس بمعرفة أحد رجال البوليس المصرى الذى كان يعمل بمعاونة أرباب السلطة فى موهاوس

لندن فى ٢٧ يناير - أنشأت جريدة منشستر جارديان اليوم مقالا افتتاحيا قالت فيه : نعم ان مطالعة تقرير رسل باشا تحزن ولكنها تثير العواطف وتستحق الاهتمام . فقد استطاع رسل باشا وزملاؤه أن يكشفوا عن خطوط مواصلات خفية تربط بين كبار تجار المواد المخدرة فى الاسكندرية ولندن ومصانع هذه المواد فى اوربا الوسطى . وقد وجهت الآن العناية الى محاربة المصانع الكيميائية التى تنتج من هذه المواد أكثر مما يجب اذ لا فائدة من الاقتصار على مقاومة الموزعين والتجار وترك المصانع وشأنها مادام مصنع واحد فى الازراس يمكنه أن يستحضر من الهروبين فى كل عام أكثر من ضعف ما يلزم العالم منه للاغراض المشروعة فقد يقضى لتجار المخدرات أرباب الأموال الطائلة أن يشتروا كل ما ينتجه ذلك المصنع وفى تقرير رسل باشا معلومات مختصرة ووافية للجنة عصابة الأمم للنظر فى خطط فعالة لتحديد منتجات المعامل من هذه المواد طبقا للقتضيات الطبية ولكن مادام العالم يزيد من زرع القنب وشجر الكوكا أكثر مما تتطلبه الحاجات الطبية لا بد أن يستمر صنع المواد المخدرة وتجارتها المحرمة . ثم أن تدخين الأفيون واكلمه فى الشرق الأقصى يجعل الآن تحديد محصوله تحديدا دقيقا غير ممكن عمليا ولكن ربما تسنى ذلك فى المستقبل اه

﴿ تذكرة ﴾

(في صباح يوم الخميس ١٧ يوليو سنة ١٩٣٠)

تأمل أيها الذكيّ هذه الصورة وأعجب لآبنا التي نحن بصدها - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم - الخ
واذ كر قوله تعالى - فكسبوا فيها هم والفاوون و جنود ابليس أجمعون - وقوله تعالى - لأملأن جهنم
منك ومن تبعك منهم أجمعين -

أتدري ما سبب هذا كله ؟ سببه الجهل ، لولا الجهل ما تعاطى هؤلاء المخدرات القاتلات ، وما هؤلاء
المرسومون المساكين الذين أغراههم زبانية جهنم من الأورو بين الذين يسعون لاهلاك الشرقيين احتقارا
لعقولهم واستصغارا لشأنهم وقياما بحق الأهلak الذي سنته شرائعهم التي اتفقوا فيها بينهم عليها منذ أيام الحروب
الصليبية ومن قبل ذلك في الحروب الأندلسية ، ذلك أنهم رأوا في أمة العرب قوة شكيمة فهرعوا إلى الخديعة
والغدر وأجمعوا أمرهم بينهم أن لا يبحار بهم إلا بالعادات وادخال الغفلات عليهم ، وعاهدوهم على أن يكون
التعليم حرا والتجارة كذلك ، هنالك قام رجل يقال له (ابن مصعب) فنأدى في قومه قائلا : « أيها القوم :
سيأتي يوم ينسى أبناء العرب مجد آبائهم بما يقرؤون في كتب الأورو بين وينعمون وينغمسون في الشهوات
ويسرفون في الماء كل والمشارب ويحقرون دينهم ثم يفرقون شيعا وبدوق بعضهم بأس بعض . فقالوا :
أنت رجل قصير النظر لا تعرف في السياسة شيئا »

هنالك أقاموا الأفراح شهرين بعد هذه المعاهدة ورئيس الأمراء يومئذ (ابن عباد) ولبعض الملوك
الاسلاميين جيوش فعال خيلهم من ذهب ، ولقد صدقت فراسة (ابن مصعب) وحق القول على المسلمين في
الجزيرة (اقرأ هذا الموضوع في عادة الأندلس) وصار الشاب يلبس الحرير ويتختم بالذهب واستدانوا من
الفرنجية بالربا وشربوا الخمر نهارا جهارا ودموا العرب وأخلاق العرب وتاريخ العرب وعكفوا على الشعر وتركوا
الصلاة وانبعوا الشهوات فلقوا غيا

هنالك ذهبت الحمية وانفروا شيعا وذاق بعضهم بأس بعض وفتروا عشرين دولة وهم صاغرون ،
ثم هلكوا ومن بقي منهم تنصر ومنهم من غرق ومنهم من طرد إلى فرنسا ومنهم من سار إلى بلاد مراکش
وما والاها وقله الأمر من قبل ومن بعد

وهذه النظرية التي فعلوها في الأندلس هاهم أولاء يفعلونها في بلاد الاسلام الآن ، فانظر كيف نهكوا
على أذقاتنا وأدخلوا السم بلادنا جريا على أخلاق المسيح الدجال . دخلوا متظاهرين باسم رقينا واسعادنا ودسوا
السم في لدم . فأما المتعلمون منا فعلمهم قشور وفضلات ، والدليل على ذلك أنهم لا يعرفون من علومهم
إلا أن ينطقوا بالفرنسية مثلا أو الانجليزية . ويطلق أكثرهم أنهم بسبب هاتين اللغتين أو بعض العلوم الأدبية
قد ألموا بعلوم الغربيين وجهلوا أنهم أصبحوا مغمورين في مخازي سفهائهم وشرور جهالهم واندمجوا في
دماسهم فطاحت القومية وضاعت لتفرق الأهواء وتخاذل سفهاء الرؤساء سعياء وراء الشهوات التي اتبعوها
باغراء القوم وازدراء للوطن والأديان الشرقية تقليدا لأوثك الأورو بين فهم لا يلبسون إلا من مصانهم
ولا يفاضلون إلا النساءهم ولا ينامون إلا في فنادقهم ولا يتعاطون مشروبا ولا مأكولا إلا من أيدي خادمي فنادقهم
والمنازل المعدة للشرب والطعام . فما أشبه الليلة بالبارحة

لقد ذكرت في الأجزاء السابقة قصة ذلك الراهب الاسباني في قرطبة الذي اشترى عنب قرطبة كلها
وعصره وقال أنا لا أعطيه إلا لأبنائي وأحبائي تلاميذ المدارس المسلمين وهذه أر بعامة سنة والغفلة مستحكمة
ولم يظهر في أم الاسلام عقول راجحة تنهه العاتمة ما حاق بهم من النذل والهوان والجهالة واني لم أجد رجلا في

الشرق استيقظ لذلك إلا نابتة الهند وهو غاندى فانه حرم الملابس الفرنجية والخر وكان الأجدد بهذا أم الاسلام
 إذن ليس هؤلاء المرسومون في الصورة المتقدمة المختبرين وحدهم . كلا . فأم الاسلام اليوم في بلادنا
 مخترة لأن التخدير على قسمين : تخدير ظاهر وهو ما رأيت ، وتخدير باطن وهو تخدير المعلمين والأغنياء .
 وأرباب الحياء ، أولئك الذين يعيشون ويموتون ولاهم يذكرون فلا يعقلون ما يراد بهم ، إن جميع أنواع التجارة
 الاوروبية من باب التخدير ، يجب أن يجتهد أهل الشرق في المصانع والمعامل والمناسح والمزارع والتجارة حتى
 يصارعوا أهل الغرب في كل فرع من فروع الحياة والا فهم مخترون وصدق فيهم قوله تعالى - احشروا الذين
 ظلموا وأزواجهم - وحشرهم في الآخرة قد ظهرت بوادره في الدنيا بأمثال هذه الصورة وباشترك سكان
 شمال افريقيا من مصر الى مراکش وسكان بعض الشرق الأدنى من أهل الشام والعراق والموصل في
 الاستعباد للأمة الاوروبية لغظة العلماء والأمرأه السابقين بسبب استحكام الجهالة ، فلئن رأينا المرسومين في
 هذه الصورة السابقة مسوقين الى المحاكمه عند الحكومة المصرية ليزجوههم في السجون لثرت هذه الأمة
 العربية في شمال افريقيا وغرب آسيا مسوقين لسجن الاحتلال والاستعباد واذلال أهل أوروبا يرسفون في
 القيود وهم لا يعلمون

ومن رعى غنما في أرض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الأسد

اللهم إن هذه هي نفسها صفة المسيح الدجال ، إذن المسيح الدجال المذكور في الأحاديث الآتية في آخر
 الزمان له أمثال وأشياء وهؤلاء المسيحيون الدجالون يطلق عليهم المسيح الدجال من باب الكتابة لأن الكتابة
 لفظ أطلق وأريد به لازم معناه فليس المسيح الدجال الذي في الأحاديث على معناه الظاهري ولكن المقصود
 هنا في زماننا هو المعنى الكائن كما ذكره الامام الغزالي في حديث « إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولا
 صورة » فقال هذا الحديث باق على معناه وهذا لا يمنع من المعنى الكائن وهو ان الذين امتلأت قلوبهم
 بالشهوات المرموزها بالصورة أو بالقوة الفضية المرموزها بالكلب لاتصل الملائكة بقلوبهم فهم أبعاد الناس
 عن العلم فهكذا هنا فليبق الدجال على معناه الظاهري ولكنه يرمز الى مانحن فيه الآن ، إن المسلمين اليوم
 دخل عليهم هؤلاء المسيحيون الدجالون فأعموهم عن الحقائق وصاروا جهالا فعمسومهم في الشهوات واللذات
 والجهالات فانت النفوس ، بل أكثر هذا النوع الانساني اليوم مختبر مجرور كهؤلاء الذين في هذه الصورة فهم
 يأكلون ولا يعقلون كيف يأكلون ، انظر الى ما تقدم في سورة طه وسورة الشعراء وأول سورة الحجر وفي سورة
 البقرة عند آية - أنستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير - ففي تلك المواضع وضح ما يقوله الأطباء في زماننا
 في الذي يجب أن نأكله وفي أنواع المداواة ، ثم انظر الى ما يأتي في (سورة ص) عند آية - يادأود إنا
 جعلناك خليفة في الأرض - وكيف نسمع أفلاطون جاكيا عن سقراط في الجمهورية وهو يخاطب غلوكون
 إذ يذم أبناء الجمهورية الذين يعيشون عبثة الترف وأن ذلك مضعف للأجسام مضيع للعقول ، وكيف تدهش
 حين نسمع منه هذا الأمر العجيب الغريب وهو أن هناك علاقة تامة وصلة ثابتة بين القضاة والأطباء وبين
 الماء كل والمغاني ، وأن الناس كلما أكثروا من ألوان الطعام ولم يكتفوا بالبساطة من الأطعمة كثرت عندهم
 الأمراض فاحتاجوا الى الأطباء ، وأن المغاني وإن كانت ملطقات لأمزجة الجيوش الذين يزاولون الأعمال
 الرياضية (بالجناستك) لا يجوز التفنن فيها لأن ذلك يورث الفسوق والعصيان وذلك من موجبات الوقوف
 أمام القضاة فوجب أن تكون المغاني بسيطة وكذلك آلات الطرب وكذلك الماء كل ، وعار على أبناء
 الجمهورية أن يحتاجوا الى الأطباء إلا نادرا ولا الى القضاة إلا في أمور خاصة ، وأخذ يحقر من يفتخر بأنه قد
 غلب خصومه بالحجة أمام القضاة قائلا : « إن الحياة السهلة التي خلت من القضايا ومن المشاغبات هي الحياة التي
 تليق بالانسان »

إذن المخترون المرسومون في الصورة لهم اخوان كثيرون لم يرسموا وهم أكثر للتعليم نصف تعليم من الذين درسوا في المدارس النظامية ومن الأغنياء في ديار الاسلام ومن رجال السياسة ، فهم قد زجوا في نارين : نار تقليد الفرنجة وشراء بضائعهم ونار الجهل في الماء كل التي توقع كثيرا منهم في المرض مع الشهوات الأخرى كالطعم والحرص والحسد الموقعات في المشاحنات واقامة التضايا أمام القضاء ، فلئن حشر هؤلاء المخترون في السجون المصرية كما سيحشرون يوم القيامة معا هكذا حشر أولئك المتعلمون والأغنياء من أبناء العرب ونحوهم في شمال افريقيا والشرق الأدنى في حظيرة الاستعباد كما سيحشرون يوم القيامة في المرجة التي كانوا عليها في الدنيا معا

هناك سألتني صاحبي قائلا : علام هذه الضجة كلها ، أسنا الآن في تفسير القرآن ؟ قلت بلى . قال : وهل هذا كله ينطبق على - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم - الخ مع انها لم ترد إلا في الكفار يوم القيامة وأنت صيبت كلامك كله على المسلمين في الحياة الدنيا . فأين الآية وأين ما ذكرته أنت . إن من يقرأ هذا يقول إنك أنت لك قصد تقوله فأنت به تبع الآية والا فالآية بريئة منه . فقلت له : هو تفسير للآية حقا وصدا ومماثل في هذا إلا اكتمل عمر رضى الله عنه في قصة الربيع بن زياد المذكورة في ثنايا هذا التفسير إذ كان أميراً من أمراء البحرين تحت رئاسة أنى موسى الأشعري إذ كتب له عمر احضرائك ومن معك خضروا جميعا واكلوا بدلهم من يقوم بالحكم مدة غيابهم ، واحتمل الربيع الذي هو أحد الأمراء أن يفعل ما يرضى أمير المؤمنين بإشارة غلام عمر المسمى (برهفأ) بأن اتخذ فعلا مطارقة أى ذات رقاع من جلد غير منتظمة ولبس أهداما بالية وأجاع بطنه يومين كاملين حتى يقدر أن يأكل طعام أمير المؤمنين الخشن . وهذا الأمير ومن معه ماتوا بالطعام الخشن ، فلما أن مدت المائدة لم يكن في الأمراء من كان أسرع إليها من الربيع لشدة جوعه فأعجب به عمر رضى الله تعالى عنه فأخذ يحادثه دون رفاقه فسأله الربيع بأمر المؤمنين هل لك أن تتخذ طعاما أئين من هذا فزجره عمر وقال ماذا تقول ؟ فقال لو انك أمرت أن يكون خبزك في يوم الأكل لكان أسهل لك فقال له أعلى هذا غرت (بضم أوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه) أى أنت تريد هذا ، ثم استرسل معه فقال : يا ربيع لو شئت للمأت هذه الرحاب صلاتق وسبانك وصنابك ولكنى سمعت الله يعير قوما إذ يقول - أذهبتم طبيائكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فالיום تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تصفون - والمراد بالصناب ككتاب الزبيب المصنوع مع الخردل ليقتوى شهوة الطعام التي ذتها أطباء العصر الحاضر ، والمراد بالسلائق أنواع اللحوم والسبانك ما يصنع من الدقيق الناعم الأبيض الذي استكبره أطباء زماننا ، إن هذه الآية وردت في الكفار ولكن عقول الصحابة وآراؤهم لم تكن كقولنا وآرائنا فهو أدرك المقصود من الآية وهو أن الذين ينهكون في الشهوات يعاقبون لأن الانهماك نفسه سبب للنتيجة لافرق بين مسلم وكافر فلذلك قرأ الآية ولم ينكر عليه أحد والعلماء المتأخرون يقولون في مثل هذا انه اعتبار بما في الآية فأنا أقول : الذين ظلموا وأشباههم يحشرون في جهنم . فأنا إما أن أفهم كقوله عمر رضى الله عنه ويكون كل هذا داخلا في معنى الآية وان وردت في الكفار ، وإما أن يكون ذلك أمرا راجعا للاعتبار بالآية كما يقوله علماء الاصول وكلامنا هنا كلام على تاريخي لامناقض ينقضه . نعم الجهل هو الذي ينقضه والجهل شؤم كله . فأنا إذن فسرت الآية إما تفسيرا أصليا على طريقة عمر أو تفسيرا بالاعتبار على طريق المتأخرين والحمد لله رب العالمين

واعلم انه لولا ضيق المقام هنا لذكرت لك أيها التكي هنا قولنا جامعا في حبس الناس في عاداتهم وأخلاقهم وأحوالهم مناسبة صور أولئك المذنبين على المختدرات ولكن اقرأه في (سورة ق) عند آية - يوم تقول

لجنهم هل امتلات وتقول هل من مزيد - فهناك ستمسح حديث الكبير الذي ملكته الجرفؤاده فلم يقدر على التخلص منها والحديث المبكى المذكور في الجرائد المصرية وبين الحديثين أر بعون سنة والحديث الثاني حديث من وقع في المخترات المذكورة هنا وكان تلميذا في الابتدائي . فهناك وصف محزن لهذه الطائفة التي ابتليت بشم الكوكابين الذي جلبته أوروبا لنا لاهلاكنا . وهناك تبيان واسع لبيان أن هذه أمثال ساقها الله لنا وانحة تدل على ما عند هذا الانسان من العادات الموروثة والشهوات التي حصرت في أحوال خاصة منته من الخروج منها مما يدل على أن حياتنا الدنيا في صورتها أشبه بمصفرجهنم فلناس يريدون أن يخرجوا من شهواتهم ومن عاداتهم ولكنهم لا يقدرون كما هي الحال في أهل جهنم والحمد لله على ما علم وله الشكر على ما ألهم

(جوهره في قوله تعالى - وقفوههم انهم مسؤولون بمالككم لاتنصرون بم بل هم اليوم مستسلمون -)
 جاء في الحديث أن ابن آدم لا يزول قدماءه من عند ربه حتى يسأل عن خمس : عن شبابه فيم أبلاه ، وعن عمره فيم أفناه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيه أفقعه ، وماذا عمل فيما علم اعلمى أيتها الأمم الاسلامية أن سؤال الآخرة ووقوفنا بين يدي الله تعالى له مقدمات ظاهرات في الدنيا خافيات ، فنحن في تعاطي الطعام مسؤولون وان كنا به جاهلين كما أنا مسؤولون في نظام مدننا وفي افاضة الخبر على غيرنا وان كنا غافلين ، لا عذر للجاهلين في الدنيا ، ولو كان الجهل عذرا لم تر الذين يسرفون في طعامهم وشراهم تنتابهم الأمراض ولا أولئك المسرفون في أموالهم ترهقهم الديون ولا الكسالى والمترفون يفشاهم الفقر ولا الذين يتعاطون الخمرات في بؤس وعذاب مهين في هذه الحياة وعذابهم لزام كأنهم يشربون شرب الطيم ، ولا الأمم الشرقية التي غفلت عن العلوم والصناعات قد ملك زمامها الاوروبيون - وقفوههم انهم مسؤولون بم مالككم لاتنصرون بم بل هم اليوم مستسلمون -

أتم مسؤولون عن صغيرات الامور وكبيراتها في الآخرة كما أنكم مسؤولون في الدنيا . هاأناذا في مصر بلادى أرى جهالة شائعة وأعمالا فاسدة وتقاليدظلمة والناس بها مفتونون ، اهدموا التقاليد وأزيلوا الحجب وأميطوا الأذى من طرق الاصلاح ، أمرتني شوارع القاهرة فأرى شبانا وزهرات الجيل الحاضر محشورين زمرا زمرا في مشارب القهوه يتعاطون أنواع المشروبات وهم يقرؤون علم الطب في الكتب ونظام السياسة في الجرائد ولكن أكثرهم لا يعلمون

التجارة في يد الأجنبي وهو الذي يدبر تلك المحال ويستنزف الثروة ويضيع شباب شبانا ويفتح لهم باب شهوات فتقل الأمانات ولهم امتيازات وتفضل على الوطنى نالوه قديما ونحن نأتمون منذ نحو (٧٠٠) سنة اجتمع أساطين الأمم المسيحية مع البابا وبارونات أوروبا ودوق فينيزيا وقالوا « لاطاقة لنا اليوم بحرب هؤلاء العرب بالأندلس فلنعاهدهم على حرية التجارة والدين والتعليم ، وهؤلاء سليمانالقولب فلندخل عليهم مانشاء من التعاليم » فاجتمعوا وعاهدوا ملوك الأندلس تحت رئاسة ابن عباد وتم ذلك والقوم كانوا عن الحقائق معرضين فأيقظهم رجل منهم يسمى ابن مصعب فتولوا عنه مدبرين ، شربت الخمر في الأندلس ، زال البأس والشهامة والنخوة ، تباهى الشبان والشابات بالنسوق وعدوا ذلك مدينة حمديثة ، عصر راهب اسباني عنب قرطبة كله خرا حبا في أحبابه وهم تلاميذ المسلمين ، تهقرت الأخلاق ، طاحت الأنساب ، ذلت الأعقاب ، زلت الأقدام . هلكت الجيوش ، زالت العروش ، طردوا من بقى من البلاد وهم محقورون مرذولون منبوذون - وقفوههم انهم مسؤولون بم مالككم لاتنصرون بم بل هم اليوم مستسلمون -

زالت الأندلس ولم يبق منها إلا الذكرى ، إن الذكرى تنفع المؤمنين وقفوههم انهم مسؤولون ، لم يعتبر

أبناء العرب بما حلّ باخوانهم ، جهلوا أصلهم ، حقت عليهم كلمة ربهم ، ساء مصيرهم . وقفوهم انهم مسؤولون
نبغت أم ودول في أوروبا ساروا سبراسبانيا ، دخلوا شبل افريقيا من تونس والجزائر ومراكش ومصر
والعراق والشام ، بماذا دخلوا ؟ بنفس الدرس والاسلوب الذي أسسه البابا وبارونات أوروبا ودوق فينيزيا
فتحوا لهم أبواب الشهوات ، زجوههم في محال القهوات . استهويهم بالعادات الحسان . شغلوهم بالعادات
بفضوهم في العبادات وفي كل ما هو شرقي . سقوهم خرم . وأجلسوهم في أماكنهم . أخذوا بقودهم .
حقروا لهم دينهم وأصلهم وما كانهم وملابسهم ومشاربهم وسيرآبئهم . مقتوهم . كرهوهم . وقفوهم انهم
مسؤولون - وهم يتبرؤن منهم ويقولون - وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين -
ذلت المصري والمراكشي والجزائري والتونسي وأقفلت الطليان زوايا السنوسيين في طرابلس وتزقت
وحدة السورى لأن هذه الأمم متفرقون وأمراؤهم السابقون وعلمائهم وصلحاءهم لم يكونوا يتواصلون
وكل حزب بما لديهم فرحون . فذلت الأعقاب وأهيفت الأنساب وحلّ البطش وتفرقت الجمع - وقفوهم انهم
مسؤولون * مالك لا ناصر * بل هم اليوم مستسلمون -

ذل الجمع . واتسع الصدع . وفتق الرثق . وقلّ الجند . وذهب المجد وزال الجند (١) وقلّ الجند (٢) والمسلمون نائمون
- وقفوهم انهم مسؤولون -

بقيت امتيازات الأجانب في البلاد لجبهاتهم لأن تجارتهم رابحة وأعمالهم رائجة . ربطت العادات على
قلوب الشبان فهم في تلك الأماكن يكرعون . ومن ما كانهم يتعدون . فتوطدت الامتيازات وبقي الذل
- وقفوهم انهم مسؤولون -

استيقظ بعض الأمم الشرقية كأهل الهند فذموا الملابس الأجنبية وحاربوا الخمر لأن الأمرين بايان للفن
وخراب الأسرة وضياح المال وبقاء الاستعمار ولكن في بلادنا وأمثالها لا سمع ولا حجب - وقفوهم
انهم مسؤولون -

وينشأ ناشئ الشبان منا * على ما كان عوده أبوه

اعتاد الناس تعاطي الدخان وقالوا في شرب الخمر وأتبع ذلك الشاي وغيره ومخدرات وسموم والناس
ساهون لاهون والفرنجية هم المضلون والمسلمون مهملون - وقفوهم انهم مسؤولون -
ليحرم علماء الاسلام أن تغشى تلك الأماكن أماكن الفرنجية التي تخالف الصحة في هوائها الفاسد بكثرة
الأنفاس وأنواع الشراب وهكذا يتناوب الكوب الواحد في اليوم عشرات الشاربين . ويتعاطون الدخان
والقهوة والخمر . ولقد أصدر الأطباء حكمهم على هذه لاسيا أطباء أمريكا وتقدم نقل ذلك في سورة البقرة
عند آية الخمر ولكن أكثر المسلمين جاهلون - وقفوهم انهم مسؤولون -

تفرقت القلوب شيئا في بلادنا وذاق بعضهم بأس بعض - وبأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى -
حرصا على المال وغراما بالشهوات فلك الأجنبي ذل الوطنى وعسى أن يزول ذلك قريبا - وقفوهم انهم مسؤولون -
بعض الصوفية يسيطرون على العقول وهم أنفسهم جاهلون فلا الرياضيات درسوا ولا الطبيعيات تعلموا
ولا الإلهيات فهموا - وقفوهم انهم مسؤولون -

قلت الصناعات وطاحت التجارات في البلاد وختل الديار وضاق الخناق وتفرقت الأهواء وكثر
المراء وظهر الجدل واضمححل العلم والدين ولا مغيث ولا معين - وقفوهم انهم مسؤولون -

ما ملك الفرنجية ولا أبقاهم في بلادنا إلا طموح الأفراد للشهوات الساقلة في محالمهم واقتنائهم بصناعاتهم
ولو أن الشعب عرف الحقيقة ونحلى عنهم لخرجوا من البلاد وهم مسرعون ولكن المسلمين ساهون لاهون

- وقفوهم انهم مسؤولون -

أجسام الشريين قوية ، وعقولهم صحيحة ، وأنسابهم رفيعة ، الدين من بلادهم ظهر ، وكل نبي فهو من الشرق باصطفاء الله نابت ، عرفت أوروبا قدر الشريين نغافوا بأسهم ، حذروا أن يقرؤا علومهم ويعرفوا صناعاتهم فبردوا كيدهم في نحرهم فشنغلهم بالشهوات ، وأفسوا بينهم العداوات ، إنهم باتباعهم فرحون ، وعن تعليمهم قاصرون ، واقتصر علماء الدين نحو ألف سنة على فروع الفقه ونسوا أكثر ما ذكره في القرآن ونسوا آيات الله في الأكوان في الأرض والسموات فأقفلوا باب علوم القرآن - وقفوهم انهم مسؤولون -

اتحد الأطباء في اليباب وأمريكا وأوروبا على تحليل الأطعمة . أيها أصلح لنوع الانسان وأيها أضر ؟ فأجمعوا في هذه الأيام على أن ما أنضجته النار قليل النفع وما يتعاطى بلا طبخ ينفع الأجسام ويمنع الأمراض ويحفظ العقول ورجعوا بالناس الى آدم وحواء قبل الأكل من الشجرة ، ولكن المسلمين قل فيهم الأطباء فبدلوا دلوهم في الدلاء لأن المسلمين لا يعلمون - وقفوهم انهم مسؤولون -

درس الأطباء في العالم أيضا نظام الملابس والهواء والماء والضيء فأجمعوا أن تعرض الأجسام للشمس نهارا كما يعرضها الحاج في عرفة والحياة الخالوية في الهواء الطلق منعشة للأبدان مقوية للعقول فأنه لكل مرض ولكل (مكروب) حيوان ذرّي ولكن هؤلاء الأطباء في المسلمين يقولون لأن أكثر المسلمين لا يعلمون - وقفوهم انهم مسؤولون -

درسوا أيضا فوائد الرياضات البدنية وتقوية الأعضاء بالأعمال ، الزراعية والهنوية في الخلاء ودوام الحركة وحققوا أوقات النوم واليقظة كما فعل ذلك كله من قبل علماء الطب كابن سينا في كتاب القانون إذ رأته ذكر جميع أنواع التمريعات بأوسع مما ذكره الفرنبجة ، ولكن المسلمين المتأخرين هم النائمون وان قرأ بعضهم الطب وملحقاته فأما هم للفرنبجة مقلدون - وقفوهم انهم مسؤولون -

رأوا في جزيرة العرب أمراء ومالوكا يحكمون أما لا تزال على فطرتها وعقولا قوية ونفوسا شريفة تستعد لأرفع المدنيات ، وتصلح لأقوم سبل الخبرات . فهامهم الآن يريدون أن يجعلوا بأسهم بينهم شديدا ليصرفوهم عن العلم الى الحرب . فالدرس الذي تعلموه من قدماء الاسبانيين لا يزالون له حافظين ولكن المسلمين عن ذلك ذاهلون - وقفوهم انهم مسؤولون -

اللهم إني أكتب هذا وأنا أعلم انك ساتلي عن كل ماعلمته من النقص في أم الاسلام ولقد سهلت لي سبيل العلم والنشر فأنا مسؤول وكل تقصير يقع مني في تلك السبيل أعتقد اني عنه مسؤول والجزاء عليه في الدنيا بالحرمان وفي الآخرة بالعذاب يوم أقف بين يديك ويقف المسلمون ، والخلائق أجمعون - وقفوهم انهم مسؤولون -

المسيح مسيحيان : مسيح صادق . ومسيح كاذب . فالمسيح الصادق هو ابن مريم ويشا كاهن في الصدق أناس وأم في أزمان مضت في دهر الدهارير . وأما المسيح الكاذب وهو الدجال فله أمثال وأشكال وجيوش مستعدة في جميع الأمم شرقا وغربا وهم الكذابون الخائثون من أهل السياسة وغيرهم وعلى قدر غفلة المسلمين بالجهل سلط الله هؤلاء عليهم وهم أصحاب السيف والنار والمدافع والغازات هكذا هم أصحاب الوظائف وتولية الأمور والوزراء وإباحة الشهوات واكثرها في البلاد سرا فتكون الشهوات مقصودة مرغوبة فنارهم من اصطلاحها نال جنة الاستقلال وجنتهم الشهوية من المطاعم والملابس والاعتزاز بالوظائف والامارة من دخلها لم يزلت منها وتنقلب عليهم نارا حامية فكأنها شراب النحر والمخدرات يذل شاربها وهو لا يقدر على القرار منه وهذه الطوائف في نارهم يحترقون - وقفوهم انهم مسؤولون -

أيها المتعلمون : أيها الأمراء . أيها الملوك في الاسلام : افشوا الصناعات والعلوم وعمموا تعليمها وزنوا العقول بالقسطاس المستقيم امتحاناً في المدارس وضعوا كل امرئ فيمادله عليه استعداده من زراعة في الحقول أو صناعة في المدن أو سياسة أو علم ، فلكل امرئ شأن واستعداد ينحصر والمسلمون لذلك تاركون - وقفوهم انهم مسؤولون -

استخرجوا كل قوة من قوى أفراد الشعب ، لاتضيعوا استعداد النفوس التي خلقها الله لكم ولا تفرقوا حقل ولا سهلاً ولا جبلاً ولا نهراً إلا بمحتموه وعرفتم طرق الانتفاع به ، ولا يفتنى لكم ذلك إلا بتعليم طائفة من الشبان الأذكياء العلوم المختلفة لاطهار منافع ما تملكون وقد كروا - وقفوهم انهم مسؤولون - اللهم إني نصحت وبذلت طاقتي في إيقاظ هذه الأمة وهذا جوابي يوم أسمع النداء - وقفوهم انهم مسؤولون * ما لكم لاتتصرون * بل هم اليوم مسلمون - وبهذا تم الكلام على اللطيفة الثالثة . كتب في مدينة حلوان يوم الجمعة بعد العصر ١٥ أغسطس سنة ١٩٣٠ والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

(في قوله تعالى - إني كان لي قرين -)

لقد تقدم في ﴿ سورة سبأ ﴾ عند قوله تعالى - ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم - الخ كيف كان الاتباع والتقليد الأعمى في الامور الاعتقادية وسير الناس وراء القادة والرؤساء بلا عقل ولا هدى ولا كتاب منير أوقع الأمم الاسلامية في الجهل قروناً وقروناً وأفضت هناك في الكلام على محمد بن تومرت وملخص تاريخه وأنه أسس دولة واستقل بها لزالة للظلم واقامة للعدل ولكن جعل نفسه معصوماً الى آخر ما تقدم هناك ، وقد أبنت أن مثل هذا لا يدوم تقعه وانما دوام النفع بتعميم التعليم للذكور والاناث ، فأما هنا فان القرين لم يتبع قرينه بل فكر واستنصر وعرف سبيل الهدى ولم يكن إتعة كالدابة تسير وراء قائدها فلذلك أخذ يقول : - إني كان لي قرين * يقول أنتك لمن المستدين - الخ

ومن عجب أمر القرآن جاء في ﴿ سورة سبأ ﴾ بالمحاوراة بين الرؤساء والمرؤسين وكل يوقع اللوم على الآخر بعد وقوع العذاب فأما هنا فكانه يشير الى أن الناس قد احتسروا مما وقع فيه المقلدون بلا عقل فلذلك نرى القرين لا يتبع إلا الحق ولا يتبع قرينه فلذلك يقول الله هنا - تالله ان كدت لتردين * ولولا نعمة ربى لكنت من المخضرين - بدل أن يقول هناك - لولا أنتم لسكننا مؤمنين - الخ فهذه المحاوراة لعاقيل أراد صاحب اضلاله فلم يعبأ به واتبع عقله وهذه خصلة أم الاسلام في مستقبل الزمان يتعلمون ولا يتفرقون تابعين في ذلك أهواء الرؤساء المضلين والشيوخ الجاهلين بل هم أنفسهم متى تعلموا أدركوا أن أم الاسلام لا تعيش بالافتراق الذي جناه عليهم الرؤساء وانما تعيش بالوئام والمحبة العاتمة وقطع دابر التخاذل والتناهب والحصام واذن يقول المسلم لمن كاد يضله - تالله إن كدت لتردين - . اكتب هذا على انه نظير لا انه نفس معنى الآية بل هو أهم مقصود القرآن

هذا وليعلم المسلمون في أقطار الأرض أن الآراء التي يتلقاها الناس كبرا عن كابر قد تكون مدخولة مذلة وان كان الناس لا يعلمون :

(١) مثال ذلك مسألة النيازك وهي الصخور المعدنية (وأكثرها حديد ونيسكل) التي تسقط على الارض من السماء آتية من اجرام سماوية أخرى . ففي أواخر القرن الثامن عشر أظهر بعض العلماء بناء على مشاهدات حقة أن هناك كتلا معدنية صخرية مختلفة في الحجم وفي الثقل تسقط على الارض من بعض الكواكب فقابل

أغلب العلماء هذا الاكتشاف بالعداء والسخرية وانفرد من بين هؤلاء العلامة الأشهر لاقوازيه (واضح أصول الكيمياء الحديثة) فظعن أشد الطعن على هذا الاكتشاف الجديد مستندا على قانون الجاذبية العام قائلا بأن كل جسم سماوي يجذب أجزاءه اليه وأنه من المستحيل أن تسقط صخور من السماء على الأرض وقدم تقريرا جازما الى مجمع العلوم بباريس ساخرا فيه من هؤلاء العلماء الذين ساقهم عقلم الى الشك في قانون الجاذبية هذا الشك الفاضح . ثم صرحت الاعوام وظهر من تكرار المشاهدات أن لاقوازيه كان خاطئا وأن النيازك حقيقة لاشك فيها وأنها تسقط من الكواكب على الأرض رغما عن سيطرة الجاذبية

(٧) وهناك مسألة أخرى خاصة بالكائنات البحرية وتتلخص في أنه كان من البديهي عند العلماء في النصف الأول من القرن التاسع عشر أنه لا يوجد أثر للكائنات تحت عمق اربعمائة متر في البحر الملح وذلك لان الضوء لا يصل الى هذا العمق وأن الضغط على جسمها يبالغ عند هذا العمق عشرات أضعاف الضغط الجوي وأنها لا يمكنها أن تعيش مطلقا تحت هذا الضغط . فن البديهي إذن أن لا يوجد كائنات حية تحت هذا العمق . ولا يخفى أن هذه البرهنة واضحة وبسيطة متماسكة منطقيا فكان من المعقول أن يكتفي بها العلماء وأن يطمئئنا الى حقيقتها ولكن أظهرت الابحاث التالية في صيد الحيوانات البحرية على أعماق مختلفة وذلك بالآلات صيد خاصة تدل بالضبط على انعمق الذي أخذت فيه هذه الحيوانات من أن هناك كائنات حية متعددة ومتنوعة من أسماك وقشريات ونجميات على أعماق بعيدة يصل بعضها الى سبعة آلاف متر أو أكثر . وأن هذه الكائنات تتحمل ضغطا يقدر بسعمائة ضغط جوى وانها رغما عما كان ينتظر منطقيا منها بحية بدروع صلبة تجعل أعضائها الداخلية في مأمن من العطب بل إن أغلب هذه الحيوانات هي على الضد من ذلك طرية اللمس والجدار كبعض مثيلاتها في المياه السطحية والعقل يحار أمام السر الذي تخفيه هذه الحيوانات في تحمل هذا الضغط العظيم . ولما تكررت صيد الأعماق البحرية ثبتت هذه الحقيقة شيئا فشيئا حتى أصبحت لاشك فيها الآن ودخلت في مجال العلم رغما عن مخالفتها للمنطق الذي استندت عليه الآراء القديمة

(٨) ولما ظهر دارون بكتابه «أصل الأنواع» قامت القيامة في وجهه وانتقده العلماء وسخروا به لأن آراءه الجديدة كانت مخالفة لما تتودره من التفكير ولكن لم يلبث أن خضع له الكثيرون ممن كانوا لا يؤمنون به . وإن كانت آراء دارون الاصلية قد نشقت كثير منها في مهب الريح الا أن اثرها في تطور الابحاث العلمية لاشك فيه ومركزها في تاريخ العلم مركز عتيد

(٩) وكذلك لما قام العلامة باستور بابحاثه المعروفة في المكروبات وأظهر لعالم الطب الدهش أن كثيرا من الامراض سببها تكاثر ميكروبات خاصة في عضو من أعضاء الانسان أو الحيوان وأنه من الممكن زرع هذا الميكروب في سواحل خاصة واحداث المرض نفسه في حيوان سليم . لما فعل باستور ذلك قامت قيامة علماء الطب عليه وصاروا يطعنون أشد الطعن في هذه الآراء الجديدة ولكن كل هذا العداء من جانب علماء ذلك العصر لم يمنع نظرية الامراض الميكروبية من التقدم والتحسين حتى أصبحت الأصل للجراحة والطب الحديثين

(١٠) ولما أظهر باستور بواسطة لتجارب المنقطة المحكمة أن الكائن الحي لا يتكون الا من كائن حي سابق وأنه من المستحيل أن تتكون الحياة في سائل عضوي معقم تعقيا كافيا أي ان نظرية التولد الذاتي مستحيلة التحقق وكانت هذه النظرية شائعة كل الشيوخ بين علماء ذلك الوقت . لما اثبت باستور ذلك احتج عليه العلماء من كل صوب مخطئين كل التجارب مستندين الى ما تعودوا رؤيته وكل هذه الضجة الهائلة لم تمنع آراء باستور من الانتصار

(٦) ولقد شاعت نظرية دوران الشمس حول الأرض ، لكن لما ظهر الحق على أيدي علماء الاسلام
 أولا كما تقدم إيضاحه في أول ﴿ سورة يونس ﴾ وأن الأرض هي التي تسير حول الشمس وعرفها علماء أوروبا
 فلما ظهرت على أيدي بعضهم صودر وحبس وحكموا عليه بالكفر ولكن ظهر رأيه وانتشر في الأرض
 فهذه ست مسائل مما فاز بظهاره العلم بعد أن كان الجهل به حقيقة لا يشك فيها ، أليس معنى هذا أن
 المسلمين في المستقبل غير المسلمين الحاليين الناعمين الذين يعيشون بفكر غيرهم وكثير منهم أشبه بالحشرات
 اللاتي تمتص دم الانسان وهي ضعيفة - إن الله لأغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - ولقد قلت مرارا في
 هذا التفسير أن أم الاسلام في المستقبل غيرها في الماضي والله هو الهادي الى سواء السبيل . انتهت اللطيفة
 الرابعة وبها تم الكلام على سورة الصافات والحمد لله رب العالمين



تفسير سورة ص ويقال لها سورة داود عليه السلام (وهي مكية)

(آياتها ٨٨ - نزلت بعد القمر)

والكلام عليها في « ثلاث فصول » الفصل الأول « في تفسير البسملة » الفصل الثاني « في تفسير الألفاظ » الفصل الثالث « في مقصود السورة »

﴿ الفصل الأول في تفسير البسملة ﴾

لما قدمت هذه السورة الى الطبع حضر صديقي العالم الذي اعتاد أن يناقشني في هذا التفسير فقال : لقد فسرت البسملة في السور السابقة بطرق شتى بحيث لا يسبق الى التهن تكرار في التفسير ، فهل تريد أن نكتب شيئاً في تفسير البسملة هنا . فقلت نعم . فقال : وهو يقارمنا فنتم ؟ فقلت نعم . فقال : من أي وجهة ؟ فقلت من وجهة الوحدة والكثرة ، فالوحدة في لفظ الجلالة لأن هذا الاسم لا يلحظ فيه إلا الذات وأما الرحمن الرحيم ، فهنا للرحمة آثار لانهاية لعدتها ، إذن هنا وحدة وكثرة ، فالوحدة للذات الإلهية والكثرة في آثار الأسماء الدالة على الصفات وأسماء الله جميعها تدل على الصفات . فقال : هذا كلام اجالي والوحدة والكثرة ذكرها الصوفية ولكن كلامهم مجمل ، وبذكريها الحكماء في علم ما وراء الطبيعة ويقولون : « إن العالم ذو وحدة تقسم الى جوهر وعرض وكل منهما يقسم أقساماً ، وهذه الأقسام هي المقولات العشرة المشهورة وهناك تقاسيم أخرى لاحاجة الى الأفاضة فيها وكلها ترجع الى تقسيم وحدة العالم الى كثرة حتى ان تقسيم العلوم الرياضية والطبيعية يرجع الى هذه الكثرة المنبوءة في وحدة العالم . فقلت هذا حق ولكن الوحدة والكثرة التي سأذكرها هنا تؤخذ من المشاهدات الطبيعية فخطي في ذلك مثل علماء الهندسة إذ يمرضون على الطالب أموراً معلومة للجاهل والعالم ويستنتجون علوماً لا يعرفها إلا الخاصة فهم يقولون الكل أكبر من الجزء والنقيضان لا يجتمعان وإذا أضيف شيئاً من مساويين الى شيئين متساويين يكون الجميع متساويين وإذا حذف شيئاً من مساويين من شيئين متساويين فالباقي متساوٍ وهكذا ويستنتجون من هذه نظريات وراء نظريات حتى يصلوا بعد (٣٧) نظرية الى أن زوايا المثلث الثلاث تساوي قائمتين وبعد نيف وأربعين قضية يقولون إن مربع وتر الزاوية القائمة يساوي مجموع مربعي الضلعين الآخرين وهذا الشكل يسمونه شكل العروس ، فهذه مسائل دقيقة استنتجوها من أمور أولية بدائية ، فهكذا هنا أنا أبحث في الوحدة والكثرة في الأمور المشاهدة أولاً وأقنى على ذلك بما هو أعلى وأعلى . فقال : لقد شاقني وصفك فكيف يكون ذلك ؟ فقلت : ما من امرئ إلا وهو يعتقد أنه واحد وهذه الوحدة مشتملة على كثرة ، فلكل إنسان أعضاء للاحساس وهي خمس وأعضاء للعمل وهي خمس أيضاً ، اليدين والرجلان واللسان ، فاليدان بلجج الصناعات على الأرض والرجلان لا تنتقل الأجسام واللسان لنقل المعلومات في الهواء ومن صناعات اليدين الخط وهو مساعد اللسان في نقل علم الأولين الى الآخرين وعلم الحاضرين للغائبين ، إذن الرجلان واللسان وبعض أعمال اليدين لنقل الأجسام ونقل العلوم . ثم ان العين من أعضاء الحس واليد من أعضاء الحركة كل منهما مركبة من أجزاء مختلفة كالشبكة والباورية في العين والجلد والعرق والعضل في اليد ونحو الجلد والشبكة والباورية كل من هذه يسمى جزؤه باسم كله . فقطعة من الجلد وقطعة من الشبكة وقطعة من العضلات وقطعة من العروق كل هذه يكون شأنها شأن ما قطعت منه في التسمية . فقطعة من العظم وأخرى من اللحم لا يتغير اسمها عما

فصلت منه بخلاف الجلد اذا كسطناء عن اللحم فكل منهما يحمل اسما يغير الآخر . وهذه الأجزاء التي نسمي جزؤها باسم كلها مركبات من عناصر دخلت فيها وتنتهي هذه الأجزاء الى الالكترونات وهي النقط الضوئية الصغيرة جدا ، فهذا عرفنا وحدة الانسان في قوله انا وكثرته بهذه الأجزاء التي لا يعرف مدى قسمتها وتحليلها ، ولا جرم أن الوحدة هي التي جمعت هذه الكثرة وحفظتها ولذلك اذا خرجت الروح من الجسم وهي الجامعة لمتفرقاته في الحياة رأينا هذه الوحدة قد تفرقت شتتت في الأرض والماء والهواء إذن الوحدة لها السلطة والغلبة على الكثرة وكثرة بلاوحدة ضائعة متفرقة ، وحدة الأسرة والمدينة والأمة والانسانية جمعا والحيوانية وهكذا الى أن تقول وحدة الكرة الأرضية ، ومثل ماقلنا في وحدة الجسم وكثرته تقول في وحدة الأسرة المركبة من أفراد لها رئيس جامع لها وكثرتها وهكذا القرية والأمة الواحدة والأم الشرقية والغربية ثم الانسانية جمعا فكل هذه لها كثرة ووحدة بوجهين مختلفين ، واذا علمنا الى ما هو أوسع من الانسانية اعتبرنا الحيوانية فالعوامل البنائية فالعالم الأرضي كله فالكرة الأرضية جميعها فلها وحدة وطا كثرة كجسم الانسان وبالوحدة البقاء والتفريق الملاك فلا بد من وحدة تضبط الكرة ، واذا علمنا فوق ذلك رأينا السيارات مع الشمس لها وحدة نسميها المجموعة الشمسية التي نرى لها تسع سيارات باعتبار الكوكب الذي وراءه نبتون الذي كشف في هذه السنة ، وهناك ذوات الأذناب والنيازك والشهب الجاريات حول الشمس التي يقال ان عددها كعدد سمك البحار فهذه كلها مع الشمس معتبرة وحدة . ألا ترى الى ما يسمونه الجاذبية ، تلك الحال التي تضم الأرض والكواكب السيارة وأقمارها فتجعلها لا تنحيد عن أماكنها كما لا تترك اليد ولا الرجل جسم الانسان وغيره

تباركت يا الله : لنا أجسام ذات وحدة جمعت كثرتها فاذا فارقها الوحدة بخروج الروح تفرقت أجزاؤها وللمجموعة الشمسية وحدة كوحدة الروح مع الجسم بحيث نرى الكواكب أ. أما كتبها ولولا الجاذبية لتفرقت وطاحت ، إذن هنا أمر عام في المجموعة الشمسية حكمه حكم الروح في جسمي اذا خرج منها تفرقت تلك الأجزاء وتناثرت وتباعدت وطاقات في أقطار الخلاء البعيد المدى وفي الهجرة الواحدة مئات الملايين من تلك المجموعات الشمسية التي نشاهدنا في الليل بهيئة نجوم صغيرة جدا في رأي العين ، وحكم الهجرة الواحدة مع كواكبها الثابتة التي هي في الحقيقة مجموعات شمسية لها حكم ماذ كرنا أولا من الجسم وما بعده (انظر بعض هذا في أول سورة سبأ) وليس في السماء هجرة واحدة بل هناك هجرات وسدم (جمع سديم) تعد بمئات الملايين وقد فعل بها ما فعل بما قبلها بحيث أصبح العلماء اليوم يقولون : « إن العالم كله كرة واحدة يسير النور حولها مائة ألف مليون سنة . ومعلوم أن النور يسير في الثانية الواحدة (١٨٦) ألف ميل (٣٠٠) ألف كيلو . إذن هذه العوامل جميعها جعلت كرة واحدة كما جعل الانسان الواحد جسما منظما له روح تجتمع وتضم وتحفظ أجزاء جسمه كما ان في العالم معنى يحفظه وقوة تضمه يسمونها الجاذبية وهي عين الوحدة

﴿ نظام الجسم الانساني مع هذه العوامل ﴾

قلنا إن الجسم الانساني له حواس للعلم وله أعضاء للعمل . فأما الحواس الخمس فأولها حاسة اللمس التي تم كل حيوان حتى البودة بل هي سارية في النبات أيضا وهذه قسطها من العوامل حولنا ما قرب منا بالاحساس بالبرودة والحرارة واليبوسة والرطوبة وهكذا ويلبها حاسة النوق بالحلاوة والملوحة والمرارة والحرارة والعذوبة وهكذا ثم الشم للروائح التي يحملها الهواء ثم السمع للأصوات من سائر الجهات ثم البصر لما هو أبعد حتى أقصى النجوم من القدر السادس . ثم بعد ذلك يستعين الانسان بالعلم فيصل الى معرفة أقدار النجوم وأبعادها يعرف بالمجهر الى القدر العشرين . إذن الحواس الخمس عرفت مبدأ العلوم والعلم أغلث الانسان فرضه فوق ملرضته هذه الحواس . إذن الجسم الانساني من حيث العلم قد شهد العوامل بحواسه ثم بعقله وبهذا انتهى الكلام

على القسم العلمي من الجسم الانساني

أما القسم العملي فهو أعضاء العمل وهي قسمان : قسم للانتقال ، وقسم للأعمال . أما قسم الانتقال فهما الرجلان اللتان يسير بهما على الأرض وقد ساعدهما سفن البحار وقطار البخار في الأرض والآلات البخاريات كالعربات وما يسمونها السيارات (الانوموبيلات) وهكذا كل ما يجري على الأرض بجمرة الحيوان أو يدفع البخار أو بمادة البنزين المستخرجة من الفحم أو بالكهرباء ، كل ذلك على الأرض ، وبلى ذلك الطيارات التي تطير في الجو وتحمل الناس والأثقال ، فهذه كلها قائمات مقام سعى الرجلين وبهذا تم الكلام على العضوين اللذين أعدنا لتقلنا وسيرنا على الأرض

أما العضوان اللذان أعدنا للأعمال فهما اليدين اللتان بهما نصنع ما نحتاجه للطعم والملبس والسكن وما قترع منها واستعنا على ذلك بالآلات فتمت مقام عمل اليدين كما قامت المجاهر مقام العينين في بحث الكواكب البعيدة وقامت الطيارات في الهواء والسيارات على الأرض والسفن في البحار مقام الرجلين ، وهذه الآلات التي قامت مقام اليدين أو ساعدتهما إما أن تديرها اليدين أو الحيوان ، والفحم أو الكهرباء ، كل ذلك لاتمام عمل اليدين وحفظ حياتنا على هذه الأرض ، وبالجملة هذه العوالم مزرعة الانسان من وجهين : وجه العلم ، ووجه العمل وجسمنا خلق على استعداد لهما ، أما اللسان فهو رسول بين الأفراد يوصل العلم من واحد الى الآخر ويعين على الأعمال العاتية فهو محركه عامل وعمله ينتج العلم . هذه هي حال الانسان بالنسبة للعوالم المحيطة به وأكثر ما ذكرناه هو علوم طبيعية لصور خارجية في العوالم الأرضية والسموية

(الصور الخارجية والصور الذهنية والعلوم الرياضية)

قلنا إن أكثر ما ذكرناه علوم طبيعية إذ هي ترجع الى المادة المحسوسة المشاهدة ولكن هذه العوالم المشاهدة كما قررنا لها وحدة ولها كثرة من وجهين والكثرة لاحد لها ، فإذا لم ترجع الى الوحدة في أذهاننا كما أنها واحدة في الخارج كان جهلنا بها عظيما لأن العلم لا يثبت إلا لما هو ثابت ولانبات لإبقوانين ، أما الكثرة التي لا قانون لها ولا ضابط فهي خارجة عن الحصر وما خرج عن الحصر لا يعلم ، هنالك احتاج الانسان الى علم العدد والحساب ، ولا جرم انه كما قلنا واحد في نفسه لأن له روحا جمعت أجزاء هذا البدن وإذا خرجت هذه الروح من الجسد تمزقت تلك الأعضاء وطاحت تلك الحواس وتناثرت تلك الأجزاء وضاعت في كل فج عميق ألم يشاهد الناس أن الميت هذه حاله لا ضابط لأجزاء جسمه الممزقة ولا حافظ لأعضائه المختلفة ، فالذي جمع ذلك كله وحدة هي الروح ، فليس في الأرض امرؤ يقول في نفسه انه اثنان بل يقول أنا ، فيه معنى الوحدة بداهة ثم ينظر في أعضائه فيجد فيها الرأس وهو واحد والعينين والأذنين واليدين والسبيلين وهكذا فهما اثنان ، ويرى في كل أصبع ثلاث مفاصل ويرى أعضاء البطن أربعة وهي اليدين والرجلان وأعضاء الحواس خمسة وأصابع اليد الواحدة خمسة وبضعيفها تكون العشرة ثم العشرين بضم أصابع الرجلين وهكذا يضاعف العدد الى المائة والآلاف والملايين وما فوق ذلك وينتهي ذلك كله بأن نقول علم العدد . إذن الانسان يصل في صورته الذهنية ما فعله بالصور الخارجية . إن الانسان كما انتقل من جسمه الى العوالم فأرجعها كلها الى كرة واحدة فعل بعلم العدد هذا العمل نفسه . فالعشرة عنده وحدة والمائة وحدة والآلاف وحدة والمليون وحدة وهكذا وينتهي الأمر بعد آلاف آلاف الملايين أن يقول هو العدد أو الحساب كما قال في العالم المحسوس هو الكرة التي يسير الضوء حولها كذا وكذا فيما تقدم . إذن الانسان اخترع لنفسه صوراً ذهنية هي الأعداد وهذه الأعداد لا وجود لها في الخارج وهل في الخارج إلا المعدود . والسماء والأرض والبحر والجبل ليست أعدادا كلا . بل هي معدودات . وما الأعداد إلا صور ذهنية اخترعها العقل الانساني ليكبح بها جماح الصور الخارجية التي تريد أن تغفلت من يده فضمها وجمعها ففترت في يديه وحضرت لديه ففرقها فكان بذلك قرير العين

ويلى الحساب علم الهندسة . وما علم الهندسة إلا نظام للقادير المتصلة من المخطوط والسطوح والأجسام كالخط المستقيم والمنحنى والمنكسر وكزاوية والمثلث والمربع وكالكرة والمكعب وما أشبه ذلك ، فالقوانين الهندسية التي سبق كثير منها في ﴿سورة الروم﴾ عند آية - فطرة الله التي فطر الناس عليها - بها ضبطنا كثيرا من هذه الأجسام فبقيت في عقولنا وحفظت في أذهاننا فأرجع اليها فانك تجد هناك نسا وصلة ورجا بين أنواع الأشكال في مساحتها كالنسب والصلة بين ذوى الرحم من نوع الانسان . إذن الهندسة متممة للحساب في ضبط المادة كي يعلمها الانسان ويساعد ذلك كله علم الجبر وعلم الفلك وعلوم أخرى مفرعة على ذلك . وما ذلك كله إلا صور ذهنية اخترعتها العقول الانسانية بحكمة دبرت وآيات أبدعت في خلق الروح المودعة في هذه الأجسام . إذن الانسان قدر أن يصنع في نفسه نوعين من الصور : نوع له وجود في الخارج وهي مواد العلوم الطبيعية . ونوع لا وجود له في الخارج وهي الأعداد وعلوم الهندسة والأعداد مقادير منفصلة والهندسة مقادير متصلة إذ نرى المثلث مثلا اتصلت أضلاعه وزواياه بخلاف واحد اثنين فهما منفصلان لا متصلان وهنا يقولون إن الوجود له ﴿أربع مواطن﴾ وجود في الأذهان كهذه الأعداد ونظيريات الهندسة . ووجود في الأعيان وهي المعدودات والأشكال الهندسية الملموسة . ووجود في اللسان وهي الكلمات المدالات على ما في الأذهان . ووجود في البنان وهي الكتابة الدالة على ما نطق به اللسان . إذن الموجود أصالة هو الخارجي وهو المعدود مثلا ويعبر عنه العدد الذهني ويعبر عنه اللسان وينوب عنه القلم . فأولا مرتبة الخارج يتبعها الذهن يليه اللسان فالبنان . ولكن الذي في الخارج هو المعدود والذي في الذهن هو العدد فهما متغايران من هذه الجهة

﴿ البحث فيما وراء المادة ﴾

(ومعرفة الله تعالى ونظام السياسة في الأمم)

نظر الانسان بعد ذلك فقال : هذه علوم طبيعية وهذه علوم رياضية والآخرة حفظت الأولى ولكن ما الحافظ طولاء جيعا والذي حله على ذلك غريزته وفطرته كما ان نفس الغريزة هي التي اخترعت علم العدد . فهناك قال الانسان : « إن للعالم صانعا ولكن كيف أتصوره ؟ المادة مشاهدة . والأعداد ونحوها متخيلة مستنتجة من المشاهدات المحسوسات » هنالك أخذت الخيلة تخلق له صوراً وأشكالاً . وبيانه أن الانسان يتصور السماء والأرض وما بينهما في مخيلته اذا كان بصيرا كما شاهدهما ويتصور السموع بصور مما يراه ويشاهده بعينه لأن البصيرات أغلب عند المصريين وهكذا يتصور الأعداد بصور مما يشاهده بعينه . أنا منذ الصغر حفظت القرآن عن ظهر قلب بلا عقل فأنا ألاحظ الآن أن سور القرآن سورة سورة مرسومة في ذهني مفصلة بهيئة صور لها ألوان مما أشاهده في العالم وهذا من السموعات ولكن هذه الصور المخترعة في مخيلتي للسموع من القرآن ليست في الوضوح كصور السماء والأرض ثم أرى صوراً أخرى في خيالي للأعداد من الواحد والعشرة والمائة وما بينها فهي مرتبة منظمة بحسب ما يشاهده بصري . وليس من المعقول أن الأعمى يتصور هذه الصور كما يتصورها البصراء . إذن الانسان في صور المحسوسات والصور المخترعة للعد يتخيلها بحسب ما غلب عليه . إذن الانسان في تصوراته لم يلتزم طريقة بعينها فهو حر يتصور بحسب ما غلب عليه . فإذا كانت هذه حاله فيما له صورة في الخارج ونحوه فهو فيما ليس له صورة في الخارج أغور في الحرية وأعرق وأبعد مدى في التصوير . الأثرى الى ما يقوله الحكماء : « ان الطبيعيات هي ما تحتاج في ادراكها الى المادة في الذهن وفي الخارج والعلوم الرياضية ما يحتاج في ادراكها الى المادة في الخارج لاني الذهن والعلوم الإلهية ما لا تحتاج في ادراكها الى المادة لاني الذهن ولا في الخارج وذلك كالنحلة في الأول والمائة في الثاني والله في الثالث

هنا أخذت عقول الناس تجول فيما حو لها . فأخذ كل يصف الله في خياله بما غلب عليه مما هو عظيم

في نظره من بقرة يحترت الأرض عليها وقيل هائل المنظر وحية عظيمة وقرد وشمس وفر وكوكب فالخيال هنا كان أوسع حرية بخلافه في المحسوسات فإن صورها ظاهرة فلا داعي لسعة الاختلاف في تصورها ، ولذلك رأينا أهل هذه الأرض ملؤها بالأصنام اللاتي تصور لكل أمة ماغلب على طبع أهلها ، وتارة يتخيلون صانع العالم رجلا عظيما كما تخيلوه كوكبا منيرا ، بل منهم من تخيله شريرا كثيرا الشر لما غلب على الطبع من أن الشرير يخاف كأمثال قوم يسمون اليزيدية يهدون أبلبس ويقولون إن الله رحيم فلا حاجة إلى عبادته ولكننا نجد أبلبس لأنه شرير وهكذا من الصور التي لاحد لها ، ولكن الانسان ذلك المخلوق الذي أدرك في نفسه وحدة وكثرة ووحدته حفظت كثرته رجع فقال . كلا . الوحدة في جسمي وفي العوالم والوحدة في الأعداد كما تقدم ، فالإله ليس متعددا بل هو واحد وماهذه إلا مظاهره كما إن روعي واحدة والأعضاء مظاهرها لاغير ، لذلك نسمع علماء الهند يقولون : « إن الآلهة الثلاثة التي يعتقدونها ماهي إلا صفات للجوهر الحقيقي وهم براهما وسيغا وفشنو ، فهم إذا ملؤا بلاد الهند بالأصنام فكلمها آلهة ثانوية ترجع إلى الثلاث والثلاثة إنما هي صفات والله واحد ، وهكذا نسمع المسيحيين يقولون قولاً أخفى من هذا فيقولون : « الثلاثة واحد » ولكنهم لا يفصحون كما يفصح أهل الهند لأن هؤلاء مقلدون لهم والقلد لا يعقل ما يعقله من علمه فلما جاء الاسلام أعلن الحقيقة مرة واحدة فكسر الأصنام ومنع تعدد الآلهة وأنكر الأبوّة والبنوّة وقال الله واحد ، فقوله تعالى حكاية عن الكفار في هذه السورة - أجعل الآلهة لها واحدا إن هذا لشيء عجاب * وانطلق الملا منهم أن امسوا واصبروا على آلتكم إن هذا لشيء يراد * ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق - منشؤه نظرهم إلى الكثرة والكثرة بلاوحدة ضائعة

﴿ سياسة الأمم تتبع عقائدها ﴾

إن الأمم لانبات لها ولادوام إلا بوحدتها ، ولاوحدة لها إلا بعلم يحفظها كما حفظت الصور المحسوسات في نفوسنا وعلمت بضوابط حسابية ، فكما أن العلوم الرياضية رباط العلوم الطبيعية وحفاظ لها هكذا العقائد الثابتة في الأمم رباط الجماعة الانسانية تحفظها من الهلاك والتشقق ، ولذلك نجد دين الاسلام شرع الأمرين معا : وحدة الخلق ، وتبعها وحدة الأمة : العرب في البداية كانوا أشقانا كل يفخر بأتمه وأسرته وعشيرته اغراقا في البداوة كما يفخر بصممه الذي يعبدونه ويحقر ضم سواه ، فهو بعشيرته وبصنمه مقتون ، هنالك تفرقتوا سياسة كما تفرقتوا عقيدة ، فقال الاسلام لهم : « أيها الناس : لا فضل لعربي على عجمي إلا بالقوى ، ما هذا التفرق ، ما هذا الخذلان ، ما هذا التباعد ، هذه وحدات ضيقات ضائعات متفرقات متباعدات ، اجعوا هذه الوحدات كلها في وحدة تجمعكم ، قم يا بلال أذن في الكعبة وأتم أيها العرب اسمعوا أذانه ، وإن زعمتم أنكم أولى بالكعبة من كل الأمم ، أنتم بنو آدم لابنو عدنان ووططان فقط ، فاتكفوا أيها الناس أمة واحدة ، ألم نكسر أصنامكم المفرقة لكم ، ألم هل لكم إن إلهكم واحد رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق ، إذن الوحدة عاتة في الكون فمن أين أتيتم بالتعدد ؟ وهذه الوحدة يجب عليكم أن تظفروها بالصلاوات الخمس صحة لأبدانكم وقوة لإيمانكم وجامعة لمدينتكم وحافضة لسوئكم والزكاة من أعظم الروابط بينكم واشتراكم في صيام رمضان يقوى لإيمانكم ودولتكم والحج يجمعكم ،

هذه هي أركان الاسلام التي تجمع المسلمين على عقيدة واحدة وعمل واحد وهذا العمل يقوى العقيدة ويحفظ الوحدة ، ولما ترك المسلمون الصلاوات وما بعدها وتهاونوا فيها حاق بهم الذل لأن العقيدة لم تجسما يفذيها ويقويها ويحفظها فتفرقت الوجهة وساء المسير

فقال صاحبى بعد أن سمع هذا . الله أكبر : إن هذا خبر بيان في هذا المقام ولكن يتوجه اليك - والآن

فأرجو أن تأذن لي في ذكرهما. قلت: لك ذلك. فقال: ﴿أولاً﴾ ان اليابان غابدة الأصنام والفرجة القبن يؤمنون بثلاثة آلهة قد اتخذوا ولا توحيد عندهم والمسلمون للوحدون لارابطة لهم. إذن لاعلاقة بين العقائد ونظام السياسة ﴿ثانياً﴾ أنا الآن في تضير البسمة في أول ﴿سورة ص﴾ والى الآن لم نبين ماني هذه السورة من الوحدة والكثرة وما تقيم كله إن هو إلا شبه بالمقدمات. قلت: أما كون الأمم التي لا توحيد في عقائدها قد نجحت في سياستها والأمم التي وحدت في عقائدها قد اضطرت سياستها كالأمم الإسلامية، فهذا يحتاج الى البيان. توحيد العقائد والاشراك فيها أمر يرجع الى العلم والجهل. فهو إذن راجع لجهل الروح وعلمها. واعتقاد التوحيد قد يجر الى اتحاد السياسة ونظام المجموع. وقد يقف عند الايمان المجرّد فاذا غدى ذلك الايمان بما يزيد يوماً فيوماً من الاجتماعات العامة في الصلوات كالصور الأولى، وبما يؤدى الناس من الزكاة للضعفاء والمرضى، وبما يحجون ويصومون ويتصدقون

فهذه كلها مفاهيم منميت لتلك الوحدة وينقل التوحيد من العلم الى العمل ويصبح الناس اخواناً. واذا دهمهم عدو تألبوا عليه وازدياد الحوادث تزيدهم اتحاداً. فأما اذا بقي التوحيد أمراً قلبياً إيمانياً أو يقينياً بالعلم ولم تسع الأمة الى ايجاد روابط عملية بالصلوات والاجتماعات العامة في خطب الجمعيات والأعياد فمن أين يتعدى التوحيد العقول ويسرى الى الأجسام ويوحدها. فليس كل من وحد استوفى شرائط التوحيد ولا كل آمن بالله جديراً بنصره. أحسب الناس أن يتكروا أن يقولوا آمناً وهم لا يفطنون - ولا جرم أن أركان الاسلام الخمس هي التوارة والجزر الاساسى لبنيان الأمة وسلامتها وحفظ كيانها. هذا هو السبب في تحاذل المسلمين وعدم اتحادهم في القرون المتأخرة

إن اتحاد الأمم في السياسة له طرق شتى ونواح مختلفة وترجع كلها الى توحيد وجهة الأمة وذلك كما يحصل بالدين يقوم بالصينية والوطنية والاتحاد في الله وفي النسب وفي الاتباع لملك جامع لهم وفي المعاودة وفي مصاهرة الملوك وفي الاستعباد بأن تتبع الأمة من استعبدها وهكذا مما ذكره العلامة الفارابي في كتابه «آراء أهل المدينة الفاضلة»

كل هذه جعلها النوع الانساني طرقاً ومسالك للاتحاد وهي درجات بعضها فوق بعض فان قاموا بشر الطها جنتهم وان لم يقوموا بها تفرقوا شترومفر، وبهذا تفهم كيف اجتمعت اليابان فقد جعلتها الحاجة الى الدفاع عن وطنهم واتحادهم في النسب واللغة والوطن وقد قاموا بما يجب لهذا كله والله يقول - وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون - فهم لما أصلحوا أحوالهم النظامية لم يكن ظلمهم بالكفر سبباً لاهلاكهم كما أن الحيوانات التي في الغابات لا حصر لها تعيش في أمن وسلامة فليس الانسان أدنى منزلة منها لأن الله رحيم رحيم يسع في ملكه كل من أصلحوا معيشتهم في الحياة الدنيا وان كفروا بأخر الأديان إما لأنه لم يبلغهم على وجهه كما هو المعروف الآن ولما للتكبر والأناية والعظمة وهذا قليل

فقال صاحبي: لقد اجتمع أهل مصر وتونس وطرابلس والجزائر ومراكش وسوريا والعراق والموصل في اللغة والدين وتجاور الأوطان وفي النسب فلماذا لم يتحدوا؟ قلت له: الجواب على ذلك ظاهر مما تقدم. فكما هبوا عن تفضية العقيدة الدينية بالظواهر المنفذية لها التي توجب اتحادهم في السياسة الدينية فاضلا عن محبة الله والسعادة الآخروية هكذا هبوا عن القيام بحق اللغة وآدابها ونشرها وعن قراءة علم تاريخ أسلافهم ونواصل المودات بينهم والتعارف فالجزر عن مفاهيم الدين بأعماله الظاهرة نظيره الجزر عن مفاهيم اللغة والنسب وقرب الجوارى في الوطن. كل ذلك متروك كما ترك غيره. فأما الأمم الأخرى فان لهم روابط كثيرة بل ان أوروبا المسيحية تجتمع ضد الشرق وتحاربه حراً ويكون الدين من أهم روابطها لأن اللدار على الاعتقاد والاعتقاد له جميعات تحافظ عليه فاستبان بهذا وظهر ظهوراً لامرية فيه هذا الموضوع وعرفت أيها

الذكي أسباب اتحادهم وعلوها وضمف أم وسقوطها . ولا يظن ظان أن اتحاد التلاميذ في ملابهم ونظامهم في الأعمال والتحرير الرياضى والدروس وهكذا أقراتهم في المدارس الثانوية علوما رياضية وطبيعية وتاريخية وفلكية لم يقصد به تلك الوجهة العامة . إن اتحاد العقول في علوم عامة واتحاد الأجسام في مظاهر ملابسها وروقتها كل ذلك ذرائع لاتحاد الأمة حتى ان الأمة الواحدة قد تنسع لأديان كثيرة ولكن كثرة المقومات للوحدة تمنع تفرق المجموع ولو بحسب الظاهر والقانون . ولا ريب أن أقوم مقومات اتحاد الأمم هو الدين اذا قام الناس بحقه . فغير ما أنزل الله للناس هو هذا الدين الذى جمع الناس عقلا وعقيدة ودنيا وآخرة . ولما أهمله حاملوه أصبحوا في مؤخر الأمم . واعلم أن الانسانية لن تسعد ولن تسرح راحة تامة إلا بوحدة شاملة . كذب هذا الانسان . كذبت المدينة الحاضرة

عجبي : نسع أن الأمة التركية قد تركت دين الاسلام أى ان الحكومة أعلنت ذلك ولكن قرأت في مجلة « السياسة الأسبوعية » في شهر يونيو سنة ١٩٣٠ ماملخصه أن جماعت أنت الى بلاد الترك من أمريكا وهم من السود المتزجين بأهل البلاد الأصليين وهؤلاء يبلغون نحو مائة أزيدون على ما أذكر وانهم عرفوا الاسلام هناك من جمعية الرفق بالأيتام وانهم يقولون : « نحن آمننا بالدين المسيحي الذى أتانا به الجنس الأبيض (وهم الاوروريون) ومع ذلك لا يزالون يكرهونا ومتى رأوا من أحدنا ذنبا حقيرامن قوه شرمة مزق واخوانهم بهذا فرحون : ونحن لما سمعنا بالاسلام وسهولته فهمناه حق فهمه ولم نفهم الدين المسيحي . وهانحن هاجرنا من أمريكا الى هذه البلاد لتعيش مع اخواننا الترك المسلمين ، أقول وقد قابلت أحدهم بعد ذلك بمصر وهو عالم عظيم ولا جرم أن هذا القول ينطبق على السود الذين هم في الولايات المتحدة فهم هناك يمزقونهم كل يمزق على مرأى ومسمع من الشرطة في تلك البلاد . إذن الانسانية اليوم لاتزال طفلة . فالتعصب يكون للدين كما يكون للون وللوطن فالناس لا يزالون في أحضان الجهالة يتربون . عجب وألف عجب لدين الاسلام الذى لا يفرق بين أمة وأمة ولا وطن ووطن ولا لغة ولغة ولا لون ولون وأذان بلال بالكعبة شاهد صدق على ما تقول أمام العرب المتعصبين لوطنهم ونسبهم . إذن فلتنجعل الانسانية الحالية فان مدينتها مدينية جاهلة سواء أ كانت بالوطن أم باللغة أم بغيرها . وخير المدينيات أن يكون جميع الناس متعاونين

إن الأمم التى عندها اجتماع ما بلغة أو بدين أو وطن كأهل أوروبا وأمريكا فهى أمة عوراء وهذا العور أفضل ألف مرة من العمى لأن أمة العرب المتجاورة لم تعن به بل بقيت منعزلة كأنها لم تسمع بالاسلام أولم تسمع باللغة أو بالوطن أو غيرهما . إذن الأمم عمياء اذا لم يكن لها اجتماع بوحدة مما تقدم . عزراء اذا اجتمعت بلغة أو بدين أو وطن وهكذا . بصيرة اذا اجتمع الانسان كله اجتماعا صادقا مع العدل وحفظ العقول والعالم واستخراج قوى النفوس وقوى الطبيعة

فيا أيها المسلمون : نحن أمة أكثرنا لم يصل الى درجة العور فنحن في أخريات الدرجات فارتقوا درجة واتحدوا كالأمم حولكم ثم بعد ذلك ارتقوا بالانسانية الى الدرجات العالية وهى أن يكون النوع الانسانى كله على بصيرة . لذلك نفهم معنى كونه ^{صلى الله عليه وسلم} رحمة للعالمين . وهى أن يكون رحمة العالمين تصب أمريكا على السود والجر أو تعصب أوروبا على سوريا وتمزيقها الى دول صغيرة وتشتيت شمل المسلمين في بلاد الجزائر وصراكش واذلهم في عقر دارهم . كلا . فهذه ليست رحمة

الأمم الحاضرة لاتصلح لرقى نوع الانسان . واعلموا أيها المسلمون أن هذا الكتاب ستعقبه نهضة في الشرق يتلها رجة في الغرب يعقبها سعادة الانسان - ولتعلمن نبأه بعد حين - وبهذه تم الكلام على سؤالك الأول (الجواب عن السؤال الثانى) وهو قولك اننا الآن في تضبير البسملة في أول (سورة ص) وانى لم أئين ما في هذه السورة من الوحدة والكثرة فأقول :

اعلم أن أسماء الله الحسنى دالة على صفاته وصفة للرجة مصاحبة للعلم والارادة والقدرة لأن رجة الله لم نعرفها إلا بالآثار ولا آثار إلا حيث كانت قدرة أظهرتها والقدرة تتبع الارادة ولا ارادة إلا حيث يكون العلم ، فالرحيم الذي لا علم عنده كالأم تكون رجعاتها مضرة ، والرحيم الذي لا قدرة له عاجز عن إيجاد ما قصده من الخير فالرحيم العالم المرید القادر هو الذي يستعان به ، ولذلك تجدد للرجة سورة بتامها كما أشرنا اليه سابقا في سورة أخرى إذ جعلت ﴿ سورة الرحمن ﴾ كلها كالانفصال لآثار الرجة ، بل جميع ما في هذه الدنيا والآخرة آثار للرجة وحديث : « ان لله مائة رجة وإن رجة واحدة منها جعلت في الأرض بها ترفع القوس حافرها عن ولها خشية أن تصيبه وأن هذه الرجة تنضم الى ٩٩ رجة الأخرى تكون لأهل الجنة » يوضح هذا المقام ، فعالم الدنيا والآخرة آثار الرجة ، فإذا لم تكن هذه العوالم لم نعرف الرجة . إذن الوجود آثار من الرجة والعدم آثار الغضب والجرم أن القرآن من الرجة ولذلك يقول الله - الرحمن - علم القرآن - فالقرآن من الرجة وما في هذه السورة طبعا من الرجة ، وما في الدنيا والآخرة من الرجة وهذا هو الباب الذي دخل منه سيدنا على كرم الله وجهه إذ نقل عنه انه لو شاء لكتب وقرسبعين بعيرا في تفسير البسملة وهذا حق لأن الرجة شملت العالم العلوي والسفلي والآخرة والدنيا وهذا هو السر في الابتداء بها في أول كل سورة ، ومعاني القرآن كلها داخلة تحت أسماء الله الحسنى الدالة على صفاته ، إذن الأمر ظاهر ولكن ليس معنى هذا أن يكون تفسير القرآن كل شئ بل القرآن يفسر بالطرق التي يراها المفسر أقرب لعقول أهل زمانه ويكتب ما يفهمونه هذا هو المقصود من التفسير لأنه يكتب كل شئ بل يكتب بحسب ما يناسب زمانه لا غير فإذا حاد عن ذلك لم يكن مفسرا بل هو ناقل وكل بعير فهو ناقل

فإذا سمعت ما يأتي في هذه السورة من قصص سليمان وداود اللذين أغدقت عليهما النعم وسمعت قصة أيوب الذي ابتلى بالنقم فاعلم أن النعمة والنقمة يرجعان لأمر واحد وهو الصبر بل الصبر على النعمة أشد على النفس من الصبر على النقمة كما ذكرناه سابقا تقلا عما نسب الى (أرسطاطاليس) إذ أرسل الى الاسكندر يهنئه بالنصر في فارس ويذكره بأن النعم تنتقل من دولة الى دولة اذا ترك الناس في حال أمنهم فبطروا العيش وشمعوا الرخاء وأن الناس في حال الخوف والحرب أنشط وأسرع عملا وفي حال الامن هم يكسلون وبيطرون ويذهب ملكهم . فهم يحتملون أيام المخافة ولا يكادون يصبرون على النعم لأنها تفيهم وتقتلهم بالبطنة وسامت مصيرا

ومن هذا الباب ما جاء على لسان سليمان في ﴿ سورة النمل ﴾ - هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر - إذن سليمان عليه السلام المذكور في هذه السورة ابتلى بالنعمة بل ابتلاؤه أشد من ابتلاء أيوب على هذا القياس . فهنا أمران : رجة بالابتلاء بين الخير والشر ووحدته فان الخير والشر وان كانا متغايرين جمعهما الابتلاء . فهنا وحدة وههنا كثرة والوحدة بها جعت الكثرة كما ان نجيب الكفار بقولهم - أجعل الآلهة إلها واحدا - الذي أملاه عليهم الجهل يدحضه الوحي والعقل ويرجعان الى التوحيد . إذن الوحدة في الالهية بوجبه الوحي والعقل والتفريق بوجبه الجهل . والوحدة في نظام الأمم بوجبه الوحي والعقل والتفريق بوجبه الجهل . والنظام في الأمم إما لا أساس له كالأمم الوحشية واما متوسط الأساس وهو نظام الأمم الحالية واما ثابت الأساس وهو اتحاد الأمم جميعا والله يهدي من يشاء الى سواء الصراط . انتهى الكلام على الفصل الأول في تفسير البسملة والحمد لله رب العالمين

﴿الفصل الثاني﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ • بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ • كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ
 مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَحْنُتْ حِينَ مَنَاصٍ • وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا سَاحِرٌ
 كَذَّابٌ • أَجَعَلَ آلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ • وَانطَلَقَ لِلَّامِ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَى
 آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ • مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آلِهَةٍ الْأَخْرَى إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ • أَمْ نَزَّلَ
 عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدْعُونَ عَذَابٍ • أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ
 رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ • أَمْ لَهُمْ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ
 جُنْدٌ مَا هُنَاكَ مَهْرُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ • كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ •
 وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ • إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ فَتَقَى عِقَابِ •
 وَمَا يَنْظُرُ هُوَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَأْتِيًا مِنْ قَوَاقِبِ • وَقَالُوا رَبَّنَا مَجْلٌ لَنَا قَطِنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ •
 أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ • إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ
 بِالْعَمِيِّ وَالْإِشْرَاقِ • وَالطَّيْرِ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ • وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا
 الْخِطَابَ • وَهَلْ أَتَاكَ نَبِيُّ الْأَخْطَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمَغْرَابَ • إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَنْخَفِ
 خَضَمَانِ بَنِي بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ • إِنَّ هَذَا
 أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعِيجَةً وَلِي نَجِيجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ • قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ
 بِسُؤَالِ نَعِيجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ خَلَطَا لِيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ • فَفَرَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا
 لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ • يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ
 الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ •
 وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ فَانُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ •
 أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ • كِتَابٌ
 أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أُولُو الْأَلْبَابِ • وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ

إِنَّهُ أَوَّابٌ • إِذْ حُرِّضَ عَلَيْهِ بِالْعِيبِ الصَّانِعَاتُ الْجِيَادُ • فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ مِنْ ذِكْرِ
 رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ • رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَلِقَ مَسْعًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ • وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا
 عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ • قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَنِي إِدْرِيسَ إِنَّكَ
 أَنْتَ الْوَهَّابُ • فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ • وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاهُ
 وَغَوَّاصٍ • وَآخَرِينَ مَقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ • هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْنِكْ بِغَبْرِ جَابٍ • وَإِنَّ لَهُ
 عِندَنَا لَازِلَتِي وَحُسْنَ مَّآبٍ • وَأَذِ كُرْسِيِّنا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ •
 أَرْكَضْ بِرِجْلِكَ هَذَا غَدَقًا • بَارِدٌ وَشَرَابٌ • وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا
 لِأُولَى الْأَلْبَابِ • وَخَذْ بِيَدِكَ صِغْفًا فَاصْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ •
 وَأَذِ كُرْسِيِّنا إِبراهيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ • إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِيَةٍ ذِكْرًا
 الْغَارِ • وَإِنَّمَا عِندَنَا لَمِنَ الْمُضْطَفِينَ الْأَخْيَارِ • وَأَذِ كُرْسِيِّنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَذَا الْكَلْبِ وَكُلَّ مَن
 الْأَخْيَارِ • هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَّآبٍ • جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمْ الْأَبْوَابُ • مُتَكَبِّرِينَ
 فِيهَا يَدْخُلُونَ فِيهَا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ • وَشَرَابٍ • وَمِثْلَهُمْ قاصِرَاتُ الطَّرْفِ أُنزَابٌ • هَذَا مَا نُوعِدُونَ
 لِيَوْمِ الْحِسَابِ • إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ مَّوَدٍّ • هَذَا وَإِنَّ الطَّاغِينَ لَشَرَّ مَّآبٍ • جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا
 فَيَنسِفُونَ فِيهَا جَهَنَّمَ لِيُذِقُوا مِنْهَا عَذَابَ النَّارِ • وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا • هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَصِمٌ
 مَعَكُمْ لَا مَرَحَبًا بَيْنَهُمْ وَإِنَّمَا صَالُوا النَّارَ • قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَأَمْرَحِبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَيَنسِفُونَ
 الْقَرَارَ • قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرِذَّةً عَذَابًا صِغْفًا فِي النَّارِ • وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا
 نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ • أَخَذْنَا هُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ • إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَافُ أَهْلَ
 النَّارِ • قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنِّي إِلَّا الْإِقْدَامُ الْوَالِدُ الْقَهَّارُ • رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
 الْعَزِيزُ الْغَنِيُّ • قُلْ هُوَ نَبِيُّ عَظِيمٌ • أَنْتُمْ عَنْهُ مُرْضُونَ • مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِاللَّيْلِ الْأَعْلَى إِذْ
 يَخْتَصِمُونَ • إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ • إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ
 طِينٍ • فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ • فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ •
 إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ • قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي
 اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ • قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ • قَالَ
 فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاجِمٌ • وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ • قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ •
 قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ • إِلَى يَوْمِ الْوَعْدِ الْمَعْلُومِ • قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأَعُوذَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ • إِلَّا عِبَادَكَ

مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ • قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ • لَا أَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَرِثَتَكَ مِنْهُمْ أُمَّمِينَ • قُلْ
مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ • إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ • وَلَقَدْ نَبَأَهُ
بِقَدْحِينَ •

﴿ التفسير اللفظي ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(ص) تقدم في سورة آل عمران والنعوت والروم ويس بعض أسرار الحروف وسنخصصها بالكلام في الفصل الثالث لتعرف أنها مغزى السورة كلها والمتصود المهم منها (والقرآن ذى الذكر) أى أقسم بالقرآن ذى الشرف والبيان انه لمجزي وان محمدا لصادق (بل الذين كفروا في عزة وشقاق) أى ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه ، وانما ذلك الكفر لعزة أى استكبار عن الحق وشقاق أى خلاف لله ورسوله ، واذا ثبت أن القرآن مجزي وأن هؤلاء معاندون لم يبق إلا انذارهم ولذلك قال (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) من أمة (فنادوا) فدعوا واستغاثوا حين رأوا العذاب فأجابتهم الملائكة قائلين (ولات حين مناص) أى ليس الحين حين مناص أى نجاة لأن وقته فات (وعجبوا أن جاءهم منفر منهم) أى بشر مثلهم (وقال الكافرون) فيه وضع الظاهر موضع المضمحل للتشبيح عليهم بالكفر (هذا ساحر) فيما يظهره مجيزة (كذاب) فيما يقوله على الله (أجعل الآلهة لها واحدا) بأن جعل الألوهية منحصرة في واحد (إن هذا لشيء عجيب) بليغ في العجب فانه خلاف ما أطبق عليه آبائنا (وانطلق الملائمة منهم) أى انطلق أشرف قر يش من مجلس أى طالب بعد ما بكتهم رسول الله ﷺ قائلين بعضهم لبعض امشوا وانبتوا على عبادة آلهتكم فلاتنفعكم مكالته وهذا قوله (أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد) أى إن هذا لشيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له (ماسمنا بهذا) أى بالنبي يقوله (في الملة الآخرة) في الملة التي أدركنا عليها آباءنا (إن هذا إلا اختلاق) كذب ثم أخذوا ينكرون اختصاصه بالوحى وهو مثلهم أو أدون منهم في الشرف والرياسة فقالوا (أأنزل عليه الذكر من بيننا) ثم أضرب عن انكار ذلك الى ذكر سبب انكارهم وهو الشك لميلهم الى التقليد ثم أضرب عنه أيضا الى أنهم الى الآن لم يذوقوا العذاب ومتى ذاقوه فانهم يلجئون الى التصديق وهذا قوله تعالى (بل هم في شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب) ثم أخذ يتهم بهم قائلا (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) أى بل عندهم خزائن رحمة وفى تصرفهم حتى يصيبوا بها من شأوا ويصرفوها عن شأوا فيتخيروا للنسوة بعض صنابيرهم (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما) أى بل لهم ملكهما أى ليس لهم مدخل في أمر هذا العالم الجسماني الذي هو جزء من خزائنه تعالى وان كان لهم ذلك فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها الى عرش هذا الملك حتى يستورا عليه ويدبروا أمر هذا العالم فيزلوا الوحى الى من يستصوبون وهذا قوله تعالى (فليرتقوا في الأسباب) الارتقاء الصعود ، والأسباب المعارج والطرق التي يتوصل بها الى الاستيلاء على العرش ، ثم وعد بنصريه ﷺ فقال : هؤلاء الذين يقولون هذا القول (جندما هالك مهزوم من الأحزاب) الكفار المنتحز بين على المؤمنين مغلوبون في الوقائع هنالك في مصارع بدر وغيرها فأتى لهم تديرا الامور الإلهية والتصرف في الخزائن الربانية وما في - جندما - مزيدة للتقليل ، أخبر الله نبيه ﷺ وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين وهذا عجيب لأنه وهو بمكة لاجنده لجاه تأويلها يوم بدر ونحوها وهذه من أعظم المعجزات ثم عزى الله نبيه ﷺ فقال ، (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذوالأوتاد) أى ذوالملك

ولقد غنوا فيها بأنهم عبثة * في ظل ملك ثابت الأوتاد

(ومعوم وقوم لوط وأصحاب الأبيكة) وأصحاب الغيضة وهم قوم شعيب (أولئك الأضراب) يعني المصزيين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم كالأضراب الذين تحزبوا عليك ، ثم بين سبب انهزامهم وحقابهم فقال (إن كل إلكذب الرسل لحق عقاب) يعني إن أولئك الطوائف والأمم الخالية لما كذبوا أنبياءهم وجب عليهم العذاب فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين إذا نزل بهم العذاب (وما ينظر هؤلاء) أي وما ينتظر كفار مكة (إلا صيحة واحدة) وهي النفخة الأولى (ما لها من فواق) أي من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين ، أو ما لها من رجوع ، من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة ، ويقال فواق الناقة أيضا ساعة يرجع الهر إلى ضرعها وهو بالضم والفتح (وقالوا ربنا مجل لنا قطنا) قسطنا من العذاب الذي توعدنا به وهو من قطه إذا قطعه ، ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس أي مجل لنا صحيفة أعمالنا نلظر فيها (قبل يوم الحساب) وهذا الاستعجال على الوجهين منهم استهزاء (اصبر على ما يقولون) فيك واحذر أن تهين في مصابرتهم وتحمل أذاهم (واذ كر عبدنا داود) أي قصته ليعلموا أنه مع عظم شأنه وبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تظن ، فلتحذرن أنت حتى تصون نفسك أن تزل وقوله (ذا الأبد) أي ذا القوة في الدين (إنه آواب) رجاع إلى مرضاة الله * روى أنه كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل (إننا سخرنا) ذلنا (الجبال معه يسبحن) أي مسبات بتسبيحه إذا سبح والمضارع اختير للتجدد (بالعشي والاشراق) العشي وقت العصر إلى الليل والاشراق هوحين تشرق الشمس أي قضى وهو وقت صلاة الضحى كما فسره ابن عباس ، وأما الشروق فهو الطلوع قول شمرت الشمس ولما تشرق بضم التاء (والطير محشورة) أي أي وسخرنا الطير مجموعة من كل ناحية (كل له آواب) أي كل واحد من الجبال والطير لأجل تسبيحه رجاع إلى التسبيح مع المداومة على ذلك (وشددنا ملكه) وقويناه بالهية والنصرة وكثرة الجنود * روى أن رجلا أذم بقرة على آخر وهجر عن البيعة فأوحى إليه أن اقتل المذمى عليه فأعلمه فقال صدقت إنى قتلت أباه غيلة وأخذت البقرة فضلمت هيته بذلك (وآتيناه الحكمة) النبوة وكال العلم واقتان العمل والاصابة في الامور (وفصل الخطاب) علم القضاء وقطع الخصام والفصل بين الحق والباطل ، ثم ابتدأ سبب حاته نبأ عجيبا من أنبائه وشوق إلى استماعه بالتعجب منه فقال (وهل أتاك نبأ الخصم) أي خبر الخصم وهو يطلق على الواحد والجمع (إذ تسوروا المحراب) أي صدروا وعلاوا سور الفرفة التي كان يشتغل فيها داود بالطلاعة (إذ دخلوا على داود) متعلق بتسوروا (ففرع منهم) ذلك أن ملكين بعثما الله إليه في صورة إنسانين طلبا أن يدخلوا عليه فوجداه في يوم عبادته فنفههما الحرس فسورا عليه المحراب فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان ففرع من ذلك لمخولهما في وقت الاحتجاب لأنه كان يجزى زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته (قالوا لا تخف) نحن (خصمان) متخاصمان (بني بعضنا على بعض) وهذا من باب الفرض (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) ولا تجر في الحكومة (واهدنا إلى سواء الصراط) أي وسطه وهو العدل (إن هذا أضحى) بالدين والنصيحة (له تسع وتسعون نجمة ولي نجمة واحدة) هي الأتى من الضأن (فقال أكفنيها) ملكيتها (وعزني في الخطاب) وغلبني في مخاطبته إياي (قال) داود قبل أن يسمع كلام المذمى عليه للمذمى (لقد ظلمك) للمذمى عليه (بسؤال نجتك إلى نعاجه) أي والله لقد ظلمك بذلك ، ثم استطرد فقال (وإن كثيرا من الخلطاء) الشركاء (ليبنى) ليتعدى (بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) أي وهم قليل وما مزيدة للإيهام والتعجب من فعلتهم ، فلما قضى داود بينهما نظر أحدهما إلى صاحبه وضحك وصعد إلى السماء فعلم داود أن الله ابتلاه إذ قال له الخصمان - احكم بيننا بالحق ولا تشطط

واهدنا الى سواء الصراط - حكم للمتي بدون أن يسمع كلام خصمه (وظن داود) أي أيقن (أعانتاه)
 ابتليناه وامتنعناه لحكمه للمتي قبل أن يسأل للمتي عليه (فاستغفر به) لقبه (وخزراهما) للوجود
 مصليا كأنه أسوم بركتي الاستغفار (وأنا ب) ورجع الى الله بالتوبة (ففرنا له ذلك) أي ما استغفر عنه
 (وإن له عندنا لزلني وحسن ما ب) أي لقربة بمد المفردة وحسن مرجع في الجنة ، وأما ما روي أن بصره
 وقع على امرأة فأنسها فأوحى الى رئيس الجيش أن يقرب زوجها أورياه بين يدي العدو فيقتل وأنه تزوجها
 بعد ذلك فان ذلك من كلام القصاصين . ولقد روي عن علي رضي الله عنه انه قال : « من حدثكم بحديث
 داود على ما روي به القصاص جلده مائة وستين » وكيف يليق ذلك بمن يخاطبه الله قائلا (يداود إنا جعلناك
 خليفة في الأرض) أي استخلفناك على الملك فيها (فاحكم بين الناس بالحق) بحكم الحق (ولا تتبع الهوى)
 ملجوهي النفس من المبادرة الى تصديق للمتي قبل سؤال للمتي عليه (يفضلك عن سبيل الله) دلالة التي
 نصها للحق (إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أي بسبب نسيانهم
 وهو ضلالم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى ومن الهوى الاسراع الى تصديق أحد
 الخصمين لجودة إقائه وحسن بيانه وما أشبه ذلك من استتجار المحامين الذين هم أقدر على البيان في هذا
 الزمان ، فالقاضي بسبب ذلك معرض للزلل كل حين . ولما كان آدم وبنوه خلفاء الله في الأرض يقومون
 بالعدل والنظام على مقدار طاقتهم وقيامهم بالعدل تابع للنظام العام كما قال تعالى - ووضع الميزان -
 والليزان - ناسب أن يذكر عدله وحكمته في السموات والأرض فقال (وما خلقنا السماء والأرض وما
 بينهما باطلا) مبطلين عابثين أو للباطل التي هو متباعدة الهوى بل للحق التي هو مقتضى العدل (ذلك ظن
 الذين كفروا) أي خلقهما باطلا ظنهم (فويل للذين كفروا من النار) بسبب هذا الظن وذلك لأنه حكم
 بلا دليل كما يحكم القاضي لأحد الخصمين قبل سماع الآخر كما تقدم . وإذا كنا فتننا دلود في القضاء وعلم انه قد
 فتن بسبب اصفائه لأحد الخصمين دون الآخر فنحن فتننا هذا الانسان على وجه الأرض وامتنعناه في نظامنا
 فتنهم من يرى أن إمانتنا واحيائنا واحداث الأمراض والأرزاء في الأرض والوباء والحروب والأكاذيب
 والأراجيف والفتن كل ذلك باطل لا معنى له فيعيش الانسان ويموت وهو يقول : لِمَ هذا كله ؟ وهلا خلق
 الله الناس في راحة وطمانينة وسعادة لا يمرضون ولا يشقون ولا يجارون ولا يخاصمون ولم أمر الآساد أن تأكل
 الطباء والأرانب وحدد أنياب الآكلات ومنع المأكولات السلاح والمقاومة . والناظرون في هذا على قسمين
 قسم ينكر ذلك انكارا قليلا فتنهم من يظهره كبعض الذين فعلوا في العصر الحاضر نعلما سطحيا . ومنهم من
 يخفيه وهم كثير من المتدينين بأي دين . وقسم يقرأ علوم الحكمة ويستوعبها وهذا يشعر أن هذا النظام
 جيل وأن كل ذلك فيه مقتمة لحال أعلى من هذه وقد أومعنا في هذا التفسير ايضا كثيرا . إن من يحكم
 أن نظام هذا العالم باطل أشبه بمن يحكم لأحد الخصمين . فاذا أراد أن يحكم بالحق فليقرأ علوم الحكمة التي
 تبحث في نظام هذا الوجود وهذا هو الذي يبين قضية الخلق وكيف خلقه الله ؟ فكأن الانسان اذا نظر فيها
 قد أمضى أيضا الى اللدهي عليه وفهم حجة وحجته هو هذا النظام البديع ومتى أدركه الناس بطلت الفكرة الأولى
 وهي ان هذه الدنيا مبعثرة غير منظمة الى آخر ما تقدم . وبما يثير الشكوك في نظام هذا العالم أن الظلم فيه
 مجسم ولا سيما في هذا الانسان ، كيف لا ونحن نرى أن المصلحين والصالحين في الأرض مضبونون لا ينالون
 جزاء أعمالهم في الدنيا ، ونرى كثيرا من المفسدين متممين بالنعمة والعمارة ، فأى عدل وأي نظام هذا
 ولكن اذا أدرك الناس أن هذه الحياة منقضية حياة أخرى ترجع فيها الامور الى حقائقها كما دل عليه علم
 الأرواح المنفشر حديثا في أوروبا وأجعت عليه الهياكل . فانهم يعرفون أن النظام عدل لذلك أعقبه بقوة
 (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل للمتقين كالتجار) هذا انكار للقسوة

بين المؤمنين والكافرين ، ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم فان من يسوى بين هؤلاء يكون سفيها هذا (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليذبروا آياته) أى ليتدبروا وينفكروا فيها (وليتذكر أولوا الألباب) أى وليتعض بالقرآن أولوا العقول السليمة ويستحضروا ما هو مركزوز في عقولهم من تمكنهم من المعرفة بالذلال الكونية والجهاب الخلقية . روى عن الحسن انه قال : « قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لاعلم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده » اه

وهذا القول منطبق على أكثر المسلمين في هذا الزمان ، إن الأمة اليوم لا تقرأ القرآن غالبا إلا للتعبد وأما التفكير فلا وهذا هو السبب في ضياع ملك الاسلام وعظمته ووقوعه نهبا مقسما بين دول أوروبا ولكن هذا هو الزمان الذى أذن الله فيه اذنا حقا يبعث هذه الأمة من مرقدها وتقوم بواجبها كما قال تعالى - ليظهره على الدين كله - وهذا هو الزمن الذى سيظهر فيه وهذا أمر حتم سيكون قريبا

﴿ قصة سليمان عليه السلام ﴾

قال تعالى (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد) سليمان (إنه أوأب) رجاع الى الله بالتوبة (إذ) ظرف لأوأب (عرض عليه بالعشي) بعد الظهر (الصافنات) الخيول القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت الأخرى على طرف حافر ولا يكاد يكون ذلك إلا في العراب الخالص (الجياد) جمع جواد وهو الذى يسرع في جريه (فقال) لما عرضت عليه فأجروها أمامه وذلك لاستعدادها للفزو (إني أحببت حب الخير) آثرت حب المال ومنه الخيل المعروضة (عن ذكر ربي) أى اتى لأحبها لأجل الدنيا ونصيب الفنى وانما أحبها لأمر الله تعالى وتقوية دينه ثم أمر بأجرائها واعدائها حتى توارت تلك الخيل بالحجاب أى غابت عن بصره ثم أمر برد الخيل اليه وهذا قوله تعالى (حتى توارت بالحجاب) ثم قال (ردوها على فطفى) يمسح (مسحا بالسوق والأعناق) أى يمسح سوقها وأعناقها تشريفا لها لكونها للجهاد والجهاد من أعظم الامور وليباشرا الامور بنفسه ليقتدى به الوزراء ورجال الدولة كما كان يفعل صلاح الدين الأيوبي إذ كان ينقل الأشجار بنفسه في بناء الأسوار أيام الحروب الصليبية وليكشف عن أمراض الخيل وعلاها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض

﴿ فتنة سليمان عليه السلام ﴾

روى مرفوعا أن سليمان عليه السلام قال : « لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهن فلم يحمل إلا امرأة جاءت بشق رجل ، فوالذى نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فرسانا » فهذا قوله تعالى (ولقد فتنا سليمان) ابتليناه (وألقينا على كرسيه جسدا) وهو شق الطفل المذكور جبه به على كرسيه فوضع في حجره (ثم أناب) رجع الى الله عما فعل وهو أنه لم يقل ان شاء الله والأنبياء يحاسبون على ما لا يحاسب عليه سواهم لشدة قربهم من ربهم ، وأما حديث الخاتم والشیطان وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام فن أباطيل اليهود وذلك أنهم قالوا ان زوجته كانت تسجد لصورة أيها ودام ذلك أر بعين يوما وهو عليه السلام لا يعلم فلما علم كسر الصنم وعاقب المرأة ، ثم إن الله عاقبه بأن سلط شيطانا يسمى صنخرا فأخذ خاتم الملك فصار الشيطان في صورته عليه السلام أما هو فأصبح منكرا لا يعرفه أحد فتكذب أر بعين يوما ثم طار الشيطان ووقع الخاتم في البحر فالتقطته سمكة وامطادها صياد فوقعت في يد سليمان فخر ساجدا لله . هذه هى الأباطيل اليهودية ويكون صنخرو الجسد الذى أتى على كرسيه (قال رب اغفرلى) ذنبى (وهب لى ملكا لا يذنبى) لا يصلح (لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب) تهب الملك والنبوة لمن تشاء وذلك لأنه أحب أن يخصص بخاصية كما خص داود بالانه الحديد وعيسى باحياء الموتى ، ولذلك روى انه عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين قال ان عفرينا من الجن تفلت على البارحة

ليقطع صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه
 كلكم فذكرت دعوة أخى سليمان - رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي - فردته خاسئا
 ثم قال تعالى (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء) لينة ليست بعاصفة (حيث أصاب) حيث أراد (و) سخرنا
 له (الشياطين كل بناء) يبنون له (وغواص) * وآخرين مقرنين في الأصفاد) فاذن الشياطين منهم بناؤن
 ومنهم غواصون يستخرجون اللؤلؤ من البحر . ومنهم مردة الشياطين يقرون بعضهم مع بعض في القيود
 والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد ، والصفد القيد ، وربما كانت الأصفاد تمثيلا لكف شرهم وجبهم
 حسب ما يناسب أجسامهم النارية (هذا) الذي أعطيناك من الملك والمال والبسطة (عطاؤنا فامنن) فأعطته
 ما شئت من المنة وهي العطاء (أو أمسك) عن العطاء ، وقوله (بغير حساب) حال من عطاؤنا أي بما كثيرا
 لا يكاد يقدر على حصره (وان له عندنا لزلزلة) في الآخرة مع هذا الملك العظيم في الدنيا (وحسن ماآب)
 وهو الجنة

﴿ قصة أيوب عليه السلام ﴾

قال تعالى (واذ كرم عبدنا أيوب) وهو ابن عيص بن اسحق (إذ نادى ربه) بدل من عبدنا (أني
 مسني الشيطان) أي بأني (بنصب) تعب (وعذاب) ألم ومرض وبلاء وانما نسب المس الى الشيطان لأنه
 بسبب وسوسته أعجب بكثرة ماله فسه الله بالمرض لأجل ذلك فأرسل الله له جبريل فقال له (اركض برجلك)
 الأرض فضرب فنبعت عين قتيل هذا مغفل أي ماء يفتسل به ويشرب منه فيبرأ ظاهره وباطنه وهذا قوله
 تعالى (هذا مغفل بارد وشراب) ثم قال تعالى (ووهبنا له أهله) بأن جعلناهم عليه بعد خرقهم (ومثلهم
 معهم) حتى كان له ضعف ما كان (رحمة منا) أي لرحمتنا عليه (وذكرى لأولى الألباب) تذكيرا لهم لينظروا
 الفرج بالصبر أولا والاتجاه الى الله ثانيا فيما يحق بهم ، وعطف على - اركض - قوله (وخذ بيدك ضعفا)
 حزمة صغيرة من الحشيش ونحوه (فاضرب به ولا تحنث) . ذلك أن زوجته رجعت بنت افراتيم بن يوسف ذهبت
 لحاجة فأبطأت خلف ان يرى ضربها مائة ضربة فخلل الله بينه بذلك ويجب أن يصيب المضروب كل واحدة
 من المائة وهذه الرخصة باقية على شرط اصابة المائة للمضروب كما عرفت (إنا وجدناه صابرا) على ما أصابه في
 نفسه وأهله وماله وليس شكواه الى الله من الشيطان جزعا (نعم العبد) أيوب (إنه أواب) مقبل على الله
 (واذ كرم عبدا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدي والأبصار) أولى القوة في الطاعة والبصيرة في الدين
 (إنا أخلصناهم بخالصة) جعلناهم خالصين لنا بخالصة خالصة لا شوب فيها هي (ذكرى الدار) ذكرى الدار
 الآخرة دائما فانا نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكراها وأخلصناهم بحب الآخرة وذكراها (وانهم عندنا
 لمن المستطيقين) المختارين من بين أبناء جنسهم (الأخيار) جمع خير وخير بالتشديد والتخفيف (واذ كرم
 اسماعيل واليسع) لام التعريف دخلت على يسع (وذا الكفل وكل) أي وكلهم (من الأخيار) يقال ان
 ذا الكفل هو ابن عم يسع أو هو ابن أيوب ويقال انه فرأه مائة نبي من بني اسرائيل من القتل فأواهم
 وكفلهم . ثم ان أول السورة - ص * والقرآن ذي الذكر - وقد ذكر قصص الأنبياء وصبرهم وأعمالهم
 الشريفة . ولما أتم الكلام عليهم قال (هذا ذكر) كأنه يقول هذا ذكر مما اشتمل عليه القرآن للذكر
 في أول السورة أي الذي يتلى عليكم شرف وجبل تذكرون به

﴿ وصف الجنة ﴾

قال تعالى (وان للذين حسن ماآب) مرجع ثم عطف على حسن ماآب عطف بيان فقال (جنات
 عدن) حال كونها (مفتحة لهم الأبواب) مستكين فيها يدعون فيها بغاكة كثيرة وشراب * وعندهم
 قاصرات الطرف أتراب) مستويات الأسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين سنة ومتآخيات لا يباغضن

ولا يتعاسدن ، ومعنى قاصرات الطرف أى قصرن أطرافهن على أزواجهن (هذا ما توقعون ليوم الحساب) أى لأجله فإن الحساب علة الوصول الى الجزاء أى قيل للؤمنين - هذا ما توقعون - الخ ويقول أهل الجنة (إن هذا لرزقنا ما له من فساد) انقطع بل هو دائم كما قال تعالى فى سورة أخرى - أكلفها دائم - (هذا) أى هذا الأمر كما ذكر

﴿ وصف جهنم ﴾

قال تعالى (وان للطاغين لشر مآب * جهنم يصلونها فبئس المهاد) المهدي والفرس مستعار من فراس النائم والمخصوص بالنم تقديره جهنم (هذا) مبتدأ وقوله (جحيم وغساق) خبر وجلة - فليذوقوه - اعتراض والساق هو ما يفسق أى يسيل من صديد أهل النار والجحيم الماء الحار . وقال ابن عباس : الساق هو الزمهرير يحرقهم يورده كما يحرقهم النار بحرثها ، وعذاب (آخر من شكله) من مثل العذاب المذكور فى الشدة والقطاعة (أزواج) صفة لآخر أى أجناس وأصناف ، ثم يقول الخزنة للقادة اذا دخلوا النار ودخل بعدهم أتباعهم (هذا فوج) جمع كشيء (مقتحم معكم) أى دخل النار فى صحبتكم ، والاعتحام الدخول فى الشيء بشدة والقصمة الشدة (لامر حبا بهم) أى الأتباع تقول لمن تدعوه امرحبا أى أتيت رحبا من المكان لاضيقا وقد دخل عليه لا فى دعاء السوء ، وهذه الجملة من كلام الرؤساء (إنهم صالوا النار) أى داخلوها (قالوا) أى الأتباع (بل أتم لامر حبا بكم) مخاطبين رؤساءهم الذين دعوا عليهم (أتم قتمتموه لنا) أى قتمتم العذاب لنا أى دعوتونا الى الكفر فكفرنا باتباعكم (فبئس القرار) النار (قالوا) أى الأتباع أيضا (ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا) مضاعفا (فى النار * وقالوا) أى رؤساء الكفرة (ما لنا لا ترى رجالا) هم فقراء المسلمين (كنا نعدهم) فى الدنيا (من الأشرار) من الأراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى (اتخذناهم سخريا) ينكرون على أنفسهم ويؤنبونها على استسخارهم منهم فى الدنيا (أم زاغت عنهم الأبصار) أى مات فلناهم ، ومعنى ذلك أن الكفار اذا دخلوا النار نظروا فلم يروا فيها الذين كانوا يستخرون منهم فقالوا ما لنا لا ترى هؤلاء الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار أم دخلوها فراغت عنهم أبصارنا فلم ترهم حين داخلوها (إن ذلك) الذى حكينا عنهم (الحق) لا بد أن يتكلموا به هو (تخاصم أهل النار) فى النار وذلك لأن قول القادة للاتباع والاتباع للقادة لامر حبا بكم من باب المحسومة (قل) يا محمد للشركين (إنما أنا منذر) أذكركم عذاب الله (وما من إله إلا الله الواحد) الذى لا شريك له (النهار) الغالب وفى ذلك رهبة لهم ثم أعقبه بما يدل على الرجاء فقال (رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار) فهو مهيب والترية احسان وكرم وجود وهو غفور لذنوب وان عظمت وكل هذا دال على الرجاء (قل هو) أى القرآن (نبؤ عظيم * أتم عنه معرضون) لا تفكرون فيه فتعلمون صدق فى نبؤى

﴿ قصة آدم عليه السلام ﴾

قال تعالى (ما كان لى من علم بالملا الأعلى) يعنى الملائكة (إذ يختصمون) فى شأن آدم فهذه فى صورة الخصومة والمنظرة والا فالله لا يخاصم يعنى انما علمت هذه الخصومة بوسى من الله تعالى (ان يوسى الى إلا أما أنا نذير مبين) أذكركم وأبين لكم ما تأتونه وتجتنبونه بلفظة تعلمونها ، ثم بين الخصومة فقال (إذ) بدل من - إذ يختصمون - (قال ربك للملائكة إني خالق بشر من طين) يعنى آدم (فاذا سويته) أعمت خلقه (ونفخت فيه من روحي) أضاف الروح الى نفسه للتشريف والاضافة لئلك كما تقول بيت الله ، وأيضاً الروح جوهر شريف قدسى (فقموا له ساجدين) وقد تقدم هذا الموضوع فى البقرة (فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر) تعظم (وكان) وصار (من الكافرين) بسبب استكباره واستنكافه عن الملائكة (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) أى خلقت بنفسى من غير توسط كآب وأم ، وفى تلبية

اليد اشعار بما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل (أستكبرت أم كنت من العالمين) أى أنظمت
بنفسك عن السجود أم كنت ممن علا واستحق التفوق ، فأجاب ابليس (قال أنا خير منه) . يعنى لو كنت
ساويا له فى الشرف لتبج السجود له فكيف يكون الحال اذا كنت خيرا منه ؟ ثم بين ذلك فقال (خلقتى
من نار وخلقته من طين) والنار أشرف من الطين وأفضل منه ، فضلى بشرف عنصرى الذى خلقت منه
الأترى أن النار تظلم الطين وتحرقه (قال فأخرج منها) من الجنة أو من السموات (فانك رجيم) مطرود
من الرحمة (وإن عليك لعنتى) عذابى وسخطى (الى يوم الدين) يوم الحساب (قال) ابليس (رب فأظفرتى)
فأجنتى (الى يوم يبعثون) من القبور (قال) الله (فانك من المظفرين) الموقلين (الى يوم الوقت المعلوم)
الى النفخة الأولى (قال فبعزتك) فبسلطتك وقهرك (لأعوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين) الذين
أخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة (قال) الله (فالحق) يعنى أوقسى ، وقوله (والحق أقول) جله
اعراضية وجواب القسم قوله (لأملأن جهنم منك) من جنسك وهم الشياطين (ومن تبعك منهم) من
ذرية آدم (أجمعين) أى لأملأن جهنم من المتبعين والتابعين لا أترك منهم أحدا (قل ما أسألكم عليه من
أجر) أى على القرآن أو على تبليغ الوصى (وما أنا من المتكفئين) المتصنعين بما ليسوا من أهله على ما عرفتم
من حالى فأتمتعل النبوة وأقول القرآن (إن هو إلا ذكر) عظة (للعالمين) للتقنين (وتعلمن نبأ) وهو
ما فيه من الوعد والوعيد وصدقه (بعد حين) عند ظهور الاسلام أو ظهور العالم الذى تضمنها ولم تكن معروفة
من قبل . انتهى التفسير اللفظى

﴿ الفصل الثالث فى مقصود السورة ﴾

أى فى معنى - ص - وفى قوله تعالى - واصبروا على آلهتكم - وقوله - اصبر على ما يقولون - وقوله
- وهل أتاك نبؤا الخصم - وقوله - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلا - وقوله - وألقينا على
كرسيه جسدا - وقوله - إنا وجدناه صابرا نعم العبد - الخ وقوله - هذا ذكر - وقوله - فسجد الملائكة -
كلهم - الخ وقوله - قل ما أسألكم عليه من أجر - وقوله - إن هو إلا ذكر للعالمين * وتعلمن نبأ
بعد حين -

لقد عرفت ما للحروف التى فى أوائل السور من المعانى الشريفة فى سور كثيرة ولكن لها خواص فى
كل سورة بحسبها فتأمل فى لفظ - ص - فانها فضلا عن صفتها العامة لها مقاصد سامية فى هذه السورة ،
إن فى السورة تحليلا لشهائل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليقتدى بها ، واقتد جاءت الصادق لفظ - اصبر على
ما يقولون - وفى لفظ - واصبروا على آلهتكم - وفى - إنا وجدناه صابرا - وهكذا نجد معنى الصبر وانها فى
مسألة الخصمين إذ دخلوا على داود فانه لم يصبر حتى يسمع كلام الخصم لحكم وفى قصة سليمان إذ عزم أن
يدخل على سبعين امرأة كل واحدة منهن تأتي بوله ذكر يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله ، ولقد
عوقب على هذا ، فكأنه عليه السلام لما لم يكمل الأمر لله بذكر المشيئة عد كأنه غير صابر ، هكذا كل كافر
يظن أن السموات والأرض خلقتا باطلا بلا نظام فان هذا الزعم منه ناشئ من تسرعه وعدم صبره على المشقات
فى سبيل البعث فى الحكمة حتى يعرف كيف كان العالم منظما وهكذا ابليس تكبر واعتز بأصله ولم يسجد
لآدم وهذا لأنه لم يصبر على تحمل مكارم الأخلاق . صبر أهل مكة على آلهتهم وتواصوا بالصبر على ذلك وتحمل
كل مريض فى سبيل ابقاء العقيدة الموروثة عن الآباء . وبذلك كل برهان معقول ومقابلة الأدلة المحسوسة . كل
ذلك لحفظ العقائد الموروثة فأمر الله رسوله أن يقابل صبر هؤلاء الباطلين بصبر الصادقين فقال : - اصبر على
ما يقولون واذا كر عبدنا داود - وقص قصص الخصمين وذكر انه قد لامة الله على تسرعه بالحكم لأحدهما

قبل سماع الآخر هكذا أنت يا محمد قد قومتك قومك وصبروا على مقاومتك فأياك أن تم وتصاب ولا تستجبل
واعلم انك منصور ولقد امتحناك بهم كما امتحنا داود بالخمين فاصبر على الامتحان فبه يكرم المرء أويهان
إنا امتحنا داود في الحكم بين الخمين فأسرع ولما فرجع الى ربه فنحن بذكر قصصه نحمدك ونعجز كل
مؤمن أن يحكم قبل التحقيق والياتسون من نصر الله عند الصدمات والشدائد لا ينالون المعالي لأنهم ليسوا
صابرين . واذا صبر المظلون فما أحرى الصادقين أن يصبروا لأن الصادقين منصورون ، هما صابران أحدهما
مغلوب والثاني غالب ، واذا كان المغلوبون في العاقبة يصبرون فأجدر بالذين لهم العقبى أن يكونوا أودم صبرا
وأقدر على المقاومة ، فليثابر كل مؤمن على الأعمال الصالحة فإنه منصور وليقرأ - أن امشوا واصبروا على
آهنتكم - وقرأ معها - واصبر على ما يقولون واذا ذكر عبدنا داود - وليجب كيف كان آخر الصبرين أبقاهما
وأضعهما وأدومهما ، مملينظر كيف كان لفظ - ص - في أول السورة يتضمن هذه المعاني الجليلة ، ولما كان
الصبر أهم الامور في الحياة الدنيا والمداومة على الأعمال والثقة بالله تعالى في إنجازها أهم الامور كلها إذ لا عمل
في الدنيا ولا الآخرة إلا بالصبر ، ابتداء السورة بقوله - والقرآن ذى الذكر - وختمها بأنه ذكر للعالمين ،
وقال بعد قصص الأنبياء في وسط السورة - هذا ذكر - وقال أيضا - كتاب أنزلناه اليك مبارك ليشتبروا
آياته وليتذكر أولوا الألباب - فهذه كلها تشير الى أن السورة مسوقة للصبر على المشاق والأعمال وأن المدابر
على العمل لاعلى ألفاظ القرآن بل الأمر كله في الصبر ومقاومة الصعاب

حتم الله الصبر على من أصابته البأساء ومن منح النعماء فأيوب صبر على بلائه وسليمان وداود قد
عوقبا على عدم الصبر في بعض عملهما . يقول الله انى تمتحن جيع عبادى لافرق بين الملوك وغيرهم ، لم
أخل سليمان في ملكه ولداود في قضائه ودولته من الامتحان في الصبر وهكذا أيوب المبتلى . كل من هؤلاء
وهؤلاء مبتلون ، ابتلى الله من هم في بحبوحة النعيم والملك العظيم ومن هم في البلاء والبؤس يألمون ،
وهذا معنى قوله تعالى - ونبلوكم بالشر والخير فتنة - ولذلك قال الله على لسان سليمان عليه السلام - هذا
من فضل ربي ليبلوني أشكرهم أكثر - كما تقتم ، ومعلوم أن الشكر ملازم للصبر فمن عمل برا فقد صبر عن
الشر الذي هو قادر عليه في مقابلته ، فمن نظر في المسحف فهو في الوقت نفسه قد صبر على غض طرفه عن
النظر للمحرمات عليه ، ومن تلا القرآن والعلم فهو في الوقت نفسه صابر عن توجيه همته من هجر القول والتم
والضحك وما أشبهها الى القول النافع المفيد . ألا تجب كيف كان لفظ - ص - رمزا الى مقصود السورة
وكيف جمع صبر المبتلين من الكفار وصبر نبينا ﷺ وصبر أيوب وأن هؤلاء الأنبياء منى عليهم وغالبون
فائزون ، وكيف كان ذلك أيضا رمزا الى اللوم على من لم يصبر ولم يتم عمله فكأنه قيل : فكروا في الصبر
واحرصوا من الاسراع ، وكيف كان من لم يفكر في نظام هذه الدنيا حتى يتف على الحقائق وأسرع بالحكم
على نظام هذا العالم وانه باطل أشبه بمن أسرع في الحكم لأحد الخمين قبل سماع الآخر ، وكيف كان ذلك
رمزا الى أن المقصود من الحياة انما هو الحكمة والعلم ، فأما القضاء ونحوه فانما هو لنظام نوع الانسان في
الحياة الدنيا ، ولعمري ما أبعد الفرق بين المقامين مقام القضاء بين العباد ومقام معرفة الحقائق والوقوف على
الذقائق في نظام السموات والأرض . ان أولهما مقدمة وثانيهما نتيجة ، لذلك تجدد قضاء داود تبعه ذم الذين
يظنون أن السموات والأرض خلقتنا باطلا . إن في هذه البررة حثا على حسن القضاء بين العباد لحفظ السوية
ونظام الأمة وبهذا النظام وقيامه بقدر الناس أن يشكروا ويفقهوا فأما اذا لم يكن قضاء ولا نظام فلامفكرين
ولا حكماء لأنهم لا يمجدون أمنا في البلاد فلا يقدررون على التفكير ولا العمل

يقول الله في آخر السورة - ولتعلمن نبأه بعد حين - وهذه الآية شرحها طويل ، فمن نبأ القرآن هذه
الأمة الاسلامية المترامية الأكتاف التي تبلغ الآن نحو (٣٥٠) مليوناً من المسلمين ، أفليس هذا من أعظم

أنبأها ، ومن نبأ القرآن العلوم التي كشفها الناس حديثا ، وكيف جاء علم الأرواح الحديث مطابقا لهذا القرآن وأن الأرواح بعد الموت أحياء وأن من الأرواح من هم مغمومون بالمادة والمال والحياة والصبوت والتذكر في هذه الدنيا وهؤلاء يكونون بعد الموت مجذوبين الى المادة معذبين بذلك ومنهم من يكونون أرقى علما وحكمة وأخلاقا ، وهؤلاء يتقاعدون عن المادة ويقتربون من ربهم وأن أعلى الأرواح والطفهم وأعلمهم وأرقاهم من يتخلص من المادة ويقرب من الله وبراءه وان من الأرواح من هم في غاية الصفاء والطف ومنهم من هم في ظلمة وكثافة فلا تقدر الأرواح العالية أن تلهمهم ، وان من الناس في هذه الأرض من لظفت نفوسهم فلا تقدر الشياطين على الوسوسة اليهم كما لا تقدر الصعاليك على مقابلة الملوك كما قال تعالى - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - أفلا ترى أن هذا مجزة للقرآن ، أفلا ترى أن هذه الامور المذكورة في هذه السورة قد أصبحت تقال في المجمع النفسية علنا وهذا هو نفس القرآن ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ هو ما في هذه السورة من ذا كان يظن أن نبأ بقا الأرواح بعد الموت وحسابها يظهر في الدنيا قبل يوم القيامة

﴿ حكاية عجيبة ﴾

هل لك أيها النكبي أن تسمع ما أرويه لك عن حال نفسي : كنت أيام مجاورتي بالجامع الأزهر قائما به إذ رأيت كأنني في قريقتنا (كفرعوض الله سجازي) وكان قائلا يقول لي : انظر انظر ! فنظرت فرأيت كرة بيضاء تميل الى الحجر وسط زرقة الجوق تعلو عن المقابر قليلا مقدار خمسة أمتار فقال هذه هي الروح ، وكان ذلك ليلة الخميس فاستيقظت وقت مع اخواني المجاورين لتتوجه الى قصر النيل وما جاوره للرياضة فوجدت عند أحدهم كتاب ابن مسكويه في علم الأخلاق ولاعلم لي بهذا الكتاب ولا بهذه العلوم فددت يدي الى الكتاب فقرأت في أوله مسألة الروح والاستدلال على وجودها فوجدت كل العجب وصرت مغرما به وبغيره ، ثم تمددت الى الزمان حتى هذه الأيام الأخيرة أي بعد هذه الحادثة بأربعين سنة فاطلعت على علم الأرواح فوجدت انهم لما سألوهم في المجمع النفسية أي لما أحضروا بعضها قالت : « إن الأرواح بعد الموت ترتفع في الجوق على مقدار خلاصتها من المادة وكلما كانت أجل أخلاقا وأغزر علما كانت أبعد عن الأرض ، فوجدت كل العجب من موافقة تلك الرؤيا لأقوال الأرواح التي خاطبوها وأنا الآن لست أقول ان هذا تحقيق المقام بل أقول ان الموافقة هي العجب العجيب ، وأعجب من هذا انها توافق آراء ابن سينا والفلاسفة القائلين هذا القول وأن الانسان على قدر انجذابه الى المادة يبعد عن الله ويقدر بعده عن الله يقرب من المادة ولعل مرتبة الروح في القلاة عند صعودها دالة على مرتبتها في جهنم . أليس هذا قول الله تعالى - بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * ثم انهم لصالوا الجحيم * ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون -

يقول علماء الأرواح : « إن النفس بعد الموت اذا كانت متردية رداء الذنوب جلتها وزملتها وحجبتها عن الأرواح العالية حتى لا تقدر على تعليمها ، ويقولون أيضا : « انه كلما كان الانسان أشد انكارا للبعث كانت روحه عند الموت أشد عذابا لأنه يتنازعها عاملان : عامل الانجذاب الى المادة واليباس من حياة أخرى وعامل خروج الروح الذي قضت به النواميس الإلهية في الأرض ، وكلما كان الانسان أكثر صلاحا كان أكثر سهولة في انفصال روحه من جسمه . قالوا : وأرواح الأشرار بعد الموت الظاهر تبقى متصلة بجسمه مدة حتى يحس المنصرون برمي السود في أجسامهم ويحكم عليهم بعد الموت بامور فظيعة لأنهم لم يصبروا على ما أصابهم فيضطرون لعذاب عظيم لا يطاق هناك »

وقالوا : « إن النفس متى خرجت من الجسد اطلعت على جميع أعمالها مسطرة في جسمها كأنها تشاهدها لاحتياج في التعريف الى شيء آخر ، وهناك تعرف مقدار ما عملت وتعرف الثواب وتعرف مقدار

العقوبات التي سنالها ، وكل نقص في النفس يقبه ألم هناك ، وهناك يكون العذاب والتعذيب الذي أصاب النفس مقبها حول الروح فهو هناك كالهواء هنا ، فهم إما في إطار من شقاء أو من نعيم «
 يا حيا كل العجب ، جاء في الحديث : « القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » وهذا هو الذي جاء في العلم الحديث اليوم ، ويقول الله - اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا - وهو عين ما تقدم

انظركيف يقولون أيضا : « إن عواطف المحبة والبغضاء والحسد والغيرة والندامة والاشفاق وما أشبه ذلك تكون لها سوائل روحانية محيطة بالنفس فهي كروائح الزروع المختلفة في جسم الانسان . إن علم النبات يفهمنا ذلك ففيه الروائح العطرية المختلفة وفيه الروائح السكرية الكثيرة والانسان يميزها بشمسه ، فاذا امتا ميزنا سوائل الفضائل المختلفة كما يميز روائح النباتات المتميزات واذن يظهر للره قوله تعالى - كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا - فيعرف الانسان كل شئ بنفسه كما يميز في بعض الأوقات حبيبه من عدوه مما يشعر به في نفسه من الميل ومن النفور »

ويقولون أيضا : « إن كل خلق ذميم تتأذى به هناك له عقاب ، وكل ما يصيبنا من آلام الدنيا ومصائبها يزيل عنا بعض هذه العيوب ويبقى منها ما يلزمنا بعد الموت ، والروح في حال البرزخ يهذب عذابا ماديا أو معنويا على مقتضى ذنوبها حتى ان المتكبر يقاسي آلاما لا تطاق في حال البرزخ »
 وقالوا : « إن المقرم بالمال والحشم والخدم والشهوات يصاب بألم نفسي لأنه يطلع فيرى الناس اقسما وماله وأخذوا ثروته وهو يرأهم ولا يقدر على منعهم وهذا عذاب لا يطاق »

ويقولون : « إن القتلى والسفاكين تطاردهم أشباح من أماتهم فلا يهدون ولا يقدرن على الاحتجاب من هذا العذاب ، وهؤلاء وأمثالهم لا يطلعون على بعض أحوال مستقبلهم للظلمات المتركة عليهم »
 ويقولون : « إن الأرواح العالية ترى مالا عين رأت بعد الموت وتطير الى العلا جاعات جاعات ويتنهجون بالجمال الإلهي واحكام الصنعة البديعة في السموات ويقون سكري آمادا وهم يسرون زمرا متصايين كل جماعة في درجاتهم الخاصة التي ماتوا عليها وهم متحابون متجاذبون كتجاذب المواد الأرضية وتظهر على أيديهم المجائب في عالم الأثير البهيج البديع ، والذي يجمعهم انما هو انخلاصهم من الكبرياء واتحادهم في الفضائل وتكون أجسامهم خفيفة لطيفة غلبت روحانيتها »

ويقولون : « انهم يوقعون في طبقات الأثير الحانا بديعة وقد يجتمعون حول روح أعظم منهم فيعطونهم تعاليم ترقبهم ، ثم إن أجسامهم لا تعرض كأجسامنا للظلمات وخفتها »
 ويقولون : « انهم يقيمون أفراما وأعيادا باجتماع الأرواح العلوية من أقطار الكون كله وكل منها يتلأأ بسناء اللطيف الدال على صفاته ودرجاته في الرقي »

هذا هو الذي أحيت أن أتقله لك الآن من كتب الأرواح المسطورة أماي ، إياك أن تظن أني أجعل هذا القول المتقول عن المجمع النفسية قولا لا يحتاج الى دليل انما المقام مقام تفسير قوله تعالى - وتعلمون نبأه بعد حين - فنقول نعم ياربنا عرف عبادك بعض ما جاء في كتابك فهام أولاء عرفوا أن الأرواح لها نعمات وموسيقى في اجتماعها وهذا هو الذي قاله بعض المفسرين في قوله تعالى - إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون - فعادوا من ذلك النعمات الموسيقية وعرفوا انهم نزع ما في صدورهم من غل - اخوانا على سرر متقابلين وهذا لا يكون إلا للأرواح الخالصة من شوائب الحسد والفلح وعرفوا أن الروح تقرأ أعمالها في شكل جسمها الروحي وغير ذلك مما أوغمت في هذا المقال ، فليس المقام مقام تحقيق صدق هؤلاء وكذبهم بل المقام في أنه طابني ما في القرآن ، ولست أيها الذي ملزما أن تبحت عن كون قولهم حقا أو باطلا

فأما لك القرآن نصّ عليه فإن أردت البحث فأقرأ طرق تحضير الأرواح من كتابي المسمى « الأرواح » واستحضرها بالطرق الواضحة هناك وكن مخلصا في البحث لأجل العلم والمعرفة لا لأجل الدنيا فتعرف الحقائق بنفسك لا بأهل أوروبا الذين أخبرونا أن أرواح القديس الصالحين هذا شأنهم وهكذا الظالمون والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين . انتهى الفصل الثالث في مقصود السورة

﴿ لطائف هذه السورة ﴾

- (١) في بعض أسرار - ص - وسورتها
- (٢) في قوله تعالى - يادود إنا جعلناك خليفة في الأرض -
- (٣) في قوله تعالى - رب اغفر لي وحب لي ملكا - الخ
- (٤) في قوله تعالى - قال فبعتك لأغوينهم أجمعين -

﴿ اللطيفة الأولى في بعض أسرار - ص - وسورتها ﴾

(كتب صباح يوم الجمعة ٢٤ يناير سنة ١٩٣٠)

استيقظت الليلة بعد نصف الليل وكنت نمت قبل أن أصلي العشاء فصليتها وفي ركعات الوتر قرأت آيات من (سورة ص) وفيها - يادود إنا جعلناك خليفة في الأرض - الخ ففكرت في بعض عجائب هذه السورة وبعض عجائب الأرض والسماء وذلك أن (ص) كما قدما جاءت في أول حروف الصبر وأول كلمة في السورة جاءت الصاد في أولها - واصبروا - والهمزة فيها للوصل ، ثم أمر صلى الله عليه وسلم أن يصبر في آية - اصبر على ما يقولون - في مقابلة قولهم - امشوا واصبروا على آهنتكم - إذن الكفر عند أهله لا يتم إلا بالصبر والنبوة عند أهلها لا تتم إلا بالصبر ولكن يابعد ما بين الصبرين ، وهنا أعقبه بقوله - واذكر عبدنا داود - الخ فإذا نرى ؟ نرى انه ذكر داود وسليمان وأيوب ثم إبراهيم واسحق الخ ، فهنا رأينا داود وسليمان ملكين وأيوب ابتلى بنقم الدنيا مرضا وفقرا ولكن هذان النبيان مع هذا الملك قد ابتليا بما يشبه المعصية وهذا يحزنهما كما حزن موسى بقتله القبطي . إذن الألم عند الأنبياء ﴿ نوعان ﴾ نوع يرجع الى الألم الروحي الذي الذي يورث الندم ، ونوع يرجع الى الألم الجسدي والمالي ونحوهما ، فالنوع الأول ظاهر في أمر موسى وداود وسليمان ، والثاني ظاهر في أمر أيوب وإبراهيم واسحق وإسماعيل ، فالأول بيده وماله وأهله والثاني بالنار وبذبح ولده والثالث أو الرابع بذبحه هو فصبر الجميع ففازوا ونجوا . إذن في الملك امتحان وفي الجسم امتحان وفي الفقر امتحان وهذا كله لم يقصد منه في القرآن أن يعز الله الأنبياء كلا والله بل قصد منه تعليمنا نحن ، ومعنى هذا أنني أحد في نفسي حزنا وحزنا من أمور سبقت اذا تذكرتها دلت على أنني كنت غير كامل الخلق ولا ممتازا بالصبر كأن أطلق بقول لاقيمة له أو أفضل فلا غير جيد فيقول الله لي إن موسى لم يمنعه قتل القبطي الذي أورثه الندم أن يكون نبيا ورسولا . وأن داود وسليمان اللذين ابتليا بما ظاهره انه ذنب فندما ولكن هذا الندم ليس معناه أنهما أدلا نفسيهما طول الحياة وقعدا عن الأعمال . كلا . بل ان الندم مظهر يدل على أن النفس به ترقى وربما تكون بعد الذنب خيرا منها قبله فان معصية توجب ذلا وانكسارا خيرا من طاعة توجب عزا واستكبارا ، وهكذا قد يعتري أحدنا نقص في الأموال والأفئد والثمرات فيقول الله له إياك أن تقنط فكما صبر أيوب على النقص على ذلك وصبر إبراهيم واسحق ويعقوب على ما ابتلوا به ففازوا جميعا هكذا أنت اصبر تنل ، إذن يكون هذا تطبيقا على آية البقرة - وبشر الصابرين الذين اذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وانا اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون - فذكر البشارة

والصلوات والرحمة والهداية لمسه هو الذي ظهر مثله هنا بفوز داود وسليمان وأيوب وأمثالهم بعد اصابتهم جميعا بمصائب روحية دينية أو مصائب جسمية ومالية إذ يقول الله يا محمد اذكر عبدنا داود الخ فهو لاه جيعا ابتلوا بأنواع من البلاء في أنفسهم وأهلهم وأنت ابتليت بأهل مكة إذ كذبوك وقد صبروا على كفرهم فأصبر على إيمانك وصبرهم وسنغفوز كما فاز من قصصهم عليك من الأنبياء ، فهكذا أنا وقرءاء هذا التفسير يقول الله لنا كل ما يصيبكم لا يخرج عما ذكر فهو إما مصائب من أذى الناس وأما من ذنوب تقدمت وأما من قصص الأنبياء والأموال والخمرات وقد صبر نبينا ﷺ على الأول وبعض الأنبياء على الثاني وبعضهم على الثالث ففازوا جميعا وأنت تفوز كما فازوا إذا تعلمت الصبر وهذا هو بعض سر (ص) في أول السورة إذ ظهر أن المدارج فيه في هذه السورة على شيء واحد وهو الصبر

أقول : ثم بعد أن خطر لي هذا الخاطر تذكرت أمرا عجيبا وهو قوله تعالى - كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكروا أولوا الألباب - فقلت فما الذي يتذكره أولوا الألباب يترى في هذه الآيات ؟ هنالك وجدت رابطة وثيقة بين الصبر المتقدم بجميع فروعه وبين صبر القضاة على القضاء بالحق لأنهم معرضون لسخط الناس وسخط الملوك الذين ولوهم ، والله يقول هنا - فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى - وهذا لا يكون إلا بالصبر . فهذا أيضا من سر (ص) فهناك ما جاء في كتاب والعقد الفريد ، لملك السعيد من صبر القضاة على العدل وقول الحق ثم فوزهم ، وفي هذا المقام عشر قضايا وهذا نصها :

﴿ خاتمة لهذا الركن ﴾

من عادة من له خاطر وقاد وفكر تقاد وقلب الى ادراك الفضائل منقاد انه اذا وقف على القواعد الكلية في القواعد العلية والمقاصد المرعية لاسما في المراصد الشرعية أن يتطلع الى الوقوف على شيء من جزئياتها ويتوقع معرفة شيء من أحوال سالكي طرقها ليكون على بصيرة من التفاوت بين الجامعين أصناف صفاتها المقارعين وصيد صفاتها وبين القانعين منها بمجرد أسماء شبهاتها التابسين أهواء نفوسهم الأمارق في ملاذها وشهواتها وهذه وقائع وقضايا صدرت من جماعة من القضاة المتقدمين القائمين بأحكام المسلمين فيها اعتبار جامع للتوسمين واذكار نافع والذكري تنفع المؤمنين تصدع بأن قضاة الشريعة هذا وضعها وولاية أحكام المسلمين هذا صنعها والوقائع الصادرة عنهم كثيرة يبعد جمعها وفي ذكر بعضها تبصرة يعم نفعها ويعظم وقعها وقد وقع الاقتصار من أحكامها على ذكر عشرة لاحاجة معها الى زيادة تذكره

﴿ القضية الاولى عن ابي محمد بن عمران الطلحي ﴾

قال نعيم المدني قدم علينا أمير المؤمنين المنصور المدينة ومحمد بن عمران الطلحي متولى القضاء بها وأنا كاتبه فحضر جماعة من الجالين واستعدوه على أمير المؤمنين المنصور في شيء ذكره فأمرني أن أكتب الى المنصور بالحضور معهم أو انصافهم فقلت له تعينني من ذلك فإنه يعرف خطي فقال اكتب فكنت وختمت فقال والله ما يمضي به غيرك فحضبت به الى الربيع حاجبه وجعلت أعتذر اليه فقال لا بأس عليك ودخل بالكتاب على المنصور ثم خرج الربيع فقال للناس وقد حضر وجوه أهل المدينة والأشراف وغيرهم ان أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم اني دعيت الى مجلس الحكم فلا أحد منكم يقوم اذا خرجت ولا يبداًني بالسلام ثم خرج وبين يديه المسيب والربيع وأنا خلفه وهو في ازار ورداء فسلم على الناس فما قام اليه أحد ثم مضى حتى بدأ بقبر النبي ﷺ فسلم عليه ثم التفت فلما رآه ابن عمران القاضي أطلق رداءه عن عاتقه ثم احتجى به ودعا بالمنصور الجالين ثم دعا بالمنصور فادعى عليه القوم وقضى لهم عليه ثم انصرف فلما دخل المنصور الدار قال للربيع اذهب فاذا قام القاضي من مجلسه فدعه فلما دعاه ودخل على المنصور سلم عليه فرد عليه السلام وقال

له جزاك الله من دينك وعن نبيك وعن حسابك وعن خليفتك أحسن الجزاء قد أمرتلك بعشرة الآلاف
صلة لك فأقبضها فكانت عاتمة أموال محمد بن عمران من تلك الصلة فما أربك سلوك السنن القويم واتباع
الصراط المستقيم

﴿ القضية الثانية عدل عاقبة بن يزيد القاضي ﴾

نقل أن عاقبة بن يزيد القاضي كان يلى القضاء ببغداد للمهدى لما جاء في بعض الأيام وقت الظهر للمهدى وهو
خال فاستأذن عليه فلما دخل عليه استأذنه في من يسلم إليه القمطر الذي فيه قضايا مجلس الحكم واستغفاه من
القضاء وطلب منه أن يقبله من ولايته فظن المهدى أن بعض الأولياء قد عارضه في حكمه فقال له في ذلك وانه
ان عارضك أحد لنسرك عليه فقال القاضي لم يكن شيء من ذلك قال فما سبب استغفائك من القضاء قال
يا أمير المؤمنين كان تقدم إلي خصمان مندمشهر في قضية مشككة وكل يدعي بينة وشهودا وبدلى بحجج تحتاج
إلى تأمل وتلبث فرددت الخصوم رجاء أن يسطلحو وأن يظهر الفصل بينهما فسمع أحدهما أنى أحب الرطب
فصمد في وقتنا هذا وهو أول أوقات الرطب لجمع رطبا لا يتبأ في وقتنا جمع مثله لأمر المؤمنين ومارأيت أحسن
منه ورشا بوابي بدرامه على أن يدخل الطبق على ولايبالي أن يرده عليه فلما أدخله على أنكرت ذلك
وطردت بوابي وأسرت برد الطبق فردّ عليه فلما كان اليوم تقدم الخصمان إلي فما تساويا في عيني ولا قلبي
فهذا يا أمير المؤمنين ولم أقبل فكيف يكون حالي لو قبلت ولا آمن أن تقع على حيلة في ديني وقد فسد الناس
فأقنني يا أمير المؤمنين أقالك الله واعضني عفا الله عنك

﴿ القضية الثالثة عدل شريك بن عبد الله قاضي الكوفة ﴾

روى عمر بن هياج بن سعد قال أنت امرأة يوما شريك بن عبد الله قاضي الكوفة وهو في مجلس الحكم
فقلت أنا بالله ثم بالقاضي قال من ظلمك قالت الامير موسى بن عيسى ابن عم أمير المؤمنين كان لي بستان على
شاطئ الفرات فيه نخل وورثته عن أبي وقاسمت اخوتي وبنيت بيني وبينهم حائطا وجعلت فيه رجلا
فارسيا يحفظ النخل ويقوم به فاشترى الامير موسى بن عيسى من جميع اخوتي وسالوني ورضيت فلم أبعه فلما
كان هذه الليلة بث بمخمسائة غلام وفاعل فاقبلوا الحائط فأصبحت لا أعرف من نخلي شيئا واختلط بنخل
اخوتي فقال يا غلام أحضر طينة فأحضر نغمها وقال امض الى اباه حتى يحضر معك المرأة بالطينة
المختومة فأخذها الحاجب ودخل على موسى فقال قد أعدى القاضي عليك وهذا ختمه فقال ادع على صاحب
الشرطة فدعا به فقال امض الى شريك وقل يسبحان الله ما رأيت أهج من أمرك امرأة ادعت دعوى لم تصح
أعديتها على قال صاحب الشرطة ان رأى الامير أن يعفني من ذلك فقال امض وباك فخرج وقال لغلمانه
اذهبوا واحملوا لي الى حبس القاضي بساطا وفرشا وما تدعو الحاجة اليه ثم مضى الى شريك فلما وقف بين يديه
أدى الرسالة فقال لغلام المجلس خذ بيده فضعه في الحبس فقال صاحب الشرطة والله قد علمت انك تحبسي
فقدت ما أحتاج اليه الى الحبس وبلغ موسى بن عيسى الخبر فوجه الحاجب اليه وقال له رسول أدى رسالة أى
شيء عليه فقال شريك اذهبوا به الى رقيقه الى الحبس فحبس فلما صلى الامير موسى العصر بث الى اسحق
ابن الصباح الاشعري والى جماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء القاضي شريك وقال لهم أبلغوه السلام وأعلموه
أنه استخف بي واني لست كالعامية فمضوا اليه وهو جالس في مسجده بعد صلاة العصر فأبلغوه الرسالة فلما
اقضى كلامهم قال لهم مالي أراكم جثمتوني في غيرة من الناس فكلمتموني من ههنا من فتیان الحمى فأجابه
جماعة من الفتیان فقال ليأخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به الى الحبس ما أتم الاقننة وجزاؤكم الحبس
قالوا أجادت أنت قال حقا حتى لا تعودوا رسالة ظالم فحبسهم فركب موسى بن عيسى في الليلة الى باب السجن

وفتح الباب وأخرجهم كلهم فلما كان من الغد وجلس شريك للقضاء جاءه السجان فأخبره فدعا بالقمطر
 نغمته ووجه به الى منزله وقال لفلانة الحق بثقلى الى بغداد والله ما طلبنا هذا الامر منهم ولكن أكرمونا
 عليه ولقد ضمنوا لنا فيه الاعزاز اذ تقلدناه لهم ومضى نحو قنطرة الكوفة الى بغداد وبلغ الخبر الى موسى
 ابن عيسى فركب في موكبه فلحقه وجعل يناشده الله ويقول بأبا عبدالله تثبت انظر اخوانك تحبسهم دع
 أعوانى قال نعم لأنهم مشوا لك في أمر لم يهجز لهم المشى فيه ولست يبارح أو يردوا جميعا والا مضيت الى أمير المؤمنين
 المهدي فاستعفيت بمما قلدني فأمر موسى بردهم جميعا الى الحبس وهو واقف والله مكانه حتى جاء السجان فقال
 قد رجعوا جميعا الى الحبس فقال لأعوانه خذوا بلجام دابته بين يدي الى مجلس الحكم فمروا به بين يديه
 حتى أدخل المسجد وجلس في مجلس القضاء فجاءت المرأة المتظلمة فقال هذا خصمك قد حضر فقال موسى
 وهو مع المرأة بين يديه قبل كل أمر أنا قد حضرت أولئك بمخرجون من الحبس فقال شريك أما الآن فقم
 أخرجوهم من الحبس فقال ماتقول فيما تصيه هذه المرأة قال صدقت قال ترد ما أخذت منها وتبني حاطها سر بها
 كما كان قال أفضل ذلك قال لها أتبي لك عليه دعوى قالت بيت الرجل الفارسي ومناعه قال موسى بن عيسى
 ورد ذلك كله بقى لك عليه دعوى قالت لا وبارك الله عليك وجزاك خيرا قال قومي فقامت من مجلسه فلما فرغ
 أخذ بيد موسى بن عيسى وأجلسه في مجلسه وقال السلام عليك أيها الأمير أنا أمر بشئ فقال أي شئ أمر ونحك
 فقال له شريك أيها الأمير ذاك الفعل حتى الترع وهذا القول الآن حق الادب فقام الأمير وانصرف الى
 مجلسه وهو يقول من عظم أمر الله أذل الله عظماء خلقه

﴿ القضية الرابعة عدل القاضي شريك أيضا ﴾

قال عمر بن أبي خالد بن سعيد كنت من أصحاب القاضي شريك فأتيت يوما في منزله باكرًا فخرج الى
 فرداء وليس تحته قميص وعليه كساء فقلت له قد أصبحت عن مجلس الحكم فقال غلت ثيابي أمس فلم تحف
 اجلس جلست فجعلنا نتذاكر باب العبد يتزوج بغير إذن مواليه قال ما عندك فيه وما تقول فيه وكانت الخيزران
 قد وجهت رجلا نصرانيا على الطراز بالكوفة وكتبت الى موسى بن عيسى أن لا يعصى له أمرا بالكوفة وكان
 مطاعا بالكوفة فخرج علينا ذلك اليوم من زقاق ومعه جماعة من أصحابه وعليه جبة خز وطيلسان وتحته بردون
 فاره واذا بين يديه رجل مكتوف وهو بصيح واغوثاه أنا بالله ثم بالقاضي واذا في ظهره آثار السياط فلم على
 شريك وجلس الى جانبه فقال الرجل انا بالله ثم بك أصلحك الله أنا رجل أعجل هذا الوشى أجرني كل شهر
 مائة أخذني هذا منذ أربعة أشهر واحتبسني في طراز يجري على القوت ولي عيال قد ضاعوا وهلكوا وأقبلت
 اليوم نحوهم لأراهم فلحقني ففعل بظهري ما ترى فقال القاضي قم فاجلس مع خصمك يا نصراني فقال أصلحك
 الله يا أبا عبدالله هذا من خدم السيدة مر به الى الحبس قال قم ويحك واجلس معه كما يقال لك اجلس معه فقال
 ما هذه الآثار التي يظهر هذا الرجل من أثرها فقال أصلح الله القاضي إنما ضربته أسواطا بيدي وهو يستحق
 أكثر من ذلك مر به الى الحبس فألقى شريك كسائه ودخل داره وأخرج سوطا ثم ضرب يده الى مجامع
 ثوب النصراني وهو يقول لا تضرب والله بدمها المسلمين فهم أعوانه أن يخلصوه فقال شريك فتبين الحق
 ضفوا هؤلاء الى الحبس فهرب الأعوان وبقى النصراني فضربه أسواطا فجعل يبكي وهو يقول سنم فلما
 فرغ من ضربه أتى السوط في الدهليز وقال لي يا أباحنس ما تقول في العبد يتزوج بغير إذن مواليه فأخذنا فيما
 كنا فيه كأنه لم يصنع شيئا وقام النصراني الى البرذون ولم يكن له من يمسه فجعل النصراني يضرب البرذون فقال
 له شريك أرفق به ويحك فإنه أطوع لله منك ثم قال خذ فيما كنا فيه قال عمر فقلت له مالنا ولهذا لقد فطت
 اليوم فطة مستكون لها عاقبة مكروهة فقال لي أعز أمر الله يعزك الله خذ فيما كنا فيه فذهب النصراني الى

موسى بن عيسى فقال شريك فصل في كيت وكيت فقال له والله ما أنرض لشريك بمضى النصراني الى بغداد ولم يصد بعدها الى الكوفة

﴿ القضية الخامسة عدل عبيد بن ظبيان قاضي الرشيد بالرقبة ﴾

قال الزبير بن بكار حدثني عمي مصعب قال كان عبيد بن ظبيان قاضي الرشيد بالرقبة وكان الرشيد اذا ذاك بها جاءه رجل الى القاضي فاستدى اليه على عيسى بن جعفر فكتب اليه القاضي ابن ظبيان اما بعد ابي الله الامير وحفظه واتم نعمته اثنان رجل فذكر انه فلان بن فلان وان له على الامير ابقاء الله تعالى خمسمائة ألف درهم فان رأى الامير يحضر مجلس الحكم أو يوكل وكيلًا يناظر خصمه أو يرضيه فعل ودفع الكتاب الى رجل فأتى باب ابن جعفر فدفع الكتاب الى خادمه فأوصله اليه فقال له قل له كل هذا الكتاب فرجع الرجل الى القاضي فأخبره فكتب اليه ابقاك الله وأمتع بك حضر رجل يقال له فلان بن فلان وذكر أن له عليك حقا فسر معه الى مجلس الحكم أو وكيلك ان شاء الله تعالى ووجه الكتاب مع عوينين من أعوانه فحضر باب عيسى بن جعفر ودفع الكتاب اليه فغضب ورمى به فانطلقا فأخبراه فكتب اليه حفظك الله وأمتع بك لا بد أن تصير أنت أو وكيلك الى مجلس الحكم فان آيت أنهيت أمرك الى أمير المؤمنين ان شاء الله ثم وجه الكتاب مع رجلين من أصحابه فقدموا على باب عيسى بن جعفر حتى طلع فقلما اليه ودفع اليه كتاب القاضي فلم يقرأه ورمى به فصادا فأبلغاه ذلك نظم قطره وأغلق بابا وقعد في بيته فبلغ الخبر الى الرشيد فدعاه وسأله عن أمره فأخبره الخبر وقال يا أمير المؤمنين اعفني من هذه الولاية فوالله لا أفصح قاض لا يقيم الحق على القوى والضعيف فقال له الرشيد من يمنعك من اقامة الحق فقال هذا عيسى بن جعفر فقال الرشيد لابراهيم بن عثمان سر الى دار عيسى بن جعفر واختم أبوابها ولا يخرج منها أحد ولا يدخل اليها أحد حتى يخرج الى الرجل من حقه أو يسير معه الى مجلس الحكم فأحاط ابراهيم بداره خمسمائة فارس وأغلق الابواب كلها فتوهم عيسى بن جعفر أن الرشيد قد حدث عنده رأى في قتله ولم يعرف الخبر فجعل يكلم الاعوان من خلف الباب وارفع الصراخ في منزله وضج النساء فكتهن ثم قال لبعض الاعوان من غلمان ابراهيم ادع لي ابا اسحاق لأكلمه فأعلموهه جاءه حتى وقص على الباب فقال له عيسى ويحك ما حالنا فأخبره بخبر القاضي ابن ظبيان فأمر باحضار خمسمائة ألف درهم من ساعته فأحضرت وأمر أن تدفع الى الرجل جاءه ابراهيم الى الرشيد فأخبره فقال اذا قبض الرجل ماله فافتح أبوابه وعرفه أن القاضي من عمل حكمه فيك ما رأيت فإياك ومعارضته

﴿ القضية السادسة جراءة عمر بن حبيب القاضي ﴾

قال عمر بن حبيب القاضي حضرت مجلس الرشيد يوما جرت مسألة فتنازعها الخصوم وعلت الاصوات فيها فاحتج بعضهم بحديث برويه أبو هريرة عن النبي ﷺ فدفع بعضهم الحديث وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون منهم أبو هريرة متهم فيها برويه وصرحوا بتكذيبه ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم ونصر قولهم فقلت أنا الحديث صحيح عن رسول الله ﷺ وأبو هريرة صحيح النقل صدوق القول فيما برويه عن رسول الله ﷺ فنظر الى الرشيد نظر مضرب وانصرف الى منزلي فلم ألبث أن جادني غلام فقال أجب أمير المؤمنين اجابة مقتول وتحفظ وتكفن فقلت اللهم انك تعلم أني دفعت عن صاحب نبيك أن يطلع على أصحابه فسلمني منه فادخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي حاسر عن ذراعيه بيده السيف وبين يديه النخاع فلما بصرتي قال يا عمر بن حبيب ما نلتاني أحد من الدفع والرد لقولي بمثل ما نلتني به وتجرات علي فقال يا أمير المؤمنين ان الذي قلته ووافقت عليه وجدلت عنه ازراء على رسول الله ﷺ وعلى ما جاء به فانه اذا كان أصحابه ورواة حديثه ككذابين فالشريعة باطلة والفرائض في الأحكام في الصلاة والصيام والنكاح والطلاق والحدود

مردودة غير مقبولة قاله الله يا أمير المؤمنين أن تظن ذلك أو تصني إليه وأنت أولى أن تفار رسول الله
 قال أحيتني يا عمر بن حبيب أحياك الله أحيتني أحياك الله أحيتني أحياك الله وأمره بمشرة آلاف درهم

القضية السابعة عدل حفص القاضي

قال يحيى بن الليث باع رجل من أهل خراسان جالا على مرزبان المجوسى وكيل أم جعفر بثلاثين ألف
 درهم فطله بمنها وعوّقه عن سفره فقال ذلك على الرجل فأتى إلى بعض أصحابه وشاوره كيف يعمل فقال اذهب
 إلى مرزبان وقل له أعطنى ألف درهم وأحل عليك بالمد الباقى وسافر إلى خراسان فإذا فعل فمرنى حتى
 أشير عليك ففعل الرجل وأتى إلى مرزبان فأعطاه ألف درهم فرجع إلى الرجل فأخبره فقال له عد إليه وقل
 له إذا ركبت غدا فاجعل طريقك على القاضى حتى أوكل رجلا يقبض المال منك فى دفعات وأروح أنا إلى
 خراسان ناديا وجلس إلى القاضى فادع بمالك كله فإذا أقر حسبه القاضى وأخذت مالك منه فرجع الخراسانى
 إلى مرزبان وسأله ذلك فأجاب وقال غدا انتظرنى بباب القاضى فلما ركب من الغد قام إليه الرجل وقال إن
 رأيت أن نزل إلى القاضى حتى أوكل يقبض المال وأروح فنزل مرزبان فتقتما إلى القاضى وكان حفص بن
 غياث فقال الرجل أصلح الله القاضى لى على هذا تسعة وعشرون ألف درهم وادعى عليه فقال له حفص ما تقول
 يا مجوسى قال صدق أصلح الله القاضى قال قد أقر لك قال يعطىنى مالى والا الحبس فقال للمرزبان يا مجوسى
 ما تقول قال هذا المال على السيدة أم جعفر قال حفص يا أحنى تقرم قول هذا على السيدة ما تقول يا رجل
 قال إن أعطانى مالى والا حبسته فقال حفص يا مجوسى ما تقول قال للسيدة على السيدة قال حفص خذوا بيده
 إلى الحبس فلما حبس بلغ الخبر إلى أم جعفر فقضت وبعت إلى السندى ومالت وجهه بمرزبان إلى ومجل فأسرع
 السندى فأخبره من الحبس وبلغ الخبر إلى حفص أن مرزبان قد أخرج فقال أحبس أنا ومخرج السندى
 والله لا تجلس للقضاء أو يرد مرزبان إلى الحبس وغلقت باب بيته فسمع السندى ذلك فجاء إلى السيدة أم جعفر
 فقال الله الله فى فان حفصا من لاناخذة فى الله لومة لائم وأخاف من أمير المؤمنين الرشيد يقول لى بأمر من
 أخرجت رديه إلى الحبس وأنا أكل حفصا فيه فأجابته وردته إلى الحبس وقالت أم جعفر للرشيد فاضحك هذا
 أحنى حبس وكلى واستخف به أكتب إليه ومعه لا ينظر فى الحكم فأمر لها بالكتاب وبلغ حفصا ذلك فقال
 للرجل أحضر لى شهودا لا سجل لك على المجوسى بالمال وجلس حفص وسجل على المجوسى فجاء خادم السيدة
 ومعه كتاب الرشيد فقال هذا كتاب أمير المؤمنين فقال له حفص مكانك نحن فى حكم شرعى حتى تفرغ منه
 فقال كتاب أمير المؤمنين فقال اسمع ما يقال لك فلما فرغ حفص من السجل أخذ الكتاب من الخادم وقرأه
 وقال اقرأ على أمير المؤمنين السلام وأخبره أن كتابه ورد وقرأه وقد أنضت الحكم عليه فقال الخادم قد
 عرفت والله ما صنعت آيت أن تأخذ كتاب أمير المؤمنين حتى تفرغ مما تريد والله لأخبرن أمير المؤمنين بما
 فعلت قال له حفص قل له ما أحيت فجاء الخادم وأخبر هارون الرشيد بذلك فضحك وقال للحاجب مر حفص
 ابن غياث بثلاثين ألف درهم فركب يحيى بن خالد فاستقبل حفصا منصرفا عن مجلس الحكم فقال أيها القاضى
 قد سررت أمير المؤمنين اليوم وقد أمر لك بثلاثين ألف درهم فما كان السبب فى هذا فقال حفص تم الله سرور
 أمير المؤمنين وأحسن حفظه وكلامه ما زدت على ما أفضل كل يوم قال ومع ذلك قال لا أعلم إلا أننى سجلت
 على مرزبان المجوسى بمال ورجب عليه فقال يحيى فى هذا سر أمير المؤمنين قال حفص الحمد لله كثيرا من قام
 بحق الشريعة ألبسه الله رداء المهابة

﴿ القضية الثامنة عدل القاضي أبي حازم ﴾

قال أبو الحسن عبدالواحد الحسيني حضرت القاضي أباحازم وقد جاءه طريف الخلدی من أمير المؤمنين المعتضد بالله وقال يقول لك أمير المؤمنين لنا على فلان مال وقد بلغنا أن غرماءه أثبتوا عندك أفلامه وقد قسطت لهم ماله فاجعلنا كأحدهم وقسط لنا فقال أبو حازم قل له أطال الله بقاءه إذا كر لما قال لي وقت أن قلدي القضاء قد أخرجت الأمر من عنقي وجعلته في عنقك ولا يجوز أن أحكم في مال رجل لمدع الا بينة فرجع طريف وأخبره فقال له قل له فلان وفلان يشهدان يعني رجلين جليلين من أعيان الدولة كانوا في ذلك الوقت فقال يشهدان عندي وأسأل عنهما فلن زكيا قبلت شهادتهما والا أمضيت ما ثبت عندي فامتنع أولئك من الشهادة فرعا أن لا يقبل قولهما ولم يدفع للمعتضد شيأ فهكذا يكون القضاء السديد

﴿ القضية التاسعة نادرة في عدل أبي حازم عبدالحميد القاضي ﴾

ذكر وكيع القاضي قال كنت أقتل لأبي حازم عبد الحميد القاضي وقوفاً في أيام المعتضد بالله منها وقف الحسن بن سهل فلما استكثر المعتضد من عمارة القصر المعروف بالخلافة أدخل فيه بعض وقف الحسن بن سهل الذي تحت يدي ونظري وهو مجاور القصر وبلغت السنة آخرها وقد جيت مال الوقف الا ما أخذ المعتضد جئت الى القاضي أبي حازم ففرقه اجتمع مال السنة واستأذنت في قسمته في سيده على أهل الوقف قال هل جيت ماعلى أمير المؤمنين فقلت ومن يجسر يطالب الخليفة فقال والله لا قسمت الا رضعاً أو تأخذ ماعليه والله لئن لم ترح اليه لاوليت له عملاً قال امض اليه الساعة وطالبه فقلت ومن يوصلني فقال امض الى صافي الحرمي وقل له انك رسول أفندت في مهم ليستأذن لك فاذا وصلت اليه ففرقه ماقلت لك جئت فقلت لصافي ذلك فاستأذن لي وأدخلني وكان آخر النهار فلما صرت بين يدي الخليفة طلق أن أمر اعظيما قد حدث فقال هيه فقلت اني أتولى لعبد الحميد قاضي أمير المؤمنين وقوف الحسن بن سهل وفيها ما أدخله أمير المؤمنين الى قصره ولما جيت مال هذه السنة امتنع من تفرقه الى أن أجي ماعلى أمير المؤمنين وأفندني الساعة فاصدا بهذا السبب وأمرني أن أقول اني حضرت في مهم لاصل اليك قال فسكت المعتضد ساعة متفكراً ثم قال أصاب عبد الحميد ياصافي أحضر الصندوق فلما أحضره قال كم يجب لك قال قلت أر بعائة دينار قال أتعرف النقد والوزن قلت نعم قال هاتوا ميزاناً ثم قال أزن أر بعائة دينار فقبضتها وانصرفت الى أبي حازم ففرقه ذلك فقال أضفها الى ماعندك من الوقوف وفرقه غدا في سيده ولا تؤخر ذلك فمن حكم بالحق نفذ حكمه وأطيع أمره وأرضى ربه وأبرأنت

﴿ القضية العاشرة عدل اسماعيل القاضي ﴾

قال الدار قطنی سمعت عبدالرحيم ابن القاضي اسمعيل بن اسحاق يقول كان في حجر أبي نعيم فبلغ وله أم وأختها في دار الخليفة المعتضد بالله فقالت أم اليعيم لأختها كلى أمير المؤمنين حتى يرفع اسمعيل القاضي الحجر عن وادي فكلتمه فدعا المعتضد عبيدالله بن سليمان بن وهب وزيره وقال له قل لاسمعيل القاضي بفك الحجر عن فلان فقال له الوزير أن أمير المؤمنين يأمرك أن ترفع الحجر عن فلان فقال القاضي حتى أسأل عنه وقام فسأل عنه فلم يجبر عنه برشد فتركه ومضت على ذلك أيام فرجعت والدة الصبي الى أختها وسألته أن تعاد أمير المؤمنين وكان للمعتضد لايساود الخسوف فعاودته فقال ليس قد أمرت فقلت لم يرفع عنه بعد فدعا وزيره عبيدالله ثانياً وقال أمرتك أن تأمر اسماعيل القاضي بأن يرفع الحجر عن فلان فقال قد كنت قتلته عن ذلك فقال حتى أسأل عنه فقال قل له يرفع الحجر عنه فدعا الوزير ثانياً وقاله وأمر أمير المؤمنين بأمرك أن ترفع الحجر عن فلان فأطرق القاضي

ساعة ثم استدعى دواة وورقة وكتب شيئاً وختمه فاستعظم الوزير أن يختم عنه كتاباً ولم يقل شيئاً لعل اسمعيل من الورع والعلم ثم دفع ذلك للوزير وقال له توصل هذا الى أمير المؤمنين فانه جوابه فأخذ الوزير ودخل على المعتضد وقال زعم أن هذا جواب أمير المؤمنين ففتح المعتضد الكتاب وقرأه وألقاه وقال لا تصاوده في هذا فأخذ عبيد الله الوزير الكتاب واذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم يداود انا جنتك خليفة في الارض فأحك بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله

فهذه سيرة القضاة المتصفين بما سبق من الاوصاف المقتضين في أعمالهم طريقة العدل والانصاف فلا جرم استقرت أحكامهم وجرت أقلامهم وشكرت أيامهم ولم تصرفهم أعمالهم اه

هنالك أخذت أفكر في قوله تعالى - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار - الخ ههنا يتذكر أولو الألباب المناسبة بين خلق السموات والأرض وبين العدل في القضاء وليس من اللبسور أن يعرف الناس تلك المناسبة بقراءة علوم السموات والأرض وهنا يكون الجب من الأمم الاسلامية المتأخرة ، حوت علوم السموات والأرض نظراً عليهم السقف من فوقهم ولكن الأمم الاسلامية في الصور الأولى كانوا يفهمون هذه الامور بقولهم وهكذا الأمم الذين بعضهم في زماننا وبعضهم بعد مفارقتنا هذه الدارس يفهمون هذا حق الفهم ويقولون إن الله يقول لداود - فأحك بين الناس بالحق - ثم أعقبه بأن السموات والأرض لم يخلقها باطلاً وفي آية أخرى قال - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا عين ما خلقناهما الا بالحق - ثم يقولون فلننظر عسى أن نجد في علم النبات هدى فيجسرون أن العناصر التي تدخل في تركيب النبات بتعليقه تحليلها كيميائياً هي :

الكربون . الاوكسجين . الايدروجين . الاوزون . الكبريت . الفوسفور . البوتاسيوم . الكالسيوم . الحديد . المنسيوم

ويحصل النبات على الكربون من الهواء وعلى معظم الاكسجين والايديروجين من الماء ، أما بقية العناصر فيحصل عليها من الأملاح الناتجة في التربة

(اثبات ضرورة العناصر السابقة للنبات)

إذا عمل محلول من ماء أذيت فيه أملاح تشتمل على العناصر الآتية الذكر فإن النبات ينمو فيه بحالة طبيعية (شكل ٢ - ١) وإذا أخص من المحلول أحد هذه العناصر فقد ينمو النبات الى حد ما (شكل ٣) ولكنه يضعف ويموت بعد ذلك ، وقد يحتوي النبات النامي في التربة عدا ما تقدم على عناصر السليس والصوديوم والكلور إلا ان هذه العناصر ليست ضرورية جداً ويمكن للنبات أن ينمو بدونها بحالة طبيعية . والنبات لا يمتص المواد الضرورية له بنسبة واحدة فهو يحتاج مثلاً الى مقدار قليل جداً من الحديد في حين أنه يحتاج لكميات أكبر من الاوزون كما أن نسبة كل من العناصر الموجودة في النباتات تختلف باختلاف النباتات نفسها (انظر شكل ٢ في الصفحة التالية)



(شكل ٢)

- (١) نبات تام في محلول يحتوي على جميع العناصر الضرورية
- (٢) نبات تام في محلول يحتوي على جميع العناصر ماعدا البوتاسيوم
- (٣) نبات تام في محلول يحتوي على جميع العناصر ماعدا البوتاسيوم الذي استبدل بها الصوديوم
- (٤) نبات تام في محلول يحتوي على جميع العناصر ماعدا الكالسيوم
- (٥) نبات تام في محلول يحتوي على جميع العناصر ماعدا الاوزون

فاذا رأوا ذلك قالوا هذا مثل من أمثلة السموات والأرض وانهما لم يخلقا عبثا ولا ابا بل خلقا بالحق كما قال تعالى - ما خلقناهما الا بالحق - وذلك الحق كالخلق المذكور في آية داود - فاحكم بين الناس بالحق - الله حق وفصله في تغذية النبات حق بحيث اذا نقص النبات في (شكل ٢) السابق البوتاسيوم فقط كان صغيرا جدا واذا نقص الاوزون كان اكبر وهكذا ، أما اذا كان تام التغذية فانه يتم كماله . هذا هو الحق في فظام النبات وهو فعل الله ، وليس هناك اختلاف في هذا القانون ، فلم يسمع الناس ان نباتا نقص احد هذه العناصر ثم كان تاما في شكله غير منقوص . وهذا هو نفس الحق الذي تقسم في القضايا العشر التي قلتها لك عن القدماء ، وأي فرق بين عدل محمد بن عمران الطلحي إذ يكتب الى المنصور فيحضر فيحكم عليه وبين نقص النبات أمانا اذا نقص عنصرا من عناصر التغذية ، واذا كنا نحن خلفاء الله في الأرض على رعاياتنا من الأعضاء والحواس والأسرات والممالك فوجب أن نتبع من استخلقنا ووزن الامور على مقتضى وزنه لتصح لنا الخلافة في الأرض وبهذا نستحق أن نكون ، - في مقعد صدق عند مليك مقتدر - فهذه العندية تقتضي ذلك الحق فيعدل محمد بن عمران ويحكم على الخليفة ويعدل شريك ويحكم على الأمير موسى بن عيسى وهكذا فهنا الفعل مناسب تمام المناسبة لما رأينا من العدل في أمر تغذية النبات كالا ونقصا ، فمن وفي من الزراع

بالانصروفيت له ومن نقص نقصت له بقدر لازيادة ولاقص وهذا عين قوله تعالى - أم نجعل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات كالفاسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار - الخ أي كما لم نجعل ناقص التغذية من النبات
التي خلقناه بالحق ليس ككامل التغذية ، فالناقص كالفاسدين في الأرض والكامل كالمتقين

فاذا عرف هذا أهل العلم من المسلمين في زماننا والذين بعدنا يزدادون علما بالله عز وجل وعلما بمصنوعاته
وحكمته وتكون لهم سعادتان : سعادة روحية ، وسعادة جسمية ، أما السعادة الروحية فهو الحب الحقيقي
لصانع العالم ، واذا كان الانسان يهيم شوقا ويهيب أيماء بحجاب بشرية القاضى ومن معه لاحقا لهم الحق في
القضايا فبالك بمن قضايه لانهاية لعددها وكلاهما حق وأصبح الناس يشاهدونها بقولهم ، وأما السعادة الجسمية
فهي ازدياد ثروة الأمم الاسلامية بزيادة العلم والحكمة ومعرفة حقائق الأشياء ، إن الأمم التي يكثر فيها المحبون
للعلم على هذا النمط الذي في هذا التفسير وهم طبعاً يحبون الله تعالى ويحبون عباده بالاجتهاد في ترقينهم ترقى
سريراً وخواصها المذكورة أو صافهم يكونون في سعادة وازدياد علم لا يعرفه سواهم لأن حب العلم وحب الله
وجب رقى الناس متى اجتمعت في امرئ ترادفت عليه أنواع السعادات العلمية وانسراح الصدر وكان الله
في هونه - والله يحب المحسنين -

فهؤلاء الذين يزدادون علماً بعدنا لا يقفون عند حد فيه فيرون أن جذور الأنواع المختلفة لا يتزاحم
بعضها مع بعض في مستو واحد من التربة بل تمتد الى أعماق مختلفة (شكل ٣) بخلاف جذور
النباتات الحولية إذ تمتد وتتفرع في العادة بالقرب من سطح الأرض ، أما جذور النباتات المعمرة فانها تمتد الى
أعماق أبعد ولكل منها عمق خاص تنمو جذوره فيه فاذا اقتلعت إحدى الأبصال وزرعت في مستو أعلى من
مستواها الطبيعي تتكوّن عليها جذور خاصة تعرف بالجذور الشاذة تلتوى كالبرية فتجذب البصلة الى أسفل
حتى تصل بها الى المستوي المناسب (انظر شكل ٤)



(شكل - ٤)

المستويات التي توجد عليها البصلة الواحدة في سنوات
متتالية بعد انبات البذرة لاحظ الجذور الشاذة التي
تجذبها الى أسفل

(شكل ٣ - نمو جذور النباتات
الصحراوية في مستويات مختلفة)

وكذلك اذا زرع أحد النباتات ذات الريزومات الأرضية في مستو غير مستو الطبيعي فان الريزوم يتجه
الى أسفل أو أعلى حسب الظروف حتى يصل الى العمق الخاص المناسب لنموه و بعد ذلك يسير موازياً لسطح
الأرض (انظر شكل ٥ ، ب في الصحيفة التالية)



(شكل ٥)

(أ) ريزوم زرع في مستوى أعلى من مستواه الطبيعي فاتجه الى أسفل
 (ب) ريزوم زرع رأسياً في مستوى أعمق من مستواه الطبيعي فاتجه الى أعلى متخذاً وضعا أفقياً

وفي السنوات التي يقل فيها سقوط الأمطار عن المعتاد يشاهد أن الشعير المزروع في هذه الأراضي يقف نموّه قهراً يجمد في حين أن النباتات البرية لا تتأثر كثيراً ، وذلك لأن جذور الشعير توجد كلها في مستوى واحد وتزاحم بعضها مع بعض فلا تجد المقدار الكافي من الماء ، أما النباتات البرية فإن ترتيب جذورها على درجات مختلفة المستوى يمنع تزاحمها فيتمكن كل منها من الحصول على الماء اللازم له . وبما يلاحظ أن الأمطار تسقط بكثرة على سواحل البحر الأبيض المتوسط ويقل سقوطها شيئاً فشيئاً كلما بعدت عن الشاطئ فيقل عدد النباتات النامية وتتحوّل الأراضي الى صحار قاحلة بالتدرج . انتهى ما أردته من كتاب علم النبات إذن يرقى المسلمون الذين يزدادون علماً في زماننا والذي بعده فيدرسون ويقولون هذا الشعير اذا جف الماء ضعف كله وهكذا القمح وجميع النباتات التي زرعها لأنها جذورها في منطقة واحدة من مناطق التربة الأرضية ، أما النباتات الصحراوية فإن جذورها تمتد في مناطق مختلفات وكل منطقة فيها تربة خاصة يتغذى بها نبات خاص ، ذلك لأن الزارع لها هوايته وهو عدل ومن عدله أن أعطى كل نبات منطقة خاصة يعيش بغذائها ولكن لو كانت كلها في منطقة واحدة لأهلك أقواها أضعفها ، فأما أمثال الشعير والقمح فإن الله جعل الانسان قائماً عليها بسقيها واذا نبت معها نبات يشاركها في منطقتها الطينية فإن الانسان نفسه هو الذي يحافظ على زرعه كما ان حيوان البرية لا أمراض تلحقه والحيوانات التي مع الناس تلحقها الأمراض والناس يداوونها

(تذكرة)

أفلا ترى أيها التركي أن المسلمين الذين يقرؤون هذه العلوم هم الذين تكون لهم سعادة في الحياة الدنيا والآخرة ، ألا ترى كيف اجتمع هنا علم النبات وعلم القضاة وأخبار القضاة العاديين الجليل ، أليس ترى أن عدل الله في النبات قد طلب من الانسان أن يسير على منواله ، أليس هذا هو نفس قول المسلم - اهدنا الصراط المستقيم - صراط الذين أنعمت عليهم - والصراط المستقيم هو صراط الله الذي له مافي السموات ومافي الأرض فهذا هو صراط الله ، أولست ترى أن الانسان كلما أوغل في هذه العلوم حصلت له ملكة بها يكون رجالاً نافعا وهاماً أهل أوروبا قد سبقونا في هذه العلوم ولهم دول عظيمة وأهل أمريكا واليابان والصين ففارقونا بهذه العلوم إذ اكتسبتهم ملكة التفكير والاختراع ونحن من ذلك محرومون . أليس هذا بعينه هو قول الله تعالى - أفلم يسبوا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور -

(عبرة في التاريخ)

لقد ذكرت في سورة يونس اني أرسلت خطاباً (وهناك قصة) الى المجلس النيابي المصري في أول حياته

والى رئيس الوزراء والى وزير المعارف وقلت فيه « إن الأمة المصرية كانت عندها العلوم قبل الاحتلال فى المدارس الثانوية . وفى زمن الاحتلال أصبح التعليم يجهل تشرح جسمه ومعرفته دابته التى يركبها والسماء التى فوقه وطبقات الأرض تحته فسيصبح القاضى والوزير والمهندس كل هؤلاء جاهلين بهذا الوجود ، فأنا أقترح أن يجعل التعليم الثانوى خمس سنين كما كان ويرجع علم الموايد الثلاثة وعلم الفلك وطبقات الأرض كما كان قديما » هذا هو الذى كتبت منذ بضع سنين ، وبعد ذلك قرروا خمس سنين ، وقرروا علوم النبات والحيوان ، أفلا أحد الله إذ يكون ما نقلته اليوم من الكتب التى ألفها الشبان فى أيامنا هذه فى المدارس المصرية . إذن رقى الأمم الاسلامية سيكون سريرا كما ذكرناه من قبل وبرهانه ما أقوله الآن ، والذى يهمنى فى هذا المقام أن أقول : « ومن الدليل على أن ترك هذه العلوم مضعف للأمة أن المحتلين لبلادنا منعوه أيام سلطتهم وهامى هذه رجعت لنا بعد سلطتهم ، وإنما كتبت الخطاب المذكور لمجلس النواب وللحكومة لأنى أعلم لنهم تعلموا فى زمن الاحتلال وأكثروا لم يعرفوا هذه العلوم إلا قليلا ، كما انى كنت فى أيام التدريس بالمدارس أؤلف كتباً للمسلمين وأقول فى نفسى اذا كان المحتلون منعوا هذه العلوم من البلاد فماذا أكتب مجملها فى كتبى لتكون تذكرة للمسلمين جميعا »

أما الآن فانى أحد الله إذ رجعت العلوم لبلادنا مع الاستقلال النوعى الذى ينتظر أن يتم فى المستقبل . وأقول إن هذا التفسير كتاب دىنى والذى شيقروه إن شاء الله المسلمون ويجدون فيه هذه العلوم مبسطة مشروحة ، فهم إذن لا يقف فى طريقهم عائق يستهم عن قراءة هذه العلوم لأن الذى يمنع العلوم الكونية من أرضية وسماوية عن المسلمين شيطانان : شيطان داخلى ، وشيطان خارجى . أما الشيطان الداخلى فهو ما يدعيه الجهلاء فى الدين أن هذه العلوم تنافى الدين ، والشيطان الخارجى هم المحتلون لأى بلد من بلاد الاسلام فأنهم قد يمنعون العلم عنهم كما حصل فى بلادنا قبل تأليف هذا التفسير ، فهؤلاء حين يرون أمثال ما أكتبه الآن لا يرجعون عن هذه العلوم مهما كلفهم ذلك ، وعليه أقول : إن أم الاسلام بعد هذه النهضة الحالية سيكونون خير أمة أخرجت للناس

﴿ وصية المؤلف ﴾

وانى أوصى كل من يقرؤن هذا التفسير أن يذيعوا بين الناس كل ما يعرفونه لأن اذاعة العلم بين الناس ونشره يرجع فى نفس الحياة الدنيا على الناشر بازدياد العلم لأن دورة العلم تمر بالناس ثم ترجع اليه وفيها ازدياد فيزداد هوعلما كما اتفق لى فان تقرير هذه العلوم فى البلاد المصرية كان سببا فى أن الحكومة أمرت بعض الشبان فبحثوا فى النباتات المصرية كلها ونشروها فى الكتب ومنها بعض ما كتبناه فى هذا المقام ، فلولا أن هؤلاء الشبان قرؤوا هذا وبحثوه ورسموه ما نشرت شيأ منه ولا عرفته ، الأترى أنى كنت أتقل لك ما كتبه الانجيز ورسموه فى كتبهم ، ولما قرأت كتب أهل بلادى فى الحركة الحديثة كتبت ما تقدم من كتبهم ، فلتكن كل أمة دارسة نبات بلادها وحيوانه وكل شئ فيها والا كانت فى الأذلين . انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

(فى قوله تعالى - ياد اود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق - ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب -)

﴿ كيف نربى قضاة الأمم الاسلامية وحكامها وخلفاءها ﴾

أجودك اللهم على نعمك ، وأشكرك على ما أهدت من العلم وحبوب من الحكمة ، نزل القرآن ومضت

أجيال وأجيال والأم الإسلامية ساكنة ساكنة نائمة بعد الصدر الأول وبقى القرآن مهجورا والعلم محبوسا حتى انبجس في أم أخرى بعيدة عن الاسلام . إن كتابك آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم . إنك لم تخله للناس لتحبس عقولهم وتكبل أفهامهم كما يظن الجاهلون . كلا . بل أنزلته هدى وتبصرة وذكرى وقلت فيه - لعلكم تفكرون في الدنيا والآخرة - وقلت - ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا - وقلت - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وقلت - أفلم يسبوا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها - . أفلم يأن للسلين اليوم أن يسمعوا ويعقلوا ؟ نعم آن ذلك فأقول :

﴿ تربية الأمة وقضاتها وحكامها ﴾

لقد قرأت في « جمهورية أفلاطون » حجابا في ذلك فلاذكره أولا ثم أقفي على آثاره بما يناسبه من الكتاب والسنة : « يعلم المسلمون أن القرآن لا يزال بكرا وانه يستحيل علينا أن نقل ما فيه ونعرفه حق معرفته إلا بمقدار ما نعرف من علوم الأمم . إن القرآن بلا عقول مفكرة تعقله ولا قلوب قيمة تفهمه لكتاب مهجور متروك ، الحفظ وحده وفهم المعاني اللفظية لا يفيينا قليلا ، أليس من العجب أن نسمع أفلاطون وأستاذه سقراط قبل نزول القرآن بنحو عشرة قرون يقول : « إن من العار علينا أن يتكرفى بلادنا صنفان من الناس وهم القضاة والأطباء ، فكثرة القضاة في البلاد دليل على سوء التربية وقلة الأدب والجهالة . ويقول : نعم نحن أبغنا بعض الموسيقى البسيطة ولكننا لا نبيع الايغال فيها والتغنى ، إن التغنى في الموسيقى يجر إلى الفضول والفضول والنسوق يجران إلى المشاحنات الموجبات للتقاضى عند القضاة »

وهكذا أخذ يذم كثرة ألوان الطعام والتغالى فيه فذلك موجب للأمراض المختلفة وهذا يسبب طلب الأطباء . إذن الأمة يكون فيها جيشان وهما عائلة على الأمة ، وهذان الجيشان أكبر دليل على قص الأمة وقلة تربيتها ، وعليه يجب أن تربي الأمة كلها على القناعة لحفظ الصحة وعلى التهذيب الأخلاقى الذى يعد للنفس عن الخلاعة فيقل القضاة والأطباء

ولما قرأت هذا القول دهشت أشد الدهش من أمة الاسلام ، تلك الأمة التى يتهافت بمجموعها على المحاكم وعلى الأطباء لاسيما فى زماننا بمصر فان الحملة صناعة رائجة فى بلادنا ، وعندنا ثلاثة جيوش جوارية : قضاة ومحامون وأطباء ، وهؤلاء أكبر دليل على نقص فى الأخلاق وفى الصحة وأن الماء كل غير منتظمة والأحوال غير حسنة وحسبنا الله ونعم الوكيل

وما أشبه الليلة بالبارحة ، لقد قلت عن الامام الغزالي سابقا أن علماء الاسلام أكبروا على علم الفقه لأنه يوصلهم الى كراسى القضاة وأخذ ينتمهم ويقول : « يقوم هذه فتنة . ما الفقه إلا علم واحد والمسلمون يحتاجون الى علوم كثيرة » وقد تكرر هذا فى التفسير . إذن علماء الاسلام السابقون كانت حياتهم وشرفهم وعظمتهم تتوقف على أمر واحد وهو جهل الأمة وقلة تربيتها . ومتى شاع الأدب فى البلاد قلت القضايا فقل القضاة وهكذا متى صحت الأبدان قل الأطباء

لما كتبت هذا اطلع عليه صاحبي فقال : أحب أن أسمع بعض أقوال (أفلاطون) فى هذا . فقلت هذا نصه فى المحاوره بينه وبين غلاكون :

(س) وهل تنكر على الاثنيين تأقمهم فى صنوف الحلوى

(غ) بشدة أنكروه

(س) فليس من الخطأ موازنة نظام المعيشة بنظام الموسيقى والغناء المستعمل فى مختلف الأوزان

(غ) لاشك فى انها موازنة صحيحة

(س) أوليس مهيحا أيضا انه كما يولد التنوع الموسيقى فجورا في النفس تولد الأطعمة عللا في الجسد .
أما البساطة في الألعاب الرياضية فانها تولد الصحة كما انها في الموسيقى تولد العفاف
(غ) بلاشك

(س) واذا انتشرت في المدينة الأمراض وصور الفجور أفلا تضطر لانشاء المستشفيات والمحاكم ؟ أولايته
الطب والحقوق مهيبا متى وقف كثيرون من الشرفاء حياتهم على هذه المهنة بوافر الرغبة
(غ) وماذا عسانا أن توقع غير ذلك ؟

(س) فأية حجة على سوء تهذيب المدينة وانحطاط سكانها أقطع من افتقار أهلها الى نفس الأطباء
وأساطين القضاة ؟ ليس فقط بين طبقات العمال الدنيا بل أيضا بين من يتصون شرف النبوة ،
أولاتها انحطاطا أديا ودليل نقص وتهذيب اضطرارنا الى شريعة يدنها الأجانب كسادة وقضاة
لنا بسبب فقر الوطن ؟
(غ) لا اهانة أعظم من ذلك

(س) أو تظن انها إهانة أخف على الانسان أن يقضى الجانب الأكبر من حياته في المحاكم بين مدع
ومدعى عليه ، بل انه زاد على ذلك انه جهلا منه يتخبر بأنه سريفي في ارتكاب الكبائر وأستاذ
في الحيل والمواربة والسماء والمكر تجلصه من قبضة العدالة والنجاة من برائن العقاب ، وكل ذلك
لقاء أشياء طفيفة تافهة جاهلا بأفضلية الحياة المنظمة المستقيمة وجاهل على مثوله أمام قاض شامل
(غ) تلك إهانة أعظم مما سبق ذكرها

(س) أو لا تحسب الاحتياج الى المعالجة الطبية عيبا ، اللهم إلا ما كان لجرح أو لمرض موسمي وافد ؟ أعنى
به احتياجنا الى المعالجة بسبب كسلنا ونوع معيشتنا فتملأنا الرياح والأخلاق كما تملأ المياه القنطرة
الحماة فيلزم أبناء اسكولا ييوس أن يستنبطوا أسماء جديدة للأمراض كتطيل البطن والركم
(غ) حقا إن هذه أسماء جديدة غاية في الفرابة

(س) اذا مرض التجار مثلا تناول من طبيبه علاجا لافراز مرضه بالقيء أو بالاسهال أو بالسكى أو بعملية
جراحية . أما اذا أثار عليه طبيب بالمعالجة الدائمة كالأمساك عن الطعام والأربطة على الرأس ونحو
ذلك من أساليب العلاج نفرحالا وأجاب مشيره الطبي أن لا وقت عنده للالتزمة الفراش وأن الحياة
على هذا النظام لا تستأهل عناء الآلام الدائمة والمخاوف الشديدة مهتما بمرضه مهملا عمله فيودع
طبيبه ويعود الى حياته العادية فلما أن يستعيد صحته ويستمر في عمله أو اذا لم تحتل بنيته ذلك
أراحه الموت الزوأم من شقائه

(غ) نعم ذلك ما يظن انه نفع المعالجة الطبية لرجل في مثل هذه الحال
(س) صحيح أن الأطباء يحوزون مهارة عظيمة اذا قرنوا منذ الحداثة درس الطب بمعالجة عند وافر من
شدة الحوادث المرضية واختبروا في أشخاصهم كل أنواع المرض ولذلك لا تكون لهم مهنة جيدة
لأنى لا أظن أن جسد الطبيب هو الذى يشقى أجساد الآخرين والا لما جازله أن يكون ذا علة
أو أن يمرض ولكن عقله هو الذى يشقى . فاذا أصيب في عقله تعذر عليه أن يكون طبيبا ماهرا
(غ) انك مريب

(س) ولكن القاضى يا صديقى يحكم العقل (١) بالعقل فلا يجوز أن ينشأ عقله منذ نعومة أظفاره في بيئة
قاسية العقول ويألف معشرها ويقترب كل أنواع الشرور اقتداء بها لكي يختبر في نفسه ماهية

(١) وردت في بعض الترجمات (النفس) بدل العقل فلا ينس القارى ذلك

الأجرام فيتمكن بهذا الاختبار من زلات الآخرين بقياسهم على نفسه على نحو تصرف الطبيب في الأمراض الجسدية بل بالعكس يجب أن يكون الحاكم منذ الحداثة حرا من هذا الاختبار وبمعزل عن عوامل الشر والفساد إذا أريد أن يتصف بالكمال الفائق وبحسن رعاية العدالة وهذا هو السبب في سهولة انخداع الصالحين في شبيبتهم إذ ليس في نفوسهم مثل يقسون شرور الأعداء به

(غ) نعم وهم معترفون كثيرا لهذا الانخداع

(س) ولذا لا يكون أفضل القضاة شابا بل شيخا عرك الدهر وخبر البطل لا كشيء استقر في نفسه بل كأمر خارجي أدركه ودرسه درسا طويلا مدققا في حياة الآخرين (وبعبارة أخرى) انه يقاد بالمعرفة لا بالاختبار الشخصي

(غ) حقا إن ذلك أشرف نوع في الحكام

(س) وهو صالح أيضا، هذه هي نقطة البحث لأن ذا النفس النقية صالح، أما القاضي المريب الذي اقترب كثيرا من موبات الآثام وهو يزعم انه بارع لكونه عاش أمثاله من الشبان فيبدي شديدا الحذر قياسا على ما في داخله من نماذج الشر وهي نصب عينيه كل يوم. على أنه متى اجتمع بالسيوخ والأبرار ظهر بازائهم غرا أحق بريته الشاذة وجهله السجية الكاملة لفقدانه مثلا لها في نفسه وإنما لأن علاقته بالأشرار أكثر منها بالأبرار للاح له ولأمثاله انه حاذق لا أحق

(غ) غاية في الصواب

(س) فلان نشئت كما كنا الصالح في هذا الصف بل في سابقه لأن الرذيلة لا يمكنها أن تعرف نفسها والفضيلة معا. أما الفضيلة في الكامل التهذيب فلها بمرور الزمن تتمكن من معرفة الأخرين: نفسها والرذيلة. فالقاضي الحكيم في منهجي هو هذا الفاضل لاذك الرذيل

(غ) أوافقك في ذلك

(س) أفلا تنشئ في مدينتك ادارتين: طيبة وقضائية. تتصف كل منهما بما ذكرناه من الأوصاف؟ فتسبغان بركات خدمتهما على أسماء الأبدان والعقول مع اعمال سقماء الأبدان فيموتون واعدم الأشرار الفاسدين غير القابلين اصلا

(غ) نعم وقد تبرهن أن ذلك خير للدولة ولأولئك السقماء

(س) وواضح أن الشبان يحترسون من افتقارهم الى هذه الشريعة ماداموا يمارسون الموسيقى البسيطة التي قلنا انها تنشئ رزاة النفس

(غ) دون شك. انتهى ترجمة الاستاذ حنا خباز

فقال صاحبي عندئذ: عجبا! هانحن أولاء في هذا القول رأينا (عجيبين: الجب الأول) في سورة يس إذ تقدم هناك أن علم الموسيقى والشعر وعلم الفلك كلها من واد واحد واتضح لنا هناك إذ ظهر أن حساب الفلك يرجع الى دوائر منتظمة مكررات كما في السنين الكبيسة والبسيطة ومثلها في ذلك نظم الشعر ونغمات الموسيقى والطير (الجب الثاني) هنا فقد أصبح الطب والقضاء توأمين في أن كثرة كل منهما دليل على سقوط أخلاق الأمة وآدابها. ولقد اضطرت حكومتنا المصرية في هذه السنة أن توسع مستشفى القصر العيني وهي تبنى بناء عظيم يسع (٤٨٠٠) سرير للمرضى. إذن هذا دليل على الجهل المطبق في هذه الأمة وهكذا كثرة القضاة والمحامين شرعيين وأهلين. كل ذلك دليل على سوء تربية الأمة وعلى سوء ملكة أهلها. فقلت نعم حق ما تقول وذلك السوء ليس من طبيعة بلادنا بل ذلك أمر يتبع احتلال الأجنبي لبلادنا. ومن أقبح

ما اطلعت عليه بنفسى انى منذ أربع سنين قبل كتابة هذا الموضوع دعيت الى ولجة وقد كانت بلادنا اخذت استقلالاً جزئياً فسمعت الموسيقى تصدح في تلك الوجة اذا هي موسيقى الحكومة المصرية فكان دهشى عظيماً إذ سمعت كل الأشعار من أقاويل الجهال والسخفاء وأحقر الطبقات وكلها تنطق بالفسوق والجهالة والعمى فسألت الرئيس فبكى بكاء مرّاً وقال إن السلطة للرئيس الأجنبي ولما عارضنا في ذلك عاقبونا فأرغمنا أن نغنى هذا الغناء الحقير . فعلت بهذا وبغيره أن الأمم التي تتدهور أخلاقها كاحصل لأمتنا انما يكون ذلك أكثره من الأجانب المحتلين للبلاد

فقال صاحبي : عرفنا تربية الأمة على سبيل الاجال فتريد أن نعرف تربية الأمراء والقضاة ونحوهم . فقلت : لقد تقدمت في ﴿سورة يس﴾ عند الكلام على الموازنة بين الموسيقى والفلك أن أفلاطون يحتم أن يقرأ الرياضيات من الحساب والهندسة والجبر والفلك وأن يمارسوا النضائل وتكون دراستهم لتلك العلوم موجهة في ظواهرها الى منفعة العموم العملية وفي باطنها الى أن تتلمس الروح من الحساب البديع المنظم مبدع العالم فتعرف من استقرار الحساب وجريه على وتيرة واحدة في الأحوال الفلكية وغيرها أن وراءها قوة ثابتة وعلما وحكمة ورحمة وهناك تتصل نفوس الأمراء والقضاة والملوك بتلك الذات القدسية فيحسّ هؤلاء بأنهم خلفاء في الأرض وانهم هم آباء الناس والناس أبنائهم . وكما نراه أوجب الرياضة البدنية والعفة على العامة وأوجبها على الجيوش وعلى الأمراء . إذن القاضي والأمير والملك يجب أن يكون أكلمهم وشربهم بسيطين وأن يكثروا التمرين الجسدى والعقلى بالعلوم الرياضية . وأن يفكروا في منظم الكون بحيث يقتربون منه بعقولهم حتى يحسوا بأنهم خلقوا أشبه بمخلقة الذهب في المعادن . فاذا استحقّ الذهب أن يكون حاكماً في معاملات الناس وله السيادة على المعادن فهكذا يجب أن يعلم القضاة الحقيقيون أنهم خلقوا لتلك

فقال : أنا الآن فهمت غوى كلام أفلاطون الناقل عن سقراط فأين هذا القول في القرآن وفي الحديث كما وعدت أنت ؟ فقلت : يقول الله تعالى في ﴿سورة البقرة﴾ يصف الملك - إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم -

فقال : هذا كلام اجالى فأين التفصلي كما فصل سقراط . فقلت : اقرأ القرآن . ألم تر أن هذا الملك نفسه هو الذى أمر قومه أن لا يشربوا من النهر وأن من شرب منهم لم يقدر على المقاتلة ومن لم يشرب أو شرب قليلاً حارب والذين لم يشربوا كانوا قليلاً والذين شربوا كانوا كثيراً ولم يحارب إلا أولئك الأفلون فاتصروا . وهل هذه القصة موجهة لأحد إلا اليها معاشر المسلمين الآن وذلك أن نعم الشعب الاسلامى العفة لتتم الصحة والعافية والشجاعة ويقل الاحتياج للأطباء : أفليس هذا يكون سبباً في قوة البدن المذكور في الآية وهو قوله - وزاده بسطة في العلم والجسم - . فقال : زدنى من هذا . فقلت : يقول الله تعالى - أذهبتم طبيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون - ويقول - واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمرناها تدميراً - ويقول - نخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً -

أفلا يكفيك هذا في أن ما قاله أفلاطون وسقراط قد وضح في القرآن . فقال : هذا في علم الحقوق فانا في الطب . فقلت : يقول الله سبحانه - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا - ويقول - أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير - فقرأ معنى هاتين الآيتين : الأولى في سورة الأعراف والثانية في سورة البقرة . فقال : أين التمرينات العضلية التي ذكرها أفلاطون . فقلت : انها في «السبق والرعى» الآتى الكلام عليهما قريباً هنا فقال : أين مقابل الموسيقى . فقلت : هي الصلاة فالصلاة التي جاءت بالوحى هي التي تحفظ كيان الأمة وتهذب أخلاقها . والبرهان على ذلك أن الصلاة عاشت بها أم وأمم وفتحوا بلاداً وبلاداً وعمروا أرض الله . أما

تعاليم أفلاطون فلم نجد لها أمدا دامت عشرات السنين . فقال : حسن هذا كله . فأريد الآن أن تفيض القول فيما جاء في السنة (١) من حيث بساطة الطعام والشراب (٢) ومن حيث التمرينات العضلية . فقلت : جاء في كتاب (رياض الصالحين) تحت عنوان «باب فضل الجوع» ما نصه :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : «ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض» متفق عليه (١) . وفي رواية «ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض» وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول «والله يا ابن أخي ان كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في آيات رسول الله ﷺ نار . قلت : يا خالة فما كان يعيشكم ؟ قالت الاسودان التمر والماء إلا انه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم مناجح وكانوا يرسلون الى رسول الله ﷺ من ألبانها فبسقيناه متفق عليه . وعن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه انه مرّ بقوم بين أيديهم شاة مصلية فدصوه فأنى أن يأكل وقال خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير . رواه البخاري . مصلية بفتح ليم أي مشوية * وعن أنس رضي الله عنه قال : «لم يأكل النبي ﷺ على خوان حتى مات وما أكل خبزا صرقتا حتى مات» رواه البخاري . وفي رواية له «ولا رأى شاة سميطا بعينه قط» * وعن الثعالب بن بشير رضي الله عنهما قال : «لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من النقل ما يملأ به بطنه» رواه مسلم . النقل تمر ردي * وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : «ما رأى رسول الله ﷺ النقي من حين ابتعثه الله تعالى حتى قبضه الله تعالى فقيل : له هل كان لكم في عهد رسول الله ﷺ مناخل ؟ قال ما رأى رسول الله ﷺ منخلا من حين ابتعثه الله تعالى حتى قبضه الله تعالى فقيل له كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول ؟ قال كنا نطحنه وتنفضه فيطير ما طار وما بقي ثريانه» رواه البخاري . وقوله النقي بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء وهو الخبز الحواري وهو الهرمك وقوله ثريانه هو بشاء مثلثة ثم راء مشددة ثم ياء مشاة من تحت مم نون أي بطناه وهجناء * وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أوليلة فاذا هو بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟ قالوا الجوع يا رسول الله قال وأنا والذي قضى بيده لأخرجني الذي أخرجكما قوما فقاما معه فأنى رجلا من الأنصار فاذا هوليس في بيته فلما رآته المرأة قالت مرحبا وأهلا فقال لها رسول الله ﷺ ابن فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء إذ جاء الأنصاري فنظر الى رسول الله ﷺ وصاحيه ثم قال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيفا مني فانطلق فجاءهم بعدق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا وأخذ المدينة فقال له رسول الله ﷺ إياك والحلوب فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما والذي قضى بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم . رواه مسلم . (قولها) يستعذب أي يطلب الماء العذب وهو الطيب ، والعذق بكسر العين واسكان الذال المهجمة وهو الكباسة وهي الفصن والمدينة بضم الميم وكسرها هي السكين والحلوب ذات اللبن والسؤال عن هذا النعيم سؤال تعديد النعم لاسؤال توبيخ وتعذيب والله أعلم ، هذا الأنصاري الذي أتوه هو أبو الهيثم بن التيهان كذا جاء مبينا في رواية الترمذي وغيره * وعن خالد بن عمر العدوي قال خطبنا عتبة بن غزوان وكان أميراه على البصرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فان الدنيا قد أذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها إلا صبابة كسبابة الاناء يتصاها صاحبها وانكم منتقلون منها الى دار لا زوال لها فاتكلموا بخير ما يحضركم فانه قد ذكر لنا أن الحجر يلقي من شفير جهنم فيهوى فيها سبعين علما لا يدرك لها قعرا والله لتتلاأن أفهجنم ولقد ذكر لنا

(١) مضى هذه أن البخاري ومسلم اتفقا عليه

أن ما بين مصرعين من مصارع الجنة مسيرة أر بعين علما وليأتين عليها يوم وهو كظيم من الزحام ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا فالتقت برودة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك فأنزرت بنصفها فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميراً على مصر من من الأمصار واني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً وعند الله صغيراً . رواه مسلم . قوله آذنت هو بعد الألف أي أعلمت وقوله بصرم هو بضم الصاد أي باقتطاعها وفنائها وقوله وولت حذاء هو بحاء مهملة مفتوحة ثم ذال مججمة مشددة ثم ألف بمدودة أي سريصة والصبابة بضم الصاد المهملة وهو البقية اليسيرة وقوله يتصابها هو بتشديد الباء قبل الهاء أي يجمعها والكظيم الكثير المتلئ ، وقوله قرحت هو بفتح القاف وكسر الراء أي صارت فيها قروح * وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال أخرجت لنا عائشة رضي الله عنها كساء وازارا غليظا قالت قبض رسول الله ﷺ في هذين (متفق عليه) * وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : « إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله ، ولقد كنا نفرز مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الحبة وهذا السمر حتى ان كان أحدنا ليضع كقاضع الشاة ماله خلط » متفق عليه . الحبة بضم الحاء المهملة واسكان الباء الموحدة وهي والسمر نوعان معروفان من شجر البادية * وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا » متفق عليه ، قال أهل اللغة والغريب معنى قوتا أي ما يسهل الرمي * وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال والله الذي لا إله إلا هو ان كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع وان كنت لأشد الجوع على بلثي من الجوع ، ولقد فعلت يوماً على طريقهم التي يخرجون منه فرتي النبي ﷺ فتبسم حين رأني وعرف ما في وجهي وما في نفسي ثم قال أباهرقت لبيك يا رسول الله قال ألقى ومضى فأتبعته فدخل فاستأذن فأذن لي فدخلت فوجد لنا في قديم فقال من أين هذا اللبن قالوا أهده لك فلان أرفلانة قال أباهرقت لبيك يا رسول الله قال ألقى إلى أهل الصفة فادعهم لي قال وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد ، وكان إذا أتته صدقة يث بها اليهم ولم يتناول منها شيئاً ، وإذا أتته هدية أرسل اليهم وأصاب منها وأشركهم فيها فساءني ذلك وما هذا اللبن في أهل الصفة كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها فاذا جاؤا أمرني فكنت أنا أعطيهم فقلت وما عسى أن يلبثني من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بد فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا واستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت قال أباهرقت لبيك يا رسول الله قال خذ فاعطهم قال فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم ردت على القدح فأعطيه الآخر فيشرب حتى يروى ثم ردت على القدح حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد روى القوم كلهم فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إلى فتبسم فقال أباهرقت لبيك يا رسول الله قال بقيت أنا وأنت قلت صدقت يا رسول الله قال أقعد فأشرب فقعدت فشربت فقال اشرب فشربت فما زال يقول اشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق لأجد له مسلماً قال فأراني فأعطيته القدح فحمد الله تعالى وسمى وشرب الفضلة . رواه البخاري * وعن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لقد رأيتني واني لأخر فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة رضي الله عنها مغشياً على فيجئ الجائي فيضع رجله على عنقي ويرى أتي مجنون وماي من جنون ما ي إلا الجوع . رواه البخاري * وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعاً من شعير ، متفق عليه * وعن أنس رضي الله عنه قال « رهن النبي ﷺ درعه بشعير ومشيئت إلى النبي ﷺ بخبز شعير وأهالة سنخة ، ولقد سمعت يقول ما أصبح لآل محمد صاع ولا أمسى وانهم لتسعة آيات ، رواه البخاري . الأهالة بكسر الهمزة الشعم القناب والسنخة بالنون والهاء المعجمة وهي المتغيرة * وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء إلا ما

لزلر ولما كناه قد ربطوا في أعناقهم منها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن
 ترى عورته . رواه البخاري * وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان فراش رسول الله ﷺ من آدم
 حشوه ليف » رواه البخاري * وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا جالسا مع رسول الله ﷺ إذ
 جاء رجل من الأنصار سلم عليه ثم أدبر الأنصاري فقال رسول الله ﷺ يا أبا الأنصار كيف أخى سعد بن
 عبادة (١) قال صلح فقال رسول الله ﷺ من يهوده منكم فقام وقتنا معه ونحن بضعة عشر ما علينا فقال
 ولا خفاف ولا قلائس ولا قص نمشي في تلك السباح حتى جشناه فاستأخر قومه من حوله حتى دنا رسول الله
 ﷺ وأصحابه الذين معه . رواه مسلم * وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي ﷺ انه قال
 « خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » قال عمران فما أدري قال النبي ﷺ مرتين أو ثلاثا ثم
 يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويحسبون ولا يؤمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن
 متفق عليه * وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يا ابن آدم انك ان تبدل الفضل خير
 لك وان تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول . رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح * وعن
 عبيد الله بن محسن الأنصاري الخطمي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من أصبح منكم آسأفي
 سر به ، معافي في جسده ، عند قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » رواه الترمذي وقال حديث
 حسن . سر به بكسر السين المهمة أي نفسه وقيل قومه * وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله
 عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافا وقنعه الله بما آتاه » رواه مسلم
 * وعن أبي محمد فضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه انه سمع رسول الله ﷺ يقول طوبى لمن هدى
 للإسلام وكان عينه كفافا وقع . رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح * وعن ابن عباس رضي الله
 عنهما قال كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز
 الشعير رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح * وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ
 كان اذا صلى بالناس يختر رجال من قانتهم في الصلاة من الخصاصة وهم أصحاب الصفة حتى يقول الأعراب
 هؤلاء مجانين فاذا صلى رسول الله ﷺ انصرف اليهم فقال : لو تعلمون مالكم عند الله تعالى لأحييتكم أن
 تردادوا فاقه وحاجه . رواه الترمذي وقال حديث صحيح . الخصاصة الفاقة والجوع الشديد * وعن أبي كريمة
 القناد بن معديكرب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ماملأ آدمى وعاء شرا من بطن
 بحسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه ، فان كان لا يحمله فثالث اطعامه ، وثالث لشربه ، وثالث لنفسه . رواه
 الترمذي وقال حديث حسن . وقوله أكالات أي لقم * وعن أبي أمامة إياس بن ثعلبة الأنصاري الحلبي
 رضي الله عنه قال : « ذكر أصحاب رسول الله ﷺ يوما عنده الدنيا فقال رسول الله ﷺ ألا تسمعون
 ألا تسمعون ان البذاذة من الايمان ان البذاذة من الايمان يعني التقهل . رواه أبو داود . البذاذة بالباء
 الموحدة والقاف المجهتين وهي رثانة الهية وترك فخر اللباس ، وأما التقهل فبالقاف والحاء قال أهل اللغة
 التقهل هو الرجل اليابس الجلد من خشونة العيش وترك الترفه * وعن أبي عبد الله جابر بن عبد الله
 رضي الله عنهما قال بشنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبا عبيدة رضي الله عنه فتلقى عبالقرش وزودنا جوبا
 من تمر لم يجد لنا غيره فكان أبو عبيدة يطينا تمر تمر فليل كيف كنتم تصنعون بها قال نعمها كما يصنع

(١) « فائدة » سعد بن معاذ الأنصاري رضي الله عنه هو سيد الأوس كنيته أبو عمرو وهو الذي ثبت في

الصحيح أن رسول الله ﷺ قال فيه « اهتر عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ » وفيه أشدوا :

وما اهتر عرش الله من موت هالك * سمعنا به إلا لسعد أبي عمرو

انتهى من هامش بعض النسخ منقولاً من خط المصنف رحمه الله تعالى اه

الصبي ثم نشرب عليها من الماء فتكفيها يومنا الى الليل وكنا نضرب بصينا الخبط ثم نبله بالماء فناكله قال
 وانطلقنا على ساحل البحر ففرغ لنا على ساحل البحر كهيئة الكتيب الضخم فأتيناه فاذا هي دابة تدهى الضبر
 فقال أبو عبيدة ميتة ثم قال لا بل نحن رسل رسول الله ﷺ وفي سبيل الله وقد اضطررتم فاكلوا فأتنا عليه
 شهرا ونحن ثلثائة حتى سمننا ولقد رأينا نغترف من وقب عينه بالقلال الدهن وقطع منه الفدر كالثور أو كقدر
 الثور ، ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم في وقب عينه وأخذ ضلعا من أضلاعه فأقامها ثم
 رحل أعظم بعير معنا فمر من تحتها وزودنا من لحمه وشائق فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا
 ذلك له فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم من لحمه شيء فتعلمونا فأرسلنا الى رسول الله ﷺ منه
 فأكله . رواه مسلم . وقوله الجراب وعاء من جلد معروف وهو بكسر الجيم وفتحها والكسر أضح ، وقوله نصحا
 بفتح الميم ، والخبط ورق شجر معروف تأكله الابل ، والكتيب اطل من الرمل ، والوقب بفتح الواو واسكان القاف
 وبصدها باء موحدة وهو قرة العين ، والقلال الجرار ، والفدر بكسر الفاء وفتح الهمزة القطع ، وقوله رجل
 البعير بتخفيف الحاء أى جعل عليه الرجل ، والشائق بالشين المجهمة والقاف اللحم الذى اقتطع ليخدمته
 والله أعلم * وعن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها قالت كان كم فيص رسول الله ﷺ الى الرصغ . رواه
 أبو داود والترمذى وقال حديث حسن . الرصغ بالصاد والرسغ بالسين أيضا هو المنصل بين الكف والساعد
 * وعن جابر رضى الله عنه قال : « إنا كنا يوم الخندق نحفر فحضرنا كدية شديدة فجاءوا الى النبي ﷺ
 فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق فقال أنا نازل ثم قام وبلغه مصوب بحجر ولبينا ثلاثة أيام لانذوق ذواتنا
 فأخذ النبي ﷺ المحول فضرب فعاد كتيبا أهيل أو أهيم فقلت يا رسول الله انذن لى الى البيت فقلت
 لامرأتى رأيت بالنبي ﷺ شيئا مافى ذلك صبر أفعدك شيئا فقلت عندي شعير وعناق فذبحت العناق
 وطعمت الشعير حتى جعلنا اللحم فى البرمة ، ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي
 قد كادت تنضج فقلت طعمي (كذا) لى فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان قال كم هو فذكرته فقال كثير طيب
 قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التور حتى آتى فقال قوموا فقام للمهاجرون والأنصار فدخلت عليها فقلت
 ويحك قد جاء النبي ﷺ والمهاجرون والأنصار ومن معهم قالت هل سألك قلت نعم قال ادخلوا ولا تضاعطوا
 جهل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويحمر البرمة والتور اذا أخذ منه ويقرب الى أصحابه ثم يزع فلم يزل
 يكسر ويفرف حتى شعوا وبتى منه فقال كلى هذا وأهدى فان الناس أصابهم مجاعة « متفق عليه وفي رواية
 قال جابر « لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خما فأنكفأت الى امرأتى فقلت هل عندك شيئا فأتى رأيت
 برسول الله ﷺ خما شديدا فأخرجت الى جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها وطعمت
 ففرغت الى فراغى (كذا) وقطعتها فى برمتها ثم وليت الى رسول الله ﷺ فقلت لا تضاعطنى رسول الله ﷺ
 ومن معه جئت فساررته فقلت يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطعمت صاعا من شعير فتمال أنت ونفر معك
 ضاح رسول الله ﷺ فقال يا أهل الخندق إن جابرا قد صنع سورا خبيلا بكم فقال النبي ﷺ لا تخرن
 برمتكما ولا تخرن عجينكم حتى أجيء جئت وجاء النبي ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتى فقلت بكم
 فقلت قد فعلت الذى قلت فأخرجت عجينا فبسط فيه وبارك ثم حمد الى برمتنا فبسط وبارك ثم قال ادع خبزة
 فلتخبز معك واقدحى من برمتكم ولا تنزلوها وهم ألف فأقسم بالله لا كلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا
 لتفط كما هي وان عجيننا ليخبز كما هو « وقوله عرضت كدية بضم الكاف واسكان الهمزة وبالياء المثناة تحت
 وهى قطعة غليظة صلبة من الأرض لا يسحل فيها الفأس ، والكتيب أصله تل الرمل والمراد هنا صارت ترابا
 ناعما وهو معنى أهيل ، والأثافي الأشجار التى يكون عليها القدر وتضاعطوا تراحوا والمجاعة الجوع وهى بفتح
 الميم والمضم بفتح الحاء المجهمة والميم الجوع ، وانكفأت اقلبت ورجعت ، والبهيمة بضم الباء تصغير بهيمة

وهي الضائق بفتح العين ، والداجن هي التي ألفت البيت ، والسور الطعام الذي يدهى الناس إليه وهو بالفارسية
وحبلا أي تعالوا وقولها بك وبك أي خاصته وسبته لأنها اعتقدت أن الذي عندها لا يكفيهم فاستجبت
وخفي عليها ما أكرم الله سبحانه وتعالى به نبيه ﷺ من هذه المعجزة الظاهرة والآية الباهرة ، بسق أي
بسق ويقال أيضا بزق ثلاث لغات وهمد بفتح الميم أي قصد . واقضى أي اغفرى ، وللمقدحة المفرقة ونقط أي
لغليتها صوت والله أعلم * وعن أنس رضي الله عنه قال قال أبو طلحة لأبي سلمة قد سمعت صوت رسول الله
ﷺ ضيقا أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء ؟ فقالت نعم فأخرجت أقرصا من شعيرم أخذت خبثا
لما قلت الخبز بيضه ممدته تحت ثوبي وردتني بيضه ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ فذهبت به فوجدت
رسول الله ﷺ جالسا في المسجد ومعه الناس فحدث عليهم فقال رسول الله ﷺ أرسلك أبو طلحة
فقلت نعم . فقال الطعام ؟ فقلت نعم . فقال رسول الله ﷺ قوموا فانطلقوا وانطلقت بين أيديهم حتى
جئت أبا طلحة فأخبرته فقال أبو طلحة يأم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما يطعمهم
فقال الله ﷻ ورسوله أعلم فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ معه حتى دخلا
فقال رسول الله ﷺ هلما ما عندك يأم سليم فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ ففت وعصرت
عليه أم سليم عكة فأدتمه ثم قال فيه رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقول ثم قال اتنن لعشرة فأذن لهم
فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال اتنن لعشرة فأذن لهم فأكلوا ثم خرجوا ثم قال اتنن لعشرة حتى
أكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون رجلا أو ثمانون متفق عليه . وفي رواية « فإزال يدخل عشرة
ويخرج عشرة حتى لم يبق منهم أحد إلا دخل فأكل حتى شبع ثم هيأها فإذا هي مثلها حين أكلوا منها »
وفي رواية « فأكلوا عشرة عشرة حتى فعل ذلك ثمانين رجلا ثم أكل النبي ﷺ بعد ذلك وأهل البيت
وتركوا سؤرا » وفي رواية « ثم أضلوا ما يطعموا جيرانهم » وفي رواية عن أنس قال جث رسول الله ﷺ
يوما فوجدته مع أصحابه وقد عصب بطنه بصابة فقلت لبعض أصحابه لم عصب رسول الله ﷺ بطنه ؟ فقالوا
من الجوع فذهبت إلى أبي طلحة وهو زوج أم سليم بنت ملحان فقلت يا أبا طلحة قد رأيت رسول الله ﷺ
عصب بطنه بصابة فسألت بعض أصحابه فقالوا من الجوع فدخل أبو طلحة على أبي فقال هل من شيء فقالت
نعم عندي كسر من خبز وتمرات فان جاءنا رسول الله ﷺ وحده أشبعناه وان جاء آخر معه قلّ هتتم
وذ كرم الحديث . انتهى ما أردته من كتاب « رياض الصالحين » والحمد لله رب العالمين

فلما سمع ذلك صاحبي قال : لقد أصبحت موقنا أن دين الإسلام في المستقبل سيفهم فهما غيره بالأمس
فقد ثبت في الصحيح أنه ﷺ كان يجوع هو وأصحابه ، وأن خبزه لا ينخل ، وأن أهله ينته بمرّ عليهم
الخلل والخلل والخلل فلا يوقدون نارا ، ومعنى هذا أنهم عاشوا عيشة الصحة فإن العلم اليوم أثبت أن الخبز بدون
التنخلة والسق كله ضرر كاتقدم في هذا التفسير ، فترك التنخلة والسق اليوم جهالة تورث الأمراض والشقاء
والثقل وأثبت أيضا أن القوة لا تكون إلا فيما لم يطبخ ، أما الطعام المطبوخ فإن قوته قد ذهب أكثرها . إذن
عند طبخ الطعام أيضا صحة جيدة أثبتته الطب الحديث . إذن النبوة المحمدية في واد والمسلمون في واد ،
فالمسلمون ينحلون المقيي ويكترون الطبخ ويتفاني علمائهم وصلحاءهم وماؤكهم في ألوان الطعام جهلا منهم
فلاهم أطاعوا النبي ﷺ ولاهم قرؤا العلوم الطبية الحديثة المشروح مقصودها في هذا التفسير فيما تقدم
ولقد نجد السيدة فاطمة رضي الله عنها كافي حديث البخاري تطلب منه ﷺ أن يعطيها جارية من السبي
لتساعدتها في طحن الدقيق بالرسى فأبى وأمرها بالعبادة علما منه أن الطاحن يعطى الجسم قوة فقد جفت
إذن بين العفة وتمارين العضلات فإزدادت قوتها واذ ظهرت هذه الحقيقة ونسجت فأرجو أن تذكر ما وعدت
به من « السبق والزمي » فقلت جاء في كتاب « تيسر الوصول . لجامع الأصول » تحت العنوان الآتي ما نصه

﴿ كتاب السبق والرمي ﴾

(وفيه فصلان)

﴿ الفصل الأول في أحكامهما ﴾

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لاسبق إلا في خف أو حافر أو فصل » أخرجه أصحاب السنن . والمراد بالخف الأبل والخافر الخيل وبالفصل السهم . والسبق بفتح الباء الجعلل وبأسكانها مصدر سبقت أسبق سبقا . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « كان رسول الله ﷺ يضر الخيل يسابق بها » أخرجه أبو داود . وعنه رضي الله عنه قال : سابق رسول الله ﷺ بين الخيل وفضل القرح في الغاية » أخرجه أبو داود . وعنه رضي الله عنه قال : « أجرى رسول الله ﷺ ما ضر من الخيل من الخفاء إلى نية الوداع وما لم يضر (بتشديد الميم) من النية إلى مسجد بني زريق » أخرجه الستة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من أدخل فرسا بين فرسين وهو لا يأمن أن يسبق فليس بقمار ، ومن أدخل فرسا بين فرسين وقد آمن أن يسبق فهو قمار » أخرجه أبو داود .

وعن أنس رضي الله عنه قال كان للنبي ﷺ ناقه تسمى الضياء لانسبق فجاء امرأته على قومود فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال ﷺ حتى على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه » أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي

وعن قميم اللخمي قال : قلت لعقبة بن عامر رضي الله عنهما تختلف بين هذين الغرضين وأنت شيخ كبير ويشق عليك فقال لولا كلام سمعته من رسول الله ﷺ لم أعانه سمعته يقول : « من تعلم الرمي لم تركه فليس منا ، أو قد عصى » أخرجه مسلم ومعاوية الشيء مقاساته وما لبست .

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صافه المحتسب في عمله الخبير ، والرامي به ، والمعد به » وفي رواية « ومنبله فارموا وأركبوا وأحب إلى أن ترموا من أن تركبوا ، كل طوباطل ، ليس من الله محمود إلا ثلاثة : تأديب الرجل فرسه وملاعبته أهله ، ورميه بقوسه ونبله ، فانهن من الحق ، ومن ترك الرمي بعد ما علمه فانها نعمة تركها أو قال كفرها » أخرجه أصحاب السنن ، وهذا انظر أبي داود ، والمنبل الذي ينزل الرامي النيل يرى به وهو المنبل به وقوله كفرها أي جحدتها

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ على نفر من أسلم يتغلبون بالسوق فقال ارموا بني اسماعيل فإن أباكم كان راميا . ارموا وأنا مع بني فلان فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال مالك لارموني ؟ فقالوا كيف نرمي وأنت معهم ؟ فقال ارموا وأنا معكم كلكم . أخرجه البخاري اه

فلما أتمت ذلك قال صاحبي الآن حصص الحق . لقد استبان الآن أن كثيرا من علوم الأمم مفصلات وميقات ومشيرات لمعاني القرآن والافكتاب السبق والرمي يقرؤه المسامون في جميع أقطار الاسلام ولا يعمل كثير منهم به فوجب على طلاب العلم جميعا وأكثر العامة أن يكون لهم ساعة في كل أسبوع ليتقنوا هذا الفن لأنه يعطي قوة بدنية وصناعة حربية وشجاعة . والمحافظة على الصلاة تؤلف بين القلوب لاسيما إذا كانت في جهاة وهذا قوله ﷺ « الصلاة وما ملكت أيمانكم » للإشارة إلى أن الصلاة أثرها فضلا في المعاشرة وهذا سر قوله تعالى - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر -

إن سقراط يقول « الموسيقى تهذب الخلق ولكن لها شروط فإذا فقدت فسدت الأخلاق واحتاج الناس إلى القضاء » فأما الصلاة فانها اذا زادها الانسان فانه يقرب من ربه وقد دلت التجربة على أنها تنهى عن الفحشاء

والشكر كنص الآية . وقد تقدم قول بن تميم أن النظافة تحسن الأخلاق ولم يذكر الصلاة وعد هذه النظافة من محاسن الدين الاسلامي ونسى هو أن يذكر الصلاة لأنها ليست من دينه فهو يجهلها . وعليه يجب على الأمم الاسلامية

(١) أن تذيب الصنائع اليدوية بين المتعلمين لأنها تقوى البدن والعقل

(٢) وأن تذيب السبق والري

(٣) وأن تصمم تعليم الجندي بقدر الامكان

(٤) وأن يكون القضاء من أفضل هؤلاء وأعلمهم

(٥) وأن يكون الأمراء والملوك أعلى من الجميع أخلاقاً وعلماً وصحة واستقامة فيكون علمهم أكل وأجسامهم أصح وآراؤهم أعلى ، فأما الانكسار على نسبتهم لآبائهم وحدها فانه ضرر ومخالف للدين الاسلامي ، فليكن للملوك والقضاة أصح أجساماً وأرق عقولاً وعلوماً من جميع الأمم المحكومة بهم

وإذا وجدنا أن النحل تربي خشرها أي الملكة التي تحكمها وهكذا الأرض فلماذا لا تربي الملوك والقضاة تربية خاصة كما فعلت هذه الطوائف من الحشرات . ألم تر أن النحل تجعل عملاً أبيض خاصاً بالملكة التي تربيها فيكون جسمها أكل وتمييزها أتم ، وهكذا نجد ملكة الأرض أكبر حجماً وأقوى تميزاً من جميع مالكتها كما تراها مرسومة فيما تقدم في ﴿سورة سبأ﴾

قالت الذي أطم بعض الحشرات أن تربي رؤسها تربية خاصة هو نفسه الذي يقول في القرآن - وزاده بسطة في العلم والجسم - والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم -

فليعلم المسلمون ذلك وليعملوا به والله هو الولي الحميد . كتب ليلة الأربعاء بعد نصف الليل ٢٥ يونيو سنة ١٩٣٠ بشارع زين العابدين بقسم السيدة زينب بمصر المحروسة . تحت اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

(في قوله تعالى - رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب *)

فسخرناه للريح - الخ)

اعلم أن الناس بالنسبة للنم على ثلاثة أقسام : عامة ، وخاصة ، وخاصة الخاصة . فأما العامة فانهم يفرحون بظواهر النعم مثل روائحها العطرية ولذاتها المختلفة وبهجة زيتها والافتخار بكثرتها وازدحام مخازنهم بها وتحتت الناس بفنائهم واعظامهم في المجالس لكثرة أموالهم . وأما الخاصة فانهم لا يقفون من النعم عند ظواهرها وإنما يفتنهم من الأغذية ما يزيدهم الصحة ويعطيهم العافية ويزدرون ما وراء ذلك من اللذات التي يفرح بها العامة ، ولا يقفون في الموسيقى عند ظواهر نغماتها ، ولا في الفلك عند ظواهر حساب الشهور والسنين الذي ينفعهم في نظام الحياة بل يرتقون الى ما فوق ذلك من التجبب من القرائن البديعة المحكمة التي تظهر في الأشعار والموسيقى ونفحات الطيور وعلم الفلك وحساب الأوزان في علم الكيمياء مثل ما في تركيب الماء من الاكسوجين والادروجين . فهذه كلها نسباً منظمة موسيقية لأن نسبها كلها هندسية على وتيرة واحدة فهناك تصح العلوم كلها عندهم علماً واحداً ونظاماً واحداً ويمسكون في نفوسهم بسعادة عليية . وأما خاصة الخاصة فهم يرتقون فوق هؤلاء درجة ولا يكتفون بهدايا الملك ونعمه واحسانه والنظر في ملكه وسياسة دوله بل يشعرون بقرينهم منه ولطفه وعطفه عليهم وموانسته لهم . وهناك يجدون لذة فوق الطائفتين السابقتين (انظر هذا المقام مشروحاً في ﴿سورة يس﴾ عند آية - والشمس تجري لمستقر لها - الخ) فهنا تقول اذا كان سليمان عليه السلام طلب أن يعطيه الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فلن يكون إلا من الطبقة الثالثة

بل هو في أهل طبقات هذه البرجة وليس يريد لجرد ظواهر الطيارة الطائرة في الريح على سبيل المجرة
ولالجرد عظمة الملك وسطوته والجرد حفظ ملكة بني اسرائيل وأنها بل هو يريد ما هو أعلى من ذلك وهو
أن يفرح بالثمن من حيث هو منم لا بالنعمة فالنعمة وسيلة لا غاية . فإذا فرح العامة بالنعمة لأجل ثباتهم هم
وخدموا ربهم على ذلك . وإذا فرح الخاصة بالثمن من حيث أنها صادرة من الله تعالى واثم أهل لرعايته
واختصاصه بخاصة الخاصة إنما يفرحون بالثمن نفسه من حيث هو منم . فلذلك الذي طلبه سليمان عليه السلام
الذي لا ينبغي لأحد من بعده هو المذكور في الآية وهي تسخير الريح وما بعده . وهذا الملك لم يشاركه فيه أحد
الآثرى أن الريح لم تسخر لموسى ولا عيسى ولا نبينا ﷺ وإذا ظهرت الطيارات في الجوّ اليوم فلم تكن
إلا بالصناعات العلمية والحذق والبرية والمران في تلك الصناعات ولم تسخر الريح لأحد منا وإنما التسخير
هناك بلاصنعة صانع ولا حكمة حكيم فهي هناك مجرزة وهنا صناعة كما ان الجهال قد يعرفون بعض المستقبل
بطريق الرّيا ولكن الأنبياء يعرفون بعض المستقبل بالوحى فهما وان كانا من عالم واحد قد اختلفا وأحدهما
أقلّ من الآخر (٤٥) مرة وليس يطلب سليمان الملك من حيث هو ملك كالعامّة بل طلبه من حيث انه وسيلة
للاقتبال من النعمة الى الثمن وهناك يصل الى الغاية المطلوبة والنعمة المحبوبة ويرتقى من الأدنى الى الأعلى
في لمح البصر وهو أقرب ويكون ظواهر الملك هنا أشبه بالنعمة اللواتي ترجع بالنفس الى عالم الجلال والكمال
وظواهر الجلال المذكورات بالمبدع الحكيم

أما نبينا ﷺ فإنه أعطى الكوثر وهي الثمن الكثيرة وأعطى المقام المحمود الذي بحمده فيه الأولون
والآخرون فالجهتان منفكتان ، فليمان طلب نعمة الملك الدنيوي ليكون القرب من هذه الناحية ، فأما
موسى فبالكلام ، وأما عيسى فبالروحانية العامة ، وأما محمد ﷺ فبأمور كثيرة من مقام الحمد والكوثر
وهكذا . انتهت الطيفة الثالثة والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

(في قوله تعالى - قال فبعتك لأغوينهم أجمعين -)

عزّ الله وتعالى وتزوّده أن يطلع على جماله وبهاء كماله وحسن اتقائه وعجيب نظامه إلا أولوا الأبواب ، أما
أكثر الناس فإن لهم في بدوهم وحضرهم ومدنهم وقراهم وجهلهم وشهواتهم في ما كلهم وملبسهم واقطارهم
بجاههم ومالهم وأحسابهم وأنسابهم ، وفي أضغانهم وأحقادهم على أعدائهم وتنافسهم وتكاثرهم لشغلا شاغلا
وغمرات هم فيها ساهون

قدما غوى ابلبس آدم ، وسدبثا غوى ذرّيته ، والتاريخان متطابقان ، الآثرى رعاك الله أن بني آدم
فوق الأرض قد مثلوا نفس القمص الذي ذكره الله في آدم ، آدم أضواء ابلبس فأكل من الشجرة فبدت
له هو وزوجته سواتهما فواريا عورتاهما بورق الشجر وأخرجوا من الجنة وأصبح الأبناء أعداء وأخذوا
يسعون للرزق ليلا ونهارا

هذه قصة آدم فانظر في قصة بنيه ولا يبتك عنها إلا الجغرافية الأرضية عند تفصيلها ، فهناك قوم في خط
الاستواء عشر عليهم السأمحون قريبا لا يجعلون بينهم وبين ضوء الشمس سترًا ، فهم يعيشون عراة ويموتون
عراة كما أنبته الرحلة (ستانلى) وتمرّ على القوم عشرات السنين فلا يسمع الناس عنهم بفاحشة ولا خنا ولا زنا
وهم من هذه المفاسد آمنون . ثم انظر بعد ذلك الى ما تقدّم في آخر ﴿ سورة يس ﴾ في آية - الذي جعل
لكم من الشجر الأخضر نارًا - وكيف رأيت ذلك الشكل المرسوم فيه صورة الرجل الذي تحلى بملابس في
بعض جزائر المحيط وكلها من ورق الموز . ألبس أولئك العراة يقابلون آدم قبل الأكل من الشجرة وذلك

الرجل الذي لبس ورق الشجر الذي رأته يمثله وزوجته بعد أن ارتكبا الخطيئة . وسوس الشيطان لحواء وهي ساعدته على اقواء آدم فبنينا عبث البساطة والسهولة وأخذنا يتفتنان في طرق الحياة ويزولان حياة جديدة ما كان أعضاها عنها لولا القدر المقدور . وقس الشيطان وسوس لأبناء آدم كذلك فأخذ يدخل بين رجال القبائل ونسائهم ويصطنع العقول في أقصى السودان وجزائر المحيط ويقول لأولئك العراة الذين يجهلون الخنا والزنا ويمشون في مجبوحة الهناء والرخاء يقتنون من الفاكهة ويشربون من شلبيل الصبوت ولا يصيبهم في حياتهم نصب ولا يحل بساحتهم طيب ولا جراح أريب إذ لا مرض يزورهم ولا يؤس يصيبهم وهم في جنة الأرض التي هم بها آمنون . فلا تزال الوساوس تنقل في قلوبهم والهلوجس تابع في أفئدتهم حتى يتبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير . وهل الأذى إلا التماسد عن الحياة الطبيعية رويدا رويدا والتهافت على ما نبتت الأرض من بقلها وقثائها وقومها وعدسها واصلها وقطنها وتيلها وحجر حودها من كل ما لا ينبت إلا بشق الأضس ولا يحصل إلا بكثرة الرجل وجمدة المرأة ومن اولة الطبع والحرق والسقي والحصد والتجزن ومقاومة الأعداء ودفع ضرائب الحكومات والغزل والنسيج والنميطة والفضل والتنظيف وإظهار الزينة والتغالي في إبداء الحاسن والتبجح بأنواع الصنع والتلوين والتطريز وما أشبه ذلك من كل ما استغنى عنه القرقي الأول الذين هم في جنات الحياة يسعدون ، إذن تاريخ الانسان الحاضر في كرتنا الأرضية اليوم أعاد لنا تاريخ آدم المذكور في القرآن ، بأسبحة ان الله ، لماذا يكرر الله لنا قصة آدم في بضع مواضع في القرآن ؟ ولماذا يبيدها تكررنا مع قصة ابليس ؟ أما الجهلاء وصغار العلماء في كرتنا الأرضية فهؤلاء يقرؤن ولا هم يدركون ، فأما الحكماء ولما أولوا الأبواب فهم الذين يدركون ويقولون : « لقد تكررت قصة آدم واغواء ابليس له تذكيرا لنا نحن فلم يكن الله بالقرآن ليعلم آدم ولابنيه ولاحواء وزوجه وانما يريد أن يعطينا النموذج الذي ظهر لنا بالتساع العلوم في زماننا ، فأدم لم نره ولكننا رأينا آثار القصة فينا ، فبنينا العراة الأطهار كآدم في أول أمره وفينا الذين خصفوا ورق الشجر على أجسامهم ، وفينا فتاة نابت فوا كه الجنة الأرضية ما سلا وأوراقها ملبسا وأخذت تجت في استنبات الأرض لتسد الحاجة في مطعمها وملبسها ، فنظر الله للناس نظر الأب الشفيق لطفه المصير - والله المثل الأعلى - إذ يلح في الطلب فيجاب لما طلب فأكثر لهم الماء كل والملابس وعلى مقدار قننتهم أعطاهم ما سألوا وذلك رحمة منه لأنه يعطي بقدر ويمنع بقدر وهؤلاء هذه مرتبتهم من الوجود وهذا استعدادهم في الحياة

هذه هي قصة الانسان الموافقة لقصة آدم . فهذه قصة جغرافية وافقت القصة التاريخية الأثرية . والعلم إن لم يجر العمل ضائع . والكلام إذا لم يفسد سامعه فوائده فلماذا يقوله . ومن أجل مقامد هذا التاريخ الذي استوى فيه آدم وبنوه أن نفكر نحن معاشر المسلمين في زماننا وقول : « التاريخ للعبرة أما مجرد القراءة أو التبعيد فانهما مبدآن لانهايتان وهذا التاريخ يعلمنا أن هذا الانسان كاه استبدته الشهوات وأفسده للبيئات وأخذ في طعامه وشرايه ولباسه يخطب خطب عشواء ويمشي على غير الصراط السوي حتى أصبحت أنواع المخترات وأصناف الملابس الصناعية يستعملها المستعمرون شبكة يسطادون بها الضعفاء من الأمم ويسترقبون الضالين . إذن هذه الشهوات الطارئة اتخذها الانسان وسائل لاذلال أخيه بالتجارة كما اتخذها الشيطان قديما وسيلة لاستدراجه فأخرجه من الجنان . إذن لا تقة بما عليه حال هذا الانسان الآن في جميع ضروب الحياة . وليس اسبغ النعم وتراكم الخيرات واللذات بدليل على أن هذه سعادات للانسان . فاذا حرمتنا من نعمة الحياة الأولى التي خلقت من ذل الكد والكسح ومن ذل الفواض التي فيها عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولا سبيل للرجوع اليها فعلينا أن نبحث ضروب هذه الحياة من جديد . ولكن لبس معنى ذلك اننا نترك الأمم حولنا وشأنها . كلا . بل علينا أن ننظر ماذا قال العلماء في عصرنا في هذا الموضوع ولأى حد

وصلوا . فإذا عرفنا آراءهم وجب علينا أن ندقق في أبحاثهم وننظر في آرائهم ونمتحنها ونساعد في رقي نوع
الانسان لأن الناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم
والتي وصل إلينا الآن من آراء الأمم في هذا الموضوع أي موضوع الملابس كل والملابس شذرات تصلح
للبحث فيها والنظر والتأمل وتلك الشذرات ترجع الى مسألة (الفيتامين) أي مادة الحياة التي لم يعرفها الناس
إلا في قرنتنا هذا وهو القرن العشرون . يقولون إن ضوء الشمس هو القوة التي نستمد منها الحياة . فالجذب
والفاكهة قطعنا قوة وهي التي اكتسبتها من نور الشمس والطعام المطبوخ والمحفوظ في العلب والمغلي وما أشبه
ذلك كله قد ماتت منه تلك القوة فليس مفيدا لنا . ونظريه النوع الانساني في حرارة النار التي يخبز بها الخبز
ويطبخ بها الطعام نظرية خاطئة كاذبة . ولا معنى لطبخ الطعام بالنار إلا إماتة الحياة منه . ولا معنى لجلده في العلب
أمدًا طويلًا إلا أنه يفقد خواصه وتزهق منه روح الحياة ، وهذه الملابس الحريرية والقطنية والكتانية ماهي
إلا موانع من سعادة الحياة وستة حصين وسور يفضل ما بين أجسامنا وحرارة الشمس التي بها الحياة ، وإذا
كنا نحتاج على الحياة بتعاطي الجيوب والفواكه التي خزنت فيها أضواء الشمس فندخلها في أجسامنا لتعطينا
قوة الحياة الشمسية المخزونة فيها فأولى ثم أولى أن نلاقها بأجسامنا مباشرة فلامسها كما نلامس كل نبات
وكل حيوان فندخل في منافذه وتصل بعروقه وتساعد دورته الشموية فتعطي النشاط

﴿ اعترض على المؤلف وجوابه ﴾

بينما أنا أكتب هذا إذ حضر صديقي العالم الذي اعتاد أن يناقشني في هذا التفسير فقال : ما أجمل قولك
وما أبينه وما أحسن هذا الاستنتاج ولكن هناك أمر جدير بالذكر وهو أنك بهذا خالفت أصول الدين ونبلت
سلوك سبيل المؤمنين ، أتريد أن الناس يصلون وهم عراة ؟ أم تريد أن يتجرد الرجال والنساء من الملابس
ومن حلال هذا فقد كفر والبيد بالله تعالى ، أنت لست كسقراط إذ بحثت تلاميذه ولادين له . كلا . إنك
الآن في تفسير القرآن فلتكن المباحث غير خارجة عن الشرائع الاسلامية . فقلت : أيها الأخ : هل رأيته
لوحت أوصرت بما تقول ؟ فقال : كلا . ولكنك عممت القول وهذا ربما يأخذه جاهل أو حاسد فيؤثمه
الى ما ذكره . فقلت : أذكرك بأني قلت في أول هذا المقال اننا نريد أن نقرأ مباحث الأمم ثم نبص فيها
لا انني أتعمت البحث وهل الانسان يستغرق في الطعام طول نهاره ؟ قال : كلا . بل يكون وقتا دون وقت .
قلت فليكن هكذا استضافة أكثر الجسم بضوء الشمس وقتا دون وقت مع مراعاته الشرع ، أنا أذكرك
بقصة آدم في ﴿ سورة الأعراف ﴾ ألم تر أن فيها خصف الورق على جسمه وجسم زوجته ليواريا سواتهما
قال بلى . قلت : ألم أقل لك ان الحال الأولى لا سبيل للرجوع اليها . قال بلى . قلت : أنت ذكرت ذلك في أول
هذا المقال تريد بذلك أن هنا أحوالا جديدة يجب البحث فيها . قلت : ألم يقل الله في هذه الحال الجديدة
- يا بني آدم خنوا زينتك عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين - فأباح لنا كل ما
أعطانا ولكنه أعلننا بأنه لا يجب المسرفين منا ، وقال - يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سواكم
وريشا ولباس التقوى ذلك خير - فجعل المذار على التقوى ورفعة النفس ، فأما اللباس الظاهري فالشرع عراهي
فيه الأحوال الطاهرة على الانسانية إذ - لا يكلف الله نكالا ولا وسعها - وليس في سعة الناس التخلى عن
عادتهم في الملابس ، فلا نبياء لا يكفون الناس ما لا يطيقون فيقولون كونوا عراة كما يكفكم آدم بل ينظمون
بأمر الله أحوالهم التي هم عليها ، والنظام هو الاعتدال وعدم الاسراف ولكنه ذكرنا فقال : السر الظاهري
ليس أجل مقصود بل المقصود الأهم لباس التقوى فأحسنوا الظواهر فعضي أن تصلح البواطن . إذن هو
أباح لنا كل طعام ولباس على شرط عدم الاسراف . فقال : وهل للاسراف من قواعد ؟ فقلت قد قدمت بعض
تلك القواعد في ﴿ سورة الأعراف ﴾ فقال انك لم تذكر هناك مسألة (الفيتامين) بل انك لم تكن تعلم

عنها شيئاً فالمقام يحتاج الى ايضاح . فقلت اقرأ ماتقدم في سيرة النبي ﷺ وكيف كان آل محمد ﷺ لا يوجد في بينهم نار الهلال والحلال والحلال ، وكيف كانوا لا ينجحون الدقيق . ليس هذا يكفيك فتعرف أن النبوة قد أوضحت ما أجله القرآن من نبد الاسراف . فقال ولكن اذا ظهر أن آثار النبوة المحمدية قد ظهرت في زماننا وأن الأطباء أخذوا يرجعون النوع الانساني عن عادته الرديئة ويقرّبونهم من الأخلاق النبوية جدير بك أن تسمعني مقالا في الاصلاح الحديث وان لم يكن تاما حتى اذا وافق الأخلاق النبوية والسيرة المحمدية ورأينا أن النبي ﷺ قد وافقه العلم الحديث في الطعام فهناك يكون أمر عظيم (أولاً) انه مجزئة جديدة لم تظهر إلا في قرننا هذا (ثانياً) ان المسلمين يرجعون لسيرة النبوية ويعرفون ماصح وما لم يصح في طعامه وشربه ثم يدرسون العلوم الحديثة في الطعام ثم هم أنفسهم بلامرية سيغفرون طرق ما كلهم متى عرفوا الحقيقة . فقلت لقد قدمت في هذا المقام كلاما في (سورة البقرة) عند آية - أن تبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير - وفي (سورة الأعراف) عند آية الاسراف ، وفي (سورة الحجر) في النصف الأول منها عند الاشارة الى قصة آدم ، وفي (سورة طه) عند قصة آدم في آخرها ، وفي (سورة الشعراء) عند قوله تعالى - واذا مرضت فهو يشفين - وهناك مواضع أخر . فقال ولكن لا أزال أقول ان العلم في زماننا سريع الترقى فاذا كرر لي آخر ما رقت عليه في أمر الطعام . فقلت : سأسمعك «مقالين» الأول « هو ما جاء في كتاب « دستور التغذية » لصديقنا الاستاذ محمد فريد وجدى » فساد كرنا لباب ما ترجم من آراء الدكتور الأربعة وهم : هيج الانجليزى ، وكستافى التليانى ، وسوبرسكى الفرنسى ، وكوهن الألماني . هؤلاء وغيرهم الذين يريدون من الانسان الرجوع الى حال الفطرة في الطعام كما دم قبل الأكل من الشجرة وهذا من أسرار القرآن التي لم تظهر إلا في هذا الزمان ، ثم ألقى على آثار ذلك بضرب مثل لآراء هؤلاء العلماء بنهر النيل والمزارع المصرية مع الجسد وما فيه من السم الخ فيكون ذلك « فصلين » وأنبعها بفصل ثالث في ست فوائد طبية عن علماء عصرنا

﴿ الفصل الأول فيما ترجمه المؤلف من آراء أولئك الدكتوراة ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه الى يوم الدين ، ﴿أما بعد﴾ فان الانسان بتطوراته المتوالية في المدنية ، وذهابه في الابداع الصناعي كل مذهب ، وبما استتبع ذلك من اخلاجه الى معيشة الترف ، واغراقه في نطاب الملاذ الهدنية ، قد أخرج مسألة التغذية عن حقيقتها فبعد أن كان يأكل طلبا لقامة حياته وحماية جثمانه من العطش أصبح ينفله طلبا للذة المجهلة حتى دفعته هذه العاطفة الى تناول الأغذية الضارة المبيدة لجثمانه وهو يعلم ذلك ويشعر به ، إلا أنه قد شعر بأن خروج هذه على القوانين الطبيعية كان له أسوأ تأثير على جسده وعقله معا ، وأن هذا المتاع الحيواني سريع الزوال مهممته دور من الآلام والأعراض يطول أمده عليه ولا يزال به حتى يصعره على أبتح الأحوال بعد أن يحرمه من جميع الطيبات الجسدية والعقلية

عنى العلم منذ عهده الأول بسن سنن مقررة للتغذى ، وما زال العلماء والفلاسفة يعملون هذا الموضوع من أهم مباحثهم حتى يومنا هذا بل استحال أمره في العهد الأخير الى اعتباره أولى بالعباية من الوجهة الصحية والعلاجية من كل المسائل التي لها علاقة بالحياة الجسدية لما ثبت أن الغذاء هو الهامل الأكبر في الصحة والمرض ، وفي طول الحياة وقصرها حتى قال العلامة البكتريولوجى (متشنيكوف) مدير معهد باستور بباريس « ان الانسان خلق ليعيش ثلاثمائة سنة (١) وانما هو يقتل نفسه بسوء سيرته في تغذيه » وأقر

(١) الذى يقوله الجمهور غير هذا وهو أن الانسان يعيش مائتى سنة بناء على أن مدة نموه (٢٥) سنة

بهذه الحقيقة جمهور الباحثين والمنقبين ، وجاءت العلوم الكيماوية فأيدت أقوالهم بالتحليلات إذ بينت ما يصوبه كل نوع من أنواع الأغذية من المواد المختلفة وما يحتاج اليه الجسد كل يوم من كل منها ، وحدثت بجانب هذه الفتوحات الكيماوية فتوحات أخرى طيبة أثبتت بالتحليل أن أدواء القلب والسرطان والروماتيزم والبول السكري والزلازل وتصلب الشرايين والنشل والامساك المستعصي الى ما لها مما يطول عدته كلها متولدة من سوء التغذية وعدم تخير صنوف الطعام فأصبحت هذه المسألة والحالة هذه في عداد المسائل المحسومة الممكن تجربتها تحليلا وتركيبا ، فهب الفيوررون على الانسان في أوروبا الى وضع المؤلفات في هذا الصدد حتى صار لا يمكن إحصاء ما صدر منها في هذه الخمسين السنة الأخيرة

﴿ مذهبها الطب ﴾

للطب اليوم مذهبان أحدهما يرى أن الجسم يحتاج أحيانا الى العلاج بالمواد المختلفة مع استخدام التدابير الصحية ويرى الآخر أن العلاج قديفيد العضو المريض فيحوله من حال الى حال ولكنه في الوقت ذاته يوجب مرضا على عضو آخر قد يكون فيه هلاك الشخص . فالطب في نظر هؤلاء يجب أن يقتصر على استخدام قوى الطبيعة من هواء طلق وغذاء جيد صحى خال من اللحم والمهيجات وعمل جسدى معتدل واستحمام بالماء الفاتر أو البارد وغير ذلك من التدابير التي تعين الاعضاء المريضة على مكافحة المرض الذي حل بها . ان هؤلاء يقولون ان العلاج لا يشفى المصاب ولكن الذي يشفيه هي القوة الحيوية في جسمه ، تلك القوة تظهر للحس بخلها على الجراح . ألم تر أنه لو أصابك جرح أخذ بعد حين في الاندمال من نفسه فلا يزال سائرا في طريقه حتى يصح العضو المبروح و بصير كأن ليس به شيء وتعود اليه جيع وطاقته ولم يبق للجرح حين ولا أثر . هذا الاثر المحسوس للاندمال والشفاء التدريجي هو أثر القوة الحيوية التي خلقها الله لتحفظ لنا وجودنا الى حين . فاذا أصاب أحد الاعضاء مرضا لا همالنا لقانون الصحة تولته القوة الحيوية بالعباية والعلاج كما تولت الجرح فلا يجوز أن يكون لنا إذ ذاك من عمل الامساعدة فعل القوة الحيوية باتباع قوانين الصحة ومرعاة الحية والعباية باستنشاق الهواء النقي وغير ذلك فتعمل القوة الحيوية عملها في ذلك العضو ولا يمر غير قليل حتى يشفى المريض . أما لو أعطى علاجا وهو في تلك الحالة ازدادت حاله سوءا وتفاقم مرضه فان نجائه فلا يكون ذلك الا ببذل مجهود كبير من قواه الحيوية تهيئ لمرض مزمن . قالوا وقد جاءت شهادات كبار الأطباء في ضرر العلاجات تؤيد ذلك

قال الدكتور (غرانشتان) وهو من أقطاب الطب بألمانيا وقد نقله عنه الدكتور بلز في كتابه الطب الطبيعي : « الضعف في درجاته وأشكاله التي لا تحصى ليس هو على وجه عام الا نتيجة العلاج بالعقاقير سواء أكانت جيدة أم رديئة . العلاجات ان استعملت كما ينبغي تقلبت على المرض الاصلى ولكنها تترك دائما في الجسم بقايا تظهر أجيالا أو عاجلا وتكون نتائجها غير قابلة للشفاء . وعليه فلنناس الحق في تسمية هذا النوع من الضعف بالضعف الملاحي . ثم قال : « من عهد ماجادت علينا الكيمياء بالركبات المختلفة للزئبق والانترون وقشر الكنكينا (كذا) وحض البروسيك والرصاص والزرنيخ والكبريت الخ ومن عهد السماح بتعاطيها بنوع من الجراءة للتأهية باعتبارها علاجات قوية التأثير ضد الآلام التي كانت مجهولة في الصور السابقة ، من ذلك العهد انتشر الضعف بحالة يؤسف لها وانتقل من الآباء الى الابناء . فالهني يلقى به القدر صرة واحدة تحت كلا كل هذا المرض يكون قد وقف حياته على التردد على السيدات

وقال الدكتور (كيسر) كما نقله عنه الاستاذ بلز في كتابه المتقدم ذكره « ان الحكمة القديمة القائلة بأن السواء قد يكون شرا من الماء ، والطبيب شرا من المرض ، هي صحيحة في كثير من الاحوال . ان عددا

كثيرا من الأمراض تشفى بقوى الطبيعة وحدها وأما في الأمراض كافة فالشيء الوحيد الذى يجب على الطبيب عمله ويستطيعه هو حصر وابعاد المؤثرات القاتلة عن المريض ، وإبطال الحركة غير الطبيعية لبعض أجهزته وأعضائه . فان فعل أكثر من هذا ليرضى المريض الحب للدواء ويحقق نظريته الوسواسية وشهوته النفسية فقد أضره كل الضرر . على هذه الطريقة كثيرا ما يولد الاطباء الامراض الصناعية ويمكن القول بأنه في كثير من الامراض التى يعالجها الاطباء عدد كبير من الامراض المزمنة منها ما قد سببه الأطباء أنفسهم . وفي الحالة الحاضرة للطب العملى يجب أن يجعل المريض بمزول عن كل طبيب كما يهزل عن كل سم قتال . هذا ما يشهده تاريخ الطب ، فان كل نظرية طبية خاصة استمدت عددا من الضحايا البشرية لم يتوصل الى الفلك بمثلها أنكأ الاوبة ولا أطول الحروب .

وقال الاستاذ (ستيفنس) استاذ الكلية الطبية بنيويورك كما نقله عنه الاستاذ بلز . « كلما تقدم سن الاطباء قل اعتقادهم في تأثير الادوية وزادت قنهم في قوى الطبيعة . ثم قال : رغما عن كل المخترعات الحديثة التى أحيطت بالتبليل فان المرضى لا يزالون يشكون الامراض كما كانت حالتهم قبل أربعين عاما . ثم قال : ان سبب بقاء تقدم الطب ناتج من ان الاطباء بدلا من أن يدرسوا الطبيعة درسوا كتابات من تقدمهم »
وقال الاستاذ الدكتور (سميث) كما نقله عنه الاستاذ بلز : « كل العلاجات التى تدخل في السورة السوية تسمم السم بين الطريقة التى تسمم بها السموم الجالبة للأمراض . الادوية لا تشفى أى مرض كان بل التذى بشيها هو الخاصة الطبيعية ليس الامم قال . ان البيجيتال قد قتل ألوفا من الناس وحض البروسيك كان يستعمل بكثرة في أوروبا وأمريكا ضد السلس الرئوى وقد عالجوا به ألوفا من المرضى فلم يشف منهم واحدا بل انه قتل مئات منهم انتهى وقد نقل الاستاذ بلز عن أكثر من ثمانين عالما من علماء الطب الرسميين مثل هذه الاقوال التى تؤيدها المشاهدة ثبت من ذلك كله ان أثر العقاقير في شفاء الامراض أثر مهلك وجدير بالانسان اذا أصابه مرض ان يحتمى عن الاككل وان يعنى بأمر الصحة مستخدما الوسائل التى ذكرها الاطباء الطبيعيون من الاستشفاء بلقاء والهواء ذلك خبير من التعرض لاطلر العلاجات المختلفة : لم يكن العالم الى اليوم من الطب من فائدة غير تخفيف الآلام بالمسكنات وكلها سام قتال ولقد كثرت الاطبات والصيدلات ولا تزال الامراض والمرضى آخذين في الازدياد وقد طرأت أمراض ما كان يعرفها آبائنا ولا تعرفها الآن الأم الخلوية التى لا تعرف طبيا ولا علاجيا فما أثر الطب بعد ذلك ؟ يظهر لنا ان علم الطب سيضمحل ويحل محله علم قانون الصحة وسيزول كل ما يعزى للعلاجات من التأثيرات والخواص لظهور أثر الفلوفيا ولن يبقى الا علم الجراحة فهو العلم النافع الذى لا شك في نفعه . هذا ما يقوله أفاضل الطب الطبيي

﴿ أساليب العلماء في معالجة الأمراض ﴾

ويقولون أنهم الاطباء معالجة أقل الامراض خطورة فلم يتوصل طبيب الى ازالة فقر الدم وضمف الاصاب وغيرهما مما يترى الناس من جوار أعمالهم بمحض خواص العقاقير فأكثر الناس يشكون الضف وفقر الدم وقد صرفوا السنين في تعاطى العلاجات المتقوية بدون فائدة . هذا بالنسبة للضف وفقر الدم أما بالنسبة لغيرهما من أمراض القلب والرئتين والكبد والمعدة والمخ فحدث ولا حرج وان قلت ان واحدا ممن يصاب بهذه الامراض لم ينل خيرا من العلاجات الطبية وانتهى أمره الى اليأس لما كنت بعيدا عن الواقع . هذا العلم الظاهر من العلاجات دفع كثيرا من فضلاء الاطباء الى تلمس وسائل جديدة لشفاء الأمراض فأطالوا البحث وصرفوا العمر في التجارب فاهتدوا لنتائج ان لم تكن هي الواقع بعينه فقد أدت خدما جليلة . نذكر من هؤلاء العلماء الاطباء هيج الانجليزى وكنتانى الايطالى وسوبرويسكى الفرنسى . وقد أحدث كل من هؤلاء

حوادث من الشفاء عزت على الطب والاطباء وطارت شهرتها الى اقاصى المعمور

﴿ أسلوب الدكتور هيج في علاج الامراض ﴾

يقول الدكتور هيج ان اسباب الامراض هي الخواص السامة التي تنضاف الى الدم من سوء التغذية
أكبرها خطرا حمض البوليك (اسيدأوريك) وحمض الاوكساليك والنطرون وصرح بأن لاسبب للنوراستانيا
وهو مرض ضعف الاعصاب الذي ينتشر اليوم انتشارا مريحا بين جميع الطبقات الاحض البوليك ، وكذلك
هو من الاسباب للاصابة بالنقطة والروماتيزم والمرض والصداع والصرع والجنون وضعف القلب ووقوفوالبر
والتهاب الشعب وسوء الهضم والبول السكرى وامراض القلب . ليس هيج اول من عرف ضرر حمض البوليك
ولكنه اول من حد دائرة نفوذه الضار من الوجوه المرضية . قال هيج ، وهذا القول أساس مذهبه ، ان
السميات التي تتخلف من المواد الغذائية تثبت في فترعات الاوعية الدموية وتسد الاوعية الشعرية فتقل قوة
سريان الدم ويشد ضغطه على القلب ويكون سببا لضعف عام للبنية واختلال جميع الاعضاء فاذا ابطأت الدورة
قلت تغذية الاعضاء وحتى اشتد الضغط على القلب يحدث له مرض ثم تقتشر سموم الاغذية بتوالي تواردها في
سائر الاعضاء فتمرضها ايضا . فشكرو صاحبها العوارض المختلفة وبمرض نفسه على الاطباء فيشخصه كل
منهم على ما تسمح له به نظرياته فنارة يصحونه بتعاطى القويات واخرى بأخذ المنومات ومرة بأموره بالسياحة
واخرى بالراحة وحينما يجزقون جلده بالحقن وهم في ذلك كاه بيميلون عن حقيقة الداء فلو علموا انه ناشئ عن
سموم الاغذية وعنوا بمعرفة مقادير السموم منها وأشاروا بحماسة صحيحة لشفي المصاب ولكنهم يعتمدون على
المقاوير الطبية فتتضم الى كمية السموم وتزيد فعلها . يقول هيج ان تراكم حمض البوليك في اوعية الدم
يسبب انحرافا في العقل واضطرابا في الحياة وهي اخص امراض النوراستانيا فاذا سهل خروج حمض البوليك
تغيرت حالة العقل حالا كأنها حادثة سحرية وتنقلب الحياة في نظر صاحبها سارة حتى ان الانسان ليحدث نفسه
باتيان الاعمال المستعجلة . وقال هيج ان جميع الامراض تزول بإزالة حمض البوليك فاحذفوا هذا الحمض
تعيشوا مائة سنة ولا يوجد هذا الحمض غير الغذاء . بالتحليل وجد أن هذا الحمض يوجد في اللحم والقول
والعدس والبازلة والفاصولياء واللوبياء الجافة والشاي والقهوة والكاكاو . ثم قال وعليه فيجب الاكتفاء
بأكل النباتات . وخصوصا الاسفاناخ والخبز والكرب والقمييط والفواكه والبن والخبز والامتناع عن
اللحم والقول والعدس والبازلة والفاصولياء واللوبياء الجافة . اذا سار المصاب بأى مرض على هذه الحية مدة
تحلت السموم وتسربت من الكليتين والجلد وغيرها وطهر الجسم منها وزايلته جميع الامراض المرضية

﴿ أسلوب الدكتور كاتاني ﴾

قاعدة الدكتور كاتاني غير قاعدة هيج وان كانت النتيجة واحدة فانه قال بأن حمض البوليك هو
سبب كل مرض في جسم الانسان ولكنه ليس هو العلة بل العلة قلة الاوكسيجين في الجسم لتحويله الى بول
وزوله مع الفضلات . قال والذي يوجب قص مقدار الاوكسيجين في جسمنا انه يستهلك باكثرنا من تناول
الاغذية الايدراتية الكربونية (كالسكر والفتا) والسمية . فان لم يتناول الانسان هذه الاغذية بقي الاوكسيجين
في دمه يحول حمض البوليك الى بول فأتى الجسم شريحا تكوّن . وعلى ذلك فالسواء الوحيد لجميع الامراض
عند الدكتور كاتاني هو اتباع حية فلا يأكل الانسان فيها السميات ولا السكر والنشا ويمتنع عن الخمر والخلل
والبن والخبز والاسراق والخبينيات والرز والبطلس والحلوى والتوابل ويكتفى بالبيض والنباتات الخضراء
والفواكه مع الحركة في الهواء الطلق .

﴿ أسلوب الدكتور سو برويسكي ﴾

يقول هذا الدكتور ان سبب جميع الامراض فساد تركيب الدم وفساده الا كونه حامضا غير محتو على قلوبات صلاحية أن يكون قلوبا حلوا ، وعدم صلاحية أن يكون حامضا . والنليل على أن سبب الامراض هو خلو الدم من القلوبات انك لا تجد في السم ولا في البول املاحا قلوبية في جميع الامراض الحمية وهذا برهان على أن هذه الأملاح حرب تلك الأمراض فقد ثبت أنها قتل الميكروبات البدنية وتلاشى سمومها كما يقتلها السلياني فالفضل للرضى أن يسطوا أغذية كثيرة القلوبات فان المرض يزول مهما كان نوعه حتى تسلمح الدم بالقلوبات فالتفوا كه والبيمونات تشفى أكثر مما تشفى الخمر غالبية الثمن ولا يسقط مريض بضعف القلب اذا أعطى قلوبات كافية فاذا نكثرت سم في السم انفرز حلالا بضعف تلك القلوبات . ولما كانت الوظائف الحيوية تسرع الحيات فتستهلك القلوبات فيجب إعطاء المريض أغذية قلوبية . أما المرق فاحتوائه على البوناس يضعف القلب والتفوا كه أولى منه بالعناية . الامراض المزمنة تشفى بإعطاء الدم قلوبات وينوب الرمل الصفراوى تحت تأثيره ويشفى البول السكرى والنقطة . وعدم وجود القلوبات في الدم يوجد الهرم الباكر

وقال الدكتور سو برويسكي . كل تاكسديبىء التغذية والتصرف فلا يصل للاعصاب غذاء كاف فيعطل نشاطها فيعتري الانسان مالا يحتمسب من أمراضها وكل الذين عاشوا كثيرا كانوا قنوعين جدا . فبالاقراط في الاكل تبقى فضلات كثيرة وعلى قدرها يستهلك الجسم القلوبات من السم . لا يوجد للدم نقاءه وزيادة قلوباته الا النباتات من الفواكه والاعشاب وأفضلها ما كانت قلوباته أكثر . الامراض كثيرة وسببها واحد وهو اختلال أعضاء التصريف حتى لم تختل فلامرض وتلك الاعضاء المصرفة هي الرتان والكليتان والجلد والامعاء فان مرضت احداها وقع الجسم في المرض لاهالة . ان مرضت الرتان يبقى في الدم كثير من حمض الكربون وهو سم ، وان تبت الكليتان بقيت البولينا (الاورية) وحمض البولييك في الدم وناهيك بهما من غولين للحمض ، وان انسدت مسام الجلد تبقى في الجلد السموم التي يجب أن تتصاعد منه بالتبخر الجلدى ، وان تبت الامعاء بقيت الفضلات في البدن . فالذين يقعون مرضى كانوا مرضى من قبل بأحد هذه الأعضاء فأهملوها ثم أخذ الدكتور سو برويسكي يفصل في قيمة الأغذية من الوجهة القلوبية فقال النباتات التي تحتوي على القلوبات الشكوري والراوند والاسفناخ والكمثرى والحماض والهندبا والنس والكرفس والجرجير والفجل أما النباتات التي لها خاصية طرد حمض البولييك فهي الاسفناخ والكرفس والقنبط وكرنب بروكسل والبالزة الخضر لان بها حوامض تسمى افراز حمض البولييك (الاوريك) . هذه أساليب الذكارة الثلاثة فكلها ترمى الى فرض واحد وهو العناية بأمر الغذاء وعدم ادخال شئ الى المعدة بغير حساب . فالطلب كل الطب أن يتدل الانسان في غذائه وأن يكون نباتيا معتمدا في تقويم جسمه على النباتات والفواكه التاضجة فان أصابه مرض فعليه أن يعمد الى الطرق الطبيعية من استنشاق الهواء النقي وتهدد الجلد بالنظافة والحمية التامة والله الشافي . هذا رأى رجال من أقطاب الطب العصري وهو رأينا أيضا ولكل انسان بصيرة يتحرى بها الصواب والله يهدينا الى سواء الصراط . ولا بأس من تعزيز هذا البحث بإيراد رأى عالم ألماني كبير في أسباب الامراض فإليك :

﴿ العلامة (كوهن) الألماني يرى أن لجميع الامراض سببا ﴾

(واحدا وعلاجها واحدا)

تقل منسوب العلامة (كوهن) الألماني المشهور عن الاستاذ بلز فقد نشره في المجلد الاول من كتابه الطب الطبيعي صيغة (٩٣٣) فنقول : يرى كوهن أن الأمراض كلها لها سبب واحد وعلاج واحد كذلك

فهو يقول انه لا يوجد الامرض واحد يظهر بمظاهر مختلفة . والعلّة الحقيقية لهذا المرض هي اجتناع اجسام غريبة في جسم الانسان ليس لها دخل في تركيبه وحفظه ، فهي اجسام غريبة وان شئت فقل جراثيم مرضية لم تستطع الأعضاء المفرزة وهي الامعاء والكليتان والجلد والرتان افرزها . هذه الاجسام الغريبة يرى (كوهن) أنها تسرب الى ابداننا من تعاطينا اكثر مما نحتاج اليه من الأغذية ، ومن تناولنا أضذية ضارة ومضادة للشروط الفزيولوجية للحياة الانسانية كاللحموم والتوابل والاشربة الكحولية المخدرة من التبيذ واليرة والعرق والقهوة والشاي الى غير ذلك فهي من جهة ليس فيها قيمة غذائية ومن جهة أخرى تحدث تمهيبا للجسم يعقبه الضعف لامحالة . ومن الاجسام الغريبة التي تسبب لنا الامراض في رأى (كوهن) السموم الصيدلية التي تناولنا باسم علاجات والتبغ والسعوط (الفشوق) وسم تلقيح الجدري الذي اذا دخل الجسد قل أن يخرج منه ويكون مصدر جراثيم مرضية له : وما يوجد الاجسام الغريبة في البدن ما يحمله معه الهواء الفاسد والابخرة المتصاعدة من الاصطبلات والغازات التي تستعمل للتطهير في البيوت ، وما يتصاعد من عرق الغير والعبير التائر في الطرق الخ كل هذه تسرب الى ابداننا وتمكث فيها فتسبب لنا الامراض المختلفة . ثم ان مما يحدث للمواد المرضية التعب فانه يهلك عددا عظيما من خلايانا فتمكث في ابداننا بسوء نوع معيشتنا بدل أن تنصرف في اللحم ومنه تخرج الى الجوف بواسطة الاعضاء المفرزة للسموم . هذه المواد الغريبة المرضية المختلفة من الاغذية يحاول الجسم بمخوضه للقانون الطبيعي الذي يدبر كل حياة ان يعده عنه باعتبار أنه غير نافع له أو ضاره . ولكن أعضاها المفرزة لا تستطيع نظرا لكثرة المواد ان تفرزها كلها في آن واحد فيتراكم ما يبقى منها في الجهة السفلى من البطن . ومن هنالك تتجه رويدا وريدا الى الأطراف وتلبث هناك تبعا لناموس الثقل وتبعا للوضع العام للجسم إما ذات اليمين أو ذات الشمال أو أمام أو خلف . فتبقى هذه المواد غير محسوس بها أو تصيب صاحبها فتعيررات واضطرابات لا يمكن التعبير عنها وقلق عام . وبالجملة تصيبه جميع الاعراض التي تسبق الأمراض الحادة أو الحية . تلك المواد التي تتخلف في الجسم هي مواد عفنة أو متخمرة . والتخمر نوع من التفتن سببه التحلل الواقع في بعض المواد العضوية فاذا حدث سبب داخلي أو خارجي أو برودة أو حرارة أو انفصال تحيا هذه المواد المرضية وتتخمر ثم تبحث لها عن مخرج فتتحرك على موجب مواضعها والمراكز الليفنافية للجسم متجهة الى أعلى الجسم والى الجلد أولا . فاذا وجدت مانعا يحول بينها وبين الخروج تحدث تمعدا في الجهة التي تحل فيها فتولد وربما ظاهرا أو باطنا : وقد يحدث ان هذه المواد المرضية تسقط الى الاطراف السفلى فتمكث في الساقين والقدمين . هذه المواد تدفع على النوم للبعد عن مستودعاتها على قدر الامكان والتسرب الى الاعضاء البعيدة عنها كالرأس والعنق والابدى والارجل والاصابع وابهام القدم . وهنالك قف لأنها لا تستطيع ان تخرج من مسام الجسم لعدم العناية بصحة الجلد ولأن المعيشة ضد الطبيعة جعلت المسام الجلدية كأنها لم توجد أو قليلة القاندة . وقد يكون الجلد على ما يراد من نادية وظيفته ولكن تدفق تلك المواد عليه فجاءه لا يمكنه من تصريفها بمسامة دفعة واحدة . فاذا كان نشاط الجلد ضعيفا أو معدوما . والامعاء والكليتان والرتان لا تؤدي وظائفها على ما ينبغي كالمخلة العامة الآن تسبب عن تلك المواد الغريبة في الانسجة الجسمية تغيرات مرضية تفسد الشكل الطبيعي للجسم رويدا وريدا فتجدد الانسجة وتوتر الضلات بعد أن كانت لينت في السس ويكون توترها ظاهرا محسوسا في أثناء تحركها . وفي أحوال أخرى يسبب وجود المواد الغريبة في الجسم تمعدا فيه . ويمكن التحقق من صحة هذه الاحوال . ويكفي أن نلاحظ أصحاب الاجساد السمينة الذين تمددت ابدانهم بتراكم المواد السمية الغريبة فيها أو ان نتأمل في الاشخاص النحفاء الذين نجد أنسجتهم متوترة على درجات مختلفة . قلنا ان المواد الغريبة تميل على النوم أن تتجه الى الاطراف . والرقبة تكون كضيق بين الجذع والرأس فتظهر تلك المواد الغريبة فيها متراكمة على الخصوص

هذا سبب الامراض فاعرفه انما قال (كوهن) لما كان سبب جميع الامراض واحدا كما رأيت وهو
تراكم المواد الفريية في اجسادنا من جواء تعاطينا اغذية لا توافق تركيبنا وتعرضنا لتعب المفرط واستنشاق
الغازات الضارة . فليس لها الادواء واحد وهو ينحصر في الامرين الآتين اللذين نتيجهما قطع الامداد عن
كله المواد السمية وتسهيل خروجها .

(أولا) الاقتصار في الغذاء على النباتات

(ثانيا) استعمال الحامات الجذعية والحامات الجلوسية مع ذلك الجسم بوفرة خشنة مبتلة والحامات البخارية .
الحامات الجذعية هي أحواض تضر الانسان فيها يمنع جسمه فقط أى من عنقه الى تحذبه . والحامات
الجلوسية هي أحواض تضر فيها المتعدة مع جزء من الظهر والبطن . والحامات البخارية هي احاطة الجسم
بالبخرة . جميع هذه الحامات تباع في محل التجارة انتهى أقول

(ملخص هذا المقام)

هذه هي الأساليب الثلاثة لهؤلاء الأطباء الثلاثة الاول ، فالسبب عند (هيج الانجليزي) هو أن يكون
البول حميا بجماد لا تلائم الجسم ، وهذه المواد تقف في فروع العروق فتسدها فيحصل الضغط على القلب
وتكون أمراض مختلفة يسطر لها الأطباء أدوية مختلفة قتالة والسواء عندهم (الاكتفاء بالنباتات والقواكه)
وترك اللحم وبعض الحبوب المذكورة كالنول الخ والشاي وما عطف عليه . والسكرور كاتاني كلامه مثل
كلام هيج ولكنه أشبه بمن يقول : « يجب أن يكون في شوارع القاهرة زبالون لجل الكناسات من البيوت »
والسكرور هيج أشبه بمن يقول : « قدارة البيوت سببها بقاء الكناسة فيها » والسكرور كاتاني يقول :
« نعم قولك صحيح ولكني أقول : إن عدم الزبالين هو السبب فلو وجد الزبال لرفع الكناسات من المنازل
والتي يكون سببا في إيجاد هذا الزبال لازالة القمامات من المنازل (هو النباتات الخضراء والقواكه والبيض
مع ترك الخلل والمخللات والجبن والمرق والخبثات والأرز والبطاطس والحلوى والتوابل)

والسكرور (سور ويسكي) يقول : « إن هذه الزبالة تخلت رائحتها جميع طبقات المنزل . وذلك أن
المادة الضارة اذا كانت في الماء فهي في السم والعلاج هو أكل النباتات »

إذن أكل النبات متفق عليه للشفاء من جميع الأمراض عند الثلاثة الاول وقد اختلفوا في اللبن وما
تفرع منه وكذا البيض وبنود ما يتعاطاه الناس من التبغ ونحوه . وكوهن الألماني جعل السبب أهم وهي
أجسام غريبة تتخلل البنية والمعنى واحد . فهو متحد مع من قبله اجالا والسواء واحد وهو الأغذية النباتية
أيها التكي : خذ النتيجة التي ساقها الله لنا . كل النبات والقواكه ودع اللحم والقهوة والشاي والخمر
والتبغ والسكر وما اشتق منه من الحلويات

هذا ملخص ما تقدم . أما اللبن ففيه خلاف سببه أن البهيمه ربما كانت مريضة فينتقل المرض اليها
من لبنها . هذا ملخص هذا المقام . انتهى الفصل الأول

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في ضرب مثل لأجسامنا ودمها وعضائها وأمراضها بالأرض المصرية ونيلها (والفرين) وهي
الوادة التي تجعل لونه قريبا من الحمره وهي أهم أغذية النبات والسود التي تمنع الماء أن يصل
الى بعض الأرض)

اعلم أن كثيرا من الناس يقرؤن كلام الأطباء فيتعجبون ويصعب عليهم الفهم . فاعلم رعاك الله أن
أجسامنا كالأرض ودماءنا كماء النيل (والفرين) الذي فيه وهو المسمى بالطين في بلادنا أشبه بالمواد الغذائية

التي تجرى مع الدم ليوصلها للأعضاء الباطنة والظاهرة . النيل وفروعه كالعروق الصغيرة والكبيرة والتمثيل
صحيح وأعضاؤها كالزروع والأشجار التي يسقيها ماء النيل . فلواتنا سدنا ماء النيل من أى مكان بسد أو
سدنا أى فرع من فروع النيل فان الماء يرجع الى الورا . وهناك يحصل ضرر كبيران وهما حومان ما بعد هذا
السد من السقي فيحصل تلف في الزرع من جهة قلة الماء . وهلاك الزرع الذي قبل ذلك السد بطفيان الماء عليه
هكذا في الجسم اذا سد عرق كبير أو صغير بمواد لا توافق الصحة حصل افراط فيما قبل هذا السد وتقر يط فيما
بعده فتحصل أمراض مختلفة في الجسم على حسب استعداده . وكما أننا اذا أردنا تلافى اهلاك زرعنا في
حقولنا فتحنا تلك السدود سدنا سدا . هكذا اذا أردنا الصحة أزونا الحواجز التي في تلك العروق وفروعها .
وماتلك الحواجز إلا المواد الغريبة

هذا ملخص كلام هؤلاء الأطباء الأربعة . فاذا سمعت قول هيج الطبيب الانجليزي أن حض البوليوك
وحض الاركساليك والنطرون وغيرها هي أسباب (النورستانيا) والنقطة والرووماتيزم وآلم الرأس الخ فما
خرج عن انه نظير قولنا ان ماء النيل اذا سد في أى بقعة اختل نظام النبات فهلك أكثره إما بقلة الماء وإما
بكثره والنبات مختلف والمنا عليه يكون على مقدار نفعه هكذا هنا فانها تحصل أمراض مختلفة يعبر عنها
بعبارة مختلفة كما يقال في النبات قد هلك القمح والبرسيم والبطيخ وهكذا ولكل واحد من هذه النباتات
منزلة عندنا تتألم لتقدمه بسببها ، واذا سمعت قوله أيضا : « إن تراكم حض البوليوك في أوعية الدم يسبب
انحرافا في العقل واضطرابا في الحياة » أوقوله : « إن السميات التي تتخلف من المواد المغذية تثبت في قرعات
الأوعية الدموية ونسد الأوعية الشعرية فتقل قوة سريان الدم » فانه كقولنا « إن وقوع الحجارة والطين في
مساق النيل يمنع الماء عما خلفها ويضر بكثرة الماء ما أمامها من الزروع »

واذا سمعت هيج يقول : « أزيلوا حض البوليوك تعيشوا مائة سنة » فهو كقولنا « أزيلوا السدود
من المساق يشرب زرعكم ويدبر ضرعكم وتعيشوا الى حين »

واذا سمعت هيج أيضا يقول : « دع الفول والعدس والبازلة والفاصوليا واللوبياء الجافة والشاي والقهوة
والسكاكول » فهو أيضا كقولنا : « امنعوا الحشائش من مجرى الماء لنسقي الزرع في الأرض »

واذا سمعت أن البلاد المصرية من قبل حكم المغفور له (محمد على باشا) لم يكن بها مهندسون فكان
الماء يجرى بلا قانون فكثير الجفاف في وقت وكثير الماء في وقت آخر فاضمحت مصر لقلّة زرعها ، هكذا نقول
في مزروعاتنا وساقياها وهي أجسامنا ، فنحن اذا أكلنا السكر والنشا والدهنيات والحل والمخللات ولبن البهائم
المجهولة صحتها وجبنها والمرق والجبنيات والارز والبطاطس والحلوى والتوابل من كل ما ذكره (كالتاني)
الاطيالى أو فرطنا في الأكل كما قال الدكتور (سوبر ويسكي) الفرنسي ، أو تعاطينا اللحوم والتوابل والأشربة
الكحولية المنخرة من النبيذ والبيرة والعرق والقهوة والشاي ، أو نداوينا بالسموم الصيدلية ، أو استعملنا
السموط (النشوق) أو أكثرنا الوقوف في الأماكن التي فسد هواؤها وتصاعدت أبخرتها مثل الاصطبلات
أو كان فيها غازات لتطهير في البيوت ، أو جلسنا مع القوم الذين عرقهم له رائحة ، أو سرتنا في الطريق ذات
التيار ، فهذه كلها تدخل أجسامنا وتضعفها كما قاله كوهن الألماني

أقول : اذا فعلنا ذلك كله أو بعضه كما قاله هؤلاء الأطباء فان أجسامنا تكون سعدتها وصحتها على حسب
المصادقة كهية الأمة المصرية قبل أيام (محمد على باشا) فقد كان سكانها نحو مليونين فقط لأنهم كانوا يعيشون
بالمصادقات . فأما اذا أكلنا النباتات الخضراء والقواكه مع الحركة في الهواء الطلق كما قاله كالتاني المذكور
وفصله الدكتور (سوبر ويسكي) الفرنسي وقد ذكر بعضها وهي المحتوية على القلوبات مثل الشكوريا
والراوند والاسفاناج والكمثرى والحماض والهندبا والخس والكرفس والخرجير والفجل

فهذه وأمثالها هي القلوبات وهناك نباتات أخرى تضارعها في فائدتها ولكن من طريقتي طرد ما يضر
الجسم مثل حمض البوليك كالاسفاناج أيضا والكرب والقنبيط وكرب بروكسل والبازلة الخضره التي بها
حوامض صيق افراز حمض البوليك

أقول : اذا سرنا على هذه الطريقة وأضفنا اليها ما يقوله الدكتور كوهن الألماني وقفينا ببعض تجاربه
كالحمات الجلدية والحمات الجلوسية مع ذلك الجسم بفوظة خشنة مبتلة والحمات البخارية
أقول : اذا اتبعنا هذا الصراط في حياتنا (لأسمها اذا قرأت أيها الذكر) تمام الكلام على تلك الحمات ونحوها
وفوائد أخرى في (سورة الشعراء) عند آية - واذا مرضت فهو يشفين - وآخ (سورة طه) عند قصة
آدم فانك تجد هناك تفصيلا وشرحا كافيا لتلك الحمات وغيرها ، وهكذا نظائر أخرى في (سورة الحجر)
عند الاشارة لقصة آدم في أولها وهكذا في (سورة الأعراف) عند آية - ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين -
وهكذا عند آية - أنستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير - ففي هذه المواضع كلها ملخص علم الصحة
وشفرات جيلة في علم الطب) فاننا نكون في محنتنا أشبه بالمصريين من حيث نمو السكان في هذا القرن إذ
صلحت الترع والمجارى بعناية المهندسين وصار السكان (١٤) مليوناً بعد مليونين قديماً

(تذكرة)

أيها الذكر : ها أنذا مثلت لك أجسامنا بالأراضى المصرية والنيل كالدم والسودفیه كالأحماض الضارة
والأجسام الغريبة فيه ، فأنت بين « أمرين اثنين لا ثالث لهما » إما انك تعيش كما يعيش أغلب نوع الانسان
الذين أشبهوا آدم حين أكل من الشجرة ولم يتعظوا بقصته ولم يعلموا مقاصد الكتب السماوية من ازال
هذه القصة وأمثالها وتكرارها في القرآن ، فاذن كل كما يأكل الناس مقلدا لهم ، واما انك تنظر في هذه
الحياة وتسلك سبيلا آخر بحسب الطب الحديث على مقدار طاقتك ، فهناك ترجع لحال آدم قبل الأكل من
الشجرة . ويظهر لي أن النوع الانساني مقبل على زمان أجمل وأبهج ، فاذا سلكت هذه السبيل الحديثة فاعلم
انها هي التي تؤخذ من قصة آدم . فالناس جميعا آكلون ما يشتهون من هذه العوالم الأرضية وهم غافلون عما
يضرّ وينفع . وهاهو ذا زمان ظهور عجائب القرآن . فأنت اذا أكلت النباتات والقواكه وهكذا فان هذه
النباتات نفسها تفتح سدود جسمك ولا تحتاج الى ما يحتاج اليه التيل من المهندسين . واذا أكلت الأطعمة
الأخرى كاللحم أو الخلل أو السكر وكل ما اشتق منه فانك تحتاج الى مهندس يفتح سدودك وهذا المهندس
هو الطبيب يعطيك مركبات سمية وينزل عليك بالابر فيملا جسمك سما زعافا مع تقطيع الجلد ودخول الحقن
السامة . الله هدانا النجدين فلنتبع أسهل النجدين . وبهذا تم الكلام على الفصل الثاني وهو ضرب مثل بالنيل
وفروعه للجسم ودمه الخ

﴿ الفصل الثالث ﴾

(في فصائح علمة من كبار الأطباء وهي ست فصائح منقولة من ذلك الكتاب)

﴿ النصيحة الأولى ﴾

(رأى الاستاذ هندهيد فيما يأكله الانسان في اليوم)

أهم ما يجب أن يدقق فيه من يريد لنفسه دوام الصحة هو مسألة التغذية فان عليها مدار الحياة والخطأ
في وجوهها الطبيعية يؤدي الانسان الى أشنع الأمراض المسببة لأشد الآلام . لذلك عنينا في هذا الكتاب
بالإفاضة في هذا البحث وسنفيض فيه ما وجدنا للإفاضة موضعا . وقد اطلعنا على بحث جليل لأحد أطباء الانجليز
نشرته إحدى الجرائد نقلها عنها المقطم فرأينا أن نقله لقراء كتابنا هذا فان فيه فوائد جلية وقواعد قيمة

قال «المقطع» في عدد ٨٣٨٩ الصادر في ١٩ أكتوبر سنة ١٩١٦ ما يأتي :

« وقد طالعنا مقالة لأحد أطباء أوروبا يبين منها أن الذين اعتادوا أكل اللحم والبيض وما يدخل في حكمهما من الأطعمة يفرطون في الاكثار منها فيؤذون أنفسهم أذى كبيرا من حيث لا يدرون . وهذه المقالة مفعمة بالفوائد فاسترنا اقتطاف أهم ماورد فيها ونشره عملا بما جرينا عليه من نشر المقالات المفيدة في حفظ الصحة . استهلّ الطبيب الكاتب مقالته بهذا السؤال وهو : كم يحتاج الجسم البشري من البروتين (الالبومن) لكي يؤدي وظائفه حقّ الأداء ؟ والبروتين اسم جنس للأطعمة النتروجينية أو الالبومينية وهو العنصر الجوهري في اللحم والمبر والبيض واللبن والأجزاء الالبومينية في بعض البقول . والموضوع من أهم مواضع حفظ الصحة فان الأمراض الناشئة عن الإفراط في أكل البروتين كثيرة والوفيات بها تزيد على الوفيات بسواها فان أمراض القلب والكليتين والكبد ناشئة عن سوء تمثيل البروتين . ففرقة مايجب أكله من اللحم والبيض واللبن ونحوها من الأمور التي تعدّ أساسا لحفظ الصحة وإطالة العمر . ثم إن أعظم الأطباء يجمعون على أن بعض الأمراض الأخرى العضالة كالسرطان ناشئة عن الخطأ في تعيين مقدار (البروتين) في الطعام وحسبنا هذا وذلك دليلا على وجوب إفراغ العناية في هذا البحث . وأول من بحث في هذا الموضوع الدكتور (هنديد) النمركي فظهر له من أبحاثه أن (٢٥) غراما من البروتين في اليوم تكفي الشخص العادي وتحفظ صحته . وكان المظنون قبلا أن المقدار اللازم يبلغ أربعة أضعاف هذا القدر . وقد قال هذا الطبيب : « إن زيادة هذا المقدار في الطعام مضرّ بالجسم »

ولا يخفى أن أكلة البروتين كاللحم والبيض هي أعلى الأطعمة وأن الفقراء والمتوسطين يتعبون كثيرا في تدير أبحاثها ولكن متى ثبت لنا أن الناس يذفون الأثمان الغالية لشراء الضرر والأذى وقصر العمر غلب علينا الضحك لولا أن المسألة من المبكيات . وقد دقق الدكتور هنديد في تجاربه توصلنا إلى النتيجة التي استنتجها فكان يختار رجالا من الذين يعملون الأعمال اليدوية العنية ويكيل لهم الأطعمة ويرتها ويدقق في وزن مفرزات أجسامهم ويفحص قوتهم وأعضاهم . وبين التجارب التي جربها انه جاء برجلين اقتصر في اطعامهما علما كاملا على البطاطس والمرجرين (الزبدة النباتية) وكان يجنس الطعام يوميا بحيث يكون أقلّ مايسبب الواحد منهما كل يوم ما لا يقل عن (٢٠) غراما إلى (٢٥) غراما من الالبومن بدلا من (٨١) غراما وهو المقدار الذي عين من قبل بالتجارب العلمية . والمعالم أن البروتين قليل جدا في البطاطس . فاستخلص المقدار المطلوب من الالبومن في البطاطس يقتضى ثلاثة أرطال منه فكان الطبيب النمركي يعلم كلا من هذين الرجلين هذا المقدار من البطاطس كل يوم مع ست أوراق (٥٤) درهما من المرجرين ويمتصها من أكل اللحم والبيض واللبن فكانت صحتهما في آخر العام من أجود ما يكون وحاضر أحدهما مع العدائين فقطع (٢٦٤) ميلا في (٩٩) ساعة أي في أقلّ من الوقت المفروض . وهذا بعض ما استنتجه الدكتور هنديد من أبحاثه وتجاربه :

(١) إن الالبومن الموجود في الأطعمة النباتية يفتي في الجسم عن الالبومن الموجود في الأطعمة الحيوانية كاللحم والبيض واللبن وأن مقدار الالبومن الذي يحتاج الجسم إليه أقلّ من المقدار الذي كان يظنّ لازما له

(٢) إن الأطعمة التي يقلّ الالبومن فيها تزيد قوّة الجسم على احتمال المشقة والنصب فقد قال الطبيب المذكور : « لا أعرف واحدا من الذين يكثرون من أكل اللحم أحرق قبّ سبق في محاضرة طويلة

(٣) إن عدد الوفيات بأمراض الكبد والكليتين والأمعاء يبلغ بين سكان المدن المترفين نحو أربعة

أضاف مايلفه بين الفلاحين الذين معظم طعامهم من الخبز والبطاطس والأدهان (الزيت)
وقال « إن العرب الذين يأكلون الخبز والتمر فيهم من صلابة العود وشدة الصبر على التعب ما يدهش
الأوربيين وأن جرابه جنود السخ الهند وهم من أشد جنود الدنيا عبارة عن كأسين من اللبن و٢٥ أوقية
من الخبز وأوقيتين من الزبد وأربع أواق من الفاصوليا وخمس أواق ونصف أوقية من البطاطس وهم
لا يأكلون اللحم إلا مرتين أو ثلاثة في الشهر وهم ما يفعلون »

ويخلص استنتاج الدكتور هندية بقولنا أن قيمة الالبوم النباتي أفضل من قيمة الالبوم الحيواني
ولكن يجب الاعتدال جدا في استعماله وكميات معينة وانه يجدر بالناس أن يقلوا من أكل اللحم وأن
لا يكون أكله مع القلة مستمرا بل أن يؤكل في فترات متباعدة

قال الطبيب الدكتور : « ولو كانت تجارب الدكتور هندية فريدة في بابها لما أعرناها هذا الاهتمام فقد
اتفق غير مرة للعلماء أن أخطوا في البحث مدفوعين بعامل الحاسة الى استنتاج ما يتوقون الى تأييده . وأعظم
التجارب تدقيقا قد لا يتجاوز من الخطأ فيؤدى الى نتائج مغلوطة . ولكن التجارب المذكورة تطابق ما توصل
اليه باحثون آخرون . فمن ذلك أن الأستاذ تشندن تعمق في مثل هذا البحث فاقنع هو وأتباعه بأن تنقيص
البروتين في الطعام هو سبيل الصحة وأن السواد الأعظم من الناس ينكب عن هذا السبيل عمدا

وقد جرب الأستاذ تشندن هذه التجارب بنفسه وبجماعة من زملائه وتلاميذه وبينهم نفر من لاعبي
الألعاب الرياضية فألني أن محنته تحسنت وقوته زادت بانقاص ما يأكل ولا سيما من أطعمة البروتين ووافقته
على ذلك آخرون فكانوا يقوون وتجود محنتهم اذا قصوا مقدار الطعام الذي يأكلونه

ومما يبعث على الاستغراب في هذه التجارب أن نتائجها كانت متماثلة في لاعبي الألعاب الرياضية وفي الذين
يعيشون عيشة ساكنة هادئة فان قوتهم ازدادت بانقاص ما يأكلون من اللحم والبيض عما ألفوه قياسا
على ما نطلبه قابليتهم . وقد تبين للأستاذ تشندن أن هذه القابلية التي تحسبها طبيعية وتعتمد عليها في الدلالة
على مقدار ما يجب أن تأكله ليست دليلا مأمونا بل هي نتيجة عادات سبته في الأكل حدث بالانسان عن
جادة الصواب فان القابلية اذا كانت طبيعية لا تسمح للمرء أن يأكل من الطعام إلا نصف القدر الذي يأكله
الناس عادة أو ثلثه »

الى أن قال : « ولكن الأمر المهم في مسألة الطعام هي عدم الافراط في شئ منه ولكن الخطر كل الخطر
ناتج عن الافراط في أطعمة البروتين أي اللحم والبيض واللبن . ويجب ملاحظة الفرق بين الآكلين القدي
يعمل أعمالا بدنية عنيفة يجب أن يسلي من الطعام أكثر مما يطعم من كان قليل الحركة أو كان شغله من
الأشغال العقلية . وختم الطبيب مقالته ببعض الوصايا العامة التي يجدر بالمرء مراعاتها في طعامه وهي :

- (١) الاعتدال في الأكل من جميع أنواع الطعام التي تقم على المائدة ولأننا نأكل من طعام واحد مرتين
- (٢) اترك المائدة وأنت شاعر بأنك تستطيع أن تأكل زيادة عما أكلت
- (٣) زن جسمك مرة بعد مرة وقابل بين أوزانه وعتل طعامك بحسب ما ترى من نقص الوزن أو زيادته
فان لم تهتم هذا الاهتمام القليل وتعم هذه العناية البسيرة بجسمك فلا يحق لك أن تشكو اذا اعتلت
صحتك ولا ينتظر أن تكون من طوبى العمر » انتهت النصيحة الأولى

الصيحة الثانية

(ضرر الافراط في الأكل)

(مترجمة من كتاب « صناعة إطالة الحياة » للعلامة الدكتور جاستون دورفيل)
قال الدكتور دورفيل : « الافراط في الأكل جرح دام في جسم الانسانية . واني لأستطيع أن أوكد

بأنه يقتل يوميا أكثر مما يقتله السلّ والسرطان مجتمعين وانه غالبا سبب هذين الهمالين . وقد قال المفكر الكبير تولستوى وأصاب : اننا لنا كل ثلاثة أضعاف ما تتطلبه أجسامنا فنصاب بأمراض لا عدد لها تقطع الحياة قبل بلوغها أقصى حتها »

وقال الفيلسوف سنك : « الحياة ليست بقصيرة ولكننا نقصرها بأيدينا » وقد كان الدكتور المشهور (هيكه) يجرح قائلا لطهارة مرضاه الأغنياء : « أنا مدين لكم بالشكر أيها الأحباب على ما تؤذونه من الخدم الينا معاشر الأطباء » وكان الفيلسوف سنك المتقدم ذكره يقول : « إنكم تشكون من كثرة الأمراض فظردوا طهانتكم » وقد ذكر الدكتور كارتون في كتابه « الثلاثة الأغذية المميتة » المصارعين الذين تراهم يمتثلين عضلا ودما من كثرة ما يعضون بالأكل . ثم قال : إن دولة قوة هؤلاء الأقوياء قصيرة الأمد وأن قوتهم المفرطة هذه ليست إلا كنار القش لأنهم كالفلثات الطبيعية أو النباتات المدفوعة للإفراط في النمو المعرضة لان تحترق في يوم من الأيام بحرارة السهاد الشديدة الذي هو سبب نموها غير الطبيعي »

قال الدكتور جاستون دورفيل بعد ايراد هذه الآراء : « بعض المفرطين في الأكل ليسوا يمتثلين شحما فغهم من يكونون على العكس نحاف الأجسام ، ويستوى التسمان في الهلاك بسرعة وان جهل كل منهما ما يؤديه اليه سم الأغذية من سوء المسير ، فترى الناس يحسدون الأولين (السمان) ويرحون الأخيرين (النحاف) فيظنون أن بهم ضعفا أو فقرا دمويا ويزيد الأطباء حالتهم سوءا باعطائهم المنبهات والمقويات ، فياحسرة على هؤلاء الضعاف الذين يصف لهم الأطباء اللحوم النيئة المهلكة وزيت كبد الحوت التي لا تستطيع أن تهضمه أشد الامعاء ، فكلم من الزمن يجب علينا أن نقضيه في الصباح ليعلم الناس أن الرجل الضعيف لا يفقد دمه كراته الحمراء إلا لأن سم الأغذية يبدها ويستدها ، فاعطأوه اللحم يزيد في تسممه الذي هو سبب هلاكه ويقرّبه من حفرة القبر ، من الناس من يفراط في الأكل ولا يصيبه أذى بل تظهر عليه علامات الصحة الكاملة ، فترى وجهه موردا وحياء متلأنا فيعيش السنين الطوال لا يشكى بأقلّ وجع ثم لا تلبث أن تسمع بأنه قدم مات وهو في عنفوان القوة فتدهش لذلك ولا موجب للدهش فان هذا الأكل لم يكن له في جسده مراقب عتيد يعاقبه على كل إفراط وتفریط فتهاذي في شأنه فتراكت عليه السموم تقتله ولا كرامة ، ولكن من المفرطين في الأكل من لا تزال لهم الأعراض المرضية فنزكهم الى عمل الى تزييف الى مرض جلدي ، وما هذا كله إلا أدلة على أن جسمه يقاوم السموم فيصرفها كلها تراكت فيه بهنء الأمراض المتوالية وهو عندي أفضل من الأول الذي يبيش صحيحا محسودا سنين معدودة ثم يصعق بجأة ، وترى الأطباء يرون الضعيف المفرط في الأكل مصابا بشلل أو بمرض جلدي أو بزييف أو بغير ذلك فلا يسألونه عن كيفية معيشته ولا مقداراً لعله ولا أنواع غذائه بل يسعون في مكافئة الأعراض المرضية فتزداد حالته سوءا وربما هلك بين أيديهم ، انتهت النصيحة الثانية

النصيحة الثالثة

(ضرر الأغذية المركزة)

يقول الدكتور جاستون دورفيل : « اذا كان الإفراط في الأكل من الأخطار الكبيرة فان تناول الأغذية المركزة كالسكر واللحم بقصد التقوى أو تحسين التغذية أشدّ خطرا على الصحة ، نعم إن تلك الأغذية التي نعتبرها مقوية توجد لنا قوة فنحس بسعادة جسمية وانمكننا سعادة مؤقتة إذ تنقلب الى ضعف وانحطاط ، فهذه الأغذية التي يحيل الناس أنها مقوية هي كضربة سوط تنزل على الحصان العبي فتجعله يجري قليلا ثم ينحط انحطاطا لا قيام له منه . فمن من الناس فحما هذا القرن الذي يقال انه قرن النور ؟ لم يتناول الأغذية المركزة من خلاصات اللحم ومستخرجات اللحم والبيتون والأنبذة والفوسفات والديق المشحون بالازوتات والبرشامات الملوذة

بالمهيجات والسكريات والشكولاتات الخ مما لا يمكن استيعابه ؟ قليل من علم الفسيولوجيا يفهمك نتيجة فعل الأغذية المركزة على خلايا أجسامنا . ذلك ان الأغذية التي تتعاطاها قسما : قسم يعوض أنسجة أجسادنا وهي المواد الزلالية . وقسم أعد للاحتراق فباحتراقها بضع الاوكسوجين الذي في الدم تعطينا قوة تسرى في عضلاتنا وأعصابنا وتحفظ حرارتنا

« للأغذية وظيفة ثالثة وهي تهيج خلايانا الجسمية . من هذا التهيج ينتج التبادل الذي يميز حياتنا . فاذا كان الغذاء الذي تتعاطاه ذاتيا كان تهيجه لطيفا بطيئا مترقيا ولكن اذا كان الغذاء مركزا كان تهيجه قويا فجائيا . فلنفرض أن غذاءنا مكون من الخبز والبطاطس بمقادير مناسبة ومن النباتات الخضراء والفواكه فان خلايانا بعد انهضام هذه الأغذية تأخذ منها الزلال بمقادير صغيرة ضرورية لتعويض مادتها الحيوية المستهلكة . وأما المواد الاحتراقية فتأتي بكمية مناسبة أيضا وذاتية من البطاطس والخبز والفواكه فتأثر خلايانا بتهيج لطيف أي فسيولوجي . ولكن اذا كان الغذاء مؤلفا كما هي عادة معاصرنا من المعوم والحلوات المشبعة بالسكر والشكولاتا والكحول مهما كان مقداره صغيرا اتجهت هذه المواد الى خلايانا بجمعة فأحدثت فيها اضطرابا غير فسيولوجي يتوهم انه قوة بدنية ولكنه في الحقيقة ليس إلا خطوة نحو

الصدمة النهائية »

قال الدكتور (اسكوت) في كتابه (التهاب المفاصل والافراط في التقذي) ما يأتي : « التهيج اللطيف للخلايا يحفظ الحياة بنفسه تحمّل الاصول الغذائية ، والتهيج القوي يختصر الحياة بعملها على الاسراع في عملها بحيث يموتها التعب والانحلال قبل موعده الطبيعي »

وقال الدكتور (بول كارتون) في كتابه « الثلاثة الأغذية المميته » مانصه : « حين تصل الى خلايا الجسم أغذية شديدة التركيز تسكبد تلك الخلايا هجوما عنيفا يميتا مضادا لحياتها الطبيعية وهذا التهيج المضاد للفزيولوجيا يقتضى رد فعل فجائيا شديدا من الخلايا الجسمية يفرح به صاحبه في حينه ولكنه مع الاذمان ينقلب مضعا هادما مولدا للمرض ، هذه الجهود المفرطة التي يجب أن تعملها خلايانا لتساوى مع شدة التهيج الغذائي تخيلها دائما مظهرا كاملا من مظاهر الحياة والصحة ، فكما لفظت الآلة وارتعدت تحت تأثير الحرارة المفرطة افتخر صاحبها وارتاح ، وكلما صار الأولاد أكثر تورا وسمننا تحت تأثير اللحم والسكر ازداد أهواهم سرورا بهم ومع ذلك فلاشئ أكثر خدعا من هذه الظواهر الفشاشة ولاشئ أكثر خطرا من هذه النتائج الجليّة التي يتعمسون لرؤيتها غاية التعمس لأن عقباها التي لامناص منها الانحطاط والفساد والمرض والموت الباكر لجسم استنفدت جميع ذخائره الحيوية » انتهت النصبة الثالثة

(النصبة الرابعة)

(ضرر السكر الصناعي وفوائد الطبيعي)

يقول الدكتور جاستون دورفيل : « السكر أحد الأغذية المهلكة لأجسادنا فالتناول منه كمادة معاصرنا من أربعة الى ست قطع فوق الغذاء المفرط يكون بمثابة الحكم على الجسم بزيادة الحركة زيادة مرضية بميته ، لقد كان أبائنا منذ ثلاثة أجيال يجهلون السكر الصناعي وكانوا أبدا منا انحطاطا في قواهم ، تقدم الينا الآن الأغذية السكرية فنتناول منها بافراط ونعطى منها لأولادنا ، وقد شوهد أن كثيرا من أحوال الأرق لاسبب لها غير الإفراط في تناول السكر ، وذلك سهل التفسير فان السكر أقوى الأغذية الاحتراقية يعطينا ميلا شديدا للعمل فكيف يمكن النوم مع هذا الميل ، ولقد عاجت حالات أرق مستعص بمنع المصاين من تناول السكر مساء ، هل معنى هذا الامتناع عدم تناول السكر بتاتا ؟ لا ولكن الواجب معرفته أن السكر الصناعي علاج كالعلاج يضّر وينفع ، فهو نافع لأهل الأعمال الجسدية كالزراع والصناع ، وضار لتدوى الحياة الجلوسية

كالمؤلفين والسياسيين فلا يجوز لهم أن يتناولوا منه أكثر من قطعتين في اليوم ، ويجب عليهم الامتناع عنه وعن كل الأغذية الاحترافية مساء كالنشا والجليفات أيضا ، مم إن من الاضرار بالأطفال إعطاهم السكريات فان السكر الطبيعي يكفي لجميع حاجتنا وهو موجود في الفواكه حيا وعلى حالة ذوبان ، ولكن السكر الصناعي محروم من الحياة أى من قواه المغناطيسية فهو غذاء ميت . إننا لنعلم الفائدة العظيمة لأجسامنا من تناول الأغذية المتمتعة بحركتها الحيوية ، وقد كان الناس يضحكون من أهل القرون الوسطى الذين كانوا يعتقدون في القوة الحيوية ولكنهم اضطروا اليوم لأن يرجعوا عن غيرهم ، فقد دللتنا الفيزيولوجيا التجريبية على أنه من الصبث إعطاء الضعفاء الحديد لتقويتهم لأن الحديد اذا لم يعط حياة لا يمتلئ الجسم بخلاف الحديد الحى المشمول في النباتات فانه مقو عظيم للكرات الحمراء للدم

وماقلته عن السكر أقوله عن الكحول فان المشروبات الروحية خطيرة جدا ، يقول لنا الدكتور كارترتون في كتابه « الثلاثة الأضحية المميته : » إن المقادير التى تستهلك من اللحم قد بلغت ثلاثة أضعاف ما كانت عليه قبل ثلاثين سنة فلانفس انه بجانب هذه الزيادة المضافة الى زيادة مقادير الكحول والسكر نشاهد أن السل الرئوى يجتاح سنويا أكثر من ١٠٠٠٠٠٠ والسرطان أكثر من ٣٠٠٠٠٠ نسمة الضرر لم يقف عند هذا الحد المادى بل تناول العقول أيضا ، وحسبى أن أقول بأن عدد المجانين كان سنة ١٨٦٥ نحو ١٤٠٠٠ فبلغ ٧١٥٤٦ فى سنة ١٩١٠ وزاد كذلك عدد المنصرين حتى بلغوا أكثر من ثمانية أضعاف ما كانوا عليه منذ بضع سنين » انتهت النسخة الرابعة

(النسخة الخامسة)

(متى وكيف وماذا يأكل الانسان ويشرب)

(مترجمة من كتاب « الطب الطبيعى » للأستاذ بلز)

قال الاستاذ (بلز) مامعناه تحت عنوان « متى وكيف وماذا نأكل ونشرب ؟ » فى كتابه « الطب الطبيعى » ما يأتى :

« أريد أن أعطى نصائح فيما يمس هذه المسائل وهى : متى وكيف وماذا يأكل الانسان ؟

(١) - « متى نأكل »

العادة أن الناس يأكلون ثلاث مرات فى اليوم حتى نستطيع المعدة أن تستريح فى خلالها ، ولكن هما يجب ملاحظته هنا أن العشاء لايجوز أن يكون كثيرا ولا متأخرا لأن الأعصاب المعدية والخية تريد عمل المخ فينتج منها نوم غير هادى ، ومثل هذا النوم لا يكتفى فى تعويض ما فقدته الانسان . ونتج عين هذه النتيجة أيضا ان دخلت السرير عقب اتعابك المخ بشئ من الاشتغالات العقلية كالطالعة والتفكر والمجادلة والبحث فى السياسة لأنك بذلك تكون وجهت التيار الدموى نحو المخ ويكون النوم أقل قوة للجسم لما يتخلله من الأحلام الكثيرة

(٢) - « كيف يجب أن يأكل الانسان ؟ »

الشرط الأولى فى ذلك أن تمضغ اللقمة جيدا وفى مدة أطول ما تستطيع وذلك بالنسبة لجميع الأغذية على السواء ، وهذا لسببين : أولهما لأن إجادة للمضغ وإطالة أمدته هما العاملان الوحيدان فى خلط اللعاب بالمواد الغذائية واللعب ضرورى للهضم بل هو العامل الأول فيه ، وثانيهما لأن عمل الأسنان يهيئ عمل المعدة وبغير ذلك لا تستطيع المعدة أن تستخرج من الأغذية كيموسا كافيا ولكن لأجل أن يؤدى الانسان هذا الواجب لجسمه يجب أن يكون لديه أسنان كفى للمضغ وهو الأمر النادر فى جيلنا الحاضر ، فاذا أردت أن تحفظ أسنانك صحيفة حافظ على تنظيفها وابتعد عن الأشربة وهن الأغذية الساخنة فان فى ذلك ضررا عظيما على الأسنان

وعلى الخلق وعلى المعدة أيضا ، ثم يجب على الانسان أن لا يداول في الأكل أو الشرب بين ساخن وبارد لأن ذلك يضرّ بالطلاء البراق الموجود على الأسنان فيتلّفه ويكون من وراءه نطفه تأكل الأسنان وتسقطها . ولا يجوز الاكثر من الشربة أو المرق . وينبغي أن يكون الخبز جافا وغير مغموس في الماء فقد خلقت الأسنان للضعف فيجب عليك أن تعملها فيما خلقت لأجله فقد ثبت أن الأسنان التي لا تؤدى وظيفتها كما يجب تقع في المرض والاعمال . ويمكننى هنا أن أقول بأن الانسان في ظروف مساعدة يمكنه أن يحفظ أسنانه سليمة حتى يموت . نعم ان القوى له أسنان ضعيفة بالوراثة لا يستطيع قوتها وارجاعها سليمة ولا يتم ذلك في نسله إلا بعد أجيال ولكن من المؤكد أن الناس لو نجحوا في تحسين حالة أسنانهم أتى عليهم وقت بطلت فيه شكواهم من مرض الأسنان . ألا ترى أننا قلنا أن نصادف في عالم الحيوانات أفرادا منها لها أسنان مريضة

يوجد مثل قديم يقول : « كل على قسما تشتهي » هذا المثل صحيح ويستحق الاعتبار نظرا للاحوال الحاضرة المضادة للطبيعة التي يعيش فيها الناس . فهو صحيح من الوجهة الطبيعية لأنى لا تصور أن الطبيعة تعطي للانسان شهية في الوقت الذي فيه معدته لا تستطيع القيام بوظيفتها ، ولكن مما يوجب الأسف أن صاحب الشهية اليوم يتناول من الأشربة والأغذية أكثر مما يلزم لجسمه ولا يتفق مع صحته فيصّر نفسه ضرا بليغا فيجب أن ينظر الى هذا باعتباره حالة من الأحوال المضادة للطبيعة لا الموافقة لها ، ألا تنظر للطيور والحيوانات الأخرى فهل رأيت فيها ما يتبرم عقب الأكل من الإفراط فيه

رغمما عما يقوله الناس اليوم من أنه لا ينبغي لمن أكل وملا معدته أن يضطجع ، أنصح بالاضطجاع عقب الأكل مدة من (٣٠) الى (٤٥) دقيقة فان الأعضاء الأخرى متى ارتاحت انصرفت دورة الدم كلها الى المعدة فتم هضمه على مايرام ، وبما يجب العناية به أن يقتنس الانسان تنفسا طويلا جلة مرات عقب كل أكل في الهواء الطلق ليخلط المقدار الكافي من أوكسجين الهواء بالدم ليتم الهضم على أحسن حال

(٣) - ماذا ينبغي للانسان أن يشرب وبأكل ؟

يجب على الانسان أن لا يتناول إلا الأغذية السهلة الانهضام الخالية من الاصول الضارة ، وهذه الأوصاف تنطبق على جميع الفواكه والحبوب وخصوصا القمح ، فهو فضلا عن وفرة أصوله المغذية يحتوي على جزء عظيم من الفوسفور وهو العنصر الضروري لحفظ سلامة المنخ ، فقد قال مولخوت : « اذا لم يكن فوسفور فلا فكر » ويجب أكل النباتات الخضراء والفواكه ، واذا كان الانسان اليوم لا يكتفى بها وحدها فقد كانت في الأزمان السالفة هي الغذاء الوحيد لكثير من الناس . ولقد كثر اليوم مبدأ الإفراط في العمل وهو أمر مضاد للطبيعة . وانا لرى أن هذا الإفراط ليس ضروريا بل هو ناشئ من سوء النظام . وفي نظرنا أن نصف هذا العمل يكفي لاقامة أمر الحياة كما يجب واذا ذلك لا يحتاج الانسان أن يتناول الأغذية الثقيلة الدسمة كما هو حاله اليوم

فلقد أثبت لنا الدكتور (ناتار) و(سوكسى) بصياهما ورياضتهما أن الانسان يكفيه قليل من الغذاء والتي نراه انه لا يجوز أن تخلو المائدة من الفواكه يوما واحدا لأنها مرطبة ولها دخل عظيم في حفظ الصحة . أما اللحم فيجب أن يعتبر في الأطعمة من توابلها لاغذاء قائما بنفسه فان له تأثيرا مهبجا ضارا بالبدن وليأخذ الانسان دليلا على ضرره وتهميجه من اجاع الأطباء على تحريم تعاطيه للصاب بالحي . والأغذية التي تضرّ المرضى تضرّ الأصحاء لا محالة وان يكن الأصحاء لا يحسّون بضررها بسرعة على . أن القيمة الغذائية للحم ليست بالقدر الذي يظنه الناس عادة فان الرطل من الحنطة أو من الحبوب الأخرى أو من النباتات الخضراء الخ يزيد في القيمة الغذائية عن رطل من لحم البقر الجيد . وهنا ننبه على أن أكثر الناس يخطؤون خطأ عظيما في اعتقادهم أن اللحم يزيد أجسادهم قوة ويملأهم حياة وفتوة . بل الأمر بالعكس فان الاكثر من أكل

اللحم صار" للدرجة القصوى . وأما النباتات فهي الغذاء الجيد الصالح لحفظ قوة الانسان الجسدية والعقلية وتوفير سعادته البدنية ، فكما أن الطبيعة تعيد في كل فصل شبابها وتستدعي بذلك امجانبنا ، كذلك تفعل النباتات في أجسادنا فانها تعيد اليها قوتها وتملؤها حياة ونشاطا بخلاف سواها من الأشربة والأطعمة كالقهوة والشاي والبيرة واللحم والتبغ . أما التوابل فانها تهيج المعدة وتنشطها حتى قد تبلغ بها ضغني قوتها ولكنها تنتهي باضعافها فلا يعود الانسان قادرا على الهضم ، ولما أنس الانسان بالأشياء المضادة للطبيعة بعد عن الموافقة لها ولا يسترده سيرته المعقولة في موافقة الطبيعة إلا بالعود ، قد يتبرم الانسان من اخلاف عادته حينما من الزمان ولكن متى زال أثر العادة السيئة حل محلها أثر المادة الطيبة بما يستتبه من راحة وصحة وهناك وعليه فاني أفصح بعدم أكل التوابل والاكتفاء بتعاطي الأشياء مجردة فان كل صنف نابله فيه . أما ما يشربه الانسان فلا ينتظر من مثلي أن ينصح بتعاطي الأشياء الضارة ولو كان في الناس من يمز عليه أن يقلع عن عادته فيلصر عليها حتى الممات ولكني أغضب أولاده وأحاول أن أقنعهم بما يجب عليهم أن يتعدوا عنه . أنا لا أستطيع أن آذن لأحد بتعاطي البيرة والالمرقي ولا النبيذ والقهوة ولا الشاي . فإذا لم تكن لتستطيع أن تقلع عنها نباتا فقلل منها ما استطعت . أما المشروب الوحيد النافع للانسان الملائم لصحته فهو الماء الصافي العذب فاشرب منه ما شئت . والذين لا يستطيعون إساعة الماء القراح فهم مرضى ولا يزالون مرضى حتى يستطيعوا إساعته دون سواء

أنا لأربدأن أرجع بالانسان الى دور الوحشية الأولى ولكني أربدأن يستفيد الناس من مزاي الاخششاب في الأكل وهي المزايا التي يتمتع بها دوننا المتوحشون . ولأربد كذلك أن أتخذ من حال الهندود المتبربرين مثلا نحتدي في حياتنا فانهم أيضا قد أصابتهم عدوى مدينتنا فأصبحوا عن الصراط ناكين يظهر من حال طبيعتنا اننا لم نخلق إلا لأكل النباتات دون سواها . فإذا تأملنا في تركيب أجسادنا رأينا أنه ليس فينا ما لأكلة اللحوم من الحيوانات من اقابلية لتعاطي اللحم فليس لنا أنياب الوحوش ولا مناسر الكواسر الخ وقد أحكم الله كل ما وضعه فلا يصح أن نرض انه غلط أو حاد عن جادة الابداع وعليه فلا أدل للانسان في أمور عيشه وسعادته من القانون الطبيعي فهو لا يهدينا إلا لما فيه المصلحة ولا يزينا إلا عما في تعاطيه المضره . فإذا خرج الانسان عليه ولم يخضع لارشاداته عاد أمره عليه بالوبال . وفاق من جراء عصيانه أسوأ الأحوال

فإذا كان الله جل شأنه خلق لكل كائن استعدادا خاصا لأنواع الغذاء لا يجوز له أن يتعداه ساغ لنا أن نحزم هنا بأنه تعالى خلق الانسان نباتيا صرفا . وإذا كان الأمر كذلك فلا يعقل أن انسانا يستعيد صحته وينال سعادته إلا اذا عاد للأغذية النباتية وترك ماسواها سواء أ كان ذلك طفرة أم تدريجا ، ولا يجب اذا كان الانسان وهو أكرم المخلوقات وأشرفها يقتصر من غذائه على أكرم الأطعمة وأطهرها وهي الفواكه الناضجة اليابسة ، وقد دلنا الطبيعة أيضا أن الانسان اذا اقتصر من الأغذية على ما يناسب استعداده وهو الأطعمة النباتية دون سواها عاش عمرا طويلا مهنا في نفسه معافي في بدنه بخلاف ما لو تعاطى ما يخالف استعداده كالعرق والبيرة والقهوة والتبغ الخ

ومما يؤسف له أن نحو من (٩٠) في المئة من الناس يعيشون في شروط معيشية تناقض الطبيعة ، وليس بعد ما قمتناه حجة في أن هؤلاء متعرضون بهذا السلوك الذي لأفصح المصائب وأكبر الآلام الانسان يعيش اليوم مقودا لتقليد الجمهور محتملا في هذا السبيل الآلام المختلفة ومنوف الضعف والقبول فما أجدره بقراءة المؤلفات الموضوعه في الطب الطبيعي لينتشل نفسه من وهدة هذا السقوط . نعم إن من يريد أن ينجح فاصحى يجب أن تكون له ارادة من جديد . ومما أسف له أن هذه الارادة صارت اليوم أعز من

أمن أنواع الحيوان

إن الطبيعة لترينا ، وجل آدم في الجنة شاهد علينا ، بأن ليس الحيوان وحده هو الذي خص بوجوده غذائه حاضرا أينما سار ، بل أتم لله على الإنسان أيضا بهذه اللزبة وكفاه مؤنة هذه المشاق التي يحملها نفسه في تحضير الغذاء ، فضلا عن أن الإنسان قضى على نفسه بنفسه أن يكون غناؤه يبيد للنال كثير التكاليف أوجب على جسده أيضا حاجات مصطنعة وهمية تمتد جيش الآمه وترتد في ويلاته على غير جرى . انتهت النصيحة الخامسة

(النصيحة السادسة)

(إراحة المعدة واعطائها زمنا كافيا للهضم)

(مترجم عن كتاب سرّ الصحة تأليف الاستاذ دو فورست)

« أولاً ، يجب اعطاء المعدة زمنا قليلا ترتلح فيه بين ساعات عملها فان مضى خمس أو ست ساعات من بعد انتهاء الأكلة الى ابتداء مايلها فليس بالوقت الطويل فان الهضم المعدي يتطلب من (٤) الى (٥) ساعات في أغلب الأحوال

« ثانيا ، كل الأغذية يجب أن تكون خارج للمعدة قبل ساعة النوم لأن النوم يضر الهضم ضررا بليغا
« ثالثا ، اذا كانت الأكلات مستوفاة وتوصيت في الأوقات التي تكون قوى الجسم فيها على أتم ما يكون (أى في الساعة ٨ صباحا و٢ ونصف بعد الظهر مثلا) فان أكلتين في اليوم تكفيان أكثر الناس وخصوصا من كانت حياتهم جالوسية فاذا كانت الساعات التي عينها لا توافقهم فالأولى أخذ ثلاث أكلات في اليوم بشرط أن تكون الأخيرة خفيفة وتؤخذ بين الساعة (٦) و(٧) للمصابين بلحمى أو بأمراض أخرى ممن يخضعون لنظام الأغذية السائلة وكذلك الأفراد الطاعنون في السن والضعاف والأطفال ممن دون السنة يستنون من هذه القاعدة

(الضلالات الغذائية)

(عن الاستاذ دو فورست أيضا)

« أولاً ، الأكل بين الأكلات : اذا اسلم الإنسان لهذه العادة أفسد عليه نظام معدته فان الجهاز الهضمي معدّ للعمل بطريقة منتظمة ولايستطيع أن يعمل في كل وقت ، مثله في ذلك كمثل كل عضلة من العضلات الجسدية فيجب أن لايدخل شيء الى الفم بين أكلة وأكلة ولوكان تفاعلة
« ثانيا ، الأكل بسرعة : اجتنب هذه الضلالة بأخذ الأغذية الجامدة فان حفظ الحياة لا يكون بقدر الأغذية المزودة بل بقدر الأغذية التي يمثلها الجسم ، ولأجل الحصول على تمثيل تام يجب أن تكون الأغذية التي تؤخذ جافة تستحيل الى هيمنة بواسطة الأسنان واللعب

« ثالثا ، الأغذية الحارة جدا تضر المعدة وكذلك السوائل الحارة جدا

« رابعا ، الأغذية التي تسفل المعدة بلردة تقتضى من جهة الجسم صرف قوة حيوية لايسالها الى درجة الحرارة الجسمية قبل أن يتبدى هضمها

« خامسا ، الأغذية السامة (المقاولة على المحروس) المركبة تهبج الشهوة ولكنها صعبة الاتهضم جدا ولاتطى دما جيدا

« سادسا ، الفلفل والحردل والقرنفل والقرقة وجميع التوابل ليست من الأغذية لأنها تهبج المعدة والمجموع العصبي وتحدث نزلات وأمراضا عصبية معدية (بكسر العين) وعلاا أخرى وتفسد الشهوة بتجويه الطعم الطبيعي للأغذية

وسابغاء الجبن والمحفوظات في الحلّ من الأغذية أى المخلات واللحم وما يستعمل قلا من الأجسام الدسمة المركبة وخصوصا اذا أدخل اليه من بيكر بونات الصودا وقشدة التاوتر (وهي تستخدم مما يرسب في براميل التبيد للح) لا يجوز بأى وجه من الوجوه أن تدخل الى المعدة الانسانية ولا يجوز أن تكون جزءا من غذاء انسان يريد أن يستعيد صحته أو يحفظها في حالة جيدة ، والمنبهات من السوائل والمشهيات والحمر والشاي والقهوة والشكولاتا هي أكثر ضررا أيضا ، أما التبغ فلا يجوز أن يدنس جسم الانسان الذى يحب حياته وصحته . انتهى الكلام على النصح للست والحمد لله رب العالمين

﴿ المقام الثانى ﴾

فيما ذكره أحد الأطباء في بعض المجلات العلمية تحت العنوان الآتى وهذا نصه :

﴿ الفيتامينات ﴾

(موارد الحياة)

تصدت أبحاث العلماء في الفيتامينات وأنواعها فنشرت الصحف والمجلات في أوروبا عنها صفحات عدّة فا ثرت تلخيص أهم ما عرف عنها لقراء « مجلة النهضة » الغراء وفي نشرها فائدة لا تخفى على حضراتهم إذ طبقوا هذه المعلومات على غذائهم

إن العلماء عرفوا الفيتامين كما يستدل من اسمها بمورد الحياة وقسموها لأقسام : (أ) و (ب) و (ج) و (د) وقد كشفوها في موادّ الغذاء الطازج النقي وهو على حالته الطبيعية ، ومصدر الفيتامين في هذه الأطعمة هي أشعة الشمس التي لاحياة ولاغذاء بدونها وهذه الفيتامينات تفقد وتزول في الغذاء متى قدم بتأثير النار والتعفن الح

إن هذا الاكتشاف يدلنا على منافع الغذاء الطبيعي بدون تحضير كالخضر النيئة والقواكه الطازجة التي لا تدخل النار واليك البيان : إن أنواع الفيتامينات لا توجد في صنف واحد من الغذاء بل هي في أنواع عديدة من المأكول فيجب على الانسان أن يعدّد أصناف ما كمله حتى يستفيد من موارد الحياة هذه لأنها ضرورية ولا يستغنى عنها وقصاتها من الجسم أو فقدانها منه تسبب أمراضا عديدة خطيرة على الحياة كما ثبت ذلك من التجارب الآتية

حبس بعض العلماء بعضا من الحيوانات في مكان مظلم ومنعوا عنها الغذاء الطازج المحتوى على الفيتامين وهي بعيدة عن نور الشمس فأصبحت هذه الحيوانات بالكساح كما أن صفارها أصيبت بوقوف التّوّ تماما وضعت قوّة بصرها وهزلت وهذا تماما ما يحصل للانسان ويعرف بدهاء (أفيتمينوس)

ولما أعادوا هذه الحيوانات الى نور الشمس وأطعموها غذاء طازجا يحتوى على الفيتامين خلاف الغذاء الأوّل الذى أعطى لها مدة وجودها بالظلمة استعادت قوتها وشفي صفارها من الكساح ، ثم عاد العلماء الى التجربة في الانسان فعمدوا الى ركاب البحار الذين يأكلون الأطعمة المحفوظة في العلب والتي فقدت الفيتامين فوجدوا أن هؤلاء جميعا معرضين لمرض الاسقربوط وفساد الدم ولين العظام عند الاحداث فعالجوهم جميعا بإعادة الأغذية المشبعة بالفيتامين وبأشعة الشمس الطبيعية اذا وجدت أو الصناعية (فوق البنفسجية) فشفوا تماما في مدة وجيزة ، وقد كانوا قبلا يهاجرون السنين الطوال دون أقلّ أمل في الشفاء ، مثال ذلك الاسقربوط الذى يشفى بصير الليمون المالح والبرتقال والخضر النيئة ولا يشفى بملح الليمون أو شربات البرتقال أو الخضر المغلى على النار ، فثبت علميا أن في المأكولات الطازجة النيئة فيتامين أو موارد حيوية لاغنى للانسان عنها في غذائه كما ثبت أن لبعض الزيوت النيئة قائمة كبيرة في شفاء الكساح ولين العظام عند

الأطفال جربوا استعمال هذه الزيوت نفسها بعد غليها على النار أو وهي قديمة فلم تأت بفائدة مطلقاً ثبت لديهم أن فيها مواد حيوية وهي الفيتامين ، ووجدوا أن الحبوب كالقمح والذرة إذا استعملت نيئة وطازجة (كالفريك) تعطى قوة عضلية عظيمة كما هي الحال في آكلها من الحيوانات كقوة الثور على جرّ الأقال الخ ومتى طبخت أو خبزت تفقد قوتها الحيوية بنسبة اتلاف النار للفيتامين فيها ، ولقد دلت التجارب في الانسان والحيوان معا حتى استعملوا أعضاء الحيوانات السليمة لشفاء الأمراض التي تصبب مثل هذه الأعضاء في الانسان فاستعملوها نيئة وأتت بفوائد جمة ، منها استعمال خلاصة المبيض والفرد الكلوية والدرقية والمصبتين والثديين الخ

وأخيرا ظهر دليل قاطع حديث وهو : عالجوا فقر الدم الشديد الذي يصبب الاحداث من الناس عند بلوغهم وعلى الأخص البنات بجميع أنواع العقاقير والعلاجات فلم يجد نفعاً حتى وفق العلم الحديث الى اكتشاف خطير وبسيط جدا ، فقد عالجوا هذا الداء المسمى الكوروزا وفقر الدم الشديد بالكبد النبي الطازج المأخوذ من حيوان سليم وعلى الأخص كبد الجبل يأتي بفائدة مذهشة عدوها في العلم مجزة ، ولكن اذا عولج الكبد بالنار فلأفائدة فيه لأن النار تفقد الفيتامين

وبعد كل هذه التجارب أذاع العلماء قرارهم هذا النهائي القاضى بتعديل طرق الغذاء عليها انتهى من مجلة « النهضة النسائية »

ولقد جاء تفراف في الصحف أن حكيم روسيا قضى (٢٠) سنة في التجارب أثبتت له أن الانسان يمكنه أن يعيش (١٦٠) سنة اذا اقتصر على أكل النبات الذي لم يطبخ

فلما سمع صاحبي ذلك قال : إنك أثناء إقائك هذا الموضوع بينت لي في وجهك آثار آراء تختلج في قلبك ؟ فقلت نعم . فقال فاذا رأيت في هذا ؟ فقلت : الفيتامين في العلم والدين كالفيتامين في الغذاء ، إن الذي جاش بخاطري في أثناء إلقاء هذا المقال هو أن الأمم الاسلامية التي ظهرت بعد القرون الثلاثة الأولى . فعلت في الدين ما فعله الناس في الطعام من التجاني عن الحقائق والتباعد عن الاصول والاستفراق في مباحث القشور وظواهر الامور اللهم إنك أنت العليم بما جناه الناس على أنفسهم في طعامهم إذ أماتوا مواد الحياة بطبخه ونبد قشوره وما يسمونه السن في القمح ، وما يسمونه النخالة (وبعبارة أخرى) ان ما يستلذه الناس من ما كلفهم التي اصطالحوا عليها هو المفسدة العظمى لصحتهم ، هكذا فعلوا في الدين ، ذلك انهم لما نبهوا العلم والابحاث أخذوا يفعلون في الدين ما فعلوه في الطعام واللباس ، فكما أن حجب الجسم عن ضوء الشمس ولفه لفا وثيقا يحجب عنه الهواء والشمس وهكذا زج الطعام في النار كل ذلك مضعف لصحته هكذا نهافت الناس على كتب المتأخرين وتركهم نفس كتاب الله تعالى وابعادهم عقولهم عن المباحث الشريفة أضعف أهمهم وأزهدهم في الحضيض ، وما الاتكال على الكتب الموروثه التي كانت نتائج انصهار العقول الكبيرة في الأمم الاسلامية الفائرة وعدم تعرض عقولنا نحن الى نفس كتاب الله تعالى وكتاب رسوله ﷺ ومناظر المشاهد الطبيعية إلا كالاتكال على ما أوقدنا عليه النار وطبخناه من الطعام (كالمعلوم المطبوخة بنار العقول الكبيرة الاسلامية بعد القرون الأولى) وكالاتفاء باللباس التي حجبت أجسامنا عن نور الشمس وهي لانفني عنه قليلا ، فليكن عمدة المسلمين من بعد الآن كتاب الله تعالى وكتاب الطبيعة ودراسة علوم الآفاق والأنفس وهذه الطائفة هي التي تتولى قيادة الأمم الاسلامية بعدنا وهم هم الذين يفهمون كلام الله ، وكيف يفهم كلام الله إلا بدراسة فعله . القرآن كلام الله والعالم فعله فلندرسه دراسة تامة وبها نفهم كلامه وغير هذا لا يفيد فقال : لقد نطقت بحكمة وأفدت بعلم ولكن لازلت أحب أن تفيض في هذا الموضوع بعض الافاضة لتبيان للموازنة ما بين آراء المذاهب والفرق المتشاكسة وما بين الطعام المطبوخ . فقلت : لاجرم أن النار التي بها نطبخ طعامنا ما هي الاثر من آثار الشمس . ألا ترى رعاك الله أن الفصح الجري المذكور المشروح في أول (سورة

سباً) وهكذا الخشب وغيره كلها قد خزن فيها ضوء الشمس تصلح لاقتراد النارية . والشمس هي المنضجة
 المحبوب والفواكه . فلما رأى الناس ذلك قد بما ظنوا أن للنار في الطعام آثارا كما تثار الشمس من حيث
 الاصلاح فأوقدوا النار على طعامهم والنار ما هي إلا ابنة الشمس والفرع ينوب عن الأصل كما عبدوا الأصنام
 النائية عندهم عن الكواكب كما هو موضح في أول (سورة البقرة) عند آية - يا أيها الناس اعبدوا
 ربكم الذي خلقكم - الخ هكذا فعلوا في الديانات ، ففي كل أمة متدينة علماء لهم مذاهب مختلفة صهرتها
 عقولهم وأوقدوا عليها نيران ذكوتهم كما أوقد الناس النار على طعامهم ، وهؤلاء العلماء إنما استمدوا آراءهم
 من دينهم مع اضافة تفكيرهم بعقولهم كما ان الخشب والفحم استمدتا الحرارة من الشمس وقد دخلت صناعة
 الناس فيهما وأوقدوهما نارا ببلخ طعامهم ، وهل تريد لهذا بياناً أكثرهما في كتاب «الفرق بين الفرق»
 وكيف ظهر أن هناك نحو (٧٣) فرقة كل فرقة ترى الحق معها وتدعى جهل جميع المسلمين ، أولاترى مذاهب
 الباطنية المرهقة في (سورة الكهف) عند آية - وما كنت متخذ المضلين عضداً - وهكذا مذهب البهائية
 في الفرس والأحدية في الهند وغيرهم ، فهؤلاء جميعاً أشبه بمن يأكلون الطعام الذي أذهبت التارقوته الحيوية
 إذن فليرجع الناس الى كتاب ربهم والى فعله في العوالم ، وهذا هو الأمر الواجب اليوم على المسلمين جميعاً
 في أقطار الأرض

أيها المسلمون : لاجية لكم بعد الآن إلا بأن يكون القائمون بأمركم من علماء وحكماء وأمرء ومالوك
 أحوص الناس على العلوم الرياضية والطبيعية والفنكن منها ومن دراسة القرآن وأصح الأحاديث مع المحافظة
 على أركان الاسلام المعروفة ، فهناك حقا تتجلى لهم هذه المذاهب الاسلامية في الفروع وفي الاصول وهناك
 يظهر للإسلام رونق فوق مانحن عليه الآن

وكما أن مادة الحياة ضعيفة في المطبوخ من الطعام كما قدما بسبب إيقاد النار عليه وان كانت النار ربيبة
 الشمس وابتها ، هكذا الحياة العلمية والدينية في بلاد الاسلام تبقى خامدة جامدة مادامت قاصرة على دراسة
 الآراء المستنبطة في المذاهب المختلفة والفرق المتشاكسة والاقتصار على ذلك ، بل هذه المذاهب كلها يجب أن
 يضم إليها دراسة نفس القرآن وما صح من الحديث وجميع العلوم الطبيعية

إن المسموع اذا خلا من المنظور كان قصراً على التقليد المحض وهو أنقص المعلومات ، هذا ولتجرب أيها
 الذكي من أن هذا المقال كله يدخل في حقى قوله تعالى - وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم
 سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ - الآية وقال - إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه
 مسؤولاً - فانظر الى الترتيب على وتيرة واحدة في الآيتين . فالسمع يسمع القرآن والتاريخ المنتشر بين الأمم
 والعلوم الكثيرة . فاذا سمعها ووقف عند سماعها فهو غيبي فلذلك أعقبه بذكر البصر الذي يشاهد به العلوم
 الطبيعية وهي تجرّه الى العلوم الرياضية ليترس نظام الفلك وغيره . ولن يتم ذلك كله إلا بالعقل فلذلك أعقب
 بذكر الأفئدة . فانظر لترتيب محكم في الآيتين . ثم انظر لآلة الاسلام الحالية والسابقة كيف ناموا على ما سمعوا
 وانكلموا على الشيوخ السابقين وعلمهم مسموع من المسموعات فالقرآن مسموع وكلام العلماء مسموع فلماذا
 لا يفكر المسلم في المحسوسات التي حوله لتوضيح ماسمعه ؟ ويجمع هذا كله من وجه آخر (آيتان : الأولى)
 - أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقنطأها - ومثاها آية - ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر -
 (الآية الثانية) - قل انظروا ماذا في السموات والارض - . فالأولى لتدبر المسموع والثانية لتدبر المنظور
 والتدبر لا يكون إلا بالعقل

إذن المسلمون بعدنا سيتجلى الله عليهم بقرارة علوم السمع وعلوم البصر وعلوم العقل وهذه تجمع
 التسمين وهم هم الذين يقاؤون كلام الله تعالى ويفهمونه أكثر من الأمم السابقة بعد الصدر الأول - وقله

فلما سمع صاحبي ذلك قال : لقد شفيت صدري وشرحته بهذا البيان . فقلت الحمد لله رب العالمين

﴿ بهجة العلم والحكمة ﴾

(في قوله تعالى أيضا - قال فبغزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين * قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وعمن تبعك منهم أجمعين * قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين - الى آخر الآيات وتعلم السورة)

هذه القصة الآدمية الإبلية جاء في أولها كبر إبليس وعظمته وتكبره على السجود لآدم وامتناعه عن التواضع كما امتعت الآساد والنمور والسباع عن الخضوع للإنسان وتناست في البراري والقفار والأودية وتعالى بما أحسن في نفسه من القوة النارية التي خلق منها ، فاستوجب اللعنة وأخذ يفوى كثيرا من بني آدم ليطيهوه في أخلاقه فيتكبرون ويضلون المعاصي كالقتل والحرب والحسد والعداوات ، فكل هذه من آثار الثيران المتأججة في القلوب التي تمت بصلة الى طبائع الشيطان ، ثم إن بني آدم زادوا معاصي أخرى على إبليس وهي المعاصي التي جاءت لهم من جبلتهم وظهرت على أيديهم بسبب أصل خلقتهم وهي الحرص والبخل والشح والطمع والاسراف في الماء وكل المشارب وما أشبه ذلك ، فهذا النوع من المعاصي سببه ناسج من أصل خلخته وهي المادة الطينية ، إذن المعاصي كلها « قسمان » قسم جاء من طريق الغواية وهي آثار القوى القضيية مشاكسة لأخلاق الشياطين ، وقسم يرجع منشؤه الى جبلته الانسان وهي القوى الشهوية ، وهاتان القوتان مركوزتان في أنواع الحيوان ، فما كان منه من أنواع البهائم مثلا وبعض الطيور اللاتي لاتأكل المحوم وانما تغتذى بالثمار والحشائش وما أشبهها ، فهذه تغلب فيها القوة الشهوية ، وما كان منه من أنواع السباع والنمور وكل حيوان كاسر فقد غلبت عليها القوة القضيية ، والانسان جمع القوتين وزاد عليهما قوة الحكمة والعقل وكان فيه الحكماء والعلماء ، والانسان الأول سارمع الفطرة قبل أن تفسد غريزته وهتله بطلته وتذله شهوته ونستهويه هاويته ويدوق العذاب الأليم ، وقصة آدم كررت في القرآن لتذكيرنا بما كان عليه أسلافنا القماماء من الهناء وراحة البال والسعادة الدنيوية قبل أن تزل بنا الرزايا والبلايا والمصائب وحلول الداء وذهاب الهناء ومن سار في كرتنا الأرضية يجد لهذه القصة الآدمية بعض الآثار من بعض الوجوه ، ألم ترى أن بعض العوائد التي لاتزال عند بعض أهل السودان ، فقد جاء في بعض المجالات التي تصغر في دار الملل بمصر في زماننا مانسه :

﴿ ماذا في السودان من غرائب العادات ؟ ﴾

للسودانيين الأصليين عادات غريبة ولاسيما القاطنين منهم في أعالي النيل وماجاور خط الاستواء فانهم أقرب الى زنوج أفريقية منهم الى أهالي الخرطوم والساكين في شامها الذين يشبهون في كثير من عاداتهم وأخلاقهم أبناء الوجه القبلي من المصريين ويحبون أن ينسبوا اليهم ويكرمون النازلين منهم في ديارهم . ولكن مما يمتاز به السودانيون القاطنون في الجنوب عن اخوانهم أهل الشمال الجرأة والشجاعة الكبيرة التي يكافون بها الطبيعة والوحوش الكاسرة القاطنة في بلادهم كالاسود والنهود والقردة الوحشية والنمور العادية والثعابين القاتلة ذات الحطم الهائل والشكل الخيف وهذه الشجاعة تكاد تكون هي السلاح الوحيد الذي يستطيعون به مغالبة هذه الحيوانات الشديدة البأس حتى يقتصروا عليها ويدفعوا شرها عنهم وعن أطفالهم على أن كثيرا منهم يخرج للصيد في الصحراء فاذا مالق فيلا أو نمبانا عظيما أخذ يطارده حتى يتغلب عليه

و يصطاده ثم يقوده الى داره ليكون طعاما له ولبن عنده من زوجته وأولاده . وقد أخبرني أحد الضباط
 كان سائرا ذات مرة مع ضابط من السودانين الأصليين وكان الليل قد نشر أجنحته وانظلام غمما على الطريق
 وهما في وسط غابة مزدهجة بالأشجار والادغال ، وبينما هما كذلك اذا بهما يحسان تحت أقدامهما بلغم
 هاري فالتفت الضابط المصري الى زميله السوداني وسأله : ماهذا يا فلان ؟ فنظر الضابط السوداني الى الأرض
 وبعد أن تحقق منه قال له : هذا ديب ، والسودانيون يسمون الحية عندهم ديبيا ثم أمره بالابتعاد وسل
 سيفه وضرب الحية ضربة قوية جعلتها تفر من مكانها فزاحمة فمها تريد قتله والقضاء عليه ولكنه أسرع
 ففرضها ثانية وثالثة وهوثابت في مكانه لا يتزحج حتى قضى عليها وصارت جثة هامدة . وبعد أن تحقق من
 موتها قطع رأسها ثم حملها معه . ولما وصل خيمته قطعها قطعا وشواها كلها وأخذ يلتهمها التهاما

ومن عادة السودانين أن يأكلوا القيل أيضا فيصطادونه ويجعلونه طعاما لذيذا لهم . وليس ذلك لقله
 ما عندهم من الحيوانات المستأنسة كالخراف والبقر والجاموس والابل بل إن عندهم من هذه الأنواع كثيرا
 ولا سيما أن هناك قبائل ليس لهم من عمل غير رعاية الإبل والبقر وتربية الخراف . وقد سمعنا من بعض
 الذين زاروا تلك القبائل أن الخروف الواحد يمكن شراؤه هناك بقسعة قروش أو عشرة . وبعضهم طريقة
 خاصة في شئ الخروف أو غيره من الحيوان فانهم بعد أن يقطعوه قطعا يدهنون تلك القطع قبل دخولها
 النار بالقليل . وبعد تمام شها يأخذون في أكلها حارة ويضيفون فوقها أثناء الطعم بعض التوابل مما
 يزيد في حاريتها وحرافتها . ولا تطيب لهم لذة الطعام إلا اذا كلف مضافا اليه جانب من القليل والتوابل
 ويستعدون أن في ذلك صحة وعافية وقوة

وإذا تزوج شخص عملت له عملية « البخور » وهذه العملية خاصة بضعيف البنية . ولكن بعض
 الأقوياء يعملونها عند ابتداء زواجهم بل وبعده . وطريقتها أن ينام الرجل على سرير من ليف مصنوع على
 هيئة شبكة وهو عاري الجسم تماما ثم يوقد تحت السرير موقد تضع فيه المرأة بخورا خاصا يتساعد دخانه
 حتى يشمل جسم الرجل مدة من الزمن ثم يقوم فيلبس ثيابه ويتناول بعض الأطعمة المفيدة كالقراخ أو اللحم
 ويكث على ذلك بضعة أيام يكتسب بعدها قوة ونشاطا

وبمناسبة الزواج يقول إن بعض القبائل يجرون الزواج عند شيخ القبيلة ويسمونه في عرفهم (سلطان
 القبيلة) وتجري صيغة العقد بين الزوج والوالدة الزوجة بواسطة سؤال السلطان عن رغبة كل منهما في الصاهرة
 ثم يدفع الزوج قفرا من المال الى والد الزوجة فيأخذه . ويشترى به حديدا يحفظه عنده حتى اذا حصل بين
 الزوج والزوجة ما يوجب الانفصال دفع والد الزوجة هذا الحديد الى الزوج وأخذ ابنته

وقعدت الزوجات منتشرة في قبائل السودان . ولكن لا يجحد الرجل في ذلك ما ينقص عبسه بكثرة منازعات
 الزوجات فانهم كثيرا ما يكن على وفاق ووثام . والرجل السوداني يحب أهل زوجته حبا يقرب من الصلابة
 ولعل هذا في الأكثر هو السبب الذي ينتظم به شأنه وتزداد راحته خصوصا ان من طبائع السودانين
 التعلون في الشدائد والقناعة التي تجعلهم يرضون بالكسرة اذا رأوا أن في غيرها ما يوجب النزاع . ومعظم
 أكلهم الفترة العويجة أو المخبز يصنعون منه (المريسة) وهي طعام محبوب عندهم . وهناك يتعففون عن
 سرقة بعضهم بعضا وقليل ما تقع حوادث سرقة كبيرة بل إن الرجل منهم قد يترك متاعه في الطريق ويذهب
 لتقضاء حاجته من مكان بعيد ثم يعود فيجد حاجته كما هي لم ينقص منها شئ . وفي المواسم الشهيرة كعاشوراء
 ونصف شعبان يمتدون طعامهم أمام منازلهم ويسمونه عشاء اللينين والغرض من الطعام الفقراء وغيرهم بمناسبة
 هذه المواسم رجاء الرحمة من الله على موتاهم السابقين . انتهى ماجاء في المجلة المذكورة والمجد لله رب العالمين
 اذا عرفت هذه القصة عجبت كيف كانت هناك القناعة والأخلاق الفاضلة المفقود أكثرها في الأمصار

العاصمة والمدن الطليعة في بعض بلاد الاسلام ومنها بعض بلادنا المصرية وهناك تفهم ما قسمه من اخوان الصفا في المحاورات بين الانسان وأنواع الحيوان وبه تفهم أن علماء الاسلام منذ آلف سنة كانوا قد بلغوا شأوا عظيما في العلم والحكمة وأدركوا بعض أسرار هذه القصة وأخذوا يذكرين النوع الانساني بما وقع فيه من الانهماك في الشهوات الذي كان هو السبب في ذلم ذلك لا يختص بالحياة الأخرى في جهنم بل إن العذاب أخذ يحيط بالناس في هذه الحياة الدنيا وإن كان أكثرهم لا يفهمون اليوم انهم قد عجز لهم العذاب الآن ، إذن هنا ذنوب لحقتها العذاب في نفس هذه الحياة الدنيا وسيستمر الى آمامد وآمامد بعد الموت وهذا نص :

قال الملك : يا معشر الانس قد علمتم وسمعتم ما قال وفهتتم ما أجاب ، فهل عندكم شئ آخر ؟ فقام انسى آخر أعراي وقال نعم أيها الملك لنا خصال ومناقب تدل على أننا أرباب وهم عبيد لنا . قال الملك هات واذا ذكر منها شياً . قال نعم . قال وما هي ؟ قال طيب حياتنا ولذيذ عيشنا وطيبات ما كولاتنا من ألوان الطعام والشراب والملاذ عما لا يحصى عددها إلا الله تعالى وما طولها . معنا شركة فيها بل هم بمزول عنها وذلك ان طعامنا لب الثمار ولها قشورها ونواها وحطبها ، ولنا لباب الحبوب ولها تبنا وورقها ولنا شبرجها ودبسها ولها كنفها وخشبها ولنا بعد ذلك ألوان الخبز والرخان والأقراص والجرادق من السميد والملاون والكعك وغيرها ولنا ألوان الطبخ من الكبيج والاسفيداج والمضائر والهراتس والجرادق والأكوان الكواميخ وغيرها من الرواصين وألوان الأشربة وألوان الشوى والحلوى والحليص والقطاق واللوز يج ، ولنا ألوان الأشربة من الخمر والتبذ الخالص الجيد والقارص والسكنجيين والحلاب والفقاع ، وألوان الألبان من الحليب والرائب والمست والسوغ والسمن والزبد والجبن والكشك والمصل وما يعمل منها من ألوان الطبخ والملاذ والطيبات والمشتيات ولا يحصى كثرة ذلك إلا الله تعالى وكل ذلك هم بمزول عنه وخشونة طعامهم وغلظها وجفافها وقلة الرائحة الطيبة منها وقلة دسومتها وحلاوتها دليل على قلة لغتهم منها وهذه الخصال للعبيد تلك حال أرباب النعم الأحرار الكرام ، وكل هذا دليل على أننا أرباب لهم وهم عبيد وخول لنا أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

فنفق عند ذلك زعيم الطيور وهو الهزارداستان وكان قاعدا على غصن شجرة يترنم فقام وقال الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، القديم الأبد ، الهائم السرمد بلا شريك ولا ولد ، بل هو مبدع المبدعات وخالق المخلوقات وعلو الموجودات ومسبب الكائنات من الجمادات والنباتات وبارئ المبرآت مركب السموات ومولد المولودات كيف شاء وأراد

واعلم أيها الملك الكريم أن هذا الانسى افتخر بطيب ما كولاتهم ولذيذ مشروباتهم ولا يدري أن ذلك كله عقوبات لهم وأسباب للشقاوة وعذاب أليم إذ في حوامها عذاب وفي حلالها حساب وهم فيما بينهما من الخوف والرجاء . قال الملك وكيف ذلك ؟ بين لنا ؟ قال نعم وذلك انهم يجمعون ذلك ويحصلونه بكثرة أبدانهم وتعب نفوسهم وجهد أرواحهم وعرق جبينهم وما يلقون في ذلك من الشقاوة والهوان بما لا يمتد ولا يحصى من كثر الحرث والزرع واثارة الأرض وحفر الأنهار وسد الشق وعمل البريدات ونصب البوابل وجنب الغروب والسقي والحفظ والنظافة والحصاد والحل والجمع والهباس والتثنية والكيل والتقسمة والوزن والطحن والجبن والخبز وبناء التنوير ونصب القصور وجمع الحطب والشوك والسوق والسرقين ووقود النيران ومقاساة الدخان وبناء المبكدان ومحاكاة القصاب ومحاكاة البقال والجهد والعناء في اكتساب الأموال والهرامم وتعلم الصنائع والمكاسب المتعبة للأبدان والأعمال الشاقة على النفوس والمحاسبات والتجارات والتهاب والنجس في الأسفار البعيدة في طلب الأمتعة والحوائج والجمع والأذخار والاحتكار والاتفاق بالتقدير مع مقاساة البخل والشح فإن كل جمعها من حلال وأخفها في وجه الله فلا بد من الحساب وإن كل من غير حلال وانفاقه في غير وجه

أقمة فالويل والحساب والعذاب اذ لا بد من القوت والثياب مثل ما لا بد من الموت والحساب ونحن بمجزل من هذه كلها وذلك ان طعامنا وغدائنا هو مما يخرج لنا من الارض من أمطار سماءها من ألوان البقول الرطبة والخضرة النضرة اللينة والحشائش والشب ومثل ألوان الحبوب اللطيفة المكنونة في غلفها وسنبها وقشرها ومن ألوان الثمار المختلفة الاشكال وأنواع الطعوم والروائح الذكية والاوراق الخضرة النضرة والأزهار والرياحين في الرياض تخرجها لنا الارض حالا بعد حال وسنة بعد سنة بلا كد ولا تعب من أبداننا ولا عناء من نفوسنا ولا نصب من أرواحنا ولا محتاج الى كد حرات ولا عناء ولا سقى متعب لأرواحنا ولا محتاج الى بذل ولا حصاد ولا دبايس ولا طعن ولا خبز ولا طبخ ولا شواء وهذه كلها علامات الكرام الأحرار وأيضا اذا أسكلنا قوتنا يوما بيوم تركنا ما يفضل عننا مكملها لا محتاج الى حفظه ولا محتاج الى خازن ولا ناظور ولا حارس ولا احتكار الى وقت آخر بلا خوف لئس ولا قطع طريق تنام في أماسكننا وأوطاننا وأوكارنا بلا باب ولا غلق ولا حن أمين مطمئنين مودعين مستريحين وهذه علامات الأحرار وأتم عنها بمجزل وأيضا فان لكم بكل لغة ذكرتم من فنون ما كولاتكم وألوان مشروبكم فنونا من العقوبات وألوانا من العذاب مما نحن بمجزل عنها من الأمراض المختلفة والاعلال المزمنة والاسقام المهلكة والحيات المحرقة من الفب والربيع والثانية والثالثة والرابعة والتخم والجشأ الخامض والهبضة والقولنج والتقرس والبرسام والسرسام والطاعون والبرقان والديبلان والسل والجذام وذات الجنب والبرص والسكتة والصداع والسكررة والرمل وعسر البول والجرب والجدرى والتآليل والدمامل والنخازير والحصبه والمخرجات وأصناف الاورام مما محتاجون فيها الى أنواع عذاب المعالجات من السكى والبط والحقنة والسعوط والحمامة والنفد وشرب الأدوية المسهلة الكريمة الرائحة ومقاساة الحية وترك الشهوات المركوزة في الحيلة وماشا كل هذه من ألوان العذاب والعقوبات المؤلمة للانفس والأرواح والاجساد كل ذلك أصابكم لما عصيتم ربكم وتركتم طاعته ونسيتم وصيته فان أول الناس أول ناس - وعصى آدم ربه فغوى - ان الانسان كان ظلوما جهولا - ونحن بمجزل عن هذه كلها فن ابن زعتم أنكم أرباب ونحن عبيد لولا الوقاحة والمكابرة وقلة الحياء وأتم مادتم في الحياة صحى البدن ففي تعب وكد لتحصيل الانتماسات والشهيات وما دتم مرضى ففي عقوبة وحسرة وبعث الموت في العقاب والعذاب والخطاب ووقوف الحساب ونحن فارغون من هذه الجملة فن الموالي ومن العبيد منا ومنكم قال الانسى قديصيكم يامعشر الحيوان من الامراض مثل ما يصيبنا ليس هو شئ يخصنا دونكم . قال زعيم الطيور انما يصيب ذلك من مخالطكم منا من الحمام والديك والهجاج والبهائم والأنعام أو من هو أسير في أيديكم ممنوع عن التصرف برأيه في أمر مصالحه فلما من كان منا غفلى برأيه وتديره لمصالحه وسياسته ورياضته لنفسه فقل ما تعرض له الامراض والادجاج وذلك انها لا تأكل ولا تشرب الا وقت الحاجة بقدر ما يبغي من أجل ما يبغي من لون واحد فقدر ما يسكن ألم الجوع مم تستريح وتنام وتروض وتمنع من الافراط في الحركة والسكون في الشمس الحارة أو في الظلال الباردة أو السكون في البلدان الغير الموافقة لطباعها أو أكل للمأ كولات غير الملائمة لمزاجها فلما الذى يخالطكم من الكلاب والسنابير ومن هو أسير في أيديكم من البهائم والأنعام فهي ممنوعة من التصرف برأيها في مصالحها في أوقات ما تدعوها طباعها المركوزة في جبلتها وقطم ونسقى في غير وقته أو تغير ما تشهى أو من شدة الجوع والعطش تأكل أكثر من مقدار الحاجة ولا تترك أن تروض نفسها كما يجب بل تستخدم وتعب أبدانها فتعرض لها بعض الامراض من نحو ما يعرض لكم وهكذا حكم أمراض أطفالكم وأوجاعهم وذلك ان الحوامل من نساءكم وجواربكم المرضعات يأكلن ويشربن بشرهن وحوصهن أكثر ما يبغي من ألوان الطعام والشراب التي ذكرت واقتخرت بها فتولد في أبدانهم من ذلك اخلاط غليظة متضادة للطباع فيؤثر ذلك في أبدان الاجنة التي في بطونهم وفي أبدان أطفالهم من ذلك اللبن الرديء ويصير سببا للأمراض والاعلال والادجاج من الفالج والقوة والزمانة واضطراب

البقية وتشوبه الخلق وساجدة الصورة وما ذكرت من اختلاف الأوجاع والأمراض مما أتم مرتنون بهم معرضون لها وما يعقها من موت الفجأة وشدة الترع وما يعرض لكم من ذلك من الغم والحزن والنوح والبكاء والصراخ والمصائب وكل ذلك عقوبة لكم وعذاب لأنفسكم من سوء أعمالكم وراثة اختياراتكم ونحن بمعزل من هذه كلها وشئ آخر ذهب عليكم أيها الأنبياء تأمله وانظر فيه قال ما هو قال إن أطيب ما أتاكم من ألقمات شربون وأنفع ما تتداوون به هو العسل وهو لعاب النحل وليس منكم بل من الحشرات فبأي شئ تفتخرون علينا وأما اللبوسات الحيدة التي لكم أيضا فهي من لعاب أضف حيوان وأما كل لب الثمار ولب الجيوب فنحن مشاركون لكم فيها عند ادراكها رطبة ورياسة فبأي شئ تفتخرون به علينا وقد كان آباؤنا مشاركين فيها لآبائكم بالسوية أيضا أيام كانوا في ذلك البستان الذي بالشرق على رأس ذلك الجبل كانا يا كلابن من تلك الثمار والحب بلا كد ولا تعب ولا عناء ولا عداوة بينهم ولا حسد ولا استتار ولا جنى ولا ادخار ولا حرص ولا بخل ولا خوف ولا هم ولا غم ولا حزن حتى تركا وصية ربهما واغترا بقول عدوهما وعصيا ربهما واخرجا من هنالك عريائين مطرودين وربما من رأس ذلك الجبل الى أسفله فوقهما في بركة قفر لآماء فيها ولا شجر ولا كثر فبقيا فيها جائعين عريائين يبكيان على ما فاتهما من النعم التي كانا فيها هناك ثم إن رحمة الله تداركتهما فتاب عليهما وأرسل إليهما من هناك ملكا يعلمهما الحرث والزرع والحصاد والقياس والطحن والتجيز والتخاذ اللباس من حبش الأرض والقطن والكتان والقصب وبناء وتعب وجهد وشقاء لا يحصى عددهما إلا الله بما قد ذكرنا طرفا منها قبل فها تواليت وكثرت أولادهما وانتشروا في الأرض برًا وبحرا وسهلا وجبلا وضيقوا على سكان الأرض من أصناف هذه الحيوانات أما كنها وغلبوها على أوطانها وأخذوا منها ما أخذوا وأسروا منها ما أسروا واهرب منها ما هرب وطلبوها أشد الطلب وبغيتهم وطفيتهم عليها حتى بلغ الأمر الى هذه الغاية التي أتم عليها الآن من الافتخار والمناظرة والمنازعة والمخاصمة وأما النبيذ ذكرت بأن لكم مجالس اللهو واللعب والفرح والسرور وما ليس لنا من الأعراس والولائم والرقص والحكايات والمضحكات والتعجيات والتهنئات والمدح والثناء والحلى والتيجان والاسورة والغلاخيل وما شاكلها مما نحن بمعزل عنها فإن لكم أيضا بكل خصلة منها ضرورا من العقوبات وفنوننا من المصائب وعذابا ألما مما نحن بمعزل عنها فن ذلك ان لكم بازاء الأعراس الماتم وبدل التهنئة التعزية وبدل اللحان والغناء النوح والصراخ وبدل الضحك البكاء وبدل الفرحة والسرور الغم والحزن وبدل المجالس والابوانات العالية القبور المظلمة والتوايت الضيقة المظلمة وبدل الحصون الواسعة الجيوس والمطامر الضيقة المظلمة وبدل الرقص السندان والسياط والعذاب والضرب والعقاب وبدل الحلى والتيجان والغلاخيل والاسورة القيود والاعلال والسوامير والمقاطر والنكال وما شاكل ذلك وبدل المدح والثناء الهجو والشتم وسوء الثناء وبدل كل حسنة سيئة وبدل كل لذة ألم وبدل كل نعمة بؤس وبدل كل فرح غم وهم وحزن ومصيبة مما نحن بمعزل عنه وهذه كلها من علامات الاشقياء وان لنا بدلا من مجالسكم ومهوناتكم وابواناتكم ومنادمتكم هذا الفضاء الفسيح وهذا الجو الواسع والرياض الخضرة على شطوط الأنهار وسواحل البحار والطيران على رؤس البساتين والاشجار والتعلق على رؤس الجبال نسرح ونزوح حيث نشأ من بلاد الله الواسعة ونأكل من رزق الله الحلال من غير تعب وكد وألوان الجيوب والثمار نجدها من غير أذية أحد ونشرب من مياه النهران والأنهار بلا مانع ولا دافع ولا محتاج الى حبل ولا الى دلو ولا الى كوز ولا قربة مما أتم مبتلون بها من حبلها واصلاحها وبيعها وشرائها وجع آمانها بككد ونصب وتعب ومشقة من الإبدان وعناء النفوس وغموم القلوب وهموم الأرواح وكل ذلك من علامات العبيد الاشقياء فمن أين نبت لكم انكم أرياب ونحن عبيدكم انتهى من اخوان الصفا

﴿ تذكرة ﴾

عما يناسب هذا المقام أن أذكر ما اتفق لي في أول شهر سبتمبر سنة ١٩٣٠ م عند طبع هذه السورة ذلك أتى أصابني زكام وامسك وسعال في آن واحد ، وقد قرأت في الكتب الطبية القديمة أن الزكام ينفعه أن يترك الانسان الطعام والشراب يوما وليلة ويصب الماء الحار الذي يطبقه على رأسه ويسرع بلفها في كساء حلا ، فتركت الطعام والشراب يوما وليلة ولكني سمعت قبيل القيلام من النوم قائلا يقول : « ليسكن ذلك ٣١ ساعة ، فأخوت الطعام والشراب كما سمعت ، ثم شربت ماء دافئا مع عصير الليمون ، ثم تناولت الطعام وأخذت أستحم بالماء المسخن كل يوم ثم أتبعه بالماء البارد فذهبت الأمراض الثلاثة متتابعة ولم يظهر لها أثر ولا أعراض ، وقد كنت لأجل السعال أشرب كل يوم فنجالا واحدا مملوا بالزيت الحار الذي صباحا قبل الأكل ، فلا أجد الله على صحة هذه التجربة ، وهأنا ذا أعيش على الخضرة والفاكهة مدة سنتين قد أحسست فيهما بصحة جيدة والحمد لله رب العالمين »

﴿ حكاية عصرية تناسب هذا المقام ﴾

جاء في مجلة « الدنيا المصورة » ما نصه

﴿ رجل وامرأة في جزيرة مقفرة ﴾

من أبناء برلين ان الدكتور بول ريتز كان يمضي نفسه مثل الكثيرين من أرباب الخيال الواسع بأن يطرح مظاهر المدنية ويتجرد من أسبابها ويعيش عيشة الفطرة الاولى في مكان قفر لم تظأه أقدام بني الانسان . ولكن ما لبث أن حقق هذه الأمنية وراح يعيش في جزيرة مقفرة وهي جزيرة شارلز داروين احدى جزر أرخبيل جالاباجوس على بعد سبع مائة كيلو متر من سواحل اكوادور في أميركا الجنوبية ولم يصطحب معه في منفاه الاختياري الامراة واحدة من صديقاته . ومرت الأيام بآدم وحواء الجديدين وهما بعيدان عن العالم لا يعرفان عنه شيئا ولا يعرف العالم عنهما خبرا حتى « اكتشفهما » المستر اوجين ماكدونالد رئيس احدى البعثات الاميركية في جزائر المحيط الباسفيكي . وسكان الدكتور ريتز ورفيقته الفراهلدا كروين قد غادرا هامبورج في شهر يونيو الماضي ووصلا الى ميناء جواياكيل في جمهورية اكوادور في اكتوبر الماضي ومن هناك اشترى با زورقا شراعيا وأقلعا فيه الى تلك الجزيرة النائية حتى وصلها فعاشا فيها كما كان يعيش آدم وحواء في جنة الفردوس . وقد نفذوا مشروعهما بدقة . وكان الدكتور ريتز قد عوّد نفسه على الحياة البسيطة من قبل . فكان في أيامه السابقة عند اقامته في برلين يعيش في منزله عاريا مجردا من نياحه واذا خرج من منزله خرج في ثوب خشن مكون من قطع من القماش أوصلها بنفسه في بعضها البعض . وراض نفسه على أن يعيش على الفاكهة وغلال القمح والخضروات . وكانت زوجته لاتستطيع هذه الحياة فلم يستطع أن يقنعها بأن تترك نعيم المدينة وأطيابها بل هجرته وراحت تعيش في فيلا منعزلة في بادن حيث أقامت مع أهل زوجها . وإذذاك اتصل الدكتور ريتز بامرأة أخرى وهي الفراهلدا كروين وكانت تشكو من اضطرابات عصبية وقدمت الى الدكتور ليعالجها فتعارف بها وشفاهها من مرضها بأن جعلها تعيش عيشة الطبيعة والفطرة الاولى . وكانت هذه السيدة مقروجة وسعيدة في زواجها . ولكن الدكتور ما لبث أن فتها بآرائه ومذهبه واستولى على لها بحدسه الخلاب وأغراها على أن تطلق كتب نيتشه الفيلسوف الالماني ولقنها تعليلات البوذية وما لبثت أن أصبحت مريدة مشغولة بحبته طاعة عمياء . ولما أخبر زوجته بأنه راحل عن أوروبا وعن العالم المتمدين في صحبة

امرأة أخرى لم تعارضه في ذلك بل طلبت له التوفيق في رحلته . وكان قد قرأ في بعض قصص الاسفار شيئا عن جزيرة شارلز داروين فقرر أن يعيش فيها وقضى بضعة أسابيع فيها يجمع الجنايات والادوات العلمية التي تلزمه في رحلته حتى صرف كل ما يمكنه في شراء هذه الاشياء واقترض مبلغا من المال على حساب الميراث الذي بناله بعد وفاة آية . ولم يكن يخشى الاشيئا واحدا وهو مرض الاسنان ولذلك اقتلع كل أسنانه ووضع بدلها طبقا صناعيا . وصافر الاثنان بعد أن أخبرا أصدقاءهما أنهما سيعيشان عرايا مثل آدم وحواء في هذه الجزيرة التي ستصبح لما جنة عدن . ثم اختفت أخبارهما الى أن اكتشفهما أخيرا رئيس البعثة الاميركية عائشين في سعادة وغبطة وهناك . انتهى ماجاء في المجلة المذكورة

اللهم إني أجدك جدا كثيرا على نعمة العلم والحكمة ، وعلى انك علمتنا ما لم نكن نعلم وشرحت صدورنا الى تطبيق آي القرآن على الحوادث الانسانية والحيوانية ، وكررت قصة آدم وابليل في سور كثيرة لتذكركنا بما اتاب هذا الانسان من الضعف والوهن والأمراض بسبب مجاوزته لفطرته التي فطرته أنت عليها فياجبنا : كيف ترى هذا الانسان يفرح ويفتخر بما هو مهلك له ، وكيف أصبحت لذته منوطة بذلك . اللهم إن هذه الحال لها بعض الشبه بحال المسيح السبيل الذي من دخل جنته فهو في النار ومن دخل النار فهو في الجنة ، الناس جميعا مغرمون بكل ما لذ وطاب ، وهم جميعهم لإقليلا منهم يرون ذلك هو عين السعادة مع انهم يرون بأعينهم العقاب العاجل لكل بطنة ولكل شهوة . اللهم إن هذه الحياة كلها على سبيل واحد لا اختلال فيه . الناس جميعا مستلذون بما العذاب نتيجته ، فاذا استلذ الشرهون بكثرة الماء كل فالعذاب واقع ماله من دافع في هذه الحياة ، واذا كثرت الاسراف في الملابس وحفلات الزواج أعقبه الخراب العاجل أو الآجل ، واذا جاءت الأمم المستعمرة وقتلت الناس : « هانحن أولاء جئنا لثريكم ونسعدكم » كانت نتيجة ذلك إكثار الجهل واذاعة الفسوق والعيان وشرب الخمر ، لافرق في ذلك بين أهل الهند ومصر وغيرهما من البلدان . ألم ترى ما حدث في زماننا أيام كتابة هذا الموضوع من أن المتطوعين المتبعين لفندي زعيمهم يقفون على أبواب الحانات ومعهم زوجة ذلك الزعيم لمنع الشاربين من الشرب وعلى أبواب حوانيت البرازين ليمنعوا الناس من شراء الملابس الأجنبية ، فيرى هؤلاء المتطوعون الجند أمامهم شاكي السلاح ليمنعهم ويأخذهم الى السجون . إذن المستعمرون يظهرون لهم انهم نافعون لهم ولكنهم يريدون لهم الشر والعذاب فما دخل المستعمرة قرية إلا عمها سائر المعاصي والمعاصي محبوبة للنفس ، إذن هي في ظاهرها جنة وفي باطنها نار ، فالمسيح السبيل وان لم يظهر لنا بهيئته فقد ظهرت لنا آثاره بل آثاره ملازمات لهذا الانسان ، فالانفاس في اللذات سواء أكانت ما كل أو مشارب أو ملابس أو عودا برائحة بالقي من الأمم المستعمرة ، كل ذلك نتيجة الهلاك والدمار والعذاب

اللهم أنت حبستنا في هذه الأرض لنقص نفوسنا ، وأنزلت في القرآن قصة آدم وابليل لتذكركنا بفطرتنا وهانحن أولاء نفلن أنفسنا اتنا أرق من المتوحشين في نظرنا مع انهم هم على الفطرة ونحن عاصون بعواندنا ولحوالنا وجهلنا . اللهم ألهم المسلمين أن يشكروا في نظام أرق من هذا النظام الحالي فيكون الناس ألفة واحدة فظيفة من الفسق والخداع والبطنة والسرقة وما أشبه ذلك فتحسن العقول والمديات ويقبل المرض والطب والنضاي والقضاة - إنك سميع عليم - انتهى صباح يوم الأحد ٢٢ يونيو سنة ١٩٣٠

﴿ نور النبوة في هذا الزمان ﴾

(في الفيتامين والطيارات)

وفي قوله تعالى أيضا - قال فيعزتك لأغوينهم أجمعين -

جاء في الحديث الشريف : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » أخرجه الشيخان . وقال ﷺ « والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ، افشوا السلام بينكم » أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي ، وهذا الحديث والذي قبله من كتاب « تيسر الوصول » المتفق ذكره وجاء في الجزء الثالث من ذلك الكتاب ما نصه : « أمتي مثل المطر لا يدري آخره خير أم أوله » أخرجه الترمذي وصححه . وإنما ذكرت هذه الأحاديث في هذا المقام ليتفكر فيها المسلم

أبها المسلمون : إن انتشار الطيارات في الأمم يوجب على المسلمين تعلمها والارتقاء فيها حتى ينتظم البريد الجوي بين مسلمي مصر وبلاد شمال أفريقيا ومسلمي الهند والصين والعرب وهذا آت قريباً ، ومنى تواصلوا ظهرت عجائب النبوة . ألا ترى أنهم في الأزمان المتأخرة لم يكن هناك ذلك التواد بينهم ولذلك التألم . ألم ترى أن المسيحيين لما هجموا على بلاد الاسلام أيام الحروب الصليبية كانوا متحدين ، أما المسلمون فإن الذين جاهدوا وصبروا هم أهل الشام ومصر ومن حوطم من بلاد الاسلام ، أما المسلمون في شمال أفريقيا فانهم أبوا أن يعينوا اخوانهم ، ألم ترى أن المسيحيين في اسبانيا اجتاحتها بلاد الأندلس ولم يحرك المسلمون الآخرون ساكناً ! أين الاسلام إذ ذاك ؟ أفلم ترى أن هذا الزمان أي زمان الطيارات التي ستم بلاد الاسلام هو المراد بالحديث الشريف وأن المراد بالمؤمنين هم الكاملون ، أما المؤمنون الذين ليس عندهم هذا الشعور فهم ناقصون . ولا جرم أن للمسلمين في المستقبل أولئك الذين يعرف بعضهم أخبار بعض ويعينهم على ذلك الطيارات بالرحلات والجولات في الأقطار وأنواع البرق والتلغراف ذى السلك والذي لاسلك له ، فهو لاء هم المرادون بهذا الحديث إذ يتأثر المسلم في الصين بما يصيب أخاه في السودان عند سماع أخباره ، وهذه الطيارات كما تكون هي وغيرها سبب معرفة الأخبار الاسلامية في الأقطار النائية تكون أيضاً سبباً لتبادل المنافع بين الأمم الاسلامية خاصة والأمم كلها عامة ويصبح أهل الأرض كلهم كأنهم أمة واحدة ويعمرون الأرض ويستخرجون كنوزها ويكون الناس إذ ذاك أشبه بالطير من وجوه ﴿ أولاً ﴾ أن كل طير يأخذ رزقه الخاص به مما تتج من الأرض بغير طبع ولا خبز لا كما يفعل الانسان ﴿ ثانياً ﴾ ان الانسان صار يطير كما يطير الطير ﴿ ثالثاً ﴾ اذا استخرجت منافع الأرض سهل على كل امرئ أن يأخذ منها رزقه فهو ليس في حاجة الى مد يد غيره ، فكثرة المعاونة جعلت الرزق موفراً للجميع ، وأوليس هذا هو معنى قوله ﷺ « لو توكأتم على الله حق توكأه لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خالصاً وتروح بطاناً »

ولاجرم أن هذا هو الذي يظهر من أسرار الفيتامين ، فالطيور تقتات بالحب الذي لا ضرر فيه والانسان بكثرة الصناعة فيه قتل مادة الحياة فابتلى بالأمراض فأحتاج زيد الى عمرو فشرعت الصدقات ، فأما هذه الحال العالية للأمم الاسلامية فهي التي أشار لها حديث الصدقة إذ قال ﷺ كما في الجزء الثاني من كتاب « تيسر الوصول » لجامع الاصول « في الفصل الثاني في الحث على الصدقة إذ قال ﷺ « صدقوا فيوشك الرجل أن يمشي بصدقة فيقول الذي يسطاها لوجئنا بها بالأمس قبلتها أما الآن فلا حاجة لي فيها فلا يجد من يقبلها منه » أخرجه الشيخان والنسائي

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه

بالصدقة من لقب فلا يجد أحدا يأخذها منه » أخرجه الشيخان
فيآيات شعري . أيتها الأم الإسلامية : لم تزلت هذه الأحاديث ؟ إنما تزلت لتشير في المسلمين الحية حية
الاسلام فتجعل هذه الحوادث نسب أعيننا ونسى ونجدد لبوع هذه المنزلة الزفيدة . نحن المسلمين قد تفرقتنا
في بقاع الأرض ، فتحن في كل قطر من أقطارها . فتحن في أمريكا وآسيا وأفريقيا وأوروبا وأستراليا .
فلتضم الطيارات بيننا مصداقا لحديث التواد والترحام . ولتعمر أرض الله مع الأم حتى تم البركات والسلام
ومتى عم ذلك لم يكن للصدقة معنى وهناك يظهر سر التوكل ونصح الأجسام بالمحافظة على الفيتامين . وبالجملة
فأعلم أم الاسلام ما يأتي :

- (١) تصميم الطيران كالطير والبرق اسلكي والذى لاسلك له
- (٢) وهذا يترتب عنيه أن يكونوا كأعضاء الجسد الواحد من حيث سرعة وصول الأخبار في الجسد
بالأعصاب وفي الأم الإسلامية بطرق المواصلات
- (٣) فإذا همروا أرض الله مع الأم بذلك السبب كثر الرزق فأخذ كل امرئ قوته من غير ادخار كالطير
- (٤) هنالك ترة الصدقة ولا تقبل
- (٥) ولما كان الطير لا يمس الطعام بناركان الفيتامين فيه موفرا فهكذا ستكون الأم المستقبلية . أيتها
الأم الإسلامية : هذا هو الذى فهمته في حديث التوكل ومن حديث الصدقة
- (٦) اذا فهمنا هذا عرفنا سر حديث الترمذى المتقدم الذى شبهت الأمة فيه بالمطر لا يدري آخره خير
أم أوله ، فهناك فهم سر هذا الحديث لأن الأم الإسلامية التى ستظهر بعد انتشار هذا التفسير
وأمثاله ستعرف نعم الله وتضم هذه الدنيا ، ومتى اتصفوا بالصفات الجسدية المتقدمة كانوا خير أمة
أنشأت للناس . فهم يكونون كالصدر الأول من الصحابة والتابعين الذين ملؤوا الأرض نورا وعلما
وهؤلاء سيكونون رسل السلام بين الأمم . فهناك معجزات نبوية أقبلت عليها الأم الإسلامية
وهذا التفسير جعل مقدمة لهذه الحال الشريفة
- (٧) وهناك معجزة سابعة وهى ان المسلمين متى شاركوا الأم في بحث الفيتامين وصاروا موقنين بسبب
البحث العلمى أن الماء كل الذى تؤكل على فطرتها كما يأكلها الطير أصح من الذى دخلتها الصنعة
وأكثر تقوية لأجسامهم وإطالة لأعمارهم فانهم حينئذ تحصل عندهم القناعة فلا يحتاجون الى
التغالى في طهي الطعام الموجب الاذخار . واذن يتوكلون أخذ الصدقة لاسيا اذا صارت الكرة
الأرضية كلها على تيرة واحدة فى استخراج الحيرات . وكان لكل امرئ عمله الخاص به كالطير
- (٨) ولست فى حاجة أن أذكرك أيها الذكر بما تقدم كثيرا فى هذا التفسير من أن هذه الحال هى
التي ستأتى فى قوله تعالى - حتى تضع الحرب أوزارها - وهى الحال العيسوية التى فيها تكون الأم
كلها فى حال سلام كما قاله المنسرون
- (٩) فهذا هو التوكل الذى أشارت له النبوة . وهذه هى الانسانية الصادقة فى هذه الأرض .
ولما كان الصحابة رضى الله عنهم قد أمروا أن يفسروا الدين وكانت الأم الأرضية إذ ذاك خير
صالحة للسلام العالم أنزل الله آيات الجهاد وأباح الفنائم للمجاهدين . ولاجزم أن الفنائم قد أعانتهم
على اصلاح الأم على مقدار الطاقة فى زمانهم ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا
الشهوات وجعلوا تلك الفنائم موقوفة على الشهوات فأنحلت تلك الأم وظهر سر حديث « إن
أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زينة الدنيا الخ » وتراه فى تفسير « سورة الأنفال »
وغيرها . إذن الأم الإسلامية التى جعلت الفنائم مقصدها والشهوات رائدها وأخذوا يتقاتلون

باليوسف بعد المصور الثلاثة الأولى على الامارة والملك ليسوا متوكلين على الله حق توكله وستكون
 الأمم التي تفهم ما ذكرنا هنا من بعدنا خيرا منهم وأحسن أملا وأشرف مقاما وأعلى كفا في
 الاسلام ومن يحش بره

(١٠) إن الأمم التي ستتعرف بهذه الأوصاف التسعة تكون سببا فيما يشبه حث إبليس في حلفه في هذه
 الآية إذ يقول - قال فيعزتك لأغوينهم أجمعين - إذ يكثر فيها عدد المستثنى ويقل عدد المستثنى
 منه . إن الجهالة المحيطة بكرتنا الأرضية كلها (أ) يعبر عنها باغواء إبليس - الشيطان بعدكم
 الفقر وبأمركم بالفحشاء - وعدته الناس بالفقر تحملهم على الحرص والطمع والجمع والادخار والحسد
 وهذا يفتح باب العداوات والشرور والحروب (ب) ويعبر عنها بتزيين الشيطان - وزين لهم
 الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل - (ج) وبالازلال - فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما
 مما كانا فيه - وههنا خرج الناس في مطاعهم ومشاربهم وملابسهم عن السنن الطيبة فاتتبتهم
 الأمراض والفقر والحيوانات قد برئت من هذه الأوصاف . أما هؤلاء فانهم أرغموا أن يعيشوا
 عيشة كلها ضنك وضيق بسبب العادات الموروثة في طعامهم الذي يتأقنون فيه ومساكنهم وملابسهم
 وعاداتهم وهم جميعا يريدون أن يخرجوا من نار هذه الأحوال وما هم بخارجين منها ولم يذاب
 التل المقيم بها في الحياة وبتأنجها بعد الموت ولكنهم سيخرجون فرحين بعد انتشار هذا التفسير
 وأمثاله والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . انتهى تفسير سورة ص والحمد لله رب العالمين



تفسير سورة الزمر

(هي مكية)

(إلا قوله تعالى - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم - إلى قوله تعالى - من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم

لا تشعرون - فدية)

(آياتها ٧٥ - نزلت بعد سبأ)

(هذه السورة ثلاثة أقسام)

« القسم الأول » في تفسير البسملة

« القسم الثاني » من أول السورة إلى قوله - ليقوم يؤمنون - وفيه التوحيد والاستدلال بمجائب السموات وخلق الأنعام والانسان والنبات والينابيع الأرضية و نزول المطر واختلاف الزروع وهجائها وهكذا
« القسم الثالث » من قوله تعالى - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم - إلى آخر السورة . فيه هيئة التفتيح والحساب ووصف الفريقين : أهل الجنة . وأهل النار وما أشبه ذلك

« القسم الأول في تفسير البسملة »

بالرحمة قامت السموات والأرض وانتظم العالم وبهر الوجود ، فهي كضوء الشمس ، وكما أن ضوء الشمس يأخذ منه كل حيوان ونبات ما يلبق له ويوافق طبيعه ويوافق هيكله وهو من الرحمة العاتية أيضا ، هكذا جمع للرحمات تنال المخلوقات منها على حسب استعدادها . وكما أن علماء الطب في زماننا كما تقدم مرارا في هذا التفسير ، يقولون انهم قتموا للفيران طعام الارز وأبقوها في الظلمات ألبا ما ضعفت أجسامها وأخذت تقرب من الموت سراعا ، ولما قتموا لنفس الفيران البرقال فأكته وهي في الظلام لا تقابل ضوء الشمس قويت واتعشت وصارت ترنع وتلب . فاستنجوا من ذلك أن الأرز لم يأخذ من ضوء الشمس إلا قليلا . فأما البرقال فإنه أخذ منها كثيرا واستخرجوا هذه القاعدة الفذائية فقالوا : « إن الارز أكله غير صهي . أما كل البرقال فهو موقودا » والأول لم يستفد من ضوء الشمس إلا قليلا والثاني استفاد كثيرا . ففيه خزن الله قوة حيوية عظيمة منه تنتقل إلى الانسان . وقد قالوا إن ذلك في الارز المشور . أما النوى بشره الملائق للحب فهو مفيد كما يفيد القمح اذا لم ينخل وأكل بحاله . وعلى هذه القاعدة كانت جميع قشور الفواكه التي يمكن أكلها مع الناكهة نافعة صعبة للانسان

كل ذلك لاستفادتها من ضوء الشمس . إذن مادة الحياة جعلها الله في ضوء الشمس وضوء الشمس يخزن في الأغذية وعلى قدر ماخزن فيه من ضوئها تكون نتائجها في حياتنا ولذلك يقولون : « إن الأجسام المكشوفة للشمس الممرضة لضوئها أصح وأقوى من المغطاة المحبوبة عن الشمس لأن سر الحياة يتمسه الجسم من ذلك الضوء . ولا ريب أن استعداد القوة من نفس الضوء مباشرة بمسام الجلد أبلغ قوة وأنفذ وأتم من أخذها من الطعام

أقول : كما أن علماء الطب قالوا ذلك ووضع في غير هذا المكان وهذا في رحمة خاصة . فهكذا تقول في الرحمة العاتية فهي تتفاوت مقاديرها بتفاوت القوابل لها من المخلوقات

فالحب (ألمك الله الرشد وأنم عليك بنعمة العلم وهداك الصراط المستقيم) من طفل لا يشعر إلا بما حواه جلده من عواطف ومطالب ويرى أن جميع من حوله له مسخرون . فلا يرى في أمه إلا أن ترضعه

ولاقى أبيه إلا أن بداعبه ويلاعبه ولاقى اخوته وأخواته إلا أن يضاسكوه . فهو لا يهتم بصبر شؤون نفسه .
 فلذا ترعرع وكبر وصارت له زوجة وولده اتسعت رحمته ، فبعد أن كانت لا تمتدى بحيط دائرة جسمه أخذت
 تسع أسرته وبنيه ، وقد يسغ النعمة على الأهل والجيران بل البلدة بل الأمتة إن كان ملكا بل الأم كلها
 إن كان عالما عالم النفع . إذن كما أننا رأينا البرتقال امتص من الشمس (القيتاين) قوة الحياة أكثر من
 حب الأرز وكانت تتأججهما على مقدار ما استفدنا منهما ، هكذا استمدت نفس الصبي واستمدت نفس الرجل
 من الرحمة العاتمة (التي أحاطت بظواهر العوالم وبواطنها كما أحاط النور بظواهرها) رحمة خاصة فكانت عند
 الصبي لا تعدو دائرة جسمه وعند الرجل أعظم فتسع الدائرة شيئا فشيئا حتى ربما بلغت المشرقين وماهى إلا استمداد
 من تلك الرحمة العاتمة كاستمداد الغذاء مادة الحياة سواء بسواء

وكما إن من الناس من يعيشون ويموتون ولا يعقلون من الحياة إلا ما يعقله الصبي في مثالنا ولا يهتمون
 إلا بدائرة أجسامهم ، حكوماتهم وممالكهم وتعليمهم . كل ذلك يدور على محور واحد وهو المنفعة الخاصة ولا
 يباليون بالمنفعة العاتمة وإنما تأتي عفوا من حيث لا يقصدون ، هكذا في نوع الإنسان قوم آخرون هم في النوروة
 العليا ، علموا من العلم ما حرك همهم إلى المنافع العاتمة ، فنفسهم أشبه بالشموس وعلاوهم وأعمالهم أشبه
 بأضوائها وتتأججهم أشبه بتأجج ضوء الشمس ، وهؤلاء هم عماد أهل هذه الأرض ، انظر في الشرق والغرب
 لا تجد إلا هذه القاعدة ، نعم إن الأم اليوم أقرب إلى المادة ولكن لم يرفع رأس الإنسانية إلا أناس وجدوا
 في أنفسهم ميلا إلى العلم والكشف فهموا به هياما واقطعوا له اقطعا وجسوا نفوسهم وصبروا على البلواء
 لإقنا بما هم قائلون به ، ومنهم من قتل ، ومنهم من سجن . ذلك كله في العصور المتأخرة وذلك في الأمور
 الجزئية من كشف أمر طبيعى أو كيمائى أو فلسفى . وفوق هؤلاء وهؤلاء الحكماء المحققون . وفوقهم جميعا
 الأنبياء والمرسلون

فالرحمة عندهم بلغت منتهاها واقتهت إلى النوروة فصاروا هم الشموس المشرقة على الناس أجمعين . لا يريدون
 بالتعليم والتبليغ جزءا من القوم الذين أرسلوا إليهم ولا شكورا . كلا . ولقد ضرب الله لهم مثلا فيما نشاهد
 في منازلنا . فإنا نرى الأم ترضع ولدها وإذا سئلت عن ذلك قالت لا أريد إلا حياته ولا مطلب لى وراء ذلك
 فهذا منها إخلاص وهذا الإخلاص جعل فيها غريزة لا تقدر على دفعها . هكذا الأنبياء ويليهم المصلحون من
 المؤمنين . فتنس في نفسك أيها الذكى فإن رأيت نفسك فيها هذا المعنى فاعلم أنها قد اقتبست هذه الرحمة من
 الرحمة العاتمة واعلم انك نافذ الكلمة وإن رأيت قصانا فيكون فضلك وآثارك على مقدار ما وصلت إليه
 من الإخلاص

إذا فهمت هذا فافهم بعض سر البسملة في أول سورة الزمر . أنها مسبوقة بذكر الإخلاص وما أشبهه
 مرتين في (سورة ص)

(١) - إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وهم عندنا لمن المصطفين الأخيار -

(٢) - إلا عبادك منهم المخلصين -

(٣) وقد ذكر بعدها في سورة الزمر - فاعبد الله مخلصا له الدين -

(٤) - إلا لله الدين الخالص -

(٥) - قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين -

(٦) - قل الله أعبد مخلصا له ديني -

ومن هذه الست انه أمر أن يعبد مخلصا الدين لله . وأن يعلن انه أمر بذلك وأن يعلن نفس هذه العبادة

مع الإخلاص . فهذه الثلاثة من الست للتقدمة

إذا علمت هذا فما أسهل أن تفهم الآية المذكورة قبيل هذه البسملة في آخر ﴿سورة ص﴾ - قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكفين - وإذا كنا نرى المرأة لا تتكف في أوضاع طفلها وتعرف الفرق بين إخلاصها في أوضاعه وبين تكلفها في إرضاء زوجها الذي تكرهه مثلا ، فهكذا نحن نعرف الفرق بين الأنبياء في إخلاصهم في تعليمهم الأمم وبين أولئك الذين يعيشون في جلودهم وبيجولون الناس كأنهم خلقوا لفائدتهم . المخلصون لا يتفقون أجرا على عملهم . فنفس العمل مسرتهم ولذتهم وسعادتهم وإن كانوا في السجن أوفى النفي كما ترضى المرأة بالسجن والنفي ولا ترضى بالامتناع عن أوضاع ولها ، فهذا مثل تقر بهي لآية - قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكفين -

هذه الآية نزلت لتعبر نحن بها ، فليداوم المرء على الطاعة والبحث والجد في العلم حتى يحسن في نفسه بهذه العاطفة والحب العام ، ولن يكون في القلب الحب العام إلا بمعاودة النظر في هذه العوالم مرة بعد أخرى فهناك تترى عاطفة الحب ، فالحب لا يكون إلا بعد العلم ولا إخلاص إلا مع الحب ، فليكن تعليم المسلمين هكذا

(١) إعداد العقل للفكر

(٢) وإعداد العواطف للحب

(٣) وإعداد اليدين للعمل

إذا علمت ذلك فانظري آيات هذه السورة تجدها قد أحاطت بما يعمله المخلصون من المسلمين ﴿أولا﴾ لهم لوحان يقرؤنهما وهما لوح السموات ولوح الأرضين وتكوير ليلهما ونهارهما وهذا في آية - خلق السموات والأرض بالحق - الى - ألا هو العزيز الغفار -

فإذا قرؤن فيهما ؟ يجردون في هذين اللوحين محو وانباتا ، ضوء يحمو الظلام ثم ظلام يحسب الضوء إذن هنا لوحان فيهما محو وانبات كألواح الصبيان في المكاتب ويرون فوق الأرض هذا العمل نفسه فيجب الإنسان مالا وولدا وفتاة جميلة فيجد المال في القرية يترتبها المرض أو الموت والعشوة تحل جسمها أو ساء سلوكها أو كبرت سنها وييس جلدتها ، أو يجد نفسه أصيب بأمراض منعه هذه اللذات كلها مع وجودها إذن لافرق بين الظلمات والأضواء وبين الصور المتتاليات فيما يحبه على الأرض ، فلاجيل إلا القبح ولا شأب إلا الكبر ولا صحيح إلا المرض ولا غنى إلا افتقر ولا حى إلا مات ولا حبيب إلا أعرض ، وكل غدا الأعياب وأساء الأبناء وأدبر المقبول وآذى المحسنون

هنالك يقولون : إن هذه الألواح قد استغادت هذه الصور الجميلة من عوالم وراءها كما استمد البرتقال قوة الحياة الأرضية من ضوء الشمس فيما تقدم وكما استمدت نفوسنا رجائها من رجة عاتمة . فلتنظر إذن ولتقس ما لم تعلم بما فعل . نحن علمنا أن ضوء الشمس فيه قوة الحياة وعلى مقدار إمداده للغذاء تكون قوتنا إذن الغذاء لم تكن فيه هذه القوة من نفسه بل من ضوء الشمس . إذن هذه القوة لم تكن كائنة فيه بل هي اكتسبت من الشمس . إذن فلتكن هكذا نفسى . فإذا كانت طبيعة الأرض عجزت عن أن تعطى البرتقال مثلا وبقية الثمار الفيتامين واحتاجت تلك الثمار الى عالم فوق أرضنا وهي الشمس فاستمدت منها قوتها هكذا نفوسنا المخلوقات في أجسامنا لم تكن فيها الرجة من نفس المادة الأرضية هذه التي عجزت أن تمدنا الفاكهة بالفيتامين بل رحتها استمدت من رجة تم ظواهر المادة وبواطنها ونسبتها الى نفوسنا كسبب ضوء الشمس الى أغذيتنا وفواكهنا . فإذا احتاجت مادة الأرض الى ضياء الشمس لتمتد البرتقال بمادة الحياة فلتكون رجة الأم لولدها مستمدة من رجة عاتمة عجزت عنها المادة الأرضية وذلك من باب أولى لأن عواطف الأرواح أرق وأعز من قوى الأغذية

وإذا صح هذا القياس وإن كان اقناعيا فليصحح القياس الآتى وهو أن هذين اللوحين الأرضي والسماوي

وما صور بينهما من مخلوقات نرى طين جلالا بديعا في الأنوار وفي الصور الجميلة والوجوه الحسنة والأزهار والزروع
فنفرح ببعضها ونفثقها ونهم بها فرانا ، ثم نرى ذلك كله أصبح كأس الدابر فيقولون إذن لا لا إن هذه العوالم
وراءها من يرسمها وينقشها ويرقشها ويجندرها ويحسن صورها ويملؤها بالروعة والجمال يعطينا دروس
الجمال ويلهمنا العواطف ويصلنا الحب ، ثم لا يبقى جيلا أمامنا بل هو يهدم الأرض والسموات وما فيها .
إذن لماذا هذا ؟ ليقول لنا : « أتم عرفتم أن مادة الفيتامين في الغذاء لم تكن من المادة بل من ضوء
الشمس وعرفتم أن الرحة فيكم لم تكن من عندكم بالبرهان فما أسهل أن تعلموا أن المادة لم ترسم هذه
الرسوم والأشكال ولم تتبع هذا الجمال ، إذن الجمال عندى أنا فليكن حبيكم لى حيا راجعا الى جمال فوق
مارأيتم ، لقد رأيتم آثار الرحة وأغرمتهم بآثار الجمال والنقوش والعلوم والأزهار والصور الحسان . هذه كلها
آثار الجمال لانفس الجمال ، فارتقوا في الأسباب وافرحوا بما سترون من جمالى ، هنالك تروث جبالا لاحد
له وتعجبون حبا لانهاية له « رب الدار أحب الى الزائر من نفس الدار » وهذه العوالم المنقوشة المرصوفة
المنجذرة المزوقة المرقشة البهجة المحكمة الصنع رسل أرسلت اليكم لتفريكم بأن تروا من نقشها وصورها
فأحسن صورها ، فإذا سمعتم قولى - الذين اذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وأنا اليه راجعون - فاعلموا أنى
أنا الذى أصبتكم بهذه المصائب لأنى أربأ بكم أن تعيشوا في هذه العوالم التى ليس لها عندى منزلة أكثر
من منزلة الألواح للصبان فأنا أرسلتكم الى الأرض لتدرسوها وأرسلت عليكم النكبات لتتركوها ، وبدان
أر بكم الجمال حومتكم منه وسومتكم من كل ما يحبون لأن وظيفة المادة تعليمكم ولا بد من نقلكم الى عالم
آخر يكون أجدر بنفوسكم وأحق بها وفوق كل جيل أجل منه - وفوق كل ذى علم عليم -

ليس على الأرض محبوب إلا الخصلة من خصال خمس : أن يكون جيلا أوعليا أو شجاعا أو محسنا أو ريبه
وبين المحب له سر مجهول غير ظاهر ، ولا جرم أن الجمال والعلم والشجاعة الخ لابقاء لها فى الأرض فن
أين أقبلت والى أين ذهبت ؟ ان كل هذه إلا آثار أنا خلقها والى ترجع . فكل الجمال والعلم والقدرة والحكمة
منى ظهرت والى ترجع لتوجهوا حبيكم الى منبع الجمال والعلم والحكمة والقوة - وان الى ربك المنتهى -
« من ذا الذى يرى عنايقنا التامة بالخرات فأعطينا النملة (٤٠٠) عين كل واحدة مستقلة عن أختها
وهكذا النباة أربعة آلاف عين وأطمناهن كل ما يحتجن اليه فى الحياة ! من ذا الذى يرى هذا ولا يزداد
لنا حبا وبقدرتنا وعلما وإحبابا ويمنى لقاءنا » والى هنا تم الكلام على اللوحين : لوح الأرض ، ولوح
السماء فى آية خلق السموات والأرض (ثانيا) لهذه الطائفة درسان : درس خلق الحيوان والانسان .
ودرس خلق النبات وازال الماء فى قوله تعالى - خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها - وههنا
ذكر الأنعام ومجائب الخلق والاحكام : لرحمة الخ وفى قوله - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - الى قوله
- إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب - فههنا أظهر المحاسن الباطنة والأنوار الروحانية فى ابداع الخلق الذى
لا يعرف إلا بالعلم والحكمة وما تقدم أكثره فى الجمال الظاهر (ثالثا) هذه الطائفة ليها قيام وصلاة وفكر
وعلم حبا لله وشوقا اليه - أمن هوقانت آناه الليل ساجدا وقائما - الخ (رابعا) هم صابرون وطهم مسرات
فى الدنيا كما لهم فى الآخرة - قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا - الخ (خامسا) من
أخلاقهم التعقل والحكمة فلا يقبلون قولاً إلا بعد تفده واستخلاص الحقيقة منه - الذين يستمعون القول -
الآية (سادسا) هم خلفاء الله قوامون على عباده يبشرونهم بالرحمة ويخوفونهم النعمة - قل يا عبادى
الذين أسرفوا - الى قوله - ثم لاتصرون - (سابعا) هذه الطائفة تنال الرضا والعلم وانسراح الصدر
والهدى وأن الله يكفهم وذلك فى آية - قل هل يستوى الذين يعلمون - الخ وآية - وان تشكروا يرضه
لكم - وآية - أفن شرح الله صدره للإسلام - الخ وآية - الله نزل أحسن الحديث - الى قوله - ذلك

هدى الله يهدى به من يشاء - وآية - أليس الله بكاف عبده - الخ (ثامنا) يكون جزاؤهم أن يكونوا في غرف من فوقها غرف مبنية الخ وأن تشرق لهم الأرض بنور ربهم ، وأن تسلم عليهم الملائكة وتحيمهم وهناك يرون ماهو أطي وأجل وهو نهاية النهايات إذ يرون الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم فنكون لذتهم أعلى اللذات ويقولون الحمد لله رب العالمين ، وهذه اللذة العقلية تقدمتها اللذة الحسية في الغرف التي فوقها غرف مبنية ، وهل هذه اللذة إلا بالعلوم والمعارف ، وهل التسبيح والتحميد اللفظيان إلا مقدمتان للتسبيح والتحميد العقليين ، وما ذلك إلا ادراك نظام هذه العوالم ، ولن تكون هذه اللذة في الآخرة إلا بمقدمات في الدنيا بل من لم يدرك بعضها في الحياة فكيف يستكملها بعد الموت . إن الفكر اللفظي يراد به أن يكون وسيلة للتعلل . ألم تركيب يقول الله تعالى - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض - الخ فالذكر اللفظي مقدمة للتفكير والتفكير هو المقصود ومقصوده هو جمال النظام العام ، والعامية يكتبون بالحلم والتسبيح الانظييين و ينتظرون الثواب في الآخرة بالجنة ، وهذه المرتبة هي التي يدخل فيها أكثر الناس فنكون العبادة لها مقابل وهو ثواب الآخرة وهو لا يقل حظهم العقلي ، أما أولئك المفكرون العارفون الواقفون على الحقائق فينالون فوق الجنة الحسية سعادة التقاء والنظر لوجه ربهم ومقدمات هذا دراسة هذه الدنيا ، واعلم أن ما في هذا التفسير أو أكثره من الجوانب كاف لايجاد هذه الطبقة الشريفة ، فهم هم الذين يعدون في نفس هذه الحياة بجمال العلم ويكون مبدأ الجزاء حاصل في الدنيا وهو الابتهاج بنفس هذه الحقائق ويكونون نورا للأمة وهم خلفاء الله في أرضه عليهم يعول الناس في دنياهم وفي طريق آخرتهم والانسانية المستقبلية مدارها على أمثال هذه الطائفة

وإذا شئت زيادة البيان فاقرا ما تقدم عن « اخوان الصفاء » في جزاء المحسنين إذ جعل ثواب المحسنين في هذه الحياة الدنيا انهم يفرحون بالوقوف على الحقائق في محاب الماعدان والنبات والحيوان والسماء والأرض وهكذا قلت جهة عن الامام الغزالي هناك في نحو هذا وهكذا تنظر ماجاء في « سورة السجدة » من الكلام على جسم الانسان وموازته بالعوالم وما جاء في « سورة فاطر » عند آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - من أن معرفة الجوانب هي نهاية اللذات لهذا النوع الانساني ، وما هذه الجوانب إلا آثار الرحمة المذكورة في البسملة في أول السورة ، وتلك الآثار بمعرفتها يكون الحب والحمد المذكور في آخرها . فترحة أولا والطم والحب والحمد آخرها وهذا من محاب القرآن

أنت بهذا أيها التكي تفهم سر النبوة إذ روى الترمذي عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لقيت ليلة أسرى بي ابراهيم عليه السلام فقال لي : يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » ولاجرم أن العلوم والمعارف المنطوية في التسبيح والتحميد هي أعلى الجنة وهذا من محاب النبوة . إذا عرفت هذا فاسمع ماجاء في كتاب « تيسير الوصول لجامع الاصول » تحت العنوان الآتي مانصه :

(فصل في الاستغفار والتسبيح والتهليل والتكبير والتحميد والحولقة)

عن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « خصلتان أوخلتان لا يجصهما رجل إلا دخل الجنة وهما يسير ومن يعمل بهما قليل : يسبح الله دبر كل صلاة عشرة ، ويحمده عشرة ، ويكبره عشرة فلقد رأيت رسول الله ﷺ يعقدها يديه . قال : فذلك حسون ومائة باللسان وألف وخمسةائة في الميزان وإذا أخذت مضجعتك تسبحة وتكبره وتحمده مائة مرة فذلك مائة باللسان وألف في الميزان فأبكم يعمل في اليوم والليل ألفين وخمسةائة سيئة قالوا كيف لا يجصهما يا رسول الله ؟ قال يأتي أحدكم الشيطان وهو في صلاته فيقول : اذكر كذا وكذا حتى ينقتل فعله أن لا يفعل ويأتيه في مضجعه فلا يزال ينومه حتى ينام »

أخرجه أصحاب السنن

وعن ابن أبي أوفى رضى الله عنهما قال : « جاء رجل فقال يا رسول الله لا أستطيع أن آخذ من القرآن شيئا ففعلنى ما يحزنى ؟ قال : قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله . قال يا رسول الله هذا لله فإذا لى ؟ قال : قل اللهم ارحنى وعافنى واهدنى وارزقنى . فقال : هكذا يديه قبضهما فقال صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد ملأ يديه من الخير » أخرجه أبو داود بنحوه والنسائي الى قوله « ولا قوة إلا بالله » وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول قبل موته سبحان الله وبحمده أستغفر الله وآتوب اليه . فقلت له فى ذلك ؟ فقال أخبرنى ربى انى سأرى علامة فى أمتى فإذا رأيتها أكرت من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وآتوب اليه فقد رأيتها - إذا جاء نصر الله والفتح - السورة - أخرجه الشيخان

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب الى مما طلعت عليه الشمس » أخرجه مسلم والترمذى وعن بسيرة مولاة لأبى بكر الصديق رضى الله عنهما وكانت من المهاجرات الاول . قلت : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالسبح والتهليل والتكبير واعقدن بالأنامل فانهن مسؤلات مستنققات ولا تغفلن فتنسين الرحمة » أخرجه أبو داود والترمذى واللفظ له وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أسر من استغفر ولوعاد فى اليوم سبعين مرة » أخرجه أبو داود والترمذى

وعن أنس مزينة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنه ليغان على قلبى حتى أستغفر الله فى اليوم مائة مرة » أخرجه مسلم وأبو داود ، وفى رواية لمسلم « توبوا الى ربكم فوالله إنى لأتوب الى ربى تبارك وتعالى فى اليوم مائة مرة » والبخارى والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « والله انى لأستغفر الله وآتوب اليه فى اليوم سبعين مرة » قوله (ليغان) أى يظلم ويغشى والمراد به السهو

وعن أساء بن الحكم الفزارى قال سمعت عليا رضى الله عنه يقول : « كنت اذا سمعت حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعتنى الله تعالى بما شاء أن ينفعنى منه ، واذا حدثنى رجل عن استغفرتة فاذا حلف لى صدقته ، وانه حدثنى أبو بكر الصديق رضى الله عنه وصدق أبو بكر . قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيستغفر الله تعالى إلا غفر له ثم قرأ - والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم - الآية » أخرجه أبو داود والترمذى

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ومحبت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه ، ومن قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة حطت خطاياها وان كانت مثل زبد البحر » أخرجه الثلاثة والترمذى

وعن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة » وفى رواية عوض الثالثة « وبني فيه بيتا فى الجنة » أخرجه الترمذى

وعن جويرية زوج النبي ﷺ رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال : ما زلت على الحال التي فارقتك عليها قالت نعم ، قال : لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته « أخرجه الترمذي في المعجم الكبير ، وقوله زنة عرشه أى بوزن عرشه في عظم قدره ، ومداد كلماته أى مثلها وعددها ، وقيل اللداد مصدر كالتد وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « كلنان خفيفتان على اللسان ، قيلتان في الميزان ، حبيبتان الى الرحمن : سبحان الله وبحمده . سبحان الله العظيم » أخرجه الشيخان والترمذي وعنه أيضا رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « أكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فانها كنز من كنوز الجنة » قال مكحول : فمن قالها قال « لا منجى من الله إلا إليه » كشف الله عنه سبعين بابا من الضر أدناها الفتر . أخرجه الترمذي . وبهذا تم الكلام على القسم الأول في تفسير البسملة والحمد لله رب العالمين

﴿ القسم الثاني ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ • إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ • أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ • إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ • لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَا اصْطَفَىٰ إِنَّمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ • خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَنِيُّ • خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَابًا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ نُصْرَتُونَ • إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ • وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَقَّ رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَدَّىٰ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْفَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ • أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَامًا يَذَّكَّرُ الْأَجْرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ • قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ نَجَاتٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ • قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ • وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ • قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ • قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُوا مُخْلِصًا لَهُ دِينِي • فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنْ أَنْتَ إِلَّا الْغَائِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ أَنْتُمْ أَنْ لَلَّيْتُمْ • لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَبَيْنَ أَعْيُنِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ • وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ • الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ • أَفَنُحِقُّ عَلَيْهِمْ كَلِمَةَ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ • لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْأَمْعَادَ • أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ بَنَاتِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُغْفَرًا ثُمَّ يُجْعَلُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ • أَفَنُحِقُّ شَرْحَ اللَّهِ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ • اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَقْرِئُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَآلَهُ مِنْ هَادٍ • أَفَنُحِقُّ بَوَاجِهُهُ سَوْءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَقِصَ لِلظَّالِمِينَ دُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ • كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ • فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ أَلْحَرَامِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ • وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ • قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ • ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ • وَرَجُلًا سَلَمًا رَجُلًا هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ • إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ • ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ • قَنْ أظلمَ يَمُنْ كَذَّبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصُّدُقِ إِذْ جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَنُوعِي فَكَاكِرِينَ • وَالَّذِي جَاءَهُ بِالصُّدُقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ • لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ • لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ • أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَآلَهُ مِنْ هَادٍ • وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَآلَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ • وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ

في المخلوقات فكيف يجوز عليه أن يقهره غيره فيموت فيحتاج الى الولد . كلا . فقهره عام في العالم العلوي والسفلي ، أما في العالم العلوي فهو قوله (خلق السموات والأرض بالحق يكفور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) والتكوير اللف والليّ يقال كالأعمامة على رأسه وكقورها ، ولا جرم أن كل واحد من الليل والنهار في متابعتها أشبه بتتابع أكوار العمامة بعضها على بعض . الأثرى الى الأرض وقد دارت حول نفسها وهي مكورة فأخذ النهار الناشئ من مقابلتها للشمس يسير من الشرق الى الغرب يلف حولها طاويا الليل ، والليل من الجهة الأخرى يلف حولها طاويا النهار ، فالأرض كل رأس والظلام والضياء يتتابعان بتتابع أكوار العمامة وبتلفان متتابعين حولها ، وهذا التعبير من أعجب ما يعمله به أن القرآن يرشدنا الى كروية الأرض أولا ويرمز الى دورانها حول نفسها ثانيا ، ذلك لأن الليل والنهار ليسا من خواص الشمس فلليل ولا نهار هناك وإنما هما في الأرض فكوير الأرض ظاهر الآية ودورانها أتى تابعا بالرمز والاشارة وقوله (وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) أى الى منتهى دوره أو منقطع حركته (ألا هو العزيز) الغالب على كل شئ ومنه الشمس والقمر (الفجار) حيث لم يعاجل بالعقوبة . وأما العالم السفلي فتقوله تعالى (خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها) أى خلق الله نفس آدم وجعل منها حواء وجعل منهما ساكنات الناس ولم يخلقهم بلاعناية بل أنزل الماء من السماء وأبنت الزرع والشجر وخلق الابل والبقر والغنم والمعز من كل نوع منها زوجين اثنين ذكرا وأبنتي فتكون كلها ثمانية أزواج وتلك الأزواج الثمانية تتغذى بالنبات والشجر النابت بالماء النازل من السماء فكأنها كلها نزلت من السماء . وقيل ان هذه الأزواج الثمانية نزلت من السماء وهذا يوافق قول بعض علماء العصر الحاضر على سبيل الحدس والتخمين أن أصول المخلوقات نزلت من عالم آخر غير الأرضي والأمر في هذا غير معلوم فنكله الى الله تعالى . فالعقول البشرية لا تطبق هذه الحقائق العالية وهذا قوله تعالى (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) ثم أخذ يصف عجائب خلق الانسان والأنعام في الأرحام ويظهر العجائب في ابداعها فقال (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) نطفة ثم علقته ثم مضغة وهكذا الى تمام الخلق (في ظلمات ثلاث) ظلمة البطن والرحم والمشيمة (ذلكم) الذي هذه أعماله (الله ربكم) هو المستحق لعبادكم (فأنت تصرفون) فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره على أن الله لم يكلف الناس بالعبادة إلا لرفق فؤوسهم فأما هو ففنى عن عبادتهم وهذا قوله (إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر) لأنه خلق النفوس الانسانية والعالم كله لارتقائه ونشوته فلذلك قال - ولا يرضى لعباده الكفر - الذي هو مانع من ارتقاء النفوس وان كان بارادته لما منع قام بنفس حقائق تلك النفوس تعلقت الارادة به على ما هو عليه (وان تشكروا برضه لكم) لأنه على مقتضى سننه القويم العادل وصراطه المستقيم (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا يؤخذ أحد بذنب الآخر (ثم الى ربكم مرجعكم فينبشكم بما كنتم تعملون) بالمحاسبة والمجازاة (إنه عليم بذات الصدور) فلا يخفى عليه خافية من أعمالكم (واذا مس الانسان ضرر دعا ربه منيا اليه) راجعا اليه بالدعاء لا بدعوى غيره (ثم اذا حوله) أى أعطاه (نعمته) من الله (نسي ما كان يدعوا اليه) أى نسي الضر الذي كان يدعوا الله الى كشفه (من قبل وجعل لله أندادا) وهي الأصنام (ليضل عن سبيله) أى ليرد عن دين الله تعالى (قل) هذا الكافر (تمتع بكفره قليلا) في الدنيا الى انقضاء أجله (انك من أصحاب النار) وهي عاقبة في الكفار (آمن هو قانت آناه الليل ساجدا وقائما) أى بل آمن هو مطيع كمن هو عاص ، وقوله - آناه - أى ساعاته ، وقوله - ساجدا وقائما - حالان من ضمير قانتا ، وقوله (يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) حالان أيضا ، والقنوت القيام على الطاعة كقراءة القرآن وطول القيام ، وبالجملة كل من قام بعمل يثاب عليه (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) بعد أن ذكر الله تفضيل المطيع على العاصي وذلك في القوة العملية أخذ يوازن بينهما من حيث القوة العملية ففى المساواة بين العالم وغير العالم ولم يبين نوع

العلم اشارة الى أن وجه الموازنة بين الناس ليس مختصا بعلم واحد بل جميع العلوم ، ولا جرم أن العلوم ثلاثة أقسام علوم لا تتوقف على عمل كالعلم بالله وملائكته الخ وكالعلوم الحكيمية وعلوم يستتبعها عمل كعلم الفقه وعلم قوامه العمل بجميع الصناعات ، وهذه الأقسام الثلاثة كلها فيها علم ولوقل . فالنجار والخائض والناسج كل هؤلاء صناع والعمل في صناعتهم أكثر من العلم بل لانسبة بين علومهم وأعمالهم والمهندس وعالم الفلك علمهم أغلب من أعمالهم . فكل طائفة من هؤلاء أفضل من الجاهل من حيث ما عرف . وعليه تكون الأمم العالة بهذه العلوم أفضل من الجاهلة بها . فالفضل نابع للعلم . وعلى مقدار معارف الانسان يكون فضله . ولا جرم أن المسلمين اليوم اكتفوا بلفظة تداوت على ألسنتهم وهي انهم مؤمنون . ومتى قال الانسان آمنت وأسلمت فانه اذا ترك نفسه مهملا عاطلا حق له النضل وهذا خطأ فاضح فان الله فاضل بين النفوس بالعلوم . فالنفس العالة بما هو من طباعها وما قدر عليه بحسب استعدادها أفضل من النفس الأخرى التي قدرت على علم وتركته جهالة بقدرها واتكالا على صفة الايمان . فمن كان أهلا لعلم الهندسة أو الفقه وتركه نذالة وجهالة وكسلا وكان هناك آخر مستعد بطبعه وبحاله المنزلية الى حرفة الحدادة أو البرادة فقام الثاني وأتقن حرفته وقام بها خير قيام فان هذا الثاني أفضل من الأول لأنه قام بما يقدر عليه ولو كان أقل فضلا مما يقدر عليه الآخر الذي لم يقم بما هو في امكانه تحصيله كما ان الانسان اذا ترك التعقل والتفكر ودخل في عدد العجموات بذلك الاممال صار ادنى منها منزلة لأنها قامت بما في طاقتها وهو قصر ولذلك قال تعالى - أولئك كالأنعام بل هم أضل - أولئك هم الغافلون - أي عما أودع فيهم . وعلى هذا التفسير يكون المسلمون اليوم قد تركوا مواهبهم وعطلوها وأناموها وهذا نزول من المقصرين منهم عن بعض خصائص الانسانية لأن الحيوان لا قدرة له على الصناعات ولا العلوم وقد سهل الله له الرزق ولم يجشمه المشاق فوق طاقته . أما الانسان فانه جعل رزقه غير مبسور كرزق الحيوان وبسط له المواهب ليستعملها فاذا قصر فيها فقد تنزل الى الحيوانية . وقد اعتاد المسلم أن يقصر ذلك على الايمان وحده ولكن هذه الآية تميم وتدعو الى درس سائر العلوم والصناعات بحيث يخص كل فيما خلق له - لا يكف الله نسا لإلوسعها - فليقم كل فرد من الأمة بما يواتى طبعه . فخرام على رجال الحل والعقد في مصر والشام وجزيرة العرب وبلاد الترك والروس والفرس و بلاد المغرب أن يبقوا مكتوفي الأيدي بل عليهم أن يصمموا التعليم ثم ليختاروا على حسب درجات الامتحان لكل علم ولكل حرفة من هم أهل لها وبراهي في ذلك القوة البدنية والاستعداد والأحوال العارضة . وحينئذ يتخرج في كل قطر من أقطار الاسلام طوائف للعلوم وللصناعات جميعها ويتم النظام كما تم النظام في تزواج الذكور والاناث إذ جاء العدد متساويا في الزوجين تقريرا في كل زمان ومكان . هكذا خلقت الفرائز - ولكن أكثر الناس لا يعلمون - . إن الفرائز خلقت في الناس على قدر الحاجة فقل الأذكىاء للحكمة مثلا وكثيرا أصحاب الأعمال الجسمية ليم نظام المدن (إنما يتذكروا أولوا الألباب) فيقومون بأمر العلم ويرقون نفوسهم ونفوس غيرهم وسيأتي في اللطائف مزيد لهذا (قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم) بزوم طاعته (الذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) أي للذين أحسنوا حسنة في الدنيا كالصحة والعافية ، جعل الله الحسنة في مقابلة الاحسان ، فاذا سار على طريق علم الصحة فذلك احسان ، واذا استقام وترك الذنوب واذا فعل البرّ والمعروف واذا قام بالطاعات ، كل ذلك إحسان ، ونتيجة هذا الاحسان من الانسان الحسنات في الدنيا من العافية والصحة وحب الناس وفي الآخرة الجنة (وأرض الله واسعة) فمن تعسر عليه الاستقامة في بلد فليرحل الى غيرها ، فليهاجر الانسان من البلد التي فيها معصية الى بلد لا معصية فيها (إنما يوفى الصابرون) على مشاق الطاعات واحتمال البلاء ومهاجرة الأوطان (أجرهم بغير حساب) أجرا لا يهتدى اليه حساب الحاسب . وعن علي رضي الله عنه : « كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا إلا الصابرون فانه يجنى لهم حثيا » و يروى « ان أهل العافية في الدنيا يمتنون لو أن أجسادهم تقرر بالمقار يص لما يذهب

به أهل البلاء من الفضل ، وقوله (قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) أى أمرت باخلاص الدين
(وأمرت لأن أكون أول المسلمين) أى وأمرت بذلك لأجل أن أكون أول المسلمين أى مقدمهم وسابقتهم
في الدنيا والآخرة . فقد أمر أولا بالاخلاص في الدين وثانيا بأن يكون سابقا ليقتدى به غيره (قل إني أخاف
إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) لما دعاه قومه الى اتباع ملة آبائه وأجداده أمر أن يقول ذلك وليكون
ذلك إغاثة لأمته اذا حادوا عن الصراط لأى داع (قل الله أعبد مخلصا له ديني) أى لا أعبد سواه وهذا
الحصر لا يستفاد من قوله - قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين - وأيضا ذكر هذا ليرتب عليه قوله
(فاعبدوا ما شئتم من دونه) وهذا تهديد وخذلان لهم (قل إن الخاسرين) الكاملين في الخسران (الذين
خسروا أنفسهم) بالضلال (وأهلبيهم) بالاضلال (يوم القيامة) حين يدخلون النار (الأذلك هو الخسران
المبين) مبالغة في خسرتهم (لهم من فوقهم ظلل من النار) شرح لخسرتهم (ومن تحتهم ظلل) أى لهم
أطباق وسرادقات من فوقهم وفرش ومهاد من تحتهم وهى من جهة أخرى ظلل لمن هم تحتهم في النار فهى
ظلل بالنسبة لمن تحتهم فرش ومهاد بالنسبة لهم (ذلك) العذاب (يخوف الله به عباده) ليجتنبوا ما يوقههم
فيه (يا عباد فاتقون) ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى (والذين اجتنبوا الطاغوت) الأوثان (أن يعبدوها)
بدل اشتغال (وأنابوا الى الله) ورجعوا الى عبادته بالكيفية وتركوا ما سواه (لهم البشرى) في الدنيا بالثناء
عليهم بصالح الأعمال . وعند نزول القبر . وعند الخروج من القبر . وعند الوقوف للحساب . وعند جواز
الصراط . وعند دخول الجنة . وفي الجنة . ففي هذه المواطن السبعة يشرون بالسعادة والرضوان ويسعدون
سعادة بالروح والريحان (فبشر عباد) وهم الذين اجتنبوا الطاغوت وأنابوا يريد أن يكونوا مع الاجتناب
والانابة على هذه الصفة وهى انهم (يستمعون القول) في الدين وغيره (فيتبعون أحسنه) بحيث يكونون
تقادين فيميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل فيقدمون الواجب على المندوب في الدين والمندوب
على المباح . واذا جنى عليهم وقدروا على العفو قدموه على القصاص . واذا رأوا طريقين في أمور الحياة قدموا
ما هو أنفع للأمة كاستعمال الآلات الحديثة في الزراعة والصناعة كاستعمال الطائرات في النقل في الحرب
والقوات البحرية وكاختراق باطن الأرض لاستخراج المعادن وهكذا من كل ما به يرتقى نوع الانسان .
فهؤلاء يبشرهم النبي ﷺ بأمر ربه أن يسودوا في الدنيا وتثنى عليهم الأمم والأجيال المقبلة . واذا ماتوا
بشرتهم الملائكة في المواقف كلها فتصل البشارة لهم في سائر المواطن (أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم
أولوا الألباب) أى المنتفعون بقولهم ، فانظر في هذا التعبير وكيف يقول إن الذين يستمعون القول فيتبعون
أحسنه هم الذين هداهم الله وهم أولوا الألباب . مدحهم بالهداية وبالقول الكاملة . لماذا ؟ لأنهم يخشون
خير الأمرين في دينهم ودنياهم . أقول : ولولم يكن في القرآن إلا هذه الآية لكفت في ارتقاء المسلمين في هذه
الحياة الدنيا . ألايت شعري كيف نام الناس وتركوا عقولهم كأنها لم تخلق فيهم . يرى المسلمون الأمم قد
ارتقت صناعاتها وتجاراتها وأعمالها وعلومها وهم نائمون . أليس هذا كلام الله ! وسيقوم قريبا في هذا العصر
من يرقون هذه الأمة من أبنائها - ولتعلن نبأ بعد حين - . ولما كان الاستعداد الانساني هو الذى اليه
المرجع في رقى الانسان وانحطاطه وهوتايع للقضاء والقدر ، فاذا سبق بعذاب على امرئ لم يكن للهداة قسرة
على اصلاحه أعقبه بقوله (أفن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنتذ من في النار) أى أنت مالك أمرهم فن
حق عليه كلمة العذاب لعدم أهليته للكمال فأنت تنتذ . كلا . فليس لك أمرهم . قد كررت الهمزة في الجزاء
لأنكيد الانكار ووضع - من في النار - موضع الضمير ليعلم الى أن دعاهم الى الايمان سعى في اقتادهم
من النار المحققة (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية) يقول الله : للكفار ظلل من النار
وللتقين علالي بعضها فوق بعض (تجري من تحتها الأنهار) من تحت تلك الغرف وعدهم الله ذلك (وعد

﴿ الكلام على أعظم أسباب دخول الجنات ﴾

(والارتقاء الى أعلى الدرجات)

اعلم أن الله تعالى لما ذكر الجنة وغرفها وأنهارها وأن وعده فيها لاشك فيه أردفه بذكر انزال الماء من السماء وادخاله ينابيع في الأرض وسقى الزرع به ، ثم أعقبه بالكلام على شرح الله لصدر المؤمن للاسلام وذم الذين قست قلوبهم ، ومدح القرآن وأنه أحسن الحديث يشبه بعضه بعضا في الحسن ولائمه تلاوته ، تضطرب منه جلود الذين يحشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله بالرحمة وعموم المغفرة . ذكر أنهار الجنة وغرفها فناسب أن يذكر نعم الأرض ، كأن الله يقول لنا : « هل شاقكم نعيم الجنان ، هل أحبيتم الغرف التي فوقها غرف مبنية ، هل تفرحون بأنهار الجنة وأشجارها ؟ اذا كان كذلك وهو حقا ما فطرهم عليه فانظروا أنهارى في أرضكم وتجبوا من المطر النازل من السماء والمسالك والمجاري والعروق التي تخلت أرضكم وقد تنوعت تلك الينابيع وتنوعت خواصها وأبنت الزرع والكلا والخصب وقعت نفعا كثيرا ، اذا فكرتم في ذلك فان قلوبكم تفسر للحكمة والعلم وتستنير بصائرهم بالأنوار الربانية ، فاقروا القرآن فهو أحسن الحديث لفظا ومعنى ، ذلك هو السبيل المستقيم لدخول الجنة والتمتع بغرفها وأنهارها وأشجارها ، فالأنهار والزرع كما تبقى بها الأجسام ترقى بها العقول ، فالعقل بالتفكير والجسم بالغذاء والهواء » فانظروا كيف جعل الله جنات الدنيا وحدائقها أسبابا للجنات الآخرة وغرفها . انظروا كيف كان التفكير في جنات الأرض سعادة نفسية كما أن الانتفاع بها سعادة جسمية ونتيجة ذلك دخول الجنة . فياليت شعري كيف أعرض المسلمون وغفلوا . جنات في الدنيا أمروا بالتفكير فيها ولاتفكر فيها إلا بوجودها . اللهم أزل الجهالة من بلاد الاسلام وأذقهم نعمك كما ذاقوا مرارة النعمة والاذلال - إنك أنت السميع العليم -

ذلك قوله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) أى المطر (فسلكه) فادخله (ينابيع في الأرض) عيون ومسالك ومجاري كما يرى للانسان عروق ومسالك في جسده أى حال كونه ينابيع (ثم يخرج به) بالماء (زراعا مختلفا ألوانه) هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وكونه برا وشعيرا وسمما ودواء وغذاء الى ما لاحصر له (ثم يهيج) يهيج (فغراه مصفرا) بعد نضارته وحسنه (ثم يجعله حطاما) فتانا متكسرا فالخطام كل ما نقت من نبت وغيره (إن في ذلك لذكرى) لتذكيرا بحكمة الصانع (لأولى الألباب) الذين تقدم القول فيهم انهم يستمعون القول فينبعون أحسنه وأن الله هداهم ومن هدايته لهم انهم يتفكرون في هذه الجباب

﴿ لطيفة في المياه والينابيع ﴾

(الماء الصالح للشرب)

اعلم أن الله عز وجل جعل الماء الصالح للشرب محتويا على ما ينفع الجسم من المواد الغريبة عنه مثال ذلك :

(١) أملاح قليلة مركبة من الكربون والكالسيوم

(٢) وأخرى مركبة من الكربون أيضا والمنغنسيوم

(٣) وقليل من الفلور

(٤) والكلور كل منهما مركب مع مادة أخرى

(٥) والسليس

وبما ينزم في الماء الصالح للشرب :

(١) أن يكون باردا

(٢) وطعمه خفيف

(٣) ومذيب لمقدار من الهواء

(٤) ومذيب للصابون

(٥) ومنضج للبقول

ويجب أن لا تزيد الأملاح في الماء عن (٥٠) سنتي جراما في اللتر الواحد . وهذه المواد الداخلة في الماء قد جعلها الله فيه لأن البنية تحتاج إليها والأغذية لا تحتوي على مقدار كاف منها . فانظر كيف جعل الله الكالسيوم المركب مع الكربون والمغنسيوم المركب أيضا ومركبات من السكر ومن الفلور ومن السليس انظر كيف جعلها في الماء الذي نشربه ونحن لاعلم لنا بها . وجعل احتواء الماء على هذه شرطا لانتفاعنا بالماء . فاذا نقصت هذه المواد قل انتفاعنا بالماء . واذا زادت كانت المياه ضارة بنا ولم تصلح لشربنا

(المياه المعدنية)

انظر الى الينابيع في الأرض كيف جعلها الله لتتويع المياه . فبينما الماء ينزل من السماء مطرا اذا هو في الأنهر جاريا ساقيا للزرع اذا هو في مجار تحت الأرض يجري والناس من فوقها لا يعلمون وإنما يحفرون الآبار فتخرج مياه من تلك الجارى فيجدونها مختلفة الصفات وبها يتداون ومنها يشربون . وكثيرا ما يستخرجون من تلك المياه أملاحا نافعة في الصنائع

(١) - (المياه الحارة : مثل ماء فيشى)

ومن المياه ما تكون حرارتها مرتفعة عن درجة الحرارة الاعتيادية لكونها آتية من أغوار الأرض أو لكونها بالقرب من البراكين . فهذه المياه تسمى بالمياه المعدنية الحارة وذلك كياه فيشى التي درجة حرارتها (٤٥) واعلم أن الأسماء المعدنية تختلف تسميتها بحسب المعادن التي فيها

(٢) - (المياه الغازية والمياه الحضية التي تفور بتعرضها للهواء)

تلك مياه فيها حمض الكربونيك ذاتيا ومركبات كربونية قلوية أيضا وملح الطعام والحديد المركب مع الكربون ومثل هذه تفور متى تعرضت للهواء . وذلك مثل ماء سلس

(٣) - (المياه القلوية : ماء فيشى)

يكون فيها مركبات الصوديوم وبعض مركبات الكربون

(٤) - (المياه الكالوريه)

يكون فيها ملح الطعام ومركب الكالور مع البوتاسيوم والكالسيوم والمغنسيوم وهكذا

(٥) - (المياه الكبريتية)

مثل مياه مدينة حلوان . ففيها مركبات الكبريت المختلفة

(٦) - (المياه الحديدية)

كياه (أورتزا) فيها حديد متحد بالكربون

فتجب من هذه المياه المختلفة الآتية من الينابيع وانظر قوله تعالى - فسلكه ينابيع في الأرض - وتجب كيف كان في تلك الينابيع حديد أو كبريت أو كالور والكالور قد علمت فيما مضى انه أحد العنصرين المركب منهما ملح الطعام . أو كربون وهو المادة الفحمية أو غيرهما من المعادن

انظر كيف تسمع الناس في مصر وغير مصر يقولون : تعال لنستشفى بماء فيشى أو بماء حلوان أو بالمياه الكالوريه وهم غافلون . لقد صرف الله الماء للناس ليتذكروا . انظر كيف نوع الماء لنستشفى به ! ينظر

الانسان فيرى الماء قد تظلل باطن الأرض وجزى في عروقها وبحارها ومرّ على مركبات حديدية وكبريتية وأخرى مغنيسية وأخرى كلورية . فيظن لأوّل وهلة أن ذلك رمية من غير رام حتى اذا نظرتناجها من أنواع الأدوية عرف أن ذلك كان لحكمة مقصودة . هذا معنى قوله تعالى - فسلكه ينابيع في الأرض - أى ان تلك المنافع التي ترونها في ماء حلوان وفي ماء فيشى وفي ماء كرلسباد المحتوى على مركب من الكبريت والصوديوم وأمثالها لم تكن مصادفة بل أنا الذي أدخلتها في الأرض وأمرتها على تلك العناصر وجعلت ذلك للدواوة من الأمراض المختلفة . وانما فعلت ذلك لتفكروا لتأهلوا لعالم أرقى من عالمكم الأرضي

فهذا هو معنى قوله تعالى - إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب - فأولوا الألباب هم الذين يعتقدون ذلك من وجهين : من وجه المنفعة المادّية . ومن وجه المنفعة العقلية . فالمسلمون اليوم عالة على أوروبا في هذه المياه وغيرها . فلاهم درسوها وعقلوها . ولاهم استخراجوها وانتفعوا بها . والأمم من الألمان متلازمان وانما يقلدون الفريجة فيها وهم غافلون وحسبنا الله ونعم الوكيل

لقد غفل أكثر العلماء ففسح المسلمون على منوالهم وناموا . فليبين قارىء هذا التفسير للناس عجائب الدنيا حتى يدرسوها وينتفعوا بها ويرتقوا الى الله بالتأمل في محاسنها . أما الاتكال على الفريجة فانه عار وأى عار . فأين أولوا الألباب إذن في الاسلام وأين تذكركم ؟

لا بد انك أيها الذكي انشرح صدرك لما رأيت في الماء من العجائب ولما أدركت من الحكم العجيبة ، لذلك أردفه سبحانه وتعالى بقوله (أفن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) أى بيان وبصيرة أى أفن دخل النور قلبه فانشرح وانفسح للاسلام لما يرى من تلك البدائع والعجائب المهيبة للحكمة فاهتدى بها كمن طبع على قلبه لغفته وجهاته xx وورد أن علامة ذلك الانشراح الانابة الى دار الخلود والتجاني عن دار الفرور والاستعداد للموت قبل زوال الموت ، وقوله (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) دليل على المحنوف الذي قدرته في الجملة السابقة . وقوله - من ذكر الله - أى من ترك ذكر الله (أولئك في ضلال مبين) غواية ظاهرة (الله زل أحسن الحديث) حال كونه (كتاباً متشابهاً) يشبه بعضه بعضاً في الصدق والبيان والوعظ والحكمة والاعجاز وما أشبه ذلك كما تشابه أجزاء الماء والهواء وأجزاء النبات والزهر وأبنية الحيوان (مثاني) تننى وتردد قصصه وأنبأه وأحكامه وأوامره ونواحيه ووعده ووعيده ومواعظه وهذا ايضاح لكونه متشابهاً ، فكما انك تجد في جميع أجزاء الهواء والماء والنبات والحيوان للمواد التي تركب منها بلاخطأ ولاخلل فلاهواء ولاماء ولانبات إلا وأنت واجد في كل جزء منه الأجزاء التي تركب منها وذلك دليل على الاتقان وعدم الخلل والخطأ ، هكذا الكلام الصادق المسوق لفرض واحد تراه أيها حالته يرجع الى الامور التي اذا ركبت وأدرجت فيه تنتج الفرض الذي سبق له الكلام

﴿ حكمة ألمانية ﴾

قال لي أحد الأصدقاء يوماً وقد كان في بلاد ألمانيا : أنا قرأت حكمة باللغة الألمانية وهي : « يجب على المؤلف أن يظهر في كتابه كما ظهر الله في مصنوعاته ، فما معنى هذا ؟ قلت معناه أن يكون المؤلف له غرض يرمى اليه وقد مزج الفكرة بنفسه بحيث يتصرف في القول والمعنى تصرف الله في المادة حتى انك لترى مقدماتها ترمى لغايات معلومة ، هكذا الكتاب يجب أن يكون مؤلفه أشبه بناسج الثوب ينسج على منواله وأن يفسل فيه فعل الجسم الانساني في التصرف في الطعام وفعل النحلة حوّلت رحيق الأزهار الى عسل هيبة منظمة بحيث يحول ما يقرؤه ويفكر فيه الى صورة ترسمها نفسه كما يحول النبات صور العناصر الأرضية الى الهيبة النباتية فتضيق سائر صفات العناصر وتحلّت صفات جديدة . فهذا معنى التشابه المذكور في الآية ولذلك قال

تعالى - ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا - وقد عرفت الاختلاف فانك اذا ألقت كتابا ووضعت فيه أنواعا من السير والأحكام ولكنك لم تصقل ذلك بصقالك أنت كانت تلك القصص والأحكام غير مفسدة ولا منظمة وفقرت منها النفوس ولم تؤدّ الى الفرض المطلوب كما اذا بقيت المواد الأرضية والهوائية مفرقة غير متحدة في الصورة النباتية فانها لاتؤدى المتصود من النبات بل هي تراب وطين مثلما تستعمل لما له التراب والطين ، وقوله (تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم) أى تضطرب وتشمئز وتأخذهم قشعريرة وهي تفرير يحدث في جلد الانسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وكذلك القلوب ، وقوله (لم تأين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أى بالرحمة وعموم المغفرة ، فاذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت الجلود ووجلت القلوب ، واذا ذكرت آيات الرحمة والوعد لانت الجلود وسكنت القلوب ، ومن أين يكون هذا لو لم يكن القرآن مقشبا بالمعنى الذى عرفته ولو لم يكن مقشبا مثنى على وتيرة واحدة لم يحدث تلك الآثار في القلوب كما يحدث النبات آثاره المغذية مثلا إلا بذلك التشابه ، وطى المؤلفين في أمة الاسلام أن ينحوا نحو القرآن بحيث تكون نفوسهم متأثرة بما يكتبون عاقلة له فانها لا محالة تحدث أثرا في نفس السامعين وهذا هو قوله تعالى - وما أنا من المتكلمين - فان التكلم في القول لا يؤثر في سامعه ولا يحدث في النفوس خوفا ولا رجاء لأن القول مصحوب بآثار نفس القائل ، وليس معنى هذا أن تكون بليغا كالقرآن بل أن تتخلق بأخلاق الله ورسوله ويكون تأليفك بناء على شوق ووجدان في نفسك والا فلا يفيد (ذلك) الكتاب أو الكائن من الخشية والرجاء (هدى الله يهدى به من يشاء) هدايته (ومن يضل الله) ومن يخذله (فاله من هاد) يخرج من الضلالة الى الحق

﴿ ذكر عذاب الظالمين في الدنيا والآخرة ﴾

قال تعالى (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة) كمن هو آمن أى ان الانسان يتقى المخاوف بيديه صيانة لوجهه ، فاذا كان هؤلاء الظالمون في النار وغلت أيديهم الى أعناقهم فانهم لا يتقون النار إلا بوجوههم (وقيل للظالمين) أى قبل لهم فوضع الظاهر موضع المضمر (ذوقوا ما كنتم تكسبون) أى وبال (كذب الذين من قبلهم فانهم العذاب من حيث لا يشعرون) أى من الجهة التي لا يخطر ببالهم أن الشر يأتي من جهتها (فأذاقهم الله الخزي) الذل والصغار كالسخ و الخسف والقتل في الحياة الدنيا (ولعذاب الآخرة أكبر) من عذاب الدنيا (لو كانوا يعلمون) لآمنوا ، أو لو كانوا من أهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) بينا للناس فيه من كل وجه (لعلمهم يتذكرون) أى لكي يتفظوا (قرآنا عربيا) منصوب على المدح مستقبيا (غير ذى عوج) بريثا من التناقض (لعلمهم يتقون) الكفر والمعاصي

﴿ ضرب مثل لحال المشركين والمؤمنين ﴾

قال تعالى (ضرب الله مثلا رجلا) بدل و (فيه شركاء متشاكسون) متنازعون مختلفون (ورجلا سلما لرجل) أى ذا خلوص له من الشركة سالما (هل يستويان مثلا) أى صفة أى هل نستوى صفاتها وحالاتهما (الجد لله) الذى لا إله إلا هو (بل أكثرهم لا يعلمون) فبشركون به غيره ، هذا مثل ضربه الله للعابدين والمبشرين له بعبد اشترك فيه شركاء فتنازعوه واختلفوا وكل واحد يدعى انه عبده ويستخدمونه في مهن شتى وهو متحير لا يدري أيهم يرضى بخدمته ، وعلى أيهم يعتمد في حاجاته ، ومن منهم يرزقه ، ومن منهم يداريه ، فهو أبدا في حيرة ، وشبه المؤمن بعبد له سيد واحد فهمه واحد وقلبه مجتمع لا مفرق

﴿ لطيفة ﴾

اعلم أن هذا المثل وان ورد في الكفر والايمن يعلمنا كيف يكون الانسان سعيدا في الدنيا ، وذلك انه

للاعادة لإلجماع لهم على أمر واحد ، ذلك ان حاجات الانسان لاتسكاد وتحصر وخطيئته وسببته وما يستوره من مصائب الدهر كل صباح وكل مساء ، فاذا تفرق همه على تلك الوجوه كلها تقطع وعاش في غاية الشقاء وانما يعد الانسان اذا عمل كل مافي طاقته ثم هو بكل نتائج الأعمال الى الله وما نابه من مصيبة يحتملها ويصبر عليها ويجزم بانها أجنحة يطير بها الى العلا ، وما نال من نعمة يحمد الله عليها ويتخذها ذريعة لارتقاء نفسه بالعمل الصالح فيكون شكره على النعمة وصبره على النقمة موجهين لفرض واحد ، حتى نال الانسان هذه المرتبة أصبح سعيدا ، بل متى أدرك أن هذه الدنيا والآخرة وهذه العوالم كلها كأنها جسم واحد بنظام واحد وهو واثق أن ذلك النظام في غاية الكمال وأن كل دابة أو انسان اذا لم يكن على ما هو عليه كان النظام خطأ ، فاذا أيقن الانسان بذلك لكثرة الدراسة العلمية والتفكير أصبح لا يحزن على فائت ولا ينتظر غائبا ولا يبالي بمستقبل ولا ماض ويصبح وهو راض بكل ما يكون سعيد بهذا الرضا ، واعلم أن هذه المرتبة قلما ينالها الانسان في هذه الحياة ، بل تمر غالبا كبرق خاطف أو كنفوق نافقة أو جلسة خطيب ، ثم يقب الطبع على الانسان فيحزن ويفرح ويألم ويرجو ويخاف كسائر الناس ، ويندر من تصير هذه له ملكة راسخة ، ويقل من تلازمه في أغلب الأوقات ، ثم قال تعالى (إنك ميت وانهم ميتون) أى بصدد الموت أو في عداد الموتى (ثم إنكم) أى إنك وياهم (يوم القيامة عند ربكم تختصمون) فتحتج أنت عليهم بأنك بلغت فكذبوا ويعتدرون هم بما لا طائل تحته ، ويقول التابعون للرؤساء أظننا كم فأضلمونا ، وتقول السادة أغوانا الشياطين وآباؤنا الأولون ، ويحتج بعض الأصحاب بأنهم مع ابن عم رسول الله ﷺ وقتلوا أعداءهم على هذا التأويل ، ويحتج أصحاب معاوية بانهم يأخذون بدم عثمان ، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يرون أن هذه الآية نزلت في المسلمين وأهل الكتاب فلما كان يوم صفين ويوم عثمان عرفوا انها في المسلمين أيضا . وفي حديث البخارى أن النبي ﷺ قال : « من كان عنده مظلمة لأخيه من عرض أو مال فليتحلله اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » وفي مسلم انه ﷺ قال : « أتدرون من المفلس ؟ قالوا المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع . قال إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فبت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار »

﴿ ذكر الصادقين والكاذبين ﴾

قال تعالى (فن أظلم من كذب على الله) بإضافة الولد والشريك اليه (وكذب بالصدق) وهو ما جاء به محمد ﷺ (إذ جاءه) من غير توقف وتنكر في أمره (أليس في جهنم مثوى للكافرين) المثوى المنزلة والمقام أى يكفيهم ذلك مجازاة لأعمالهم (والذى جاء بالصدق وصدق به) الذى جاء بالصدق الأنبياء والذى صدق به المؤمنون وكذلك ملائكة الوحي والأنبياء (أولئك هم المتقون) الذين اتقوا الشرك (لهم ما يشاؤون عند ربهم) من الجزاء والكرامة (ذلك جزاء المحسنين) فى أقوالهم وأفعالهم (ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا) أى يستره عليهم بالمغفرة (ويجزئهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون) أى يجزيهم بمحاسن أعمالهم ولا يجزيهم بمساوئها ، أو يجعل لهم بمحاسن أعمالهم مثل أحسنها فى زيادة الأجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها (أليس الله بكاف عبده) استفهام انكارى للتقرير أى جنس العبد فيشمله ﷺ والأنبياء والمؤمنين وهذا كقوله تعالى - إنا كفيناك المستهزئين - وقوله (ويخوفونك بالذين من دونه) يعنى قريشا فانهم قالوا له إنا نخاف أن تخفك آلهتنا بعبيك إياها . وأيضا بعث ﷺ خالدا ليكسر العزى فقال له سادنها أحفر كما

إن لها شدة فصد إليها خالد فهشم أنفها . فكأنهم لما خوفوا خالدا خوفوا من أرسله وهو النبي ﷺ (ومن يضل الله) حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه مما لا ينفع ولا يضر (فاله من هاد) يهديه إلى الرشاد (ومن يهدي الله خاله من مضل) إذ لا رادَ لفعله كما قال تعالى (أليس الله بعزيز) غالب منبع (ذئ انتقام) ينتقم من أعدائه

﴿ تقرير الآية السابقة بالملاحقة ﴾

وهي قوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) لوضوح ذلك بالبرهان (قل) أفرايتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضرٍ هل هن كاشفات ضره) أي أرايتم بعد ماتين لكم أن الله هو خالق العوالم كلها . ان آلهتكم إن أراد الله أن يصيبني بضرٍ هل هن يكشفنه (أو أرادني برحمة) بصافية (هل هن ممسكات رحمة) مانعاتها عني حتى تأمروني بعبادتها (قل) يا محمد (حسي الله) أي هو قتي وعليه اعتمادى (عليه يتوكل المتوكلون) لعلمهم بأن الكل منه تعالى (قل) يا قوم اعملوا على مكاتكم حالكم أي اجتهدوا في أنواع مكرمكم وكيدكم وهذا تهديد طم (إني عامل) فيما أمرت به من إقامة الدين (فسوف تعلمون) من يأتيه عذاب يخزيه) أنا أم أتم (ويجلى عليه عذاب مقيم) دائم وهذا تهديد وتخويف (إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس) لأجلهم ملتبسا (بالحق فن اهتدى فلنفسه) إذ نفع به نفسه (ومن ضل فاما يضل عليها) أي فان وباله لا يتخطاها (وما أنت عليهم بوكيل) أي وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وإنما أمرت بالبلاغ وقد بلغت

﴿ ذكر النوم والموت ﴾

قال تعالى (الله يتوفى الأنفس) الأرواح (حين موتها) أي قبضها عند انقضاء أجلها وهو موت الأجساد (والتي لم تمت في منامها) ومعنى ذلك انه يقبضها عن الأبدان ويقطع صلتها بها ظاهرا وباطنا عند الموت ، وظاهرا فقط عند النوم (فيمسك التي قضى عليها الموت) فلا يردها إلى البدن (ويرسل الأخرى) وهي النائمة إلى البدن عند اليقظة (إلى أجل مسمى) هو وقت الموت * روى عن ابن عباس انه قال : « إن في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس ، فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والحياة فتتوفيان عند الموت وتوفى النفس وحدها عند النوم (إن في ذلك) التوفى والامساك والارسال (آيات) على كمال الحكمة والاتقان وشمول الرحمة وعمومها (لقوم يتفكرون) في كيفية تعلقها بالأبدان وتوفى عنها بالكلية حين الموت وامساكها باقية لاتفتى بفناء الأجساد وما يعترها من السعادة والشقاوة ، وكيف تتوفى ظاهرا حينما بعد حين إلى انقضاء الآجال * وعن علي كرم الله وجهه قال : « تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فذلك يرى الرؤيا فإذا انبته من النوم عاد الروح إلى جسده بأسرع من لحظة » * وعن سعيد بن جبير : « ان أرواح الأحياء وأرواح الأموات تلتقي في المنام فيتعرف منها ماشاء الله أن يتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجسادها إلى انقضاء مدة حياتها »

﴿ لطيفة في مجزات القرآن في هذا الزمان بمناسبة هذه الآية ﴾

أذكر لك بمناسبة هذه الأحاديث والآية ما قيل عن الأرواح في هذا الزمان لتعجب كل العجب من قول سعيد بن جبير : « ان أرواح الأحياء والأموات تلتقي في حال النوم » ومن موافقة للعلم الحديث ، فهناك مقالة لروح مستحضرة في المجمع النفسية . قالت ماملخصه : « اذا نام الانسان اطلقت روحه من البدن وازدادت قواها عما في اليقظة فتتذكر شيئا من ماضيها وتكشف بعض المستقبل وتناجي الأرواح الأخرى في هذا العالم وفي سواه ، ألا ترى إلى الأحلام البعيدة التصديق انها ذكرى أما كن وأشياء كان رآها الانسان

أوسوف يراها في عالم البرزخ بعد هذه الأرض ، والروح غالباً وقت النوم يبحث عن ماضيه ومستقبله . ثم قالت : ما أشد جهلكم يا بني آدم ، تجهلون أسهل الأمور ، يسألكم بنوكم : ماذا نستفيد من النوم ؟ وما هي أحلامنا ؟ فترتبكون مع انكم تدعون انكم تعرفون كل شيء ، إن النوم يحل النفس قليلاً من البدن فيكون الانسان وقت النوم أشبه به بعد الموت من بعض الوجوه وكل من كان أكثر استحضاراً واستذكاراً لما رأى في المنام يكون أسهل انحلالاً عند الموت والعكس ، فأمثال هؤلاء ينضمون وقت النوم الى جماعة الأرواح العلوية ويتنفعون بأحاديثهم وتعاليمهم ، وهذا ينزع عنكم خوف الموت لأنكم تموتون كل ليلة على حسب قول أحد الأبرار (يريد سيدنا محمداً ﷺ في القرآن) . قال : وكلامي هذا عن الأرواح العلوية ، وأما عامة الناس الذين تبقى أرواحهم بعد الموت ساعات وأياماً على حالة الاضطراب المعلومة لكم في الاستحضار لليتين حديثاً فهؤلاء قلما ينتبهون لما يعملون وقت الرقاد . وكم من امرئ يقابل امرأ في النهار فيرى في قلبه اقتباضاً . لماذا ؟ لأنه قد يكون اطلع على أحاديثه وقت النوم فوجدته يفضه . ويرى آخر فيقابل به بلهف وشوق نهاراً . لماذا ؟ لأنه قضى معه وقت الرقاد ساعات في صفاء وسرور . ثم قال : وبالاختصار إن للنوم أثراً في حياتكم اليومية وأنتم لا تشعرون . ثم قال : فالنوم للأرواح العلوية التي في الأجساد باب للناموس والمنهاج المؤدى الى السماء حتى يوافيها الأجل وتعود الى مقرها السعيد . ثم قال الروح : والحلم تذكر الانسان مارآه وقت الرقاد . فليست تحملون دائماً لأنكم لا تتذكرون دائماً مارأيتموه وانما تذكرون ما يعرض لكم في حال الاضطراب الملازمة لمبارحة الروح وعودتها الى الجسد . ويضاف الى ذلك أمور أخرى مما تصنعونه وقت اليقظة ومشغل الأفكار وذلك هو الباعث لتلك الأحلام التي يراها الجاهل والعالم على حد سواء بلا فائدة . وربما كانت تلك الأحلام كرواية حذف منها جل متعددة فابقي منه أصبح لاسياق له . وتستخدم الأرواح الشريرة أحياناً الأحلام لتكيد النفس الضعيفة ، انتهى ملخصاً

فعلى هذا تكون الأحلام إما أفكاراً ومشاعلاً ازدجت واما مسائل منتظمة ولكن حذف منها كثير فصارت لا معنى لها واما مغامر شيطانية لإخافة النفوس الضعيفة . فأما الأرواح الشريفة فانها تنتفع وان لم تعلم شيئاً عن ذلك بالنهار . إن رواية سعيد بن جبير من مقابلة أرواح الأحياء للأموات هي عينها ما قرأته عن نفس الأرواح . أليس هذا من العجب . أليس ظهور هذا منسوبا للأرواح مجزة للنبي ﷺ . إن عقولنا لا يمكنها أن تفهم أن ارواحنا تحدث أرواح الأموات . عقولنا لا دليل عندها على ذلك وقرأنا الأحاديث فوجدناها تقول ذلك . وهانحن أولاء نرى مطابقة العلم الحديث ومحادثة الأرواح لهذا المنقول . إن هذا هو المجزة وهذا معنى قوله تعالى - ولتعلمن نبأه بعد حين -

ثم قال تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) هي الأصنام (قل) يا محمد لهم أتتخذونهم شفعاء (أولو كانوا) أى الآلهة (لا يعلمون شيئاً) من الشفاعة (ولا يعقلون) انكم تعبديونهم (قل لله الشفاعة جميعاً) أى لا يشفع أحد إلا بأذنه فلتكن العبادة له لأنه هو الشفيع في الحقيقة لأنه هو الآذن في الشفاعة لمن يشاء من عباده (له ملك السموات والأرض) لملك لسواه (ثم اليه ترجعون) في الآخرة (واذا ذكر الله وحده اشعرت) فرت واهبضت عن التوحيد أو استكبرت (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه) يعنى الأصنام (اذا هم يستبشرون) يفرحون والاستبشار أن يمتلئ القلب سروراً حتى يظهر على الوجه فيتهلل (قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة) فهو موصوف بكمال العلم والقدره (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين عن ابن المسيب : « لا أعرف آية قرئت فدعى عندها إلا أجيب سواها » وعن الربيع بن خيثم وكان قليل الكلام انه أخبر بقتل الحسين رضى الله عنه وقالوا الآن يتكلم فإزاد أن قال : آه أوقد فعلوا وقرأ هذه الآية . وفي حديث مسلم انه ﷺ يفتح صلواته

إذا قام من الليل فيقول : اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم اه

ثم قال تعالى (ولو أن للذين ظلموا مني الأرض جيوعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة) هذا إقناط لهم من الخلاص (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون) وهذا في مقابلة - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين - (وبدا لهم سيئات ما كسبوا) أي سيئات أعمالهم (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أي وأحاط بهم جزاؤه ، ثم اعلم أن قوله تعالى - وإذا ذكركم الله وحده اشمازت - الخ جاءت الآيات بعدها اعتراضية وعطف عليها بالفاء قوله (فإذا مسّ الانسان ضرّاً دعاناً ثم إذا خولناه نعمته منا) أي أعطيناه إياها تفضلاً فان التخويل مختص به (قال إنما أوتيته على علم) أي على علم مني بوجوده كسبه أولاًني أستحقه ، فتل هؤلاء القوم إذا ذكركم الله وحده اشمازوا وإذا ذكر سواه استبشروا مع انهم إذا مسهم الضرّ ذكروا من اشمازوا من ذكره ، وإذا آتاهم نعمة ادّعوا انها باستحقاقهم ومن كسبهم (بل هي فتنة) أي امتحان له أبشكروا ثم يكفر فكيف يدعى انه أوتيه على علم (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك (قد قالها الذين من قبلهم) أي قال إنما أوتيته على علم كقارون ومن معه فانه قالها ورضى بقوله من حوله فكأنهم قالوه وهكذا يدور هذا المعنى في ذهن كل متكبر جبار من الماضين (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا وما يجمعون منها (فأصابهم سيئات ما كسبوا) أي جزاء سيئات كسبهم (والذين ظلموا) كفروا (من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا) أي سيصيبهم مثل ما أصاب أولئك فقتل صناديدهم بيد وجس عنهم الرزق ففقططوا سبع سنين (وما هم بمعجزين) بفائتين من عذاب الله ، ثم بسط لهم الرزق سبعا فقيل لهم (أولم يعلموا أن الله ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر) حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بأن الحوادث كلها من الله وانه القابض الباسط . انتهى التفسير اللفظي

﴿ لطائف القسم الثاني من السورة ﴾

- (١) في قوله تعالى - يكفور الليل على النهار ويكفور النهار على الليل - الخ
- (٢) وفي قوله - خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها - الخ قوله - في ظلمات ثلاث -
- (٣) وفي قوله - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الالباب - مع قوله - فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه - ومع قوله - للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب -
- (٤) وفي قوله - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع - الخ
- (٥) وفي قوله تعالى - ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون -

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

(في قوله تعالى - يكفور الليل على النهار ويكفور النهار على الليل -)

إن هذا المقام قد سبق شرحه في هذا التفسير في ﴿ سورة البقرة ﴾ وفي سور كثيرة بعدها فارجع اليه
 تره سهلاً مبسوطاً على قدر ما يحتمله هذا الكتاب

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

(في قوله تعالى - خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها -)

هذا المقام مشروح مبسوط في أول ﴿ سورة النساء ﴾ فارجع اليه وفي سور بعد ذلك ، ولكن لا بد من ذكر ما يناسب المقام في مسألة خلق الجنين في بطن أمه الذي هو في ظلمات ثلاث فأقول : لأذ كركك في خلق الانسان خسين حكمة :

- (١) جعل أعضائه قطعاً لقطعة واحدة ليسهل له الاعمال بها فجعلها على مقدار الحاجة من قصير وطويل ومستدير ومخوف ومصمت وعريض ودقيق
- (٢) جعل بينها مفاصل فقدر شكل كل واحد منها على قدر وفق الحركة المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها ببعض بأوتاد أنبتها بأحد طرفي العظم وألصق الطرف الآخر بها كالرباط
- (٣) ثم خلق في أحد طرفي العظم زوائد خارجة منها ومن الآخر نقراً غائصة فيها أشكال الزوائد لتدخل فيها وتنطبق
- (٤) فبهذا صار الانسان يقدر على تحريك شئ من جسده دون غيره فلولاً حكمة تلك المفاصل لتعذر عليه ذلك
- (٥) الرأس مركب من عظام مختلفة الأشكال والصور وقد ألف بعضها الى بعض بحيث استوت ككرة الرأس فمنها ستة تختص بالتحف والباقي في الأسنان وهي ٣٢ وفي الاحى الأسفل والأعلى
- (٦) وجعل الرقبة مركبة من سبع خوزات محجوزات مستديرات منطبقات على بعضها متصلة بالظهر وعظام الحجز والعصص ، ووصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف واليدين وعظام العانة وعظام الحجز وعظام الفخذين والساقين وأصابع الرجلين ، هذه كلها انفصلت ببعضها وهي ٢٤٨ عظاماً سوى العظام الصغيرة التي جعلت ليحشى بها خلل المفاصل
- (٧) وخلق العين لها أشفار بمنزلة باب يفتح وقت الحاجة ويفلق في غير وقتها
- (٨) الأشفار جبال للعين
- (٩) شعرها لا يزيد ولا ينقص ، فلوزاد لأضرب بالعين وكذلك لو نقص
- (١٠) في مائها ملوحة لتطيق ما يقع فيها
- (١١) الحاجبان جبال للوجه أيضاً
- (١٢) وستر للعين
- (١٣) شعرهما كسعر الأهداب لا يزيد لئلا يكون تشويهاً وان نقص ذهب الجمال وقلت الفائدة للعين لأنه يحجب الضوء ويقلله
- (١٤) ولما كانت اللحية وشعر الرأس زيادتهما وقصهما يوكلان للانسان حتى اذا كان الجمال في طولها أوفى قصرهما فصل الانسان ما يراه مناسباً للوسط الذي عاش فيه . لما كان كذلك جعلها قابلية للزيادة والنقص . فاذن جمال الأهداب والحواجب ثابت عند جميع نوع الانسان . وجمال الرأس واللحية يوكل للانسان أمره فيتركه ليطول أو يقصره
- (١٥) الشفتان ستر للفم وهما كباب يفلق وقت ارتفاع الحاجة الى فتحه
- (١٦) وهذا الباب ستر على اللثة والأسنان
- (١٧) هما فيديان الجمال ولولا ذلك لشوه الخلق

- (١٨) مما تعينان على الكلام
 (١٩) اللسان لتتقن والتعير عما في الضمير
 (٢٠) ولتقليب الطعام ولالقاءه تحت الأضراس حتى يستحكم مضغه ويسهل ابتلاعه
 (٢١) الأسنان مفرقة وليست عظما واحدا فان تلف بعضها صلح الباقي
 (٢٢) جمع فيها بين النفع والجمال
 (٢٣) جعلت صلبة
 (٢٤) جعل في الأضراس كبر وفيها ما يشبه الزوائد لأجل درس الغذاء فان المضغ هو الهضم الأول
 (٢٥) الثنايا والأنياب لتقطع الطعام مع الجمال
 (٢٦) بيض لونها مع حرة ماحوها
 (٢٧) تساوت رهوسها كأنها الدر المنظوم
 (٢٨) في الفم نداوة محسوسة لا تظهر إلا في وقت الحاجة فلواتها ظهرت وسالت لكان تشويها للإنسان
 جعلت ليبل بها الطعام حتى يسهل تسويغه من غير عنق ولا ألم
 (٢٩) فاذا لم يكن أكل ذهب من الريق ما كان زائدا وبقى ماهولا لترطيب
 (٣٠) الذي بقي لترطيب بيل اللهوات والحلق لأجل الكلام ولتليجف ولويجف تلك الانسان
 (٣١) التوق جعل في اللسان ليعرف ما وافقه ويلائمه فما وافقه قبله واجتنب ما لا يوافق ، ولولا ذلك لم
 يفرق الانسان بين الملائم وغير الملائم فيموت ، فالنوق تكثير النحل الذي يجعل عند باب الخلية
 ليمنع الأجنبي عن المنخول
 (٣٢) يعرف مقدار الحرارة والبرودة
 (٣٣) شق السمع وجعل فيه رطوبة مررة لتحفظه من البرد ، ويقتل أكثر الهوام التي تريد أن
 تلج الى السمع
 (٣٤) حفظ الأذن بصدقة تجمع الصوت فترده الى صاحبها
 (٣٥) وفيه زيادة حسن لتحسن بما يصل اليها بما يؤذيها من هوام وغيرها
 (٣٦) وجعل فيها تعارج لترديد الصوت ولتكثر حركة ما يدب فيها ويبلول طريقه فينتبه صاحبها من
 النوم . وهناك معان عجبية في الأذن تقرأها في ﴿سورة آل عمران﴾ فارجع اليها تجد هناك
 شرح العين وشرح الأذن شرحا وافيا . أما هنا فأنما هي ظواهر
 (٣٧) جعل الحنجرة مهياة لخروج الأصوات ودور اللسان في الحركات والتقطيعات فيقطع الصوت في
 مجار مختلفة تختلف بها الحروف لتسع طرق النطق
 (٣٨) جعل الحنجرة مختلفة الأشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوة
 والطول والقصر حتى اختلفت بسبب ذلك الأصوات فلم يتشابه صوتان
 (٣٩) هكذا خلق بين كل صورتين اختلاف فلم تشبه صورتان بل يظهر بين كل صورتين فرقان :
 فبالأول يميز السامع بين كل صوتين . وبالثاني يميز بين كل صورتين
 (٤٠) خلق اليدين لأمرين : جلب المقاصد . ودفع المضار . وجعل الكف عريضا . وقسم الأصابع
 الخمس . وقسم الأصابع بأنامل . وجعل الأربعة في جانب والابهام في جانب فيصور الابهام على
 الجميع . فالابهام يدور على الأربعة والأربعة مختلفات طولها وقصرها فصلحت لتقبض والاعطاء
 (٤١) إن بسطها كانت طبعا يضع فيه ما يريد

- (٤٢) إن جمعها كانت آلة يضرب بها
 (٤٣) إن ضمها ضمها غير تام كانت مفردة له
 (٤٤) وان بسطها وضم أصابعه كانت مجرفة
 (٤٥) خلق الأظفار على رؤسها زينة للأنامل وعمادا لها من وراثتها حتى لا تضعف
 (٤٦) يلتقط بها الأشياء الدقيقة التي لا تتناولها الأنامل لولاها
 (٤٧) يحك بها جسمه عند الحاجة الى ذلك فلوعدمها وظهرت به حكة ليجز عن دفع ما يؤلمه ولا يقوم
 غير الظفر مقامه في حك جسده ، إنه لاصلب كصلابة العظام ، ولا رخو كرخاوة الجلد ، فذلك
 صلح للحك
 (٤٨) والانسان يهتدى بظفره الى موضع الحاجة في الحك ، أما غيره فلا يهتدى لذلك إلا بشق الأنفس
 (٤٩) يطول الظفر ويقتصر كما تقتصر في شعر الرأس واللحية ليبقى منه ما يحتاج اليه لحاجته ويقص الباقي
 وهذه يقرها الانسان باختياره وهو الذي يراعى الحاجة في ذلك
 (٥٠) كل ذلك قتره الله للإنسان وابتدأ خلقه في بطن أمه ويولد فاقد التمييز ولو ولد عاقلا فبهما لحر
 من هذا الوجود الذي لم يعرفه ولم يمهده مثله وهو مع ذلك يجد غضاضة أن يرى نفسه محمولا
 وموضوعا معصبا بالحرق ومسجى في المهد وهو في أشد الحاجة الى ذلك لضعفه فلا تنهأ له حياة
 ولا تحسن تربيته ، فلما خلق غير ميمر سهل الأمر وأعطى التمييز شيئا فشيئا حتى يكون رجلا كبيرا
 فهذه نبذة من آلاف من الحكم التي أودعها الله في خلق الانسان ذكراها لتكون تذكرة لك في هذا
 المقام وليشرح صدرك بالعلم وليعطيك صورة من الملاحظات الدقيقة ولتري انا مغمورون في حكم وعالم
 ومجائب وطول الأنس بها واعطاؤها لنا دفعة واحدة هو انى أذهلنا عن تفعلها ، فما أجمل العلم وما أبهج
 الحكمة - يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الأبواب -

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

(في قوله تعالى - قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون - الخ وقوله - فبشر عباد
 الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه - وقوله - للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة -)
 تبين من هذه الآيات أن العالم أفضل من غير العالم ولم يخص العلم بل ذكره مجردا من المفعول وجعل
 البشرى للذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وجعل للمحسنين حسنة في هذه الدنيا والمحسنون هم الذين
 يستمعون القول فيتبعون أحسنه
 تبين من هذه الآيات أن العلم بجميع العلوم والصناعات مطلوب وأن المتصفين بذلك أفضل من غيرهم
 والعلم لا يكون مفيدا إلا اذا تولاه النقادة وبحثوا فيه ، والا فكيف يتبعون أحسنه أى كيف يتبعون أحسن
 القول الذى سمعوه إلا ببصيرة نقادة . اذا عم ذلك فان هؤلاء محسنون أحسنوا الاختيار . والمحسنون لهم
 في هذه الدنيا حسنة

يا أمة الاسلام : هذا كلام الله وهو الذى أنزله على نبيه ﷺ :

(١) فعلى المسلمين أن يكون لهم لجان تبحث في الفنون والعلوم والصناعات بحيث يكون هؤلاء
 أخصائيين في العلوم المختلفة

(٢) وهذه اللجان تستعرض جميع العلوم والفنون والصناعات التي عرفها الأمم وجميع ما يكشفه المسلمون
 في المستقبل ثم يميزون بمقوله النيرة و بصائرهم النقادة ما هو أكثر نفعاً للامة فيأمرهم باتقائه

واستعماله وما ليس كذلك فيتركونه

(٣) يعرض على هذه اللجان علوم ما فوق هذه الفجاء وما تحت الترى من علوم الطبقات الأرضية وما فوق السموات العلى من أوضاع فلكية وكواكب درّية وما بين ذلك مما كان ومما يكون
(٤) متى حصل ذلك كان للمسلمين في هذه الدنيا حسنة وهذه الحسنة ليست عند المسلمين الآن ولكنهم في زمن قريب سيكون عندهم ذلك المجد الباذخ إذ ينظرون ويقرؤون ، ونعمة ربهم يتقبلون فيشكرون ، انظر تفسير قوله تعالى - لا يكف الله نسا لإلاوسعها - في سورة البقرة ، فهناك بسط للقيام أوفى ، ولأكتف بهذه الجوهرية :

﴿ جوهرية في قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - ﴾

إن هذه الآية تنفتح باب الموازنات بين الأمم ، فالأمة التي ارتقت بالعلم والحكمة والصناعات أقوى من الأمة الكثيرة العدد القليلة العلم والصناعة ، كذلك مثلا : هذه دولة اليابان منذسنين غلبت روسيا وكانت الأولى لاتبلغ في العدد مقدار ثلث الثانية ، وهذه الأمم الأسيوية التي تعدّ بمئات الملايين أقلّ علما وصناعة من أوروبا والكثرة العددية لاتعنى عنها شيئا ، هذه بلاد جاوه وسومطره وماحولها من جزائر الهند الشرقية قد احتلتها هولنده التي تعدّ على أصابع اليدين أعداد الملايين وتلك الأمم تعدّ بعشرات الملايين ولكن القليل غلب الكثير وهذا مصداق الآية هنا ومصداق قوله تعالى - قل لا يستوى الخيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخيث - وليس معنى هذا أن هؤلاء خبيثاء وهؤلاء صالحون وانماضربنا الآية هنا مثلا لانصا فهنا الاختلاف بالقوة والضعف وهما ناشآن من العلم والجهل وهذا قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - . إذن ليست الكثرة بمعنىة فتبلا أمام العلم ، فهاهوذا الانسان قليل العدد أخضع الحيوان مع كثرته ، ومن عجب أن نسل الحيوانات المفترسة قليل والحيوانات التي خلقت لغذائها كثيرة التريّة . فإذن قول الشاعر :

ولست بالأكثر منهم حصى * إنما العزّة للكائر

لايصح إلا اذا اتفق الحصان سلاحا وعلما ، أما اذا فاق أحدهما في علمه وصناعته فهناك يختل الميزان ويصدق عليهما قول الله تعالى هنا - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون -

اللهم أنت المعلم ولوأردت تعليم المسلمين لقيض لهم عقولا فاهمة تقول لهم إن الفعل هنا لم يذكر معموله فأشعر بالعموم ، ونحن المسلمين أقرب الى أهل أوروبا (الذين أرسلهم الله لايقاظنا بالحرب والاحتلال) من أمة اليابان الذين قلدوهم وارثوا مثلهم ، فهلا كان فينا رجل رشيد يعلمنا أن نعمل بهذه الآية ؟ أفليس من المنجمل المغيب أن الجهل اليوم لاينطبق إلا على أمة أنزل الله في كتابها هذه الآية ، يسمعونها وكأنهم لا يسمعون ، ويقرؤونها وكأنهم لا يقرؤون ، هذه الآية ثلثت علينا في كتابنا المقدس فلم نعمل بها ولكن اليابان استخرجت معناها من عقول علماءها وعملت به فارتقت ، أما المسلمون فهم الذين ضرب المثل بجهلهم بين الأمم وقد آن أوان مجدهم ورفيقهم والحمد لله رب العالمين

ثم اعلم أيديك الله أن الأمم الاسلامية أمرها عجب ، قد نامت نوما عميقا ، فان لم يقم كاتب بنصحهم لم يجاروا الأمم في رقيها . أولاعلم المسلمون أن أمة اليابان استيقظت في عشرات السنين ولحقت بأوروبا وكانت نهضتها مصاحبة لنهضة مصر فقد دخلت العلل في تعاليمها فوفقت أمدا وهاهي ذه تريد ارجاع سنة الرقى ككرة أخرى . وقد جاء في جريدة الاهرام هذه السنة مانصه :

﴿ المحصول الأدبي في ألمانيا ﴾

دلّ الاحصاء في ألمانيا على أنه يوجد في كل ٢٥٠٠ نفس شخص يستطيع أن يؤلف كتابا . وقد كان

عدد الكتب الجديدة في ألمانيا (٢٤٨٦٠) كتابا في سنة ١٩٢٧ فنزل هذا المقدار في سنة ١٩٢٨ الى (٢٢٩٥١) كتابا ومع ذلك فان ألمانيا لاتزال أكثر الأمم اتجاها للكتب. ويوجد من ذلك (٤٥٠٠) مؤلف جديد في الأدب و٢٣٠٠ في الفنون و٢١٠٠ في الدين و٢١٠٠ في كل من السياسة والعلوم والاقتصاد الخ اه

وإذا أردت أن أكتب في معنى هذه الآية وجب أن استحضركل ماتقتم في التفسير. إذن كل ماتقتم وماسياتي تفسير لها، قضية العلم والجهل قضية الحياة والموت بعينها ولكن لابد من ذكر نبذة في الطب، وأخرى في الاقتصاد، وأخرى في التعليم العام أيضا لبعض الحقوق التي تقتضها الآية، فهنا ثلاثة فصول:

﴿ الفصل الأول في نبذة في الطب ﴾

جاء في جريدة الاهرام في يوم (٩) ابريل سنة ١٩٢٩ تحت العنوان التالي مانسه:

﴿ خطر يهدد الصحة ﴾

(٣٩ مصابا من طعام واحد)

كثيرا ماقرأ في الكتب والصحف ونسمع من أفواه رجال الصحة وغيرهم أن الوقاية خير من العلاج إذن كيف تكون الوقاية في موضوعنا هذا والقراء عديدون والجهلاء أكثر؟ مساكين الناس وخصوصا الفقراء ولاسيما الجهلاء والأطفال الذين يضطرونهم الجوع والحالة الى تناول المأكولات الممرضة للبيع في الطرقات والمحوانات الممرضة للأثرية والميكروبات وهي التي جهزت وطهيت وعرضت للبيع بدون مراعاة للنظافة فتكون غالبا سببا زعافا يودي بحياة الكثير أحيانا أو على الأقل يجعلهم تحت العلاج أيا ما

نم مساكين هؤلاء الناس فانهم يكونون نحية هذا الاهمال، نم مساكين هؤلاء الباعة أيضا لأنهم لم يعرفوا للنظافة معنى ولم يقدروا لإهمالهم نتيجة لجهلهم وغباوتهم وخصوصا اذا تزكوا وشأنهم فهم أحرار فيما يصلون كأن أرواح الناس وسلامتهم ليست بشئ في نظرهم ماداموا يربحون حتى ولو كانوا يعرفون الحقيقة فاذا طفت في شوارع المدينة ومنها الشوارع الهامة العظيمة أوسرت في حاراتها فانك لاتعدم رؤية هذا يبيع البقالة أو البسوسة قد سترها الدباب، وذلك يعرض الكسكى أو الكسرى. قد غطى بطنه من الأثرية والأوساخ. ولست في حاجة الى التعرض لنظافة هذا البائع الشخصية وكذا الأدوات التي يستعملها وكيف جهزت وحفظت هذه المأكولات. وحسي في ذلك أن يستعيد القارى صورة من هذه الصور التي يراها أحيانا ولاسيما في الأحياء الوطنية النقيرة

بجوارنا رجل يبيع مثل هذه المأكولات وغيره كثير، ولولا شدة حرصنا على سلامة التلاميذ والمحافظة على صحتهم ومنعهم ابقاع وتناول تلك المأكولات الممرضة لراحوا نحية هذه السموم إذ أن معظم التلاميذ يخرجون من منازلهم في الصباح ويتناولون طعام الافطار في الخارج، ولكن هذا البائع لم يعدم أناسا كثيرين يعرض لهم ما كولاته. وكان يوم أمس يوما تجلت فيه صورة صحيحة من هذا الضرر الذي يهدد صحة الناس ويجعلها في خطر إذ كان يبيع كشريا كما هي عادته فلم يلبث من تناول قليلا من الطعام حتى ظهرت عليه أعراض التسمم فكنت ترى هذا يقع مفضيا عليه وأخولابك نفسه من التقي. وثالثا يتلوى من المفص وهكذا فدعوت رجال الاسعاف الذين كانوا يمشون على المصابين في مختلف الشوارع المجاورة فحملوا بعضهم الى الجمعية والأخرى الى مستشفى قصر العينى. ولقد كانت عربات اليد نستعمل في نقل المصابين الى الجمعية بواسطة الأهالي وبعضهم استدعى الطبيب الى منزله. وقد بلغ عددهم جميعا تسعة وثلاثين رجلا وأطفالا وأكثرهم تحت العلاج الآن في مستشفى قصر العينى وجمعية الاسعاف

ومن الغريب أن الناس لما حضروا الى هذا البائع يسألوه عن معروضاته عقب الحادث قال لهم : إن حاجتي نظيفة وهاموا فنظروا الى وأنا آكل منها ، وهنا تناول هذا البائع من طهيه فلم يكده يستقر في جوفه حتى ظهرت عليه أعراض التسمم ولحق باخوانه ، والبوليس ينتظر شفاءه لاتمام التحقيق معه ، ولعله لو سئل بعد ذلك لقرّر أن حاجته نظيفة جدا

ولقد ذكرني هذا الحادث بحادث يضارعه في الاسكندرية إلا ان البائع كان مغربيا اختفى قبل القبض عليه ولم يظهر له أثر ، فهل هناك علاج لهذه الحالة ؟ وهل لحضرات أصحاب الصحف الذين كرسوا حياتهم لخدمة الأمة أن يعالجوا هذا الموضوع شأنهم في كل موضوع هام إذ الصحة أغلى شئ في الحياة اه
فياليت شعري : أليس الأمر راجعا للعلم ، فالعلم بالضرر يمنع من تناوله . ثم انظر ماجاء أيضا في مجلة طبيب العائلة ، تحت العنوان التالي مافيه :

﴿ مضار الحلوى على الأطفال ﴾

من الأسف أن أحدنا اذا مرّ بمدرسة في الصباح قبل موعد الدخول أو عصرا عند انصراف التلاميذ انظر بصرهم محتصين حول بائع الحلوى يتنافسون في الشراء منه غافلين عن ملايين الميكروبات التي تحيط مع القباب على الحلوى المرصّة لانبار ولما هو أشد فتكا من الفبار . وليس الأمر قاصرا على هذه الجرائم وحدها وانما هذه الحلوى في ذاتها تضرّ بالأطفال أبلغ الضرر ولو كانت من أجود الأصناف ومن أكبر المحال ويرجع ذلك الى أن المادة السكرية المصنوعة منها الحلوى تهدم صحة الطفل وتسيء الى نموه الطبيعي وتضد عمل الأجهزة التكوينية (وبعبارة أخرى) انه يجب أن نمنع السكر بأنواعه عن الأطفال . وعلينا أن نحثهم على تناول الفواكه فهي تحتوي المادة السكرية الصحية فضلا عما فيها من عناصر مفيدة للجسم كالفيتامين والحديد الخ وكذلك لا بأس من تناول العسل بنوعيه الأبيض والأسوديين فترقا وأخرى دون الاكثار منها ومن الملاحظ أن الأطفال يحبون الفاكهة بفراغهم ويضلونها على الحلوى عادة فخرى بنا أن نشجع فيهم هذا الميل لمنفعة الصحية فضلا عن ملاءمته لأمرهم

وهناك اعتقاد سائد بين الناس يقول إن الشاي يضرّ بالأطفال وهذا صحيح من جهة واحدة وذلك اذا كان الشاي من صنف رديء لأنه يحتوي في هذه الحالة على حامض التنيك الذي يفسد الأنسجة . أما اذا كان الشاي جيد النوع فلا بأس من شرب الأطفال منه مع مراعاة عدم الاسراف فيه يقول المؤلف . كلا . بل الأصح تركه كله
(قائمة الأكل في المستقبل)

يعرف الناس ما تشتمل عليه قائمة الأكل التي تقدم في الفنادق . ويقول العلماء : « إن رجل المستقبل سيرى قائمة أخرى تختلف عن هذه كل الاختلاف في ألوان الطعام . وقد ذهب الدكتور برنار الكيماوي الانكليزي الشهير الى أن فطوره سيكون شعاع الشمس وغداه كمية من الهواء وعشاءه قدما من ماء البحر . وعلى ذلك لن يفتشى أهل المستقبل أن يعوزهم مافي الأرض من غذاء مهما كثر عددهم بل سيصبحون في غير حاجة اليه . وسينسون مذاق الخبز واللحم . وسيكون للإنسان ثلاث معدّات ليضم الغذاء الذي تقدم ذكره وان يكن يرى لأول وهلة أنه بسيط وليس يحتوي على مادة جافة أو صلبة ولكن الإنسان لن يلجأ الى التغذية بالخليل الكيماوي إلا بعد عهد مديد فإن البراز بل وحدها إذا أصلحت أراضيها الزراعية أمكن أن تكفي حاصلاتها ثلثي سكان الكرة الأرضية . ويوجد في أفريقيا من الأراضي ما يكفي لأكثر من سكان الأرض الحاليين بمدة ملايين . فاذا ازداد السكان في الكرة الأرضية بحيث لم تف بجاياتهم الحاصلات الزراعية أمكن الاتجاه الى التغذية الكيماوية . ويوجد في الأرض المواد التي تصلح للتغذية بهذه الطريقة . انتهى ماجاء في المجلة المذكورة والحمد لله رب العالمين . تم الفصل الأول

ومن أراد قراءة الطب لحفظ صحته فليرجع الى ما تقدم في (سورة البقرة) عند آية - أنتبطلون الذي هو أدنى - الخ وآية (الأعراف) - وكلوا واشربوا - الخ وفي (سورة الحجر) عند التلميح بقصة آدم وفي (سورة طه) عند قصة آدم أيضا وفي (سورة الشعراء) عند آية - واذا مرضت فهو يشفين - ولم أذكر هذه النبذة الصغيرة إلا لأذكرك بما يكفيك في تلك المواضع فارجع إليها إن شئت

﴿ الفصل الثاني في الاقتصاد وفي جمع الثروة ﴾

ولاسبيل لذلك إلا بالعلم ، ولقد مضى في هذا التفسير كثير من هذا الموضوع فقرأه في (سورة ابراهيم) فانك تجد تقصير المسلمين في أرضهم وجبايلهم وأنهارهم للجهل ، وتجد هناك مسألة البحار التي فيها ثروة تزيد على ما عند المسلمين في الكرة الأرضية ، والجاهل ينظر اليه نظره الى بركة ماء منقطة حقيرة ولكن العلم هو الذي أفهمنا ذلك ، فالعلم يرزى البحار التي سعادة والجاهل لا يعقل ذلك . إذن لا يستوى الرجلان والمسلمون اليوم هم الأمة التي بقيت وحدها في الجهل ولكنها اليوم استيقظت فلا بد من تعميم التعليم وذلك هو الفصل الثالث الآتي قريبا

فلاذ كرك أولًا التعليم في جامعات أوروبا حتى نعرف كيف نرقى المعاهد الدينية فنشمل العلوم كلها ، ثم أتبعه بما كتبه الكتاب في فوائد التعليم الاجباري ، ثم ما كتبوه في توزيع العلوم على أفراد المتعلمين :

﴿ الفصل الثالث في التعليم ﴾

(في الجامعات الأوروبية)

(حديث مع مدير جامعة لوزان)

جاء في جريدة الاهرام في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٢٩ - ٩ رجب سنة ١٣٤٨ ما نصه
رأيت أثناء رحلتي السببية أن أعرف شيئاً عن أحوال الطلبة المصريين في أوروبا فلقد زاد عددهم ، وهو ما نرى في الزيادة عاماً بعد عام ، بما ترسله الحكومة من البعثات العلمية سنوياً وأحياناً شهرياً من خريجي المدارس العليا والخصوصية ومن موظفيها وهمال ورشها ، وبالرغبة المتزايدة التي بدت من الطلبة ومن ولاية أمورهم لاشباع استعدادهم من علوم أوروبا وآدابها ولقائهم ومنتدياتها ، ومن الاتصال برجالها والوقوف على عاداتها ونظامها . وقد زرت فيما زرت جامعة لوزان والسربرون وكلية الحقوق بباريس وقابلت بعض الطلبة وبعض المشرفين على أحوالهم في أوروبا من تعليم ومسكن ومعيشة وأخلاق وارسال التقارير لوزارة المعارف أولولاة أمورهم . يزيد عدد الطلبة المصريين في أوروبا الآن عن الالف طالب . وأكثرهم يتعلمون الطب والصيدلة ، ويتعلمون القانون ، ثم يجيء بعدهم من يتعلمون الهندسة والعلوم الطبيعية والآداب والكيمياء . ويلاحظ ان عدداً قليلاً من الطلبة يذهبون الى أوروبا أو يتردهم أولياء أمورهم من مصر إليها للعلم . ولكن لامضاء الوقت في اللهو والتنقل . ويهمل هؤلاء التعلم اهتماماً يبلغ من بعضهم انه يعيش في باريس سنوات دون أن يحسن النطق والتخاطب والتفاهم باللغة الفرنسية . ولا يعرف الا بعض ألفاظ يتعلمها أي شخص في شهر أو شهرين ! ومن الأسف ان هذا النفر القليل ، على قلته . يضر سمعة مصر . لأنه النفر الذي يفضي الاندية والمجتمعات والملاهي . أما الأكتية المكتبة على التعليم فهي لا تختلط عادة بغير كتبها ومحاضرات أسانذتها . فلا يعرف الجمهور الأوروبي الناصح منهم شيئاً . ولذلك لا تستفيد مصر من اجتهاد هؤلاء من حيث تشريف سمعة مصر واكبار نبوغ أبنائها . ويلاحظ ان بعض الطلبة ، مع شديدي رغبتهم في التعليم لا يكون معهم المال الكافي للدخول في الجامعات والاستمرار . أولاً يكون معهم التعميل العلمي لللازم

للدخول في الجامعات . فيضطر هؤلاء وأولئك الى البقاء مدة بغير استفادة : مع اقبال ادارات البعثات المصرية والمفوضيات والتفصيلات في اعانتهم ونسبعتهم وكتابة الخطابات عنهم الى وزارة المعارف للتصرف في شأنهم . كما أن الطلبة الفقراء يشغلون أنفسهم برسائل خطابات للامراء ووزارة الاوقاف وكبار الاغنياء يستجدون معرفتهم ونادر جدا جدا أن يجاب ملتسهم . ويلاحظ أيضا ان طلبة مرضى بعزل بلطية أو وقتية يأتون الى أوروبا فيزدادون ضعفا وبعضهم يموت أو يعود ضعيفا هزلا . لهذا تلفت نظر الطلبة وأولياء أمورهم الى عدم الذهاب الى الخارج من غير مال كاف وصحة وافية والا كان الذهاب مضيقا لآخلاقهم ومستقبلهم . لأنه ليس للاجنبي في أوروبا كرامة أو فائدة الا اذا كان معه المال وليس الحال هناك كالحالة في مصر اذ يستطيع الاجنبي المعلم أن يشتغل ويعيش بسهولة لا يجدها المصري نفسه . وذلك لأسباب معروفة ليس هنا محل لبيانها

زرت جامعة لوزان وهي في قلب مدينة لوزان نفسها بسويسرة . وقد فتحت هذه الجامعة سنة ١٥٣٧ وكانت تدرس علم اللاهوت فقط . ويلاحظ ان جامعات أوروبا باقديمة في انشائها وانها كانت معاهد دينية ثم تطورت الى أن صارت جامعات مدنية . ولوأن الازهر دارج النهضة الفكرية في مصر لسكان هو اليوم الجامعة المصرية نفسها ولما احتجنا الآن لانشاء جامعة للعلوم المدنية ولما احتجنا لمشروعات اصيلاحية للازهر تارة تعتبر متطرفة وطورا تعتبر محمقة بالهين . حتى صار الازهر في حالة تذبذب فلا يعرف أهو صاعد أم هابط بيننا كل شئ يتطور الى الخير أو الى الشر . في سنة ١٥٤٩ عرفت جامعة لوزان باسم «الأكاديمية» الى سنة ١٥٨٧ وكانت في البناء المخصص الآن لكليتي الآداب والحقوق . واستمرت الأكاديمية الى عام ١٧٣٨ وفي المدة التي سبقت ذلك جرت تعديلات كبيرة في نظامها ليس المقام متسعا لبيانها . بعد ذلك قسمت الأكاديمية الى ثلاث كليات : كلية اللاهوت . وثانية للحقوق . وثالثة للآداب والعلوم . ووسعت دراسة التاريخ وأضيفت أسانذة جدد لتعليم الجغرافيا والآداب الالمانية والنبات والفسولوجيا والهندسة الوصفية . وفتحت فصول حرة للخارجيين أما جامعة لوزان كما هي اليوم فقد أنشئت بأمر عال في ١٠ مايو سنة ١٨٩٠ عند بقانون في ١٥ مايو سنة ١٩١٦ . وقد ترك هذا القانون للجامعة تحديد عدد كراسي الأسانذة وأنواع الدراسات . على أن الجامعة تشمل ١ - كلية اللاهوت البروستانتى ٢ - كلية الحقوق ٣ - كلية الطب ٤ - كلية الآداب ٥ - كلية العلوم . وقد أضيف الى كلية الحقوق مدرسة العلوم الاجتماعية والسياسية . ومدرسة الدراسات التجارية العليا . ومعهد البوليس العلمى .

وتنقسم كلية العلوم الى قسم العلوم الحساية والطبيعية ومدرسة الصيدلة ومدرسة المهندسين ويبلغ عدد أسانذة الجامعة الآن ١٢٩ وقد أنشئت كلية الآداب في سنة ١٨٩٥ وقد جعل بها فصول صيفية للطلبة الأجانب وهي على الأخص لاتقان اللغة الفرنسية وتستمر الفصول ستة أسابيع في يوليو وأغسطس . وتعطى شهادة للطلبة المستميين المواطنين

وللجامعة جمعية عمومية من جميع الأسانذة . وهي تعين رئيسها الذى يكون مدبرا للجامعة مدة سنتين ويختار عادة المدير بالصور بين عميدى الكليات . ولكل كلية مجلس مؤلف من الأسانذة الذين يختارون العميد لمدة سنتين . والمدارس الملاحقة بالكليات رئيس يسمى مدير كبير مدرسة الهندسة ومدرسة العلوم السياسية والجامعة شخص معنوى ومديرها يمثلها أمام جميع الهيئات والمحاكم

زرت مدير جامعة لوزان مسيو موريس باشو . وهو عالم رياضى كبير متواضع في مستهل العقد الخامس من حياته قابلنى في الجامعة خصبيا مع أنه كان في أجازة . وسألته أسئلة كثيرة . منها سؤال عن شروط دخول الطلبة الأجانب

فأجاب : أن شروط السخول في جامعة لوزان بالنسبة للطلبة الأجانب هي نفس الشروط اللازم توفرها في الطلبة السويسريين . أما الطلبة الأجانب الذين لم يتلقوا تعليما جامعيًا منظمًا مثل تعليم جامعتنا يجب أن يمضوا امتحان دخول خاص

س : كيف يختار المدرسون لمنصب الاستاذية ؟

ج : اذا خلا كرسي استاذ بالجامعة فان مجلس الدولة (هنا مجلس المقاطعة) يختار أستاذًا خلفًا من الأشخاص المعروفين بمؤلفات ممتازة . أو تلقوا تعليماً فائقاً في المادة التي كان يدرسها الاستاذ السابق

س : من النى يتولى الاتفاق على الجامعة ؟

ج : تقوم الحكومة بالاتفاق على الجامعة . على أن للجامعة ايرادها الذي يبلغ حوالى مائة ألف فرنك في السنة

س : ما درجة اقبال اقبال المصريين على جامعتكم وماهى المواد التي يضلونها وما أحوالهم ؟

ج : منذ سنين مضت والطلبة المصريون يدخلون جامعتنا . وهم على الخصوص يدرسون الطب والقانون أو يدخلون مدرسة الهندسة . وقد كونوا من بينهم جمعية منهم . وهم على العموم من خيار الطلبة . ويميل عددهم الى الازدياد عاما بعد عام . و يبلغون الآن نحو الثلاثين طالبا انتهى

﴿ فوائد التعليم الاجبارى ﴾

جاء بجزيرة الاهرام في يوم الأحد ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٩ مانعه

(١) كان توماس جفرسون ، من أشهر رؤساء جمهورية ولايات أميركا المتحدة السابقين ولها بالتعليم العالى حتى انه كتب على قبره بعد وفاته انه أبو جامعة فرجينيا . وقد أراد أن يتعداه يوما كبار رجال التعليم فسألوه عن التعليم الأولى ، فأجاب :

لوجبرنا على أن نختار أهون الشرين ، الغناء التعليم الاولى . أو ابطال التعليم العالى في الكليات والجامعات لتخبرنا الثاني بغير تردد . نظير لنا أن يكون مجموع افراد الامة . رجالها ونساؤها ملين بالقراءة والكتابة . مستعيرين قليلا . من أن نحصر العلوم العالمة في فئة قليلة . ونخلق من خريجي الجامعات أقلية من افراد أرسطراطيين . ومن أشد الأحوال خطورة أن تترك سواد الأمة جاهلا كالسواب وثقافة غنية تقيفا عاليا ، كماهى الحال في بعض بلدان أوروبا (في ذلك الحين) ان كل أمة تنشأ الديمقراطية والنجاح قبل الغناء الامة . تعرض ذاتها للملمات عظيمة وتجعل بلادها مهزلة بين الدول

(٢) ولما وضع التعليم الاولى على بساط البحث والمناقشة . في مؤتمر التعليم الدولى الذى عقد في فندق كلرنتون بارك في جنيف هذا العام (عقب مغادرة جلالة الملك فؤاد للفندق ببضعة أيام) ، نهض رئيس المؤتمر دكتور مندو . من فطاحل رجال التعليم . ومنظم مدارس الصين واليابان وجزائر الفلبين . وقال ان بلدان الشرق جميعها أشد اهتماما بالتعليمين الثانوى والعالى منها بالاولى . وقد أدى هذا الخطأ البين الى نشوء طبقة من المتعلمين الذين تولوا الزمامة في تلك البلاد . بين شعب أغليته الساحقة تمزق في حاة الجهالة وأكثريته ثقته الامة . ولاشك أحد في أن استفلال هذه الفئة الصغيرة للأكثرية . واتخاذها اياها طمعة . من أكبر الاسباب في تأخر الشرق وامحطاطه . والآن لنسمع الانسة النابغة كلمة قائتها آنسة فاضلة . ولعل أقوال النساء أشد وقفا في نفسها من أقوال الرجال . في مؤتمر الاتحاد العالمى للتربية الذى عقد أيضا في جنيف عقب المؤتمر . سابقى الذكر . ألقى الدكتور مرفرنا كلمبنا الاسبانيولية . خطابا ضافيا عن الامة والمحافظة على القوانين أدلت فيه بارقام نطقه هن البلدان التي يزداد فيها ارتكاب الجرائم بفسه الامة . وأشارت الى هولندا

والهناجريك والسويد والزوج التي انعدمت فيها الامية منذ عهد بعيد . وما تبع ذلك من القضاء على الجرائم لدرجة أن في كثير من ولاياتها لم تنعقد محاكم الجنايات فيها منذ خمس وعشرين سنة فضلا عن استقبال السلام والمطوب والسكينة . مما يحدو بالزائر أن يعتقد أن سكان تلك الممالك أقرب الى الملائكة منهم الى بني الانسان

(٣) وخطب في الاجتماع عينه دكتور هرمن ليو المندوب الصيني عن الامية والتفاهم بين الأمم . وتلاه دكتور ريان اميركي فبحث في موضوع الامية وتأثيرها في السكاد الاقتصادي وابن أن تعليم الجمهور القراءة والكتابة أنجع الوسائل لتحسين الحالة الاقتصادية . وبرهن على أن كثرة الاميين في الامة تؤثر في المنطين من افرادها . لأن وجود طائفة صغيرة من أهل الثقافة بين طغمة من الجهال يحط من قيمتهم ويقتل معاوناتهم ولا يقوى فيهم الدفاع للنشاط والعمل

(٤) وقال خطيب آسوان المدرسة القروية يبنى أن تكون مركز الحياة الاجتماعية والادبية في القرية . كما ينبغي أن يكون معلوها زعماء القرية يرشدون الاهالي الى تحسين معيشتهم من جميع الوجوه . كرفع مستوى الصحة والاخلاق . والزراعة والصناعة . وجعل المدرسة في غير أوقات الدراسة قاعة كبيرة لاجتماع اهالي القرية للبحث في شؤونهم الاجتماعية والصحية وسماع النصائح والارشادات . والمحاضرات أحيانا

(٥) وقد شاهدت بين مندوبي المؤتمر الذي أقيمت فيه هذه الكلمات دكتور منصور فهمي . وكان بين الحضور أيضا الأنسة سنيه عزمي ناطرة مدرسة المعلمات الراقية ببولاق . والاستاذ مرسي قنديل ناظر مدرسة سوهاج الثانوية . مندوبين عن مصر . وياحبذا لو ذكروا للقراء شيئا مما فاني تدريته من هذه الاقوال وقد فاني أن أذكر أن مندوبا هنديا أراد أن يدافع عن بني جنسه الذين تطلب فيهم الامية . فأغرق في الدفاع واسترسل فيعالي حدانه خيل الى الاذهان انه يجهد الامية ولا يرحب بالحكيم الاجباري فاحتد عليه الرئيس وحنق السامعون . وقد مثل الدور عينه في مؤتمر ثالث واسع النطاق لم يكن لي حظ حضوره في الدانبارك . كما علمت من أحد الاساتذة المندوبين عن وزارة المعارف بمصر . تقول الأنسة مني اني أريد نشر التعليم بلا قيد ولا شرط (تقصد التعليم الاجباري طبعاً) فذكرني قولها بكلام وزير معارف روسيا الذي أصدر سنة ١٨٢٤ منشورا يقول فيه . والعلم نافع فقط اذا كان كلح الطعام . يؤخذ منه كميات قليلة جدا . فلماذا زاد التعليم وكثرت التتورات انقلب الى ضده . لأن تعليم القراءة والكتابة للجميع خطر على الدولة

(٦) وقد فات الوزير المحترم أن الاستعارة تعوزها الحققة والضبط . لأن الملح في الطعام يبنى أن يؤخذ حقيقة بمقادير صغيرة . ولكن هذا لا يفهم منه أن عشرة في المائة من الناس يستعملون الملح وتسعين في المائة لا يتذوقونه أبدا . فيفسد طعامهم . ولكن المرحوم الوزير كان يعيش في أوائل اقرن التاسع عشر فهو معذور . اما نحن فقد أوشكنا أن نبدأ الثالث الثاني من القرن العشرين . فاعلنرنا ؟ (اقرأ انطيم فيروسيا قديما المؤلفه دار لنجتون)

(٧) كان غليوم الثاني امبراطور المانيا السابق يكره التعليم الاولي رغم انتشاره في بلاده . وكان من أقواله المأثورة «ان الديمقراطية في التعليم مخالفة لأوامر الله ومناقضة لمبادئ الدين والمسيحية» واليوم أصبحت المانيا بعده ديموقراطية في السياسة والاجتماع . في التعليم والعمل والحياة بجميع مناحبها انتهى وههنا لابد من إتمام هذا المقام ببيان أن كل امرئ يوضع فيما استعد له فأقول : « لا ريب أن الله عز وجل ما خلق أمة إلا وطها نظام خاص سواء أجهلوه أم علموه وهذا النظام لأشك انه يكفل سعادتهم في الملين ، ألا ترى أن عدد النساء والرجال يكاد يكون متساويا فقس عليه جميع ما يحتاجه الناس في حكمتهم وصحتهم فان بحثوا وجدوا في ذريتهم كل ما ينفعهم كما وجد كل رجل امرأة . وقد سهل الله الذكورة والانوثة

ففرها الناس ولكنه ستر الفرائز والأخلاق الكامنة لتبعث عنها بأنفسنا . وليعلم الناس فاطمة مسلمين وغير مسلمين ان نظام أهل الأرض الآن ناقص تقصا فاحشا فان جميع الأمم لم تستكمل استخراج المواهب العقلية ولا المنافع المادية فيجب البحث في استعداد التلاميذ مع تصميم التعليم ولينصحن كل تلميذ امتحانا خاصا وليوضع فيما خلق له حتى ينفع أمته . ويجب أن لا يراعى إلا الاستعداد فابن النجار والمخارر بما صلح لادارة المجموع أوللفلسفة أوللطب . وابن الفنى والأمير ربما لا يصلح إلا للامور الصناهية . فليوضع كل في مركزه ثم لتخصص كل أمة فيما استعنت له . وهذا المقام قد استوفاه كتابى ﴿ ابن الانسان ﴾ الذى ألفته ونشرته منذ عشرين سنة . انتهى الكلام على اللطيفة الثالثة والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

(فى قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض -)

قد تقدم فى التفسير اللفظى بعض محجائب الينابيع :

(١) اعلم أن فى جوف الأرض مياها دلت عليها الينابيع العذبة التى تخرج من قرار البحر فى كثير من محال مشهورة بذلك

(٢) وأيضا تنقذ مياها من جبال النيران عند ثورانها

(٣) كذلك الحفر المعدنية تفيض المياها من داخلها

(٤) إن بعض الأنهار تفيض ولا ترجع بعد ذلك أصلا فأين ذهب ماؤها ؟ لاشك أنه حبس فى باطن الأرض

(٥) الأرض قد تبتلع جبلا وتطهر بحيرة عظيمة فى محل ذلك الجبل فأين كان الماء إذن ؟ إنه كان فى باطن الأرض

(٦) الآبار الارتوازية التى حول (مودينه) وغيرها من البلاد

﴿ الماء معلق فوق رموسا أيضا ﴾

فنه السحب والغياب ويكون تلجعا لابتحريك فينوق رموس الجبال الشاغمة ويششى جوانبها وأكنافها المنحدرة ويشكلها بأشكال لازوردية شفافه . هذه جعلت مخازن لانتفد فتكون دائما مددا للينابيع والعيون والنهيرات والأنهار

﴿ أسباب الينابيع ﴾

(١) الأتارالجوية المائية

(٢) ذوبان الجليد والتاج

(٣) رشح المياها

(٤) فعل التنوات الشعرية الأرضية

(٥) جرى المياها جهة الأجزاء المنخفضة من الأرض

ويوجد فى معظم المحال أحواض صغيرة متفرقة منزلة عن بعضها تأتى إليها من جوانبها مياها الأراضى القريبة لها فى قنوات صغيرة تحت الأرض . فإذا فاضت عليها تلك المياها أرسلتها فى قناة واحدة متصلة بحافة من حوافها تذهب بها الى ماشاء الله . وربما لا يكون هناك حوض وإنما يخرج من الصخرة تيار مختلف حجمه بدون أن يعرف أصله . وهذان التياران يسميان بالينابيع والعيون . وهذه الينابيع اختلافها عظيم

بعدا ولذلك تسمى بحسب ما يحدث فيها فيقال بناييع حارة أو باردة وطبيعية ومعديّة ومحلّة وماصة ومحجرة ومقطعة ودورية ومقلّعة وقابضة وغير ذلك . وقد اشتغل الكيمائيون والطبيعيون والأطباء بدراستها ومشاهدتها وتحليلها واستنبطوا منها وسائل نقيسة لشفاء الأمراض المختلفة والمسلّمون تأمّنون . انتهت اللطيفة الرابعة

﴿ اللطيفة الخامسة ﴾

(في قوله تعالى - ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون -)

قال ابن عمر رضی الله عنهما عشنا برهة من الدهر وكنا نرى أن هذه الآية نزلت فينا وفي أهل الكتابين - ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - قلنا كيف تختصم وديفنا واحد وكتابتنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فمرفت بأنها فينا نزلت . وروى مثله عن أبي سعيد الخدري ولكنه ذكر يوم حنين . وقال إبراهيم مثل ذلك في مقتل عثمان

هذا ماورد عن الصحابة . ومعنى هذا أن الصحابة رضوان الله عليهم ما كانوا يظنون أن المسلمين تنطبق عليهم هذه الخصومة فلما رأوا ما نزل بهم عرفوا أنهم يختصمون أي كما يختصم أهل العيانات المختلفة . فكما يختصم المسلمون وأهل الكتاب يختصم الحزبان المتشاجران من المسلمين . هذا هو الذي قالوه . وانظر كيف حالنا اليوم

حكم الصحابة الذين هم أعلم بكتاب الله منا بأن المسلمين يختصمون عند ربهم يوم القيامة . لماذا يختصمون ؟ لأنهم اقتتلوا . ولعمري إن هذا شيء يسير بالنسبة لما وقعنا فيه . اقتتل المسلمون ومات بعضهم وتولى الحكم بنو أمية فإذا حصل ؟ ارتقى الاسلام ولم يسلط على المسلمين غيرهم وملكوا الأمم شرقاً وغرباً وانما هو نزاع قام باجتهاد فيما بينهم وكل له حجة والله هو الذي يفصل بينهم . أما نحن فواحسرتنا غلبنا الفرنجة فبالت الأصر كان قاصراً على عداوة بعضنا لبعض بل الأمر أعظم من ذلك جدا . اتنا اقتتلنا حتى خضعنا جميعاً لغيرنا ، فإذا اختصم الصدر الأول عند الله فكيف تكون حالنا نحن والفرنجة يجوزسون خلالنا ويمعنون العلم عنا ويعشرون في بلادنا الفساد والضلال والخلاعة والفسوق ويهلكون الحرث والنسل ، أتدري لم ذلك ؟ ومن السؤل ؟ المسؤل هم العلماء والملوك والأذكىاء ، سيقف العلماء بين يدي الجبار والعامة والملوك وسائر الرؤساء فيقول لهم : « أعطيتكم أرض مصر واليمن والشام وبلاد الأناضول وبعض بلاد الهند والصين وبعض الجزائر وبعض أفريقيا وقلت لكم إن أرضي واسعة فأبى فاعبدون . أيها المسلمون : فإذا صنعتم تركتم جبالي فلم تدرسوا ما فيها ، وبحاري فلم تعرفوا عجائبها ، وأرضي فلم تستوعبوا منافعها . فيقول العامة : يلربنا ان علماءنا قالوا لنا هذه علوم الدنيا لا علوم الدين وقالوا لنا كفاكم أن تعرفوا ما بيني عليه الاسلام واكتفوا بعلم الفقه ، فيسأل العلماء فيقولون هكذا قال من قبلنا ، ويسأل الملوك فيقولون هكذا علمنا العلماء فيقول الله لهم : لقد أهدتكم في الدنيا بدخول الأجانب في بلادكم وسأعاقبكم على تفريلكم . أنتجسون بعلم النقح وقد نص فقهاؤكم أن العلوم كلها فروض كفايات والعقاب على تركها شامل للأفراد والجماعات . ألم يكن لكم عقول تفقهون بها ؟ ألم يكن لكم أعين وأسماع وأبصار ؟ أظنتم اني أقول - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلك بناييع في الأرض - لا كنتي منكم في ذلك برؤية النظر . وإذا كان النظر البصري كافياً فأى فرق بين الانسان والحيوان وبين العالم والجاهل . إذن يكون نظراً الخليل في ملكوت السموات والأرض كنظار العامة وهذا غير معقول »

« أيها المسلمون : أعطيتكم أرضي وأتت لكم سمائي فلم تنظروا ولم تفكروا وقلتم بل نفع ما وجدنا عليه آياتنا . ألم أقل - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما هم

من دله من وال -

هذا ما يقال لمن مضى من بعض المترك والعلماء . فأما في المستقبل القريب فلام شأن غريب وأمر عجيب وسعادة برأى سعادة - وتعلمن نبأه بعد حين - وبهذا تم الكلام على القسم الثاني من السورة

﴿ تذكرة ﴾

اعلم أن هذه اللطائف الخمس كنت كتبتها أيام الكتابة العامة لهذا التفسير . ولكن أثناء طبع هذه السورة قد فتح الله عز وجل بجانب وبدائع وحكم جيلة في هذه الآيات وما بعدها . ولما كنت معتادا أن أكتب ما يستجد من الفتح رأيت أن أكتب لطائف أخرى أجل وأبدع لهذه الآيات السابقة وما بعدها بعد تمام تفسير السورة قريبا فتدبره اه

﴿ القسم الثالث ﴾

قُلْ يَا هَيَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ • وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَبُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ • وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ • أَن تَقُولَ نَحْنُ يَا عَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّقْتُمْ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُمْ لَمِنَ السَّالِحِينَ • لَوْ تَحَوَّلَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ • أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةٌ مَّا كَسَبْتُ مِنَ الْمُغْسِينَ • بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ • وَقَوْمَ الثَّمَالِيَّةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلْيَسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ • وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَارِجِهِمْ لَا يَمْسُهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ • اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ • لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ • قُلْ أَضْمِرُوا لِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ • وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ • بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ • وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ • وَنُوحٍ فِي الصُّورِ فَصِيَقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِي قِيَامٍ يَنْظُرُونَ • وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ • وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ • وَسَيَقَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ

أَبْوَابَهَا وَقَالَ لَهُمْ خُزِّتْهَا أَمْ يَأْتِيَكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا لَا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ • قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ • وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خُزِّتْهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ • وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَدَّقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْزَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ • وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ •

﴿ التفسير اللفظي ﴾

دعا رسول الله ﷺ الناس إلى دين الإسلام فقال بعض المشركين قد زينا وقتلنا واتهكنا الحرمات فإذا أسلمنا فكيف يغفر الله لنا ومن هؤلاء وحشى فإنه قال إن من قتل أوزى أو أشرك يلقى أثاما يضاعف له العذاب وأنا قد فعلت ذلك كله . وأيضاً عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المشركين أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتنوا . وأيضاً قال ابن عمر كنا نقول : « ليس شيء من حسناتنا إلا وهي مقبولة » فلما نزل ولا تبطلوا أعمالكم وقد فسرت المبتل بالكبائر والفواحش فمن أصاب شيئاً من ذلك كنا نقول ذلك فلما نزلت هذه الآية استبشر بها الجميع فأسلم وحشى وعياش بن أبي ربيعة ومن معه وكف الصحابة رضي الله عنهم عن اليأس من صاحب الكبيرة بل استبدلوا اليأس بالخوف عليه . والآية هي (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) أي تجاوزوا الحد بارتكاب الكبائر (لا تهنطوا من رحمة الله) لا تيأسوا من مغفرته أولاً وتفضله ثانياً (إن الله يغفر الذنوب جميعاً) بالتوبة فإن لم تكن فبالعذاب في الآخرة وذلك للإسـم ويغفرها بمجرد الإسلام لمن أسلم من الكفار (إنه هو الغفور الرحيم) ولما كان خيراً للأميرين : وهما التوبة والتعذيب في الآخرة : أولهما أردفه بقوله (وأنبيوا إلى ربكم) أي توبوا إليه (وأسلموا له) أخلصوا له العمل (من قبل أن يأتيكم العذاب) إن لم تتوبوا ، ولما كان ظاهر الآية المتقتم ربما يجعل بعض النفوس قفراً بظواهرها أردفه بما يوجب الاحتراس في مثل هذا المقام وعدم الاتكال ، فاللهين وإن كان واسعاً قد حدد الله فيه لكل امرئ درجة ، فإذا أبلغ لنا أن نأكل ما انتهى من أنواع اللذات فليس معنى هذا أن ينسوى المنفس في الحلال المرتطم في لذاته المباحة ومن هو منفق للمال متصدق به خادم للجميع بل الأول أشبه بالحيوان وأقرب للأفهام وكونه مسلماً لا يمنع من نقص درجته ، إن الأول لا يذكر بجانب الثاني ومع ذلك فهو في رحمة الله الذي وسع في ملكه الكلب والخنزير والنمل والنحل وما أشبهها مع الإنسان في الأرض بل ذلك يعد كلاً في ملكه لأن الملك الذي خلا من الناقص ناقص ، فممثل المسلمين يوم القيامة إلا أكثل تلاميذ المدرسة فهم السابق واللاحق والضعيف . وليس انتساب الضعيف البليد إلى المدرسة بمافع من رسوبه في الامتحان واعتباره متأخراً . كلا . بل قال الله تعالى - وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً - فأى نسبة بين درجات التلاميذ بالمدرسة ودرجات المؤمنين يوم القيامة . وكفالك هذا المثال أيضاً لحال الرجل المقصر في المسلمين ولذلك حض الله على الأخذ بالأحسن فقال : لا تتكلموا على المغفرة وتعدوا كاسلين بل اجتهدوا

وسابقوا الى الخيرات (واتبعوا احسن ما ازل اليكم من ربكم) فاذا سمعتم المغفرة فلا يحملنكم ذلك على الانكسار
 لأن هذا يقعد بهمكم وينزلكم أسفل الدرجات وغيركم يطير الى المعالي . فقد يكون المسلم في أسفل الجنة
 وبعض عبيده أو خدمه أو الساكنين من قريته قد طاروا الى العلى أو نظروا وجه ربهم . فلا تنهونوا في عمل
 الصالحات فضلا عن التوبة والاخلاص (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأتم لاتشمرون) بمجيئه فتتداركون
 بادروا الى العمل واحذروا (أن تقول نفس) أى بعض الأنفس وهى نفس الكافر (يا حسرتى على ما فرقتك
 فى جنب الله) أى قصرت فى جانبه أى فى حقه وطاعته فإلجاب كناية فيه مبالغة به قال الشاعر

أما تتقين الله فى جنب وامق به له كبد حوى عليك تقطع

(وان كنت لمن الساخرين) المستهزئين بدين الله وبكتابه وبرسوله وبالؤمنين فلم يكفه أن ضيع طاعة
 الله حتى سخر بأهلها (أوتقول لو أن الله هدىنى) أرشدنى الى دينه وطاعته (لكنت من المتقين) الشرك
 والمعاصى (أوتقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين) فى العقيدة والعمل فرد الله عليه
 قائلا (بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) أى قلت ليست من الله وتكبرت
 عن الإيمان بها الخ (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) زعموا أن له ولها أو شريكا أو قالوا الأشياء لنا
 إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل (وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى) منزل (للكافرين به وينجى الله
 الذين اتقوا) الشرك والمعاصى (بمغزتهم) بفلاحهم وبالطرق التى تؤديهم الى الفوز والنجاة . ثم بين المغازة
 فقال (لا يمسهم سوء ولا هم يحزنون به الله خالق كل شئ) من خير وشر وإيمان وكفر (وهو على كل
 شئ وكيل) يتولى التصرف فيه (له مقاليد السموات والأرض) أى مقابيح خزائنها واحدها مقلاد أو مقلد
 ومن ملك مقاليد الخزائن تصرف فيها كما يشاء فهو كناية (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون)
 مقابل قوله - وينجى الله الذين اتقوا - (قل) لمن دعاك الى دين آبائك (أفصير الله تأمرؤى أعبد) أى
 أجهلت فعبد الله أعبد بأمركم بعد هذا البيان . فتأمرؤى جلة اعتراضية (أياها الجاهلون) بالتوحيد ثم
 هتد الله المشركين موجها الخطاب لرسوله ﷺ فقال (ولقد أوحى اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت
 ليحيطن عملك) الذى عملته قبل الشرك أى أوحينا اليك لئن أشركت ليحيطن عملك وإلى الذين من قبلك
 لئن أشركوا ليحيطن عملهم . وقوله (ولتكونن من الخاسرين) معطوف على جواب القسم الساذ مسد
 جواب الشرط (بل الله فاعبد) رد لما أمروه به (وكن من الشاكرين) إنعامه عليك (وما قدروا الله حتى
 قدره) وقرى بالشديد أى ما قدروا عظمتهم فى أنفسهم حتى تعظيمه حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق
 به (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) أى والأرضون حال كونهن مجتمعات مع
 عظمتن لا يبلغن إلا قبضة واحدة من قبضاته يوم القيامة كأنها قبضتها قبضة بكف واحد والسموات مطويات
 بقدرته ، والقصد التنبيه على عظمتهم وكال قدرته وحقارة كل فعل عظيم بالنسبة الى قدرته والدلالة على أن
 تخريب العالم أهون شئ عليه (سبحانه وتعالى عما يشركون) ما أبعد وما أعلى من هذه قدرته وعظمتهم
 عن اشراكهم (ونفخ فى الصور) المرة الأولى (فصعق من فى السموات ومن فى الأرض) خروا مغشيا
 عليهم (إلا من شاء الله) كجبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وملك الموت ، ووجه العرش أو نحوهم (ثم نفخ
 فيه أخرى فاذا هم قيام) قائمون من قبورهم (ينظرون) يلقون أبصارهم كالمبهوتين (وأشرق الأرض
 بنور ربها) بما أقام فيها من العدل وذلك حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه فما يشارون فى نوره
 كما لا يشارون فى الشمس فى اليوم الصحو (ورضع الكتاب) أى كتاب الأعمال أو اللوح المحفوظ الذى فيه
 جميع أعمال الخلق (وجىء بالنبیین والشهداء) الذين يشهدون للأئم وعليهم من الملائكة والمؤمنين (وقضى
 بينهم) بين العباد (بالحق وهم لا يظلمون) بنقص ثواب أو زيادة عقاب على ما وعدوا به (ووفيت كل نفس

ما عملت) جزاءه (وهو أعلم بما يفعلون) فلا يفوته شيء من أفعالهم . ثم أخذ يفصل ذلك فقال (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا) أفواجا متفرقة بعضها في أثر بعض (حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها) ليدخلوها (وقال لهم خزنتها) توبيخا (ألم يأتيكم رسل منكم) من نوصيكم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أي وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار (قلوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) أي كلمة الله بالعذاب علينا وهي الحكم عليهم بالشقاوة (فقبل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) والمخصوص بالنم جهنم (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا) أي سيقت سرايبهم كالوفود إلى الملوك (حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طيبم) فزتم ونجوتهم وطهرهم وصلحتهم (فادخلوها خالدين) وجواب إذا تقديره دخلوها (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده) بالبعث والثواب (وأورثنا الأرض) مكتنا بما استقررنا عليه تتصرف فيه تصرف الوارثين فيما ورثوه (ثبوتاً من الجنة حيث نشاء) أي ينزل كل منا في أي مقام أرادته من جنته الواسعة (فتم أجز العالمين) الجنة (وترى الملائكة حافين) محديقين (من حول العرش) أي حوله (يسبحون) حال من الصبر في حافين (بمحمد ربهم) ملتبسين بحمده أي ذاكرين له بوصفي الجلال والاکرام تلذذا به ، ذلك للدلالة على أن أقصى درجات السعادات الاستغراق في صفات الحق (وقضى بينهم بالحق) أي بين الخلق فبعضهم يدخل النار وبعضهم الجنة وبين الملائكة بأقامتهم في منازلهم (وقبل الحمد لله رب العالمين) على ما قضى بيننا بالحق والقانون هم المؤمنون والملائكة . انتهى التفسير اللفظي

﴿ لطائف القسم الثالث من السورة ﴾

- (١) في قوله تعالى - إن الله يغفر الذنوب جميعا - الخ
- (٢) في قوله تعالى - وما قدروا الله حق قدره - الخ
- (٣) في قوله تعالى - وأشرق الأرض بنور ربها - الخ
- (٤) في قوله تعالى - وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق -

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

(في قوله تعالى - إن الله يغفر الذنوب جميعا -)

هذه الآية للتنبيه على أنه لا يجوز للمعاصي أن يئان أنه لا مخلص له من العذاب فإن ذلك قنوط من رحمة الله وهو من الكبائر ، وكذلك من أمن مكر الله ، فكل من تاب غفر الله له ومن لم يتب فأمره لله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

(في قوله تعالى - وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ..)

في حديث رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود قال : جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد إن الله يضع السماء على أصبع والأرض على أصبع والجبال على أصبع والشجر والأنهار على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يقول أنا الملك فضحك وقال - وما قدروا الله حق قدره - الآية . انتهت اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

(في قوله تعالى - وأشرق الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون -)

فيه ذكر النور والكتاب والقضاء بالقسط والشهداء ، وجاء في الحديث أنه يتجلى الرب على خلقه فما يشارون في نوره كما لا يشارون في الشمس في اليوم الصحو
كل ذلك راجع الى ظهور الحقائق وتبيان كل شئ والعدل التام بالميزان العدل ، ولعمري إن ما ذكر من ذلك في عالم الآخرة هو الذي يشاهده العقلاء والحكماء في الدنيا ، وهل هناك فرق بين عالم أويين الدنيا والآخرة من حيث النظام والاشراق ، الأرض تشرق بنور ربها يوم القيامة وأرضنا اليوم وسمواننا مشرقة بنور الرب ولكن ذلك النور وذلك العدل اليوم محبوب بحجاب غليظ عن أعين أكثر الناس ، إن أكثر الناس اليوم ممنوعون عن الوقوف على الحقائق لأن هذا هو نظام هذه الدنيا ونظامها أن من فيها يكونون ضائف البصائر فإذا تجلى الله لهم في عالم بعد هذا أدركوا أن كل أفعاله موزونة ، وهل لك أيها النكبي أن أذكر لك فلا من كل من ذلك الاشراق الذي تجلى به الله في هذه الدنيا على المفكرين وحببه عن أكثر العاقلين لما يرون من موت وحياة ، ومرض وصحة ، وغنى وفقير وظلم وعدل ، وتفاوت في الأرزاق والأعمال والآجال والأخلاق والأجسام ، والرفعة والضمرة ، والعز والذل ، وما أشبه ذلك ، فإذا أشرق البصائر أدركت الحقائق فظهرت للبصرين ، وفي هذا المقام جواهر :

(١) - ﴿ البوهرة الأولى : عدل الله في عالم النبات والحيوان من حيث التغذية ﴾

انظر الى عالم الحيوان والنبات ، قد تقدم أن النبات يحتاج الى مقدار كبير من الكربون لغذائه وتقوية أعضائه فلذلك يأخذ من الهواء حامض الكربونيك وهو مركب من الكربون والاكسوجين فيحمله في بنيتة تحليلا تاما ويأخذ الكربون أى المادة الفحمية لنفسه ويخرج الاكسوجين الى الهواء ، ثم ان الهواء يأخذ ذلك الاكسوجين فيوصله الى الحيوان فيستنشق ويدور في الدورة الدموية فيصلحها ويخرج الحامض الكربونيك الى الهواء ، فالحيوان يركب في جسمه الحامض الكربونيك ويدفعه الى الهواء والنبات يتقبله فيحمله ويرجع الى الهواء الاكسوجين ، ويطلق العالم (بروفيار) أن مقدار ما يخرج به النبات من الاكسوجين يستد ما يحتاج اليه الحيوان تماما ، فانظر للعدل ، وانظر للنظام ، ألا ترى أن نظام النبات والحيوان قد قام بالعدل وأليس هذا هو نور الله المشرق ؟ براه المفكرون ويحجب عنه الغافلون

يقرأ الناس - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - وإذا استحنوا طلبا أعطوه مسائل من العلوم ففى أجاب فيها عرفوا انه عالم بتلك العلوم ، ويجالس الرجل عالما فيعرف من حديثه مقدار علمه ونحن وان كنا لم نطلع من العلوم إلا على مقدار صغير مما تحتمله عقولنا في الأرض ندرك من هذا المثال ومن أمثاله مقدار العدل والنظام التام الذي نعيش فيه ، نعيش في الدنيا فغري اننا لانحيا إلا مع النبات والحيوان وننظر فنجد اننا لو كنا نحن والحيوان في الأرض وليس معنا نبات وكان لنا رزق آخر غير النبات لم يستقم العيش على الأرض ، لماذا ؟ لأنه لانبات يحلل الكربون الذي يخرج من تنفسنا ويقرأ كم جيلا بعد جيلا فيفسد الهواء ويموت الأحياء ، فبالعدل والنظام وجود النبات وتحليله لتلك الكربون وارساله ما كان مركبا معه من الاكسوجين الى الهواء أمكن أن نعيش فوق الأرض

أيها النكبي : كم من متعلم علم الطبيعة وهو يمر على هذا مرة التسميم على الحصباء أو الصرصر على الفضاء . يقرأ كثير من الناس العلوم ولا ينظرون نظرة عممة . فالعلوم في عقولهم أشبه بالأدوات المستحضرة لبناء البيت

من لبن وطين وخشب وحجر ثم لا يجمع بينها ولا يرى لها صورة جميلة في نفسه منقوشة على صفحات قلب
يزدان بها فؤاده . ذلك مثل أكثر المتعلمين

(٢) - (الجوهرة الثانية : العدل بين البرّ والبحر في النبات والحيوان)

يرى الناس فوق الأرض حدائق وأعشابا وبساتين وأشبا وجنات ألفافا وزهرا باهرا وجمالا ظاهرا
وعجبا عجبا . ينظرون البحر فلا يرون إلا ماء أجبا وأموجا تقالا لانبات فيه ولاشجر ولاحدائق ذات ثمر .
لكن بعد التأمل والبحث يرى في البحر كما في البرّ حقول ومزارع فضرات وأشجار باسقات عجيبات .
ولأذكر لك منها الجزائر المرجانية لترى العدل قائما بين الماء والتراب والبحر والبرّ

لوانك ذهبت الى المحيط الهندي والى المحيط الهادى (الباسفيكى) رأيت هناك شعيرات المرجان الحية
ذات الأغصان والفروع مغبرة أو مصفرة تسرى الناظرين أو حمراء كالقرفل أو زرقاء كالزمرّد تتلاعب بها الأمواج
وهي لطيفة المزاج لدنة الأعطاف مم لا تلبث بعد حين أن تبرز من اجتماعها جزائر مستديرة الشكل كأنها
شكل الخمام أو شكل الحلقة وهي مكونة من تلك الأشجار اللينة الأعطاف التي تراكت وصلبت وصارت
صخورا مرجانية يبلغ محيطها فراسخ كثيرة . وترى ماء المحيط ينكسر على جوانبها البيضاء البهجة المناظر
السارة للناظرين . منظرها عجيب وأمرها غريب تجذب قلوب الشعراء وتغلب لبّ الحكماء . وترى هناك
أمرين بديين : أمر ماء البحر المتلاطم الأمواج المتكسر على شواطئ جزيرة المرجان وهي زرقاء سوداء لغرط
عمقها وأمر الحوض الذى هو وسط الجزيرة الذى يضرب ماؤه الصافى الى السفرة والخضرة معا . ماء المحيط
متقلب يرتفع وينخفض . وماء تلك الجزيرة راكد في وسطها ساكن . وهذه الجزر يقل ارتفاعها عن الماء
وسواحلها مكسوة بنخيل الكوكو (الشكولاته) والمرحان الذى تبنى منه الشطوط المرجانية لا يعيش على أعماق
من (٢٥) قامه . وما أكثر هذه الجزائر . فمنها مجموع جزائر تبلغ (١٠٠٠٠٠) مائة ألف جزيرة مرجانية
ومنها مجموعة تبلغ (١٠٠٠) ألف جزيرة . وهي جزائر متناسبة الارتفاع . فالأولى هي المسماة (بلكاديف)
والثانية هي المسماة (ملاديف)

فانظر كيف اعتدل الأمر بين البرّ والبحر فكان نبات في البرّ ونبات في البحر ولكن لا تظن من قولنا
نبات اننا نقول ان المرجان نبات . كلا . انه حيوانات كثيرة صغيرة منتظمة في حال واحدة معا تكون على
هيئة الأغصان والأوراق والأزهار وهي حيوانات باجتماعها أشبهت هيئة النبات

(٣) - (الجوهرة الثالثة : العدل في خلقه العيون وعدمها وهو من نوراة في أرضنا)

معلوم أن العين خلقت لمنفعة الحيوان ، ولاحيوان إلا وهو محتاج الى العيون ، ولكن ظهر أن من
الحيوان ما تكون العين بالنسبة له حلا ثقيلًا ولائمة لها عنده ، ذلك أنواع من السمك تعيش على عمق
(٢٧٥٠) قامة والقامة مقياس مقداره ستة أقدام . وتسمى هذه بالحيوانات القاررية . فسوء الشمس معدوم
عندها لأنه لا يصل إلا الى عمق (٢٠٠) مائتي قامة وما تحت ذلك فهو ظلام حالك . ولذلك لا يرى أثر للعيون
في كثير من فصائلها . ومن السرطان نوع يكون له عيون وهو عائش قرب سطح الماء . فاذا عمق مسكنه
وصار ما بين (١٠٠) قامة و(٤٠٠) قامة من السطح فقد عيبيه وقد يبقى له منهما موضع الأثر . ويبعيش
منه على بعد (٥٠٠) قامة الى سبع مائة قامة لعدم الآلة البصرية

فانظر الى العيون كيف عدمت عند عدم الحاجة اليها إذ لا ضوء تبصر به وكيف ظهرت في الحيوان عند
اقترابه من ضوء الشمس وعدمت عند عدم الضوء - إن ربك حكيم عليم -

(٤) - (الجوهرة الرابعة : السمك ذو المصباح)

وهل أتاك أيها الحكيم نبا السمك الذى يعيش في قرار البحار في الظلام الخالك الذى لا تصله الشمس

وهو مع ذلك ذوعين كاملتين عجبتين تلتقيان . فانظر كيف يصيرهما ولاضوء هناك . وقد قلنا ان الضوء لا يبعد مائتي قامة فكيف وهو في ابعاد الأشوار ولاضياء هناك . فانظر كيف أبدع الله لذلك الحيوان ما أبدعه لنا على هذه الأرض . ألم تر اننا في ظلمة الليل نوقد المصابيح الكهروباية والزيئية والشمعية وما أشبه ذلك أعطانا الله ذلك لنستضيء اذا احتجنا الى الضياء ونكف عن الاستضاءة اذا أردنا النوم والكون فيكون الضوء تحت ارادتنا بأفعالنا . أما في النهار فالضوء عام بغير ارادتنا . فانظر ماذا فعل الله مع ذلك الحيوان ! أعطاه عضوا يشع سراجا وهاجا بحيث يكون أمام عينيه ليكشف به الفريسة . ويظهر ذلك النور أمام عدوه المفاجئ له ليبهره بالنور ثم يطفئه أسرع من البرق . فهذا السمك يستعمل النور بحكمة يكشف به الفريسة ويطفئه اذا هاجه العدو وقد جعل له أمام عينيه ما يعكس الضوء بمقياس خاص . فانظر كيف أعطى الله السمك المقتنص العيون والضوء الذي تحت ارادته ليكشف القهضة ولولا ذلك لم يقدر أن يعيش إذ حياته بالصيد ولاصيد مع العمى والظلام . وكيف منع العيون عن غير هذا النوع لأنه ليس في حاجة لذلك لأن رزقه متوافر لديه حاضر عنده والا أعطى العيون والضياء . والضوء هناك والعيون يشبهان بما أعطى السبع من البران والأنياب المحددة والقوة العظيمة حتى يقدر على الصيد . وقد علمت في هذا التفسير أن الحيوانات المفترسة في البر والبحر رحمة لحفظ البر والبحر من التعفن بالرغم فيكون الوباء العام كما أوتخناه مرارا في هذا التفسير

بهذا فلنفهم قوله تعالى - وأشرق الأرض بنور ربها - فهذا نوع من اشراق الأرض بنور الله ولا يدرك هذا النور وهو العدل والنظام في هذه الدنيا إلا قليل وأكثر الناس عن هذا الجمال معرضون فياليت شعري كيف يكون كتابنا هذا مقتضاه وترى المسلم لا يقرأ علم التوحيد إلا على نطمهم غامض . ألا ترى كيف يجعل بحثه قاصرا على نحو « ان العالم حادث وكل حادث لا بد له من محدث » وهكذا وهو مغمض العين عن هذا الجمال بعيد عن هذا المثال . يقول الله - وأشرق الأرض بنور ربها - ويقول - إنا زينا السماء الدنيا بمصابيح - والمسلمون وحدهم أكثرهم يغمضون العيون عن هذا المنظر الجليل البهيج فهذا هو الاشراق النوري في الأرض وهو نثار الاشراق يوم القيامة في عالم الأرواح . واذا أشرق الدنيا على هذا النظم وقد أدرك هذا الاشراق حكماء الانسان . ومعلوم أن عالم الأرواح أصنى وأبهج وأعدل فهناك فليكن العدل والعلم . وكلما كانت الأرواح أصنى وأنتى بالعلم والتهذيب والأخلاق كانت الى الوقوف على الحقائق أقرب وبالعلم تعرج الى العللى والمعارج . ولا معنى للعروج إلا زيادة انكشاف الحقائق . وكل من كان في الدنيا أكثر علما وشوقا له كان في الآخرة أسرع وصولا وتحقيقا وعروبا . وهذا هو :

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

(في قوله تعالى - وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين -)

في هذه الآية ذكر الملائكة وانهم حافون حول العرش وانهم يسبحون وأن التسبيح ملتبس بحمد الله وانهم في مراتبهم التي يستحقونها هم والمؤمنون وغيرهم ، وأن المؤمنين والملائكة يقولون الحمد لله رب العالمين وسيأتي في سورة حم المؤمن وهي ﴿ سورة غافر ﴾ أى في أولها أن الذين يحملون العرش والحافين حوله وهم الكروبيون يسبحون مع حمد ربهم وأن أرجلهم في الأرض السفلى ورووسهم قد خرقت العرش وهم خضوع لا يرفعون طرفهم رجيع الملائكة يفتنون ويروحون بالسلام عليهم الى آخر ما سيأتي ، فذكر في هذا المقام هؤلاء الذين هم سادات الملائكة وهم المدبرون لهذا العالم من عرشه لفرشه ، ذلك لأن معنى اختراقهم

العرش ووصول أرجلهم للعرش الاطاحة بالعوالم كلها علما وتديرا بأمر ربهم ، ومعنى كون الملائكة تسلم عليهم انهم يتلقون الأوامر عنهم ف يرجع الأمر كله الى العلم والعمل . وهذا هو الذى أوجب ذكركم هنا للناسبة ، الا ترى أن ما قبلها فيه أن الأرض أشرفت بنور ربها وأن القضاء عدل وأن أهل الجنة سيقوا اليها وفتحت أبوابها لهم وسلم الملائكة عليهم وحدوا الله إذ أورثهم أرض الجنة ، فهنا حدان : حد المؤمنين لما دخلوا الجنة فقالوا - الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض - الخ فهذا حمد على شئين : صدق الوعد . وميراث أرض الجنة . وحمد الملائكة بحمدون الله حمدا ليس خاصا بأمر يرجع الى أنفسهم أو صدق الوعد معهم . كلا . بل هو حمد على تربية العالم كله علويه وسفليه . وهذا الحمد أعلى . ولذلك ترى أهل الجنة الذين حمدهم مقيد ينظرون الى الملائكة الحافين حول العرش وقد أتزلوا مراتبهم وحدوا محامد عالية شريفة يجلس أهل الجنة فى الجنة ويرون الملائكة حافين من حول العرش الخ . حال الملائكة أرقى من حال أهل الجنة لأنهم مدبرون للعالم وأهل الجنة فى ركن منه وهى الجنة ، والعالم الروحى أرقى من العالم الجثمانى وأجل . فلذلك عبر بلفظ ترى إشارة الى رفعة شأنهم وكأن الناس ينظرون اليهم نظرا للاحترام إن درجة الملائكة قبل درجة أولى العلم فى قوله تعالى - شهد الله أنه لإلهة إلهو والملائكة وأولوا العلم قائما بالنسط - . فأهل الجنة من العاقبة والعلاء بعد الملائكة فلذلك كان حمدهم راجعا للنظام العام . وكلما كان الانسان فى الدنيا أعززا علما بحمال هذا العالم كان أسرع رقيا فى درجات الآخرة وأقرب الى الملائكة . فلما قرب لله إلامن حيث ازدياد العلم والانكشاف والحمد لله رب العالمين . انتهت اللطيفة الرابعة

﴿ انكشاف الحقائق من أسرار القرآن ﴾

(فى آخر سورة ص وأول سورة الزمر)

من قوله تعالى - ما كان لى من علم بالملا الأعلى - الى قوله - فأتى تصرفون - سبحانهك اللهم وبحمديك . تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك . أنت الذى أنعمت بنعمة العلم والعرهان وشرحت صدرنا ويسرت لنا ظهور بعض الحقائق العلمية التى أغفلت عنها أم وأم تبين لى أن أم الاسلام المستقبل قد أذن لها أن تعرف من العلم ما لا يعرفه كثير من سبقها بعد العصور الثلاثة الأولى . إن حقائق العوالم والأسرار الكامنة فى القرآن كانت تكشف لأفراد فيكتمونها وجوبا ويموتون وإذا كتبوا عنها فان ذلك كان تحت ستار . أما اليوم فأتى أن الحقائق ستجلى للأمة المستقبلية الاسلامية الذين سيكونون خير أمة أخرجت للناس كما كان الصحابة والتابعون وتابعوهم - خيرة أخرجت للناس - ونظرة فى المناورة الآتية تبين مغزى ما قلته الآن

فى يوم السبت (٦) أغسطس سنة ١٩٣٠ حضر لى صديقى الذى يباحثنى فى هذا التفسير فقال : إن آخر سورة ص وأول سورة الزمر فيها مشكلات - برت عقلى وأدهشت لى ! إن هذا التفسير قد تجلت فيه حقائق كثيرة ولكن أكثر الحيرة والشك ترجع الى ما بأتى :

(١) الله عظم الانسان إذ أمر الملائكة الأرضية بالسجود له - فقوا له ساجدين -

(٢) وإذا خلق السموات والأرض ، وكوّر الليل والنهار ، وسخر الشمس والقمر

(٣) أنزل له من الأنعام ثمانية أزواج الخ

ولكنه أدله بما بأتى :

(١) أباح لاي بليس أن يغوى أكثر ذريته

(٢) وحكم على ذرية آدم أن يكونوا مع إبليس وذريته فى جهنم ويملأوها من الفريقين

(٣) ثم إنه في الرحم يكون في ظلمات ثلاث

فهو في الرحم في ظلمات ، وإذا خرج إلى الأرض يكون تحت سلطة الشياطين ، وإذا مات دخل أكثر
 بنى آدم جهنم . إذن هذه ظلمات متواليات : في الرحم ، وفي الحياة ، وبعد الموت . فالظلمات متتابعات على
 هذا الانسان . ظلمات جسمية في الرحم ، وظلمات عقلية بالوسوسة فوق الأرض ، وظلمات جهنمية بعد الموت
 فهذه أمور مشكلات وإذا قرأنا ما تخلل هذه الظلمات وجدنا رحمة واسعة إذ جاء فيها بين السورتين « بسم
 الله الرحمن الرحيم » وهي آية من السورة ، فذكر الرحمة هنا مشكلة . وكيف تذكّر الرحمة هنا والمقام فيه
 الرحمة والغضب فهل تسليط إبليس على ذرية آدم وادخالهم جهنم يناسب الرحمة المذكورة في أول السورة ؟
 هذه مشاكل ضمنية لم تحلها العقول قديما إلا رمزا وما السبيل لحلها ؟ فقلت الجدلة . إن بيانك القوي
 أردت به إيضاح الاشكال أفادني حقيقة الجواب . فقال وكيف ذلك ؟ فقلت لأوضح لك المقام إيضاحا تاما .
 أنت ذكرت أن هذه الآيات فيها أن بنى آدم في ظلمات الرحم . وانهم تحت سلطان الشياطين في الدنيا وهم
 معهم في جهنم وأن هذا كله ينافي الرحمة . هذا ملخص إشكالك . فقال نعم . فقلت : وماذا تقول إذا علمت
 أن الله لو لم يفعل ذلك لم يكن رحيمًا بنا وأن تسليط إبليس وظلمات الرحم الثلاث كلها نعمة لانتمة وما نفعه
 في بادئ الرأي نعمة هو في حقيقته نعمة لكن بعد البس والعلم والله جلّ أن يعطى النعمة لمن لا يستحقها
 وهل يستحق إدراك الحقائق إلا المدارس . أنا سأسمعك الحقيقة اليوم ناصحة واضحة وهل يفهمها إلا العارفون
 أو يدركها إلا المفكرين الذين درسوا من كل فن طرفا . فقال : لقد شوقتني إلى الجواب وإدراك حقيقة
 هذه الأسرار . فقلت : انظر رعاك الله إلى الطفل في بطن أمه كما ذكرته أنت . انه وضع في الحجب الثلاث :
 في الرحم محافظة عليه كما هو معلوم للناس قاطبة فلوانه تعرّض للشمس لم يعش بل لو ظهر للهواء مجردا من ضوئها
 لم يعش . فأنه عز وجل لم يمنعه من نعيم الهواء وضوء الشمس ضنا بالنعمة وإذلالا وإنما منعه ذلك رحمة
 وورقة ونحننا فلاحد هذه الرحمة ولولا هذا لم يترب في بطن أمه . وأنا موقن أنك ما ذكرت هذا في الاعتراض
 إلا لأنك جعلته ضرب مثل للظلمات العقلية التي سببها إغواء الشياطين للانسان والا فأنت تعلم وجيع العقلاء
 يعلمون أن هذه الظلمات في الرحم نعمة . فالذي دعاك لذكرها إنما هو التنبية على أن هذه الحجب تذكرونا
 بالحجب العقلية التي تعتربه بعد خروجه إلى الأرض وهو يعيش مع الناس . قال حقا هو كذلك . فقلت : وماذا
 تقول إذا قلت لك ان ما جعلته أنت ضرب مثل للإذلال رأيت أنه أنا ضرب مثل للأنعمة . فقال : أنا لم أفهم
 ما قصد فأرجو إيضاحه . فقلت : إن الله سبحانه في الرحم في ظلمات ثلاث وقد اتفق العقلاء أن هذا
 رحمة لانتمة ، ذلك لأن الجنين لا يقدر أن يقابل ضوء الشمس ولا الهواء طبعاً لضعفه فأنت انتهزت هذه الفرصة
 وجعلتها أشبه بضرب مثل لما سيلحقه من الظلمات ، وأنا أوضح لك الآن أن هذه ضرب مثل لما سيلحقه
 من النعم . إن هذا الجنين المحجوب بالظلمات الثلاث رحمة به إذا خرج إلى الأرض حجب بنحو (١٦)
 ظلمة جسمية محافظة على حياته ورحمة به ، وما يقرب من مائة ظلمة عقلية محافظة على عقله والا لاختل نظام
 تفكيره ، فاذا رأينا الجنين حفظ هذه الظلمات الثلاث في الرحم فالرجل يحفظ من الهلاك الجسمي بظلمات
 تبلغ (١٦) ومن الهلاك العقلي بظلمات تبلغ نحو المائة ، وكما أن الجنين لو تعرّض للجومات ، هكذا الطفل
 والمراهق والبالغ والشيخ إن كان جو الأرض ليس فيه طبقات من القبار والقرارات التي تعجب ضوء الشمس
 وتلطفه وتخففه مم تكون سبب انتشاره لكافة الحياة لا تطلق ، فأشكال القبار والدخان الخارجات من الأرض
 المعتمة لهذا الجو ما هي إلا حجب لأبصارنا وهذه الحجب لولاها لم نطق الحياة على الأرض ولم ينتظم ضوء
 الشمس حين وقوعه على الأرض ولم يكن عندنا فجر ولاصبح ولاوقت فيه شفق بل تطلع الشمس وتقرب
 فجأة ويكون ضوءها شديدا دائما فلا تطيق العيون رؤية قرص الشمس صباحا ولامساء ويكون الضوء نجانيا

والظلام بجائيا . فهذه الحجب والظلمات في الجؤنسيتها الى حياتنا على الأرض كنسبة الظلمات الثلاث للجنين ومثل ما قلنا في ظلمات الجؤ النافعات في انتشار الضوء الموزعات له على الكرة الأرضية المصلحات لحال أهل الأرض تقول في وساوس الشيطان . وما وساوس الشيطان إلا أمثال ما نراه من نهافت الذباب على طعامنا وشرابنا مع اننا نأكل العسل الذي نشأ من خلايا النحل . فنسبة وسوسة الشياطين الى عقولنا من حيث انها تصدنا عن الاطلاع على الحقائق بخاة ونحن لانطبقها كنسبة ظلمات الجؤ البالغة (١٦) ظلمة من حيث انها تخفف ضوء الشمس الواصل الى عيوننا بحيث يقل في أكثر النهار عما يمكن أن يصل اليها فوق ألف مرمة . إذن ضوء الشمس لا بد أن يخف بحجب حين يصل لنا والعلوم والمعارف التي يتجلى الله بها على عقولنا اذا لم تحجبها الوساوس الشيطانية التي استعدت لها نفوسنا بشهواتنا وأخلاقنا الأرضية فانها تكون سببا في إهلاك أرواحنا لأنها لاتقدر أن تتحمل جميع الحقائق دفعة واحدة كما لاحتتمل عيوننا ضوء الشمس من غير أن يطف بظلمات الجؤ وكما لا يتحمل الجنين أن يعيش إلا في ظلمات تقيه

أنا أقول هذا وأنا أصبحت موقنا به إيقانا تاما . وهذا هو اليقين الذي أعلنه لأهل الأرض قاطبة ولك أنت أولا . فقل لهم جميعا إن الله أذن باظهار الحقائق

إن ماني الأرض من الأخلاق الفاسدة واغواء الشياطين الأرضية . كل ذلك رحمة لأنه لولا لم تتحمل العقول شمس المعارف العلمية التي تستعد لها النفوس الأرضية بفطرتها . وكما أن الطعام الذي كثرت مادة الغذاء فيه كاللبن واللحم والبيض اذا داوم امرؤ عليه فان عاقبته تكون هلاكا له غالبا لأن هذه المواد الممتلئة أغذية اذا وردت على الجسم أخذت تهجم على الحو يصلات هجوما شديدا فتظهر القوة وحسن الشكل وحرارة الحد ورويق الجسم ثم لا يلبث الجسم أن يصل لاحدى نتيجتين : إما أن يكون قويا فتخرج له بشور وتظهر أمراض بها تخرج تلك العلل . وإما أن يكون ضعيفا فلا يقدر على ذلك التصريف بالأمراض فيفاجئ الموت بكرة أو عشيا

هذا ماتقدم في هذا التفسير مرارا وتكرارا عن علماء الطب في العصر الحاضر . أقول : كما ان الطعام هنا شأنه هكذا العلوم والمعارف فهي أغذية للروح وللروح استعداد خاص كالجسم . فكما أن الأغذية اللبنة واللحمية والبيضية قد يكون فيها خطر على الأجسام كما تقدم هكذا العلوم التي تصل للعقل بخاة تهلك الروح . وكما أن الأغذية النباتية ونحوها (وفيها أغذية غير مركزة بل هي داخلية في ضمن مواد أخرى) تدخل على الحو يصلات الجسمية بلطف فلا تزحجها هكذا المعارف والعلوم اذا وصلت الى الأرواح والعقول شيئا فشيئا تدريجا تكون مقبولة ولا تخطر فيها ، وكما أن الشمس يظهر نورها على جميع الأرض وقد خفت بالغبار في الجؤ هكذا الأنوار الإلهية التي يرسلها الى عقولنا لا بد من تخفيفها حتى تتحملها عقولنا ، وأول حجبنا أجسامنا فهي ظلمانية مم شهواتنا وأنواع شرورنا التي تحيط بنا احاطة الغبار والدخان في جؤنا بعينونا ، وكما أن الغبار والدخان ظاهرهما عذاب وباطنهما رحمة ، هكذا وسوسة الشياطين التي لانكون إلا تبعا لشهواتنا هي نعمة باطنا نعمة ظاهرا ، وأضرب لك مثلا : لقد ظهر في أمريكا غلام منذ نحو (٢٠) سنة فأكثر دخل المدرسة وأخذ يتعلم الحساب فما مضت نصف سنة وهو يبلغ سبع سنين حتى فاق أباه في العلوم الرياضية كلها وأتى بحساب يحولونه فانهم كلما قالوا له : الجمع الطرح الضرب القسمة اللوغارتم المعادلات الجبرية يقول لهم أنا أعرفه وكان أبوه رئيس السكينة فطلبوا علماء الطب من أقطار الأرض فبحثوه وقالوا جميعا إن هذا الغلام قصير الأجل لأن عقله أكبر من جسمه وهذا الجسم لا يتحمل هذا العقل وقد مات وسنه (١٣) سنة ، وقد ظهر كثير أمثاله على هذا النمط ، فهؤلاء جاؤ الى الأرض ليوقفوننا الى أمثال هذه الحكم ولتعرف أن حياتنا كما أن فيها ذببا وحيات وعقارب لا يذاتنا فيها نحمل ودود قز وأنعام لاسعادنا ، وأن التقيضين لا بد منهما ، وأن النعم التي

لاقم معها مجهولة مكفور بها والصد يكون سببا في ظهور ضده . وأنا أيها الصديق أرى اني قد استوفيت هذا المقام وأنا أجد الله جدا كثيرا ولعلك قد اكتفيت بما سمعت . فقال : أما هذا البيان فلم أسمع في حياتي منك ولا من سواك ولكني لا أترك القول يمر بلا فهم ببعض ما تقدم . ماهي الظلمات التي في جوتنا ؟ وكيف تقول إن الغبار والدخان تصنعان حجبا في الجوت تبلغ (١٦) حجبا ؟ وكيف تقول إن ضوء الشمس يكون أقل فوق ألف مرتبة ، كل هذه أغاز لا تحل إلا بالإيضاح . فقلت بإصاح وهل يوضح هذا إلا العلوم . فقال أي علوم ؟ فقلت علوم الطبيعة والفلك . فقال أحب أن تشرح المقام شرحا وافيا لنفرض بالعلم ونسعد بالحكمة فقلت : اعلم أن الجاهل يعيش ويموت ولا يحظه من هذا الوجود ، أما الحكيم وأما العالم فإنه هويرى أن هذه الدار أشبه بالقصور المسحورة فإن مشاهدته أشد غرابة من مشاهد دور الصور المتحركة التي تشمل فيها الوقائع الحربية والطبيعية وغيرهما فشاهد الدنيا مملوءة بالأحوال الغريبة

(١) فانظر الى الكواكب ليلا والشمس في وسط السماء فانك تراها قريبة منا ، ثم انظر الى الشمس عند الشروق وعند الغروب فانك تجدها بعيدة عنا وهذا عجب كيف تبعد الشمس في الشروق والغروب وتقرب وقت الزوال ؟ أليست الأرض تدور حول الشمس في دائرة منتظمة وبعدها من جميع الجهات متحد في اليوم الواحد فهل تبعد عند الصباح وتقرب وقت الظهر ؟ إذن ليست تجرى في دائرة بل في خطوط منكسرة ولا قائل به

(٢) ثم انظر الى الشمس صباحا فانتا تقدر أن تنظرها بأبصارنا مع بعدها ، وانظر اليها وقت الظهر فانتا لا تستطيع النظر اليها مع قربها منا في رأي العين وكثرة الضوء

(٣) ثم إن النجوم الثوابت تراها قريبة منا والشمس تراها بعيدة صباحا ومساء كما تقدم مع ان الشمس بيننا وبينها بسير النور (٨) دقائق و (١٨) ثانية ، وبيننا وبين الكواكب آلاف وملايين السنين بسير الضوء ، فكيف كانت هذه المشاهد ساحرة لعقولنا غريبة الأطوار عجيبه الأحوال

هذه هي الغرائب الساحرة المحيطة بنا وهذا لا يفهم إلا بالنظر في علم انكسار الضوء من علم الطبيعة أولا وبالنظر في علم الفلك من حيث ضوء الشمس وانتشاره على الأرض ثانيا ، وقبل ذلك نشرح علم الهواء . إذن هنا « ثلاثة فصول : الفصل الأول » في شرح الهواء « الفصل الثاني » في انكسار الضوء في علم الطبيعة « الفصل الثالث » في آثار ذلك الانكسار في علم الفلك . فقد جاء في كتاب الاصول الوافية في علم القسوموغرافيا لأستاذنا المرحوم حسني بك

﴿ الفصل الأول في علم الهواء ﴾

تحاط الأرض من جميع الجهات بغاز ضروري لوجودنا وعلى أي ارتفاع يرتقى اليه يوجد الهواء دائما لكن من المحقق أن هذا الهواء لا يمتد الى غير نهاية في الفراغ بل يكون حولنا طبقة تسمى جوا . ويتكوّن من الجوّ والكرة الأرضية جسم واحد لأنها تجذبها اليها ويشارك معها في جميع حركاتها ويظهر ان تركيب الجوّ ثابت في جميع الأقطار وفي جميع الارتفاعات وهو مخلوط من الاكسيجين والازوت بنسبة ٨٠ و ٢٠ حجم من الاكسيجين الى ٢٠ و ٧٩ من الازوت وبنسبة ثقل قدره ٢٣ جزءا من الاكسيجين الى ٧٧ من الازوت . ويحتوي خلاف ذلك على بخار الماء وأثر من حمض الكربونيك وللجوّ جميع خواص الغازات . ومرونته وكثافته يتناقصان كلما ارتفع الانسان وذلك لأن الهواء جسم ثقيل كباقي الغازات وعليه يجب أن تكون الطبقات السفلى أكثر كثافة وأكثر انضغاطا من الطبقات العليا التي تحمل ثقلها وبالاقتراب من نهاية الجوّ يجب مقابلة طبقات خفيفة للغاية وقليلة المرونة جدا وحرارة الطبقات الجوية تنقص بقدر ١° في كل ١٥٠ مترا أو ٢٠٠ مترا من الارتفاع لغاية ٧٠٠٠ مترا

تقريبا ويظن أن التناقص بعد هذا الارتفاع أقل من ذلك وأن الطبقات الأخيرة ذات حرارة لانخفاض
عن - ٦٠°

وأما ثقل الجو فيمكن تعيينه على وجه التقريب بالاعتبارات الآتية وهي أن الضغط الجوي يتزن بعمود
من الزئبق ارتفاعه ٧٦ سنتيمترا أو بعمود من الماء ارتفاعه ٣٣٤ ر. ١٠ مترا وبناء عليه فالضغط الكلي على
سطح الأرض أعني ثقل الجو يعادل ثقل عمود من الماء قاعدته سطح الأرض وارتفاعه ٣٣٤ و ١٠ مترا
وبفرض أن نصف قطر الأرض المساوي ٦٣٦٦١٩٨ مترا رمزها ρ فتقلل الجو مقدرا بالطول ولأنه يكون

$$4 \rho \times 2 \times 334 = 1000000000 \text{ ر. } 5263 \text{ تقريبا}$$

وهو يعادل ثقل ٥٨٥٠٠٠ مكعب من النحاس كل مكعب ضلعه كيلو متر واحد

﴿ الضوء المنشر ﴾

وللهواء الجوي مزية أخرى مهمة للغاية هي أنه الواسطة في نور النهار قبل أن ترسل لنا الشمس أشعتها
وذلك لأن أجزاءه تعكس الأشعة الضوئية التي تسقط على سطحها في جميع الجهات سواء أتاها هذا الضوء من
الشمس مباشرة أو من انعكاسات سابقة وهذا ما يسمى بالضوء المنشر أو المتفرق
فإذا لم يكن جوفان جميع النقط الأرضية التي لا تكون مستضيئة بالشمس مباشرة والتي لا تتلقى الأشعة التي
تعكسها المادة الأرضية تصير مغمورة في ظلمة تامة ولون السماء الأزرق الذي هو لون الهواء منظورا من سمك
عظيم لا يرى وتصير السماء حالكة السواد ويمكن وقتئذ رؤية النجوم والسيارات وقت الظهر والانتقال من
النهار إلى الليل يحصل دفعة واحدة بمجرد غروب الشمس لا تدريجيا كما هو الحاصل كما أن النهار يمحو ظلمات
الليل بمجرد ظهور الشمس ثانيا في الأفق

﴿ ارتفاع الجو ﴾

إذا كان الجو متجانسا سهل حساب ارتفاعه وذلك أنه لما كان أخف من الزئبق بقدر ١٠٤٦٠ مرة
فإن سمك طبقة الهواء التي تتزن بعمود من الزئبق ارتفاعه ٧٦ سنتيمترا تصير بدهاهة 10460×76 و
أو ٧٠٥٠ مترا تقريبا ولكن ذلك إنما هو نهاية صغرى لان كثافة الهواء تأخذ في النقص كلما ابتعد عن
سطح الأرض والحسابات التي أجراها المعلم (بيوت) المؤسسة على ارصاد غيلوساك وغيره تعين للجو سكا
قدره ٤٨٠٠٠ مترا وهو تقريبا $\frac{1}{2}$ من نصف قطر الأرض

﴿ نعم الضوء بالجو ﴾

شكل القبة السماوية المنحط - إذا كان الجو شفافا للغاية فإن الأشعة الضوئية التي تمر منه لا يعثر بها أدنى
عتمة مهما كان اتجاهها لكن ليس الأمر كذلك . فإن الهواء يعتم الأشعة التي تمر منه شيئا فشيئا وتأخذ هذه
العتمة في الازدياد بالطبع بازدياد كثافة طبقة الهواء فالشعاع الذي يأتي من الأفق يمر من طبقة من الهواء أكتف
من التي يمر منها الشعاع الذي يأتي من السمت بقدر ست عشرة مرة ولهذا السبب يمكننا أن ننظر إلى الشمس
في الأفق وتحمل ضوءها بدون أن يحصل خطر لابصارنا والابخرة الكثيفة الموجودة دائما في الأجزاء السفلى
من الجو تضعف الضوء أيضا وعلى رأى (بوجيه) ضوء الشمس في الأفق أقل منه في السمت بقدر ١٣٥٠ مرة
والضوء الذي يأتي من الأشياء الأرضية الموضوعة في الأفق أو من الكواكب في لحظة شروقها ضعيف
جدا بالنسبة للضوء الذي تبعثه لنا الكواكب الكائنة بجوار السمت ولذلك نرى هذه الكواكب أقرب إلينا
من تلك . ولهذا يظهر شكل القبة السماوية منحط انتهى ما أردته من ذلك الكتاب
وأقول بهذا عرفنا تركيب الهواء وارتفاعه وكثافته وغيرها :

- (١) فالارتفاع يقرب من (٤٨) كيلومترا
 - (٢) والتركيب من الاوزوت والاكسوجين : الأول (٧٧) جزأ والثاني (٢٣) وثقله (٥٨٥) ألف مكعب من النحاس كل مكعب ضلعه كيلومتر
 - (٣) وحرارته تنقص درجة في كل (١٥٠) مترا أو (٢٠٠) وهذا يستمر الى (٧٠٠٠) مترا وبعدها تصير الحرارة (٦٠) درجة
 - (٤) وطبقة الهواء فوق الأرض أكثف من الطبقة البعيدة عنها (١٦) مرة
 - (٥) وضوء الشمس في الأفق أقل منه في السميت (١٣٥) مرة
 - (٦) والضوء الآتي من الكواكب القريبة من الأفق أضعف جدا من الضوء الآتي من الكواكب التي تقرب من سمت الرأس فتكون الأولى أبعد عنا من الثانية
 - (٧) وعليه تظهر قبة السماء منحطة
 - (٨) والهواء الجوى هو السبب في انتشار الأضواء صباحا ومساء
 - (٩) ولولا الهواء لم تكن السماء إلا سوداء نهرا وترى النجوم ظهرا
 - (١٠) ولولاها لاتقل الناس نجاة من الظلام الى النور وبالعكس
- فلنخص هذا الفصل عشر مسائل ، ولكن الكلام على انتشار الضوء هو الذي نحتاج الى الكلام عليه في الفصل الثاني

الفصل الثاني في الكلام على انتشار الضوء من علم الطبيعة

هنا قال صاحبي أريد شرح انكسار الضوء شرحا سهلا بسيطاً يفهمه الجاهل والعالم . فقلت : اعلم أن الامور البسيطة هي أصول الامور العظيمة ، ضع عصا في إناء فيه ماء وانظر ألت تراه أشبه بالمنكسر . فقال أي ور بي . فقلت : هذا هو الانكسار ، فهذه المسألة البسيطة هي أصل الانكسار المذكور في علم الفلك وأصل للسباح والمساء وانتشار النور على الأرض . فقال هذه أمور لاتزال تحتاج الى البيان . فقلت : إذن أريك ذلك عملا فأسمعك ما جاء في كتاب « العلوم الطبيعية » للعلامة (بول برت) الاستاذ في السربون ووزير المعارف العائمة بفرنسا الذي ترجمته الى الانجليزية زوجته ، وقد ترجمت هذا الفصل من ذلك الكتاب فقد جاء تحت هذا العنوان « انتشار الضوء » ما يأتي :

« انظر . أنا الآن معي زجاجة مملوءة ماء وقد وضعت في الماء عودا من القش (انظر شكل ٦)



(شكل ٦)

- | | |
|--|--|
| <p>تجربة (أ)
(عود صغير من القش يظهر للعين انه مكسور في الماء وهذا هو انكسار الضوء)</p> | <p>تجربة (ب)
(إن الشعاع الضوئي في الماء انكسر وصار سببا في أن قطعة القش أخذت تظهر عند التقطة (أ))</p> |
|--|--|

إن العود يظهر في تجربة (أ) كأنه مكسور وهو يقرب من نظر العين من الأفق عند دخوله في الماء . ولا جرم أنك عالم علمنا

ليس بالظن أن العود لم ينكسر ولكنك قلما تقدر أن تحافظ على إحساسك من اتخذاعه بهذا الانكسار وهذه هي التجربة الأولى (التجربة الثانية) (ب) وهو صندوق من التصدير وقد وضعت في أسفله قطعة من النقود وهي (البن) . فعال بإجيمس وقف حتى نظرا بعد طرف من قطعة من النقود أمامك . وها أنا ذا الآن أخذت في صب الماء في الصندوق قليلا قليلا بلطف خيفة أن تنتقل قطعة النقد من مكانها . أخبرني ما الذي شاهدته ؟ فأجاب أنا أشاهد قطعة النقد بحسب الظاهر ترتفع وتتحرك الى جهة (ا) وإنما حصل ذلك لأن أشعة الضوء من قطعة النقد تنعطف وتنثني كما انثنت وانعطفت قطعة العود من القش قليلا فيما سبق هذا معنى انكسار الضوء . وبهذا تم الكلام على الفصل الثاني الذي أنبت به من علم الطبيعة مع إيضاحه والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث في آثار ذلك الانكسار في علم الفلك

أنت أيها الذكي لاحظت العود وهو في الماء وشاهدت أنه في رأي العين قد انكسر والحقيقة أن الانكسار إنما هو في الضوء لأنه متى دخل من جسم أظف الى جسم أكثر حصل له هذا الانكسار وهذه الظاهرة أصبحت مفهومة ، ولكن هل يدور بخلد الأطفال إذ يضعون الأعواد في الماء ويرونها قد انكسرت ويضعون من ذلك ويحبون ، إن هذه المسألة هي أعظم رجة أزلها الله الى الأرض كما سأوضح لك وما هذا العود في الماء المتقدم وانكسار الضوء فيه بالنسبة لانكسار ضوء الشمس في الجو عند ملاقاته الطبقات المعتمة إلا كنسبة الهواء المنطلق في المنزل بهيئة رياح عند إقاد النار فيه فيرتفع الهواء فيعمل عمله هواء آخر من خارج الباب ، فهذه الظاهرة الصغيرة الهوائية في المنزل هي بعينها التي تحصل في خط الاستواء وغاية الأمر أن الشمس تسبديل بالنار هنا ، فالشمس تلج بحرارتها على الهواء فيخف فيرتفع فتأتي الرياح من الشمال والجنوب فتعمل عمل الهواء الذي ارتفع فهكذا نقول هنا ، فاذا رأينا العود لما وضعناه في الماء انعكس في الاناء وظهر لنا أنه مكسور فهذا عينه هو المسمى انكسار الضوء

فاذا رأيت الأرض قد زانها ضوء الصباح قبل طلوع الشمس وزانها الضوء بعد غروب الشمس . وإذا رأيت البلاد الشمالية بعد درجة (٦٦) حين يكون الليل أسبوعا أو شهرا أو شهرين فانك ترى البلاد هناك مستقيمة ضواً بديعا جيلا يفوق في سناء كل جبال وهذا الضوء يبقى بعض أيام أو أسابيع لأن الشمس اذا غربت هناك فانها لاتزال تحت الأفق قريبا من سطح الأرض وهي تدور دورة رحوية . فأسعد هؤلاء بذلك الضوء الجليل الذي يريهم الطرق الثلجية الجليدة وتكون إذ ذاك حركة البيع والشراء منسعة وتكون بحارهم جامدة يمترون على ماثها بأنفسهم ودوابهم

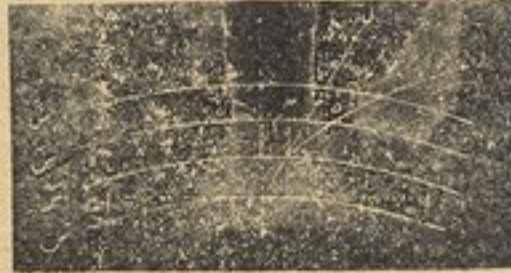
فيا ليت شعري من أين جاءت لهم هذه النعم كلها اجاءت بسبب انكسار الضوء اذا جاء من الجوق اللطيف الى الجوق الكثيف على وجه الأرض . فالكثافة في الجوق كانت أعظم نعمة على الانسان والحيوان و بسببها كان انكسار الضوء فانتشر في الآفاق ، وهاك إيضاح هذا المقام مما جاء في كتاب « الاصول الوافية . في علم القسوموغرافيا المتقدم » تحت العنوان الآتي وهذا نصه :

(انكسار الضوء)

يمتد الضوء على خط مستقيم في وسط متجانس لكن عند ما يقابل شعاع ضوئي السطح الفاصل بين وسطين في اتجاه مائل فانه يزوغ ويسمى هذا الزوغان انكسارا ، واذا مد عمود على السطح الفاص بين وسطين من النقطة التي ينكسر فيها الشعاع الساقط فان هذا العمود والشعاع يعينان مستويا يسمى مستوى السقوط ، وهوذا عن أن يستمر الضوء في طريقه على خط مستقيم يزوغ ويقرب الشعاع الضوئي المكسر أو يبعد عن العمود بدون أن يخرج عن مستوى السقوط فيقرب من العمود اذا حصل المرور من طبقة هوائية الى أخرى

أكتف منها ويبعد في الحالة العكسية

إذا تكرر هذا يمكن قبول أن الجو مركب من طبقات متعددة المركز كشافتها تأخذ في النقص كلما بعدت عن سطح الأرض ولتكن (س وس) السطوح الفاصلة بين هذه الطبقات المختلفة (انظر شكل ٧)



(شكل ٧)

فالشعاع الضوئي الآتي في الاتجاه (ل م) يقرب من العمود بدخوله في الطبقة (س س) وينبع الاتجاه من متلافي (ن) يصنعه زوجان جديد وينبع الاتجاه (ن ق) في الطبقة (س س) وأخيرا يزوغ في (ق) وينبع الاتجاه (ق و) داخل الطبقة (س س) بحيث إن الراصد الموجود في (و) يرى الشيء في الاتجاه (ول) وفي الحقيقة لا ينبع الضوء خطا منكسرا بل خطا منحنيا لأن كثافة طبقات الهواء تأخذ في الازدياد بدرجة غير محسوسة ، والراصد يرى الشيء المضيء (ل) في اتجاه المماس في (د) لحظة السير المنحني وصورة الكوكب أو وضعه الظاهري لا يدل حينئذ على وضعه الحقيقي وبالنسبة للراصد يكون الارتفاع الظاهري للكوكب فوق الأفق أكبر من الارتفاع الحقيقي وتلك هي الظاهرة المسماة بانكسار الضوء وجميع الكواكب توجد بهذه المثابة في غير مواضعها . وحيث أن الخطأ يكون أعظم كلما كانت الطبقات المقطوعة أكثر كثافة وأكثر ميلا بالنسبة للأشعة الضوئية فلا يكون الانكسار واحدا للارتفاعات المختلفة . انتهى الكلام على الفصل الثالث والحمد لله رب العالمين

﴿ نتيجة هذه الفصول الثلاثة ﴾

إن الانسان في الظلمات الثلاث وهو جنين : في بطن الأم وفي الرحم وفي المشيمة قد جعلت هذه رحمة وصيانة له كما أنم عليه وصين بما ملي به جوتا من الغبار والسخان اللذين كانا سببا في انكسار الضوء فأمكننا أن ننظر نور الشمس وقرصها بأعيننا صباحا ومساء وانقشروا نور الصباح والمساء وأشرق الضوء نهارا على أقطار المسكونة . كل ذلك بسبب ذلك الغبار المتخلل طبقات الهواء التي أصبحت أشبه بزجاجة نضعها على أعيننا فتحمّل رؤية الضوء وبها نرى الشمس وقت الصبح أكبر منها وقت الظهر لأن الغبار فوق سطح الأرض أكتف منه في أعلى الجو ، وكل ذلك بسبب انكسار الضوء ، وما هذا الانكسار الضوئي إلا نتيجة الطبقات المعتمة التي ظاهرها انها قتمة وبانها نعمة إذ بدون ذلك لانتهأ لنا الحياة إذ لا انتشار للضوء فلانمنفعة في الحياة ومثل هذا يقال في وساوس الشيطان التي لا تصحكون إلا في قلوب أشربت حب الشهوات وأنواع الشرور فتكون مأوى للنفوس الشريرة التي فارقت الدنيا أو التي من الجن ، فهذه الوساوس انما تجول في قلوب استعدت لها كما استعدت عين الأرمد القدر لولوج الذباب بها سواء بسواء

فاذا ساعدت الملائكة الانسان بأنحاء الزرع وحفظ العوالم ، فهكذا من نتائج وجودها لآدم المذكور في آخر (سورة ص) كما ترى دود القز والنحل والحيل والبغال والخيول والطيور آكلات السمك كلها مساعداً

لنا على هذه الحياة ، وإذا رأينا الشياطين يوسوسون للناس فانهم لم يفعلوا شيئاً أكثر مما فعلت فينا الاسود والنور والحيوانات الذرية المحدثات للطواعين في الأرض . فكما تحارب حيوانات الطاعون بعلمونا وأعمالنا هكذا تحارب وساوس الشيطان بما عرفنا من العلوم وبالحد

إن حياتنا على الأرض نفسها نعمة كبرى لولاها لم نعقل هذه العوالم المحيطة بنا ولقد عرفناها بحواسنا الخمس التي اقسمت المعارف المحسوسة قسمة عادلة كما في فن المقولات الشروح في هذا التفسير مراراً وأما هذه المعارف تنبعث الى النفس فتكون صورها علوماً ولن يكون ذلك إلا بهذه الصور الانسانية المحسوسة في ظلمات ثلاث في الجنين وفي (١٦) ظلمة في الجؤ اذا صار رجلاً وظلمات كثيرة في النفس من حيث الأخلاق فهذه الظلمات طبقات يترشح منها ويتخللها بعض المعلومات فترفع النفس شيئاً فشيئاً في أثناء الحياة حتى اذا مات الانسان وجد انه أصبح أرقى مما كان عليه في الحياة وهذا هو الذي غاب عن ملائكة الأرض إذ قالوا - أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك - قال لهم إني أعلم ذلك ولكني ربيتم في تلك الشرور وأعطيتهم تجارب وعلوماً في أثناء ذلك فأنا أعلم ما لا تعلمون . الأترون انهم يعرفون أسماء الأشياء الجزئية في الأرض وأنتم لا تعلمونها . إذن هذا العمل لحكمة عظيمة . فأنا وان غمستهم وغمرتهم في الظلمات لم أفعل ذلك احتقاراً لأنفسهم بل جعلته أشبه بالمنظار بوضع على العين لأنهم لا يطبقون جميع العلوم مرة واحدة . فأنا ما خلقت هذا باطلاً . وهذا قوله تعالى - قل يا آدم أسماهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم ما لا تعلمون -

اللهم إني أحمدك قد كشفت لنا حجاب هذه المسائل العويصة وسهلت السبل بطبعها ونشرها . وهذا آخر القول في هذا المقام والحمد لله رب العالمين . كتب في نصف ليلة الاثنين (٨) من شهر سبتمبر سنة ١٩٣٠

وهنا سألتني ذلك العالم صديقي قائلاً : أنا الى الآن لم أفهم الحجب الستة عشر ولا الحجب التي تبلغ نحو مائة وانما فهمتها فيما إجاباليا . نعم عرفت الظلمات الثلاث وهي البطن والرحم والمشيمة ، ولكن تلك الست عشرة ظلمة وما بعدها لم تتضح لي . فقلت : إن ما تقدمت واضح ولكنك أنت تريد ما هو أوضح . فقال : هو ذلك . فقلت : ألم أذكر لك فيما تقدم هنا عن علماء الفلك أن الجؤ الذي هو أقرب إلى الأرض تكون كثافة عبارها أكثر من كثافة ما هو أعلى (١٦) مرة قال بلى . قلت : فهذه هي (١٦) حجائنا أو ظلمة وأزيد عليه فأقول اقرأ ما تقدم في (سورة فاطر) ألم ترى إلى (شكل ١٦) من الأشكال التي رسمت هناك لإيضاح آية - والله خلقكم من تراب ثم من نطفة - الخ وكيف ترى فيه النسيج الهدبي البطن للقصبة الهوائية قد جعل أشبه بالكناسين والزبالين لأن تلك الأهداب تتحرك ليلاً ونهاراً من الداخل الى الخارج لتخرج الغبار الداخل مع النفس لتلا تفسد الملكة الرئوية الخادمة للملكة الدوية . قال نعم أتذكر ذلك وقرأته وماذا يفيدنا ؟ قلت : ثم انظر الى (سورة ص) وقد جاء في آخرها - فبعضتك لأغوينهم أجمعين - وتأمل ما كتبت هناك عن (هيج) الانجليزي و (كاتاني التلياني) و (كوهن الألماني) وطبيب نطاسي فرنسي . ألم أذكر لك في الكلام المنقول عن أحد هؤلاء أن الغبار والدخان الداخلين في الرئة يكونان سبباً في فساد صحة البدن وبذلك تحدث الأمراض ، وهذا الغبار والدخان الداخلان في الرئة يفعلان ما تفعله جميع الماء كل القوة التغذية كاللحم والبيض وتفعلان فعل المواد الأخرى المركبة من أنواع الحلوى والتوابل ، فهذه كلها هي التي تجعل في العروق سدوداً وحواجز وتلك السدود والحواجز تفعل في الجسم ما تفعله السدود في المساق فيحصل الهلاك للزرع تارة بالفرق وتارة بقله الماء وتكون هالك الأمراض المختلفة المفضية من الساميل والقروح والسرطان والجذام والبرص والصداع وما أشبهها مما لا حصر له . فقال نعم تقدم هذا . قلت : فحينئذ غبار الجؤ ودخانه ضار إن بنا

ولأجل هذا الضرر جعل الله في باطن القصة الهوائية أهدابا لتطرد ذلك الضار وخلق أطباء يوقظوننا لأجل هذه المهلكات ويقولون : « تباعدوا عن غبار الطرقات وعن الدخان وعن كل ما فيه روائح ضارة » . قال نعم . فقلت : إذن هذه المواد الغريبة في الهواء ضارة . إذن هي حجب بيننا وبين الصحة وبيننا وبين السعادة وظلمات تفتى على ضوء الشمس فيكون ضوءها صابحا أقل منه وقت الظهيرة لأن الغبار والدخان وأمثالهما يكونان أقرب الى وجه الأرض ويفصلان بين عيوننا وبين الشمس فتصغر عيوننا الضوء ويحصل هنا منافع لاحد لها . فهنا ضرر محقق ومنافع محققة . فلنا فاع هي أن الشمس يظهر نورها رويدا بالتدريج كما تقدم ويكون صبح وشفق الى آخر ما تقدم ، ولولا هذا الضار وهي الحجب لم نهأ لنا الحياة على الأرض لأن الضوء لا ينتظم توزيعه على الأرض . فأرواحنا في أجسامنا لا تقدر على مواجهة ضوء الشمس بدون تدريج وهذا وضوح وضوحا تاما كما تقدم ، إذن لا فرق بين الظلمات الثلاث للجنيين وبين الظلمات الست عشرة للرجال والنساء ، فهذه وتلك جيء بها لأن المصلحة قضت بذلك

بقيت مسألة الظلمات والحجب الآتية من الوسوسة الشيطانية وهي كاللقدمة سواء بسواء . إن الانسان مخلوق غريب جدا فهو من جهة ملك ومن جهة بهيمة ومن جهة شيطان . وهذه الاصول الثلاثة تفرعت عنها أخلاق فاضلة وأخرى ناقصة قد تقدم أكثرها في « سورة البقرة » عند قصة آدم فارجع اليها هناك وهذه مشروحة في الربع الثالث والرابع من الاحياء فالثالث للاخلاق الناقصة والشورور والرابع للاخلاق الفاضلة . والأخلاق الفاضلة تكون لغلبة القوة الملكية على القوتين الأخرين والانسان من حيث انه ملكي إلهي يكون حكما ذكيا جليل الخلق . ومن حيث انه بهيم يكون بخيلا طماعا جانا حائنا كاذبا . ومن حيث انه شيطان يكون معاندا حقودا حسودا ظلوما متهورا . فهذه أخلاق الشياطين . وما قبلها أخلاق البهائم . والأولى أخلاق الملائكة . وقد فصل الأخلاق الشريرة في العدة الى نحو المائة واليها الاشارة في بعض الآثار الى التين الذي له (٩٩) رأسا بها ينش ابن آدم . فهذا التين الآن موجود وينتدى نهسه للانسان في هذه الحياة من حقد ودغل وطمع وغش وكذب وزور وبهتان وغيبة ونميمة ، فهذه كلها طباع شريرة تؤذي صاحبها في الحياة وتظهر نتائجها بعد الموت ، فهذه كلها حجب تحجب الانسان عن معرفة الحقائق ، ولولا هذه الموانع لاطلعت أرواحنا الملكية العالية في أصلها على المعارف مرة واحدة فهلكت كما يموت من اطلع على كنز مرة واحدة وكان ضعيف النفس وهكذا ، فهذه حجب خلقت فينا لمصلحتنا فإله كما خلق الظلمات في الرحم لمنافع الجنين وخلق القبار والدخان في الجوف القريب من الأرض وهو ضار بنا ليحول بين أعيننا وبين الشمس لئلا تستضر بها ولمنافع أخرى تقدمت ، هكذا نراه خلق فينا شهوات البهائم ورضايل الشياطين لتكون بمثابة مانع وحاجب يحجب عنا الحقائق حتى لانهلك

فلما سمع صاحبي ذلك قال : اللهم إني أحمدك جدا يوافي نعمك وضرب كفا على كفا وقال والله لقد انحلت بهذا مشكلات الدين والدنيا ، أكثر الناس يعيشون ويموتون وهم جاهلون ، ويظهران هذا التفسير قد فتح ما كان مقفلا على أكثر الناس ، ههنا عرفنا الدين والدنيا وعرفنا الحقائق وبامتزاج العلوم الطبيعية بالعلوم الدينية أدركنا حقائق جهلناها أم وأم ، إذن أصبحت الوسوسة والذنوب كلها لحكمة ، وإذا قبست بالظلمات الثلاث في الرحم والظلمات الست عشرة في الجوف فقد انحلت المشكاة ، إذن الناس يوم القيامة في البرزخ يوضعون في أماكن استحقوها بحسب استعدادهم ، وما جهنم إذن إلا مكان تعيش فيه نفوس ناقصة لا تقدر أن تعيش في غيرها كما يعيش السمك في البحر . وهذا سر عظيم لم يتضح إلا في هذا التفسير بل هذا الذي به نفهم « بسم الله الرحمن الرحيم » ونفهم - ورحمتي وسعت كل شيء - ومن عجب أن الظلمات الثلاث بضرها في (٥) نصير (١٥) وهي تقرب من (١٦) و (١٦) بضرها في (٥) نصير (٨٠)

(٨٠) تعرب من الأخلاق الرديئة التي قلتم انها تقرب من مائة وبهذا تجلت الحقائق . فقلت : الحمد لله رب العالمين . انتهت اللطائف التي جعل كل طائفة منها خاصا بقسم من أقسام السورة

﴿ اللطائف العامة لأقسام السورة كلها ﴾

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

(في قوله تعالى - خلق السموات والأرض بالحق يكفور الليل على النهار - الخ مع قوله - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع - والكلام على السنة الشمسية والبروج والمنازل وسير القمر)
جاء في كتاب « صبح الأعشى » مانعه :

اعلم أن للشمس حركتين : سريعة وبطيئة . أما السريعة فحركة فلك الكتل بها في اليوم والليالي من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق ، وتسمى الحركة اليومية . وأما الحركة البطيئة فقطعها فلك البروج في سنة شمسية من الجنوب إلى الشمال ومن الشمال إلى الجنوب . وتعلم أن جهة المشرق وجهة المغرب لانتغيران في أنفسهما بل جهة المشرق واحدة وكذلك جهة المغرب . وإن اختلفت مطالعتهما . قال تعالى - رب المشرق والمغرب - أي جهة الشروق وجهة الغروب في الجملة . إلا أن الشمس لها غاية ترتفع إليها في الشمال وتلك الغاية مشرق ومغرب وهو مشرق الصيف ومغربه . ومطلعها حينئذ بالقرب من مطلع السماك الراجح . ولها غاية تنحط إليها في الجنوب . وتلك الغاية أيضا مشرق ومغرب . وهو مشرق الشتاء ومغربه . ومطلعها حينئذ بالقرب من مطلع بطن العقرب . وهذان المشرقان والمغربان هما المراد بقوله تعالى - رب المشرقين ورب المغربين - وبين هاتين الغابتين مائة وثمانون مشرقا ويقابلها مائة وثمانون مغربا . ففي كل يوم تطلع في مطلع من المشرق غير الذي تطلع فيه بالأمس . وتعرب في مغرب غير الذي تعرب فيه بالأمس . وذلك قوله تعالى - رب المشرق والمغرب - ونقطة الوسط بين هاتين الغابتين . وهي التي يعتدل فيها الليل والنهار يسمى مطلع الشمس فيها مشرق الاستواء . ومغرب الاستواء . ومطلعها حينئذ بالقرب من مطلع السماك الأعزل . وقد قسم علماء الهيئة ما بين غاية الارتفاع وغاية الهبوط اثني عشر قسما . قالوا والمعنى في ذلك أن الشمس في المبدأ الأول لما سارت مسيرها الذي جعله الله خاصا بها قطعت دور الفلك التاسع في ثلثائة وستين يوما . وسميت جملة هذه الأيام سنة شمسية ورسمت بحركتها هذه في هذا الفلك دائرة عظيمة على ما توهمه أصحاب الهيئة . وقسمت هذه الدائرة إلى ثلثائة وستين جزءا وسموا كل جزء درجة . ثم قسمت هذه الدرجة إلى اثني عشر قسما على عدد شهور السنة . وسموا كل قسم منها برجاً . وجعلوا ابتداء الأقسام من نقطة الاعتدال الربيعي . لاعتدال الليل والنهار عند مرور الشمس بهذه النقطة . ووجدوا في كل قسم من هذه الأقسام نجوما تشكل منها صورة من الصور فسموا كل قسم باسم الصورة التي وجدوها عليه . وكان القسم الأول الذي ابتدوا به نجوما إذا جمع متفرقا تشكلت صورة حمل . فسموها بالحمل وكذلك البواقي . فل صاحب مناهج الفكر : وذلك في أول ما رددوا . وقد انتقلت الصور عن أمكنتها على ما عزموا فصار مكان الحمل الثور . وهي تنتقل على رأي بطليموس في ثلاثة آلاف سنة وعلى رأي المتأخرين في أثنى سنة . إذا علمت ذلك فاعلم أن السورة الفلسفية في العروض الشمالية تنقسم إلى ثلثائة وستين درجة . كما تقدمت الإشارة إليه . والسنة ثلثائة وستون يوما منقسمة على الاثنى عشر برجاً المتقدم ذكرها . لكل برج منها ثلاثون يوما . وتوزع عليها خمسة أيام والربع يوم . والليل والنهار يتعاقبان بالزيادة والنقصان بحسب سير الشمس في تلك البروج فانقص من أحدهما ربيع في الآخر . وذلك أنها اذا حلت في رأس الحمل وهي آخذة في الارتفاع إلى جهة الشمال . وذلك في السابع عشر من

برمها من شهور القبط . ويوافق الحادي والعشرون من آذار من شهور السريان . وهو مارس من شهور
الروم . والرابع والعشرون من حرداد من شهور الفرس . اعتدل الليل والنهار . فكان كل واحد منهما
مائة وثمانين درجة . وهو أحد الاعتدالين في السنة . ويسمى الاعتدال الربيعي . لوقوعه أول زمن الربيع
فيزيد النهار فيه في كل يوم نصف درجة . وينقص الليل كذلك . فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما
خمس عشرة درجة . ونقص الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة وخمس وتسعين درجة . والليل
على مائة وخمس وستين درجة . ثم تنقل إلى الثور فيزيد النهار فيه كل يوم ثلث درجة وينقص الليل كذلك
فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما عشر درجات ونقص الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائتين
وخمس درجات . والليل على مائة وخمس وخسين درجة . ثم تنقل إلى الجوزاء فيزيد النهار فيها كل يوم
سدس درجة وينقص الليل كذلك . فتكون زيادة النهار فيها لمدة ثلاثين يوما خمس درجات . ونقص الليل
كذلك . ويصير النهار بآخرها على مائتين وعشر درجات والليل على مائة وخسين درجة . وذلك غاية ارتفاعها
في جهة الشمال . وهذا أطول يوم في السنة وأقصر ليلة في السنة . ويسمى سير الشمس في هذه البروج الثلاثة
شماليا صاعدا : لصعودها في جهة الشمال ثم تنقل الشمس إلى السرطان وتكرّر راجعة إلى جهة الجنوب .
ويسمى ذلك المنقلب الصيفي . وذلك في العشرين من بؤنة من شهور القبط . ويبقى من حزيران من شهور
السريان . ويونيه من شهور الروم خمسة أيام . وحينئذ يأخذ الليل في الزيادة والنهار في نقص النهار
فيه كل يوم سدس درجة . ويزيد الليل كذلك . فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس درجات ،
وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائتين وخمس درجات . والليل على مائة وخمس وخسين
درجة . ثم تنقل إلى الأسد فينقص النهار فيه كل يوم ثلث درجة . فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما
عشر درجات . وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة وخمس وتسعين درجة . والليل على
مائة وخمس وستين درجة . ثم تنقل إلى السنبلة فينقص النهار فيها كل يوم نصف درجة . ويزيد الليل كذلك
فيكون نقص النهار فيها لمدة ثلاثين يوما خمس عشرة درجة . وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بآخرها
على مائة وثمانين درجة والليل كذلك . فيستوى الليل والنهار . ويسمى الاعتدال الخريفي . : لوقوعه في أول
الخريف . ويسمى سير الشمس في هذه البروج الثلاثة شماليا هابطا . فطوبها في الجهة الشمالية . ثم تنقل إلى
الميزان في الثامن عشر من ثوت من شهور القبط . وهي آخذة في الهبوط والنهار في النقص والليل في الزيادة
فينقص النهار فيه كل يوم نصف درجة . ويزيد الليل كذلك . فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس
عشرة درجة . وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة وخمس وستين درجة والليل على مائة
وخمس وتسعين درجة ، ثم تنقل إلى العقرب . فينقص النهار في كل يوم ثلث درجة . ويزيد الليل كذلك
فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما عشر درجات . وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة
وخمس وخسين درجة ، والليل على مائتين وخمس درجات . ثم تنقل إلى القوس . فينقص النهار فيه كل يوم
سدس درجة . ويزيد الليل كذلك . فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس درجات ، وزيادة الليل
كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة وخسين درجة . والليل على مائتين وعشر درجات . وهو أقصر يوم
في السنة وأطول ليلة في السنة . وذلك غاية هبوطها في الجهة الجنوبية . ويسمى سير الشمس في هذه البروج
جنوبيا هابطا . فطوبها في الجهة الجنوبية . ثم تنقل إلى الجدي في السابع عشر من كيهك وتكرّر راجعة فتأخذ
في الارتفاع وتأخذ النهار في الزيادة والليل في النقص . فيزيد النهار فيه كل يوم سدس درجة . وينقص
الليل كذلك فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس درجات ونقص الليل كذلك . ويصير النهار
بآخره على مائة وخمس وخسين درجة . والليل على مائتين وخمس درجات . ثم تنقل إلى الدلو . فيزيد

النهار فيه كل يوم ثلث درجة . وينقص الليل كذلك . فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوماً عشر درجات ونقص الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة وخمس وستين درجة والليل على مائة وخمس وتسعين درجة . ثم تنقل إلى الحوت فيزيد النهار فيه كل يوم نصف درجة وينقص الليل كذلك . فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوماً خمس عشرة درجة ونقص الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة وثمانين درجة والليل كذلك . فيستوى الليل والنهار وهو رأس الحمل وقد تقدم . ويسمى سير الشمس في هذه البروج الثلاثة جنوباً صاعداً : لصعودها في الجهة الجنوبية . وهذا شأنها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . وهذا العمل إنما هو في مصر وأعمالها . فإذا اختلفت العروض كان الأمر في الزيادة والنقصان بخلاف ذلك والله أعلم

وقد تقدم بعض هذا ولكن ما ذكرناه هنا أضبط وأوضح وهو من صبح الأعرشى . ما أعجب هذا النظام والاتقان . فانظر كيف انتظم الحساب لانتظام السبر وعلى مقتضاه رتب الناس شهورهم . فلقب شهورهم والشهران شهوراً مخالفهم وهكذا الروم وهاك بيانها (انظر هذا الجدول)

شهور الروم	شهور السريان	شهور القبط
منسوبة لأغسطس ملك الروم	منسوبة للاسكندر	منسوبة لداقسطيانوس الملك
أغسطس	بوافق أوله ٢٠ آب الموافق لشهر	توت
سبتمبر	» ٢٧ ايلول »	بابه
أكتوبر	» ٢٧ تشرين الأول »	هانور
نوفمبر	» ٢٦ تشرين الثاني »	كبهك
ديسمبر	» ٢٦ كانون الأول »	طوبه
يناير	» ٢٥ كانون الثاني »	أمشير
فبراير	» ٢٤ شباط »	برمهات
مارس	» ٢٦ آذار »	برموده
أبريل	» ٢٥ نيسان »	بشفس
مايو	» ٢٥ أيار »	بؤنه
يونيو	» ٢٤ حزيران »	أيب
يوليو	» ٢٤ تموز »	مسرى

وقد نظم الشيخ ابراهيم الدهشوري شهور السريان فقال :

وَأَبْدَأُ بِأَيْلُولٍ مِنَ السَّرْيَانِي • تَشْرِينُ الْأَوَّلُ يَتَّبِعُهُ الثَّانِي
كَانُونُ كَانَونُ شَبَابُ يَطْلَعُ • آذَارُ نَيْسَانُ أَيَّارُ يَتَّبِعُ
ثُمَّ حَزْرِيَانُ وَتَمُوزُ وَأَبُ • تَبَارَكَ الرَّحْمَنُ يَهْدِي مِنَ احْتَبُ

وقد نظم أيضاً الشيخ المذكور شهور الروم فقال :

بَسْبِرُ فَبْرِيْرُ مَارَسُ لِلرُّومِ • لِأَرْبِيلُ مَايُهُ خَلَسَ لِلْمَعْلُومِ

يُنْبِئَةٌ وَيُنْبِئَةٌ ثُمَّ أَغْشَتْ شَتْمِيرٌ • أكتوبر نوفمبر دجنبر

وقد نظم الشيخ أبو عبد الله الكيراني أياتاً ذكر فيها الأشهر التي تكون ثلاثين يوماً والناقصة عنها ولم يتعرض للزائدة عنها فقال :

شهور الروم ألوان • زيادات وتقصان

فتشرينهم الثاني • وأيلول وَيَسَّانُ

ثَلَاثُونَ ثَلَاثُونَ • سَوَاءٌ وَخَزِيرَانُ

شِبَاطُ خُصُّ بِالنَّقْصِ • وقدر النقص بومان

قد سماها شهور الروم لموافقها لها والافهى للسريان اه

(الكلام على المنازل)

جاء في كتاب صبح الأعشى مانصه

ان النهار الطبيعي أوله طلوع الشمس وآخره غروبها . والنهار الشرعي أوله طلوع الفجر الثاني وآخره غروب الشمس . فيخالفه في الابتداء ويوافق في الانتهاء . وطلوع الشمس وغروبها ظاهر يعرفه الخاص والعالم ، أما الفجر فان أمره خفي لا يعرفه كل أحد . وقد تقدم انقسامه الى كاذب . وهو الأول ، وصادق . وهو الثاني . وعليه التعويل في الشرعيات . فيحتاج الى توضيح يوضحه ويظهره للعيان وقد جعل المنجمون وعلماء الميقاته نجوما تدل عليه بالطلوع والغروب والتوسط . وهي منازل القمر ، وعدتها ثمان وعشرون منزلة . وهي الشيطان^(١) والبطين^(٢) والثريا ، والذبران^(٣) والمهقعة^(٤) والمهقعة^(٥) والسرّاع ، والنثرة^(٦) والطرف . والجبهة والمخرتان^(٧) والصرقة^(٨) والعواء^(٩) والسماك^(١٠) والغفر^(١١) والزابان^(١٢) والاكيل . والقلب . والشولة^(١٣) والنعام . والبلدة^(١٤) وسعد الذابح . وسعد بلع^(١٥) وسعد السعود . وسعد الاخبية . والفريغ المقدم . والفريغ المؤخر . وبلن الحوت . والمعنى في ذلك أن الشمس إذا قربت من كوكب من الكواكب الثابتة أو المتحركة سترته وأخفته عن العيون . فصار يظهر^(١٦) نهاراً ويختفي ليلاً ويكون خفاؤه غيبته . ولا يزال كذلك خافياً إلى أن تبعد عنه الشمس بعدا يمكن أن يظهر معه للأبصار وهو عند أول طلوع الفجر فان ضوء الشمس يكون ضعيفا فيفتد فلا يظلم نور الكوكب فيرى الكوكب في الأفق الشرقي ظاهرا . وحصة كل منزلة من هذه المنازل من السنة ثلاثة عشر يوما وربع سبع يوم ونصف ثمن سبع يوم على التقريب كما سيأتي^(١٧) على المنازل الثمانية والعشرين خص كل منزلة ما ذكر من العدد والكسور ولما كان الأمر كذلك جعل لكل منزلة ثلاثة عشر يوما : وهي ثلاث عشرة درجة من درج الفلك وجع مافضل من الكسور على كل ثلاثة عشر يوما بعد انقضاء أيام المنزل الثمانية والعشرين فكان يوما وربعما فجعل يوما في المنزلة التي توافق آخر السنة وهي الجبهة فكان حصتها أربعة عشر يوما . وبقى ربع يوم ونسيء أربع سنين حتى صار يوما فزيد على الجبهة أيضا . فكانت كواكب المنازل^(١٨) للذكورة تطلع مع الفجر منها أربعة عشر يوما ثلاث سنين وفي السنة الرابعة تطلع بالفجر خمسة عشر يوما وهالك ملخص ما ذكره في حسابها

(١ و ٣ و ٧) فتحتين (٢) مصفر (٤) ٥ و ٦ و ٨ و ١١ و ١٣ و ١٤) بفتح فسكون (١٢) بضم أوله (١٥)

بضم ففتح (٩) بفتح فنته (١٠) مثل كتاب

(١٦) لعله يختفي نهارا ويظهر ليلا . ومع ذلك بقية العبارة غير واضحة .

(١٧) كذا في الأصل ولعله فان أيام السنة اذا قسمت على الخ .

(١٨) كذا في الأصل ولعله (المنزلة) انتهى مؤلفه

شهور الردم	شهور السريان	شهور القبط	المنازل
ابريل	١٨ نيسان	٢٣ برمودة	الشرطان أول طلوعها بالفجر
مايه	أول ايار	٦ بشنس	البطين أول طلوعها بالفجر
»	١٤ ايار	١٩ بشنس	التريا أول طلوعها بالفجر
»	٢٦ ايار	٢ بؤنه	الدبران أول طلوعها بالفجر
بويه	٩ حيران	١٥ بؤنه	الحقعه أول طلوعها بالفجر
»	٢٢ »	٢٨ بؤنه	الطنعه أول طلوعها بالفجر
بوليه	٥ تموز	١١ أيب	الفرع أول طلوعها بالفجر
»	١٨ »	٢٤ أيب	الثرة أول طلوعها بالفجر
»	آخر تموز	٧ مسرى	الطرف أول طلوعها بالفجر
أغسطس	١٣ آب	٢٠ مسرى	الجبهة أول طلوعها بالفجر
»	٢٧ آب	٤ من أيام النسيء وفي السنة الكبيسة في ٥ من	الخمرتان أول طلوعها بالفجر
سبتمبر	٩ ايلول	١٢ توت	الصرغه أول طلوعها بالفجر
»	٢٢ ايلول	٢٥ توت	العقواء أول طلوعها بالفجر
اكتوبر	٥ تشرين الأول	٨ بايه	السماك أول طلوعها بالفجر
»	١٨ تشرين الأول	٢١ بايه	الغفر أول طلوعها بالفجر
»	آخر يوم من تشرين الأول	٤ هاتور	الزبانان أول طلوعها بالفجر
نوفمبر	١٣ من تشرين الثاني	١٧ هاتور	الاسكيل أول طلوعها بالفجر
»	٢٦ تشرين الثاني	آخر يوم من هاتور	القلب أول طلوعها بالفجر
ديسمبر	٩ كانون الأول	١٣ كيهك	الشوله أول طلوعها بالفجر
»	٢٢ كانون الأول	٢٦ كيهك	النعائم أول طلوعها بالفجر
يناير	٤ كانون الثاني	٩ طوبه	البلده أول طلوعها بالفجر
»	١٧ كانون الثاني	٢٢ طوبه	سعد الذابح أول طلوعها بالفجر
»	٣٠ كانون الثاني	٥ أمشير	سعد بلع أول طلوعها بالفجر
فبراير	١٢ شباط	١٨ أمشير	سعد السحود أول طلوعها بالفجر
»	٢٥ شباط	أول برمهاث	سعد الأخيه أول طلوعها بالفجر
مارس	٧ آذار	١٤ برمهاث	الفرغ المقدم أول طلوعها بالفجر
»	٢٢ آذار	٢٧ برمهاث	الفرغ المؤخر أول طلوعها بالفجر
ابريل	٥ نيسان	١٠ برمودة	بطن الحوت أول طلوعها بالفجر

هذه هي المنازل من حيث نزول الشمس فيها . فما أجل حسابها السهل ونظامها الجيب . فذا أردنا أن
نعرف أين تكون الشمس في أي منزلة فلأمر ظاهر واضح فلنعرف الشهر واليوم بحصل المطلوب
(الكلام على القمر والمنازل بالنسبة له)

جاء في كتاب صبح الأعشى مانصه

وأما حركته البطيئة . فحركته من جهة الشمال إلى جهة الجنوب ، ومن جهة الجنوب إلى جهة الشمال
وتنقله في المنازل الثمانية وعشرين في ثمانية وعشرين يوماً بلياليها كالشمس في البروج قال تعالى - والقمر
قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم - فما تقطعه الشمس من الشمال إلى الجنوب وبالعكس في جميع السنة
يقطعه القمر في ثمانية وعشرين يوماً . والمنازل للقمر كالبروج للشمس . وذلك أنه لما اتصل إلى الغرب ما حققه
القدماء برصدهم من الكواكب الثابتة . وكان لاغنى لهم عن معرفة كواكب ترشدهم إلى العلم بفصول السنة
وأزمنتها رصدوا كواكب وامتحنوها . ولم يستعملوا صور البروج على حقيقتها : لأنهم قسموا فلك الكواكب
على مقدار الأيام التي يقطعه التمر فيها ، وهي ثمانية وعشرون يوماً ، وطلبوا في كل قسم منها علامة تكون
أبعاد ما بينها وبين العلامة الأخرى مقدار مسير القمر في يوم وليلة . وسموها منزلة إلى أن تحقق لهم ثمانية
وعشرون على ما تقدم ذكره في الكلام على طلوعها بالفجر : لأن القمر إذا سار سيره الوسط انتهى في اليوم
التاسع والعشرين إلى الحاق الذي بدأ منه . فحذفت المتكرر . فبقي ثمانية وعشرون ويزاد بالشرطين : لأن
كواكب من جملة كواكب الحمل : الذي هو أول البروج . ثم هذه المنازل على قسمين . شمالي وجنوبي كما في
البروج ، وكل قسم منها أربع عشرة منزلة . فالشمالي منها ما كان طلوعه من ناحية الشام . وتسمى الشامية ،
وهو ما كان منها من نقطة الاعتدال . التي هي رأس الحمل والميزان صاعداً إلى جهة الشمال ، وهي السرطان ،
والبطين والثريا . والبران . والحقة . والهنعة . والذراع . والثرة . والطرف . والجبهة . والخرتان . والصرقة .
والعواء . والسماك . وبتلوعها يطول الليل ويقصر النهار . والجنوبي منها ما كان طلوعه من ناحية اليمن وتسمى
اليمانية . وهو ما كان منها من نقطة الاعتدال المذكور هابطاً إلى جهة الجنوب . وهي الغفر . والزبانان .
والاكيل . والقلب . والشولة . والنعام . والبلدة . وسعد الذابح . وسعد بلع . وسعد السعود . وسعد الأخبية .
والفرغ المقدم . والفرغ المؤخر . وبتلوعها يقصر الليل ويطول النهار .

ثم المنزلة عند المحققين قطعة من الفلك مقدارها ربع سبع الدور . وهو جزء من ثمانية وعشرين جزءاً من
الفلك عبارة عن (١) لاعتن الكواكب . وإنما الكواكب حدود تفرق بين كل منزلة وأخرى . فعدل
بالسمية إليها وغلبت عليها .

ونزول القمر في هذه المنازل على ثلاثة أحوال إما في المنزلة نفسها وإما فيما بينها وبين التي تليها وإما محاذياً
لها خارجاً عن سمت شمالاً أو جنوباً . وقد تقدم الكلام على عدول القمر عن بعض المنازل ونزوله في غيرها .
ولتعلم أن المنازل مقسومة على البروج الاثني عشر موزعة عليها : فالسرطان والبطين وثلاث الثريا للمحمل .
وثلاث الثريا والبران وثلاث الحقة للثور وثلاث الحقة والهنعة والذراع للجوزاء . والثرة والطرف وثلاث الجبهة
للسرطان . وثلاث الجبهة والخرتان وثلاث الصرقة للأسد . وثلاث الصرقة والعواء والسماك للسنبلة . والغفر والزبانان
وثلاث الاكيل للميزان وثلاث الاكيل والقلب وثلاث الشولة للعقرب . وثلاث الشولة والنعام والبلدة للقوس .
وسعد الذابح وسعد بلع وثلاث سعد السعود للجدى (٢) وثلاث الفرغ المقدم والفرغ المؤخر وبتلوع الحوت للحوت .
إذا علمت ذلك فافان أردت أن تعرف القمر في أي منزلة هو أو كم مضى له فيها من الأيام . فخذ ما مضى من سنة

(١) يياض بالأصل .

(٢) يظهر أن فيه سقطاً هو . وثلاث سعد السعود وسعد الأخبية وثلاث الفرغ المقدم للذو .

القبط شهورا كانت أو أيما أو شهورا وأيما وأبسطها أيما . وأضف الى ما حصل من ذلك يومين . ثم اطرح المجموع ثلاثة عشر ثلاثة عشر . وهو عدد لبث القمر في كل منزلة من الأيام . واجعل أول كل منزلة من العدد الخرتان . فما بقي من الأيام دون الثلاثة عشر فهو عدد ماضى من المنزلة التي انتهى العدد إليها .

مثال ذلك أن يمضى من سنة القبط شهر ثوت وأربعة أيام من بابها فتبسطها أيما تكون أربعة وثلاثين يوما فتضيف إليها يومين نصير ستة وثلاثين يوما فاطرح منها ثلاثة عشر مرتين بستة وعشرين للخرتان منها ثلاثة عشر وللصرفة ثلاثة عشر تبقى عشرة . وهي ماضى من المنزلة الثالثة وهي العواء .

وإن أردت أن تعرف في أى برج هو فأحسب كم مضى من الشهر العربي يوما وزد عليه مثله ثم زد على الجلة خمسة وأعط لكل برج خمسة وأبدأ من البرج الذى فيه الشمس فأعط لكل برج خمسة فأبنا فحسابك فالقمر في ذلك البرج . والاعتقاد في ذلك على كم مضى من الشهر العربي بالحساب دون الرؤية والله أعلم

﴿ الكلام على أحوال الأهلة التي عليها مدار الشهور في ابتدائها وانتهائها ﴾

واعلم أن مسير القمر مقدر بمعرفة الشهور والسنين قال تعالى - فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب - والشمس تعطيه في كل ليلة ما يستضيء به نصف سبع قرصه حتى يكمل ثم تسلبه من الليلة الخامسة عشرة كل ليلة نصف سبع قرصه حتى لا يبقى فيه نور فيستتر . وروى عن جعفر الصادق رضى الله عنه أنه سئل عن القمر فقال : يمحق كل ليلة ويولد جديدا ، ويبعد مثل هذا عن جعفر الصادق . إذا علمت ذلك فالقمر حركتان : سريعة وبطيئة كما تقدم في الشمس . أما الحركة السريعة فحركة تلك الكل به من المشرق الى المغرب . ومن المغرب الى المشرق في اليوم واليلة . واعلم أن الهلال إذا طلع مع غروب الشمس كان مغيبا على ماضى ستة أسابيع ساعة من الليل . ولا يزال مغيبه يتأخر عن مغيبه في كل ليلة ماضية هذا المقدار حتى يكون مغيبه في الليلة السابعة نصف الليل . وفي الليلة الرابعة عشرة طلوع الشمس ثم يكون طلوعه في الليلة الخامسة عشرة على ماضى ستة أسابيع ساعة منها . ولا يزال طلوعه يتأخر عن طلوعه في كل ليلة ماضية بعد الإبدار هذا المقدار حتى يكون طلوعه ليلة إحدى وعشرين نصف الليل . وطلوعه ليلة ثمان وعشرين مع الغداة . وإذا أردت أن تعلم على ماضى كم من الساعات يغيب أو يطلع من الليل . فإن أردت المغيب وكان قد مضى من الشهر خمس ليال تقديرا فأضربها في ستة تكون ثلاثين فأسقطها سبعة سبعة يبقى اثنتان فيكون مغيبه على ماضى أربع ساعات (١) أسابيع ساعة وكذلك العمل في أى ليلة شئت . وإن أردت الطلوع وكان قد مضى من الإبدار ست ليال مثلا فأضرب ستة في ستة يكون ستة وثلاثين فأسقطها سبعة سبعة يبقى واحد . ويكون طلوعه على خمس ساعات وسبع . وكذلك العمل في أى ليلة شئت

ثم قال « للناس في إخراج أول الشهر العربي طرق أسهلها أن تعرف أول يوم من المحرم ثم تعدد كم مضى من السنة من الشهور بالشهر الذى تريد أن تعرف أوله وتسمها نصفين . فان كان النصف صحيحا أضفت على الجلة مثل نصفه . وإن كان مكسورا ككلته وأضفته على الجلة . ثم تتدى من أول يوم من السنة وتعد منه أيما على توالي أسماء الأيام بعدد ما حصل معك من الأصل والمضاف حيث انتهى عدده فذلك اليوم هو أول لشهر . مثال ذلك في الصحيح النصف . إن أردت أن تعرف أول يوم من شعبان وكان أول المحرم يوم الأحد مثلا فتعد من أول المحرم الى شعبان وتدخل شعبان في العدد فيكون ثمانية أشهر فتقسمها نصفين يكون تسعها أربعة فتضيف الأربعة الى الثمانية تكون اثني عشر . ثم تتدى من يوم الأحد الذى هو أول المحرم فتعد الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت . ثم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت . ومثاله في المكسور النصف إذا أردت

(١) لعل الصواب وسبعان كما هو واضح

أن تعرف أول رمضان أيضا وكان أول المحرم الأحد كما تقدم فتعد ما مضى من شهور السنة وتعد منها رمضان يكون تسعة أشهر فتقسمها نصفين يكون نصفها أربعة ونصفا فتكملها بنصف صبر خمسة فتضيفها إلى الأصل المحفوظ وهو تسعة يكون المجموع أربعة عشر . ثم بتدريء عدد الأيام من أول المحرم . وهو الأحد كما تقدم فيكون انتهاء الرابع عشر في يوم السبت فيكون أول رمضان يوم السبت

ومن الطرق المعتبرة في ذلك أن تنظر في الثالث من أيام النسيء من شهور القبط كم يوما مضى من الشهر العربي فما كان جعلته أصلا لتلك السنة . فإذا أردت أن تعرف أول شهر من الشهور العربية أو كم مضى من الشهر الذي أنت فيه . فخذ الأصل المحفوظ معك لتلك السنة . وانظر كم مضى من السنة القبطية شهرانخذ لكل شهرين يوما . فان انكسرت الأشهر وجاءت فردا فاجبرها بيوم زيادة حتى تصير زوجا . وزد على ذلك يومين أصلا أبدا . ثم انظر كم يوما من الشهر القبطي الذي أنت فيه فأضفه على ما اجتمع معك . وأسقط ذلك ثلاثين ثلاثين فباقي فهو عدد ما مضى من الشهر العربي . ومنه يعرف أوله

ومثال ذلك نظرت في الثالث من أيام النسيء فوجدت الماضي من الشهر العربي ثلاثة أيام فكانت أصلا لتلك السنة ثم نظرت في الشهور القبطية فوجدت الشهر الذي أنت فيه أشهر مثلا فتعد من أول شهور السنة القبطية (وهو توت) إلى أشهر يكون ستة أشهر فتأخذ لكل شهرين يوما تكون ثلاثة أيام فتضيفها على الأصل الذي معك من أيام النسيء . وهو ثلاثة تصير ستة فزد عليها اثنين يصير المجموع ثمانية . ثم تنظر في الشهر القبطي الذي أنت فيه (وهو أمشير) تجده قد مضى منه يومان فتضيفه على المجموع يكون عشرة . وهو الماضي من الشهر العربي الذي أنت فيه ومنه يعرف أوله « انتهى من كتاب صبح الأعشى

هذا هو نهاية الكلام على المنازل والبروج وسير القمر والشمس فيها وعلى الشهور القمرية والشمسية كل ذلك تفسير للآية التي نحن بصدد الكلام عليها - بكون الليل على النهار ويكفر النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى - انتهى

أيها الذي هاهي ذه الدنيا أمامك ظاهرة واضحة حتى عرفت يومك في شهرك استخرجت منه منزلة الشمس وبرجها وسير القمر فيهما ، والسنة التالية تقع السابقة ، فالنظام تام والحساب بديع ، أفلا تجيب لهذا الحساب الذي لا خلل فيه وعلى مقتضاه كانت أحوالنا المعاشية

يا سبحان الله : شمس وفر منظم سيرهما ومنازل وبروج منظمات وعلى مقتضاهما كانت حياة الانسان والحيوان ، فالولا النظام هناك لا ختل النظام هنا ، فها هو ذا شهر توت أول يوم منه يسمى النيروز وهو رأس سنة القبط ، وفي (٧) منه يبتدئ لفظ الزيتون ، وفي (١٧) منه تفتح أكثر الترع بمصر ، وفي ١٨ منه أول فصل الخريف ، وفي ١٩ منه يهيج السوداء في البدن ، وفي ٢١ منه يبتدئ بيض النعام ، وفي ٢٨ منه يذهب الحر ، وفي ٢٩ منه أول رعي الكراكي ، وفي ٣٠ منه يزرع الهليون

(شهر بابه) فيه يبذر كل ما لا تنشق له الأرض كالبرسيم ونحوه وفي آخره نشق الأرض بالصعيد ويحصد الارز ويطيب الرمان وتضع الضأن والمعز والبقر الخيسية ويستخرج دهن الآس واللبنوفر ويدرك الثمر والزيب وبعض الحمضات ، وفي ثلثة رأس سنة السريان ، وفي رابعه أول تشرين الأول من شهورهم ، وفي خامسه عرس النيل ، وفي سادسه يطيب شرب الهواء ، وفي سابعه نهاية زيادة النيل ، وفي ثامنه يكره خروج الدم ، وفي حادى عشره يبتدئ النيل في النقص . وفي ثالث عشره بداية الوحم ، وفي رابع عشره يكثر التاموس وفي خامس عشره يبتدئ زرع القرط . وفي سادس عشره يبتدئ كثرة السعال . وفي ناسع عشره يبتدئ زرع السلجم . وفي الثاني والعشرين منه يبتدئ صلاح المواشى . وفي الثالث والعشرين منه يبتدئ كثرة الغيوم . وفي الرابع والعشرين منه يبتدئ أهل مصر الزرع . وفي السابع والعشرين منه يبتدئ سمن الحيتان

وفي الثامن والعشرين منه أول المدد . وفي التاسع والعشرين منه أول الليالي البلق
 (شهر هاتور) فيه يزرع القمح ويطلع البنفسج (١) والمنثور . وأكثر البقول . ويجمع ما بقى من
 الباذنجان وما يجرى مجراه . ويحمل العنب من قوص . وفي ثانيه يبتدى حصاد الأرز . وفي خامسه أول تشرين
 الثاني من شهور السريان وفيه يبتدى برد المياه . وفي سادسه أول المطر الوسمى ، وفي سابعه يبتدى أهل الشام
 الزرع . وفي ثامنه يبتدى هبوب الريح الجنوية . وفي تاسعه يبتدى زرع الخشخاش (٢) وفي حادى عشره يبتدى
 اختفاء الهوام . وفي ثالث عشره يبتدى غليان البحر ، وفي رابع عشره تعمي الحيات . وفي سادس عشره يجمع
 الزعفران ، وفي ثامن عشره تسكتر الوحوش . وفي الثامن والعشرين منه يعلق البحر الملح وتمتع السفن من
 السفر فيه لثقة الريح . وفي الثالث والعشرين منه يبتدى سخونة بطن الأرض . وفي الرابع والعشرين منه
 أول اسفيدار ماه من شهور الفرس

(شهر كيهك) فيه تدرك الباقلاء وتزرع الحلبة وأكثر الحبوب . ويدرك الفرجس والبنفسج . وتلاحق
 الحمضات . وفي أوله ابتداء أر بعينيات مصر . وفي ثالثه يبتدى موت التياب . وفي خامسه أول كانون الأول من
 شهور السريان . وفي سابعه آخر الليالي البلق وأول الليالي السود . وفي حادى عشره يبتدى الشجر فرعى
 أوراقه . وفي ثاني عشره تظهر البراغيث . وفي سابع عشره أول فصل الشتاء ، وهو أول أر بعينيات الشام . وفي
 ثامن عشره يتفص النهار . وفي الحادى والعشرين منه يكثر الطير الغريب بمصر . وفي الثالث والعشرين منه أول
 مردوماه (٣) من شهور الفرس . وهو نوروزهم وأول سنتهم . وفي الخامس والعشرين منه يهيج البلغم . وفي
 السادس والعشرين منه تلقح الابل . وفي السابع والعشرين منه يكثر شرب الماء في الليل . وفي الثلاثين منه
 يبتدى قليم الكروم

(شهر طوبه) في زرع القمح فيه تفرير . وفيه تنشق الأرض للقصب والقلناس . ويستكمل الفرجس
 وفي أوله تيبث الريح الشديده . وفي ثانيه يدرك القرط . وفي سادسه أول كانون الثاني من شهور السريان .
 وفي عاشره آخر أر بعينيات مصر . وفي حادى عشره أول نصب الكروم . وفي ثاني عشره يشتد البرد . وفي ثالث عشره
 يبتدى زرع المقات . وفي سابع عشره يبتدى غرس الأشجار . وفي ثامن عشره يبتدى كثرة الندى . وهو
 آخر الليالي السود . وفي تاسع عشره يبتدى وقوع الثلج بالشام وغيره . وفي الرابع والعشرين منه يبتدى دفو
 ماء النيل . وفي التاسع والعشرين منه يبتدى اختلاف الريح

(شهر أمشير) فيه تفرس الأشجار . وقلم الكروم . ويدرك النبق واللوز الأخضر . ويكثر البنفسج
 والمنثور . وفي رابعه يبتدى إفراخ النحل وفي سادسه أول شباط من شهور السريان . وفي حادى عشره يبتدى
 إنتاج الطيور وزرع بقول الصيف . وفي ثاني عشره يبتدى تحرك دواب البحر . وفي الثاني والعشرين منه ثاني
 جرة فائرة . ويبتدى مرض الأطفال . ويبتدى خروج ورق الشجر . وفي الثالث والعشرين منه يبتدى خروج
 الدواب للرعى . وفي الرابع والعشرين منه أول حرداماه من شهور الفرس . وفي الخامس والعشرين منه يبتدى
 هيجان الريح . وفي السابع والعشرين منه يبتدى نالت جرة حامية . وفي الثامن والعشرين منه أول المفرطات .
 وفي التاسع والعشرين منه آخر نهى ابقراط

(شهر برمهات) فيه تزهر الأشجار ويعقد أكثر الثمار . ويزرع أوائل السمسم . ويقلع الكتان .
 ويدرك القبول والعدس . وفي ثانيه يحمى خروج الدم . وهو أول الأعجاز . وفي ثالث عشره تفتح الحيات أعينها .
 وفي خامس عشره تطيب الألبان . وفي سادس عشره يبتدى خروج دود القز . وفي ثامن عشره يهيج الدم .

(١) بسكون الفاء وفتح بقية الحروف (٢) بفتح أوله

(٣) سيأتي قريباً أن يروز الفرس وأول سنتهم أفرودين ماه ونظنه الصواب لأنه الذى ورد في صروج
 الذهب وغيره ومع ذلك لم يذكر هذا الشهر في أسماء الشهور الآتية

وفي ناسع عشره ظهور الهوام . وفي العشرين منه بزوع السمسم . وفي الرابع والعشرين منه أول تبرماه من
شهور الفرس . وفي السادس والعشرين منه يتبدى شرب المسهل . وفي السابع والعشرين منه خروج الثباب الأزرق
(شهر برمودة) فيه تقطف أوائل عسل النحل . وفيه تكثر الباقلاء . وينفض جوز الكتان ، ويكثر
الورد الأحمر ، والبطن الأول من الجيز ، ويقلع بعض الشعير ، ويدرك الخيار شبر . وفي أوله يؤكل الفريك .
وفي رابعه يعصر دهن اللسان . وفي خامسه يتبدى كثرة الزهور . وفي سادسه أول نيسان من شهور السريان .
وفي ثاني عشره يخاف على بعض الزرع . وفي ثامن عشره آخر قلع الكتان . وفي العشرين منه ينهى عن أكل
البقول . وفي الثاني والعشرين منه ظهور الكمأة ، وفي الثالث والعشرين منه الختام الكبير للزرع . وفي الرابع والعشرين
منه أول تردماه من شهور الفرس . وفي الخامس والعشرين منه نهاية مد الفرات . وفي الثامن والعشرين منه يبيض النعام
(شهر بشنس) فيه يكثر التفاح القاسى . ويتبدى التفاح المسكى . والبطيخ العبدلى والحوفى ، والمشمش
والخوخ الزهرى . والورد الأبيض . وفي نصفه يبذر الأرز . ويحصد (١) القمح . وفي سادسه أول ايار من شهور
السريان . وفي رابع عشره يجمع الخشخاش . وفي ثامن عشره يجمع العصفر . وفي الحادى والعشرين منه
يتبدى برودة الأرض . وفي الرابع والعشرين منه أول شهر برماده من شهور الفرس

(شهر بونه) فيه يكثر الحصرم ويطيب بعض العنب والتين البونى وهو الديقور . والخوخ الزهرى
والشعر . والكثيرى البوهى . والقراصيا . والتوت . ويطلع البلح . ويقطف جهور العسل . وفي ثلثه يتبدى
نوحم النيل . وفي سادسه يكمل البرياق . وفي سابعه أول حزيران من شهور السريان . وفي ناسعه يتبدى مهب
الريح الشمالية . وفي عاشره يتبدى نفس النيل . وفي خامس عشره تنحرك شهوة الجماع . وفي ثاني عشره عيد
ميكايل . في ليلته يوزن من الطين زنة ستة عشر درهما عند غروب الشمس ويرفع في مكان و يوزن عند طلوع
الشمس فإزاد كان بكل خروبة زادت على الستة عشر ذراع . وفي ثالث عشره يتبدى نقص الفرات . وفي رابع
عشره تهب الرياح السائم . وفي ناسع عشره تذهب البراقيت . وفي العشرين منه تهب الصفراء . وفي الثاني
والعشرين منه يعقد الجوز . ويقوى اندفاع النيل وفي الرابع والعشرين منه يشور وجع العين وهو أول مهرماه
من شهور الفرس . وفي السابع والعشرين منه يؤخذ فاع النيل . وفي الثامن والعشرين منه ينادى عليه . وفي
التاسع والعشرين منه يدرك البطيخ

(شهر أيب) فيه يكثر العنب والتين ويقل البطيخ العبدلى ويطيب البلح وتقطف بقايا العسل وتقوى
زيادة النيل . وفي رابعه أول نهى أبراط وفيه يموت الجراد . وفي سابعه أول تموز من شهور السريان . وفي
عاشره يتبدى وقع الطاعون . وفي ثاني عشره يتبدى قوة السائم . وفي ثالث عشره تدرك الفاكهة . وفي سابع
عشره تقور العيون . وفي ثامن عشره يجمع السباق (٢) وفي الثاني والعشرين منه يدرك الفستق (٣) وفي الرابع
والعشرين منه أول أبانماه من شهور الفرس . وفي السادس والعشرين منه طلوع الشعرى الجمانية . وفي التاسع
والعشرين منه يدرك نخل الجباز

(شهر مسرى) فيه يعمل الخلل ويدرك البسر (٤) والموز وتغير طعوم الفاكهة لغلبة الماء على الأرض .
ويدرك الليمون التفاحى . ويتبدى إدراك الرمان . وفي رابعه نقصان السجلة . وفي خامسه أول العصير . وفي
ثامنه أول آب من شهور السريان . وفي ثاني عشره فضال المواشى . وفي رابع عشره تفل الألبان . وفي خامس
عشره تسخن المياه . وفي سابع عشره تختلف الرياح . وفي ثامن عشره يحذر لسع الهوام وفي الثامن والعشرين
منه آخر العصير . وفي الرابع والعشرين منه يهب النعام . وفي الخامس والعشرين منه تكثر الغيوم . وفي الثامن

(١) بكون الميم (٢) بضم السين وفتح الميم المشددين (٣) بكون السين وضم بقية الحروف

(٤) بضم أوله وسكون ثانيه

والعشرين منه آخر السائم . وفي التاسع والعشرين منه أول آفرماه من شهر الفرس .
 ﴿ أيلم النسيء ﴾ ودخولها في الثامن والعشرين من آب من شهر السريان ويختلف آخرها باختلاف
 السنة الكبيسة وغيرها . انتهى الكلام على المنازل والبروج وسير القمر والشمس فبمعلوم على الشهر القمر به
 والشمسية وذلك من كتاب ﴿ صبح الأعشى ﴾ والحمد لله رب العالمين
 هذا أردت نقله هنا من كتاب « صبح الأعشى » لتفهم أيها الذكر لماذا ذكر الله الأرض مع الشمس
 والقمر إذ ذكره أحياءها وأخرج منها حبا وجعل فيها جنات وعبودا ونحوها أنا كلها . ثم أعقب هذا بالشمس والقمر
 فبدأ بالسبب ثم أتبعه بسببه . فالسبب هي هذه الزروع والحبوب والفواكه التي تضمنها ذكر الأرض اجبالا وقد
 ضلت هذه آيات . وأسبابها الأضواء السماوية فلما انتظم حساب الأسباب وأوقاتها انتظمت أوقات المسببات وحسابها
 فبأيها المسلمون على هذا النمط فلتكن علوم الاسلام ودين الاسلام . فلما أن المسلمين يعرفون هذه
 العلوم والأفهم مقصرون في معرفة كتاب الله والله هو الولي الحميد والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
 لولا أن هدانا الله . انتهى من كتابة هذا المقام الساعة الثانية بعد نصف ليلة الجمعة ٢٧ يونيو سنة ١٩٣٠
 وبهذا تمت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

(في قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون -)
 إن العلم من خواص القرآن . فكم حض على العلم وأمر بالتعلم والتفكير والتدبر . إن أول سورة
 زلت بنيت على العلم - اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم الذي
 علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم -
 فإذا كانت أول سورة زلت قد أسست على هذا الأسلوب فهذا الدين سيظهر له أثره التام في أم عرفت
 قيمة العلم وإذا لم يجعل الله نسبة بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون فقد فصل بينهما فصلا تاما وجعل الجهال
 كأنهم من طينة غير طينة أهل العلم مبالغة في التفرقة وتفاوت المنازل . وإذا كان العلم هذه صفة فن حقا أن
 نسب في شرحه على ما يقتضيه المقام . فلنجعل الكلام عليه في مقامين : المقام الأول في شرف العلم وطرق
 التعليم وجدد الأمم في تحصيله . المقام الثاني في شرف من العلوم العائمة تذكرة للأمم الإسلامية
 ﴿ المقام الأول في شرف العلم وطرق التعليم وجدد الأمم في تحصيله . وفي هذا المقام ثلاثة فصول
 « الفصل الأول » في تمثيل العلم بمعدن الراديوم « الفصل الثاني » فيما قاله الفيلسوف كنت الأملاني
 في كتاب التريية « الفصل الثالث » فيمن ترك الملك من الملوك والوزراء حبا في علم الحكمة وفيمن
 خلع لباس الحكمة واشتغل بالملك

﴿ الفصل الأول في المقام الأول في تمثيل العلم بمعدن الراديوم ﴾

يقول عليه السلام « الناس معادن كعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام » إن
 المعادن جاءت في الوجود مرتبة على مقتضى الحاجة . فكما كان المعدن كثير التناول وكانت الحاجة الى
 عمومها داعية كثر وجوده كالتصدير والنحاس والحديد . وكما كان الاحتياج اليه أقل كان له منزلة بها
 يحكم الناس في مبيعاتهم كالذهب والفضة كان وجوده أقل على مقتضى الحاجة فلو كثيرا لذهبت تلك المنزلة
 لأن كثرتهما يتلوهما رخصتهما ويستدعى نصب الناس وتعبهم في حمل الكثير منهما لأجل البيع والشراء
 إذن الحكمة تامة في وضع هذا الوجود . عم الهواء ويليه الماء ثم الأقوات للحيوان والإنسان لأن الحاجة
 تدعو لذلك ولكن الهواء أقل لأن الحاجة اليه في وقت دون وقت . وكما أن الحكام والملوك أفراد في النوع

الانسان هكذا الذهب والفضة أشبه بأولئك الأفراد في المعادن . وههنا ظهر معدن آخر أندرمين الذهب والفضة بل أندرجدا وهو الراديوم ذلك المعدن الذي خلق ليكون له السلطان الأعظم في عوالمنا الأرضية . ذلك المعدن الذي يهلك من اقترابها منه من غير احتراس ويشع في الظلام . ذلك المعدن الضار النافع فهو شديد الضرر كثيرا النفع ولا سبيل لاستعماله إلا مع العلم ومعرفة خواصه . لذلك حبسه الله ولم يظهره للناس إلا عند ما صارت عندهم بعض المعرفة بخواص المادة لينتفعوا به ويحترسوا من ضرره ، فهذا المعدن العجيب أشبه بالحكيم في الأرض فكما أن هذا المعدن قل وجوده وكثر نفعه هكذا أولوا الألباب الذين خلقوا الرق النوع الانساني العاشقون المغمون بمنافعه يفلون ويندرون كندرة ذلك المعدن وآثارهم تتناول أعمارا كثيرة كما أن الراديوم يتناول أعمالا كثيرة مع قلته في المعادن ، ولعل هذا الوصف شاقك أيها الذكي أن تعرف خواص الراديوم الذي ضربه الله مثلا للحكيم الأمم الذين يخلقون في الأرض لينفعوا الأمم مع قلة عددهم فيها ، فهناك ما جاء في « البلاغ الأسبوعي » يوم الأربعاء ٢٠ يونيو سنة ١٩٣٠ وهذا نصه :

(الراديوم وخواصه للمجبية)

الراديوم مسحوق أبيض يشبه في شكله ملح الطعام والرطل منه يساوي في ثمنه ألف رطل من الذهب وذلك لندرته واذنا يسر لشخص أن يحوز القليل منه فقل انه قد حاز مالا وفيرا وثروات طائلة ومع ذلك هو شديد الخطورة على الانسان فلو وضعنا رطلا أورطلين في مكان معين واقترب منه أي عدد من الاشخاص لما اتوا كلهم ولما بقي منهم أحد ، والقريب أن الانسان يمكنه أن يضع في يده القليل من مسحوقه بدون أن يشعر بألم ما ولكنه يراها تتشقر وتتفتت طبقات بعد مضي أسبوع ولربما عمى من أمسك بذلك المسحوق واتابه الموت السريع بعد ذلك ، والقليل من الراديوم الذي يملكه العالم اليوم طالما أودى بحياة من أرادوا إجراء التجارب عليه . ولقد حدث أن عالما أراد أن يلقى محاضرة علمية على الراديوم فأخذ القليل منه ووضعه في أنبوبة أحكم غطاءها ثم وضع تلك الأنبوبة في جيب صدره ولكنه لشد ما كانت دهشة الجميع عند ما رأوا أن الجلد الواقع تحت جيب الصدرى يحمر وأخذ يساقط وسرعان ما تكون خراج مؤلم يشع المنظر لم ينملم إلا بعد أسابيع طويلة . والراديوم يلمع في الظلام كوهج النيران تماما . والعجيب في أمره أنه يشع باستمرار ضوئا وحرارة ومع ذلك لا يفقد شيئا من وزنه وهكذا فهو كشمعة من الفحم تنقد على عمر الأيام ولا تنفد ولا تزول ويمكننا اذا حصلنا على رطل من الراديوم أن نذيب بواسطته في كل ساعة رطلا من الثلج بدون توقف أبدا وهو بذلك القوة المستمرة التي كثر علماء الماضي في البحث عنها . واذا وضعنا كمية كافية من الراديوم في فرن قاطرة أمكننا أن نسير القاطرة بلا توقف وبدون بذل أي مجهود في تنظيف القاطرة أو إعطائها كمية أخرى من الوقود . وقد حدث أن عالما وضع كمية من الراديوم في صندوق من الورق القوي لمدة من الزمن وعند ما انكسر الصندوق وزرع منه أنابيب الراديوم ورعى الصندوق في ناحية من نواحي منزله شاهد أن ضوئا ينبعث من الصندوق بعد إطفاء أنوار المنزل وذلك لأن الصندوق قد امتص بعضا من شعاع الراديوم وبالفعل كل مادة تلامس الراديوم لا بد أن تتأثر بالراديوم وتأخذ منه بعض خواصه وأهمها الاشعاع . وهنالك نوع من أصباغ الراديوم تدهن به مفاتيح الخطوط الكهربائية وذلك لأن المفتاح يولد كهربائية لا بأس بها كلما أدركناه كذلك تستعمل تلك الصبغة المنيرة في تغطية مينات الساعات أو بندول الساعات الكبيرة أو توضع فوق أوراق تلصق بزجاجات السم تنبئها للمقرب حتى يتعد عن الخطر

لاشك انك تعجب كيف ان الراديوم ذلك المعدن النفيس يوضع فوق ميناء ساعة رخيصة الثمن لاتسارى في قيمتها أكثر من خمسين قرشا . والحقيقة أن ميناء الساعات تغطي بطبقة من سلفات الزنك مضافا اليها

قليل جدا من الراديوم . إن قطعة بسيطة من الراديوم لا تزيد في حجمها عن رأس الدبوس . إذا خلطت بكمية كبيرة من سلفات الزنك تكفي لتغطية أوجهه مئات الآلاف من الساعات . وإذا لخص الانسان ميناء الساعة من خلال مجهر وجد جلة فرقات صغيرة تحدث باستمرار بين الترات وهذه الترفقات تحدث بسرعة (٢٠٠٠٠٠) مرة في الثانية . فوظيفة الراديوم هي توليد حركة فرقات متوالية تشعل الزنك وتجعله ينبعث ويبقى الراديوم الذي في وجه الساعة باقيا بينما الزنك يبلى بعد سنوات ، وللراديوم منافع جليلة لبني البشر . فيه الشفاء من أمراض شتى كالسرطان وكذلك يشفي الأورام والخراجات ، وفي كل بلد كبير من بلدان العالم مستنقفي به القليل جدا من (الراديوم) ، وربما لا يستعمل الطبيب في عمله قطعة تزيد في حجمها عن رأس الدبوس ومع ذلك فمنها مئات من الجنيئات

أما تاريخ اكتشاف الراديوم فكله سلسلة طويلة من القمص المتتالية : ففي سنة ١٨٩٦ م بينما كان العالم الفرنسي باكورييل يجري بعض تجاربه في بعض المعادن التي تضيء دون ارتفاع درجات حرارتها عرض لضوء الشمس معدنا يقال له البشبلند وهو أحد أكاسيد الاورنيام غير النقية حتى اشتعلت من تلقاء نفسها وبعد ذلك درس أثر ذلك المعدن في الألواح الفوتوغرافية ، ولما كان اليوم الذي يجري فيه تجاربه مطبرا لتلك وضع اللوح الفوتوغرافي زوراء الورق الحساس وعليه المعدن في مكان خفي حتى تصحو الشمس ولكنه دهش عند مرفع اللوح وشاهد تكوّن صورة أحسن من صورة الشمس وهكذا تمكن من اكتشاف مادة لها خواص الراديوم وبينما كان الاستاذ كوري وزوجته يجريان التجارب العلمية شاهدا أن معدن البشبلند الذي كانا يستعملانه أقوى في تأثيره من الاورنيام ، وعندئذ أخذت مدام كوري تجر حتى تمكنت من فصل المادة الأخرى الغريبة التي يجريان عليها تجاربهما ، وذلك لهما كتابا يشترتان فضلات مناجم الاورنيام ويطليانها حتى رأيا المعدن الجديد الذي سمته كوري بالبولونيوم نسبة الى بولندا بلادها وموطنها

وبعد إجراء عمليات أخرى أخذت تزيد في غلي الفضلات حتى تمكنت من استخلاص معدن الراديوم ، ولاستخلاص الراديوم لابد لنا من الحصول على معدن البشبلند القليل الوجود وهو لا يوجد إلا في النروج ومصر وكارولينا الشمالية وكالورادو ومنطقة يوتا ، ويمكن استخلاصه من عروق الذهب ، وإذا أردنا الحصول على رطلين من الراديوم فلابد لنا من تكرير خمسة آلاف طن من البشبلند ، وإذا أردنا الحصول على قليل من الراديوم يعادل ملقح من أقماغ الخياطة (كستبان) فلابد لنا من تكرير ما يعادل جبل قاطرة من البشبلند وأن نعمل خمسة آلاف عملية مختلفة تستغرق ستة أشهر . ولقد عرض العلماء أنواعا من الحيوانات لشعاع الراديوم فنفضت شعرها وبصرها ثم ماتت بعد ذلك . وإذا زاد العلماء جزأ من الراديوم على ثروة العلم الحاضرة فهم يزيدون بذلك ثروة جديدة على ثروات العالم لأن الراديوم يستمر في إشعاع حرارته وضوئه مدة ستائة سنة ثم تصبح قوته نصف ما كانت وبعد ستائة سنة أخرى تصبح الحرارة والنور ربع ما كانت وهكذا حتى بعد مضي عشرين ألف سنة يتحوّل كله الى رصاص

وبالراديوم يمكننا تحويل بعض المعادن الى الأخرى كما يؤمل بعض العلماء ذلك وكما يرجونه في القريب العاجل . ولو أمكنهم الحصول على كل القوة الكامنة في الترات لأمكنهم تحويل ما يريدون ولا تقلب العلم رأسا على عقب

وقد أدى اكتشاف الراديوم ودراسته الى نظرية قريبة هي أن كل الترات الموجودة الآن كانت أجراما صغيرة جدا تسبح في المجموعة الشمسية حول القطب ولن يمكن فناؤها وقطع تغير من حالة لأخرى وبخاصة التغير هذه من حالة لأخرى يوالى العلماء أبحاثهم حتى يضربوا ما بالأرض ويكشفوا أسرار الكون . انتهى

ما جاء في مجلة « البلاغ الأسبوعي » والحمد لله رب العالمين

هاهوذا الراديو وهذه خواصه ومجانيه . ياسبحان الله ويسعدانه . أليس من العجب أن أرواحنا جاءت الى هذه الأرض وهي أشبه بالفريسة عنها . أرواح أرسلت الى الأرض وهي لا تزال تتخبط مدى الدهور والأعوام فيها لانتهدى فيها سيلا ولا تجد لها طريقا إلا بما أعطيت من موهبة العقل . جاءت أرواحنا الى الأرض ولبست هذه الأجسام ، نظرت فرأت في الأرض نباتا وحيوانا ونظاما جيلا ، ورأت أن للحيوان غرائز قد كفته السى فهو يبش بقوانين لا عوج فيها ولا خلل بل هو يسير منتظما محفوظا سعيدا موفر الرزق ، أما نحن معاشر بني آدم فإنا أخذنا تتخبط في هذه الدنيا وطفقنا نشعر بالحاجة الى التعلم والاهتداء بنور بصائرنا فرجعنا الى الكتاب الذى أماننا فرأينا كتابا جيلا مكتوبا بخط مجسم واضح فأخذنا نقرؤه ، وما هذا الكتاب إلا هذا الوجود ، فقرأنا سطورا وسطورا فعلمنا منها لإقاد النار والغزل والنسج والسفر فى البحار فى السفن وهكذا من كل ما تقدم يعد بالضررات فى ﴿ سورة طه ﴾ عند آية - قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - فهناك نجد أن علوم بنى آدم أولا أخذوها عن الحيوانات ولكن نحن أشرف منها وأعظم والاهتداء بالحيوان وحده نقص لنا

هناك قبض الله من الناس قوما منزلتهم فيهم منزلة للماس والياقوت والاسرب من المعادن . فهذه المعادن الثلاثة مسلطة على المعادن بل هذه الثلاثة بعضها مسلط على بعض فان الأسرب الحقيق هو ذو السلطان على أخويه السلطين على البقية . أفلا ترى إذن أن أقص عليك ديانات الانسان لتعلم منزلة دين الاسلام من ديانات الأمم . انظر تر أن دين البوذية الذى له السلطان على نحو ثلث أهل الأرض اليوم المنتشر فى الهند الذى هو أقدم الديانات لم ينتشر إلا فى البقعة التى جاء فيها وليس له سلطان على أفريقيا ولا على أوروبا ولا على غربى آسيا . وتجد دين كونفوشيوس الذى انتشر فى الصين قبل المسيح بمئات السنين لم يتعد دائرة الصين واليابان وهو يعزل عن الأقطار الأخرى . وتجد دين اليهودية قد حصره اليهود بين ظهرانيهم

أفلا ترى أن هذه الديانات كلها أشبه بالمعادن المذكورة المسلطة على بقية المعادن بالقطع . فياسبحان الله ويسعدانه . انظر الى دين الاسلام الذى نزل فى جزيرة العرب التى اختارها الله لنزوله لأنه يعلم أن أمم العرب أقرب للإخلاص لله . فهم مخلصون صادقون متى عرفوا الحقائق واقتنعوا بها . فهم لما نزل دين الاسلام وعلما انه رحمة للعالمين كلها طاروا فى الأرض شرقا وغربا فدخل هذا الدين على البوذية فى ديارهم وعلى أتباع كونفوشيوس فى عقردارهم وعلى أمة اليهود فأسلم بعضهم وعلى أمم النصارى أولئك الذين اتبعوا المسيح عليه السلام وسارعوا الى دين بوذا والى دين خريستا قبله فى الهند فألصقوه بهذا الدين وجاؤا بالأب والابن وبالروح القدس وجماعوا للتثليث المتناول عن دين الهند قيمة دينية وجعلوا لهم مبشرين متبعين البوذية التى ظهرت قبل المسيح بنحو خمسمائة سنة ودين خريستا المنتشر قبل المسيح بما يقرب من خمسة آلاف سنة . انظر هنا المقام فى آخر ﴿ سورة المائدة ﴾ فانك ترى ما فى الأنجيل منقولاً عن دين بوذا وعن الدين الذى قبله بالحرف بلانصرف ولا تعقل

انتشر الاسلام فى الأقطار ولا يزال ينتشر الى الآن كما تقدم فى ﴿ سورة العنكبوت ﴾ منقولاً عن علماء أوروبا وهناك للمسلمين ملوك عند خط الاستواء ولهم سياسات ونظم وجيوش وحفاظ للقرآن وعلماء وقضاة . لم يفعل العرب أحد من الأمم فى الأرض لذلك اختارهم لنشر العلم فى الأرض . هؤلاء نظروا . فإذا يجدون ؟ يجدون الأمم ساكنة خاملة . بحثوا عن العلم لأنهم وجدوا الله يقول لنبيه ﷺ آمراه . قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - ثم أكد ذلك بقوله - إنما يتذكر أولوا الألباب - هناك قالوا لتبحث عن العلم أما الدين فقد نشرناه ولم يبق إلا العلوم والمعارف . والعلوم والمعارف إنما تكون

بالعقول والعقول كلها متضامنة . واذا كنا نحمد الله يقول لنا إن الغراب جاء معلما لأبناء آدم كيف يوارون
الأموات في قبورهم وسمعناه يقول - فبعث الله غرابا يبعث في الأرض ليريه كيف يوارى سواة أخيه قال
ياويلني ألمحزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سواة أخى فأصبح من النادمين -

سمعنا الله يقول : إن ابن آدم نادى بالويل والبشور على نفسه لأنه لم يتفطن لعلم عرفه هذا الغراب .
هذا الغراب الذي هو أقل منه درجات ، هذا الغراب البشري هو حيوان خلق مقتمة وذخيرة لهذا الانسان ،
فكيف يعرف الفضول ويجهل الفاضل ؟ هذا عار ، لذلك فصل ابن آدم فعل الغراب ووارى سواة أخيه ،
عرف ذلك كله آباؤنا العرب منذ ١٣ قرنا فقالوا : لتبعث علوم الاول وأى أمة أقرب لنا من اليونان ، هذه
الأمم التي حفظت علومها في خزائن ملوك النصرانية وحرموا قراءتها ، فلنبعث تلك العلوم من خزائنها ،
هنالك أرسل أبو جعفر المنصور ملك الروم فأرسل له بعض الكتب الرياضية وغيرها ، وهنالك أرسل المأمون
ملك الروم أن يبعث له الكتب فأبى خاربه وبهذا انتشرت العلوم في الاسلام

ثم ذهبت دولة العرب وحلت محلها أم وأمم وتغيرت الأحوال وجاء قوم جهلاء فاذا صنعوا ؟ حاربوا
العلوم وقالوا كفانا الوضوء والصلاة والاجارة والسلم والبيع عقود الأنسكة والقضايا والدعاوى والطلاق
وهكذا مما دونه الفقهاء في كتب الفقه وناموا نوما عميقا ، فاذا تم بعد ذلك ؟ أذن الله للعلم الذي نشره
أولئك العرب أن ينتقل بحذافيره من بلاد الاسلام الى أوروبا على أيدي تلاميذ ابن رشد في الأندلس وقال
الله : أيها العرب الأندلسيون . آباؤكم كانوا صالحين لجل أماني ، أما أنتم فانكم شعراء غزليون شهوانيون
فها أنذا أخرجكم من الأندلس بعد أن أديتم وظيفتكم وهي نشر العلوم في أوروبا لأن النبي العربي رحمة
للعالمين ، فرحمتي لكم بمحمد انكم مؤمنون به ورحمتي لأوروبا أن العلم الذي تسلمه آباؤكم من اليونان
ينتشر على أيديكم في أوروبا وكفى فخرجوا من أوروبا فقد انتهى عملكم . كل ذلك تم في القرن السادس
الهجري ، وبعد ذلك الانتقال تمزقت وحدة المسلمين في الأندلس وصاروا عشرين دولة فالتهمتهم الأم للمسيحية
ورجعوا بجني حنين ومات كثير منهم ورجع الى بلاد الغرب منهم ألفوف وألوف . هذا هو تاريخ العلم والدين
انتشر العلم في ربيع أوروبا وقد قلنا ان الذي أوصله لهم آباؤنا أولئك الذين صاروا في آخر أمرهم شعراء
بدل أن يكونوا علماء وكان الله قال لهم :

أيها الأمم العربية : أنا أرسلت لكم رسولا منكم لم يكن شاعرا بل كان نبيا وأنزلت عليه - قل هل
يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وأنتم تركتم العلم واكتفتم بالشعر ونبذتم الحكمة التي رقاها
أسلافكم فانهم هذبوا علم اليونان ونشروه ، فها أنذا سأرفع هذا العلم منكم وأعطيه لقوم آخرين ، فأما أنتم
فان ضياع أوقاتكم في مدح الملوك والغزل والمناظرة بين الورد والمطر وما أشبه ذلك من كل ما هو خيالي فليس
يعلم بل هو شعر - والشعراء يتبعهم الغاؤون * ألم ترأنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون -
وأنا أرسلت النبي العربي للعلم لا للشعر ، ولم أسويين العالم والجاهل ، هذا هو تاريخ أسلافنا وتاريخ ديانات
الأمم اجلا مع العلوم

يقول مؤلف هذا التفسير : فها أنذا أحد أبناء حلة هذا الدين وهم العرب وقد جئت في زمن بين زمانين
زمن الخمول وزمن النهوض ، هاهي ذه روجي قد جاءت في هذه الأرض غريبة عنها كبقية الأرواح الأرضية
وانما قلت غريبة لأنني أرى لها مطامع عالية وأرى هذه المطامع كلها بدل عليها العلم ويؤديها الدين لأنني أراها
لا تنقف عند حد فهي روح أرقى من أرواح هذه الحيوانات ولكني أراها روحا مسكية تنلص العلم والمعرفة
هنا وهناك وقد جاءت بين زمانين كما قلنا زمان النهوض وزمان الخمول . لقد نظرت فرأت علوما تنشر وعلماء
في مصر وفي الشرق وفي الغرب . هنالك أخذت تقرأ تاريخ الأسلاف وتاريخ الاسلام ونظرت فهداها الله الى

هذا التفسير، فعلى إذن أن أنظر في علوم الأمم التي جاءت بعد ذهاب مجد آباءنا العرب . هل زادوا في العلم شيئاً بعد ما تسلموه من آباءنا ؟ فإذا رأيتم زادوا شيئاً وجب على أن أقول لقومي من العرب وغير العرب لأن النسب ليس له دخل في الاسلام بل الاسلام دين عالم . فإذن أنا أخطب كل عاقل لأن ديني هكذا شأنه فليس كدين اليهود الذي جعلوه خاصاً بهم ولا كالدانات الأخرى بل هو دين عالم لجميع الأمم ، وعلى ذلك أخطب كل الأمم فأقول : هاهوذا العلم وقف حيث تسلمه الاوروبيون من تلاميذ ابن رشد ونام المسلمون نحو (٧) قرون فهل زاد شيئاً ؟ نظرنا فرأيناه زاد كثيراً ، فوجب على إذن أن أدل الأمم الاسلامية على هذه الزيادة وأقول لهم : أيها المسلمون : - هذه بضاعتنا ردت إلينا - بل إن الذين تسلموها من آباءنا قد زادوها والله يقول - قل هل يستوى الذين يعلمون - الخ فهاهوذا سبحانه عبر بالفعل المضارع والفعل المضارع يقتضى التجدد بالقرآن كقوله تعالى - يحيى ويميت - فالاحياء والامانة تتجدد كل وقت هكذا العلم يتجدد كتجدد طلوع الشمس وغروبها في كل يوم ، إذن علينا أن نجد في العلوم دائماً لأن وقف عند حد إطاعة لآشارة القرآن والله الذي له الملك وله السموات والأرض لما نقل العلم عن آباءنا الى أوروبا سخرهم له فزادوا فيه وجددوا إذن فلنقرأ علومهم والا كان غيرنا أحسن منا في تلك العلوم لأنهم علماء ونحن جهلاء بها وهذه العلوم بأمرها ديننا ويضم من يجملها ، وفي هذا التفسير زهرات وثمرات من بساين العلوم وحض على استكمالها

أوليس من العجب العجيب أن ترى القوم داوموا البحث في الراديوم حتى استخلصوه من البتسبلند وأن مقدار ملقعة من أقع الخياطة (كسبان) يحتاج في تخليصه الى قاطرة من البتسبلند والى خمسة آلاف عملية ، فانظر الى هذا الاجتهاد من أهل الغرب الذين أخذوا العلم عن آباءنا وزادوه وتعاونوا جيعاً على النهوض والارتقاء . وههنا أقول : أليس من العجب أن المقدار من الراديوم الذي لا يزيد عن مقدار ما يغطي رأس الدبوس يخلط بمقدار من سلفات الزنك فيغطي أوجه مئات آلاف من الساعات ، وترى في أوجه هذه الساعات فرقعات صغيرة بين الترات مسرعات في جزيها (٢٠٠٠٠٠٠) مرة في الثانية فتجعل الزنك كأنه ينير ، إذن هذا الراديوم أشبه بدين الاسلام لأنه جاء فلا السكره الأرضية ، فإذا كانت البيانات الأخرى قد دخلها التحريف من جهة ومن جهة أخرى أكثرها محصورة في أماكن خاصة ، فههنا هذا الدين انتشر في الكرة الأرضية وأصبح كل راديوم ينير الأمم أينما حل ويحمل معه العلم فالاسلام دين العلم وإن كان الحاملون له الآن أكثرهم جهلاء ، الاسلام كل راديوم مجهول نوره وسبب استخراج العلوم التي أمر بها أناس من قرأه هذا التفسير وأمثاله كما استخراج (باكورييل) خواص الراديوم ، وإذا كان دين الاسلام كل راديوم من حيث انه انتشر في القارات كلها وليس ديننا منقولاً عن غيره ومن أكبر خواصه نشر العلم . والبيانات الأخرى القديمة المبذلة منزلتها كمنزلة المعادن الأخرى التي صار الراديوم أرقى منها وله السلطان الأعظم عليها وعلى غيرها ، فهكذا منزلة علماء الأمم في سائر العوالم كمنزلة المعادن والذين لهم السلطان على العلوم كلها بحيث يفكرون في النظام العالم ويقرؤون العلوم الرياضية والطبيعية والإلهية وينظرون في هذا الوجود نظرة عامة منزلتهم من علماء العلوم الخاصة منزلة الراديوم من المعادن كلها ، إذن العلماء الناظرون في هذا الوجود كماه نظراً تفصيلياً هم القوامون على الشعوب في الأرض وهم الذين يجتهدون البحث والتنقيب في هذه الأرض والله يقول - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - بالفعل المقتضى للتجدد وقتاً بعد وقت كما يقوله علماء علم المعاني

ثبت إذن أن العلماء الباحثين في هذا الوجود قليل ونادر ، وإذا حكم الله عز وجل بأن لاني بعد خاتم النبيين ، فهاهوذا سبحانه يأمرنا بالبحث وأشرف الباحثين هم الناظرون في هذا الوجود كماه نظرة عامة ، فهنا إذا الآن أيها المسلمون في الفصل الثاني الآتي بعد هذا سأقل ما ذكره أكبر عالم في ألمانيا وهو (كنت) في علم التريية قيلمنا بحق أمانة العلم التي سلمها الله لآبائنا بالوحى أولاً وبالقل عن العلماء ثانياً . فإذا قلنا علم الأمم

الاوربية ثانيا الى لغتنا العربية فعنى هذا اتنا أخذنا نعلم من القوم كما نعلموه من آباءنا
هأنذا أيها المسلمون نظرت بعد مئات من السنين في العلوم التي نقلها الفرنجة عن آباءنا وهأنذا نقلت
وأقل بعضها وهاهذا القرآن يحضكم على العلم والتعليم ، فهأنذا أقول لكم انكم ستقرؤن علوم القوم ولا بد
من أن تستوعبوا قلا وفهما . ثم لتقوموا برقى الأمم مرة أخرى . أتم يا أمة الاسلام عليكم النهضة الحديثة
التي ستكون بعد مغادرتنا هذه الدار ستكونون أتم - خير أمة أخرجت للناس - . ذلك أنكم بعد أن
تستوعبوا علوم أم أوروبا وأمريكا ستقولون إن القوم لم يفعلوا شيئا ، ثم حصل بعض الارتقاء المادى الضعيف
ولكننا لا تزال نرى الانسانية في حال طفوليتها ، فواسواناه : نبينا رحمة للعالمين ، فلنكن نحن رحمة للعالمين
والا فكيف نكون أتباعه ، نحن رأينا الأمم اليوم أشبه بالنساء الناديات ، يموت الميت فيشفقن الجيوب
ويطمئن الحدود ، هكذا هذه الانسانية الجاهلة لم تجد طارقيا ، وهل هذه العلوم هي الرقى ؟ كلا . هانحن
أولاء نرى الحشرات تقتك بلزرع فيقل المحصول ويهلك من الأمة المصرية وحدها في السنة نحو (٧) مليون
جنيه بسبب الحشرات فبابنا بالأمم الأخرى ا وهكذا نرى الغابات في خط الاستواء لو استولى عليها النوع
الانسانى وأضعها له لأصبح الانسان غير الانسان اليوم والأرض لا تزال مستعبدة على الناس فترك الناس
هذا كله ورجعوا يتحاربون ويتقاتلون جهالة وبذالة وخسة ، فهم لا يبعدون في التشبه عن النساء الناديات فن
الناس أشبه بجسم واحد تضرب الانسانية بعضها ببعضها ، ولو كان فيهم حكاء وعلماء أحسن من هؤلاء لعمومهم
أن الانسانية كلها اذا ولت وجهها وجهة الطبيعة لحازت قصب السبق في السعادة ولكن الانسان أرقى من
الحيوان الذى جعل مقمته له وخادما ، فهو الآن لم يرتق عن النمل الذى يحارب بعضه بعضا لقله علومه ومعارفه
ثم يقول المسلمون بعدنا : نحن أتباع نبينا ﷺ وهو رحمة للعالمين ، فلنقرأ علوم أوروبا وأمريكا ثم
يأتى جيل آخر ويكون قد قرأ أمثال هذا التفسير فيقولون : أينها الانسانية تعالى انظرى معنا - تعالوا الى
كله سواء بيننا وبينكم - لننظر في الطبيعة ، ألبست مشتركة بين الأمم ، قوموا فنحاربها معا ولنخضعها .
وهناك تكون لنا سعادة لم يحلم بها آباؤنا ، هنالك يأتى اليوم الذى أخبر به القرآن وهو اليوم الذى تم فيه
العلوم والمعارف ساثر الأمم ويذهب الحرب ويحصل السلم ويذهب من الأرض ذلك الودع القبيح وهو
الذجل وادعاء المسيحية ولبس في الأرض الآن مسيحية لأن المسيحية الحققة هي التي منع الحرب والذين قلاوا
نصارى اليوم يحاربون ، إذن هم ليسوا أتباع المسيح . إذن هؤلاء الذين وردوا في الحديث انهم أتباع
المسيح الدجال الكاذب . والاسلام في المستقبل هو الذى يعلم الأمم هيئة السلام العام بالعلم والحكمة وانتشار
انضيلة . فالمسيحية الآن دجل وكذب لأنها مصحوبة بالحرب والحر في المسيحية فأين هي اليوم إذن ؟
والاسلام سيعان الحقيقة ويقول : أيها المسيحيون . ارموا السلاح وافرؤا العلم معنا فلتخضع الطبيعة لنا لأن
الله جعل لنا السلطان عليها فذروا أيديكم للتعاون على السلام العام وستتحد الأمم بعدنا على ذلك
وليس يعمم ذلك إلا رجال مصلحون هم خبرة الأمم ونسبتهم الى العلماء بالعلوم الخاصة كنسبة الراديو
الى بقية المعادن

اذا عرفت ذلك أيها الذكى فلا سمعك ما وعدت بشره من آراء (كانت) الألمانية فأقول :

﴿ الفصل الثانى من المقام الأول ﴾

(فيما قاله الفيلسوف « كانت » الألمانية في كتاب التربية)

اعلم أن هذا الكتاب المسمى « كانت في التعاليم » قد ترجم من الألمانية الى الإنجليزية بواسطة
(ابنت نشرتون) وقد وضعت له المقدمة السيدة (رابزدافيدس) والكتاب مشتمل على مقدمة وخمسة فصول
مقدمة في النظام العام في التعليم ومورثة تعليم الانسان بعرض الحيوان وكيف كان للحيوان عرصة استعنى

بها عن التعلیم والانسان محتاج اليه وكيف يربي الأطفال والتلاميذ وهكذا (الفصل الأول) في التعلیم الجسمي الطبيعي ونظم الاطفال في الرضاعة والنظافة والملابس وما أشبه ذلك (الفصل الثاني) في تعلیم العلوم (الفصل الثالث) في احصاب هذه العقول الانسانية بالعلوم ونجليتها بالبحث والتنقيب واعطاء الشبان حرية البحث واستخراج المجهولات بمعارفوه في الفصل الاول بالتلقين (الفصل الرابع) في الاخلاق العامة لنوع الانسان والتهديب (الفصل الخامس) في مزاولة الانسان أعماله ومعاملته للناس في الحياة وذلك يشمل رحته للانسانية العامة وأعماله الخاصة في نفسه واستنتاجه هونفسه بصيرته ، وبالجملة كل ما يدخل في دائرة أخلاقه في نفسه ومع غيره ، فلنقتصر في هذا المقام على ترجمة المقدمة لأنها جامعة لمقاصد المؤلف لإضفاء بعض معنى قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وقوله تعالى - اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم - . ابتدأ المؤلف مقدمته قائلاً :

(١) الانسان هو الذي يحتاج للتربية دون غيره ، إن التربية تشمل :

(أ) تربية الأطفال في المهود بالعناية الخاصة والتغذية

(ب) والتهديب بمنع الطفل مما يضره

(ج) وتلقية العلوم

فهو طفلاً يحتاج الى الحضانه ، وغلاماً يحتاج الى مراقبة أخلاقه وتهديبه ، وتلميذاً يحتاج الى التعلیم (٢) إن الحيوان قد أعطى غريزة أغنته عن التعلیم فقد سنت سنن لاعوج فيها . أفليس من العجب العجيب مثلاً أن أفراخ الخطاطيف عند خروجها من البيضة وهي لاتزال مغمضة العين لم تر النور تراهن تتمرسن غابة الاحتراس من أن يدنسن أعشاشهن . إذن الحيوان ليس في حاجة الى حضانه تقوم بأمره وغاية الأمر أنه يعطى الغذاء والدفء وبعض العناية بالمحافظة عليه . إن أكثر الحيوان في ااجة الى الغذاء أما الحضانه فلا . إن الحضانه تشمل شدة العناية بطقف والحیطة الشديدة التي يقوم بها الوالدان بمحافظة على الأبناء كأن يحميهم من مزاولة أعمال تضر بهم فهذا كله لاحاجة لصغار الحيوان به . ألا ترى أن صغار الحيوانات المولودة حديثاً لو أنها رفعت أصواتها بالبكاء كما يفعل صغار الانسان لارعت اليها الحيوانات المفترسة المحيطة بها وافترستها ساعة ولادتها

(٣ و ٤ و ٥) إن التهديب يقرب ما فينا من أخلاق حيوانية الى أخلاق انسانية . والحيوان بمناحه من الفرائز

لا يعوزه التمييز والاختيار . فهناك قوة أخرى دبرت له ما يحتاجه . أما الانسان فهو الذي لا تقوم له قائمة إلا بتدييره هو وعنايته . ولما كانت العناية لم تمنحه غريزة وجب عليه أن يجد في كل ما يزاوله ويفكر فيه بعقله . ولما كان الانسان في أول نشأته لاعلم له بما يحتاج اليه هناك فيض له أمثاله من الناس فعملوه ما يحتاجه . وليست خصائص الانسان تأتي له فجأة بالترتيب ولان تعقيب بل تظهر فيه تدريجاً شيئاً فشيئاً ولكن ذلك أولاً بأدراك بصيرته وثانياً بجده واجتهاده هو لا بالفرائز كالحیوان . وبعدها التهديب وتحسين الخلق بكون تعلیم العلم . ولو أننا عكسنا القضية فبادرنا بالتعلیم ثم أخرنا التهديب لرجع الانسان في آخر أمره الى الحال الوحشية التي منها نقر كل حين . إلا ان التهديب هو الذي يمنع المرء من رجوعه من حالة الانسانية التي هي نهايته الى الأخلاق البهيمية التي فر منها . بالتهديب يحفظ المرء من الاندفاع في سبل الشر ومواقف الخطر والوحشية والتهديب أمر سلب لا إيجابي لأنه يهدي الانسان الى أن تكون أعماله نظامية قانونية فأما القسم الإيجابي في التربية فهو تلقين العلوم ودرسها وفهها . إذن التهديب مع فهو سلب

والتعليم تلقين فهو إيجابي لاسي . أو طما نهى وثانيهما أمر . وأولهما تخلية وثانيهما تخلية .
 بالتهذيب يكون ضبط العواطف وسمو الأخلاق . وذلك يجب أن يكون من مبدأ الحياة . برسا
 الصبي للمدرسة فليكن أول ما يفاجأ به من الأعمال تنظيم جلوسه ومشيه . يؤمر فيأتمر لاغير
 ولاتبين له الأسباب لأنه لايفهمها بل يكون ذلك أمرا عمليا . ههنا قيدنا حرية وأخطاه بقوانين
 فإذا لم تفعل معه ذلك وشب وشاب وهو لم يعتد تقييد تلك الحرية بقوانين فانه بعد فوات زمن
 الصبا لايعتدل بها شيئا ولايمثل لما ينصح به وترسخ في الناس عوائدها فلا تهذيب ولا تأديب ،
 وهل يهذب الديب ؛ لذلك تجب المسارعة الى التهذيب من أول الحياة حتى لا يستعصى أمرها
 إذا كبر الانسان ، فلتصقل تلك الخشونة التي في الطباع بصقال التهذيب والتأديب ، الأطفال يعوزهم
 حالان : حال التربية الجسمية ، وحال التربية العقلية . فحال التربية الجسمية بالحضانه في حال
 الطفولة ، وحال التربية العقلية بسبيلين اثنين : تهذيب النفوس وهذا ساي ، واصلاح العقول
 وتكميلها بالعلوم والمعارف وهذا ايجابي

(٦) إن صغار الحيوان لا تتعلم شيئا كما يتعلم صغار الانسان ، اللهم إلا ان الطيور تعلم صغارها كيف
 تقلد أمهاتها في أصواتها الخاصة بها إذ تنف الصغار حول أمهتن مصطفا اصطفا التلاميذ في
 المدرسة وتسمعن نغماتها الخاصة بأبناء نوعها وهن يقلدن بحناجرهن الصغيرة حذو القذة بالقذة
 فالتعليم لم يكن عند حيوان غير الانسان إلا الطيور فانها هي التي تعلم صغارها أصواتها بل لو اننا
 رفضنا نصف بيض عصفور الكناري المعروف ووضعنا بدل مارفتاه منه بيضا لعصفور دوري ثم
 فقس البيض كله وأخذ الكناري يفتى بصوته الخاص فاننا نسمع مما خرج من بيض العصفور
 الدوري صوت الكناري المعنى لاصوت العصفور الدوري فدل ذلك على أن الطيور تتلقى الصوت
 بالتعليم فهي كالانسان يكمله التعليم ، ومن المعروف أن الانسان إنما يعلمه انسان مثله والذي
 يعلمه قد استكمل التعليم من قبل فلذلك استحق أن يعلمه ، وكم من المعلمين من هم في حاجة
 الى تهذيب نفوسهم واكمال تعليمهم حتى يصلحوا أن يعلموا تلاميذهم ، لو أن عالما آخر أطل
 من هذا الانسان علمه لعرفنا اليوم من هذا الانسان ، ونحن الآن لايسعنا تقدير هذه الانسانية
 ولا معرفة قواها ، وكيف ينسئ لنا معرفة ذلك ونحن لانزال نرى صفات كانت بارزة فيه وانحمة
 أزالتها التهذيب وصفات أخرى مخفية أبرزتها التربية والتعليم

(٧) لو أن ذوى المنازل الرفيعة من الأمراء والملوك ومن نحنا نحوهم تعاونوا مع ذوى المواهب العالية
 من الشعوب وأخذوا في ترقية الانسانية معا لأمكننا بهذه الطريقة القويمة أن نخبر عن مواهب
 هذا الانسان والى أي حد يصل في ارتقاء مواهبه ، ولكن مما لايسع العاقل العاقل العاقل أن يحمله
 ويحدر بالحكيم المعرّم برقى الانسانية أن يعرفه أن أقول : إن ذوى المقامات الرفيعة من الملوك
 والأمراء لا يهتمون بأمر الشعوب ولا الانسانية العامة إلا بمقدار ما يسمو به سلطانهم وترتفع به في
 الناس أقدارهم ، فأما شعبهم لارتقاء الانسانية درجة أودرحات لتقرب من الكمال فذلك ليس
 بعينهم ولا يهتمون به

(٨) ليس من الناس أحد بلغ درجة التعقل والتبصر والتمييز بعد أن أهمل ذوره تعليمه في الصغر إلا
 وأخذ يسأل نفسه قائلا : « أهذا الخلل جاء من نقص التهذيب أم من نقص التعليم ؟ » (وهذان
 تشملهما التربية العامة) . إن الرجل الذي لم يعلم يعد رجلا غير ناضج فهو نبي وغير متقن ، وأما
 الرجل الذي لانهذيب عنده فهو رجل غير منظم الحياة ولا موزون

(٩) إن النقص الحاصل من إهمال التهذيب أشد وطأة وأضر بالإنسان من نقص التعليم فإن العلم يمكن تداركه في الكبر . أما التهذيب وتحسين الخلق فهيات هيات أن يصلح شأنه بعد فوات فرصته في الصغر . إن الخطأ في تهذيب الطفل لن يصلح أمد الحياة

(١٠) وعلى كل جيل أن يخطو في التهذيب والتعليم خطوة إلى الأمام ويسامها للجيل الذي بعده وهناك ترتقي الإنسانية شيئاً فشيئاً جيلاً فجيلاً وتقرب من كمالها خطوة خطوة إذ لا سبيل لبلاوغ الإنسانية غايتها إلا بوسائل التربية والتعليم ، ولا جرم أن هنا أمراً جديراً بالذكر وهو هذا السؤال : ما الذي تستفيد به الإنسانية من دوام التعليم وارتقاء الإنسانية فيه جيلاً فجيلاً ؟ وجوابه بين واضح وهو أن ارتفاع التعليم يوجب ظهور المواهب الكامنة في الإنسان واستكمالها وهذا يجعل الإنسان أسعد حالاً وأنعم بالاً مما هو الآن ، إن ما ننتظره من رقى القوى الإنسانية بكامل التعليم أمر جليل القدر عظيم المنزلة

(١١) لنجعل نصب أعيننا هذه الفكرة ونقرر في أنفسنا أن الإنسانية لا بد من ارتقاؤها ، فإذا فعلنا ذلك أمكننا السير في هذه السبيل ، أما إذا يثسنا من هذه الفكرة مدعين أننا لن نتأهل لأننا لم نزاوها فذلك يبعثنا عنها مراحل ، كما إذا فكرنا في أمر الحكومة وبحثنا عن هيئة الحكومة العادية التي لا خطأ في أحكامها فقلنا لا سبيل إليها لأننا لم نزاوها

(١٢) فلنجعل نصب أعيننا فكرة رقى الإنسانية ونحققها في أنفسنا ضار بين صفحا عما أمامنا من العقبات الصادة عن إتمام غاياتنا في ذلك ، واذن يكون تحقيقها ممكناً ولا تحقيق لعمل إلا بعد افضاح الفكرة فيه والاعتناء بها

إن التعليم في أيامنا الحاضرة لا يؤدي إلى رقى الإنسانية ، وكيف يؤدي إليها والأمم مختلفون في الطرق التي يسلكونها . فما الذي يجمعهم إذن ؟ فليكن اتحاد عام للتعليم . فهذا الاتحاد هو الذي يحدث في الإنسانية طبيعة جديدة فلنعمل لتحقيق تلك الفكرة بالتعليم ويسامها الجيل المتعلم إلى الجيل الذي بعده ليقرب كل جيل من الغاية العالية شيئاً فشيئاً حتى تتحقق الآمال بالترجيح وهناك تكون سعادة الإنسانية . ولأضرب لك مثلاً نباتاً يسمى (أريكيولا) إذا نبت بطريق بغيره وحرته وسقيه خرجت أزهاره ذات ألوان بديعات جيلات فأما إذا بقيت جذوره للعام المقبل ونبتت شجيرات عليه فإن أزهارها لا تكون إلا ذات لون واحد وتذهب منها تلك المحاسن والبهجة والزخرف والنضارة والرقص والتزييق التي كانت في زهرات العام الماضي . لماذا هذا ؟ لأن النضارة والبهجة الكامنتين في النبات خبثت في البذرة فبرزت . أما الجذور الباقية فيها بعد فقد خلت من أكثر المحاسن . هكذا الإنسان فإن لم يكن التعليم مستمر الرقى والابتداع فيه فإن ثمراته تكون ضئيلة ضعيفة لا تشقى من علة ولا تروى من غلة ولا تدفع عارا ولا تطفى ناراً

كم في الإنسان من مزايا محبوبة في جبلته لم تبرز للوجود . فقلنا نحن أن نجعل هذه الأصول الصالحة تظهر وتموحي تصل بالإنسان إلى غايته المنتظرة . أما الحيوان فقد وصل إلى غايته واستكمل قوته التي لا قوة وراءها بلاروية ولا فكر . والإنسان عليه أن يجد ليصل لغايته ولن يصل إلى ذلك إذا لم يضع الفكرة نصب عينيه لأن أول الفكر آخر العمل . وبدون الجهاد الفردي لن تتم للإنسان غايته . فلنتصور والدين كملت أخلاقهما واستكملت مواهبهما وجعلنا أنفسهما مثلاً لأبنائهما . فاتبع الأبناء الوالدين اتباعاً تقليدياً بلاروية ولا عقل ولا بصيرة فإن هذه التورية تظهر بعض مواهبها لاجبها وذلك بمجرد التقليد . إن الناس في الأزمنة الحالية والقرون الماضية لم تكن لهم فكرة ثابتة لترقية الإنسانية العاتمة . بل حتى الآن في أيامنا هذه لا نجد رأياً ثابتاً لهذا الغرض العام . إن الحق الصراح يقضي أن الجهاد الفردي لبلاوغ الغاية الإنسانية هو السبيل

الموصل لها وبدون الجهاد الفردي لاجتياح في الوصول اليها بل لانكفي أفراد قليلة . فليعمل كل فرد في الناس هذه الغاية . إن الإنسانية العاقمة لاسعادة لها إلا بسعي جميع أفرادها في استكمال مواهبها
هذه هي الحقيقة التي لامراء فيها . إن التعليم صناعة ولا يتم كالمها إلا بجهاد أم كثيرة فيها . وكل جيل يهب تجاربه ومعارفه للجيل الذي بعده ليقترب من الكمال واستنبات بذوره الكامنة حتى يقترب من الغاية المنشودة . بهذه الوسيلة يتقدم النوع الانساني نحو نصيبه من الكمال
إن العناية المدبرة للانسان قد أرادت منه أن يستخرج بنفسه من نفسه المزايا الشريفة التي كنت في جبلته وخطبته تلك العناية قائلة له : « أيها الانسان : أنت على نفسك بصيرة ولولأقيت لنا معاذيرك ، نحن منحناك كل موهبة وأعطيناك أصول الرقي الموصلة الى غاية السعادة ، فأما استكمال تلك المواهب واستخراج تلك النضائل واستنبات تلك البذور فذلك عليك أنت ، هكذا عليك قضينا أن سعادتك وشقاءك متوقفان عليك أنت وحدك »

إن العناية بذلت للانسان بذور السعادة لاتنس السعادة وطى الانسان أن ينمي تلك البذور الكامنة فيه فهي لم تضع فيه نفس السعادة بل مقتناتها ولم تحفظها بفريزة تستكمل نموها بخواص الغريزة ، فالواجب على الانسان أن ينمي تلك البذور وينمي صفاته العقلية ، واذا أحسن بالاضلال في سيره فليهدى الى طريق السواب بقوانين الآداب العاقمة ، وههنا تثار مشكلة يصعب حلها وبشكل فهمها ، ذلك أننا قلنا ان الانسان لا يصل الى الكمال إلا بالتعليم ولكن التعليم انما يكون بالغطنة والبصيرة . والنظنة والبصيرة يتوقفان على التعليم . إذن صارت المسألة فيها الدور والدور محال فالتعليم متوقف على البصيرة والبصيرة متوقفة على التعليم . فالتشكي متوقف على نفسه وهو محال . ولكن هذا الاشكال يزول متى عرفنا أن كل جيل من الأجيال يحمل علم الجيل الذي قبله ويزيده شيئاً يسيراً من جهاده الخاص ويوصله للجيل الذي بعده وبهذا زال الاشكال لأن ارتقاء الدرجات ارتقاء بطيء تدريجي لا فجائي حتى يرد هذا الاشكال . فكل جيل يزيد على ماورثه مما قبله قليلاً قبل أن يسلمه لمن بعده . فلعمري ما أوسع التعليم وما أكثر التجارب التي تضمنتها هذه السبل التي شرحناها والطريق التي أنبأها . وهل هي شئ غير تبيان الامكان فقط أما الوصول اليها وتحقيقها فانا لم نصل اليه بعد وههنا تثار مشكلة أخرى فيسأل هذا السؤال : هل نحن في جهادنا الفردي نسلك السبل التي سبلكها النوع الانساني جميعه في أجياله المتتابعة والاجاب على هذا الاشكال إلا بالحيرة بأن نقول نعم هنا مشكلتان كل منهما أصعب من الأخرى حلا وهما : صناعة الحكومة . وصناعة التعليم . والناس متنازعون في تحقيق معامها . ولكن المدنية الحالية التي وصل اليها الانسان هي التي تمكنه من أن يتصور اماكن الوصول الى الغاية المنشودة التي نحث عليها وليس في الامكان أن نخطر هذه الفكرة انعالية في عقول الأمم أثناء وحشيتها وعلى ذلك يسر علينا أن نفهم كيف كان الانسان الأول . إن السجلات القديمة والكتب الموروثة تدلنا على أن أرقى الأمم المتعدية الآن كان آباؤهم ذوي صفات وحشية بربرية . فكم من أنواع الجهاد ابتدعوا . وكم من سبل سنوها حتى وصلوا بجدهم الى مجرد القراءة . فهكذا نقول مع هذه الأمم الراقية بالنسبة للكمال المنشود الذي كلامنا فيه

إن الانسان حينما ابتدع صناعة الكتابة قديما استحق أن يقال له انه « ابتداء يعيش في الدنيا » إن الانسان وهو يجاهد لاستخراج مواهبه المحبوبة فيه بالعناية المطلوبة وجده واجتهاده بنفسه يكون التعليم صناعة فاذا استكمل الانسان مواهبه في المستقبل فان التعليم يكون أشبه بطبيعة ثانية لاصناعة والعناية القدسية لم تضع فيه غريزة لهذا الغرض المطلوب
ليس يمكن الانسان أن ينال غاية ما ربه واستكمال قواه بالتعليم التقليدي بلا بصيرة ولا فكرة ولا تفعل

وتمييز. فبدور الكمال الخبوءة في الانسان ومحاولة استخراجها بصناعة التعليم يكونان إذن أمرين متشابهين متحدين في أنهما لا بصيرة فيهما ولا كتاب منبر. إن كل تعلم تقليدي بلا بصيرة ولا فكرة تستقر في ثناياه أنواع من الخطأ لأنها تعاليم لأساس لها ولا قانون تسير على مقتضاها. فلارقي لنوع الانسان إلا بالتعليم المبني على البصيرة والتعقل لأن يكون الأستاذ كآلة المتحركة على مثال غيره. بهذا وحده يمكن ارتقاء نوع الانسان واستخراج ببيع مواهبه، تعليم الآباء للأبناء يكون بالقدوة والتقليد فيما يفعلون، فإذا نجح الأطفال في تقليد الآباء فانه لا بد من المراسمة والتعليم ليميزوا الخبيث من الطيب بالتعقل والبصيرة. والذي يتعلم بلا بصيرة تعليماً آلياً ليس يفعل شيئاً إلا انه يعطى الخطأ الذي استحوذ عليه وأنواع الغلط لتلاميذه ويكررهما لهم كما وعاءها إن الاصول التي يجب أن يكون عليها التعليم في المستقبل هي أن يضع المعلمون أمام أعينهم هذه الغاية وهي ان التعليم لا يقصد منه الوقت الحاضر فقط بل يقصد منه أيضاً ارتقاء الانسانية العامة في المستقبل واستخراج قوى كل فرد. تلك هي الطريقة التي تتخذ في فكرة الانسانية العامة ووصولها الى نهاية مستواها الرفيع وهذه القاعدة تستحق العناية والاهتمام. إن الآباء يحتذون في تعليم أبنائهم المثال الذي يخطونه هم لانفسهم ولا يبالون بالخير في المستقبل للعالم أيكون صالحاً أم يكون فاسداً ولكنهم أجدر أن يذكروا الأبناء بالخير العالم لنوع الانسان في المستقبل ولكن ههنا تقابل مسألتين عويستين: الآباء يربون الأبناء على ما يريدان من الحياة المعتادة. والأمراء والملوك يربونهم لأجل ممالكهم وبقاء سلطانتهم. فههنا عاملان يتعاونان على حصر عقول الأبناء في خطة محدودة. أما الرقي الانساني فلانظر فيه لا للآباء وللأمراء. فالآباء غايتهم منازلهم والملوك غايتهم ممالكهم. فلا هؤلاء ولا هؤلاء موجهو مهمهم الى غاية الانسانية العامة النافعة والى استكمال قوى الفرد الكامنة فيه التي يسعى اليها ويستعد لها بظفرته. فليكن التعليم مؤسسا على فكرة استكمال قوى الانسان. وهنا يرد سؤال فيقال: إن التعليم بقصد ارتقاء الانسانية ضار بالأفراد لأن العناية بالعموم تلهي عن العناية بأمر الانسان ومنزله وهذا القول مردود على صاحبه فانه (وان ظهر في بادئ الرأي أن قصد الفرد المنفعة العامة ضار بمصالحه الخاصة فهو يضحى بعضها لأجل المصلحة العامة بسبب هذه الفكرة) فان الرقي النفسى إذ ذاك حسن في ذاته ونافع أيضا في أعماله الحالية الفردية فضلا عن العامة. وكم من الفوائد الطوائد على المرء بهذه السبيل. إنه بالتعليم العام تظهر المواهب القاضية الكامنة في الانسان. وبدور الرقي يموزها أن تظهر شيئا فشيئا لأن الشرور وأخلاق السوء لم تخلق في طبيعة الانسان، وهل الشر إلا نتيجة إهمال الطبائع الانسانية وعدم قيادتها وحكمها حكما لا هوادة فيه. ليس في الانسان إلا قوى الخير. من هو الذي يعلم نوع الانسان أحسن سبل هذه الحياة لانعام سعادته. أهم الملوك أم هم الشعوب؟ إن الذي يعلمهم هم نفس الشعوب. هم الذين يتقدمون الى الكمال عن رغبة منهم واجتهاد فيصلون الى نصف طريق الكمال والملوك ينشون بعد ذلك تعليمهم على ذلك ويثبتونه ويوطدونه. أما الأمراء فليس يحسن الاعتماد عليهم في تعليم الأمم. ذلك لأنهم يموزهم التقيف والتهذيب في تعليمهم الأول. فكيف يقاسون من مصاعب ومشاق في أعمالهم وذلك نتيجة ما كان من خطأ في إبان تعليمهم إذ هم لا يجردون في صباهم من بنهاتهم عن شر أو يبعدهم عن ذنب فكبروا وهم مغرورون فلذلك يقاسون شدائد ومخنا لا يستطيعون الصبر عليها فكيف يوكل لهم أمر تعليم الأمم. إن الشجرة التي تكون في حقل منفردة تنمو وهي معوجة ناشرة أغصانها بانساع ذات اليمين وذات الشمال بينما الشجرة التي في وسط أشجار أخرى في غابة تنمو بضغط ماحوطها عليها طولاً لاعراضاً مستقيمة لامعوجة تبحث عن الهواء وضوء الشمس من أعلى. هكذا تكون حال هؤلاء الأمراء. وعلى كل حال يجدر بهؤلاء أن يتعلموا مع أبناء شعوبهم فذلك خير لهم من أن يتعلموا وحدهم ذلك ليبلوا حلو العيش ومره. نعم نحن ننظر الخير في التعليم العام من هؤلاء الأمراء فقط اذا كان تعليمهم أعلى من تعليم شعوبهم. إذن التعليم

العام سياجه نفس الشعوب في جهادهم الخاص . فلا يصلح الأمراء أن يتكلم الناس على مساعدتهم كثيرا كما يزعمه (باسيدو) وآخرون غيره لأننا وجدنا بالتجربة أن هؤلاء لا ينظرون للإصلاح العام في التعليم كما ينظرون إلى إصلاح ممالكهم وهم لا يريدون إلا الغاية التي قصدونها في تلك الممالك . نعم هؤلاء ينفقون إذا كانت غاية اتفاقهم جو المنفعة إلى خزان حكوماتهم بل المجامع السلمية العالية (رجال الأكاديمية) لا يعيرون خيرا الانسانية العام لإتفانهم وربما يضعون ذلك في المستقبل ، أما الآن فإنه قليل

إن إدارة المدارس يجب أن يكون اعتمادها إذن على حكم ذوي الاختبار البارعين الماهرين من الحكماء إذ يقولون : « التعليم يجب أن يقوم بالجهاد الفردي أولا وكامل التعليم يفيض على غيره بالتدرج »
و بعبارة أوضح : « ليقم التعليم على جهاد أبطال العالم في العلم الذين لهم نظر ثاقب واسع ويجدون لذة في التثقيف العام للأمم وهم متصفون بمسرة ولذة لاحد لها بالرأي المؤدى إلى أحسن الامور في المستقبل وهو أن النجاح المستمر للطبيعة الانسانية نحو غرضها السامي أمر يمكن حصوله »

فهل بعد هذا نعتمد على الأمراء الذين ينظرون إلى رجال أمهم كأنهم قطعان من الأنعام في ضمن ممالكهم . وبإلّ قصدهم إذا فعلوا خيرا علما أن يعلنوا العناية لأنفسهم انهم يريدون خيرا للانسانية وهم اذا أرادوا تثقيف شعوبهم فلن يكون ذلك إلا الحاجة في نفس يعقوب قضائها ، فهم لا يعلمون الشعوب إلا على نموذج ما قصدونه هم أنفسهم لغاية يريدونها . إذن فليكن التعليم أولا بجهاد أفراد الأمم أنفسهم وليجدوا فيه على مقدار استعدادهم هم لا إرادات ملوكهم ، ولكن عليهم مع هذا أن يجعلوا نصب أعينهم الخير العام ولرفقاء الأمم فلا يجترؤا بأن يجعل الأمم ذات نشاط في أعمالها بل يجب أن نحمل الناس على الكمال الأدبي وليجدوا حتى يكون النسل المقبل خيرا من الجيل الحاضر في علومه ومعارفه وآدبه . وهنا أخذ بين في الفصل الثامن عشر ملخص ما تقدم . أولا ان التربية تشمل :

(١) تهذيب النفوس بمنعها من الشرور

(٢) وتثقيف العقول بالمعارف

(٣) وازدياد البصيرة والتعقل بما اكتسبه الناس من العلوم ومعاملة كل امرئ بما يناسب عوائده

(٤) واعمال البصيرة في الغاية المطلوبة لكل امرئ بحسبه

وأخذ في الفصل التاسع عشر بين أن القسم الرابع وهو التعليم الأدبي العام متروك لابنظر إليه الناس كثيرا ، فعلى الأساتذة أن يبينوا للأطفال في إبان صباهم أن الرذيلة في نفسها محققة مكرهة مبنوذة ولا يكتفون بقولهم ان الله حرمها : كلا . بل هي في نفسها محققة لذلك حرمها الله

وأخذ في الفصل العشرين بين أن التمرين العملي في المدارس لابد منه لأن ذلك مقدمة للتمرين في أمور الحياة العامة في المنزل وفي السياسة

وأخذ في الفصل الحادي والعشرين بين أن التربية تشمل كما تقدم على رعاية الوالدين أولاد وعناية المدرسين

ثانيا وعلى الهداية في أعمال الحياة ثالثا في تهذيب الناس ونظام الأسرة ونظام السياسة العامة

وفي الفصل الثاني والعشرين يقول : « إن التعليم إما عام وإما خاص » وأطال في ذلك

وفي الفصل الثالث والعشرين يقول : « إن التعليم العام مكمل للتعليم الخاص في المنازل »

وفي الفصل الرابع والعشرين أبان صعوبة التعليم المنزلي ، ثم حكم أن التعليم يستمر إلى السنة السادسة عشرة من الحياة وبعده ذلك يعلم كيف يتعقل هو بنفسه ، وعلى المدرس أن يهديه السبيل في تعلمه حتى يكتمل نفسه تحت ارشاده ، وأبان انه في أول أمره يكون تأديبه عمليا ، فإذا عقل وكبر أعطى الحرية في الاختيار بنفسه مع تعليمه احترام غيره بحيث لا تنصر حرية غيره ، ويعلم كيف يضبط عواطفه بنفسه لا بالخوف

حتى يكون ذلك نبراسا له في مستقبل حياته

م أبان أن التربية من نتائجها ما يأتي : تهذيب النفس وصلاحيتها لرعاية المنزل وتدير الأمة بموافقة الحياة العامة والنظر لخير الانسان العام ، فالأول شخصي والثاني منزلي ومدني والثالث للانسانية العامة اه هذا ما أردت نقله من الكتاب المسمى « كنت في التعليم » إذ ترجت أكثر المقدمه وعسى أن أترجم بقية الكتاب في مقام آخر

هذه أيها المسلمون آراء الاستاذ (كنت الألماني) الذي تحترمه الأمم حولنا . ولم أقل هذا إلا لأريكم أيها المسلمون الآراء الشائعة في أوروبا الآن . وأفضل ما ذكرته الآن فيه النفع العام فهو يحرص على أن يكون الانسان الواحد مريدا للخير للأمم الانسانية جميعا وهذا عجب جدا وكيف يقول (كنت) « إن الانسانية كانت وحشية ولما تعلموا الكتابة ابتدأت حياتهم الدينية . وهاهي هذه المدنية ارتقت ولم تبلغ النهاية . فاذا كان أولئك المتوحشون قد حاولوا الكتابة حتى نالوها أفلا نحاول نحن الرقي حتى يستخرج الانسان كل قواه الكامنة بجذته كما استخرجت قوى الحيوان بفريزته وهناك يصل الانسان الى مقام عال وسعادة شريفة

فيا عجباً : أليس هذا تفصيلا لقوله تعالى - وقل رب زدني علما - . ألم ينزل في أول (سورة العلق) - اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم - فذكر أولا القلم وثانيا تعليم الانسان ما لم يعلم . وهل هاتان الجملتان إلا ملخص ما ذكره (كنت) . أليس القرآن - آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم - . إذن كل ما وجدناه قولا حقا في صدور العلماء فهو تفسير للقرآن . وهاهي هذه آية - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - قد فصل بعض معناها في كتاب العلامة (كنت) فهذه الآية لانها لمعانيها وهذه بعضها . ها هوذا كنت الألماني يقول هنا ما كتبه في سور كثيرة : ان المسلمين يجب عليهم أن يرتقوا أولا ثم هم الذين يقومون بالخير العام للأمم لأننا جعلنا - خير أمة أخرجت للناس - (انظر في سورة ابراهيم في آية - وذكروهم بأيام الله - وفي آية - وقل رب زدني علما - في (سورة طه) فهناك نجد تفصيلا لهذا المقام) وليعلم المسلمون أن (كنت) وأمثال (كنت) يكتبون ذلك بعقولهم وفطرتهم الانسانية ونحن نكتب بعقولنا وفطرتنا مع ديننا . فاذا كان هؤلاء بعقولهم أدركوا أن الانسانية كلها اخوان وانهم يجب عليهم أن يرقوها فكيف بنا نحن ؟ فلنا عقول كما لهم . ولكننا نزيد بأن ديننا يأمر بجد الانسانية جمعاء . فهذه ميزتنا وهذه هي التي ستمل قراء هذا التفسير وغيره أن يكونوا - خير أمة أخرجت للناس - لأن المدنية الأوروبية ناقصة فليكن الكمال في مدينتنا المستقبلية . أليس ما يقوله العلامة (كنت) بعض تفسير قوله تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - . ألم يؤذن بلال الحبشي في الكعبة بمحضر من أهل مكة الذين لا يرون في الأرض من يساويهم . إن الاسلام - قوى بين الأمم ونحن أتباعه فلنكن نحن حراسا على كل أمة متى ارتقينا ونحن الآن في مبدأ الحياة

هنا اطلع صديق العالم الذي اعتاد أن يتحدثني في هذا التفسير فقال لي : حسن ما كتبت عن الاستاذ (كنت) الألماني وجدير بك أن تذكره هنا لأن مشربه مشرب الاسلام . الاسلام جاء لرقى الانسانية كلها والتعارف مع الأمم كلها والمسلمون كانوا - خير أمة أخرجت للناس - كما قدمت ذلك . فقلت نعم فقال ولكني رأيت في كلامه ما يدل على الطعن في الأمراء فما الداعي لذلك ؟ وهل أمراء المسلمين على هذا الخط الذي ذكره . انا اذا لم نطبق العلم على أحوالنا فلا فائدة منه ومتى عرفنا ذلك فهمنا أيكون العلم تابعا لأمرائنا أم ندرس نحن فلانتمسك عليهم كما يقول هو . وقصدي من هذا السؤال أن يكون عندنا ذكر من التاريخ حتى نستنبره . فقلت : ليكن الكلام في (زبرجدتين : الزبرجدة الأولى) في ملخص أمراء ألمانيا الذين ذكرهم (كنت) (الزبرجدة الثانية) في إجمال أحوال أمم العرب قديما وحديثا وكيف سطا الترك

عليهم وسلبهم ملكهم وكيف كان الحكم في مصر لهم وكيف ترفت البلاد المصرية في أيام المغفوره (محمد على باشا) وكيف كان رقبها تبعاً للحكومة وكيف دخل الانجليز بلادنا وكيف كان ذلك تابعاً لنقص التعليم وكيف تعلم المصريون بعد الاحتلال تعليماً شعبياً لا تعليماً حكومياً وكيف ظهرت ثمرة هذا ولم تظهر ثمرة التعليم الأول وكيف كان ذلك كله موافقاً للكلام (الاستاذ كانت) الألماني . ثم كيف كان القرآن والحديث ينصان على هذه الطريقة وهي ان التعليم لا بد أن يكون علماً والشعب هو الذي يقوم به ويان ما جاء في الأحاديث من الحث على العلم وفضله ثم أتبع ذلك كله بما جاء في الفصل الثالث من المقام الأول وهو أن بعض الملوك أحبوا العلم وتركوا زينة الحياة الدنيا والذي علمهم علماء تعلموا بطريق الشعب لا بطريق الحكومات لأن تعليمها ناقص فلا تبدأ بالكلام على الزرجدة الأولى فأقول :

﴿ الزرجدة الأولى في فلذكة . الكلام على أمراء ألمانيا بمناسبة كلام « كنت » عنهم ﴾
 إن أهل ألمانيا فرع من العائلة (الآرية) وكانوا قديماً ليس لهم منازل بل يسكنون قرى كلها أخصاص (جمع خص) وهذه الأمة لم تتوطن أوروبا إلا عند سقوط المملكة الرومانية ولم تكن هذه البلاد الألمانية إذ ذاك إلا مواطنين للحيوانات المفترسة ولا تصلح إلا للصيد والنقص ومناخها رطب كثير الضباب وأرضها كثيرة السبخ وسكن هم أصلحوها فيها بعد ، وهؤلاء القوم كانوا قبائل لم تجتمع إلا في الزمن الذي ذكرناه فهناك اتحدوا وكان لكل قبيلة ملك يعتقدون فيه انه من نسل الإله (أودين) ماعدا الصكسونيين ، وكان جل اعتمادهم على الصيد والحرب ، ثم أخذت ترتقي رويداً رويداً إلى أن حصل لها النيل من فرنسا نحو سنة ١٨١٠ فظهر الحماس في البلاد وارتقى التعليم ثم انتصرت وقازت ، والفضل في رقبها إذ ذاك إنما هو لمملكة بروسيا فان القوم أدركوا أن (بونابرتو) وضع الأمة الألمانية في أدنى الدرجات وأذلها ذلاً شديداً فبمساعدة الوزير (سطين) للملك إذ ذاك حصل إصلاح عظيم ، فالرق أبطل والحقوق الوطنية أعطيت للجميع فانتعش الشعب انتعاشاً لم يمهده من قبل . ولما شاع ذلك أدرك نابليون بونابرتو أن ذلك الإصلاح موجه للاستعداد للحاربة فرنسا فضغط على الملك (فريدريك) فعزل وزيره الأعظم المذكور وهو (سطين) لأنه عدو لفرنسا فنجأ بنفسه إلى روسيا ومع ذلك لم يبق الإصلاح بعد ذلك وصار للتعليم قواعد وقوانين لم تكن من قبل وحصل هناك اتحاد يسمى « اتحاد الحقيقة » ودخل فيه ألوف وألوف وأخصهم المدرسون والطلبة وكلها موجهة لتحرير الوطن من نابليون وفرنسا التي حذت الجيش بما مقداره (٤٢) ألفاً . فسارت بروسيا على هذا التحديد ولكنها كانت تعلم قوماً وتأني بآخريين بدلهم حتى عم التعليم الحربي بروسيا وانتصرت وقازت ألمانيا . وهي وإن انتصرت كان التجاسد لا يزال كثيراً بين الأمراء والولاة إذ هي (٣٩) إباله وأمراء الابلات كانوا ظلمة وقد وعدوا رعاياهم بأنهم إذا قهروا نابليون أعطوهم الحرية والاستقلال . فلما قهروه وانكسر الفرنسيون وحبس نابليون في جزيرة القديسة (هيلانه) نسي أمراء ألمانيا عهودهم ووعدهم واستمروا في الاستبداد والظلم ولكن الأمير الذي مال لتحرير رعيته من الظلم وحده موفياً بعهده هو (فريدريك غليوم) صاحب بروسيا التي هي أكبر إباله في ألمانيا ولكنه لم يفعل شيئاً إلا انه اكتفى بترتيب المجالس في كل مديرية

هنالك قامت قيامة الأسانذة في المدارس والطلبة ونادوا بطلب الحرية وقاموا على الحكومة فنكلت بهم الحكومات ومنعواهم من الخطب والكلام فزاد الطين بلة وقاموا يهدمون صروح أمراءهم حتى ان أمير إباله (برونسويك) وهو اللوق المغضوب عليه من الشعب فرّ هارباً لينجو بنفسه وهكذا في سنة ١٨٤٨ انفجرت الثورة الفرنسية الثالثة في باريس وانتشرت بسرعة في داخل ألمانيا فطلب الناس تشكيل حكومات حرة وأن يتم الاتحاد الجرمانى وقام أهل برلين بشورة بالسلاح . وفي ١٣ مارس سنة ١٨٤٨ وقعت حرب بين الأهالي

والعسكر في برلين فتردد الملك في أمره طويلا . وفي ١٧ منه وعد بالحكومة المنظمة فطلب الأهالي اخراج العساكر من برلين . وفي ١٨ منه ازدحم الناس أمام السراي فما أطلقت رصاصتان من جهة مجهولة حتى قامت الحرب على ساق وقدم بين الجنود والأمة واستمرت أكثر مدة الليل فهلك فيها كثير من الأنفس . هنالك في اليوم الثاني سلم الملك بمطالب الأمة وأخرجت الجنود من برلين . فسلم الملك الأمر لأتمته وبعد أخذ وردة التأم مجلس عام من ٥٠٠ جرمانى في مدينة فرنكفوت في ٢١ مارس من تلك السنة بصفة برلمان وقى وهكذا استمرت ترتقى الى الآن

هذا أيها الذكى القول المجمل في أمراء ألمانيا ذكرته لتعلم لماذا نرى (كنت الألماني) يظهر نقص الأمراء في تعليمهم شعوبهم وعدم اخلاصهم وانهم قوم مراؤن ، وأنا موقن أن هذه النظرة السطحية في أمراء الألمان تعرفنا (أمرين : الأول) لماذا نحامل عليهم العلامة (كنت) (الثانى) أن سيرتهم تعرفنا لماذا تأخر المسلمون وكيف كان تقصير أمرائهم في تعليمهم هو أصل العيب والنقص في تعليمنا وتأخرنا وذلك هو الذى أذكره في الزرجدة الثانية

(الزرجدة الثانية في أحوال أم العرب قديما وحديثا الى آخر ما تقدم)

إعلم أيديك الله أن الأمم الاسلامية جعلها الله في الأرض لتكون نبراسا للأمم وقد سم ذلك في العصور الأولى وبلغوا المشرقين والمغربيين ، ولكنهم لما جهلوا مركزهم في الأمم وانهم لم يجعلوا كذلك لأجل قضاء شهواتهم بل هم نافعون للأمم وجعلوا الأموال لمجرد الزينة والتفاخر وظلموا عباد الله غار الله عز وجل على عباده وطرد أبناء الفاتحين من بلادهم وسلط الترك على أكثر بلاد العرب التي هي منبع العلم في العالم قديما فكسروا شوكة العراق والشام ومصر وشمال افريقيا وهكذا توغل الترك في ظلم الأمم العربية وحكموهم باسم الدين جزاء . وفاقا لما فعل أسلاف آبائنا العرب المتأخرين بعد القرون الثلاثة الأولى (كما تراه موضحا في آية - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة - الخ في (سورة النمل) إذ ترى هناك انهم ظلموا الأمم بعد القرون الثلاثة الأولى فأزال الله ملكهم لأنه رحيم وعدل وحكيم ، فهؤلاء الترك لما سلطهم الله على بلادنا نحو ثلاثة قرون حكمها بعد ذلك المغفور له (محمد على باشا) وأخذ يرقبها هو ونسبه نحو (٥٠) سنة ، ففتح المدارس وقاد الجيوش وفتح الممالك ، ولكن ماذا حصل بعد ذلك ؟ ظهر فيهم كلام العلامة (كنت) المتقدم فالتلميذ يتعلم لمقصد الحاكم لا لمقصد العلم نفسه ولا لترقية نفس الشعب بل الشعب كان يتعلم باسم الأمير ولغايات مقاصده (وبعبارة أخرى) تعليم خال من الحرية والتعليم اذا خلا من الحرية كان ضيلا ولذلك لم يكن في البلاد مدارس حرة مطلقا . فلما كانت سنة ١٨٨١ قام رجل جندي وهو (أحمد عراقى باشا . وهل تعلم هذا في المدارس ؟ كلا . بل هو جندي فلاح تعلم قليلا من الدين وارتقى بنشاطه وخضع له الضباط المتعلمون في المدارس الحربية في مصر وألمانيا وفرنسا والأمة مقهورة والمتعلمون فيها أدلاء لحرية لهم . فلو كان لهم حرية لقام بالثورة الضباط المتعلمون في المدارس الحربية ولكن الثائر جندي فلاح رأى الظلم فقام لحرية . قام يطالب بحرية أمته ولكن أمته لاتزال جاهلة والجاهل جبان ذليل ، فإذا حصل ؟ قام أكثر المتعلمين واتبعوا الخديوى الذى اتحد مع الانجليز ، وهناك انقسمت الأمة وحصلت الحيانة ودخل الانجليز ، فإذا يصنعون ضيقوا دائرة العلم ، فإذا تفعل الأمة ؟ هنا افتتحت بصاؤها فأخذت تعلم أولادها لأنه أيقظها (أمران) التعليم الحكومى السابق . والثورة العرابية فأخذت ترسل أبناءها للخارج وفتحت المدارس الأهلية وانتشرت الجرائد فيها فاستيقظت في (٤٠) سنة فقامت بثورة ضد الانجليز فأعطوها الاستقلال الداخلى . فهذا إنما جاء بسبب تعليم الشعب نفسه بنفسه والمتعلمون أنفسهم هم الذين قاموا بالثورة . فأما تعليم الحكومة الذى سبق الاحتلال فن الثائر جندي لم يدرس في المدارس فما صدق على الأمة الألمانية

صدق على الأمة المصرية من حيث أن تعلم الحكومة تبع أهواء الملوك والأمراء لا يكتفي لرقى الأمة . . .
يجب أن الشعب هو نفسه الذى يضطلع بأمر التعليم وهذا هو الدين الاسلامى
أبها المسلمون : هاهى ذه ألمانيا منذ قرن كانت مهضومة الحقوق أذها ملوكها ومنعوا الحرية فجاهدوا
وارتقوا . والذى أسرع فى رقيهم إذلال فرنسا لهم فكان ذلك من أسباب تحريرهم والأمة الاسلامية لم تكن
العقبة فى سبيل حريتهم واحدة بل ثلاث عقبات : عقبة الملوك ، وعقبة أكثر شيوخ الطرق وقد أوضحت هذا
المقام فى (سورة الكهف) عند آية - وما كنت متخذ المضلين عضدا - وفى (سورة سبأ) عند آية
- ولوترى إذ الظالمون موقفون عند ربهم - الخ وفى (سورة الشعراء) عند الكلام على السحر . وعقبة
الدول المستعمرة ، هاهم أولاء الباطنية الذين علمهم (حسن بن الصباح) فى أواخر القرن الخامس الهجرى
كانوا يجرمون على أتباعهم النظر فى العلم وعدوه ذنبا ، وهاهم أولاء شيوخ الصوفية فى كل زمان ومكان
يحضون على ترك العلم ولا يرون طريقا للناس إلا نصائحهم وهذه أكبر العقبات فى نهوض المسلمين ، وهاهم أولاء
ملوك بنى عثمان كانوا هم أهم السبب فى نقص التعليم فى ديار الاسلام ، وهاهى ذه أمم أوروبا ما دخلت بلادا
إلا جعلت أهلها جهلاء خيفة أن يطالبوا بحقوقهم
اللهم إن هذه العقبات الثلاث هى المانع من رقى المسلمين ، وأنا أقول بانتشار مثل هذه الآراء فى هذا
التفسير وغيره فى بلاد الاسلام تزول هذه العقبات ، وسيكون استعمار الأورو بين من أهم أسباب ظهور
الحياة فى قلوب الشعوب الاسلامية
وها أنا ذا أوضحت الأمر للأمة الاسلامية ، وأنا موقن أن هذا سيتم فيها ، وهذا هو الذى حث عليه
الأحاديث النبوية الشريفة والحمد لله رب العالمين

﴿ نعمات الحكمة ﴾

لما ترجمت هذا الموضوع وكتبته هو وما بعده انشرح صدرى انشراحا تاما وأحسست بمسرة عظيمة ،
وبينما أنا سائر بعد ذلك فى شارع السيدة زينب الذى أمام الباب الغربى للمسجد الزينبى بمصر فى يوم من أيام
شهر سبتمبر سنة ١٩٣٠ أثناء طبع هذه السورة وكان ذلك ضحى إذ سمعت نعمات موسيقى تصدح فى ذلك
جلب المشترين غليل لى فى أقل من ملح البصر أن هذه حفلة أنس فى أم اسلامية بعد عشرات السنين قد
انتظم التعليم عندهم وقرؤا أمثال هذا التفسير وأصبحوا أرقى من الأمم الاسلامية الحالية فهم لذلك مبتهجون
بنعمة العلم والحرية لا أنهم مستعدون للفرجة مثل كثير من المسلمين الحاليين لجهلهم ، وهذا الخيال المفاجئ
لى أوقفنى ثوانى وأنا بهج طرب فرح وأغرورقت عينى بالدموع ، ومن عادنى أن لا أظهر ما يبشئ بخاطرى
مثل هذا لأن هذه خواطر لا تتعدى صاحبها ، ولما أفقت من غشيقى السارة أتتمت المسير
هذا ومن عجب أن الأمم الاسلامية الحاضرين لو علموا أن هولندا والدانمارك والسويد والنرويج قد
قطعوا أشواطا بعيدة فى التعليم وعمموا لأفراد الشعب وبعض ولاياتهم قد أقضت محاكم جنائنها كأمم قريبا
فهم إذن أرقى من المسلمين الحاليين أخلاقا وآدابا ، أقول لو علموا ذلك لسهنوا أشد السهس وقالوا كيف يكون
دينا أول مانادى بالتعليم العام وأجابت دعوته أم أخرى والمسلمون نيام ، اللهم إني أبرأ إليك من السكتان
وأسألك أن توقف المسلمين للتعليم العام اه

➤ زبرجدة فيما جاء من الحث على العلم فى الأحاديث الشريفة ➤

تذكر هذا الفصل حتى يعلم المسلمون أن ما يسمعون من الأحاديث فى الحث على العلم الموجه للناس عامة

(لا انهم يتكلمون على ملوكهم) هو آخر ما وصل اليه نوع الانسان الآن بعد حروب دامت سنين وسنين وأن ألمانيا التي يضرب بها المثل في العلم لم تهتم الى النتائج التي جاءت بها الآيات وهذه الأحاديث التي سأذكرها إلا بعد قرون وحروب طاحنة سالت فيها السماء ، وهذه الأحاديث بين أيدي المسلمين ولكنهم يقرؤونها لمجرد التبرك ومجرد العلم ، أما العمل فلا خلق على المسلمين قول أبي السرداء لزيد بن ليبيد الأنصاري فيما سأل لما سأل الثاني الأول قائلا : كيف يختلس العلم منا وقد قرأنا القرآن فوائده لتقرأه ولنقرته أولادنا ونساءنا . فقال نكتك أمك يازيد ان كنت لأعدك من فقهاء المدينة . هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فما قضى عنهم الخ فهاك الأحاديث التي وعدتك بها من كتاب « تبسير الوصول لجامع الاصول » تحت العنوان التالي وهذا نصه :

﴿ كتاب العلم وفيه سبعة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول في فضل العلماء ﴾

عن أبي أمامة رضى الله عنه . قال : ذكر لرسول الله ﷺ رجلان عابد وعالم . فقال : فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم . أخرجه الترمذى وصححه * وفي رواية له ثم قال : ان الله تعالى وملائكته عليهم السلام وأهل السموات وأهل الأرض حتى النملة في جحرها والحيتان في البحر يصلون على معلم الناس الخير وعن ابن عباس رضى الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ : فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد . أخرجه الترمذى

وعن أبي هريرة رضى الله عنه . قال : سئل النبي ﷺ أى الناس أكرم عند الله تعالى ؟ قال : أكرمهم عند الله أتقاهم . قالوا ليس عن هذا نسألك ، قال فيوسف بنى الله بن نبي الله ابن خليل الله . قالوا ليس عن هذا نسألك ، قال : فمن معادن العرب تسألوني قالوا نعم . قال فخيرهم في الجاهلية خيرهم في الاسلام اذا فقهوا . أخرجه الشيخان

وعن علي رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : نعم الرجل الفقيه في الدين ان احتجج اليه فزع وان استغنى عنه أغنى نفسه . أخرجه رزين
وعنه رضى الله عنه ، قال قال رسول الله ﷺ من أحيا سنة من سنتي أميتت بعدي فقد أحبنى ! ومن أحبنى كان معي ، أخرجه رزين

وعن أبي السرداء رضى الله عنه . قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : من سلك طريقا يطلب به علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة . وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء . وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الأنبياء وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ولكن ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر . أخرجه أبو داود وهذا لفظه والترمذى

﴿ الفصل الثاني في الحث عليه ﴾

عن حميد . قال سمعت معاوية رضى الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من ردد الله به خيرا يفقهه في الدين . أخرجه الشيخان وأخرجه الترمذى عن ابن عباس
وعن أنس رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع . أخرجه الترمذى * وفي أخرى له عن سخرية مرفوعا . من طلب العلم كان كفارة لما مضى
وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : تعلموا قبل الظانين يعني قبل الذين

يشكمون بالظن ، أخرجه رزين وعلقه البخاري

وعن أبي هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ تعلموا الفرائض والقرآن وعلموا الناس فاني مقبوض ، أخرجه الترمذي وعن ابن مسعود بمناه . وزاد رزين . وان مثل العالم الذي لا يعلم الفرائض كمثل البرنس الذي لا رأس له

وعن أبي سعيد رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ لن يشبع مؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة . أخرجه الترمذي

وعن أبي هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها . أخرجه الترمذي

وعن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة . أخرجه أبو داود « الآبة المحكمة » هي التي لا اشتباه فيها ولا اختلاف وماليس يمسوخ « والسنة القائمة » هي الدائمة المستمرة التي العمل بها متصل لا يترك « والفريضة العادلة » هي التي لا جور فيها ولا حيف في قضائها

وعن أبي واقد الليثي . قال بينا رسول الله ﷺ جالس في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان الى رسول الله ﷺ فوقفا على رسول الله ﷺ فرأى أحدهما فرجة في الحلقة جلس وجلس الآخر خلفهم وأما الثالث فذهب مدبرا فلما فرغ رسول الله ﷺ قال ألا أخبركم عن النفر الثلاثة . أما أحدهم فأوى الى الله فأواه الله . وأما الآخر فاستعيا فاستعيا الله تعالى منه . وأما الآخر فأعرض فأعرض الله تعالى عنه . أخرجه الثلاثة والترمذي

﴿ الفصل الثالث في آداب العلم ﴾

عن أبي هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ من سئل عن علم فسكتمه ألجم بلعجم من نار . أخرجه أبو داود والترمذي وهذا لفظه ، والمراد بذلك العلم الذي يلزم تعليمه ويتعين فرضه ككافر يسأل عن الاسلام والدين وكحديث عهد بالاسلام يسأل عن الصلاة وكمن جاء مستفتيا في حلال وحرام فيلزمه تعليمه وجوابه ومن منعه استحق الوعيد وليس الأمر كذلك في نوافل العلم التي لا يلزم تعليمها

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ والله لأن يهدى بهدائك رجل واحد خير لك من حمر النعم . أخرجه أبو داود

وعن أبي هريرة العبدى . قال . كنا نأتى أباسعيد الخدرى رضى الله عنه فيقول مرحبا بوصية رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لنا ان الناس لكم تبع وان رجلا يأتونكم من أقطار الأرض يتفتنون في الدين . فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا . أخرجه الترمذي وضعفه

وعن يزيد بن سلمة . قال قلت ليارسول الله ﷺ انى سمعت منك حديثا كثيرا أخاف أن ينسبني أوله آخره فحدثني بكلمة تكون جاعا . فقال اتق الله فيما تعلم . أخرجه الترمذي . وزاد رزين واعمل به « يقال كتمه جاعا » اذا جعت كلمات

وعن عمر رضى الله عنه . قال لا ينبغي لمن عنده شئ من العلم أن يضيع نفسه . أخرجه البخاري تعليقا

﴿ الفصل الرابع في آداب العلم والتعلم ﴾

عن عكرمة . ان ابن عباس رضى الله عنهما . قال حدثت الناس مرة في الجمعة فان آيت فرتين وان كثرت فتلانا . ولا تعلم الناس هذا القرآن . ولا ألتبكت نأتى القوم وهم في الحديث من حديثهم فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم فتملهم ، ولكن أنصت فاذا أمروك لحديثهم وهم يشتهونه . وانظر السجع من الدعاء

فاجتنبه فأتى عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون ذلك . أخرجه البخارى
وعن على رضى الله عنه . قال حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله . أخرجه
البخارى . وعن ابن مسعود رضى الله عنه . قال ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم
فتنة . أخرجه مسلم

﴿ الفصل الخامس فى رواية الحديث ونقله ﴾

عن ابن مسعود رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ نصر الله امرأ سمع مناقبها فبلغه كما سمعه .
فرب مبلغ أوعى من سامع . أخرجه الترمذى ومعه « نصر الله امرأ » بتخفيف الصاد وتشديد المعاء
حسنة وجهه

وعن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ بلغوا عنى ولو آتت . وحدثوا عن
بنى اسرائيل ولا حرج . ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار . أخرجه البخارى والترمذى قوله
« حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج » ليس فيه اباحة الكذب فى الاخبار عنهم ورفع الامم عن نقل عنهم كذبا
ولكن معنى الرخصة فى الحديث عنهم على معنى البلاغ وان لم يتحقق ذلك بنقل الاسناد لأنه أمر تعذر لبعده
المسافة وطول المدة

وعن محمود بن الربيع رضى الله عنه . قال عقلت من رسول الله ﷺ بحجة مجها فى وجهى من دلو من
بئر كانت فى دارنا وأنا ابن خمس سنين . أخرجه الشيخان . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال حفظت من
رسول الله ﷺ وعاءين . فاما أحدهما فبثته فىكم وأما الآخر فلو حدثتكم به لقطعتم هذا البلعوم . أخرجه
البخارى وقال « البلعوم » مجرى الطعام

وعن أبى ذر رضى الله عنه . انه قال لو وضعتم الصمصامة على هذه وأشار الى فقاء ثم ظننت أنى أنفذ
كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ قبل أن تجيزوا على أنفسذتها . أخرجه البخارى تعليقا « الصمصامة »
والصمصام السيف

﴿ الفصل السادس فى كتابة الحديث ﴾

عن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما . قال : كنت اكتب كل شئ سمعته من رسول الله ﷺ
فهتئى قرئ . وقالوا : تكتب كل شئ ورسول الله ﷺ بشر يتكلم فى الرضا والغضب . فأمسكت عن
الكتابة حتى ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ . فأومأ بأصبعه الى فيه وقال اكتب : فوالذى نفسى بيده
ما يخرج منه الا حق . أخرجه أبو داود

وعن أبى هريرة رضى الله عنه . قال : شكا رجل من الأنصار الى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول
الله انى لأسمع منك الحديث فيجبينى ولا أحفظه . فقال رسول الله ﷺ استعن بيمينك وأومأ بيده الى
الخط . أخرجه الترمذى . وعن أبى هريرة رضى الله عنه . قال خطب رسول الله ﷺ فذكر قصة فى
الحديث فقال أبو شاة . أكتبوا لى يا رسول الله ؟ فقال : اكتبوا لأنى شاة . أخرجه الترمذى ومعه

وعنه رضى الله عنه . قال ما كان فى أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثا منى الا ما كان من ابن
عمرو فإنه كان يكتب ولا اكتب . أخرجه البخارى والترمذى . وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه . قال
أمرنى رسول الله ﷺ فتعلمته كتاب يهود بالسريانية . وقال انى والله ما آمن يهود على كتابى قال فوائده
ما مرتى نصف شهر حتى تعلمته وجدت فيه فكنت أكتب له اليهم وأقرأه كتبهم اليه . أخرجه البخارى وأبو
داود والترمذى

وعن المطلب بن عبد الله بن حنطب رضى الله عنه . قال دخل زيد بن ثابت الى معاوية رضى الله عنهما .

فأله معاوية عن حديث فآخبره به فأمر معاوية إنسانا يكتبه . فقال زيد . أمرنا رسول الله ﷺ أن لا نكتب شيئا من حديثه فحماه . أخرجه أبو داود . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ لا تكتبوا عني شيئا غير القرآن . ومن كتب شيئا غير القرآن فليمحه ، أخرجه مسلم والأذن في الكتابة ناسخ للنع منه باجتماع الأمة على جوازه ولا يجتمعون الا على أمر صحيح وقد قيل إنما نهى أن يكتب الحديث مع القرآن في صفحة واحدة فيختلط به فيشبهه

(الفصل السابع في رفع العلم)

عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ ان الله لا يقبض العلم انزاعا فيترعه من الناس . ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا . أخرجه الشيخان والترمذي

وعن أبي الورداء رضي الله عنه . قال: كنا مع رسول الله ﷺ فشحص ببصره الى السماء . ثم قال هذا أو ان يختلس العلم من الناس حتى لا يقروا منه على شيء . فقال زيد بن لبيد الانصاري : كيف يختلس العلم منا وقد قرأنا القرآن . فوالله لقرأه ولنقرته أولادنا ونساءنا . فقال شككتك أمك يا زيد ان كنت لا عدك من فقهاء المدينة . هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فماذا تقني عنهم . قال جبير فلقيت عبادة بن الصامت رضي الله عنه فقلت : ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الورداء رضي الله عنه . فأخبرته الذي قال : فقال صدق فان شئت أخبرتك ما أول علم يرفع . أول علم يرفع من الناس المشعوب بوشك أن يدخل المسجد الجامع فلا يرى فيه رجلا خاشعا أخرجه الترمذي « شخص ببصره » اذا نظر الى شيء دائما فلم يرد عنه نظره كمنظر المبهوت والمغمى عليه « والاختلاس » الاستلاب وأخذ الشيء بسرعة « والشكل » فقد الأم ولدها

وعن عمر بن عبد العزيز . انه كتب الى أبي بكر بن حزم : انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولاتقبل الاحديث رسول الله ﷺ وليفشوا العلم وليجلسوا له حتى يعلم من لا يعلم فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا . أخرجه البخاري ترجمة « يفسوا » يظهروا . انتهى من كتاب تيسير الوصول جامع الأصول وبهذا تم الكلام على الفصل الثاني من المقام الأول والحمد لله رب العالمين

(الفصل الثالث من المقام الأول)

(في الكلام على الملك والوزير اللذين أحبا العلم والحكمة وزهدا في الملك)

جاء في كتاب اخوان الصفاء مانصه :

حكى ان ملكا من ملوك الفرس كانت له نعمة ظاهرة وهيبة قاهرة وساطان عظيم وملك كبير وكان له وزير له رأى وعزيمة قد رأى السعادة في تديبه والكفاية في توزيعه فدكفاه أمر التدبير مما يحتاج اليه فهو مشغول بلفظه وتناول نهمته في لذة من عيشه وأمان من مصائب الزمان وحوادث الأيام والوزير يورد ويصدر بحميد رأيه وجليل نيته وحسن طويته فأقام الملك على ذلك مدة من دهره وبرهة من عمره فلما كان في بعض الأوقات عرض للملك علة كدرت عليه عيشه ونقصت حياته فتغير لونه وهزل جسمه وضعفت قوته واشتغل من تلك العلة واستدعى وزيره وقال له قد ترى ما نزل بي من هذه العلة التي قد حالت بيني وبين اللذات حتى قد تميت الموت ومالت الحياة ففرقه الوزير وبكى عليه ثم خرج بجمع الاطباء والنفس الدواء ولم يدع مستطبا ولا معزما ولا صاحب نجاة وكهانة الا حضره واعلمهم علة الملك وما يجده من الألم والوجع وانه يشكو ضربان جسده والتهاب حرارة في قلبه وكبدته فشكل قال وما أصاب وعمل وما أفلح وعالج فما أنجح واشتدت تلك العلة بالملك واشتغل الوزير بذلك عن تدبير المملكة وسياسة الخاصة والعامة من خدم المملكة ورعيها واضطربت الأعمال وعصت العمال وكثرت الحوارج في اطراف المملكة وأقاصى الدولة فعظم ذلك على الوزير وتغير وخاف على الملك الهلاك

صاود الى جمع الحكماء واحضار العلماء ومن قدر عليهم من الشيوخ القدماء وأعاد عليهم القول واستدعى منهم
 الجواب وكان فيهم شيخ كبير قد عرف وجوب فقال أيها الوزير ان العلة التي بالملك معروفة بظاها خفية
 بباطنها ومثل هذه العلة لا تكون الا عن حالين احدهما في النفس والأخرى في الجسد فالذي في النفس ينقسم
 قسمين فاحدهما يختص بالنفس الناطقة والقوة العاقلة والآخر يختص بالنفس الحيوانية والقوة الشهوانية والذي
 يختص بالجسم أيضا ينقسم قسمين بالحار والبارد وهو البرد والرطوبة . وأما ما يختص بالنفس
 الناطقة فهو الفكر في المبدع جل جلاله وما أبدع والحيرة فيما خلق وبرأ وانشأ وإعمال الروية واجالة الفكر
 في كيفية الابتداء والانهاء وماشا كل ذلك من الأمور الالهية فان النفس اذا غرقت في هذا الأمر وانفلتت
 عليها أبوابه وتغررت أسبابه ضاقت وحوجت فأحرق طبيعة الجسد فضعت القوى الطبيعية عن تناول الغذاء
 وحدث بالجسم ما ترى من الضعف والتعب والهزال والضعف كذلك يتزايد مادامت تلك العلة مستدامة
 والخطير مشغولا بها والأبواب عليه منغلقة والأسباب متعذرة ولا يجد من يفتح عليه ما انفلتت من أبوابه
 ويسهل ما صعب من أسبابه وأما القسم المختص بالنفس الحيوانية والقوة الشهوانية فكالعشق للصورة البهيمية
 من النساء والصبيان والاحداث والمرد ان مثل ما يعرض للعاشق اذا غاب عنه معشوقه وحيل بينه وبين محبوبه
 فيظهر به من الضعف والتغيير ما يكون به تلف الجسد وانحراف المزاج وفساد البنية وربما دخل عليه زيادة
 أدته الى المالبخوليا واحترق ووصل المرض الى شغاف قلبه فهلك وبأدواما يكون في الجسد من العليل العارضة
 من جهة الطبائع الأربع فان لكل علة تحدث من فساد المزاج وغلبة الطبائع بعضها على بعض فله علامات
 يستدل بها على تلك العلة ومواضع يقصد بالأدوية اليها ولا يجب للطبيب الحاذق أن يبدأ بدواء العليل الا بعد
 السؤال له عن السبب في تلك العلة ماهو وكيف كان وعما كان وما أصله أهوشى من المأكولات أسرف في أكله
 أم مشروب اتزف في شره أو ضم عرض له أو هم دخل عليه أوجال اشتغل به قلبه وفكره أو صورة حسنة رآها
 فوقت في قلبه ثم حيل بينه وبينها ومنع من تناول لذاته منها وأي موضع يجد الوجع من جسمه وبماذا يختص
 من أعضائه وأي شئ يشتهي وأي حديث يلهمه ويرضيه وأي سماع يطر به فاذا أخبر العليل طبيبه بشئ مما
 ذكرناه اذا سأله . وكان العليل صحيح العقل ازداد الطبيب الماهر علمه واستشهد على ما أخبره لفظا بما يدل
 من البرهان عليه بالحس وماتين له من صحة النبض عما يستدل به على صحة ما أورده المريض ويسترشد الطبيب
 على قول المريض وشهادة النبض بشاهد آخر وهو الماء فاذا اتفق النبض والماء مع شكوى المريض فقد
 عرف حينئذ الطبيب العلة وما يختص بها من الأعضاء فان يغلبه إحدى الطبائع وضعت الأخرى أرسل الى
 ذلك العضو ما يوافق طبيعته ويلائم قوته لينقمع به ضده الذي يضايقه في مكانه بالملاطفة والتدرج ولا يحمل عليه
 بالدواء الحاد في أول دفعة فانه ربما أحدث له ذلك فسادا لا يرجي صلاحه والمثال في ذلك النار المشتعلة في الحطب
 أول ما وصلت اليه فانها اذا قويت وألقت عليها الماء ازدادت حرارتها وقويت بحاراتها فالتفت ما وصلت اليه
 واحتوت عليه فاستل أيها الوزير عن بدء هذه العلة كيف كانت وما السبب فيها والحال الموجب لها فقلنا اذا
 عرفنا ذلك تداركه بالملاطفة وحسن التدبير ان شاء الله . قال الوزير أيها الحكيم ان في أدب وزراء الملوك
 ومن الواجب على من صحب الملوك أن لا يبدؤهم بالسؤال لهم مما لا يجب له السؤال عنه ولا يهجم عليهم بذلك الا
 أن يبدؤوه به ولا يطلب الدليل على ما يقولونه بل يستمع ويصدق ويسلم اليهم في جميع أمورهم ولا يعترض عليهم في
 أفعالهم وأعمالهم وأنا أهاب الملك وأخاف منه أن أسأله عن شئ لم يده وحال يخفيها ولم يطلعني عليها لاسيما في أمر
 نفسه وجسمه . قال الحكيم أيها الوزير انه لا سبيل الى شفائه ومعرفة دوائه الا بعد الابانة عما ذكرته لك
 وأنا أرى ان سؤالك له عن أمره وما أخفاه من سره يكون سببا لحياته ونجاته ان شاء الله فاذا أعلمك ذلك
 فاعلمني به واحفظه عنه لئلا تنسى مما يحكيه شيئا ثم انصرف ذلك الشيخ ومن حضر المجلس من الأطباء ونهض

الوزير فدخل على الملك فلما رآه انس به وأدناه بقربه وسأله هل وجد له دواء واتجه له عنده شفاء فأكثر
الوزير من الدعاء له ثم أقبل عليه فسأله عن بدء العلة كيف كان وما الذي كان السبب في حدوثها به فلما سمع
الملك من وزيره هذه المسئلة التي لم يكن سألها عنها قبل ذلك أمر من كان بين يديه من خدمه أن يقعدوه
ويستدوه ففعلوا ذلك ثم أمرهم بالبعد عنه فلما رأى الوزير ذلك خاف على نفسه وفرغ واستوى الملك جالسا
على فراشه وقال له ادن مني وأعد هذه المسئلة على وأصدقني فإني أرجو الشفاء بصدقك إياي وإنك قدرت على
السواء في إزالة الداء إن شاء الله فإني لم أسمع منك هذا السؤال قبل هذا والواجب على الملوك في أدب المملكة
أن لا يبدوا من يلم بهم من عبيدهم وخواصهم بكشف أسرارهم وبما يحدث منهم في خلواتهم وما يجيئون به في
أفكارهم لاسيما إذا لم يجدوا أهلا يكشفونه لهم ويودعونهم عندهم ويرجون بهم فتح ما انقلب عليهم بابه وتعذرت
أسبابه وقد كنت في طول هذه المدة التي حدثتني فيها هذه العلة أريد من يسألني عن ذلك فأبديه له فلم أجد
سائلا يسألني عن ذلك وكلما عدت من أث اليه الشكوى وأخرج اليه بما أجد من البلوى صعبت العلة على
وزرايحت المحنة لدى فلما سمع الوزير ذلك من الملك تحقق قول الشيخ الحكيم المجرب وعلم أنه صدق وأصاب
قال له الوزير أرجو أن أكون موضعا لهذا الأمر وكشف هذا السر فقال الملك إن شاء الله ثم ابتدأ الملك فقال
إني كنت في بعض الأيام قد أظهرت نعمة الله تعالى علي وأحضرت أجلبها لدى وأمرت باخراج ما في خزائني
من الجواهر النفيسة والآلات الثمينة مما جمعت أنا في أيامي وما ورثته عن آبائي فأحضر بين يدي في خلوة من
حشمي وعبيدي وخزائي الذين كانوا يتلوهم الي بين يدي فرأيت منظرا أطر بني غاية الطرب وفرحت بها
وطربت لها وأخذت منها بالنصيب الأوفر والحظ الأجل من القبضة والسرور والجدل والحبور فكبرت نفسي
وعظم قدرى وظننت أنني قد وصلت إلى ما لم يصل اليه أحد غيري وإني من أسعد السعداء ثم اني نمت فرأيت
في منامي كأنني في تلك الحال على أحسن ما يكون وأتمه وأكمله وكان رجال دولتي وعبيد مملكتي كلهم قيام بين
يدي خاضعون لي ساجدون سامعون لقولي مطيعون لأمرى وأنا على سرير مملكتي في محل كرامتي فيبينها أنا
كذلك إذ رأيت رجلا شابا مليح الصورة حسن الأثواب لم أره قبل ذلك الوقت ولا عرفته وكأنه بالقرب مني ينظر
إلي نظرا المستهزئ غير هائب لي ولا خاضع بين يدي ولا مسلم علي مستقل بجميع ما أنا فيه وكأنه يملك ما أملكه
ويقدر على ما لا أقدر عليه ويصل إلى ما لا أصل اليه ففانظرت ذلك منه وكأني قد صممت بالاقناع به وأمرت به من
كان بين يدي من خدمي وأصحابي من جميع أهل مملكتي ورجال دولتي أن يقعدوا به وهو قائم في مكانه بضحك بي
وكانهم لم يصلوا اليه ولا قدروا عليه وكأنه قد زاد استهزاؤه واستزراؤه ولم يهله شيء مما رآه فلما رأيت منه هالتي
ذلك وأفرغني فمقت من مكاني وتنجيت عن سريري ودنوت منه وقلت له من أنت ومن أين أنت وكيف وصلت
إلي ومن أين دخلت علي فقال لي يأسكين يا مغرور بسلطان الأرض والملك الجزئي أي ملك أنت إنما أنت مملوك
ولست بمالك فلم تدعي الحال وترضى لنفسك بالكذب وجميع ما أنت فيه زائل مضمحل فان وعماقليل يشاركك
وتفارقة وإنما الملك الملك السماوي والسلطان الإلهي فان بادرت وعملت ما يقرب الي ربك وصلت اليه وكنت
ملكًا بالحقيقة ونلت ملكًا لا يبلى ولذة لا تفتنى فتكون ملكًا بالحقيقة تفعل نفسك إذا زكت وروحك إذا صفت
ما أنا فاعل وتصل إلى مثل ما أنا اليه وأصل مما انه ارتفع من الأرض وأقبل يمشي في الهواء ويجول في الفضاء إلى أن
رأيت وصل إلى السماء وغاب عني فلم ير وسمعت هاتفا يقول لمثل هذا فليعمل العاملون فلما رأيت ذلك منه أيقنت
أني لست بمالك وأني مملوك كما قال واني لست بعالم واني جاهل واني لست بإنسان واني حيوان ثم انتهت وأجلت
الفكر وأعملت الروية وكثير تخيلي لذلك الشخص وما قال لي ورأيت من مملكته وسعة قدرته والمكان
الذي رقي اليه واشتهت المعرفة بالعمل الذي هو صلة اليه فاشتغلت بهذا الشأن عن جميع ما كنت بسبيله عن
نلك اللذات وانقطعت عن جميع الشهوات وزهدت في المأكول والمشروب وأقبلت أجبل فكري وأقبل نظري

في أهل المملكة ورجال الدولة فلم أرفيهم من يصلح أن أكتشفه هذا السر ورأيهم كلهم مشاغيل بالحال التي
 أزرى بها على ذلك الشخص واني واياهم مما ليك وأن الأسماء التي استغرناها لا تصلح لنا ولا تليق بنا وانها ذاهبة
 زائلة عنا وخشيت أن أبدى أمرى الى من ليس هو من أهله فأنسب الى الجنون وقلة العقل فصمت عن الكلام
 وزادني الفكر والنم والهم والأسف فحدثني من ذلك ما ترى من التحول والتغير في الصفات فهذا هو سبب
 وجي ومبدأ علي وأظن اني خارج من هذه الدنيا بهذه الحسرة ان لم أصل الى العمل الذي يوصلني الى ما وصل اليه
 ذلك الشخص الذي رأيته وقد خرجت اليك باصرى وكشفت لك ما أخفيت من سرى فان كان لي عندك فرج
 فخر به علي وان عدت ذلك فاكم سرى ولا تخرج الى أحد بشئ منه كما خرجت به اليك من أمرى لثلاث أنسب
 الى الجنون وزوال العقل فيذهب الملك مني ومنك ويطمع فينا الأعداء لأن علة زوال العقل أصعب العلة تعتبر
 دواؤها معنوم شفاؤها ولكن قد طمعت أن لي عندك فرجا لما رأيته قد سألتني عن هذا السؤال ولم يكن هذا من
 عادتك مني ولمعرفة أن فيك من الأدب الذي يصلح للولوك ما لا يحملك على مثل ما أقدمت به علي من ابتدائك لي
 بالسؤال عن سرى الذي لم أبده فأصدقني كما صدقتك . قال الوزير فأعدت عليه ما كان وما جرى من الشيخ الذي
 أشار علي بذلك وأمرني به فقال علي بالشيخ فقد وضع يده على الداء وأرجو أن يكون عنده الدواء فخرجت من عنده
 وأحضرت ذلك الشيخ وقصصت عليه الحال من أولها الى آخرها فسبحي وقال قد انكشفت العلة وعرفنا دواها
 وقد نال على شفاؤها ان شاء الله ثم نهض مني حتى دخلنا على الملك فلما رأى الشيخ فرح به ورفضه وأقبل عليه وأنس
 به وأقبل يعيد الحديث عليه من أوله الى آخره فأقبل الشيخ على الملك وقال له ان العمل الذي يوصل الى مثل
 ما رأيت لا يكون الا بعد العلم بتوحيد الخالق جل جلاله ومعرفته حق معرفته فاذا صح لك ذلك وعلمته ابتدأت
 تشرع في تعليم العلم المؤدى بك الى عبادته الموصلة لك الى جنته ودار كرامته فاذا أحكمت العمل بتلك العبادة
 وصلت الى مرادك ونلت غرضك ولا يكون ذلك الا بعد ترك جميع مملكته وقدرت عليه من أمور الدنيا . قال
 الملك قد رضيت بذلك وطابت نفسي به وقد تجملت بترك جميع ما كنت فيه وتمنيت الموت والراحة من هذا
 العالم فقال الشيخ ان هذا العلم غير موجود عند أحد في بلدنا هذا وانما هو موجود بحقيقته عند رجل من
 الحكماء مقامه في اقليم الهند بجبال سرنديب تحت خط الاستواء فان عنده مفاتيح ما انفلق من هذا الأمر
 وصعب من هذا السر . قال الملك فأني لي بالوصول اليه والقدم عليه وانا على ما ترى من تحول الجسم وضعف
 القوة وكثرة الأعداء وما تراه من اضطراب الحال وفساد الأعمال والعمال وكثرة الخوارج علينا والاعداء لنا
 وتمنيهم الوصول بالأذية الى وانزع ما في يدي من هذه المملكة الفانية والقنية المضمحلة وان كنت غير متأسف
 على فقدها ولا حزين على زوالها بعد ما سمعت ورأيت وانما أخشى ان أدرك اذا خرجت منها وبعدت عنها
 فأقتل وأموت في الطريق ولأصل الى ما يكون به السعادة بعد الموت وأكون قد تجملت بالذل والهوان في الدنيا
 وسرعة القدم عليه في الآخرة . قال الشيخ صدق الملك فيما ذكر ولنا في ذلك تدير آخر قال ما هو قال أن أكتب
 الى الحكيم أعلمه بالحال وننظر ما يكون من جوابه فعمل به ان شاء الله . قال الملك افضل ذلك وخف على الملك
 ما كان يجده وسكنت نفسه الى قول الشيخ . وقال للوزير اعلم اني قد وجدت العافية وقد سكنت تلك الحركة
 الفكرية وبردت الحرارة التي كنت أجدها في قلبي واستدعي من الطعام والشراب ما أمسك به القوة ودعت
 اليه الحاجة وفشا في أهل المملكة من أعمال الدولة أن الملك قد أفاق من علة وزال عنه ما كان يجده ففرح
 الناس بذلك وسكنت الغتة فسارعت الخوارج الى الطاعة وعمت البركة وشملت النعمة وعاد الأمر الى أحسن
 ما كان في مدة يسيرة وقويت نفس الملك ووثق بما وعدده الشيخ الموفق الرشيد فكتب الشيخ الى رب بيت
 الحكمة في ذلك الزمان يعلمه بما جرى ويسأله أن ينفذ اليه من يراه ليفتح عليه من العلم ما يصلح له ويعلمه
 ما ينبغي له في جسده فلما وصل الكتاب الى الحكيم ووقف عليه استدعي تلامذته وكان له اثنا عشر تلميذا

حاضرين معه فاعلمهم بما وصل اليه وقرأ عليهم الكتاب فقالوا مرنا بما تريد لتمتله ونأى فيه ما توهمه فافرد رجلين منهم وقال لهما اذهبا الى الملك فاذا دخلتا عليه فليبدأ به أحدكما فيلزمه حتى يبلغ في العلم الرياضى الى حد يجب له اذا وصل اليه ووقف عليه الارتقاء الى العلم الاطلى ثم ينصل عنه ويلزمه الآخر حتى يوقفه منه عند الحد الذى ينبى له فاذا رأيتما قد حسنت أفعاله وزكت أعماله فانصرفا عنه ولا تطلبا عليه جزاء ولا شكورا . ثم ابتدأ بوصيتهما وبتحذيرهما من الوقوع فى حبال الدنيا وشبكة ابليس وقال لهما انكما فى مكان بعيد عن محاسن الدنيا وزخارفها وفضائلتها وبهجتها وما يبعده أهلها من فتنها وستردان على الملك وعلى مملكة واسعة ونعمة ظاهرة ولذات متواترة وإياكما الميل الى شئ منها والمحبة لها فانكما ان فعلتا ذلك ومنا الى شئ مما ترى انفسدتما وأفسدتما وخرجتما من الصورة الانسانية الى الصورة الحيوانية والرتبة الشيطانية بالفعل وخرجتما من فسحة الجنان وروضة الروح والريحان وجاورتما الشيطان فى دار الهوان وخرجتما من سعة الكسل الى سجن الجزء فلا سمعنا وأطعنا وتوجها من حيث هما الى أقليم الملك وكتب الحكيم الى الشيخ يعلمه بذلك وجعله عينا عليهما ينقل اليه أخبارهما وما يعملانه ويعاملان به الملك ثم قدما على الشيخ بالثى هما عليه من الثعب وقلة الجمال وما يليق بالنسك من الفقر وسوء الحال فأخبر الملك بقدم الرجلين من عند الحكيم ففرح بهما الملك واستبشر ثم أمر بإيصالهما اليه فدخل عليهما فقام لهما قائما على قدميه وأمرهما بالجلوس فجلسنا بمجالس العلماء المفيدين وجلس الملك والوزير بمجالس المتعلمين المستفيدين ثم تقدم المبتدى بالعلم الرياضى فعمل الملك والوزير حتى أحكما وتعلماه الملك ووزيره وقاما بموجباته وأحكامه ثم انفصل الأول وتقدم الثانى فثلا عليهما الحكمة الالهية الى أن بلغا من ذلك غاية ما كان عنده واستفادا ما كان فى وسعه فلما فرغا ما أمراه وأرادا الانصراف أقبل الملك عليهما وقال انى لا أجد لكما مكافأة على ما فعلتاه فى وتوليتاه من أمرى الا ان أسلم اليكما ملكى فتدبراه وتحكمان فى بما أردتما وقد أبحثكما جميعه وهو عندى قليل لكما فلما سمعا ذلك منه ردا عليه ردا جيلا وانصرفا الى مكان كان الملك قد أعده لهما فقتاورا فيما عرضه الملك عليهما وأهداه اليهما من ملكه وقد مالت أنفسهما الى ما رآياه من حسن الدنيا وبهجتها وما عايناه من حسن قنيتها وطيب لذتها فقالا لا بأس أن يجتمع لنا المترتان وننال السعادتين الملك فى الدنيا والآخرة وعرضا على قبول ما أهدى الملك اليهما من ملكه والجلوس فيه والقيام به ثم خلا الملك بوزيره فقال له اعلم يا أخى أن هذه الدنيا فانية ولسنا فيها مخلدين وقد نلنا من لذاتها ونعيمها ما قد نلناه ووصلنا منها الى ما وصلنا اليه وقدرنا عليه فهل بنا تخلى عنها ونلزم مداومة النظر فى هذا العلم الشريف والعمل اللطيف الذى نصل به الى الفوز والنجاة من بعد الموت فاننا لانشك فى وصول الموت بنا وزوله علينا فعلى وإياك تجتمع فى الملك السامى كاجتماعى وإياك فى الملك الأرضى فقال افعل وقويت نيتهما وطابت أنفسهما بذلك فلما دخل الرجلان فى وقت دخولهما على الملك أعاد القول عليهما وما يريده من تسليم الملك اليهما ورجا بذلك سعادة المملكة وأهلها بتدبيرهما وحكمتها ورجا لأهل بلده ومن يكرم عليه من أهله ان يصلوا الى مثل ما وصل اليه من ملك العلم والعمل فتم البركة وتشمل النعمة وتكمل السعادة فقبلا ما أهداه اليهما وتقدما ما اعتمد فيه عليهما وجعل أحدهما وهو المعلم له العلم الالهى فى مقام المملكة وصاحبه فى مقام الوزارة واشتغل هو ووزيره فى مداومة النظر فى العلم والقيام بالعمل والاجتهاد فى العبادة والزهادة فى الدنيا والتهاون بها والمراحم شهواتها وترك لذاتها فكتب الشيخ الى الحكيم بذلك فأبى من عودتهما اليه وعلم انهما قد اقتننا بما رآياه ومالت أنفسهما اليه وتمنيا الخلود فيه وأقاما على ذلك فى تدبير الملك وسياسة المملكة الى أن مات الملك ولحق به وزيره بعد مدة يسيرة وصارا المرحمة الله سبحانه ودار كرامته ونالا الملك السامى ووصلا اليه وافتن الرجلان بالدنيا وتخليها عن العلم والعمل وانهمكا فى اللذات الدنياوية واسترجع الحكيم ما كان أودعهما إياه من حكمته ففسيا ما كانا له **عظيمة** وغاب عنهما ما كانا له حاضرين وفارقا ملك السماء وأخلدا الى ملك الأرض فاهبطا من الجنة وبعدا

من الرحمة واقبلنا على عقبيهما خاسرين فاهلرا وامارا من حضرهما بما فضلا وافتنن الناس بهما وتعلموا منهما ما يضرهم ولا ينفعهم وبدت سوءاتهما وقالوا هذان العلمان اللذان كانا يأمران بترك الدنيا والزهد فيها قد عادا الى ما كانا ينهيان عنه ويحذران منه ولولم يعلمنا ان العاجلة هي النعمة الحاصلة لما اختارها ولا رجعا اليها بعد ما علمنا وزاد بهما جوع الطغيان واستحوذ عليهما الشيطان فأنساهما ذكر الرحمن فصارا أعداء للحكام واضدادا للعلماء وكتب الحكيم الى الشيخ يأمره بالتنحي عنهما والبعد منهما خوفا عليه من شرهما ففعل ذلك واقبلا على تناول أمور الدنيا وشهواتها وفارقا السحر الحلال الذي أنزل عليهما وأمرأ بفعله وعمله وكان به نجاة من نجا ورجعا الى السحر الحرام فضلا وأضلا . وهذا حديث يدل على حالة الملكين هاروت وماروت وما كان من أمرهما وهبوطهما من السماء الى الأرض ومفارقتهما جوارر بهما والملائكة الذين كانوا معهم كفارقة ابليس للملائكة باستكباره وعصيانه ومفارقة آدم للجنة التي كان فيها بما كان من خطئه ونسيانه فهذا بيان معرفة ماهية السحر والسحرة والعمل به وكيفية أقسامه وما الحق منه وما الباطل بحسب ما احتمله البيان واتسع له الامكان انتهى ما أردته من اخوان الصفاء . وبهذا تم الكلام على المقام الأول وفضوله الثلاثة والحمد لله رب العالمين

﴿ المقام الثاني في شذرات ﴾

(في هذا المقام خمس شذرات)

- (١) في إصلاح التعليم
- (٢) وفي العجائب السماوية وما يوصل اليها
- (٣) وفي غرائب الحيوان
- (٤) وفي الفوائد الطيبة
- (٥) وفي الفوائد الأدبية العالمة

﴿ الشذرة الأولى في اصلاح التعليم ﴾

اعلم أيها النكّي أن الأمم الاسلامية الآن أشبه باليقيم الذي ترك وشأنه فلامر به له وانما هو متروك للصادقات ولما كانت الأمم الاسلامية قد سارت في طريقة عتيقة مثل أن تحفظ المتون بلا عقل ويحفظ القرآن بلا فكر وجب أن آيين هنا ما ساقه الله لنا من نعمة العلم والحكمة إذ حضر أثناء طبع هذا الكتاب عالم سويسري ليعت في نظام التعليم عندنا بمصر فأظهر انه ناقص تقصا محزنا . ولما كان تقريره مطولا جدا بل هو كتاب كبير . وقد وجدت ملخص هذا الكتاب منشورا في جريدة الاهرام يوم ٨ نوفمبر سنة ١٩٢٩ رأيت أن أنبت هذا الملخص هنا ليطلع المسلمون على نظام التعليم في الأمم الراقية الذي بينه وبين عصر الصحابة شبه من جهة الحرية الفكرية وعلم الوقوف عند الحفظ والتمتع بالحلوات وقلاوة الهواء والاجتهاد الفردي وما أشبه ذلك فهناك ما جاء في الجريدة المذكورة تحت العنوان التالي وهذا نصه :

﴿ مشكلة التعليم ﴾

نواجه اليوم مشكلة لا تقل خطورة عن مشكلتنا السياسية . هي مشكلة التعليم التي لا بد أن تتصافر الجهود على إيجاد حل لها حتما على مستقبل الشباب أو بالحري البلاد . فصيحات الشكوى التي تملأ أعمدة الجرائد وشعور الخوف والحيرة الذي يمتلك الالوف من الطلبة والوالدين ماهو في الواقع الا خوف مصر على مستقبلها ممثلا في شعور أبنائها . ولهذا أرى لزما على كل متخصص وخير بشؤون التعليم أن يدلي برأيه

مينا خبر مايراه كفيلا بحل مشكلة التعليم كما يتحتم على كل وطني يفار على مصلحة بلاده أن يعلون على تنفيذ مايقترحه الخبيرون بعد البرس والتمحيص . فالمسألة أهم من أن تهمل . وأعتقد من أن تحل بزياة الفصول وإيجاد أما كن لطالبي الالتحاق وأعظم من أن تقوم بعينها الحكومة وحدها ثلاثة أمور لامندوحة عنها لحل مشكلة التعليم وازالة أسباب الشكوى هي (أولا) - تتطلب تغييرا في جو المدارس وأساليب التدريس يتمشى مع روح العصر وتقدم علوم التربية الحديثة

(ثانيا) - تستلزم تعديلا في مناهج التعليم يتفق مع حاجات البلاد وتنوعا يلائم الاستعدادات المختلفة (ثالثا) - اهتماما من الأهالي وتعاوننا على رفع مستوى المدارس الأهلية وزيادة عددها لتساعد على حل الازمة ونشر الثقافة في البلاد . فلما الأمر الأول فقد كفانا مؤونة البحث فيه التقرير الوافي الذي رفعه لوزارة المعارف الاستاذ الفاضل اد . كلا بارية الخبير المنتدب فقد استوفى فيه الموضوع بحثا من جهة الأساليب وجو المدارس وأظهر مواطن الضعف في نظامها مما أشار بما رآه علاجا لتلك العلل وبتلخيص ذلك في عشرين اقتراحا وأذكرها ليطلع عليها من القراء من لم يقرأ التقرير ويستفيد منها أصحاب المدارس الأهلية فالداء يكاد يكون عاما شاملا وليس قاصرا على مدارس الوزارة أما الاقتراحات فهي :

- (١) انقاص عدد التلاميذ في الفرق التي يتجاوز عددهم فيها الحد المناسب
- (٢) الزيادة في تجنيس الفرق من حيث سن التلاميذ ومستواهم العقلي.
- (٣) اختبار كل طفل على حدته اختيارا فرديا
- (٤) تعيين معلمي فرق بالمدارس الأولية والابتدائية والفرق الأخيرة من المدارس الثانوية وجعل تعليم صفراء الأطفال الى سن التاسعة على أبدى معلقات فردا أن أمكن
- (٥) تضييق نطاق المناهج
- (٦) تعديل نظام الامتحانات الحالي تعديلا شاملا لأنه السبب في اعتماد التلاميذ على الاستظهار لاعلى التفكير والتروى
- (٧) زيادة مالا لامتحان من قيمة وأثر في اختبار التلاميذ . ولا ينبغي أن تكون الحافظة في الأطفال الذين يمتحنون الفرض التي يقرطس الامتحان بل القسرة على أداء عمل شخصي مبني على التفكير والتأمل
- (٨) حذف دروس الاملاء والاستظهار ومنع استظهار المتون ومنع التلاميذ من نسخ مالا يفهمونه من النصوص واستظهارها
- (٩) توسيع نطاق العمل الفردي وانشاء مكتبة في حكل مدرسة وقاعات يمارس التلاميذ فيها الأعمال بمفردهم
- (١٠) الاستفادة بالالعب التي تعزز التربية في جميع درجات التعليم وتأليف جماعات من التلاميذ للعمل معا في أشغال معينة استفيذا لغيرتهم وتحيية لروح التعاون والتضامن في نفوسهم
- (١١) جعل التعليم أكثر مطابقة على العمل ولاسيما في المدارس الابتدائية والأولية والاستفادة بالأعمال اليدوية في أغراض التعليم ومراميه
- (١٢) الترخيص للمعلمين بالقاء دروسهم على الفرق في الهواء الطلق وبالتنزه والتريض مع التلاميذ
- (١٣) إنشاء عدد أكثر من المدارس الابتدائية والثانوية للبنات
- (١٤) الالتئاد فيما يتعلق بنشر التعليم (مشروع التعليم الالزامي) في إنشاء المدارس ريثما يتخرج المعلمون

القادرون على القيام بأعباء هذا التعليم

(١٥) إنشاء فرق منتقلة أوجواله لنشر الثقافة العقلية في الأرياف وإنشاء مكاتب في القرى وإقامة سبنا للتربية والتعليم

(١٦) تعديل اسلوب اعداد المعلمين تمديلا شاملا

(١٧) إقامة محاضرات أسبوعية بيداغوجية ودروس اتقان وتجويد للمعلمين

(١٨) تعيين مفتشين ببيكولوجيين لمواصلة البحث والتحقيق في المدارس ولإرشاد المعلمين بنصائحهم وبخاصة منهم معلمى الأرياف على أن يكون تفقدهم إياهم في مواعيد دورية منظمة

(١٩) تضيق دائرة التركيز المدرسى وإرخاء انحناء الحرية للمعلمين ونظائر المدارس والإلانة من شدة البرامج وصرامتها وتقديم الجانب التثقيفى من العمل المدرسى على الجانب الادارى

(٢٠) الاستمرار فى البحوث والتحقيقات البيكولوجية والبيداغوجية التى بدى بها فى سنة ١٩٢٨ - ١٩٢٩ م اه

أما الأمر الثانى أى تعديل المناهج فلم يتناولها التقرير بأكثر من اقتراحه تضيق نطاقها وتحسين نوعها واليك ماقله :

« اتضح لنا أن المناهج فى جميع المدارس على اختلاف خرجاتها خاصة بمواد التدريس فن الواجب المبادرة بالاستعاضة عن وفرة الكمية بجودة الصنف ، وعن التوسع بالعمق ، وعن الحافظة بالتفكير » ثم قال : « وليس فى طاقتنا أن نشرح بالتفصيل ماينبئى ادخاله على المناهج من التعديلات والتعديلات فان هذا الشرح يتطلب بحثا لم تهبنا لنا الفرصة للقيام به ، كما ينبئى أن يبنى هذا البحث على محادثة التلاميذ وخص مفكراتهم ومطالعة منشآتهم فى الامتحان الخ لتعرف الأجزاء التى يفهمها الأطفال وتمثلها أذهانهم من منهج كل فرع والأجزاء التى نستظهرها الحافظة دون أن يدركها العقل »

وظاهر من هذا القول أن الاستاذ كلابر به نظر لتعديل المناهج من جهة الأساليب وملاءمتها لقوى الطالب ، أما من الجهة الاجتماعية العائنة وماتطلبه حاجة البلاد من التعديل فلم يعالجها وعثره كما قال ان هذا الشرح يتطلب بحثا لم تهبنا له الفرصة للقيام به ، أضف الى ذلك انه غريب عن البلاد لا يعرف كل ما يحتاجه وتشكونه ، لهذا قلت يجب على كل وطنى خبير بشؤون التعليم أن يدلى برأيه ، ولهذا رأيت أن أعالج الموضوع بقدر امكاني فان أصبت فقدت بواجب على لبلادى وان أخطأت شفح لى إخلاصى وسرتنى معرفة خطئى واصلاحه من ردة ناقد خبير . انتهى ما جاء فى الجريدة المذكورة

انما قلت هذا المقال برمته لأنه استوفى التقرير الذى كنت أودّ تلخيصه وقد كتبه العالم السويسرى فلنتقدم ذكره ، فهو الآن أشبه بتطبيق على أحوال المسلمين العملية بعد الشرح العلمى ، فهنا أشبه بالعمل وفيما تقدم أشبه بالعمل ، وهذا هو التوفيق أن يجتمع كلام ألمانى وسويسرى ويوجهان لرقى المسلمين ، وأنا الآن أريد أن أبين للأمة الإسلامية قوائد التعليم الثانوى مما اطلمت عليه وقرأته فى كتب مختلفة وفى كلام الكاتب المتقدم أيضا اعلم أيها القارئ كما تقدم فيها قلته عن (كنت) الألمانى أن الانسان هو المخلوق الوحيد الذى يعوزه التعليم والتربية ، واذا نحن نظرنا الى الأمة كلها وجدناها كالفرد الواحد والانسان الواحد ، نجد له مطالب كثيرة :

(١) من طعام وشراب وهكذا نجد له أعضاء كثيرة لتناول هذه المطالب

(٢) وهذه الأعضاء تختلف باختلاف تلك المطالب

(٣) وهذا الاختلاف يشتد تباينه كلما اشتد تباين الطالب ، فالاختلاف بين حاسة النوق والاهل أقل

من الاختلاف بين حاسة البصر والسمع لأن الأولين خصا بما هو قريب للامس والآخر لاملامسة له
ففي المدارس الثانوية :

(١) أولاتى القوى فى التلايد بحيث تصلح للسير فى المجتمع أولا وتستفيد من الأحوال الطارئة فى
الحياة فلا تنقب على حال واحدة بحال وجود

(٢) ثم يجب أن يفرق بين المواهب المختلفة فتوزع على مطالب الحياة كما وزعت الأعضاء والخواص على
مطالب الانسان

(٣) وكما اتنا نجد حاسة اللمس تتعد عن حاسة البصر من حيث متعلقها وتقترب من حاسة السمع إذ
هانان متعلقتان بما هو ملاصق ، وحاسة البصر لا تقدر على مشاهدة الملاصق هكذا أفراد الأمة فلها
كما ارتقت اشتد تباين الأفراد فيكون أحدهم كالعين والآخر كاللس أو كالذوق ولكن لا بد من
نظرة هنا ، ذلك ان الأعضاء المتنافرة فى بدن واحد لا تجتمع بل تفرق ، الأثرى أن الحيوان
إذا مات ففرقت أجزاءه ، إن الذى جمعها الجمال القائمة فى الجسم من التغذية والشرب والأعصاب
والعروق والدم والشحم واللحم وما أشبه ذلك ، فهذه الأعضاء وإن اشتد الخلاف بينها فبها اتفاق
واحد ، وعلى مقدار التباين بينها اشتد اتحادها ، فبواعث الاتحاد كثرت على مقدار بواعث الاختلاف
هكذا فى الأمة ، فإذا رأينا الأمة ارتقت وظهرت فيها أفراد نابغون كل وصل الى منتهى الكمال
بحسب زمانه بحيث صار القاضى والمهندس وعالم الزراعة كل واحد من هؤلاء قد برع فى فنه ،
فهذه البراعة تقطعه عن أمته ويصبح كأنه ليس منها لأنه لاصلة بينه وبين المتعلمين إلا صلة ضعيفة
فهناك يجدر أن يكون التعليم الثانوى كثير المواد غزيرها حتى يجعل بين النابغين اتحادا أتم على
مقدار الاختلاف الشديد فى المهن المختلفة

(٤) ومن جهة الطالب التى تقتضيا المدارس الثانوية الاستعداد للدارس العالية والخاصة ، وقد كان هذا
هو المطلب الذى لا يطلب سواء قديما بالدارس الثانوية ، أما الآن فان الأمر أعظم كما قررهنا بل
لها وظائف أخرى تقدمت وياتى باقيا

(٥) الانتعاب المدرسى ، ومعنى هذا أن فى الناس من ليس لهم استعداد ولا ميل للتعليم العالى فهؤلاء
يجب أن يتعلموا ما يلىق لهم ، ومن لا يستعد للتعليم الثانوى يجب أن يتعلم صناعة تلىق له

(٦) وكما أن كل ما احتاج اليه الفرد فى حياته من مطعم ومشرب وملبس موجود فى هذه الأرض يراه
ويحس به فيطلبه . هكذا يجب أن يجعل للتعليم فى المدارس نماذج لكل ما احتاج اليه الأمة
فتكون فى المدارس أنواع الصناعات وأنواع الفنون ليتخذ كل ما يلىق له . وكما أن الانسان لولم
ير الثمر أو الموز أو التفاح فانه لا يطلبه هكذا لا يقنى لامرئ أن يطلب علم الجبر أو صناعة الحدادة
أو صناعة الكهرباء إلا بالاطلاع عليها ومعرفة شئ يختص بها

﴿ فائدة ﴾

لقد كان قديما اليونان يضعون فى ميا كلهم صوراً مختلفة للصناعات المختلفة ويمر عليها الصبيان فإذا رآها الصبي
وأحب إحداها عرفوا أن هذا هو استعدادة ، وهذا المقام قد بينته فى كتابى « ابن الانسان » نبينا أتم
وكشفا أظهر فأقرأه إن شئت

وهنا يجدر أن أثبت هنا مقالا كتب فى جريدة الاهرام فى يوم الخميس ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٢٩ فى الرد
على من زعم التعليم الاجبارى العام وهذا نصه :

(معنى التعليم الاجبارى)

(حول مقال كاتبة)

حلت انكاتبه النابغة الآتية فى عدد الاهرام الصادر فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٩ مجلة شعواء على التعليم الاجبارى بحجة انه مؤدّ للبطالة واقفار الرىف وازدحام المدن وغيرها ، وبحجة أن كل أمى فى مصر يشتغل وأما طائفة العاطلين فهى من المتعلمين . وبحجة انه لو كانت الغاية من التعليم جعل كل متعلم أفنديا معسكرو العام فى القهاوى والبارات فى انتظار وظيفة تهبط عليه من السماء على أجنحة ملائكة الرحمن . إذن لكان الجهل خيرا . وبحجة انه لو كانت الغاية من التعليم كذف المتعلمين الى العواصم ... لكان الجهل خيرا وبحجة أنه لو كانت الغاية ايجاد الشبان ذوى المناديل المشربة من الجيوب وذوى ربطة الرقبة المرصعة بالدبوس إذن فالجهل خير من العلم

ثم ختمت الآتية مقالها بقولها انها واثقة من أن الشبان المصريين لا يحقون عند قراءة ما نكتب الخ كلا . ثم كلا (على رأى زكى باشا) لقد أخطأت الكاتبة النابغة فى الخاتمة كما أخطأت فى المقدمة . كما أخطأت فى جوهر موضوعها . والويل ثم الويل لمن يخطئ ثلاثا

إن الشبان المصريين يحقون ثم يحقون لمناصرتها الأتية . اللهم إلا اذا كانت تعنى بالشبان الشيوخ المتسبين أو الشبان المتسكولين من أنصار التقدم

يبد انى أجل الكاتبة عن هذا الخطأ الثلث وأتمس لها العذر ثلاثا لأننى لا أخالها إلا جاهلة معنى التعليم الاجبارى فظنته تعليما راقيا يخرج شبانا مثقفين وفتيات مثقفات ملهين وملمات باللغات الحديثة وآدابها ومبادئ العلوم السياسية والاقتصادية والمواد الطبيعية والاجتماعية والرياضية

هذا ما فهمته الكاتبة النابغة بنتيجة التعليم الاجبارى . فاذا كان هذا ما تريد وتعنى فانتى أوافقها وأشدّ ازرها فيما زعمت لأن انقشار الثقافة فى طول البلاد وعرضها فوق الحاجة مما يدعوى الى كثرة الياقات البيضاء كما يعبر عن ذلك علماء الترية اليوم . ومعنى الياقات البيضاء هو عين ما قصدت السيدة بالناديل المشربة من الجيوب الخ فان الأمم المتعدينة جميعها خصوصا التى يكثر بينها العاطلون كإنجلترا وألمانيا على الأخص قد فطنت الى ازدياد عدد الشبان المتأقنين ذوى الياقات البيضاء والأردية الثمينة الذين لا ينزلون الى حلبة الأعمال اليدوية فى المصانع والمناجم مهما ارتفعت أجورها بل يفضلون الانتظار شهورا بلا عمل ريثما يجدون لهم عملا كتابيا فى مكتب أو مصرف أو مصلحة حفظا على ما يزعمونه فى تلك الوظائف من الكرامة والمعزة وحبا فى جعل أنفسهم وياقاتهم ناصعة البياض

وهذه الحال بعكس ماهى عليه فى ولايات أميركا المتحدة تماما فهناك يباهون بالأعمال اليدوية فينزلون الى ميادينها بثغور باسمه مهما بلغوا من الثقافة لأن مدارسهم على اختلاف درجاتها تعودهم احترام العمل لأن الحصص الدراسية هناك تتخللها الصناعات والأعمال اليدوية ، ولا يجد الشاب من خويجى الكليات عارا فى غسل الأطباق وحل الأتقال والعمل فى المناجم لأن الأقدار التى تعلق بالشاب من جراء هذه الأعمال يطلق عليها اسم الأقدار الشريفة أو النظيفة كذلك الفتاة المثقفة وان كان والدها من أصحاب الملايين قد يجدها عاملة فى مطعم أو متجرا أو منزلا حبا بعظمة العمل وشغفا بما تسميه الفتاة الأميركية الاستقلال الاقتصادى

وليسمخ لى القارى أن أضرب مثلين واقصين حدثا مى فعلا ، كنت يوما أتناول العشاء مع فريقى من الطلبة فى دار أحد أساتذتنا فى ضاحية من ضواحي نيويورك وفى نهاية العشاء أخذنا نطل من الشرفة الكبيرة على حديقة المنزل ، فلاحظ أحدنا أن سيارة نغمة مقلقة أوقفت أمام المنزل وخرجت فتاة أنيقة من باب المنزل

ودخلت السيارة وغابت عن الأنظار ، فسأل أحدنا الاستاذ ، أليست هذه الفتاة التي كانت تخدمنا على المائدة أجاب نعم هي بعينها وهذه سيارتها كما رأيتم نعمة ، وهذه سيارتي في الحديقة من طراز فورد المتواضع ، ثم أردف ذلك بقوله : انها من طالبات الكلية وتقوم بخدمتنا فقط عند الحاجة القصوى بأجرة ريال عن كل ساعة . وأذكر مرة أنني دخلت مطعما ذات ليلة في منطقات نيويورك وما كدت أجلس الى مائدة من الموائد حتى أقبل عليّ أحد طلبة الجامعة التي كنت بها وكان من طلبة الدكتوراه يقدم اليّ قائمة الطعام ، وقد تأثرت كثيرا من هذا المنظر وزاد تأثري أن شاهدت زوجه تقوم بالخدمة معه في ذات المطعم في أوقات فراغهما ، وقد قام رجال التعليم في إنجلترا والنمسا وروسيا وهنغاريا وشيكوسلوفاكيا وألمانيا وخصوصا في الأخيرة بحملات شعواء ضد التعليم الثانوي الذي يكثر من العاطلين ذوي الياقات البيضاء ويقلل من الأيدي العاملة وكانت النتيجة أن التعليم الثانوي هناك قد اهتلت نظمه رأسا على عقب وأدخل فيه التعليم العملي الذي يتفق مع حاجة البلاد وتقضى على البطالة والتنزّه عن الأعمال اليدوية ويقلل من الثقافة الأدبية التي لا توافق روح العصر الحديث ، روح العلم والعمل . وقد احتسكت رجال التعليم في ألمانيا صيف هذا العام في مؤتمر التعليم في جنيف وقد شاقني ما رأيته فيهم من التغيير وما سمعت من خطبهم من الانقلاب وقد زادني دهشة زيارتي لألمانيا وما شاهدته في حياتها الاجتماعية والاقتصادية من التغيير وقد كنت زرتها قبل هذا العام منذ أربع سنوات فقط ولا يسع الزائر إلا الاعتراف بأن ألمانيا اليوم تفقت أثر أمريكا أولا في نظم التعليم وثانيا في الديمقراطية واحترام الأعمال اليدوية

فيهم مما سبق أن الأخطار الاجتماعية والقتال الاقتصادي تنجم عن تعميق الثقافة الأدبية والاكتراث من المواد العلمية البحتة . لذلك أشترك مع النابغة الآتية في الاقتراح على وزارة المعارف أن تقلب نظام التعليم الثانوي في بلادنا لأنه من النوعين المشار إليهما والبلاد في حاجة الى قليل من هذين النوعين من الثقافة (الأدبية والعلمية البحتة) وكثير جدا من التعليم العلمي العملي من صناعي وزراعي وتجاري

بقي عليّ الآن أن أقول للآنسة السكاتبه ان معنى التعليم الاجباري بسيط جدا وهو انه يرمي الى تعليم الأمة بأسرها ، بنيتها وبناتها ، معرفة المبادئ الأولية من قراءة وكتابة وحساب وكما كانوا يسمونه في أمريكا وأوروبا ، أو ما يسميه العامة في بلادنا « فك الخط »

فهل تخشين أيها النابغة عاقبة هذا النوع من التعليم الساذج البسيط ؟ إذن فكيف يستطيع أبناء الأمة في الأرياف والمدن أيضا أن يقرأوا منشورات مصلحة الصحة عن الأمراض المعدية والحجيات وعزل المريض والتدخين والبلهارسيا والانكلستوما والماء الراكد وما القنوت والحجاري

وكيف يفهمون منشورات وزارة الداخلية عن الأمن العام ومطاردة الجراد واستئصال دودة القطن وعدم قتل الطيور النافعة ؟ هل تربدين العمدة أن يبعث برجاله ينادون في الشوارع كما يفعلون الآن وكما كانوا يفعلون منذ القرون الخالية ؟

وكيف يقرؤون التعليمات المكتوبة على محطات السكك الحديدية بخصوص مواعيد القطارات وصرف التذاكر ، وعلى لوحات الاعلانات في المحاكم وتنق ومراكز البوليس ، وعلى واجهات دور الحكومة ودور الحوانيت التجارية والمدارس وأماكن العبادة والمستشفيات والصانع والملاهي الخ

وكيف تربدينهم يحترسون من الفشالين اذا كانوا لا يستطيعون قراءة البيضة البسيطة المكتوب عليها « احترس من الفشالين » في الأماكن المزدهجة من أسواق ومحاكم والعتبة الخضراء والموسكى وشارع قواد الأول وعماد الدين وتبازرات وأماكن عبادة ؟

وكيف تربدينهم يمتنعون عن مخاطبة السواق في عربات الترام وعدم البصق في الأماكن العمومية الخ

إذا كانوا لا يستطيعون قراءة الاعلانات الدالة على ذلك ؟

وكيف يستطيع العامل البسيط أن يدون في مذكرة جيبه ماله وما عليه ، وكيف يكتب خطابه الخسومية لزوجته وأولاده ولم تردينه أن ينشر أسراره على الملأ ويلجأ لكتاب (بشديد التاه) العرائض فيسلبون ماله ويفشون أسراره ؟

لم تردينه أن يحرم من هذه النعمة الأولية البسيطة ، نعمة القراءة والكتابة ؟ لم تردينه أن يبقى كل حياته بهما وأن يظل حيواناً أحمج ؟

كان معلم الانشاء في السنوات القليلة الماضية يعلم تلاميذه هذه الجملة المحبوبة التي اذا أغفلها تلميذ كان جزاؤه صفراً ، وهذه الجملة هي « خلق الله الانسان وميزه عن سائر الحيوان بالنطق والعقل والبيان ، وترجة هذه الجملة بلغة القرن العشرين : « الحيوان بالنطق والعقل والبيان والقراءة والكتابة على الأقل » إن التعليم الاجباري إذن ليس من الكماليات بل من الضروريات لأن القراءة والكتابة كالكلام واسطة التعارف . وقد كان الانسان في عصور الفطرة يكتفي بالكلام ولا يحتاج للقراءة والكتابة حاجتنا اليها اليوم لأسباب لا تخفى . أما اليوم وقد سهلت المواصلات وكثرت حاجات الانسان وتعقدت وسائل الحياة ومرافقها فقد أصبحت القراءة والكتابة لازمة لبني الانسان لزوم النطق والكلام

واسمحي لي أيتها الأنسة النابغة أن أذكر أن التعليم الاجباري المقصود في بلادنا هو هذا التعليم البسيط الذي لا يتجاوز علاوة على القراءة والكتابة ومبادئ الحساب شيئاً من علم تخطيط البلدان والقوانين الصحية وهذه لا تدفع صاحبها الى ارتداء الملابس الأنيقة أو الهروع الى المدن . واذا فرض أن تناول التعليمين الابتدائي والثانوي كما يحدث في معظم ولايات أمريكا اليوم فانه لا يأتي بقلقل اجتماعية ولا يكثر من الباقات البيضاء اذا كان المنهاج متوعاً شاملاً للأعمال والصناعات اليدوية كما هي عليه مدارس أمريكا وألمانيا والنمسا وروسيا اليوم واسمحي لي أن أقول أيضاً : إن التعليم الاجباري علاوة على ما ذكرت لازم لكل أمة لأنه يظهر الذكاء الكامن في عقول صبيانها وبناتها . ومتى استكشف هذا الذكاء في فرد من أبناء الأمة أشار القائمون بتربيته على الحكومة حتى تساعده على مواصلة الرس على تفقتها لأن النبوغ والعبقرية جذبران بالاهتمام والعناية . ومن المتفق عليه الآن أن الحكومة مسؤولة عن تعليم أبناء الأمة ليس جاني سواد عيونهم بل تخليداً لكيان الأمة ومحافظة على حياتها . كما ان الحكومة مكلفة بالبحث عن النبوغ والعبقرية والاتفاح بهما . والعقول الراجحة الذكية كالدرر واللازلي لا يظهر لمعانها وقيمتها حتى تعمل فيها يد الصانع الماهر الذي يخرجها من أصدافها ويصقلها بعد تنظيفها من الأقدار اللاصقة بها

وأخيراً اطمئنك أيتها الأنسة النابغة أن مشروع التعليم الاجباري يتطلب عشرات السنوات قبل اكتماله لأنه يحتاج الى المال والمعلمين والأماكن والوسائل لتنفيذه . والبلاد التي عم فيها التعليم الاجباري منذ مئة عام لم تصل فيه الى درجة الكمال لأنه ليس من السهل القبض على جميع من يمتعون عن إرسال بنينهم وبناتهم الى المدارس ومحاكمتهم ، وليس من السهل عد الأسابيع التي يمكثها التلميذ سنوياً في المدرسة وتحديد نهاية صفه في هذه الأسابيع بشرط أن يزوج في أحماق السجون والدور التلاميذ الذين لا يمكث أولادهم في المدارس هذه النهاية الصفري على الأقل ، وستحبط البلاد المصرية خبط عشواء في خلال ثلث قرن على أقل تقدير حتى يتاح لها تنفيذ هذا المشروع الخطير على الوجه الذي يوجب الارتياح

ولتأكد الأنسة أن محور المرأة لن تقوم له في مصر قائمة مالم يعمم التعليم الاجباري ، وسيكون شأن المرأة منه أكبر مما للرجل لأن الأتمية بين النساء أكثر انتشاراً بكثير منها بين الرجال ، ولعل هذه العبارة الأخيرة (إن لم يكن غيرها) تحمل الأنسة على تغيير رأيها اه

أمير بطر

وبهذا تم الكلام على الشفرة الأولى في اصلاح التعليم العام والحمد لله رب العالمين

﴿ الشذرة الثانية ﴾

(في المجانب السماوية وما يوصل إليها)

جاء في جريدة الاهرام تحت العنوان التالي مانصه :

(مجانب فلكية)

يقال إن أقرب نجم من الأرض هو (الالفا) من نجوم برج العيوق ويبعد عنا نحو (٤٠) ترليون كيلومترا ويقضى نوره أربع سنين وسبعة أشهر وستة أيام حتى يصل إلينا ، وهناك نجم معروف باسم (غمامة مجلان المنغرية) وهي بعيدة عنا بعدا شاسعا حتى ان نورها لا يصل لنا في مدة أقل من ألف قرن ، فنحن نبصر نجم (الالفا) كما كان عليه منذ أربع سنين و٧ أشهر و٦ أيام وغمامة مجلان الصغيرة في المكان الذي كانت فيه منذ ألف قرن ، وإذا فرضنا انها انطلقت منذ ٩٩٩ قرنا فان النور الذي صدر منها في ذلك العهد يظل على سببه إلينا في الفضاء ويبقى منظورا في أثناء مائة سنة أخرى اه

وبما يلحق بالمجانب السماوية ما يوصل إليها من الصناعات ، فانظر ماجاء في جريدة الاهرام أيضا في يوم ٥ أكتوبر سنة ١٩٢٩ تحت العنوان التالي وهذا نصه :

﴿ رصد الجوّ بالسهم النارية ﴾

منذ أكثر من اثني عشر عاما أخذ الاستاذ جودارو العالم الأمريكي يهتم بأمر استعمال المواد المنفجرة لارسال سهام نارية (صواريخ) الى طبقات الجو العليا وهو الذي خطر له أن يصنع صاروخا كبيرا جدا ليطلقه من أرضنا الى القمر على أن هذه الفكرة أخذت تتطور في أثناء التجارب الكثيرة التي قام بها من اطلاق سهام صغيرة على سبيل الاختبار وقد توصل أخيرا الى فكرة استطلاع طبقات الجو العليا بهذه السهام فصنع « صاروخا » كبيرا كلفه نحو ١٢٠٠٠ ريال وعشاء بمادة قوية الانفجار من ابتكاره وأطلقه من فوق برج مرتفع من الحديد في مدينة ورسستر وقد دهش أهل المدينة اذ رأوا ذلك السهم الناري العظيم يشق عذبان الجوّ في ليلة ظلماء وخيل إليهم انه نيزك هائل مرّ بجوّ مدينتهم وزعم البعض بأنه طائرة ملتبهة انفجر حوض وقودها

و يعتقد الاستاذ جودارو أنه يستطيع بهذه المادة المنفجرة الجديدة أن يرسل مثل هذه المقذوفات الى ارتفاع عظيم في الجوّ وأنه اذا تمكن من توصيلها الى علو متى ميل تسنى له الحصول على معلومات عن أحوال الجوّ في ذلك العلو تكون ذات أهمية كبيرة لدى أهل العلم . وسيجهز الاستاذ هذه المقذوفات بعدة أجهزة لتسجيل الارصاد الجوّية متى بلغت آخر حد وعند ما تنقلب هابطة الى الأرض تفتح فيها المظلة المعروفة « بالبراشوت » فنصل الى الأرض سالمة بما فيها من المعلومات وقد كانت التجربة الأخيرة باعثة على التشجيع فان الاسطوانة الفولاذية التي أطلقها في الجوّ بعد ما فرغت منها المادة المنفجرة هبطت بالمظلة هبوطا طبيعيا ووصلت الى الأرض سالمة من العطب

أما الصاروخ التالي الذي سيكون أكبر من هذا كثيرا فتوضع فيه أربعة أجهزة أحدها للحصول على نموذج من الهواء لتحليله كيميائيا وآلة تصوير شمسي لاختبار أشعة الشمس في ذلك العلو اذ يظن أن الأشعة فوق البنفسجية قوية جدا وجهاز لقياس الحرارة وتسجيلها وجهاز لقياس الضغط الجوّي . انتهت الشذرة الثانية

﴿ الشذرة الثالثة في غراز الحيوان ﴾

جاء في مجلة « السياسة الأسبوعية » ما يأتي :

﴿ غريزة النظام عند الحيوان ﴾

قد تتصور أن الحيوانات المتوحشة التي لا تدخل في دائرة الإرادة البشرية فوضوية أي لا قانون لها ولكن جميع مخلوقات الحية ليست إلا نتيجة قوانين كيميائية وأخرى طبيعية . فالمواد الكيميائية التي تتكون فيها خاضعة لقوانين ونظريات الكيمياء وليست نتيجة فعل إجباري للإنسان بل هي عمليات فيسيولوجية محضة مما يجعلنا نحزم بأن أفعال وطباع الكائنات الحية مقيدة بقوانين ثابتة لا يمكن الاستغناء عنها ، ولا شك أن عالما بدون قوانين طوعا لم « فوضى » يقطعه بحانين

إن حجرا تقذف به من أعلى في الهواء يسقط دائما تجاه الأرض ودائما يسقط بحالة منتظمة ثابتة . وإذا أكل الإنسان شيئا كثيرا العسارة فإن هناك غددا تفرز مادة بالغم تعرف باللعاب . وهذه المادة دائما تفرز تبعاً لقوانين فيسيولوجية وكيميائية ولها دائما تركيب مخصوص حيث تفرز من خلايا معينة وبسبب ثابتة تحت شروط معينة ولا يمكن ذلك إلا إذا كان هناك قانون تخضع له كل هذه الأشياء . فمثلا الإنسان لديه قوة بصير عنها بالتفكير والإرادة ، وأما الحيوان فله قوة يسير عنها بالغريزة ، والاميبا والبكتريا التي هي حيوانات طفيلية يمشي نحوها وحياتها تبعاً لقانون ، وليست حركاتها تأتي جزافاً أو هي متغيرة الأطوار وإنما هي على السوام تأتي بنتائج مؤدية على الأقل لما فيه راحتها ، ومن ذلك نعرف أن الحيوان مهما صغر فانه خاضع لقوانين لا يمكن له البقاء بدونها ، ولناخذ الآن مثلاً العنكبوت فإنه ينسج بيته بغاية الدقة للقرونه بكل صبر حيث يعمل عقده وحشيه من الخيوط ويكون عمله هذا كأعظم مهندس فني يعمل تبعاً لنظريات وقوانين هندسية محضة ، فيبتدئ بوضع خيوط دائرية ثم يحدد بها المساحة التي يريد النسج عليها ثم يصنع خيوطاً مشطرية تقاطع في الوسط وتعمل خيوطاً حلزونية أخرى هي عماد ما ينسجه

ولنتقل إلى شمع العسل الذي يصنع بواسطة النحل العادي نجد انه لا يصنع جزافاً بل تبعاً لقانون إذ أن كل نحلة تعمل ما يخصها من العمل القليل ليس إلا ، وكل هذه التحليلات تعمل وتقع قوانين الهندسة بعملها خلايا سداسية هي غاية في الدقة والجمال بل وتعمل قاع الخلية من ثلاث مستويات تتقابل في زاوية أثبت الرياضيون انها زاوية اقتصادية أي غاية ما يمكن عمله لتوفير المادة والوقت

زد على ذلك أن العمل يوزع بينها توزيعاً منتظماً ينفذ بكل دقة كأنه صادر بمنشور ، فبينما يوجد عدد كبير يقوم بملاحظة النحل الصغير نجد عدداً ينطبه تغييراً هويته الخلايا وتبخير الماء من العسل بمروحة الأجنحة وعدداً آخر عمله معماري محض يقتصر على عمل قرص العسل ، كما أنه يوجد رعاة بينها لاحضار الحبوب والملح والماء ، هذا خلاف عدد كبير عمله كيميائي يتلخص في تجهيز حامض الفورميك ، هذا ولم يفت النحل أمر حراسة الخلية حيث يوكل أمر الحراسة إلى فريق آخر يحافظ عليها من أي خطر عدائي كأن هناك الملكة التي تلد ، فإذا نظرنا إلى ما يحدث بين طائفة النحل نجد انه لا يمكن حدوث ذلك إلا بقانون ينفذ بكل دقة دون أي خلل كعمل الساعة حتى ولو كان في ذلك ضرر بالأفراد

هذا ويوجد خلايا رئيسية هي بمثابة الإدارة الحكومية حيث يستمد منها الأوامر ، وهذه بيئته عن مقر الملكة ، ولقد تتكون الخلية من عشرة آلاف غرفة صغيرة لوضع البيض

والآن إذا نظرنا إلى الطيور نجد انها مهاجم من مكان إلى آخر تبعاً لقانون في أوقات وفصول معينة إلى جهات مقصودة ، فأوجد بطير من ألمانيا إلى جنوب أفريقيا وقطع آلاف الأميال ولا يمكن ذلك إلا إذا

كانت هجرته هذه طبقا لقانون . والحيوانات التي تميش قطعانا نجد أن لها قانونا وقواعد تميش بواسطتها ، فالصغار تحت محافظة الأمهات ولا حوب بين أعضاء القطيع الواحد إلا في أوقات الجدل كاجتياز رياسة أوقيادة (انتخاب)

هذا وحركات هذه الطمغان دائما متمشية مع قوانين غير مكتوبة يعاقب كل مخالف لها . مما تقدم نعرف أن القانون في عالم الحيوان أساسه ليس العقل وإنما أساسه الفريزة وكلها تستعمل من أجل الصحة والهدوء والمحافظة على الأفراد واطاعة هذه القوانين حياتها ومخالفتها دمارها

هذا ما يختص بالحيوان ، ولنلق نظرة الى الانسان الذي كان في عصره الأول خاضعا لقوانين الحيوان أى القوانين الفريزية كميله الى الغذاء والانتقام من العدو والقنص واللص . ثم وجد نفسه بمضى الزمن محتاجا الى التعديل والتبديل فأدخل ما ارتآه يناسب حاله وعصره فوضع قوانين مدنية وأصبحت القوانين الخاضع لها مزيجاً من الفريزية والوضعية التي استمدتها من الكتب السجارية ومن أفكاره مما جعله حاملا للقيادة الفكرية لجميع الحيوانات . انتهى ما أردته من مجلة السياسة الأسبوعية ، والحمد لله رب العالمين

﴿ نظرات في بلدة المرج ﴾

منذ ليال في هذا الشهر وهو أكتوبر سنة ١٩٣٠ كررت راجعا من حقنا وكان ذلك بعد غروب الشمس في نفس المكان التي كنت أراقب فيه القمر وكتبت تلك المراقبة في ﴿سورة ظمير﴾ عند آية - أم ترأن الله أنزل من السماء ماء - وفيه أيضا نظرت مزجعة القطن وأزهارها وصلتها وكتبت ذلك في أول ﴿سورة الصافات﴾

أقول : في نفس هذا المكان نظرت أصرا عجبا ، نظرت مئات من الغربان أتت أغواجا متلاحقة لتبيت في شجر النخل وقد فترتها فوق الألف لأن النخل هناك كثير جدا ، فلم أكد أراها حتى أخذت النفس تفكر في هذا الانسان ، هذا الانسان ذوالعقل وذوالإتياء كيف عاش أجيالا يتم يرتقى عن الغربان ، فربان قرية من القرى لا تعيش مع غربان قرية أخرى إذ لا سبيل للاتصال والفريزة لم تعطها ذلك ، ولكن الانسان له عقل ، فإذا فصل بعقله ؟ عقله الخبوء ، عقله الجوهر المكنون . الانسان لا يكون انسانا حتى تكون أمه كلها متحمة . فهذه الغربان التي أشاهدها الآن راجسة الى هذا النخل لتبيت فيه . والانسانية بدون هذا غيبة جاهلة . ولما استتمت فكري انطلقت راجعا الى القاهرة وعرفت أني أتعمت درس الموضوع بقدر الامكان . انتهى الكلام على الشفرة الثالثة

﴿ الشفرة الرابعة في الفوائد الطيبة ﴾

(الكلاب وأخطارها)

قليل من الناس عدد الذين يعرفون الأخطار التي تتعرض لها حياة الانسان من مساكنة الحيوانات الأليفة التي اعتادت عليه فأمن لها وأمنت له . والواقع الذي لاشك فيه هو أن ثلاثة أرباع الأمراض الخبيثة التي يصاب بها الانسان تنشأ في جسمه من المكروبات القتالة التي تنص فيه من كلب أو حصان أو غيرها من الحيوانات التي يقرب منها وتقرب منه

وقد أدركت الحكومات الراقية أخطار هذه الحيوانات لحذرت الانسان منها وعلمته كيف يتقى أخطارها بقدر الامكان ان لم يستطع الاستغناء عنها تماما . ورأينا مراراً كثيرة على جدران السواثر العمومية في أوروبا وأمريكا صور الحيوانات الأليفة وقد كتبت فوقها بخط عريض عبارات التحذير منها والابتعاد عنها ووصفها

بكونها المأعداء الانسان

وبلغ جهل أخطار هذه الحيوانات في الناس أنهم يسمعون لها (لاسيا للكلاب والتقطط) بالنوم في أسرتهن وبجانب أولادهم جاهلين انهم بهذا العمل يضعون الموت بجانب أولادهم بما تنفته هذه الحيوانات في وجوههم من المكروبات القتالة وبما يسرى الى جسوم الاولاد من جسوم الحيوانات من الأوبئة الجلدية كالجرب وغيره بواسطة الاحتكاك وانتقال جوائيم الأمراض السريسة العدوى . وأشدها الحيوانات الأليفة خطرا على الانسان هي الكلاب والتقطط . وبحسنا اليوم بنوع خاص في الكلاب وأخطارها . وقد أخذنا هذه المعلومات الصحية عن اختبارات كبار رجال علم الطب في العالم لرائي الاميركي . وإذا استصحب الانسان الحياة بدون كلب في بيته مثلا فليعلم أن حياته أتمن وأنفع له ولغيره من حياة كلب . ومن الجهل الفاضح أن يعرض الانسان حياته وحياة عائلته لخطر الموت من أجل سلاواه بمعاشرة كلب أو رأى حيوان آخر . ومثل الكلب خطرا الطيور البنية التي يدخلها الانسان الى بيته كالحمام والبيغوات والتموس والصفير وغيرها . لكن أشد الحيوانات خطرا آكلات الأوسلخ والهوم والديدان التي تحمل جوائيم أوبئة خبيثة

للكلاب مرض خاص خبيث اسمه مرض الحمود فإن الحمود الصغير سريع النمو وكثير العدد في الكلاب . وينشأ فيهن من أكل الهوام والحشرات كالبراغيث والبعث والغناب والتباب . وهذه الهوام كلها سموم وجوائيم أو بئة خبيثة محمولة من الأقدار والجيف المنتنة التي تتغذى بها أحيانا كثيرة وبرغوث واحديا كله كلب كاف لاملأ جسمه كله بمكروبات هذا المرض الخبيث وجعل أمعائه وكل أعضائه الداخلية تخرج بالحمود الصغير الذي قلما يزول إلا بموت الكلب ودفنه في مكان لا تنسل اليه بقية الحيوانات . والكلب المصاب بمرض الجرائم السوديه يمدى سواه حتى بأفاسه والناس عادة يقبلون الكلب في وجهه وفيه ويسمعون له بتقبلهم ولحن وجوههم ووجوه صفارهم ومنهم من يطعمه بيده ويدخل اصابعه الى فمه ويسمح له بالنوم في فراشه غير عالم بأنه يمرض نفسه للموت السريع بهذا العمل الفظيع والقتل

ولو أن الحكومات تأمر الناس بالابتعاد عن الكلاب وتمنع تربيته وتقتلها كما تفعل في أحيان اشتباهاها بمرض الكلب (بضع اللام) فيها لأحسنت صنعا وتوفر عليها وعلى شعبها أهم أسباب الموت الذي يجمل الناس أسبابه وزادت في رفاهيته وسعادته لأن السعادة تفتح أو ينتج أهم أسبابها من حسن الصحة العمومية وبعد الناس عن الأمراض (١)

﴿ أعراض المرض في الكلاب ﴾

إن الأمراض الخبيثة في الكلاب اعراضا لا تخفى على الناظر ولكن من الأمراض الخبيثة مالا أعراض لها في بدايتها ولا يشبه بها أحد فتعدى أسيادها بدون أن يشعروا وقبل ظهور الاعراض عليها ، ولطفا سواه ظهرت اعراض المرض في الكلب أولم تظهر فخير لنا إبعاده عنا إذ لا فائدة لنا منه والرجل الذي لا يستطيع أن يحرص مواشيه أو بيته بنفسه فإذا تبيده الكلاب . والصيادون يفتن عنها أيضا وإذا استغنى الانسان عن الكلب يتحول قسم كبير من عناية الكلب واتقابه اليه بدلا من أن ينسكل في كل شأن وعمل على كلبه . واعراض المرض في الكلب انه يصاب بالسعال دائم وضعف عزيمة وخوار وفقد شهية الأكل وسوء هضمه وقد النعومة في الشعر ، وأجربة الكلاب التي تصاب بهذه الأمراض تصاب باضطرابات وضيق نفس وحك جلدها وتركض من مكان الى آخر باضطراب وتصرخ بدون داع من الألم

(١) يقول المؤلف : وهذه مجهزة اسلامية قد ورد « لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها »
وورد وجوب غسل الاناء الذي ولغ فيه الكلب سبعا لإحداهن بالتراب

وأهم أسباب قتل هذه الأمراض الى الانسان أكل اللحوم غير الناضجة على النار لاسيما لحوم الخنازير التي تعيش على الأقدار والأوساخ والحشرات . وجراثيم السود تنتقل من الكلب الى الخنزير والانسان بسهولة وسرعة فربما يتبين وتدخل الى الانسان من فمه ومن عينيه بواسطة انفاس الكلب ومتى تكاثرت تتجمع في الامعاء . وقد صورت هذه الجراثيم في إمعاء كلب فرجدها بيض بيوضا صغيرة لا تكاد ترى بالعين المجردة ويبلغ مجموعها أكثر من ٤ مايون بيضة كلها تنفق وتوالد وتكبر وتمحو حتى تقتل الجسم كله وللكلاب أيضا مرض اسمه مرض الجرب وهو مشهور ينتج عن وفرة الأقدار والمكروبات على جسمه وتطفل البراغيث والبق الجرب في فيه . وهذا ما يشاهد كثيرا في الكلاب . فاذا أصيب الكلب بمرض الجرب تقتله بقي العائلة كلها من عدوى هذا المرض وجراثيمه المنقولة عنه بواسطة البراغيث والبق والبرغش والقمل . والجرب جراثيم تتولد على سطح الجسم فتأكله وتسقط عنه الشعر وتفسده وتدخل الى داخله فتقتله أما الأدوية المستعملة لشفاء الكلاب من أمراض السود فكثيرة منها المسهلات القاتلة لجراثيم السود . وعندنا أن أفضل دواء لشفاء الكلب من أمراضه ومنع سريان المرض الى سائر أفراد العائلة هو قتله أو إبعاده عن البيت الى حيث يموت وحده وتموت معه كل جراثيم مرضه . واننا ندهش من الانسان الذي يعرف شدة أخطار الكلاب والقطة والخنزير وسائر المواشي عليه وعلى عائلته كيف يسمح لها أو لنفسه بعد أن يعرف ذلك أن تقترب منه أو يقترب منها وهو المعروف بأنه الحيوان الراقى الذي يمتاز عن أخيه الحيوان المنحط بسعة العقل والادراك والانتباه والحذر وان لم يكن كذلك يفقد كل حق يدعيه للتفوق على الحيوان الذي يدب على أربع . انتهى من مجلة الشمس

﴿ فائدة طبية في الخرشوف ﴾

جاء في جريدة الاهرام ما نصه

﴿ فائدة الخرشوف الطبية ﴾

نبحث في هذه المقالة عن الخرشوف من جهة فائدته في مداواة أمراض الكبد . وقد كان الأقدمون يعرفون هذا الامر ولكن أهمل استعماله حينما من الزمان والآن عادوا اليه في معالجة اليرقان وحصاة الكبد وغير ذلك من الأمراض التي تصاب بها الكبد وطريقة ذلك أن يغلى ورق الخرشوف ويحلى بالسكر ويشرب وقد لاحظوا أن منفعته لا تلبث أن تظهر وفي الخرشوف مادة تقوى الكبد على التخلص من السموم المتسربة اليها وتساعد خلاياها على القيام بمهمتها وهذا الامر مهم معرفته الكثيرين لأن المصابين بأمراض الكبد كثير عددهم والناس يعنون شيئا فشيئا الى التداوى بالعقاقير الطبية التي كان الأقدمون يعولون عليها في معالجة المرضى وكان الاطباء قد انصرفوا عنها وآثروا عليها الأدوية الكيماوية ومن النظريات الأولية أن الطبيعة أوجدت الدواء بآزاء الداء فهي « صيدلية واسعة » ولكن يجب البحث فيها وتعريف ما تحتوي عليه لوجود أدوية فيها تفضل كثيرا الأدوية التي يلقونها في دور التحليل والصيدليات وتكون معقدة التركيب وقد فهم الناس من عهد بعيد أن الطبيعة بنجوة من التعقيد ولعلنا رأوا أن التداوى بالأدوية البسيطة أفضل من التداوى بالأدوية المركبة المعقدة وفي لبنان أسرتان فيهما أطباء لا يزالون يعالجون مرضاهم بعقاقير يجمعونها بأنفسهم من البرية ولم منزلة عند أبناء وطنهم وطولاء ثقة عظيمة بهم . انتهى الشذرة الرابعة

﴿ الشنرة الخامسة في فوائد أدبية ﴾

(مقالات في كلمات)

جاء في مجلة « كل شيء » ما نصه :

- (١) - « المواهب المعتدلة تنكسب صاحبها الحمد وكثيرا ما تفوق شهرته شهرة صاحب الذكاء العالى »
- (٢) - « اذا كنا أصحاب كفاية احترمنا الرجال الحقيقيون . واذا كنا أصحاب سعد وبخت احترمنا جمهور الشعب »
- (٣) - « إن حلاوة اللقاء هي ثمن مرارة الفراق . والا ما احتمل هذه المرارة انسان »
- (٤) - « الفراق يطغى الشهوات الصغرى ويزيد العظمى كالريح تطغى الشمعة وتزيد النار التهابا »
- (٥) - « كثيرا ما تصادفنا في هذه الحياة مفاجآت لاتزول إلا باستعمال شيء من الحلق »
- (٦) - « ليس بين المصائب مصيبة لا يستطيع اليبس أن يجنى منها فائدة له ولا الغنى أن يجنى منها شرا عليه »
- (٧) - « اذا كان المرء لا يصطنع لنفسه أصدقاء جددا كل يوم الى نهاية عمره فسيجد نفسه وحيدا . فالواجب عليه أن يرم صداقته على السوام »

﴿ الماء والصحة ﴾

الماء أهم مواد الطعام طرا والرجل البالغ الصحيح الجسم يحتاج كل يوم الى (٧٠) أوقية ماء حتى (١٠٠) أوقية . وثالث هذا القدر من الماء في الطعام الذى نأكله فان الأثمار والبقول تحتوى على مقدار عال من الماء بالنسبة الى قيمتها الغذائية . أما الثلثان الباقيان ففشر بهما ماء أو سوائل أخرى (و بعبارة أخرى) ان جسم الصحيح البالغ يحتاج الى نحو ستة أرتال ماء يوميا
 ووظيفة الماء بناء أنسجة الجسم وتحليل الطعام وبذلك يساعد على حمله الى الدم وتنظيف الامعاء ومنع تجميع الفضول فيها مما يفضى تجمعه الى تسمم الجسم كذلك يفسد غدد اللعاب في الفم على الافراز واللعب يساعد على هضم المواد النشوية في الطعام ويحل المواد الملحية والسكرية . انتهى من مجلة « كل شيء »

﴿ لطيفة ﴾

(في قوله تعالى - فبشر عباد الذين يستمعون القول فيذبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله

وأولئك هم أولوا الالباب -)

هذه الآية أصل عظيم في الاسلام توجب أن تنقب الأمم الاسلامية عن العلوم والصناعات والاختراعات وتصفى أحسن ما أنتجته عقول الأمم وأبداع ما أبرزته مباحث العلماء وغير ما أظهره الجدوا أبرزه الاجتهاد وأدبى اليه القياس وأوضحه الدليل واضرب لهذا مثلا واحدا من آلاف . ذلك اختزال الكتابة فاسمع ماجاء في جريدة الاهرام يوم الجمعة ٤ يولية سنة ١٩٣٠ وهذا نصه :

﴿ طريقة الاختزال في الكتابة ﴾

(اختراع شرقى لاغربى)

حضرة صاحب العزة المفضل رئيس تحرير الاهرام الغراء . يظن الناس أن طريقة الاختزال في الكتابة هي حديثة العهد وان الذين اخترعوها هم الغربيون أسوة بغيرها من المخترعات التى اخترعوها

ولكن الحقيقة ان هذه الطريقة هي قديمة المهدجدا والذين اخترعوها هم الصينيون منذ ذيف وألستة .
والدليل على ذلك ما جاء بكتاب الفهرست لابن النديم المتوفى في أواخر القرن الرابع الهجرى صفحة ٢٥٧٢٤
طبع مصر قال : وللصين كتابة يقال لها كتابة المجموع وهو ان لكل كلمة تكتب بثلاثة أحرف وأكثر صورة
واحدة ولكل كلام بطول شكل من الحروف يأتي على المعاني الكثيرة فاذا أرادوا أن يكتبوا ما يكتب في مائة
ورقة كتبوه في صفح واحد بهذا القلم . قال محمد بن زكريا الرازي قصدي رجل من الصين فقام بحضرتي نحو
سنة تعلم فيها العربية كلاما وخطا في مدة خمسة أشهر حتى صار فصيحاً حاذقاً سريع اليد فلما أراد الانصراف
الى بلده قال لي قبل ذلك بشهر اني عزمت على الخروج فأحب أن تعلمي على كتاب جالينوس الستة عشر لأن كتبها فقلت
لقد ضاق عليك الوقت ولا ينبغي زمان مقامك لنسخ قليل منها فقال الفتي أسألك أن تهبطي نفسك مدة مقامي وتعلمي
على بأسرع ما يمكنك فاني أسبقك بالكتابة فتقدمت الي بعض تلاميذي بالاجتماع معا على ذلك فكنا نعمل عليه
بأسرع ما يمكننا فكان يسبقنا فلم نصدقه الا في وقت المعارضة فانه عارض بجميع ما كتبه وسأله عن ذلك فقال
ان لنا كتابة تعرف بالمجموع وهو الذي رأيتم اذا أردنا أن نكتب الشيء الكثير في المدة اليسيرة كتبناه بهذا
الخط ثم ان شئنا نقلناه الى القلم المتعارف والمبسوط . انتهى

واذا كان هذا الكتاب قد طبع لأول مرة في أوروبا سنة ١٨٧٢ ميلادية فلا يبعد أن يكون الغربيون لما
اطلعوا على هذه الطريقة أخذوا في الاسباب التي توصلهم اليها كما توصلوا الي غيرها من المخترعات الأخرى
وفق الله الشرقيين الى اقتفاء أثر الغربيين الى ما فيه نفع المجتمع الانساني

وبهذا تم الكلام على سورة الزمر والحمد لله رب العالمين

(تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الثامن عشر من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم
وبليه الجزء التاسع عشر وأوله سورة غافر)

فهرست

(الجزء الثامن عشر)

من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

صحيفة

- ٤ ﴿ سورة الصافات أربعة فصول : الفصل الأول ﴾ في تفسير البسملة
فكرتني قبيل فجر ٢٤ ما يوسنة ١٩٣٠ في تفسير البسملة في سورة الصافات
- ٥ لما تجلت لي أنواع الجمال في هذه الدنيا حين هبت النسمات وتمايلت الأغصان رأيت أن الدنيا مجوز شوهاء عند الجهلاء وهي عروس لبست الحلى وازيقت عند الحكماء . فهنا زيفتان : زينة براها البصر بالأنوار والجمال وزينة تدركها البصيرة بسبب الرحمة ، ذلك كله في البسملة التي يقرؤها الجهلاء ولا يعرفونها إن الرحمة في هذه السورة تذكرنا بجمال السموات والأرض والشارق والمغرب وزينة الدنيا المذكورات في أولها ، ومن الرحمة محاورات القراء إذ يلوم كل منهم الآخر تذكيرا للفكرين وتقريرا للفاقلين ، ومنها تساؤل أهل الجنة وقول بعضهم انه لم يعبأ بانغواء قرينه له في الحياة الدنيا ، إذن الانسان له ﴿ ثلاث حالات : أولا ﴾ تكون له حياة ومن أسبابها هذه الأنوار ﴿ ثانيا ﴾ تعرض له الشبهات ﴿ ثالثا ﴾ اذا خلس منها فقد كملت حاله ، وهذا كله في الآيات بالترتيب ، وبلي هذا تطبيق وهو نجات نوح ومن معه وابراهيم والياس ولوط ويونس . ومن عجب أن ﴿ سورة الصافات ﴾ لخصت في آخرها كما لخصت ﴿ سورة يس ﴾ كذلك في نفس الآيات
- ٧ ﴿ الفصل الثاني ﴾ كتابة الآيات من أول السورة الى قوله تعالى - لإعباد الله المخلصين - مشكلا بالحرف الكبير
- ٩ التفسير اللفظي لهذا الفصل من أول السورة الى قوله تعالى - فأتبعه شهاب ثاقب -
- ١٠ إيضاح قوله تعالى - إلامن خطف الخطفة - الخ وبيان أن هذه العوالم مملكة بديعة ولن يكون أهل المملكة سعداء إلا اذا حفظت من الأشرار والأشرارها هي النفوس الضعيفة من الآدميين ومن الجن وكلاهما مطرود عن الحكمة ، فأكثر أهل الأرض اليوم يعيشون وهم لا يدرون ما هذا الوجود بل حياتهم كلها وقف على الشهوات والأحوال الجزئية فهم يقدفون من كل جانب دحورا بشهواتهم والشياطين يقدفون بالشهب والطائفتان لم ينالا الحكمة المحيطة بهم
- ١١ مثال يوضح أن الخطفة تكون حسرة لقوم وهدى لآخرين كأن يسمع رجلان آية - المال والبنون زينة الحياة الدنيا - فأحدهما يتحسر على ذلك والآخر يهتدى
- ﴿ لطيفة ﴾ في أن مسألة الشهب كانت عند القدماء في الاسلام مشككة في الفلسفة القديمة واسكنها في الحديث موافقة للقرآن . أسرار القرآن في علم الأرواح والتصوف وأن الأرواح العالية لا تخاطب إلا نفوسا نقيه والأرواح الناقصة تسر بمحادثة الجهلاء
- ١٢ بيان أن كشف حجاب الحس ليس مقصودا للاكابر وما هو إلا لئمة من لئمة النفوس يقصدها قوم في الحياة وهذا جهل والصوفي المغرم بمعرفة ما وراء الحس مخدوع وذلك استدراج له ، ولا فرق بين الصوفي الذي قصد بالعبادة معرفة زمن موت زيد وحياة عمرو وبين محضر الأرواح الذي يقصد أمثال ذلك

- والفريقان اذا قصدا رقى الانسانية بالعلوم العاتمة فهما ممدوحان
تفسير الآيات من قوله تعالى - فاستغفتم أهم أشد خلقا - الى قوله - إلا عباد الله المخلصين -
- ١٤ ﴿ وصف أهل الجنة ﴾ ما كلهم ومجالسهم وشرابهم ونسائهم ، وحديث أهل الجنة
- ١٥ جوهره في قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا - الخ والكلام على المجرة ومركز الكائنات ، وبيان رأى الدكتور (شابلر) الأمريكى وهو أن الكون لا فراغ فيه وأن الشمس لانهاية لمددها وأن بعض المجرات يصل ما بين طرفيها الى ما يزيد على ألوف الملايين من السنين النورية ، وأن نظامنا الشمسى مع مجرتنا كرة واحدة تدور بسرعة (٢٠٠) ميل فى الثانية كما تدور الأرض حول نفسها ولا يتم دورته فى أقل من (٣٠٠) مليون سنة والمسافة التى تجتازها المجرة تبلغ نحو ١٦٠ مليون مليون ميل و ٨٩٢ ألف ميل ، وكرتنا الأرضية كطفل حديث الولادة فى الأجرام الفلكية ، ومركز الكائنات نقطة بين العقرب والحية والراعى ، وهذه النقطة تبعد عن أرضنا بنحو (٥٠) ألف سنة نورية وعدد نجوم مجرتنا يبلغ عشرة آلاف مليون نجم والمركز المتقدم حوله (١٠٠) مليون نجم من هذه الملايين وتجانة المجرة بناغ نحو (٥٥) ألف سنة نورية
- ١٧ ولكل كوكب حد لا يتعداه والنجم المسمى (متكب الجوزاء) شمس نساى (٢٥) مليون شمس كشمسنا ، وقد عرف الناس مجرات كثيرة بواسطة التلسكوب ، ومتى أنشئ تلسكوب مرصد (مونت ويلسون) الجديد الذى يبلغ قطر عدسته (٢٠٠) بوصة فسبرى الناس عجائب كثيرة ولو أصيبت مجرتنا بكواكبها البالغة (١٠) آلاف مليون كوكب أصبح أقرب المجرات اليها لا يعرف هذه الاصابة إلا بعد مئات الألوف من السنين لأن الضوء يظل متصلًا تلك المدة لشدة البعد ، وإذا كانت المجرة يومها (٣٠٠) مليون سنة ، فمألة خلق العوالم فى ستة أيام أصبحت سهلة جدا ، وأذن اليوم عند ربك يكون ألف سنة و ٥٠٠٠ سنة و ٣٠٠ مليون سنة وأكثر من ذلك وأقل - إذن أسرار القرآن ظهرت فى هذا الزمان
- ١٩ ﴿ الفصل الثالث ﴾ فى قصص الأنبياء من قوله تعالى - ولقد نادانا نوح - الى قوله - فنتعاهم الى حين - كتب مشكلا
- ٢٠ التفسير اللفظى لقصة نوح وإبراهيم وموسى وهرون والياس ولوط ويونس
- ٢٣ أقوال التوراة فى مسألة يونس ، وبيان الكلام على يونس وإبراهيم وأن الأول نجى والثانى صبر
- ﴿ الفصل الرابع ﴾ من قوله تعالى - فاستغفتم - الى آخر السورة التفسير اللفظى لهذا الفصل
- ٢٥ ﴿ لطيفة ﴾ فى آية - إنا زينا السماء الدنيا - الخ وخواطر المؤلف فى ذلك . وبيان أن الانسان حين يرى الكواكب تكون له حال من أربع (١) إما أن يرى يبصره فقط (٢) أو يحس مع ذلك بالجمال (٣) أو يفكر فى بدائع الحساب والنظام (٤) أو يفكر فى صفات الذى أبدعها ويستغرق فى حبه ، وكل مرتبة تتوقف على ما قبلها ، فالأولون همج ، والآخرون هم الأعلون ، والثالث والرابع متوسطون
- ٢٧ وكما أن الناس اذا نظروا الكواكب طم هذه النجوم الأربع هكذا الذين يقرؤن القرآن طم هذه الدرجات (١) فمنهم من يكتفى بالألفاظ (٢) ومنهم من يكتفى بالبلاغة (٣) ومنهم من يزيد فيعرف العلوم الكونية (٤) ومنهم من يفكر فى صفات خالق العالم ، ونظرات الفلاسفة على هذا النمط ، فطالبس المالطى وديموقراطيس (١) كالفرقى الأول وقفوا عند المادّة وقالوا : « أصل العالم الهواء أو الماء الخ » ثم

جاء السوفسطائية (٢) فتحبروا (٣) ثم جاء فيثاغورس وأنبذ قلس . فقال الأول : « أصل العالم الحساب » وقال الثاني : « أصل العالم المحبة والنفور » (٤) وجاء آخرون وهم أنكساغورس وسقراط وأفلاطون فقالوا : « للحساب حاسب ، فالعالم له إله أبدعه » وهذه البرجات الأربع لا يشذ عنها عالم في عصرنا الحاضر . فكل للتعليم في المدارس المتحبرين هم من الفريق الثاني ، وكل من يقولون « إن الإله موجود ولكنه ترك العالم » فهذا مثل أنكساغورس لأنه أثبت الإله ولكنه يقول إنه ترك المادة أما سقراط ومن بعده فانهم يقولون : « إن الله يعلم كل جزئي وكلّي »

٢٨ وهذه النظرات الأربع لها نظائر في نظرات الخليل الأربع : للكوكب والقمر والشمس ثم وجهه وجهه لله . فهذه أربع كرات ماقبلها . وههنا بيان أن هذه النظرات الأربع عند كل الأمم تتأشبها أن تكون جزءا للمحسنين ، وهل جزءا للمحسنين إلا الفرح بمعرفة الحقائق السكينة ومحجائب المنوعات تفصيلا فلا يقف الانسان عند الاجال ، ولا يجعل عقله موقوفا على الامور الجزئية فهي باب الضلال والحيرة كأن يرى النكس قفيرا والغبى غنيا وهكذا ، وكأن يدهش إذ يرى الفيل وهو كبير له أربع قوائم ، والبق وهو صغير له ستة أرجل وجناحان فتكون هناك الحيرة ، فهذه الامور من لم يكن مرتاضا بالعلوم حيرته فأضلته ، ولكن السعيد من يزداد بصيرة بمعرفة المحجائب تفصيلا

٣٠ وهنا حكايات قصص للعامة فتفهم إذ هجروا عن ادراك الحقائق الحكمية ، فيذكر لهم قصة ذلك الفارس الذي شرب من ماء العين ونسى صرته فيها دراهم وجاء بعده راعى غنم فأخذ الصرّة وجاء بعده رجل حطاب مقوس الظهر يحمل حزمة حطب خطها واستلقى بجاء الفارس فسأله عن الكيس وهو لا يعلم له به فقال لا أعلمه فقتله ، ثم ظهر بعد ذلك أن أبا الشيخ الحطاب قتل أبا الفارس وكان على أبي الفارس دين لأبي الراعى بمقدار مائ الكيس ، وهكذا حكاية النبي الذي رأى غلاما مكفوفا والصبيان يفقوصونه في الماء فدعائه فردّ بصره فلما أبصر أفرق حالا أحد الصبيان وطلب غيره فهرب الباقون فعرف الحكمة وطلب من الله أن يرجعه كما كان ، ومن ذلك حديث الخضر وموسى في القرآن وبالاختصار :

(١) إن النظر في العوالم يقربنا من الله

(٢) وأن النظر في الامور الجزئية يجعلنا في شكوك

(٣) وأن العلماء المفكرين يحصل لهم يقين وهو نفس السعادة أما العامة فكفاهم حكايات كما تقدم

٣١ (اللطيفة الثانية) في آية - إنا زينا السماء الدنيا - الخ . اذا كنا نسمع سقراط وأفلاطون ومن نحوهما يقولون : « إن المادة لا تصلح مناصب العلم لسرعة تغيرها ولا يصح أن تسمى موجودة إذ لا معنى لما هو متغير » ونرى أرسطاطاليس يقول لها : « نعم المادة لا تصلح مناصب العلم » ولكن المثل الأفلاطونية التي جعلها أفلاطون مناصب العلم لا تصلح لذلك لأنها لا دليل على وجودها ، فهكذا هنا نحن نقول : إن ما هو متغير لا يصلح مناصب للسرور والفرح ، وجميع الزينة على الأرض قسمان : طبيعية كالأزهار والأشجار ، وصناعية كالزينات المنصوبات في الولايم وما أشبهها ، والعامة أكثر فرحا بالصناعية منهم بالطبيعية لأن الصناعية فعل مخلوق مثلهم والطبيعية فعل الله ، أما زينة السماء فأكثر الناس عنها غافلون ذلك لأن أكثر الناس مغمورون في الشهوات من النساء والبنين الخ فليس عندهم وقت للتفكير في مثل هذه العوالم العجيبة ، وأما زينة بعض الملوك والأمراء ونحوهم فهي على قدر عقولهم فتبهرهم . فهؤلاء كالشياطين الذين جاء فيهم - وحفظناها من كل شيطان رجيم - الخ وانما حرموا لضعف بصائرهم . فالجهال كالسفهاء في آية - ولا تؤتوا السفهاء أموالكم -

٣٤ بهجة العلم في آية - إنا زينا السماء الدنيا - الخ . في ليلة ١٩ يوليو سنة ١٩٣٠ بت مع الفلاحين في القرية وقد شاهدت المجرة . ولما طلع الفجر خيل لي أن هنا ستارا أسدل على النجوم وعلى الزرقة السماوية . وهذا الستار لاهومن قطن ولاصوف الخ بل هو نسيج أدبجت فيه الصفرة والخضرة والحرة الى آخر الألوان السبعة . وما هذا النسيج في مادة بل هو حركات في الأثير . فهذه الحركات بانتظامها صارت ستارا مكونا من سبعة ألوان فسار أبيض وسحب تلك الجبابب الليلية . وههنا فصول متعاقبة من الليل والنهار تشابه الفصول المتعاقبة في النفوس الانسانية التي تنام فترى صوراً في الأحلام عجيبة . فاذا أغمض الانسان عينيه رأى صوراً عجيبة في الأحلام هكذا اذا جنّ الظلام رأى في السماء صوراً عجيبة . واذا استيقظ ذهبت تلك الصور الخلية . هكذا اذا طلع الفجر غابت تلك الصور السماوية . ولقد قد الناس في دور التمثيل صنع ربههم . فهم اذا أرادوا اظهار صور عجيبة تسرّ الناس أطفوا المصابيح وأظهروا تلك الصور التمثيلية . فاذا أتموا عملهم أضاءوا المصابيح فرأى الناس بعضهم بعضاً كما يحصل نظيره اذا طلع النهار . هذا تقليد الناس لفعل ربههم في صنعه الليل والنهار . ولقد قدوا حيوانات كثيرة . قدوا الجردان في الحياة تحت الأرض والظباء في الحياة في الأدواح وانخزرا بيوتنا كما انخزت الفل وهكذا . ولقد كان نسيج الصباح جبلا مصنوعا من الحركات البديعة لأنه نسيج اللطيف الخبير الذي جعل نسيجه فيها هولطيف . فأما الانسان فنسيجه في المادة وهي غليظة

٣٦ نظر المؤلف في المزرعة إذ تبدت الزهرات المختلفة وهن ذوات ألوان بهجات وقال كأنهن ينظرن الى كما كنت أتخيل النجوم تفعل ذلك ليلا وأنت القطن قد بدا من أكامه وخيلت لي الدنيا كأنها عروس بهجة جيلة قد ازينت للناظرين والزهرات وماعها يسلمن على وهن باسمات محليات بأقراط من الماس من الندى فلم أعمالك نفسي أن قلت : يا الله . أفغ هذا الجمال كله يكون خوفاً منك ؟ فمن جهل هذا فهو أحق بالخوف منك . أما الحكيم فمن حقه أن يفرح بك ، الجاهل زين الله له شهبائه والحكيم زين له السماء والطبيعة . إحساس المؤلف بأن قرأه هذا التفسير لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة بالمسرات بجمال هذه الدنيا وأكثر الناس يموتون ولا يفهمون هذا الجمال . إذن الدنيا ازينت لهذه الطبيعة وأمثالها وسواهم جميع المميج

٣٧ ما حقيقة السموات ؟ وهل للنور وزن ؟ واذا كان النور يبقى طويلا ؟ أفليست الأرواح أولى بذلك الفرواح . أدلة القدماء والمحدثين على أن للسماء وجودا . فالأولون استدلوا بالنور والظلمة فهما عرضان فلما بجوهر أوجوهان . إذن هما موجودان . والمحدثون قالوا انها موجودة لأن الأثير الذي تخيلناه بحمل أقال هذه الكواكب التي لاحد لها بل ان كثافة المليمتر الواحد من هذا الأثير الذي تخيلناه لاتنقص عن (٢٧) ألف قنطار وهذه لانظير لتقلها في المادة . إذن ظهر سر آية - وبيننا فوقكم سبعا شدادا - وههنا بيان الأوصاف التسعة للأثير من كونه شفافا كثيفا مرنا لاسرارة له ولاصوت وفيه الجاذبية بسميها وههنا ذكر آراء (نيوتن) فيه انه أشبه بالحبل وهو يجسن القائل انه ذرات الخ وفرنل الفرنسي وكوتنفي وجورج توكس وماكسول وامايفين وايبشتين . وبيان أن النور الخارج من الشمس في الثانية ٤ ملايين طونولاته . ذلك انهم وجدوا أن الأشعة الكاشفة المنبعثة من جهاز قوته (٥٠) حصانا في مدة (١٠٠) سنة لاتبلغ أكثر من جزء من عشرين من الأوقية . ولو كان هذا المقدار من تراب الأرض لأقيم به عمود قاعدته (١٠) يردات مربعة وارتفاعه ربع ميل . وهذا المقدار أيضا يحتاج في جملة الى ١٠٠٠٠٠ قطار في كل ثانية وكل واحد منها يحمل (٤٠٠) طونولاته . هذا ولاجزم أن الضوء نراه بسد مئات

الملايين من ابتداء خروجه من كوكبه . فاذا كانت هذه حال الضوء فالأرواح بقاؤها من باب أولى فهو دليل على الحياة الأخرى بطريق قياس التمثيل

٤١ وذكّر أن المؤلف نام ليلا في الحقل في أواخر يوليو سنة ١٩٣٠ واستيقظ قبل الفجر ورأى الكواكب بيته لم يهددها في المدن ولا في القرية التي ولد فيها لأن هيئة النجوم في جهات الجبال والصحارى غيرها في المدن وبلاد الريف وهبت النسمات واضطربت بحسب منظر العين تلك المصايح وهنّ راقصات مستبشرات ، ورأى الدبران والتريا والمقعة والهتعة ونجوم الجبار

٤٣ امتحان عقول الناظرين من الأمم في الأرض :

(١) فالبدوي تخيل القمر رجلا والتريا امرأة وقد طلبها للزواج فأبت فأرسل اليها الدبران ليقتم لها مهرا وهو الكواكب السبعة اللاتي تشبه شكل الدال فهو أبدا بسوق الغنم لها وهي أبدا لا تقف ولا ترضى

(٢) والعاشق العربي تخيل الليل خيمة جمته ومشوقته سلمى

(٣) والعاشق الاسلامي يخاطب الليل متخيلا انه كافر وأنه هو يجاهد ذلك الكافر ويوازن بين محبته وبين البدر ويفضل محبته على البدر

(٤) والشاعر الذي وقف يبأ الأمير يستجديه لتأخر الأمم الاسلامية في القرون المتأخرة بتخييل الجوزاء المتقدمة واقفة أمام الملك أو الأمير وهي ذات نطق ، وبيان ما قاله (سديو الفرنسي) من أن شعراء الاسلام يساؤون في العدد شعراء الأمم والأندلسيون لما أذرموا بالشعر نسا عموطنهم ودينهم ووطنهم فطردهوا من البلاد وهذا قوله تعالى - والشعراء يقيمهم الغاوون - الخ وبيان أن الشاعر العربي كان يتنزل في محبته فلا يذكر اسمها غالبا وشعراء الجاهلية يعدون على الأصابع وفي العصر الأموي كانوا أضعافهم ، وهناك كثير الغزل والتشبيب لاسيما في المدينة التي غمرها واية أبناء الصحابة القاطنين بها المال فكثرت التصف والغناء لوفرة المال وكثرة السبايا والمخيطيات من الجوارى المسبيات في الحروب فهؤلاء أصبحوا مفرمين بزينة الشهوات لابزينة السماء المذكورة في هذه الآيات فقد زينا الله للناظرين وأكثر هؤلاء ينظرون الشهوات ، وقد منع الخلفاء الراشدون التشبيب وانفس المسلمون بمنهم في الشهوات ، وكتاب الأغاني أكبر مفسدة اسلامية

٤٥ نداء المؤلف لام الاسلام يذكرهم بأن أبنائهم أمانة في أيديهم فليعرضوا عنهم الشعر المهيج للشهوات في شبابههم وليقتصروا على شعر الحماسة والأدب والنخوة والشرف كقول عمرو بن كلثوم :

إذا ما الملك سام الناس خسفا * أينما أن نقرّ القتل فينا

وليعرفوهم الزينة السجاوية والأرضية وهما يشملان جميع العلوم فان الله ابتلى أهل الأرض بالزينة . فالغافلون من المسلمين وغيرهم زينت لهم الشهوات كالبهايم والشعراء ونحوهم والخواص زينت لهم الطبيعة من سموات وأرضين والقرنجة عرفوا قيمة هذه الزينة فأذلوا المسلمين لأنهم لم يفهموا في هذه القرون - وزينها للناظرين -

٤٦ بيان أن العلم جنة العارفين وأن الاقتصار على الجنة الحسية انما يكون عند الجاهلين . ولاجرم أن لتلت العقول أرقى من لتات الأجسام . وبيان مراتب الناس في اللذات . وبيان أن الشجاعة والحب صفتان بهما سعادة الانسان في هذه الحياة ومن لم يعرف الجباب لا يدخل الحب قلبه . ولتمة معرفة الجباب فوق اللذة الضمنية والشهوية بملاحظته وكلما ازداد العارف علما ازداد لذته . وذكّر كلام الامام الغزالي

في سبب تفاوت الناس في الحب . وبيان أن الجمال في هذه العجائب السماوية والأرضية لاحد له والانسان يدركه وهو صغير فيعتهاد فلابغهم له معنى وهكذا يدوم على ذلك حتى يموت وهو لا يقبله ، فأما المفكر فإنه يقول في نفسه : « إن أعضاء جسمي مدهشة بديعة التركيب وهكذا روحي وكل موجود في الأرض وفي السماء ولكن هذه الدلائل لاحد لها فصارت كالشمس والشمس نهر الصيون فهكذا هذه العجائب بهرت بصيرتي فحجرت عن الادراك ولولا أن النور يخفتني بمغيب الشمس ما أدركنا أن ههنا نورا ولكن السر الإلهي لم يجب عن الوجود لحظة . فالنور عرف بصدده وهذه الشواهد لم تفقدها لحظة فكيف نعرفها كما عرفنا النور بالظلام أي بصدده

٥٠ ﴿ زبرجدة ﴾ في قوله تعالى - فأتبعه شهاب ثاقب - والكلام على حوادث كرة الأثير من الشهب الساقطة واقتضاض الكواكب وذوات الأذئاب . وبيان آراء القدماء الذين وصفوا هذه الشهب بأنها أعمدة مخروطة قاعدتها تلى كرة النار (التي كانوا يعتقدونها تابعين لعلماء اليونان) ومخروطها يلي وجه الأرض وهي في زعمهم دخان يابس خارج من الأرض اشتعل هناك ثم انطفأ كالسراج المشتعل بالنفط مستدلين على أنه دخان بأنه يظهر أيام الخلب أكثر ومثلوا لها بالكرة التي يلعب بها أصحاب الخيالات المجهولة من سندروس وعقاقير أخرى ويضعونها في أفواههم ويرقصون بها . ويقول علماء العصر الحاضر . كلا . إنما الشهب أجسام صغيرة لاتزيد الواحدة منها عن حجم البلاطة وهي تدور مع كثرتها حول الشمس في كل (٣٣) سنة مرة واحدة ولاحصر عددها وقطر المسيمات منها بالأسديات (١٠٠٠٠٠) ميل أو أكثر والذي يخترق جوتنا ونعرفه منها في كل سنة (١٥٠) مليوناً وآلاف آلاف منها تصيب أرضنا وتبقى فيها . هذه هي الشهب . أما الكرات النارية فهي تظهر وتخفى بسرعة ولكنها أبداً من الشهب وهي تنزق بالقرب من الأرض وفي تركيبها الحديد والسليس والميزيا والنيكل وغيرها وأعلى ارتفاعها (٢٠٠) كيلو وهي قطع صغيرة اذا قربت من الأرض جذبتها وهي المسماة بالمجارة الجوية . وههنا أوضح المؤلف الفرق بين مازعمه القدماء وبين ما حققه المحدثون . هذا ماجاء من جهة العلم . أما من جهة الدين فان الأرواح الشيطانية تعيش في هذا الجو ونحوه وهذه الكرات واليازك تنغص عليها حياتها فلا تفكر في الحقائق والمعارف وتصرف عنها وتحفظ السماء منها كما تصرف العلم عن النفوس الانسانية المجسمة الشيطانية سواء بسواء وهذا بعض عذاب البرزخ وناره

٥٤ ﴿ الطيففة الثانية ﴾ في قوله تعالى - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم - وبيان أن الناس قسمان : عالم وجاهل . فالجهال كالنود والحكماء على تقيضهم . وكل فريق لا يعين إلا مع مثله . والمسيح مسيحيان مسيح صادق وهو معروف . ومسيح كاذب . ويرمز بهذا لكل الأمم والأفراد المضلين الذين يظهرن السلاح ويضربون العث كما تعمل دولة أوروية ببلاد المغرب وكما قاله هغري الفرنسي . إن الخمر جلبتها أوروبا للجزائر لتهلك المسلمين بها فنعهم الدين . فأمثال هذه الأمم المقصودون على طريق الرمز بالمسيح البجال وهم الذين سهلوا دخول المخدرات بلادنا . والذي كشف هذا رجل انجليزى وهو الحكمدار بمصر فكشف أن الكوكابين والهرويين يسلمان الأجسام . وقد جمع الشرطة (٢٥٠) رجلاً من هؤلاء المدمنين . وههنا قصص التجار الذي ابتلى بهذه المخدرات وطلب من امرأته أن تباع عرضها وأجر ابنته في المنازل للخدمة

٥٧ صور هؤلاء المدمنين (شكل ١) وههنا أظهر الحكمدار (رسل باشا) أن هذا الداء انتشر بين الفلاحين وغائب أوروبا على انها أهلكت مصر بهذا ومن تلك الدول المهلكة لمصر سويسرا وألمانيا وفرنسا

وابطاليا واليونان ونحوها . هذا كله من تفسير قوله تعالى - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم - فهو لاء
حشروا معا في السجون وسؤروا بالتصوير الشمسي ، فكل طائفة لا تحشر أفرادها إلا مع أمثالهم والذي
حشرهم هم الدجالون الاوروبيون المستعمرون أولا والصانعون لهذه المختبرات

٥٩ بيان السبب في انتشار المختبرات بمصر وهو الجهل الذي فشا بين أهل الأندلس المسلمين قديما فشت
شملهم حين اتفق الصليبيون على محاربة العرب بالخر واحترار الدين وبث حب الشهوات والاستدانة بالربا
وفرغ الملوك بها وخالفهم رجل منهم فلم يعبوا به ، فانشرت الموبقات وطرده المسلمون من هناك ، وهامهم
أولا يطاردون المسلمون في الشرق ، فهم أتباع المسيح الدجال فعلا ، ألم يغم راهب اسباني فيسقى أبناءه
المسلمين تلاميذه الخمر بعد أن عصر صب قرطبة كلها لجعله خرا

٦١ ذكر اعتراض على المؤلف بأن هذا خارج عن الآية لأنها في الآخرة وجوابه بأن الآية تشمل هذا كما
كان يهمهم الصحابة ، ألم يستشهد عمر للربيع بن زياد لما قال له : أريد لك طعاما ألين من هذا بآية
- أذهبتم طبيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها - فلم يقصرها على الكفار وان كانت واردة فيهم

٦٢ الكلام على آية - وقفوهم انهم مسؤولون - الخ وخطاب من المؤلف للأمة الاسلامية ومنها بلاده المصرية
يقول لهم : « كفوا عن الجالس في محال الفريجة المعتات للشراب حتى القهوة ورقوا تجارة الأوطان
واستغنوا بها عن تجارة الأجانب » ثم ذكرهم بمافعله البابا برومه وبارونات أوروبا من إشاعة الفسوق
واذاعة الخمر في المسلمين ليدلوهم وانهم بفسير هذا لا يذلون ، فلما أخضعوا الأندلس أخذوا يخضعون
شمال افريقيا كصروتونس والجزائر ومراكش ، وبيان أن أجسام الشرقيين قوية وهكذا عقولهم
ولكنها متروكة ، الأطباء في أوروبا درسوا الماء والهواء والنبات وكل شيء ولا أطباء في الاسلام إلا قليلا .
سؤاس أوروبا بأخذوا يفرقون بين أمراء الجزيرة ، فهو لاء أتباع المسيح الدجال لأنهم يظهرون الخير ويطنون
الغسر ، يطلب المؤلف استخراج كل قوة من قوى الشعب وكل قوة من قوى المادة في بلاد الاسلام

٦٥ (اللطيفة الرابعة) في قوله تعالى - إني كان لي قرين - وذكر مسألة من المسائل التي جمدت عليها
العقول ثم ظهر خطؤها بالخروج عن التقاليد ، فهذه الصخور المعدنية لما قال بعض العلماء انها أجرام
سماوية ردت عليه كثير منهم (لافوازيه) المشهور مدعيا أن هذا يناقض الجاذبية ولكن كرور الأعوام كذبت
هكذا كتاب أصل الأنواع لداروين قومه العلماء ثم خدعت عزائمهم ، وباستور كشف المكروبات لما طعن
عليه العلماء أولا ثم خضعوا له آخر . ونظرة دوران الأرض حول الشمس أزالت النظرية العكسية التي
شاعت قبلها

٦٨ (تفسير سورة ص) وهي (ثلاثة فصول في الفصل الأول) في تفسير البسملة والكلام على أن لفظ
الجلالة تلحظ فيه الذات الواجب الوجود . فأما الرحمن والرحيم فالملحوظ فيهما الكثرة في المخالقات ونحن
نرى الوحدة في جسم الانسان وروحه . والكثرة قد تجلّت في الأعضاء والحواس . فالأعضاء منها ماهو
للبطش وما هو للحس . وما للحس قد قسمت العوالم عليه من المعوسات والمتمومات والمنزقات والألوان
والأصوات . والذي للحركة مقسم على الأعمال لأنها إما أعمال انتقالية وأما أعمال صناعية فالرجلان
للانتقال واليدان للصناعات . ثم ان الحواس ابتدعت لاجتلاب صور الموجودات التي في الخارج الى الذهن
فلا يزال يستحضرها وقتا بعد وقت حتى يعرف العوالم اجالا ويصل في العلم الى أقصاه ثم يستعين بالمنظير
المعظمة والمقرّبة لترية بقية العلم وهكذا يستعمل البراهين العقلية . إذن العقل استخدم الحواس واستخدم
الآلات لأجل المعرفة والعلم . وكما استخدم الآلات البصرية لمساعدة البصر وعلم المنطق لمساعدة البصيرة

استخدم القطرات والسفن البرية والبحرية لمساعدة الرجلين في الانتقال من مكان الى مكان واستخدم أيضا الآلات المختلفة في الصناعات لمساعدة اليدين ، ثم انه رأى له رأسا وعينين وثلاث مفاصل في اليد الواحدة وأربعة أعضاء بالطن وخمس حواس ، وأصابع اليدين خمس أيضا ، فهناك استعمل الأعداد لضبط العلوم لأن المادة لا يضبطها إلا العدد والعدد قد استنتج من أعضاء جسمه ، فليدان لها عشرة أصابع واستمر في الزيادة (٢٠) و (٣٠) الى الآلاف وآلاف الآلاف ، ذلك كله لكبح جماح المادة ٧٠ وما الهندسة إلا نظام للقادر المتصلة كما ان الحساب نظام المقادير المنفصلة . الانسان ابتدع نوعين من الصور نوع له صور في الخارج وهي العلوم الطبيعية . ونوع لا وجود له في الخارج وهي العلوم الرياضية . الانسان عالم بديع . فهو باليدين والرجلين تنقل في الأرض وصور فيها صوراً مادية وأثر فيها بأنواع الحرف وبالحواس أصدر صوراً معنوية للمادة . فآلات البطش خدمت الجسم بصور المادة نفسها وآلات الحس خدمت العقل بصور مخترعة على مثال صور المادة المجسمة وهو من جهة واحد ومن جهة كثر . هنالك بحث فيما وراء المادة هذا الانسان الذي تصرف في المادة بالصناعة العملية وتصرف فيها بعد ذلك بالعدد والهندسة فضبطها بصور ذهنية قال أنا واحد وقد حكمت على المادة ظاهرها وباطنها وروحى هي التي حافظت على كثرتي فجعلت لها وحدة ، إذن هذا العالم كثر لا بد لها من وحدة تجمعها بحكم الأكبر حكم الأصغر على قياس التمثيل ولكنه لم يقل ذلك إلا بعد أن تصور للاله دوراً شتى اخترعها بلا قانون يضبط تصوره من فيل وحية وبقرة وهكذا والعوام يصدقون والخواص يرمزون

٧٢ سياحة الأمم تنبع عقائدها ، فكما ضبط الانسان المادة بالعلوم الرياضية حفظت كثرتها هكذا يضبط كثرته أمته بوحدة العقيدة كما حصل أيام النبوة إذ جمعت العقيدة أشتات العرب المفرقة بين عقيدة وليست وحدة الدين بمجدبة اذا بقيت في القلب ولم تكن لها آثار في الخارج باجتماع الصلوات والأعياد وعبادة المرضى والاتحاد في الصيام والحج وإغاثة الفقراء بالزكاة . فالعرب اجتمعوا بالدين لما فعلوا ذلك وتفرقوا لما أصبحت العقيدة خالية من العمل . واجتماع الأمة يتوقف على هذه الأحوال وجامعة العصبية النسبية والوطنية واللغة والمالك الجامع والاستعداد والمعاهدة كلها تؤدى المقصود اذا قويت بالأعمال فاذا أهملت الأعمال تفرقت الأمم . واليابان عابدة الأصنام اجتمعت باللغة والوطن وهكذا . والعرب في مصر والعراق والحجاز وشمال افريقيا لم يقدروا الدين بالاجتماعات ولا اللغة ولا النسب ولا المجاورة فهم متفرقون حتى يفعلوا ذلك . الأمم عماية اذا لم تجتمع لآبدين ولا بنسب الخ . عوراء اذا اجتمعت بوحدة من هذه الخصال وكرهت بقية الأمم . مبصرة اذا اجتمع الناس كلهم . فأتم الأرض أكثرهم عور وكثير من أمم الشرق عمى لأنهم لم يصلوا للعور

٧٥ سورة ص فيها وحدة باعتبار أن أمثال مصائب أيوب ونم داود وسليمان ترجع كلها الى الابتلاء فالناس يتلون بالنعم والتقم فهنا وحدة في نفس السورة

٧٦ (سورة ص) مكتوبة مشككة كلها

٧٨ تفسيرها اللفظي

٨١ تفسير قصة سليمان . فتنة سليمان عليه السلام

٨٢ تفسير قصة أيوب . وصف الجنة

٨٣ تفسير وصف جهنم وقصة آدم عليه السلام

٨٤ (الفصل الثالث) في مقصود السورة . السورة مبدوءة بحرف ص وملتخص ما فيها يرجع للبصر الذي

أول حروفه ص :

- (١) صبر الكفار على آلهتهم
 (٢) فليصبر النبي ﷺ على ما يصيبه - واصبر على ما يقولون -
 (٣) - إنا وجدناه صابرا -
 (٤) لم يصبر داود في مسألة الخصم حتى يسمع كلام الخصم الآخر
 (٥) وهكذا سليمان تجهل ولم يقل إن شاء الله
 (٦) يظن الكافران السموات والأرض خلقت باطلا وذلك لعدم صبره على البحث في هذا الوجود
 (٧) والصبر حتم على من منح النعماء كما انه حتم على من أصابه البلاء كسليمان وأيوب
- ٨٦ - ولتعلق نبأ بعد حين - . من أنباء القرآن اليوم أن أتباعه (٣٥٠) مليون ، ومنها أن العلوم الحديثة طابقت مثل كون الأرواح أحياء بعد الموت ، فمن كانت أرضية الأخلاق كانت أقرب الى الأرض ، ومن كانت أغزر علما وأصفي أخلاقا كانت في عوالم أعلى ، ومن عجب أن المؤلف رأى رؤيا كانت هي سبب قراءته علوم الفلسفة ، ذلك انه رأى وهو في شبابه في المنام أن قائلا يقول له وهو في مقبرة قريبته في الفلاحين : « انظر هذه هي الروح ، فرأها أشبه بكره بيضا ، قليلا ، ولما أصبح وقع في يده كتاب ابن مسكويه فرأى أول عبارة فيه الاستدلال على بقاء النفس » ثم وجد أن آراء الفلاسفة كلها على نمط ما رآه ، فالنفس التي تميل للذات تنجذب للأرض وضدها تميل للعالم الأعلى ، عواطف المحبة والبغضاء لها سوائل روحانية تميزها الأرواح ، الأخلاق القديمة تنأذى بها الروح عقابا لها ، المفرمون بالمال يألمون لفراقه ، السفاكون والقتلى تطاردهم أشباح من قتلهم في البرزخ ، هناك للأرواح ألحان وأناشيد ، فهذه كلها أشبه بتفصيل لرؤيا المؤلف وموافقة للقرآن لأن القبر إما روضة أو حفرة الخ
- ٨٨ لا عمل يتم خيرا أو شرًا إلا بالصبر ، فالكفار صبروا على الكفر والمؤمنون صبروا على الإيمان ، الألم روحى وجسمى فالأول لموسى وداود وسليمان والثاني لإبراهيم واسحق وأسماعيل ، التدم مظهر من مظاهر ارتقاء النفس
- ٨٩ تطبيق ذلك على نبينا ﷺ . معنى - وليتذكر أولوا الألباب - وأن هناك رابطة وثيقة بين أنواع الصبر المتقدمة وبين صبر القضاة العشرة الآتى ذكرهم ، الأثرى الى محمد بن عمران كيف صبر على أن يستعدى على أمير المؤمنين المنصور ويقضى عليه للجمايين ، وهكذا عاقبة بن يزيد القاضى الذى قدم استقالته للمهدى قائلا : « إن أحد الخصمين أحضر لى رطبا فلم أقبله فقال قلبى له وقت الحكم فعلت أتى لا أصلح للقضاء » وشريك بن عبد الله قاضى الكوفة إذ ظلم الأمير موسى ابن عيسى ابن عم أمير المؤمنين المهدي امرأة إذ خلط نخل بستانها بنخل بستانه فاستغاثت بالقاضى فأمر بحضوره فأبى وأرسل العظماء للقاضى واحدا بعد الآخر يفهمه أن حضوره لا يلبق فحبسهم واحدا بعد الآخر ، وأخيرا حضر الأمير وأطلقهم من السجن فهم شريك أن يرسل الى بغداد ويقابل المهدي فغضب الأمير موسى وسلم للمرأة ما طلبت وانتهى الأمر
- ٩١ ولقد أرسلت الخيزران نصرانيا من أتباعها الى الكوفة فأخذ رجلا وكتفه وأهانته فاستغاث بالقاضى فاقصّ شريك من النصراني ولم يبال بأن الخيزران هي التي أرسلته
- ٩٢ وعبيد بن ظبيان قاضى الرشيد بالرقه جاءه رجل فاستعدى على الأمير عيسى بن جعفر وكان له عليه (٥٠٠) ألف درهم فأرسل اليه ثلاث مرات فلم يحضر فأبلغ القاضى الخبر الى أمير المؤمنين هرون الرشيد

فأرسل الجند وحاصروا دار ابن عمه فسلم الأمر للقاضي وأعطى الرجل حقه . وعمر بن حبيب القاضي إذ حضر في مجلس الرشيد ومال الخليفة الى أن أبا هريرة منهم في الحديث فردّ عليه القاضي ، فلما انصرف القوم بعث في طلبه مأمورا أن يحضرا الكفن معه لأنه لا محالة ميت ، فلما أبان للخليفة أن اتهم أبي هريرة بجرّ الى ضياع الشريعة أنعم عليه . وحفص القاضي الذي حضر لديه رجل من أهل خراسان قد كان باع جبالا لمزبان وكيل أم جعفر بثلاثين ألف درهم فحضر عند حفص وأقرّ بالمبلغ فقال الرجل يعطيني مالى والا الحبس فقال الرجل الدين على السيدة أم جعفر فقال له القاضي يا مجوسى قرّ ثم تدعى انه لأم جعفر فحسه فبعثت أم جعفر فأطلتته فتوجه المجوسى الى أم جعفر ورجاها أن ترجعه الى السجن ونكلم الخليفة الرشيد ففعلت فأرسل الرشيد خطابا فلم يقرأه حتى أخذ الحكم فلم يرشيد فأعطاه (٣٠) ألف درهم

٩٤ القاضي أبو حازم أرسل له المعتضد يطلب منه أن يعطيه نصيبا من مال رجل أفاص فطلب منه البيعة فذكر رجلا فقال ابحت عنهم نغاف الشهود أن يردّ شهادتهم . أبو حازم عبد الحميد القاضي كان متوليا وقب الحسن بن سهل وقد كان المعتضد أخذ من هذا الوقت شيئا أدخله في قصره ، فلما أراد قسنته على مستحقيه قال له القاضي خذ ما على أمير المؤمنين وأرسله اليه ليأخذ المال منه ففكر ساعة ثم أعطاه ومدحه . واسماعيل القاضي أرسل المعتضد له أن يرضع الحجر عن يقيم وهذا اليتيم اتمه كانت في دار الخليفة ، فلما سأل عنه وجده لا يصلح للتصرف فأرسل الى الأمير كتابا فيه مانعه : د - يادارد إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق -

٩٥ فهؤلاء عشرة قضاة وهذه أوصافهم فأخذت أفكر في مناسبة آية - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلا - لآية - يادارد إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق - فرأيت مما في الأرض عالم النبات ويدخل في أغذيته هذه الثمانية الكبريت والحديد وهكذا ، وإذا نقص البوتاسيوم من غذاء النبات كان قصيرا جدا كالذى في (شكل ٣) وهكذا كل عنصر نقص من غذاء النبات نجد النبات نقص نموه بمقداره بحيث لا نجد هناك اختلالا ، إذن أبو حازم واسماعيل وعبيد بن زيان وشريك ونحوهم لم يفعلوا إلا تقليد ما فعله الله في النبات من العدل إذ ينقص نمو النبات على مقدار ما تنقص من الغذاء بالعدل . هذا هو سرّ ذكر آيات خلق السموات والأرض بعد ذكر خلافة داود وأمره أن يحكم بين الناس بالحق

٩٧ ومن هذا القبيل ما تراه في (شكل ٣ و ٤) من جذور النباتات المختلفة في البقعة الواحدة فانها تمتد الى الطبقات التي تناسبها لأجل أن لاتزاحم غيرها ، فهذا عدل في داخل الأرض إذ قسمت المناطق الأرضية على الجذور المختلفة ، وهكذا أعطيت الجذور التي وجدت في غير طبقتها بصلات تجذبها الى أسفل والى أعلى . أليس هذا هو قوله تعالى - اهدنا الصراط المستقيم - أليس هذا هو صراط الله -

٩٨ ﴿ تذكرة ﴾ ازدياد هذه العلوم يعطى ملكة التفكير وبها حصلت للأمم العظيمة ملكات التفكير ، وذ كرها كتبه المؤلف لوزارة المعارف يبين لها أن التعليم في زمن الاختلال ضعيف لم يدخل فيه الفلك ولا العلوم الطبيعية وهو خائف أن يكون الوزير والمهندس غافلا في المستقبل ، وقد دخلت تلك العلوم وحصل التأليف وبعض التأليف أتمرت ، وبيان أن المسلمين لهم عدوان : عدو خارجي هم المستعمرون وعدو داخلي هم الكذابين من شيوخ الصوفية وجهلة رجال الدين ، والمؤلف يوصى أذكيا القراءه أن يذيعوا هذه الآراء في الأمم الاسلامية

٩٩ ﴿اللطيفة لثانية﴾ كيف تربي قضاة الأمم الإسلامية وحكامها وخلفاءها
 ١٠٠ أذكر هنا ما جاء في «جهورية أفلاطون» مما ألقى على آثاره بما جاء في الكتاب والسنة . لقد ذم
 أفلاطون الأمة التي يكثر فيها القضاة والأطباء . إنما يقضى القضاة بين الأشرار من الناس الذين كثر
 بينهم الخلاعة والفسوق ، ومن أسباب ذلك شيوع التفلن في الموسيقى ، أما الموسيقى المعتدلة فأنها تهذب
 الأخلاق ، والطبيب لا يداوى إلا أولئك الذين يكثر أنواع الطعام ، فعلى الأمم أن يكون طعامها
 بسيطاً وموسيقاها كذلك والا كانت جاهلة . ومن عجب أن الامام الغزالي كان يعيب على أم الإسلام
 كثرة فقهاء الذين يتولون القضاء إذ جعلهم جيشاً عاطلاً والأمة أحوج الى نظام كامل بكل علم وصناعة
 لا بالقضاء وحده ، ولما نظرت أمتنا بمصر الآن وجدت ﴿ثلاثة جيوش﴾ : أطباء وقضاة ومحامين ،
 وذم القاضي الذي ألف الرذيلة في صباه مذهباً انه بهذا قد أحرز قصب السبق في الدهاء فيعرف أسرار
 القضايا مع انه هو قد أصبح هزواً وسخرية لافضيلة له في نفسه . ومدح الطبيب الذي جرب الأمراض
 وأدويتها في نفسه لأن القاضي يقضى بعقله . وعقله قد ناله ما أضل بفضائله بخلاف القاضي فطبه بعقله لا
 بحسبه وليس يمنعه مرض الجسم . ثم ذكر أن مصر اليوم ترقى في القضاء وفي الطب واتسع نطاقهما
 وذكر ما تقدم في ﴿سورة يس﴾ من أن الرياضة البدنية والعفة في المأكل والمشرب والتضلع في العلوم
 الرياضية وفي منظم التكون من الواجبات في تعليم الملوك والأمراء ورجال الجيش والقرآن فصل ذلك
 قال تعالى - إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم - وذكر مسألة النهي وأن الذين لم
 يشربوا منه قليل وهم الذين غلبوا . أما الشاربون كثيراً فأنهم لم يحاربوا وهذه هي العفة بعينها .
 وأمر الله بعدم الاسراف في الماء كل والمشارب . وجاء السبق والرعي في الاسلام لتقوية العضلات .
 وجاءت الصلاة بدل الموسيقى وتأنبها عظيمة بل كثرة الصلاة لا تؤدى الى رذيلة . أما كثرة الموسيقى
 فانها تؤدى الى الضلال ولذلك كانت تتأج مدينة الاسلام أعلى من مدينة هؤلاء الفلاسفة بل نحن لم
 نر لهم دولة اللهم إلا في الخيال

١٠٤ ومن قرأ الأحاديث الشريفة وجد تقليل الطعام في حديث عائشة أن آل محمد ﷺ ما أكلوا من
 خبز شعير بومين ولا من البر ثلاثة ليال وتمضى ثلاثة أهلة فلا يوقسون ناراً ولا يكون التمرو بشربون
 الماء لا غير . ولم يأكل النبي ﷺ على خوان ولا مرقاً ولا رأى شاة سميطاً بعينه ولم يبل بطنه من
 ردى التمرو ولا رأى منخلاً وكانوا يأكلون الشعير بلا نخل ولم يأكل النبي ﷺ ولما أكلوا من شاة عند
 الأنصاري قال لصاحبه لتسألن عن هذا التعم

١٠٥ وفي خطبة عتبة بن غزوان انه كان سابع سبعة أكلوا الورق . وكان لرسول الله ﷺ إزار غليظ
 وكساء وكانوا يأكلون ورق السمرة وكان أبوهريرة يعتمد على الأرض من الجوع . وهنا قصة قدح
 اللبن الذي شرب منه القوم وأخرهم أبوهريرة . وقد يضع الرجل قدمه على عنق أبي هريرة طائناً انه
 مجنون وما هو كذلك ولكنه به جوع . وفراشه ﷺ من ادم حشوه ليف

١٠٦ ﴿نصائح عامة﴾ مثل أن نبذل الفضل من المال ونمسك الفضل من القول . ومثل أن المدار على أن
 يصبح الانسان آمناً في نفسه عنده قوت يومه . فهذه تكفي . وههنا مدح لمن آمن وعنده كفاف .
 وههنا مدح للصبر على الفاقة ومدح للاقتصار في الأكل على ثلث البطن واللبذاذة وقصة أبي عبيدة إذ
 أخذ معه جواباً من تمر وكان يعطى الرجل تمره فيمصها بالماء ثم يأكلون ورق الشجر

١٠٧ وهم كانوا ثلثمائة فرأوا دابة العنبر فأكلوا منها وحملوا معهم الى رسول الله ﷺ وهي كبيرة وعينها

كانت تسع (١٣) رجلا منهم والبعير برحله يمرّ من تحت ضلع من أضلاعها . وهنا قصة يوم الخندق إذ جاء جابر إلى امرأته فذبحت عناقا وعندها صاع شعير فأكل منها ألف وهذا باب المعجزات ، وهكذا أبوظلمة وعند امرأته أفراس من شعير فأكل منها سبعون أو ثمانون وبقي منه سور . هذا هو خلاصة الأحاديث . ومقتضى هذا أنهم كانوا لا يشبعون ولا ينخلون الخ وهذا كله صحة للبدن وهذا موافق لما كشفه الأطباء حديثا ، فهم أمروا بقلّة الطعام وعدم نخل الدقيق كما سيأتي ، وبقي الكلام على السبق والرمي

١٠٩ في الحديث أن السبق يكون بالإبل والخيل والسهم ، وفي حديث « من تعلم الرمي فتركه فليس منا » وحضّ النبي ﷺ الرماة على الرمي

١١٠ يجب على الأمم الإسلامية أن تذيب الصناعات اليدوية والسبق والرمي وتعليم الجندية ، وأن يكون القضاء والأمراء أعلمهم

« اللطيفة الثالثة » في قوله تعالى - قال رب اغفر لي وهب لي ملكا - الخ - وأن الملك هنا لا يقصد به نفس المملكة السلطانية من حيث ظواهرها كالعظمة على الناس ولا من حيث أنها منفعة للناس حسب كلال . بل من حيث أنها صادرة من الله تعالى فالمحفوظ هنا مصدر النعمة لأنفس النعمة ، أما نبينا ﷺ فقد أعطى الكوز وهي النعم الكثيرة والمقام المحمود وهكذا

١١١ « اللطيفة الرابعة » في قوله تعالى - قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين - وبيان أن بني آدم مثلوا قصة أيهم ، فهاهم أولاء الذين يكسون ورق الموز في بلاد السودان في الرسم المتقدم في آخر (سورة يس) وأرثك العراة هناك ، ويشابه الأولون آدم بعد الأكل من الشجرة والآخرون يشبهونه قبل الأكل منها ، وهاهم أولاء أهل المدينة الحاضرة كلهم يشبهونه لما طرد من الجنة ، وسرّ تكرار هذه القصة في القرآن أن نحترس مما دفعنا إليه جهلنا بفوائد الخبز الذي لم ينخل دقيقه والخضر التي لم تطبخ وبفوائد ضوء الشمس وبضرر الاكثار من الطعام والزبل وهذا ، وبيان أن الطب الحديث وكشف الفيتامين قد أضافا إلى معجزات الاسلام معجزات جديدة ، فهاهوذا الخبز الذي لا ينخل دقيقه وعدم طبخ الطعام هذان وردا في الأحاديث السابقة ، والعلم الحديث يقول : « إن الفيتامين أي قوة الحياة في النخالة وفي الطعام الذي لم يطبخ » إذن دين الاسلام ابتدأت تظهر أسرارها الآن ، وإذا كان الأمر كذلك فلنذكر ما جاء في كتاب « دستور التغذية » المترجم من علماء أوروبا وكيف يقولون « إن الانسان يمكنه أن يعيش مائتي سنة بحسب ظنهم ، وأن التداوي بالعقاقير مهلكة . وخبر التداوي ما كان بالشمس . والحية وتدمير الأغذية والمركبات الطبية مهلكة للناس . والطبيب قد يكون شرّا من المرض »

١١٧ وهاك أساليب الدكتور هيج وكاتاني وسوبر وسكي وكوهن إذ يقول الأول « حض البوليك هو أصل الشقاء . وهذا الحض سببه ما يتخلف من الأغذية فهو يسد المسام . وأسر باقلال اللحم والفول والعدس والبازلة والفاصوليا واللوبياء الجافة والكرنب والقنبيط والشاي والقهوة والكافور . ومتى ترك الانسان هذه الأشياء وأكل الخبازي والاسفاناج والكرنب والفواكه واللبن والجبن والقنبيط صح جسمه » وكاتاني يمنع الدهنيات والسكر والنشا والخل والمخللات واللبن والجبن مخالف هيج في هذين والأمراق والمجيبات والارز والبطاطس والحلاوى والتوابل ويكتفي بالبيض والنباتات الخضراء والفواكه مع الحركة في الهواء الطلق .

١١٨ وسوبر ويسكى أمر بالفواكه أيضا والليمون والنباتات كالكشكور والكشمثى والحماض والهندبا
والخس والكرفس والجرجير والفجل

١١٩ ومثل هؤلاء كوهن فانه يمنع التوابل واللحم والأشربة الخترة كالنبيذ والعرق والقهوة والشاي والنشوق
والتبغ وهكذا الأبخرة الصاعدة من أما كنها والغبار ، وهو يقول باستعمال الحمامات الجلوسية مع
ذلك الجسم بفوظة خشنة مبتلة والحمامات البخارية ، مم ذكر ملخص لذلك

﴿ الفصل الثاني ﴾ في ضرب مثل لأجسامنا ودمها وغذائها وأمراضها بالأرض المصرية ونيلها والغرين
الذى فيها . فالجسم كالأرض والدم كالماء . والغرين في الماء كالمواد الغذائية في الدم . والسدود في
النيل كسدود العروق وازالتها بالحمامات أو بالبقول والفواكه الخ كالزلة السدود من النيل وكثرة
الأورام والأمراض بسبب انسداد العروق كهلاك الزرع بقله الماء أو كثرته في بلاد المصرية . والانسان
بعد حفظ صحته أشبه بالأمة المصرية التى بلغت الآن (١٤) مليوناً والانسان اذا لم يحافظ على صحته يكون
أشبه بالأمة المصرية قبل أيام (محمد على باشا) إذ لم يكن للنيل قناطر تحفظ الماء فكان السكان نحو
مليونين أو ثلاثة . فانت أيها الدكى إما أن تكون كآدم قبل الأكل من الشجرة فتتبع نصائح الأطباء .
وأما أن تكون كآدم بعد الأكل من الشجرة فتتبع العادة ، إن سر هذه القصة ظهر الآن

١٢٢ ﴿ نصائح عامة ﴾ نصيحة الاستاذ (هندهيد) انه قال : « إن الناس يدفعون الأثمان غالية ولا يشترون
إلا الموت باللحم والبيض . وقال : يكفى من المادة المغذية من (٢٠) الى (٢٣) غراما بدل (٨١)
في الرأى القديم وهذه تحصل من ثلاثة أرطال من البطاطس وقد أعطى هذا المقدار لرجلين مع أشياء
أخرى فقلبا في الجرى من أكلوا اللحم ، إن الوفيات في المدن أربعة أضعافها في القرى لكثرة
اللحوم في المدن ، والخبز والتمر يجعلان في البدن صلابة وقوة تدهش الاوروبيين »

﴿ نصيحة دورفيل ﴾ يقول : « إن دولة قوة المصارعين الذين يأكلون اللحم قصيرة الأمد ، والذين
يبتلون شعما بالأغذية الغنية إما أن يمرضوا بالبثور ونحوها ، وأما انهم تظهر عليهم علامات الصحة
والجمال . فلر يرض هو القوى لأن جسمه صرف مافيه من الفضلات والذى لا يمرض هو الضعيف لأن
جسمه محجز عن استخراج الفضلات وهذا يموت جفاة في عشية أو صباحا »

١٢٥ ﴿ ضرر الأغذية المركزة ﴾ لسورفيل أيضا . يقول : « إن مستخرجات اللحم والأنبذة والبرشامات
وما أشبه ذلك أشبه بضربة سوط للحصان يجرى ثم يقع »

١٣٦ ﴿ ضرر السكر الصناعي وفوائد الطبيعى ﴾ السكر المعلوم مهلك فيجب الاقلال منه . نعم الصغار تظهر عليهم
ملاحح الهمة ولكن ذلك لا يدوم فيجب أن يستغنى الناس بالفواكه عن السكر ولا فرق في الضرر بين
السكر والتمر واللحم وهذه هي الأغذية الثلاث المميته

١٣٧ نصائح الاستاذ بلز : متى نأكل وكيف نأكل ؟ يجب إطالة المضغ ونظافة الأسنان وعدم شرب ما هو
حار . والأحسن أن يضطجع بعد الأكل من نصف ساعة الى ثلاثة أرباع ساعة . الثواكه والحبوب
هى أجود الأغذية وأفضل الحبوب القمح ومثل الحبوب النباتات

١٤٠ نصائح دوفورست :

(١) لاتأكل بين أكلتين ولوثقاعة

(٢) لاتأكل بسرعة بل امضغ جيدا كل الطعام وأجد المضغ

(٤٣) لاتأكل غذا حارا ولا باردا بردا مفرطا

(٥) الأغذية السامة المتلوثة مضرّة

(٦) احذر الفلفل والحردل والقرقره والقرنفل وجميع التوابل لأنها تحدث التزلات والأمراض
 (٧) الحين وكل غنخل واللحم وما يستعمل تقلا من الأجسام السامة المركبة ، كل هذا يجب منعه
 ١٣١١ الكلام على الفيتامين أى سرّ الحياة ، الفيتامين هو (ا . ب . ج . د) وهذه قد كشفوها في الغذاء
 الطازج النقي على حاله الطبيعية ، وقد حبسوا بعض الحيوانات في مكان مظلم وأعطوها أغذية مطبوخة
 فصارت ضعيفة جدا ، فلما رأّت نور الشمس وأسكت الماء كل النبتة صحت أجسامها ، ووجدوا ركاب
 البحار الذين يأكلون طعاما محفوظا في العلب مرضى لأن الطعام لا حياة فيه فأطعموهم أغذية نبتة
 وعرضوهم للشمس فشفوا ، ووجدوا أن مرض الأسقريوطشى بالليمون المالح والبرتقال والمخضر
 النبتة ولم يشف بشربات البرتقال ولا بالخضراوات على النار ، وثبت ثبوتا لا شك فيه أن الأغذية النبتة
 هى المشبعة بالحياة والزيوت النبتة كذلك ، أما التى مرّت عليها زمن أوالتى غليت بالنار فانها لم تفد
 ١٣٣٣ الحبوب كالقمح والبقول والذرة إذا استعملت نبتة كما تأكل الحيوانات أعطت قوة جيدة جدا .
 طبيب روسى جرّّب في مكتبه (٢٠) سنة تجارب فأعلن أن الانسان يعيش (١٦٠) سنة إذا أكل
 النبات الذى لم يطبخ ، وههنا ذكر أن العلوم التى نقلها الناس عن قبلهم وقلدوهم فيها أشبه بالمطبوخ
 من الطعام والمحفوظ في العلب فان هذا فقد قوته ، فلا بد من التفكير في تلك العلوم ليستجدد البحث
 وكما أن نار الفحم من آثار حرارة الشمس ولكنها لا تقوم مقامها في إعطاء الطعام قوة الحياة ، هكذا
 آراء كبار العلماء في الاجتهاد لا تقوم مقام الرجوع للعقل والسير بلا تفكير عليه يؤخر الأمم فليرجع الناس
 للكتاب والسنة حتى يفهموا كيف استنبط الأوائل علومهم . للمسموع اذا خلا من المنظور كان قاصرا
 على التقليد

١٣٤٤ بهجة العلم في قوله تعالى - قل فبعرّتك لأغوينهم أجمعين - أيضا مع قوله - فالخلق والحق أقول -
 الانسان له شهوات آكلات النبات وله غضب آكلات اللحوم وقصة ابليس وآدم جمعتهما ، فاذا سمعنا
 أن ابليس تكبر وأغوى الانسان فان ذلك ظاهر في كبرياء الناس وحسدهم وحقدهم وهكذا فهم
 كالسباع والآساد ، واذا سمعنا أن آدم أكل من الشجرة فهذا هو الذى نشاهده في الشره والطمع والبخل
 والحرص والادّخار ، ومن هذا القليل العادات الفطرية التى نسمعها عن أهل السودان فكلمها تدلنا
 على حياة الناس قديما مشبهين ببعض الشبه آدم وحواء في الزمان الأوّل حين خرجا من الجنة ،
 يكرمون الضيف ولهم شجاعة عظيمة بها يقاثلون النور والاسود ويأكلون الحيات العظيمة والقبيلة
 ولهم في الزواج عادات خاصة ويحور معروف ، ويمتدون الزوجات ولكن لاغيرة هناك ولا حسد وهم
 لا يسرق بعضهم بعضا . ولا جرم أن هذه الأخلاق أكثرها شريفة قد حرّمها المتعلمون في الأمم المتحضرة
 وهذا المعنى فهمه المتقدمون قبل ألف سنة . فقد جاء في كتاب « احوان الصفاء » في المفارقة بين
 الحيوان والانسان أن زعيم الطيور سخّر من الانسان وحقر شأنه من جمعه وكنهه وادّخاره وجعه
 الحطب وابتاد النار وأن الطيور والحيوانات البرية تأكل من فم الله بلا طبخ ولا عجن ولا تعب ولكن
 الانسان مسكين متعب شقى يجاهد هلاكا فهو فى همّ بالليل والنهار فى جلب قوته ولا نتيجة له إلا
 التخمّة والجشاء وعسر البول والجرب والجدرى الخ . فالانسان فى الصحراء يقل مرضه لقلة إفراطه
 فى اللذات وهكذا حيوانات البر والطيور وكل حيوان عاش مع الناس حرموه غريزته فأكل وشرب
 بلا نظام فمرض كما يمرض هذا الانسان الجاهل . يقول المؤلف : وبالجملة هذه الحكايات بها عرفنا أن

القدماء أدركوا سرّ الطعام والشراب والكشف الحديث أيد ذلك . وجب هذا وذلك تشير له قصة آدم إذ أن الانسان في المستقبل سيقصر على النبات الذي لا يطبخ ويكون أسعد صحة وأخلاقاً وجالاً وعلماً وتهذيباً ويقلّ طمعه . ومن يجب أن الانسان له بدل الفرح البكاء وبدل الأعراس المآتم وبدل الاسورة والمخلاخل الأغلال والقيود والطيور وغيرها سعيدات بالرياض والأنهار والأشجار والأزهار والحريّة والصحة والسعادة

١٣٩ اعترت المؤلف ثلاثة أمراض مرّة واحدة في شهر سبتمبر سنة ١٩٣٠ عند طبع هذه السورة فلم يستعمل دواء كما في الطب بهذا التفسير واكتفى بالجوع وشرب الماء الدافئ مع الليمون والاستحمام بالماء الحار ثم البارد عقبه مع مقابلة الهواء والشمس في الخلاء ، فهذه المداواة الطبيعية قتلت لأعراض الثلاثة حالاً بل لم يحصل لها أثر ما . ومصداق قصة آدم أن طيباً سبب امرأة وعاش اليوم معها في جزيرة (شاولز داروين) بالقرب من أمريكا الجنوبية وقد تجرد من الملابس كآدم ولا يتعاطى إلا الأطعمة النبتة على مقتضى الفطرة الأولى . وهنا يجب المؤلف من هذا الانسان الذي أصبحت جميع حياته خاطئة كاذبة ، والأمم المستعمرة اليوم أشبه بوصف المسيح الدجال يظهرون الفيرة على الأمم وهم يعلمونهم البطنة والاسراف وكل شهواتنا وملذنا نقطعنا عن السعادة فهي أشبه بالمسيح الدجال أيضاً ففرحنا ظاهراً وتقلنا باطناً ، اللهم إن الانسان اليوم جاهلة خاطئة في كل شئ ولا يصلحها إلا حكام تخلقهم أنت من مواطن الأنبياء بالشرق فيصلحون الشرق مع الغرب

١٤١ ﴿ نور النبوة في هذا الزمان ﴾ ورد في الحديث أن المؤمنين كالجسد الواحد ، وورد اننا لن ندخل الجنة حتى نتحاب . إن انتشار الطيارات سيجعل بين المسلمين مودةً وبغير المواصلات لا يمكن التفاهم بل هناك اقطاع وهذا الحديث ستظهر ثمرة التامة في المسلمين في مستقبل الزمان إذ تصل الطيارات بين بلادهم ويعرف بعضهم بعضاً . وسيكون الناس أشبه بالطيور الواردة في حديث « لو نوكتم على الله حتى نوكه لرزقكم كرازق الطير » من حيث أكل الطعام بلا طبخ ومن حيث الطيران في الجو ومن حيث أن كل امرئ له عمل كالطائر فأينما حلّ وجد رزقه ميسوراً سهلاً وهذا سرّ الفيتامين وسرّ إيقاف الحرب في المستقبل الوارد في آية - حتى تضع الحرب أوزارها - وسرّ أن الناس سيأتى عليهم يوم لا يأخذون المال ممن يعطيهم إياه وهذا يوجب على المسلمين أولاً :

١٤٢ (١) تميم الطيران

(٢) وأن يكونوا كأعضاء الجسد الواحد

(٣) وأن يعمروا أرض الله

هذا سرّ حديث النوكل المنقلم . ومتى ارتقى الناس بهذه الأعمال قلّ إغواء إبليس فيبحث في يمينه - فبعضتك لأغوبينهم - الخ

١٤٤ تفسير سورة الزمر . هي ثلاثة أقسام : القسم الأول في تفسير البسملة . بالرجة قامت السموات والأرض إذا ثبت ثبوتاً طيباً أن الارزليس كالبرنقال من حيث أن الأول يقلّ فيه القوة الحيوية التي استمدتها من الشمس والثاني تكثرت فيه تلك القوة التي استمدتها منها . إذن معنى هذا أن المواد على الأرض ونفس الأرض قد عجزت عن استكمال قوة الحياة من طبيعتها . إذن الأرض وما عليها لا حياة فيها إلا بما يستفيدن من ضوء الشمس . فإذا ثبت هذا في الامور المادية فبالأحرى تكون الرجحات التي اقصفت بها الطيور وسائر الحيوان والانسان ليست من المادة لأنها عجزت عما هو أسفل وهي قوة الحياة

فاستمدتها من الشمس . إذن الرحمة المحبوبة في الرجال والنساء وغيرهما من عالم أعلى كنه رحمة ونعيم عنه بعالم الملائكة أو الأرواح ، فلتنظر في الطفل : إن رحمة خاصة بجسمه هو ، فكل ما حوله يعتبره ١٤٥ مسخر له ، وكلما كبر ازداد رحمة حتى يصير أباً وزوجاً وأماً وملكاً وحكماً ، ونعم إذ ذاك رأفته ، فمن أين أتت ؟ من عالم غير هذه الأرض ، فكل ذى رحمة اقتبس رحمة من الرحمة العامة كما اقتبس الارز والبرتقال قوتهما الحيوية من ضوء الشمس وهذا برهان قاطع . وخير الرجاء وأعلها ما كان أشبه برحمة الأم ترضع ولدها بلا طلب جزاء في الآخرة ولا في الدنيا . ومتى ظهر في الأمم أفراد على هذا المنوال فبشرها بالسيادة وهذا يؤخذ من قوله تعالى - إما أخلصناهم - الخ وآية - إلا عبادك منهم المخلصين - فاصد الله مخلصاً - الخ - ألا الله الدين الخالص - قل الله أعبد مخلصاً له ديني - وأخيراً قوله تعالى - قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلمين - . فزون نفسك أيها الفكي بهذا القانون تعرف مقدارك في الحياة ، فليكن تعليم المسلمين طهارة الأحوال : إعداد العقل للفكر . والعواطف للحب . واليدين للعمل :

(١) عندكم أيها الخواص من المسلمين لوحان : السماء والأرض فيهما محو وأنبات . إذت هما كألواح الصبيان . إن كل محبوب على الأرض لم يكن إلا لواحد من خمسة أسباب : الجلال العلم . الشجاعة . الاحسان . المناسبة المجهولة . ولاجرم أن هذه كلها مستمدة من عالم أعلى كما انه ثبت أن مادة الحياة من ضوء الشمس لا من نفس المادة الأرضية . إذن فليكن الحياة لمسدى هذه النعم لأنه أكل في هذه الأوصاف

- (٢) لكم درسان : خلق الحيوان وخلق الانسان
 (٣) ليكن ليلكم قياماً وصلوة وعلما مع حب الله - أتمن هو قانت - الخ
 (٤) لتكونوا صابرين وستكون لكم حسنات - قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم - الخ
 (٥) ليكن من أوصافكم التعقل والحكمة - الذين يستمعون القول - الخ
 (٦) لتكونوا خلفاء الله تبشرون عباده - قل يا عبادي الذين أسرفوا - الخ
 (٧) سئالون العلم - قل هل يستوى الذين يعلمون - الخ
 (٨) ستكفونون في غرف وتشرق لكم الأرض بنور ربكم وتسلم عليكم الملائكة وترون ربكم والملائكة حافين من حول العرش

١٤٨ الكلام على الاستغفار والتسبيح والتهيل والتكبير والتحميد والوقفة ، جاء في الحديث و التسبيح والتحميد والتكبير عند النوم مجموعها مائة مرة ثوابها عظيم والسيطان قد يلهي عنهم ، وكان عليه السلام يكثر من التسبيح والتحميد والاستغفار قبل موته لقوله تعالى - إذا جاء نصر الله والفتح - الخ ، التسبيح وأخوه خير مما طلعت عليه الشمس

١٥٠ (القسم الثاني) السورة مكتوبة بالخط المشكل من أولها إلى قوله - لقوم يؤمنون -
 ١٥٢ التفسير اللفظي لهذا القسم

١٥٦ الكلام على أعظم أسباب دخول الجنات ، ذلك هو النظر في نبات الأرض ومائها وحدائقها ذلك لأنه ذكر بعد ذكر الجنات . الكلام على المواد المغرية التي لا بد منها لصلاحية الماء للشرب وهي خمسة ويجب أن تكون له خمس صفات كالبرودة وأن يكون خفيفاً الخ

١٥٨ الكلام على المياه المعدنية والمياه الحارة مثل ماء فبشي والمياه الغازية والمياه الحفزية التي تفرز بتعرضها

- لشمس والمياه الحديدية وهكذا
- ١٥٩ حكمه ألمانيا جاء فيها أن المؤلف يجب أن يصنع في تأليفه ما صنعه الله في خلقه ، ومعنى هذا أن يكون كل ما في كتابه هو الذي صنعه وتصرف فيه . ذكر عذاب الظالمين في الدنيا والآخرة ضرب مثل لحال المشركين
- ١٦٠ ذكر الصادقين والكاذبين
- ١٦١ ذكر النوم والموت . لطيفة في معجزات القرآن في هذا الزمان بمناسبة هذه الآية
- ١٦٣ ههنا خمس لطائف : اللطيفة الأولى في قوله تعالى - يكور الليل على النهار - الخ
- ١٦٤ (اللطيفة الثانية) في قوله تعالى - خلقكم من نفس واحدة - الخ وههنا (٥٠) حكمه في جسم الانسان مثل ان أعضائه قطع يسهل العمل بها ، ومثل المفاصل ، ومثل ان الرأس مركب من عظام ستة في القحف وهناك (٣٣) سنا ، ومثل الأشجار والشجيرات اللتين هما ككالباب يفتح ويفتح حسب الأحوال وهما ستر لثة يفيد الجمال وهكذا وآخرها ان هذا الانسان لو كمل عقله عند الولادة لملك حزنا لأنه يرى نفسه محمولا قنبرا الخ
- ١٦٦ (اللطيفة الثالثة) في قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون - الخ وقد طلب المؤلف من المسلمين تكوين جانب للعلوم والفنون الخ وذكر عدد المؤلفين في ألمانيا وأن هناك في كل (٢٥٠٠) نفا رجلا واحدا مؤلفا ، أما المسلمون فانهم نائمون
- ١٦٨ (نبذة في الطب) وذكر ٣٩ مصابا بكل الكسكسي وعليه التراب والأوساخ وهكذا البسوسه
- ١٦٩ ومن الجهل الفاضح في البلاد الذي تدمه الآية أيضا الحلوى التي تصرف الأطفال فكلها مضرّة للصحة فلا يجوز إعطاؤها للأطفال فضلا عن غيرهم
- ١٦٩ (قائمة الأكل في المستقبل) يقول الدكتور برنار الانكليزي : « سيكون الفطور محضرا من شعاع الشمس ، والغداء من الهواء ، والعشاء من ماء البحر ، وهذا كله بصنع الكيمياء ، ولكن هذا بعد أجيال كثيرة لأن افريقيا فيها أراض تكفي لملايين كثيرة غير سكان الأرض »
- ١٧٠ الاقتصاد وجمع الثروة وذكر مسألة البحار المليت وأن الجاهل يحقره والعالم يراه ذهابا كما تقدم في التفسير (الفصل الثالث) في الجامعات الأوروبية ، وبيان أن أكثر طلبة مصر محثون وقليل يلعبون بل يفسقون لاهمالهم . والمهم اننا نعرف أن جامعات سويسرا كانت جامعات دينية ناتقلت علمية مع المحافظة على الدين . فهذه جامعة لوزان في مدينة لوزان بسويسرا نشأت سنة ١٥٣٧ م وفيها علوم الحساب والطبيعة والصيدلة ومدرسة المهندسين والأسانذة فيها (١٢٩) وذكرت هذا لتفسير في هذا الطريق لأن الدين الاسلامي أولى بهذا من دين المسيح
- ١٧٢ (فوائد التعليم الاجباري) يفضل توماس جفرسون رئيس جمهورية الممالك المتحدة بقاء التعليم الأولى وتعميمه على بقاء التعليم العالي لوخبر بينهما . إن وجود طبقة متعلمة وبقية الأمة جاهلة معناه أن هؤلاء يستعبدون البقية . ومن جهة أخرى العالم وسط الجهال لاقيمة له . إن هولندا والدانمارك والسويد والنرويج لما عدت الأمتية منهم أصبحت بعض الولايات لاجنابيات فيها فأولى بهذا المسلمون
- ١٧٣ المدرسة القروية هي محل استشارة القرية كلها
- (اللطيفة الرابعة) في آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - والكلام على جوف الأرض وجبال البراكين والجبال التي تبتلعها الأرض والآبار الارتوازية . الماء معلق فوق رؤسنا . الآثار الجوفية المائية

- ذوبان الجليد . رشح المياه . فعل القنوات الشعرية الأرضية . جرى المياه الى الجهة المنحطة
- ١٧٥ ﴿ اللطيفة الخامسة ﴾ في قوله تعالى - مم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - وأن الآية ليست قاصرة على اختصام الكفار والمسلمين بل تشمل المتحاربين بعد زمن النبوة
- ١٧٦ ﴿ القسم الثالث ﴾ كتب مشکلا من آية - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم - الى آخر السورة
- ١٧٧ التفسير اللفظي لهذا القسم
- ١٧٨ هذا القسم أربع لطائف الثالثة منها - وأشرقت الأرض بنور ربها - وذلك في الآخرة . والحكام . يشاهدون مبادئه في الدنيا . ألا ترى كيف رأينا العدل في عالم النبات والحيوان من حيث التغذية ورأيناها في البر والبحر . ففي كليهما حدائق مثل مافي المحيط الهادى من شجر المرجان وهناك جزائر مرجانية ينبت فيها الشكولاته . وهناك ١٠٠٠٠٠٠ جزيرة وألف جزيرة مرجانية . ومن ذلك عدل الله في خلق العيون وعدمها . فالسمك الذى يعيش على بعد (٢٧٥٠) قامة لاعيون له لأنه لاضوء للشمس هناك . وهناك سمك له مصباح يضيء في قرار البحار
- ١٨٢ ﴿ اللطيفة الرابعة ﴾ - وترى الملائكة حافين من حول العرش - وقد ذكر العرش في السورة بعدها الخ
- ١٨٣ انكشاف الحقائق من أسرار القرآن في آخر سورة ص وأول سورة الزمر من قوله تعالى - ما كان لى من علم بالملا الأعلى - الى قوله - فأنى تصرفون - . وههنا ورد سؤال على المؤلف وهو أن الله عظم الانسان إذ أسجد له الملائكة الأرضيين وخلق له السموات والأرض وأنزل له الأنعام ولكنه أذله أيضا بتسليط إبليس عليه وعلى ذريته وجعلهم في ظلمات ثلاث . فأجاب المؤلف بأن الاجابة على هذا السؤال لا تتم إلا بعلم الهواء والضوء وانكساره وانتشاره ولا يتم ذلك إلا بعلم الطبيعة والفلك . إن الهواء مركب من الاكسوجين والاوزوت وتنقص حرارته كلما ارتفع فإذا زاد عن (٧٠٠٠) متر صارت الحرارة (٦٠) لانقص وهذا ظن القوم وله ثقل يعادل (٥٨٥) مكعبا من النحاس وكل مكعب ضلعه كيلومتر وارتفاعه (٤٨) كيلومترا أى جزء من جبهه من نصف قطر الأرض وهذا الهواء أمره محب ايرينا الشمس صباحا بضوء أقل من الضوء وقت الهجرة بمقدار (١٣٥٠) مرة . وسبب هذا النقص أمر وهو أن الغبار الذى يتخلل جونا فوق رؤسنا أقل من الغبار الذى يتخلل الجو بالقرب من الأرض (١٦) مرة . فهذه (١٦) طبقة من الغبار تحجب عنا كثرة ضوء الشمس صباحا فترجعها الى واحد من (١٣٥٠) وبهذا الحجاب يسهل لنا أن ننظر شعاع الشمس . أما في وقت الظهر فلا . وبهذه يأتى ضوء الشمس للأرض بالتدريج . وهذا الغبار يظهر لنا أن الشمس صباحا أبعد منها ظهرا والكواكب القريبة من الأفق أبعد في الظاهر من الكواكب التى في وسط السماء وتظهر قبة السماء كأنها منحطة . فقرب الشمس وقت سمت وقرب الكواكب هناك وقرب القبة السماوية لسبب واحد وهو قلة الحجب الغبارية في الهواء وبعد الكواكب الأفقية للحجب الستة عشر
- ١٨٧ لولا الهواء لم يضىء نور الشمس إلا ما قابله وتكون الدنيا كلها ظلاما ماعدا المقابل للشمس ويكون الجوّ حالك السواد وتظهر النجوم نهارا وقت الظهر ولا يكون هناك ضوء صبح ولا ضوء بعد الغروب لأن ذلك لم يحصل إلا بانتشار النور بواسطة الهواء وانكساره والانكسار يتضح لمن يضع عودا في الماء فانه يرى كالكسور وما هو بمكسور وانما ضوءه انكسر . وهذا ظاهر في (شكل ٦) في صحيفة ١٨٨ والبيان في حرف (ا) وحرف (ب) وهذه التجربة السهلة من علم الطبيعة هي الواضحة في علم الفلك (شكل ٧)

١٨٩ إن الضوء بانتقاله من الجو الخالي من الهواء الى الجو الذي فيه الهواء ينكسر بحيث خاصة لأنه انتقل من لطيف الى كثيف ، وهذا الانكسار يوجب الانتشار ، ومن هذا الانتشار يكون الفجر والصبح والشفق ، ولولا ذلك لطلعت الشمس بفتة فأهلكت كثيرا . إذن هنا غبار في الهواء لطف الضوء . إذن هذا نظير الظلمات الثلاث المحيطات بالجنين . فإذا كان الجنين لا يحتمل انكشاف جسمه للشمس مع انها نعمة هكذا الانسان والحيوان جعل الغبار الضار بأجسامهم نعمة عليهم لأنه يطفىء الضوء ويجعل سير النور ووصوله لهم تدريجيا . فتقليل الغبار الجوى والحجب نعمة لانقمة كما ان ظلمات الجنين نعمة عليه . وهكذا اغواء الشياطين لبني آدم لانهى لها إلا تأخير رقيهم . ذلك لأنهم لو أعطوا العلم دفعة واحدة هلكت أرواحهم . فلا بد من معوقات جسمية بالأمراض والحروب ومعوقات روحية بحبسهم عن العلم فيتقبلونه بالتدريج والشوق كما يتقبلون ضوء الشمس بالتدريج . والفضل في الثاني للغبار الذي هو مكروه ضار والفضل في الأول لاغواء الشياطين . هذا هو الجواب على هذه الأسئلة

١٩٣ اللطائف العائمة لأقسام السورة كلها : اللطيفة الأولى في قوله تعالى - خلق السموات والأرض بالحق - يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل - مع آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - وههنا ذكر حركتي الشمس السريعة والبطيئة والرجات (٣٦٠) والبروج (١٢) وكيف اخترعها العقل الانسانى قديما . ذلك انه رأى نجوما تحيلوا انها كالحل فسميت (حلا) وهكذا البقية . ولكل برج (٣٠) درجة وبضربها في (١٢) يكون ذلك (٣٦٠) ولكل برج (٣٠) يوما . وهناك (٥) أيام وربع يوم توزع عليها . وبيان أول فصل الربيع اذا حلت في رأس الحمل وقد أخذت في الارتفاع الى الشمال في يوم ١٧ من برمهات . فاذا قطعت الشمس الحمل والنور والجوزاء وحلت بالسرطان في أول الصيف كرت راجعة الى جهة الجنوب ويأخذ النهار في النقص والليل في الزيادة . وهذا على عكس حالها حين تصل الى آخر القوس في الجنوب . إذن يكون ذلك أقصر يوم وأطول ليلة في السنة . وهناك تنتقل الى الجدى في ١٧ من كيهك وتسكر راجعة فتأخذ في الارتفاع فهذان هما الانقلابان الانقلاب الصيفي والانقلاب الشتوي . وهذان غير الاعتدالين إذ فيهما يكون النهار والليل متساويين أما في الانقلابين فالنهار يكون أطوله ١٤ ساعة ويكون الليل ١٠ ساعات . واذا بلغ الليل ١٤ ساعة كان النهار ١٠ ساعات وذلك في مصر وما مائلها وبقية الأقطار الأخرى منتظمة بحسب غير هذا أقل أو أكثر

١٩٥ بيان شهور القبط وموازتها بشهور السريان وشهور الروم وهذان الأخيران متوافقان . وبيان الأشهر التي هي (٣٠) يوما وهي (٤) وواحد ينقص يومين والباقي (٣١) وذكر نظم القدماء شهور السريان وشهور الروم

١٩٦ الكلام على المنازل وانها (٢٨) منزلة أو لها الشرطان وآخرها بطن الخوت وأن لكل منزلة (١٣) يوما ويبقى يوم وربع فيضاف ذلك لمنزلة الجهة آخر السنة . وفي كل (٤) سنين يكون للجهة (١٥) يوما وههنا بيان طلوع المنازل وقت الفجر مثل ان الشرطين في ٢٣ برمودة وفي ١٨ نيسان الذي هو شهر ابريل وهكذا فتعرف المنزلة بمعرفة الشهر القبطي أو السرياني أو الرومي

١٩٨ الكلام على القمر والمنازل بالنسبة له وانها قسمان : جنوبية وشمالية . والمنزلة مقدار ربع سبع الدور . وما كواكب المنزلة إلا حدود فوارق بينهما . وههنا سيق لمعرفة القمر في أي منزلة

١٩٩ الكلام على أحوال الأهل التي عليها مدار الشهور . ذلك ان القمر يتأخر كل ليلة ستة أساع ساعة

- ولا يزال يتأخر حتى يكون في الليلة السابعة مغيبه نصف الليل وفي الرابعة عشرة طلوع الشمس وطلوعه ليلة ٢١ نصف الليل وليلة ٢٨ مع الغداة . وههنا طرق حسابية لاستخراج أول الشهر العربي ٢٠٠ ههنا أن نذكر نتائج انتظام الأجرام السماوية في الأعمال الزراعية في الأرض . فكما انتظم سير الكواكب انتظم الزرع في الأرض . فالزراع ونحوها مقسمات على الشهور . مثال ذلك :
- « شهر توت » فيه النيروز ويلقط الزيتون وتفتح أكثر الترع « باب » فيه يطيب الرمان الخ « هاتور » فيه بزر القمح وأكثر البقول الخ « كيهك » فيه تزرع الحلبة الخ « طوبه » فيه يكمل الترجس والقرط الخ « أمشير » فيه تفرس الأشجار الخ « برمها » فيه تزهر الأشجار الخ « برمودة » فيه تقطف أوائل غسل النحل الخ « بشنس » فيه يكثر النفاق الخ « بؤنه » فيه يكثر الحصرم الخ « أيب » فيه يكثر العنب الخ « مسرى » فيه يصنع الخل
- ٢٠٢ (اللطيفة الثالثة) في قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وبيان أن العلم أشرف شئ والعلماء قليل فهو كالراديوم
- ٢٠٤ (الراديوم وخواصه) هو دائماً يلعب كوهج النار يتقدد ولا ينطفئ الخ . هذا المعدن له نظير في الناس وهم الحكماء الذين يؤثرون في عقول الأمم . لما ظهر الاسلام استخرج أهله الحكمة من بلاد اليونان أيام العباسيين ثم ذهب تلك الدول وانتقل العلم الى بلاد الأندلس ثم الى أوروبا لأن أبناء العرب اكتفوا بالشعر
- ٢٠٨ إن قول الله سبحانه وتعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - جاء العلم فيه بالفعل المضارع إشارة للتجدد وقتاً بعد وقت الخ
- ٢٠٩ يخاطب المؤلف المسلمين قائلهم : « أتم خيرأمة أخرجت للناس قديماً فكيف لا تستوعبون علوم الأمم لتكونوا خيرأمة أخرجت للناس في المستقبل »
- ٢١٠ (الفصل الثاني) فيما قاله الفيلسوف « كنت » الألماني في كتاب التربية . للكتاب مقدمة وأربعة فصول ، وفي المقدمة اختصاص الانسان بالتربية ، ثم تربية الطفل في المهد ، ثم تهذيبه بطريق سليم . ثم تلقيه العلوم الخ والتهذيب يمنع عنا الأخلاق الحيوانية إذ لم تمنح غريزة لذلك . وتجب المبادرة له في الصغر ولا تعسر في الكبر . ومن فاته التهذيب صغيراً تسرع عليه كبيراً بخلاف العلم فهو لا يفوت بالكبر
- ٢١١ إن صغار الحيوان لا تحتاج الى تعليم اللهم إلا الطيور فهي تعلم صغارها هتة أصواتها . والجب أن كل طائر في الأرض شرفاً وغرباً له صوت واحد يحافظ عليه (هذه العبارة في الأصل الانجليزية وسقطت من الترجمة سهواً) . لو تعاون الأصراء مع ذوي المواهب على تعليم الانسان أو علم الانسان عالم أعلى منه لأصبح الناس اليوم في حال أشرف من هذه . ومتى بلغ الانسان درجة التبصر وأحسن بالخلل أخذ يفكر : أهذا من نقص التهذيب أم التعليم ؟
- ٢١٢ ضرر نقص التهذيب أشد من ضرر نقص التعليم . على كل جيل أن بخطو خطوة الى الأمام . نهاية ذلك السعادة الانسانية . ليكن لنا يقين بذلك . التعليم التقليدي ينتهي بالنقص الانساني كالنبات الذي نبت من الجذر في العام الثاني فزهرة يكون أقل بهجة
- ٢١٣ السكالم محبوب في الانسان . التعليم اليوم صناعة فإذا ارتقى الانسان صار أشبه بالفريزة . ليس في الأرض حكومة صالحة ولا تعليم حقيقي . لا بد من تضافر الأفراد على النفع العام وذلك لا يضر بمصلحة الفرد لأن المواهب تظهر بذلك القصد . الشر يأتي من اعمال الطبايع

٢١٦ آراء الاستاذ « كنت » كلها ترجع لما في القرآن - اقرأ باسم ربك - الخ - قل هل يستوى - الخ وهما (زبرجدتان : الأولى) في أصل أهل ألمانيا بمناسبة ذم العلامة « كنت » للأمرء من حيث انهم لا يصلحون لتعليم الشعوب ، أصل أهل ألمانيا من العائلة الآرية وبلادهم كانت مواطن للحيوانات المفترسة الخ

٢١٧ (الزبرجدة الثانية) إن الأمة المصرية عليها المغفور محمد علي باشا وذريته عشرات السنين ، ولكن الحرية ليست نعمة ولم يحم بالثورة إلا أحمد عرابي وهو لم يتعلم في مدارس الحكومة ، والأمة المصرية انقسمت قسمين فدخل الانجليز مصر ، ولكن لما قتلوا التعليم فيها لعلم الشعب بنفسه ، فطالب نفس المتعلمين بالحرية

٢١٩ (نعمات الحكمة) وهي أن المؤلف سمع موسيقى تصدح بعد كتابة هذا الموضوع فقبل له أن هناك مسرات لاحد لها عند الأمم الآتية بعدنا في الشرق بسبب هذه التعاليم وأمثالها
٢٢٠ الأحاديث النبوية من الكتب الستة الصحاح في آداب العلم والتعليم . وبيان أن يكون التعليم لمن يطلبون العلم برغبة

٢٢٣ (الفصل الثالث) من المقام الأول في الكلام على الملك والوزير الذين أحبا العلم والحكمة وزهدا في الملك
٢٢٨ (المقام الثاني في شذرات) وهي خمس : الأولى في إصلاح التعليم . وذلك أن علما سويسريا جاء الى مصر أثناء طبع هذا التفسير وقال ان تعليمها ناقص وترك للحكومة كتابا ملخصه نحو ٢٠ مسألة الخ
٢٣٢ معنى التعليم الاجباري وانه ليس التصدم منه تعليم العلوم العالية بل القراءة والكتابة والحساب الخ

٢٣٥ (الشذرة الثانية . في الجباب السماوية) وذكر اقرب منهم من الأرض وهو الالف . وأن هناك كوكبا يبعد عن الأرض الف قرن بسير النور

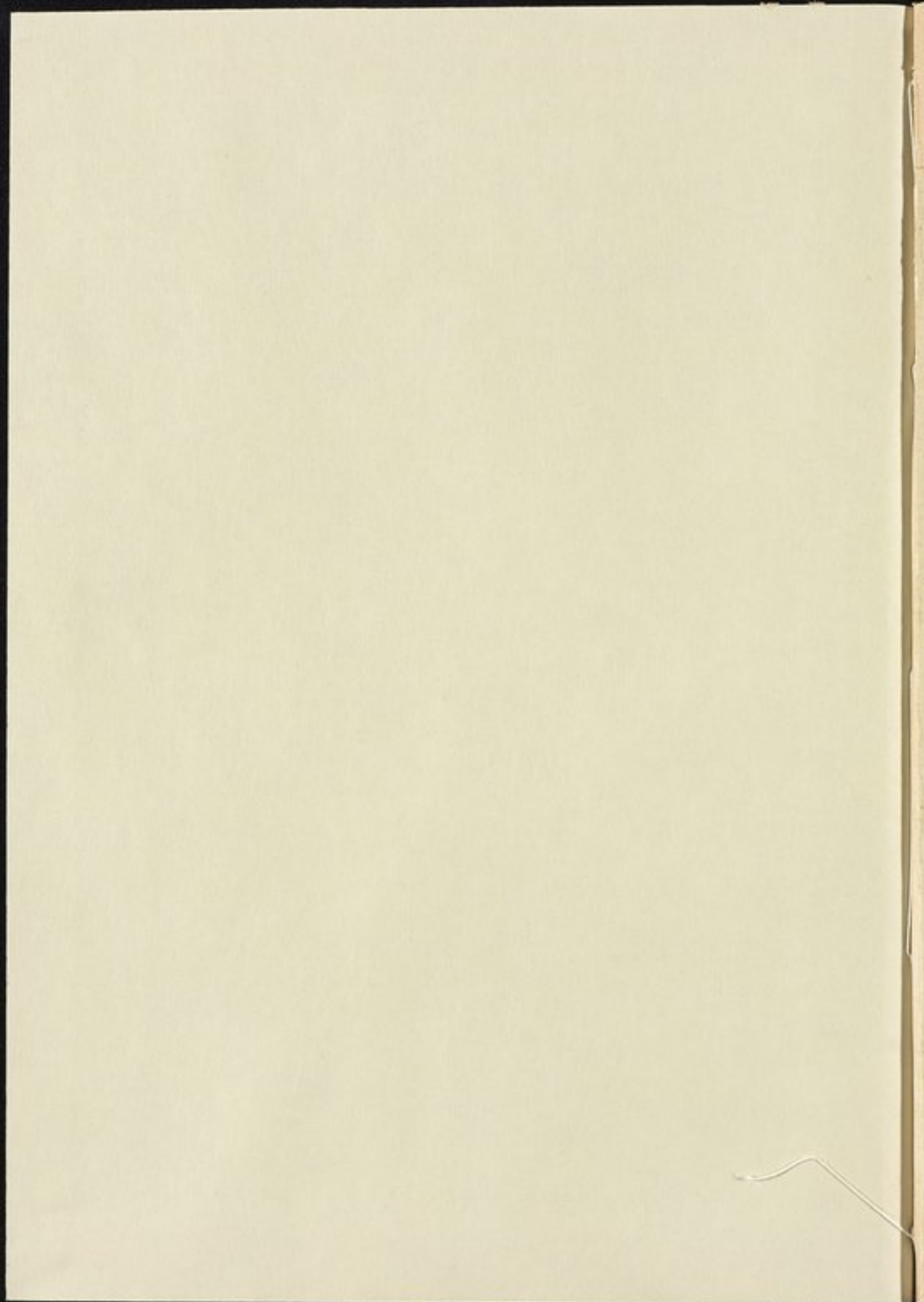
الكلام على رصد الجوى بالسهام النارية . وأن (جادارو) صنع صاروخا متنى وصل الى (٢٠٠) ميل أعطانا معرفة بالطواء هناك وبأشعة الشمس كذلك وبالحرارة وبالمنطق الجوى فهذه الأربع مجهولة الآن
٢٣٦ (الشذرة الثالثة) في غرائب الحيوان . غريزة الحيوان منظمة كأن نظام حركات الاحجار ونحوها في سقوطها الخ

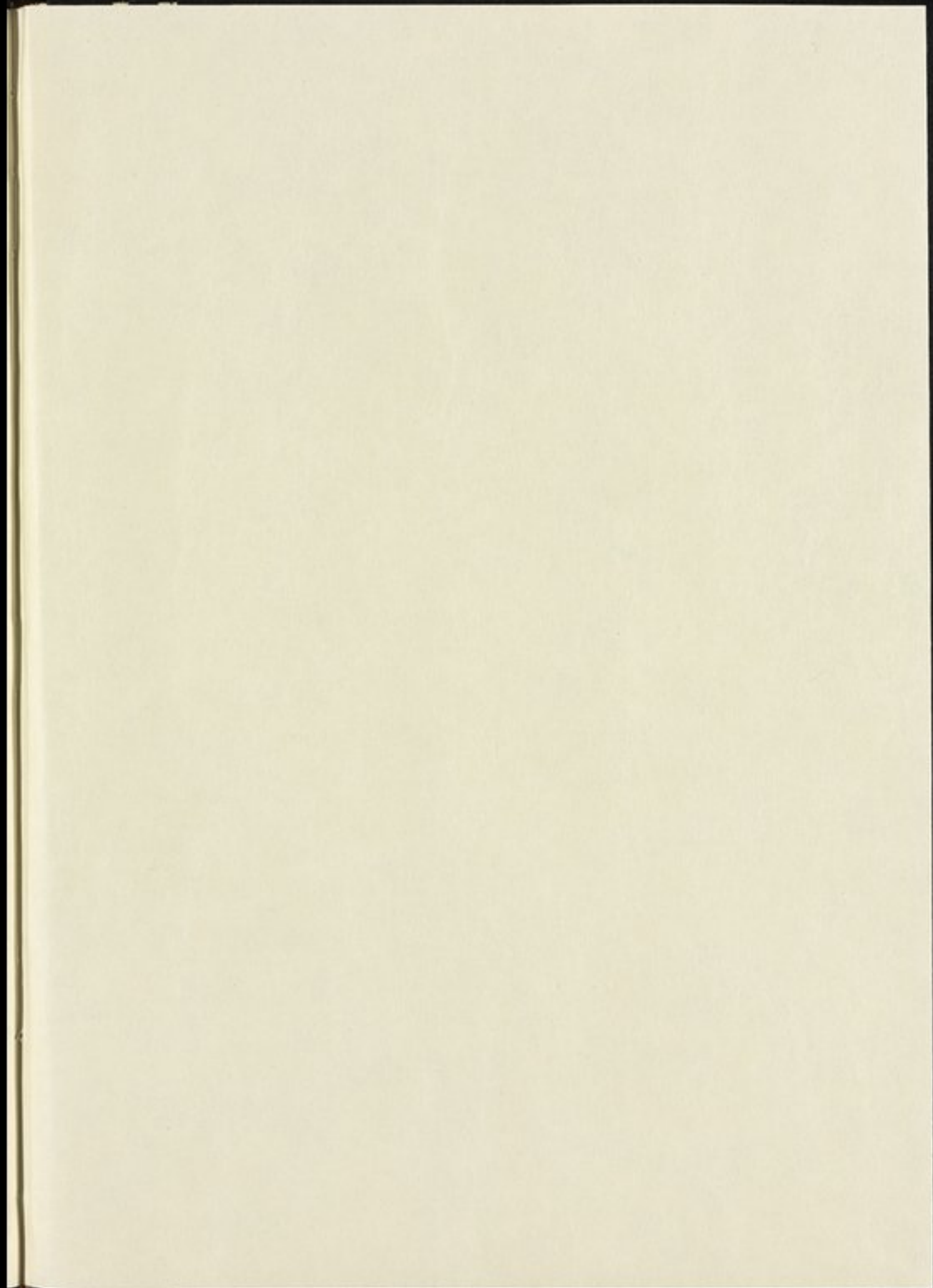
٢٣٨ (الشذرة الرابعة) في الفوائد الطبية . الكلاب وأخطرها

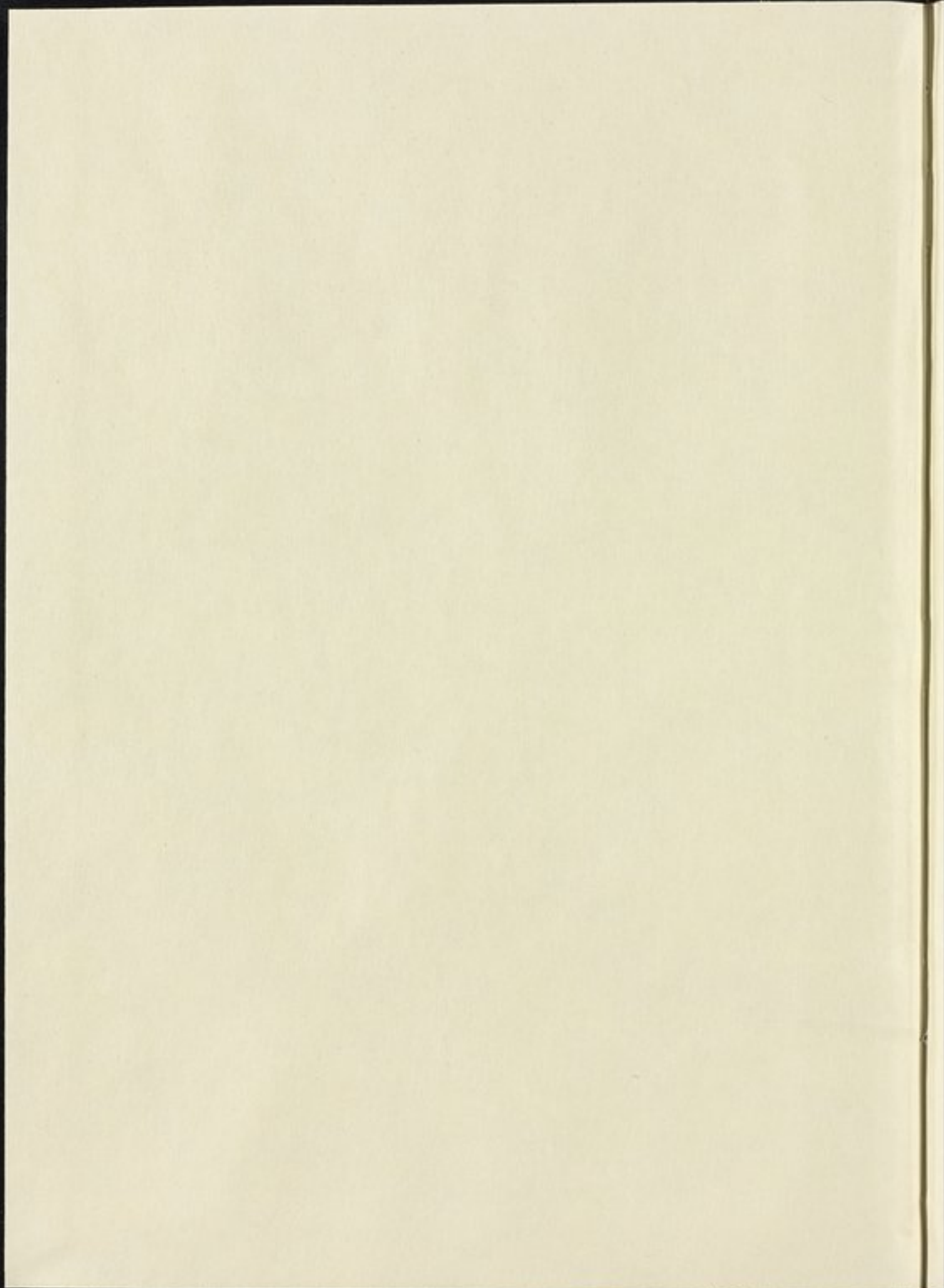
٢٤٠ مقالات في كلمات مثل : ان حلاوة اللقاء تمن مرارة الفراق . ومثل : المصائب تعطى اللبيب حكمة والجاهل شرا

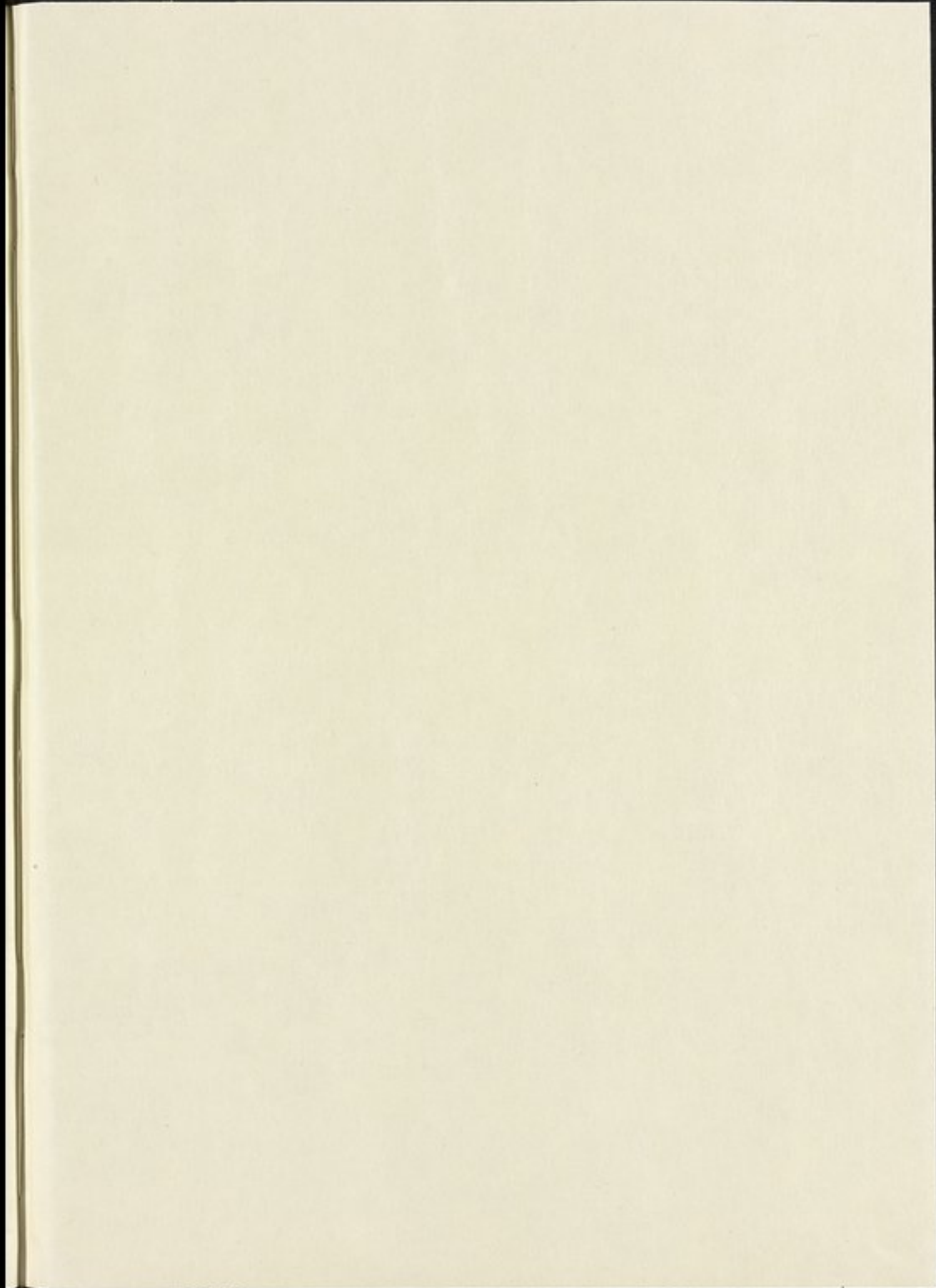
الكلام على الماء والصحة

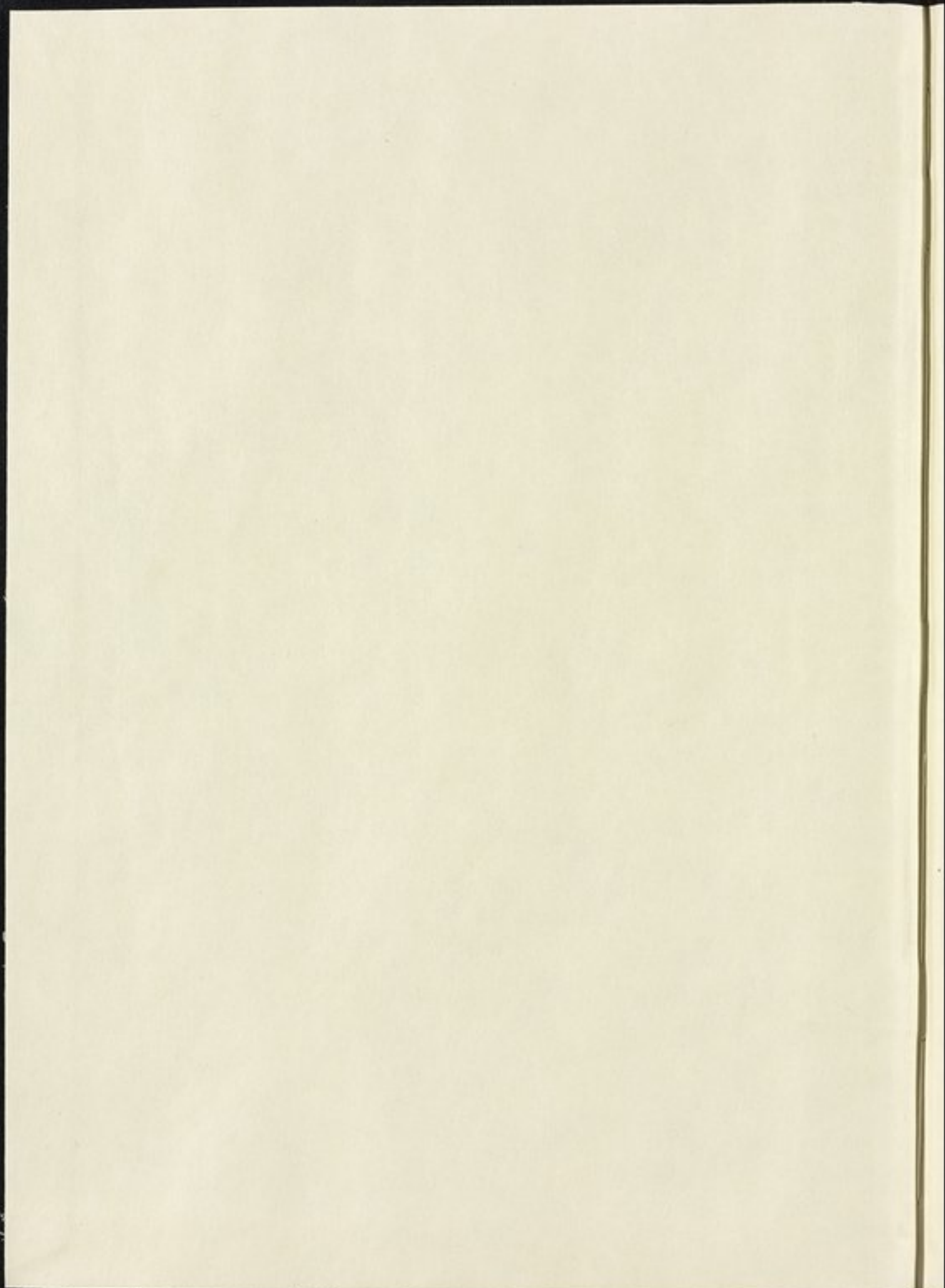
الكلام على الاختزال بمناسبة آية - فبشر عباد الذين يستمعون القول فينبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب -

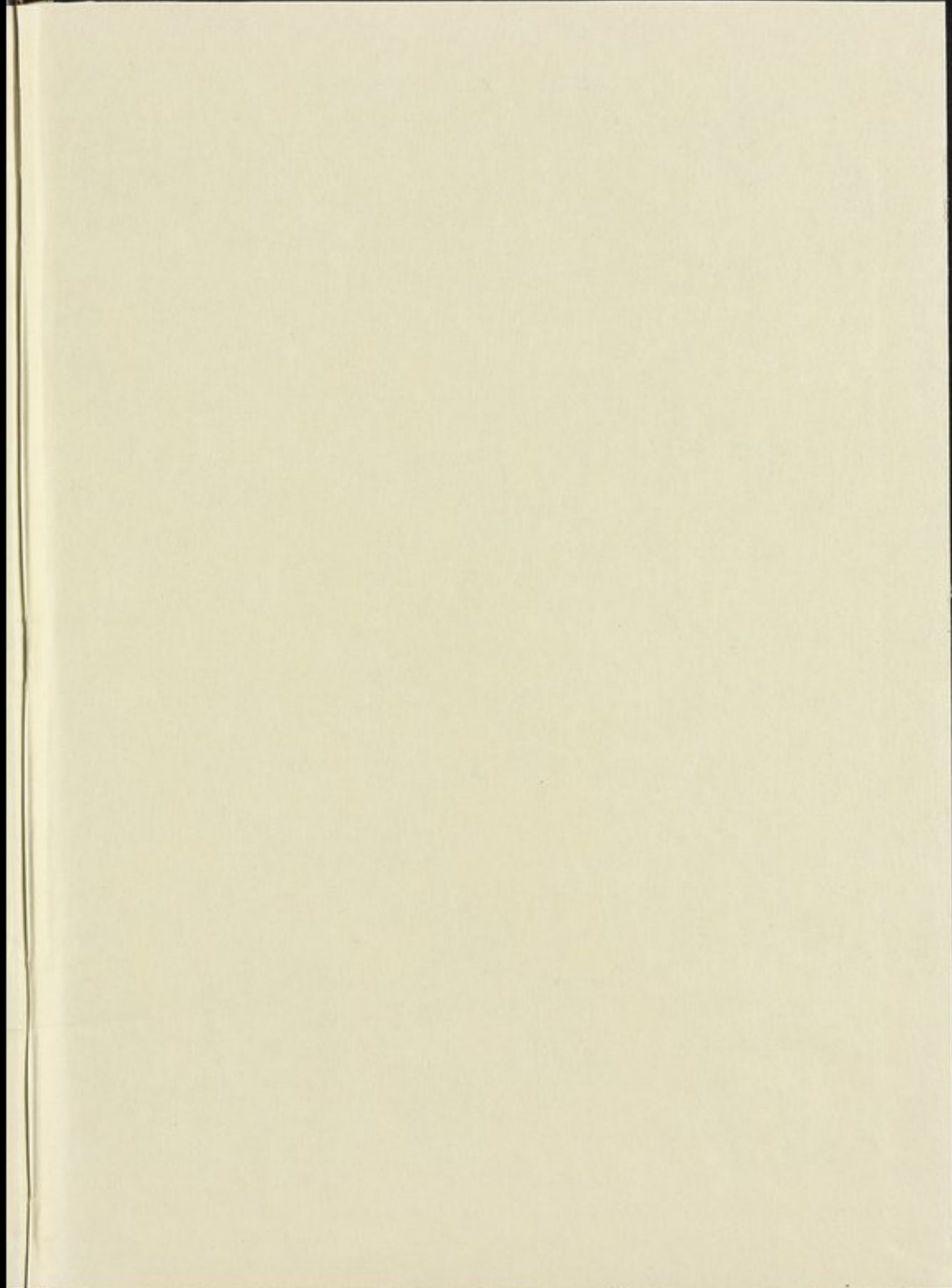


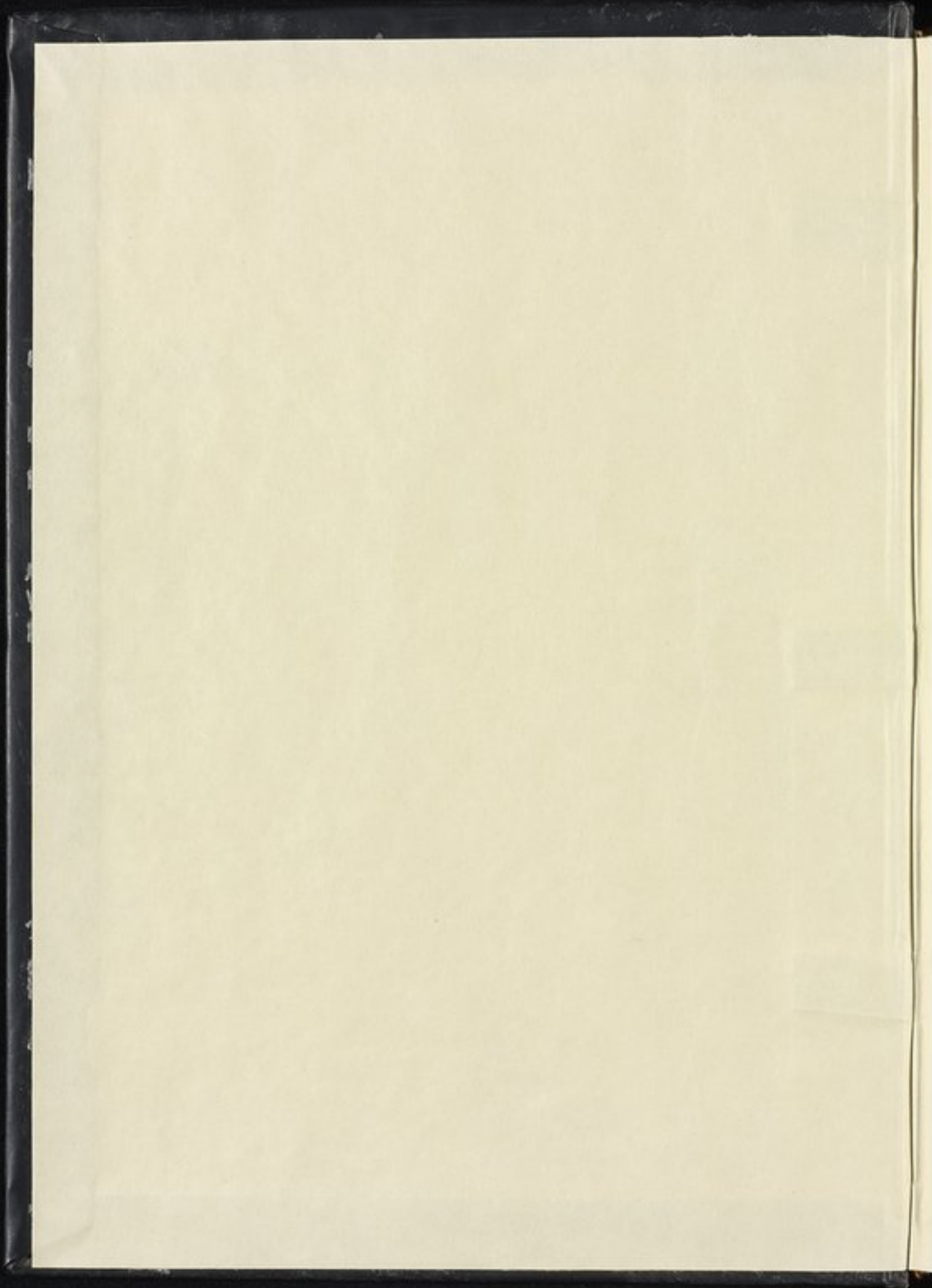












Princeton University Library



32101 079196265